



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



عليه
صلى
عليه
وآله
وسلم

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

مستدرکات

عیان السبعین

بیت القریب

«۵»

دار الفاروق للطبوعات

پونہ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مستدرکات اعیان الشیعه

کاتب:

محسن امین عاملی

نشرت فی الطباعة:

دار التعارف للمطبوعات

رقمی الناشر:

مركز القائمیة باصفهان للتحریات الكمبيوتریة

الفهرس

٥	الفهرس
٢٢	مستدركات أعيان الشيعة المجلد ٥
٢٢	اشاره
٢٢	اشاره
٢٥	هويته الكتاب
٢٦	مقدمه المؤلف
٢٨	آخوند مالك
٢٨	السيد آغا
٢٨	السيد آقا حسن
٢٨	آقا محمد قاجار
٢٨	اشاره
٣١	مساعى "آغا محمد خان"
٣٣	حروب أخرى
٣٣	غزو القفقاس
٣٤	تتويج "آقا محمد خان"
٣٦	انقراض ملك الأفشاريين
٣٦	الغزو الثانى للكرج
٣٧	مقتل "آغا محمد خان"
٣٩	آقا محمد قاجار
٣٩	مولد "آقا محمد خان"
٤٥	آقا محمد خان قاجار
٤٦	حرب الملوك
٤٨	مقتل محمد حسن خان قاجار
٤٩	تمرد آقا محمد خان
٤٩	اعتقال آقا محمد خان
٤٩	خصاء آقا محمد خان
٥١	آقا محمد خان فى طهران
٥٣	آقا محمد خان فى شيراز

٥٦	السفر إلى أستراليا
٥٨	تمرد حاكم أستراليا
٥٩	تمرد حسين قلى خان
٦١	اعتصام آقا محمد خان
٦٢	مقتل حسين قلى خان قاجار
٦٣	فرار آقا محمد خان
٦٦	السفر إلى مازندران
٦٨	نهزام انهزام على مراد خان زند
٦٩	تمرد ذو الفقار خان أفشار
٧١	تمرد رضا خان قاجار
٧٨	تملك آقا محمد خان
٧٨	تمرد أمير جونه خان
٨٠	عنايه آقا محمد خان بالزراعه
٨٠	وضع الزنديين
٨٣	هجوم على مراد خان زند على شيراز
٨٤	محاصره آقا محمد خان لظهران
٨٦	ثوره بسبب اللحي
٨٨	اختلاف الاخوه
٨٨	مهاجمه الزنديين لأستراليا
٨٩	فرار الشيخ ويس خان زند و إعماله
٩٢	مصير أخوى آقا محمد خان
٩٤	محاصره ظهران ثانى مره
٩٥	محاصره قم و ثوره التميمين
٩٨	فتح ظهران
٩٩	معركه نصرآباد
١٠٠	العاصمه طهران
١٠٢	آقا محمد خان و الحكام
١٠٣	مواصله الحرب
١٠٩	الترياقي دواء الكوليرا

١١١	تغير جعفر قلى خان قاجار
١١١	الأمير الزندى الشجاع الوسيم
١١٣	ثوره مصطفى قلى خان قاجار
١١٣	معاوده فتح طهران
١١٤	مقتل جعفر خان زند
١١٥	إعماء مصطفى قلى خان
١١٦	معاوده غزو فارس
١٢٠	تراجع آخر
١٢٢	تذهيب مقام على ع
١٢٢	نصب ولى العهد
١٢٢	مقتل جعفر قلى خان قاجار
١٢٥	فى أذربيجان
١٢٧	مؤامره لقتل آقا محمد خان قاجار
١٢٧	زحف الخان الزندى إلى أصفهان
١٢٨	الخان الزندى بعد الهزيمه
١٣٢	معركه مرج إيرج
١٣٣	دخول آقا محمد خان إلى شيراز
١٣٥	مسير الخان الزندى إلى كرمان
١٣٥	فى المفازه الرهيبه
١٣٦	محاربه تقى خان اليزدى
١٣٨	معركه خرمن كوه
١٣٩	السير إلى كرمان
١٤١	محاصره كرمان و فتحها
١٤٤	خروج الخان الزندى من كرمان
١٤٦	إباحه كرمان و إعماء الكرمانيين
١٤٧	لطف على خان زند فى "بم"
١٤٨	اعتقال لطف على خان زند
١٤٨	آقا محمد خان يتجلبب بالعار!
١٥٠	حرب "شوشى" فى القفقاس
١٥١	نكبه تفليس

- ١٥٤ تتويج آقا محمد خان قاجار
- ١٥٤ السفر إلى مشهد
- ١٥٧ تعذيب شاه رخ شاه
- ١٦٠ العوده إلى آذربيجان
- ١٦٣ فتح قلعه فناه آباد
- ١٦٣ محاصره شوشى
- ١٦٥ مفاوضه آقا محمد خان
- ١٦٥ فتح شوشى
- ١٦٦ حرب شيروان
- ١٦٨ مقدمه قتل آقا محمد خان
- ١٧١ آخر ليله من حياه آقا محمد خان
- ١٧٣ آمنه بيگم بنت الأغا محمد باقر بن محمد أكمل البهبهاني الحائري:
- ١٧٤ آمنه الكبرى بنت الامام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين على بن أبي عبد الله الحسين بن على بن أبي طالب ع.
- ١٧٤ آمنه الوسطى بنت الامام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبي طالب ع:
- ١٧٦ السيد إبراهيم بن السيد إسماعيل آل باليل الموسوي الدورقي
- ١٧٦ إبراهيم حسين باروى
- ١٧٦ إبراهيم خان أيوب
- ١٧٧ إبراهيم فخرائى بن الحاج رضا
- ١٧٧ السيد إبراهيم الموسوي التبريزي ابن السيد مهدي
- ١٧٩ السيد ابن حسن جارجوى ابن السيد مهدي
- ١٧٩ اشاره
- ١٧٩ شىء من سيرته
- ١٨٠ ابن حسن بن مير حسين رضا جايسى
- ١٨٠ ابن يوسف الشيرازي
- ١٨٠ أبو البقاء إبراهيم بن حسين بن إبراهيم البصري:
- ١٨٢ السيد كمال الدين أبو الحسن بن السيد بهاء الدين محمد بن السيد على الحسيني الأفتس الزباري البيهقي:
- ١٨٢ أبو الحسن أبو صاحب بن محمد بن على شاه الكشميري
- ١٨٣ أبو الحسن تاناشاه
- ١٨٣ الشيخ أبو الحسن بن الحسين الباقفي اليزدي الحائري:

- ١٨٣ أبو الحسن ممتاز العلماء ابن دلداز علي
- ١٨٥ الشيخ أبو الحسن الشعرائي ابن الشيخ محمد بن غلام حسين بن أبو الحسن الطهراني
- ١٨٦ أبو الحسن الكشميري
- ١٨٧ السيد أبو الحسن الكشميري ابن السيد نقي
- ١٨٧ أبو الحسن ميرن صاحب ابن المولوي نياز حسن برستي
- ١٨٨ أبو العباس شهاب الدين أحمد بن عبد الملك العزاري
- ١٨٩ الشيخ أبو عبد الله بن جلاب البغدادي:
- ١٨٩ أبو علي الأمروهي
- ١٨٩ أبو الفتح الجيلاني ابن عبد الرزاق
- ١٩٠ أبو الفضل بن الشيخ مبارك بن الشيخ خضر اليماني الأصل الهندي المسكن و المدفن
- ١٩١ أبو الفيض، و يقال: فيضي، و فياضي
- ١٩١ أبو القاسم النجفي ابن عبد الحكيم
- ١٩١ السيد أبو المعالي
- ١٩١ ميرزا أبو المعالي
- ١٩٢ أحفاد الحسين بن جواد علي
- ١٩٢ أحسن الله
- ١٩٣ آقا أحمد البهبهاني ابن محمد علي
- ١٩٤ أحمد بن حسن بن سليمان العاملي
- ١٩٤ أحمد حسن كاظميني ابن المولوي صفدر حسين
- ١٩٤ أحمد حسين أمروهي
- ١٩٤ أحمد حسين بن گدا بن كاظم حسين
- ١٩٥ أحمد حسين خان
- ١٩٥ أحمد بن حسين خواني امانت خواني
- ١٩٥ السيد أحمد الحسيني
- ١٩٧ الشيخ أحمد ديوبندي ابن وجيه الدين
- ١٩٧ أحمد راد
- ١٩٧ أحمد حسين زنگي بوري بن السيد أكرم حسين زنگي بوري
- ١٩٧ أحمد حسين سرسوي
- ١٩٧ أحمد حسين سند يلوي
- ١٩٨ الشيخ أحمد الشمرواني اليميني بن محمد بن علي بن إبراهيم

- ١٩٨ السيد أحمد الشهرستاني ابن السيد علي أصغر
- ١٩٨ ميرزا أحمد علي أمرتسرى
- ٢٠٠ أحمد علي سجادي فاخاتي
- ٢٠٠ السيد أحمد علي محمدآبادي بن عنايت حيدر بن السيد علي
- ٢٠٠ المفتي أحمد علي ابن المفتي محمد عباس
- ٢٠١ أحمد بن عيسى الرادعي
- ٢٠٦ أحمد الناصر لدين الله العباسي
- ٢٣٠ أحمد ناصر الدين شاه قاجار:
- ٢٤٢ أحمد شاه القاجاري
- ٢٤٣ أحمد كبير سيد بن فتح حسين بن قربان علي
- ٢٤٤ أحمد بن ماجد
- ٢٤٥ أبو جعفر أحمد بن محمد المروزي أو المروزي
- ٢٤٥ اشاره
- ٢٤٦ التعليق:
- ٢٤٧ الشيخ أحمد المطهر الساوجي
- ٢٤٧ أحمد ملا الأعرج
- ٢٤٧ أحمد الشيخ مهذب الدين الحيدرآبادي البصري ابن عبد الرضا أو رضا
- ٢٤٨ السيد أحمد هادي بن السيد محمد
- ٢٤٨ الشيخ أسد الله بن محمد صادق البروجردي النجفي الحائري:
- ٢٤٨ أسماء صحابه و راويه للحديث:
- ٢٤٨ ملا إسماعيل ذبيحي، أو ذبيح البيزدي:
- ٢٤٩ إسماعيل راين
- ٢٤٩ الشيخ الميرزا إسماعيل الصوفي الاصفهاني:
- ٢٥١ أشرف علي بلگرامي
- ٢٥١ السيد أصغر حسين زنگي بوري
- ٢٥١ أصغر حسين بن السيد فخر الدين
- ٢٥١ المولوي اعجاز حسن حاجي أمرهه ابن المولوي محمد
- ٢٥١ أعظم علي بنگوروي
- ٢٥٢ السيد أكبر علي الحسيني

- ٢٥٢ أكبر مهدي سليم بن حيدر مهدي
- ٢٥٢ السيد أكرم علي بنارسي
- ٢٥٢ ألفت حسين
- ٢٥٢ أم أحمد بنت موسى زوجة الامام موسى بن جعفر ع و وصيته:
- ٢٥٤ أم برده و اسمها خوله مشهوره بكنيتها بنت المنذر بن زيد بن لبيد بن حراث بن عامر بن عدى بن النجار الأنصاريه النجاريه.
- ٢٥٤ أم بكر:
- ٢٥٤ أم حبيب بنت ربيعه:
- ٢٥٤ أم حبيبه:
- ٢٥٤ أم حذيفه اليمان القطعي
- ٢٥٥ أم الحسن بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع:
- ٢٥٥ أم الحسن النخعيه:
- ٢٥٥ أم الحسين بنت السيد الحسن بن السيد علي بن السيد الحسن الحسيني المدني:
- ٢٥٧ أم حكيم بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر:
- ٢٥٧ أم كلثوم بنت الامام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ع:
- ٢٥٧ أم كلثوم بنت القاسم بن محمد بن جعفر بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ع:
- ٢٥٧ السيد أمجد حسين الله آبادي بن منور علي
- ٢٥٨ امداد إمام
- ٢٥٨ السيد امداد حسين كاظمي بن عباس علي
- ٢٦٠ الراجه امداد علي بن رحمان بخش
- ٢٦٠ إنشاء الله خان
- ٢٦٠ أنور حسين
- ٢٦٠ أولاد حسين الأمروهي
- ٢٦١ أولاد حسين لكهنوي
- ٢٦١ أولاد حيدر
- ٢٦١ السيد أولاد حيدر البلگرامي الهندي:
- ٢٦١ ايرج ميرزا:
- ٢٦٣ السيد باقر حسين
- ٢٦٣ السيد باقر و يقال محمد باقر الشخص ابن علي
- ٢٦٤ السيد باقر مهدي ابن السيد ظفر
- ٢٦٤ بدر جهان بنت محمد جعفر العرب:

- ٢٦٤ بدر جهان بيگم بنت السيد محمد خان الصفوى:
- ٢٦٥ بليغه الشيرازيه:
- ٢٦٥ بنت حسام سالار:
- ٢٦٥ بنت الشيخ عزيز الله بن الشيخ محمد تقى المجلسى الأول ابن مقصود على المجلسى الاصفهانى:
- ٢٦٦ بنت عمر بن يزيد:
- ٢٦٦ بهادر على ميرزا حيدرآبادى بن محمد رضا
- ٢٦٦ السيد أكبر شاه بن السيد مختار
- ٢٦٦ السيد إقبال رضا بن السيد محمد
- ٢٦٨ بى بى و يقال بيدلى الأنصارىه الهراتيه:
- ٢٦٨ بيجه الكرمانيه:
- ٢٦٩ تفضل حسين خان بن أسد الله
- ٢٦٩ الشيخ توفيق البلاغى
- ٢٧٢ الشيخ جابر بن الشيخ مهدى آل عبد الغفار:
- ٢٧٢ اشاره
- ٢٧٢ شعره
- ٢٧٩ بيگم جان خانم بنت السلطان فتح على شاه القاجارى:
- ٢٨١ جعفر حسن بدايونى بن على حسين
- ٢٨١ السيد جعفر حسين شاه بن المولوى السيد مير جعفر
- ٢٨١ السيد جعفر رشتيان
- ٢٨٢ السيد جعفر على جارجوى ابن السيد أفضل على
- ٢٨٢ جعفر بن فلاح الكتامى
- ٢٩٩ السيد جلال الدين المحدث الأرموى
- ٣٠٠ جلال همابى
- ٣٠٠ السيد جواد المصطفوى
- ٣٠٢ أبو الحسين جوهر بن عبد الله الصقلى
- ٣٢٥ حاجى آل محمد
- ٣٢٥ حبيب يغمائى
- ٣٢٦ حسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى
- ٣٢٦ اشاره

- نشاته و مذهبه ٣٢٧
- العمود الفقري لحياه الهمداني ٣٢٩
- شهادته " فصيده الجار " ٣٣٢
- أهم أسباب حبس الهمداني ٣٣٤
- جواره لابن الضحاك في ريده ٣٣٧
- إبراز صورته الحقيقيه ٣٣٨
- إعاده النظر في كتبه ٣٣٩
- مختارات من شعر الهمداني ٣٣٩
- من أقوال العلماء فيه ٣٤٣
- اشاره ٣٤٣
- الهمداني و خط المسند ٣٤٤
- كتابه الإكليل ٣٥١
- السيد حسن الامامي ٣٥٢
- حسن علي الحاجي ٣٥٢
- الدكتور السيد حسن السادات الناصري ٣٥٣
- الشيخ حسن بن الشيخ عبد الله بن الشيخ علي بن أحمد آل عيثنان الأحساني القاري ٣٥٤
- الحاج الميرزا حسن عظيم آبادي ٣٥٦
- السيد حسن المعروف ب باخدا ابن السيد علي حسين ٣٥٨
- الحسن بن علي الكلبي ٣٥٨
- الشيخ أبو علي الحسن بن علي بن محمد بن إبراهيم بن أحمد القطان البخاري الأصل المروزي ٣٦٥
- الحسن بن علي بن ورضند النحلي ٣٦٥
- حسن بن علي بن جابر الهبل ٣٦٦
- اشاره ٣٦٦
- شعره ٣٧٥
- حسن نراقي ٣٩١
- السيد ركن الدين الحسن بن محمد بن يحيى بن هبه الله بن أبي الحسن علي بن أبي جعفر محمد الحسيني الزباري البيهقي ٣٩٢
- أبو سعد الحسن بن محمد بن علي بن حمدون البغدادي ٣٩٢
- حسن بن محمود الكاشاني الأملی ٣٩٤
- السيد حسن ميرخاني ٣٩٤
- الشيخ أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن إبراهيم البصري ٣٩٥

- ٣٩٧ الشيخ أبو علي الحسين بن أحمد البيهقي الحاكم النيسابوري.
- ٣٩٧ حسين إسلاميان
- ٣٩٧ السيد حسين بلگرامي الملقب عماد الملك
- ٣٩٧ الدكتور حسين الحاتمي
- ٣٩٨ الحسين بن الحكم بن مسلم الحبري، أبي عبد الله الكوفي،
- ٤٠٠ حسين الخالص الأصفهاني
- ٤٠٠ السيد حسين بن نور الدين الجزائري
- ٤٠٠ حسين خديو جم
- ٤٠١ ابن سينا الحسين بن عبد الله بن علي
- ٤٠٧ الشيخ جمال الدين الحسين بن علي البيهقي
- ٤٠٧ حسين علي رزم آرا بن محمد
- ٤٠٧ الشيخ حسين بن الشيخ علي بن الشيخ الحسن بن الشيخ علي بن الشيخ سليمان بن الشيخ أحمد آل حاجي البلادي البخراني القطيفي
- ٤٠٩ الشيخ حسين علي راشد
- ٤٠٩ باد شاه حسين بن فدا حسين
- ٤٠٩ كمال الدين حسين بن محمد ضميرى
- ٤١٠ الشيخ حسين مع ناصر
- ٤١٢ القاضي كمال الدين مير حسين بن معين الدين الحسيني الميبدى اليزدى
- ٤١٣ السيد حشمت علي بن الحاج جماعت علي
- ٤١٥ السيد حمايت حسين
- ٤١٥ حمد الله الملقب بفضل الله خان بن الحكيم شكر الله بن الشيخ دانيال
- ٤١٥ السيد جمال الدين حمزه بن أبي منصور ظفر بن محمد بن أبي علي أحمد بن أبي الحسن الزاهد الغازي پلاس پوش ابن محمد بن أبي منصور ظفر بن محمد بن أبي جعفر أحمد زباره الحسيني البيهقي.
- ٤١٦ الحاج حيدر بن حبيب الله الموسوي النيشابوري الكنتوري
- ٤١٦ حيدر حسين نكهت
- ٤١٦ حيدر خان چراغ برقي أو "بمبئي"
- ٤٢١ حيدر علي سند يلوي بن حمد الله
- ٤٢١ حيدر علي لكهنوي بن محمد علي
- ٤٢٢ حيدر يغمای نيشابوري
- ٤٢٢ خادم حسين فيض آبادي بن السيد عالم حسين
- ٤٢٢ السيد خاقان حسين بن مظفر حسين الرضوي

- ٤٢٢ خان يامشار
- ٤٢٢ الخليل بن أحمد الفراهيدي
- ٤٣٠ السيد خورشيد حسن
- ٤٣٠ خير الدين اله آبادي
- ٤٣٠ ميرزا داراب بيك
- ٤٣٠ الشيخ الميرزا داود بن الشيخ أسد الله بن عبد الله البروجردي
- ٤٣١ ميرزا دبیر سلامت علی بن غلام حسين
- ٤٣٣ ذاكر حسين بهرپلوی
- ٤٣٣ السيد ذاكر حسين زیدی البارھوی ابن گوھر علی خان
- ٤٣٣ ذاكر علی جون بوری
- ٤٣٣ ذبيح الله المنصوری
- ٤٣٣ الشيخ ذو الفقار خان بن علی أكبر البسطامي
- ٤٣٤ السيد راحت حسين الرضوی بن محمد إبراهيم
- ٤٣٤ رتن سنگوه بن بالك رام بریلوی
- ٤٣٥ رستم حيدر
- ٤٧٨ رشيد ترابی بن شرف حسين
- ٤٧٩ رضا شاه بهلوی، بن عباس قلی خان سوادکوهی المشهور بداداش بيك
- ٤٧٩ اشاره
- ٤٨١ معاهده سنه ١٩١٩ م
- ٤٨٥ وزاره "مشير الدوله"
- ٤٩٣ وزاره "السپهدار"
- ٤٩٧ سياسه بريطانيا في إيران
- ٤٩٩ المقابله التاريخيه
- ٥٠٠ "رضا خان" قائد الانقلاب
- ٥٠٢ التمهيد للعمل العسكري
- ٥٠٣ وزاره "السپهدار" الثانيه
- ٥٠٥ الزحف إلى طهران
- ٥٠٩ احتلال طهران
- ٥١٢ مطالب الانقلابيين من الشاه
- ٥١٢ تدابير الانقلابيين

٥١٤	وزارة الطباطبائي
٥٢٠	إلغاء معاهده ١٩١٩ م رسميا
٥٢٣	مخالفه "رضا خان" للطباطبائي
٥٢٩	تزعزع وزارة الطباطبائي
٥٣٠	مساعي الطباطبائي
٥٣٠	عزل الطباطبائي
٥٣٣	وزارة "قوام السلطنه"
٥٣٤	خيبه السياسه الإنكليزيه
٥٣٤	نشاط رضا خان
٥٣٧	بعض الأحداث
٥٣٧	أيام العزاء الحسيني
٥٣٨	أحوال العصاه
٥٤٠	تعديل الوزاره
٥٤٠	نهايه "الميرزا كوشك خان"
٥٤١	سيطره الحكم العسكري
٥٤٢	سفر الشاه إلى أوروبا
٥٤٣	استقاله الوزاره
٥٤٣	المطالبه برفع الحكم العسكري
٥٤٨	إبعاد المومسات عن العاصمه
٥٤٨	استقاله "مشير الدوله"
٥٥١	وزارة قوام السلطنه
٥٥٣	هديه من العباس ع
٥٥٣	استقاله رضا خان
٥٥٦	المصالحه
٥٥٧	استقاله قوام السلطنه
٥٥٧	وزارة مشير الدوله
٥٥٩	ذروه الصراع
٥٥٩	اعتقال قوام السلطنه
٥٦٢	نفي قوام السلطنه

٥٦٢	استقاله مشير الدوله
٥٦٢	إبعاد علماء العراق
٥٦٢	وزاره رضا خان
٥٦٣	سفر الشاه إلى أوروبا
٥٦٣	توسع سيطره رضا خان
٥٦٦	محاولة انقلاب جمهورى
٥٧٣	بيان "رضا خان"
٥٧٣	عزل رضا خان
٥٧٤	تكليف رضا خان بتشكيل الوزاره
٥٧٦	بعد الوزاره الثانيه
٥٧٩	هديه من النجف
٥٨٠	أول تمرد فى المجلس النيابى
٥٨٢	تمرد "الشيخ خزعل"
٥٨٣	موضوع عوده الشاه
٥٨٦	خلع الأسره القاجاريه
٥٨٨	بلاغ "رضا خان"
٥٨٨	اعتراف الدول الأجنبيه
٥٨٨	تمليك رضا خان
٥٨٩	تتويج "رضا شاه"
٥٨٩	حكم رضا شاه بهلوى
٥٩٢	قتل السيد "حسن المدرس"
٥٩٤	ضرب الشيخ الباقي و سجنه
٥٩٥	مقتل الشيخ "نور الله الاصفهانى"
٥٩٦	مقتل "محمد فرخى"
٥٩٧	"سجن القصر"
٥٩٧	قتلى آخرون
٦٠٥	مذبحه مشهد
٦٠٧	ثوره رضا شاه بهلوى
٦١٠	خلع "رضا شاه بهلوى"
٦١١	بعض الحوادث

- ٦١٤ رياض بنارسي
- ٦١٦ زكي خان زند.
- ٦١٧ زكيه بنت الشيخ محمد صالح بن أحمد المازندراني.
- ٦١٧ زهراء بنت الشيخ محمد صالح بن الشيخ الملا محمد الملا نكه ابن الشيخ محمد تقى ابن الشيخ محمد جعفر ابن الشيخ محمد كاظم البرغاني القزويني آل الصالحى.
- ٦١٨ زوار على خان
- ٦١٨ زوار حسين نوغانوى
- ٦١٨ زين العابدين حيدرآبادى بن نثار حسين
- ٦١٨ السيد زين العابدين الملتاني بن ممتاز على
- ٦١٩ زينب بيگم عمه الشاه عباس الصفوى الأول
- ٦٢١ زينب بيگم بنت الشيخ محمد سعيد ابن الشيخ محمد صالح بن أحمد المازندراني الأصفهاني
- ٦٢٢ السيد سبط الحسن الجائسى بن وارث حسين
- ٦٢٢ السيد سبط الحسن الهنسى بن فيض الحسن
- ٦٢٤ سبط الحسين الجائسى بن رمضان على
- ٦٢٤ السيد سبط النبي بن السيد بشير على
- ٦٢٤ السيد سجاد حسين الزيدى الجونبورى بن محمد حسن
- ٦٢٥ سعادت حسين
- ٦٢٥ سعد الله سلونى
- ٦٢٥ السيد سعد صالح بن محمد صالح
- ٦٢٥ اشاره
- ٦٣٥ من مراثيه
- ٦٣٨ السيد سعيد الدين بن رفيع الدين غريب
- ٦٣٨ الشاه سلطان حسين الصفوى.
- ٦٤٤ سلمان الأنبارى بن حسين
- ٦٤٤ الشيخ سلمان الخاقانى ابن الشيخ عبد المحسن
- ٦٤٨ السيد سليمان الحسينى التنكابنى
- ٦٤٨ سليمان خان قاجار
- ٦٥٣ سليمان بن محمد رفيع بن المولى عبد المطلب التنكابنى
- ٦٥٣ شاه رخ
- ٦٥٩ السيد شبر بن السيد إبراهيم آل باليل الموسوى الدورقى

- ٦٥٩ شبير حسين جونيوري
- ٦٦٠ آغا شريف حسين شاه بهكري
- ٦٦٠ السيد شريف حسين بن السيد رجب علي
- ٦٦٠ السيد شريف الدين بهريلوي بن السيد امام علي السبزواري
- ٦٦٠ السيد شريف الدين بن الشهيد نور الله الشوشتری
- ٦٦٢ السيد شفيق حسن إيليا
- ٦٦٢ شمس الدين سامي أفندي
- ٦٦٤ شمس الدين فقير
- ٦٦٤ صادق خان زند
- ٦٦٧ السيد صادق ابن السيد عبد الله الحسيني التنكابني
- ٦٦٧ صالح الجعفري ابن الشيخ عبد الكريم:
- ٦٦٧ اشاره
- ٦٦٧ شعره
- ٦٨٠ صالح الظالمي بن الشيخ مهدي
- ٦٨٤ السيد صدر الدين فضل الله ابن السيد محمد أمين
- ٦٨٤ اشاره
- ٦٨٥ شعره
- ٦٩٣ صدر الدين محمد خان فائز
- ٦٩٤ صدر الدين محلاتي بن أبو الفضل
- ٦٩٤ السيد صفاء إسحاق الهمذاني
- ٦٩٤ السيد صفدر شاه الرضوي الكشميري بن محمد صالح
- ٦٩٤ صفدر علي الشيرازي بن حسن
- ٦٩٤ الشيخ صلاح الدين أوزگوندوز
- ٦٩٦ صفوان بن إدريس التجيبي:
- ٧٠٧ السيد ضياء الحسن الموسوي بن نجم الحسن
- ٧٠٨ طاهر شاه الدكني
- ٧٠٩ طهماسب قلي جلایر
- ٧١٠ ظفر مهدي جرولي
- ٧١١ ظفر مهدي گهر جائسي
- ٧١٢ السيد ظهور حسين

- ٧١٣ ظهور الله بن دليل الله الصديقي البدايوني
- ٧١٣ عابد حسين خواجه بن بخش حسين الأنصاري:
- ٧١٣ عاشق حسين
- ٧١٥ عالم حسين
- ٧١٥ السيد عباس الميرزا بن السيد أحمد الحسيني
- ٧١٥ الحاج عباس الأفعالي الشبستري
- ٧١٦ عباس الخليلي ابن الشيخ أسد الله
- ٧٢٤ السيد عباس حسين قارى بن جعفر على
- ٧٢٤ عباس رياض كرمانى
- ٧٢٤ الشيخ عباس القرشى ابن الشيخ محمد بن عبد على
- ٧٢٤ اشاره
- ٧٢٦ شعره
- ٧٣٧ عباس ميرزا نائب السلطنه
- ٧٤٢ الشيخ عباس الهاتف القوجانى النجفى
- ٧٤٤ عباس يمينى شريف
- ٧٤٤ عبد الله باقرى
- ٧٤٤ عبد الله قطب شاه
- ٧٤٥ عبد الله بن العباس
- ٧٤٥ ميرزا عبد الله بن ميرزا على أكبر المجتهدى الرايى التبريزى
- ٧٤٥ عبد الله مير تبريزى بن شاه نعمه الله ولى
- ٧٤٥ الشيخ عبد الحسين بسام
- ٧٤٨ عبد الحسين عبد الله بن إسماعيل
- ٧٤٣ السيد عبد الحسين الكلیدار سادن الروضه الحسينيه.
- ٧٤٥ السيد عبد الرحمن الكواکبى
- ٧٧٩ عبد الحسين ميرزا بن الميرزا محمد عسكرى
- ٧٨١ الدكتور عبد الرزاق محبى الدين ابن الشيخ أمان:
- ٧٨١ اشاره
- ٧٨١ شعره
- ٧٩٢ السيد عبد الرزاق الحلو ابن على

- ٧٩٢ اشاره
- ٧٩٢ أسرته
- ٧٩٤ أحواله
- ٧٩٦ الشيخ عبد المحسن بن محمد آل نصر
- ٧٩٦ الميرزا عبد الوهاب خان الشيرازي:
- ٨٠٠ الشيخ أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن أحمد بن الحسين البيهقي
- ٨٠٠ السيد عدنان الغريفي ابن السيد شبر ابن السيد علي ابن السيد محمد المشكل ابن السيد علي ابن السيد أحمد المقدس
- ٨٠٠ اشاره
- ٨٠٣ شعره
- ٨١٥ السيد عديل اختر بن السيد مبارك أحمد بن منير فصيح أحمد
- ٨١٦ السيد عزيز بن السيد ركن الدين أبي منصور هبه الله بن أبي الحسن علي بن أبي جعفر محمد الحسيني الزباري البيهقي
- ٨١٦ السيد عطا حسين بن غلام مرتضى زنگي
- ٨١٦ علاء الدوله الشوشتری
- ٨١٧ الدكتور علي الأسدي
- ٨١٧ السيد علوي بن السيد حسين بن السيد سليمان بن السيد حسين بن السيد عبد القاهر بن السيد حسين التوبلي البحراني آل سليمان.
- ٨١٨ الشريف المرتضى علي بن الحسين
- ٩٢٨ فخر الدين علي بن الحسن الزواری
- ٩٢٨ اشاره
- ٩٣٠ دراسته و مراتبه العلميه
- ٩٣١ أساتذته و تلامذته
- ٩٣٢ مؤلفات علي بن الحسن الزواری
- ٩٣٢ النسخ الخطيه لتفسير الزواری
- ٩٣٩ علي حيدر بن علي أظهر
- ٩٤٠ الملا علي رضا الشيرازي
- ٩٤٠ علي قاسم خان بيك
- ٩٤١ الشيخ علي رضا ريحان اليزدي
- ٩٤١ السيد فخر الدين أبو القاسم علي بن أبي يعلى عز الدين زيد بن علي بن محمد بن يحيى بن محمد بن أبي جعفر أحمد زباره الحسيني النيسابوري.
- ٩٤٢ تعريف مركز

مستدرکات أعيان الشيعة المجلد ٥

اشاره

عنوان : مستدرکات أعيان الشيعة

پديد آورندگان : امين و حسن و ١٨٨١-١٩٤٨ م. (پديد آور)

مشخصات ظاهري: ٧ ج

زبان : عربي

ناشر: دارالتعارف للمطبوعات بيروت - لبنان

ص: ١

اشاره

مقدمه المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا هو المجلد الخامس من (مستدركات أعيان الشيعة) نضعه بين يدي القارئ موفين بوعدنا له على مواصلة السير متجاوزين العقاب مذللين الصعاب.

وقد جهدنا على أن نضمه التاريخ العلمى و الفكرى و الأدبى و السياسى و العسكرى لما تجاوز المنطقه العربيه إلى المناطق التركيه و الإيرانيه و الباكستانيه و الهنديه. ما رأى بعضه القارئ فى بعض المجلدات السابقه، و ما يراه هنا بشكل أوسع و أشمل، و ما سيراه فى القادم من المجلدات متصل الشمول و الاتساع. و بذلك نسد فراغا كبيرا فى التاريخ الإسلامى العام، كان هذا التاريخ بأمس الحاجه إلى سده ليبرز متكامل الجنبات، متماسك الحلقات.

و نودع القارئ فى هذه الصفحات على أمل اللقاء فى صفحات المجلد السادس إن شاء الله.

حسن الأمين

ص: ٥

آخوند مالك

توفى حدود سنه ١٤٠٠.

كان نافذ الكلمه، زعيم الشيعه فى منطقته بترکيا، موفقا فى ترويج المذهب و تبليغ أحكام الشريعه، معلنا صوت الشيعه فى ربوع محافظه "گارس" التى يسكنها العدد الكبير من الشيعه و قد وقف فى وجه "آتاتورک"، و ألقى عليه القبض مرات عدیده، و اجتلب من گارس إلى "أنقره" و لكنه بدل المحكمه إلى مدرسه، و ناقش الحاكم و أدانه بالأدله القاطعه.

له آثار مطبوعه، منها: "دوغرو يول" أى الصراط المستقيم.

و قد أسس مساجد و مدارس و مشاريع فى گارس (ترکيا) و ضواحيها، و ربي طلابا و تلاميذ، من أجلهم قدرا و أعظمهم شاناً، الشيخ عزيز، المقيم فى گارس و الخلف الصالح لآخوند مالك طاب ثراه. (١)

السيد آغا

ولد سنه ١٢٥٠ و توفى سنه ١٣٢١.

كان عالما فاضلا مكافحا فى سبيل التشيع، و هو من سكان (الله آباد) فى الهند. له من المؤلفات: ١ - الحقيقه و الخلافه ٢ - تقرير الليلتين ٣ - أساس الايمان.

السيد آقا حسن

ولد سنه ١٢٨٢ فى لكهنو و توفى سنه ١٣٤٨ و دفن فى حسنيه غفران مآب.

درس دراسته الأولى فى لكهنو ثم انتقل إلى العراق لإكمال الدراسه فكان من أساتذته الشيخ حسين المازندراني و الشيخ زين العابدين الحائري و الشيخ محمد حسين المامقاني و السيد محمد حسين الشهرستاني. ثم عاد إلى بلده لكهنو حيث مارس نشاطه فى مسجد آصف الدوله. و من مآثره إنشاء (جمعيه الشيعه فى الهند) التى سجلت باسم (آل انديا شيعه كانفراس) و لا تزال قائمه حتى الآن. و تحريك فكره بناء (شيعه كالج) و تم بناؤها أخيرا، و هى إحدى المدارس المعترف بها رسميا عند الدوله، و يدرس فيها فقه الشيعه و عقائدهم إلى جانب العلوم الحديثه. و فى ٢٧ ربيع الأول سنه ١٣٢٨ أسس جمعيه العلماء فى الهند و كان من أولى مهماته طباعه الكتب الشيعيه القيمه.

قام بتنظيم إدارى للمدرسه الجعفرية بحيث انتظم أمر تعيين المدرسين و تحديد الدروس.

آقا محمد قاجار

إشاره

هو أول ملوك الأسره القاجاريه التى بدأ ملكها فى إيران سنه ١١٩٣ هـ. ابن "محمد حسن قاجار قوانلو" بن "فتح على خان

"ابن شاه قلى خان" ابن "مهدى خان" ابن "ولى خان" ابن "محمد قلى خان".

و الأربعة الأخيرون من أجداده لا ذكر لهم فى التاريخ سوى أن مؤرخى العهد القاجارى من الايرانيين أثبتوا أسماءهم فى شجره النسب هذه من غير أن يذكروا مستندهم التاريخى فى ذلك. و لا يعلم هل كان لهم وجود حقيقى فى التاريخ أم لا.

"آغا محمد خان" هو أكبر إخوته. ولد فى "جرجان" فى شهر المحرم سنة ١١٥٥ هـ. و فى سنة ١١٦٠ هـ. غزا "على شاه أفشار" المتلقب بـ "عادل شاه"، و هو ابن أخى "نادر شاه" أفشار - و كان يملك فى خراسان - مازندران لاخضاع "محمد حسن خان" (٢) أبى "آغا محمد حسن خان" (، أو بسبب ما وقع يومئذ فى خراسان من قحط و غلاء. و خشى "محمد حسن خان" من أن يقع أسيرا فى يد "على شاه" ففر من مازندران إلى صحراء جرجان. و أسر "على شاه" (٣) ولديه و أمر بخصاء الأكبر منهما "آغا محمد خان"، و كان فى الخامسة أو السادسة من عمره، فخصى فى سنة ١٦٦١ هـ. (٤)

و قد أثر فيه هذا الحادث تأثيرا سيئا على ما هو معروف فى علم النفس.

فأصبح من ذلك الحين ردىء الأخلاق شرسا فظا غليظ القلب سفاحا حقودا منافقا سيئ الظن.

بعد ذلك خرج "إبراهيم خان أفشار" أخو "على شاه أفشار" على أخيه و وقعت بينهما حرب. ثم انتهى أمرهما كليهما إلى القتل. و فر "آغا محمد خان" من خراسان و التحق بآبيه "محمد حسن خان". و خلا الميدان، بموت الأخوين الأفشاريين، ل "محمد حسن خان" فاستولى على جرجان و مازندران و جيلان، و أخذ يسعى للوصول إلى العرش. و كان ينافس على ذلك "كريم خان زند". و وقعت بينهما حروب انتهت بهزيمة "محمد حسن خان" و مقتله فى مازندران سنة ١١٧٢ هـ، و استقام الملك ل "كريم

ص: ٧

١- الشيخ على أكبر مهدى پور.

٢- كتب المؤرخ الفرنسى (جان غوره) كتابا فى سيره آغا محمد خان بعنوان (الخصى المتوج) خالف فيه بعض المشهور من الروايات و الآراء فى هذه السيره، و ترجم ذبيح الله منصورى هذا الكتاب إلى الفارسيه. و هو من مصادرنا الرئيسيه فى كتابه هذه الترجمة، مضافا إلى ما كتبه كل من سعيد نفيسى فى كتابه (تاريخ إيران الاجتماعى و السياسى)، و مهدى بامداد فى كتابه (شرح حال رجال إيران).

٣- راجع ترجمته و ترجمه كريم خان زند.

٤- نقل المؤرخ الفرنسى "جان غوره" روايه أخرى فى خصاء "آقا محمد خان" ياتى ذكرها

خان". و كان "آغا محمد خان" يرافق أباه في كل وقائعه.

و أقام "آغا محمد خان" بعد مقتل أبيه مع أخيه الشقيق. "حسين قلى خان" (أبى فتح على شاه) و إخوته لأبيه الآخرين و بضعه نفر من أقاربه مده فى صحراء جرجان و صحراء "قبشاق" بين طائفه "جعفر باى" التركمانيه، متسترا حائرا.

و فى سنه ١١٧٥ هـ، و كان فى العشرين من عمره، أغار مع جماعه من التركمان على جرجان بقصد السلب و النهب، و لكنه رجع عنها خائبا إذ تصدى لدفعه حاكمها المقتدر عدو طائفه "قاجار قوانلو" اللدود "محمد حسين خان قاجار دولو" (١). و عاد "آغا محمد خان" إلى ما كان عليه من تستر و حيره.

و كان على مازندران حاكم مقتدر من قبل "كريم خان زند" اسمه "محمد خان سوادكوهى" و اشتهر باسم "دادو". (٢) فعلم بمجيء "آغا محمد خان" إلى جرجان و عرف المكان الذى فر إليه. فأرسل جماعه من الفرسان فاعتقلوه و جاءوا به إلى "بابل". و أرسل هذا الحاكم إلى "كريم خان"، و كان فى طهران، تقريرا بذلك، فأمره بإرسال "آغا محمد خان" إلى طهران، ففعل.

و استقبل "كريم خان" أسيره هذا استقبالا كريما و عامله بالحسنى و بالغ فى الرفق به و استمالته و أمنه حتى جعله يطمئن إليه كل الاطمئنان. ثم طلب منه أن يذهب بنفسه إلى جرجان فيأتى بإخوته و أقاربه كلهم إلى طهران.

فذهب إليها و جاء بهم كما طلب منه. و أقامهم "كريم خان" فى طهران أياما ريثما استراحوا ثم أرسلهم إلى ولايه "دامغان" فأسكنهم فى "تويه دروار".

و ظل "آغا خان" و أقاربه فى "دامغان" من سنه ١١٧٥ هـ إلى سنه ١١٧٧ هـ، و هم مراقبون. و كان "محمد حسين خان دولو" حاكم جرجان، و هى قريبه من "دامغان" حيث يسكن "آغا محمد خان قوانلو" و إخوته أبناء "محمد حسن خان قوانلو" و أقربائهم، قد سبق أن أرسل إلى "كريم خان" تقريرا أشار عليه فيه أن لا يغالى فى الاطمئنان إلى هؤلاء، و أن يزيد فى مراقبتهم و الحذر منهم. و بناء على هذا أمر "كريم خان" باعادتهم إلى طهران فأعيدوا.

و رأى "كريم خان" أن يفرق بينهم، فقسّمهم إلى فريقين، فريق من "آغا محمد خان"، و كان يومئذ فى الثلاثين من عمره، و أخيه الشقيق "حسين قلى خان" و أقربائهما من خئولتهما، و حملهم معه إلى شيراز، و فريق من سائر أبناء "محمد حسن خان" إخوه "آغا محمد خان" لأبيه و أقربائهم، و أرسلهم إلى قزوین و أسكنهم فيها.

و أكرم "كريم خان" مثنوى "آغا محمد خان" و أقربائه و مرافقيه و بلغ فى معاملته غايه المحبه و العطف، حتى إنه كان يستشيره أحيانا فى بعض أموره، و يناديه باسم "بيران ويسه" (٣) و مكث "آغا محمد خان" فى شيراز مده سته عشر عاما، من سنه ١١٧٧ هـ إلى سنه ١١٩٣ هـ، محترما ناعم البال مرفه الحال هو و ذوهه، و لكنه مراقب. و ظل فى أوائل إقامته ممنوعا من مغادره المدينه. ثم ما زال يحصل شيئا فشيئا على الثقه به و الاطمئنان إليه من "كريم خان"، و خصوصا فى أواخر حياه هذا، حتى سمح له بمغادره المدينه و الخروج إلى الصيد و النزّه متى شاء، و أن يختار لركوبه أحسن جياذ الاصلب.

و بعد وفاه " كريم خان زند " سنة ١١٩٣ هـ فر " آغا محمد خان " من شيراز إلى أصفهان.

مساعى " آغا محمد خان "

وصل " آغا محمد خان " إلى أصفهان، و لم يمكث فيها إلا مده يسيره اجتمع فيها بفریق من رجاله، ثم تابع سيره إلى " ورامين " حيث ضم إليه من كان فيها من القاجاريين.

و حين وصل إلى أصفهان فى فراره هذا ذهب إلى علاف فيها اسمه " محمد حسين " كانت بينه و بين رؤساء القاجاريين معاملته، فطلب منه أن يبيعه علفا لحصانه بنسيئه. فمنحه ما طلب بلا تردد. و لما وصل " آقا محمد خان " إلى منصب الملك كفا العلاف على ما أسلفه من جميل بان قربه إليه ثم ارتفع إلى منصب الصدر الأعظم و لقب بلقب " اعتماد الدوله ".

مضى " آقا محمد خان " برجاله من أصفهان توا إلى طهران فأقام فيها يوما واحدا ثم سار إلى مازندران حيث انضم إليه جماعه من القاجاريين.

و لكن القاجاريين لم يكونوا كلهم مؤيدين له و لا سيما قرابته الأذنون. فإنه أراد المضى من مازندران إلى جرجان فقاوموه. و قام أحد إخوته " مرتضى قلى خان " بنفسه بمنعه من دخول جرجان. و وقعت بينهما حروب دامت اربع سنوات كانت بينهما سجالات. و فى إحدى هذه الحروب انكسر " آقا محمد خان " و أسر و أوشك أعداؤه أن يعموا عينيه، و لكنه استطاع النجاه، و عاود حربهم. و كانت عده من استطاع تجييشهم من القاجاريين، بعد فراره من شيراز و التحاقه بالقبيله القاجاريه، ثلاثين ألفا قاسا فى جمعهم مشقات شديده.

قام " آقا محمد خان " فى سعيه إلى الملك بجهود مضميه حتى يمكن القول إنها امتدت إلى آخر عمره. و وقعت عده حروب بينه و بين إخوته و بينه و بين الزنديين من خلفاء " كريم خان زند " مثل " على مراد خان " و " جعفر خان "، و كان أهم هؤلاء فى مقاومته " لطف على خان " آخر ملوك الزنديين. و انتهت به دقه تديره و دأبه على العمل إلى التفوق عليهم كلهم.

و فى سنة ١٢٠٣ هـ اختار " آغا محمد خان " طهران عاصمه له. و فى شهر ذى القعدة سنة ١٢٠٩ هـ أصبح ملكا على إيران بلا منازع، و هو ما سنذكره فى الآتى من القول مفصلا.

و من ذى القعدة سنة ١٢٠٩ هـ إلى ١٣ ربيع الثانى سنة ١٣٤٤ هـ، و هى سنة خلع " أحمد شاه قاجار " آخر ملوك القاجاريين، كان قد انقضى على تملك هذه الأسره ١٣٤ سنة و ٤ أشهر و بضعه أيام بحساب التقويم القمري. و لكن المؤرخين الايرانيين من متحلقى البلاط القاجارى قدموا بدايه ملكهم فجعلوها بدايه تملك قبيله " آق قويونلو " فى أذربيجان سنة ٧٨٠ هـ و جعلها آخرون سنة ١١٣٣ هـ سنة خروج " فتح على خان " فى

ص: ٨

١- كان القاجاريون ينقسمون إلى شعب و طوائف. إحداها طائفه "قوانلو" أو "قويونلو"، و إليها ينتمى "آقا محمد خان" و

- خلفاؤه فى ملك إيران. و طائفه أخرى تعرف باسم "دولو" و كان بين الطائفتين عداوه شديده.
- ٢- " دادو " معناها: العبد. و لعل اسلافه كانوا من العبيد فعرفت أسرته بهذه الشهره.
- ٣- اسم وزير "أفراسياب" ملك "توران" على ما فى "الشاهنامه".

عهد الشاه "سلطان حسين الصفوى". و هو قول مردود لا يصح.

حروب أخرى

بعد أن تغلب "آقا محمد خان" على "لطف على خان" - كما سيأتى تفصيله - تيسر له أن يسيطر على مختلف نواحي إيران. و لم يبق خارجا عن يده غير خراسان حيث كان يملك أعقاب "نادر شاه أفشار". و كان المالك يومئذ حفيده "شاه رخ شاه". و حين كانت أسرته "زند" تملك على إيران لم يتعرض أحد للأمراء الأفشاريين المالكيين هناك.

كان رئيس طوائف الأفشاريين يومئذ "على خان أفشار"، و كان يقيم فى أذربيجان. فاغتنم فرصه تضعضع الأحوال فقام يطلب الملك لنفسه، و جمع حوله جماعه يناصرونه. فسار "آقا محمد خان" بجيش إلى محاربتة. فلما صار قريبا منه أرسل إليه رسولا يمينه بالمواعيد و ما زال به يخادعه حتى انخدع الأفشارى به و سالمه و صافاه.

و فى يوم من الأيام استدرجه "آقا محمد خان" إلى منزله، فلما وصل انقض عليه جماعه كان قد هياهم فاقتلعوا عينيه. و فى اليوم التالى هجم "آقا محمد خان" على رجاله فقتلهم.

و بعد ذلك أراد "آقا محمد خان" أن يأمن جانب إخوته. ففر ثلاثة منهم إلى خارج إيران خوفا منه. و ظفر بآخر منهم فأعمى عينيه. و لم يبق أحد من إخوته سوى "جعفر قلى خان". و كان الفضل فى أهم انتصاراته يعود إلى أخيه هذا. و لكن "آقا محمد خان" كان قد نصب لولايه عهده "فتح قلى خان" المعروف بلقب "بابا خان". (1) و هو ابن أخيه الشقيق "حسين قلى خان" المعروف بلقب "جهان سوز" (أى حارق الدنيا)، و قد خشى "آقا محمد خان" أن يقصى أخوه "جعفر قلى خان" بعد وفاته ابن أخيه هذا عن الملك و يلحق به الأذى. و لذلك أراد التخلص منه. و كان جعفر هذا حاكما على مازندران. و كان "آقا محمد خان" فى طهران. فاستدعى أخاه هذا إليه، فامتنع فى بادئ الأمر من الحضور خوفا من أن يكون قد بيت له سرا. و لكن "آقا محمد خان" ما زال به يخادعه حتى حضر إليه. ثم قتله اغتيالاً.

و بعد مقتله سار "آقا محمد خان" بجيش إلى محاربه التركمان. مع أن التركمان كانوا على مدى سنين متطاوله ينصرون أسرته. و كانوا دائما أعوانا لأبيه. و لكنه نغم عليهم نصرتهم لأخيه "جعفر قلى خان" فأراد الانتقام منهم. و قد سفك دماء كثيرة فى هذه الحرب. و أسر كثيرا من نساء التركمان و أطفالهم و حملهم معه فى عودته. و انتحرت جماعه من النساء فى أثناء الطريق أبين أن يخضعن للأسر و العبوديه. و من ذلك اليوم حمل تركمان إيران أشد الحقد على الأسره القاجاريه. و ما زالوا على مدى المده التى ملك فيها القاجاريون يغيرون على النواحي التى تجاورهم كلما استطاعوا الاغاره. و لا سيما الطريق ما بين خراسان و طهران، فقد ظلت دائما هدفا لغاراتهم، يسلبون المسافرين و يأسرون أبناءهم و نساءهم، و يجعلون ذلك انتقاما لتلك الواقعة. و كان موظفو الدوله، فى المقابل، يجددون تلك الواقعة كلما تغلبوا على التركمان. و إلى اليوم الذى منعت فيه النخاسه فى إيران كان النخاسون يتعاطون المتاجره بالإماء التركمانيات فى مدن إيران المركزيه.

غزو القفقاس

ظلت بلاد الكرج حتى السواحل الشرقيه من البحر الأسود جزءا من أرض إيران فى كل المده التى ملك فيها الصفويون. و كان

ملوك الكرجنصاري و كان الصفويون يمنحونهم شيئا من الاستقلال. و كان أولياء العهد الكرجيون و بعض أمراء البيت الكرجي المالك يقيمون دائما في البلاط الصفوي باصفهان رهائن. و لكنهم يعاملون بمنتهى الاحترام. فإذا مات الملك الكرجي حمل ولى عهده من أصفهان محاطا بكل ما يقضيه منصبه من التشريفات الملكيه إلى عاصمه الكرج "تفليس" ليخلف أباه على العرش.

بل كان بين الأسر الكرجيه النبيله و مثيلاتها من أسر أصفهان قرابه. فأكثر رجال هذه الأسر الإيرانيه كانوا أصهار الكرجيين. و اتخذ الملوك و الأمراء الصفويون زوجات لهم من أميرات الكرج و نبيلاتهم.

فلما انقرض الصفويون و ضعف البلاط الايراني أخذت فكره الاستقلال تساور ملوك الكرج شيئا فشيئا. و من جهه أخرى أضافت روسيا أرضا أخرى إلى ما كانت تحتله من أرض في جنوبها حتى صارت تجاور الشمال من بلاد الكرج. و اقتضى ذلك أن صار ملوك الكرج يسعون إلى التقرب من البلاط الروسي و التقوى به كلما ساء ظنهم بالبلاط الايراني و خافوا منه شرا.

و لما خرج "آقا محمد خان" على الاسره الزنديه اغتتم "هراكليوس" الثاني عشر ملك الكرج فرصه تضعع الأوضاع في إيران، فانحاز إلى روسيا و استظل بحمايتها. و لما ارتفع شان "آقا محمد خان" و انتصر في سنه ١٢٠٩ هـ أخذ يعد العده لغزو بلاد الكرج و إخضاع ملكها.

و كان يعتمد أسلوب المباغته في الحرب، و يتقن هذا الأسلوب إلى درجه فائقه. فسار بجيشه من طهران بمنتهى السعره المستطاعه متجها شمالا: و أخضع بلدانا و أقام فيها حاميات، و تابع سيره بأربعين ألف جندي قاصدا "تفليس" عاصمه بلاد الكرج.

و لما بلغ نبا هذا الغزو إلى "هراكليوس" كان الأمر قد سبقه فلم يجد وقتا يستطيع فيه الاستنجد بروسيا. و دهمه "آقا محمد خان" فلم يستطيع دفاعا مع ما أبداه جنده من شجاعه عظيمه في دفاعهم. فانهمزوا من وجه الغازي و فر "هراكليوس" إلى الجبال القائمه في نواحي "تفليس".

و لما احتل "آقا محمد خان" المدينه أعمل السيف في أهلها و قتل منهم خلقا كثيرا، و أسر سته عشر ألفا من أطفالها و بناتها و حملهم معه إلى إيران.

و قد ألحقت هذه الفظاظه بايران ضرا كبيرا، إذ أنها ملأت قلوب الكرجيين حقدًا على إيران، فابعدتهم عنها. و انفصلت بلاد الكرج بعد ذلك عن إيران فلم تعد إليها.

تويج "آقا محمد خان"

إلى ما قبل تلك الوقعه لم يكن "آقا محمد خان قاجار" قد طلب لنفسه منصب الملك على إيران. و لكن انتصاره في تلك الغزوه بلغ به الغايه من الاعتزاز بنفسه. فعاد لا يرى مانعا له من إعلان نفسه ملكا على إيران.

و لذلك دعا في سنه ١٢١٠ هـ رؤساء عسكره إلى الحضور في طهران.

و عقد منهم مجلسا. و أخذ بيده تاجا كان قد سبق أن صيغ له، و قال لهم:
إن كنتم ترضون بي ملكا وضعت التاج على رأسي، و لكن لي شرطا عليكم

ص: ٩

١- إذ كان سمي جده الأعلى فقد عرف في العائلة باسم "بابا خان".

هو أن يقسم كل الحاضرين على أن لا يتقاعسوا عن نصرتي و الوفاء لي ما داموا أحياء. فاقسموا. و حينئذ وضع التاج على رأسه. و كانوا قد أحضروا سيف الشاه إسماعيل الصفوي مؤسس السلسله الصفويه الملكيه، و كان السيف موضوعا عند رأس قبره، فتقلده "آقا محمد خان". و بذلك جعل نفسه خليفه الصفويين و الملك المملك. و ضرب النقد باسمه.

و قال بعضهم إنه توج سنه ١٢٠٩ هـ بعد اعتقال "لطف علي خان" و مقتله.

انقراض ملك الأفشاريين

و في أواخر سنه ١٢١٠ هـ سار "آغا محمد خان" إلى خراسان لزياره ضريح الامام الرضا (ع) في الظاهر، و ضم خراسان إلى سائر النواحي التي يحكمها من إيران في الواقع، إذ كانت خراسان لا تزال في حكم "شاه رخ شاه أفشار" الأعمى آخر ملوك الأفشاريين و ابن "رضا قلي ميرزا" ابن "نادر شاه" و كذلك الاستيلاء على ما في يد "شاه رخ شاه" من بقايا جواهر "نادر شاه أفشار" الغاليه.

فلما قرب "آقا محمد خان" من (مشهد) رأى "شاه رخ شاه" مصلحته في أن يستجير به ليبقى آمنا. فاجاره "آقا محمد خان" و أقسم له في رواق مقام الامام الرضا (ع). بحضور أعيان خراسان على أن لا يمسه بسوء. و لكنه لم يلبث، بعد أن اطمأن إليه، أن طالبه بما يحتفظ به من الجواهر، فرفض "شاه رخ شاه" طلبه. فما كان من آقا محمد خان "إلا أن وضعه في العذاب. و استمر في تعذيبه حتى أوشك أن يموت. و حينئذ لم يجد وسيله للسلامه من الموت سوى التسليم، فذله على مخبا الجواهر و استولى "آقا محمد خان" عليها. و ذكروا أن بعض هذه الجواهر كان ياقوتات كبيره مما كان "أورنك زيب" ملك الهند التيموري يرصع بها تاجه من جواهر و قد حملها "نادر شاه أفشار" معه من الهند في جملة ما حمله من نفائس.

و بعد أن استولى "آقا محمد خان" على جواهر "شاه رخ شاه" أرسله مع رجاله كلهم إلى مازندران و لكن "شاه رخ شاه" مات في الطريق متأثرا بالجراح التي أوقعها به التعذيب. و كان عمره يومئذ أربعة و ستين عاما. و بذلك انقرضت أسرته "نادر شاه أفشار" الملكيه في سنه ١٢١٠ هـ.

الغزو الثاني للكرج

بعد أن بلغ "آغا محمد خان" غايته بضم خراسان إلى ملكه و القضاء على ملك الأفشاريين و حيازه جواهر "نادر شاه" الغاليه، كان أكثر اهتمامه باعاده حدود إيران إلى ما كانت عليه أيام السلاطين الصفويين و "نادر شاه"، و استرجاع الأجزاء التي انفصلت عن إيران أيام الفتن و الثورات بعد أن كانت جزءا منها مده قرون طويله.

من أجل ذلك أرسل بعض رؤساء عسكره المعتمدين إلى الملوك الذين يحكمون في بلاد الأفغان و بخارى ينذرهم باعاده المدن الإيرانيه التي فصلت عن خراسان و ألحقت بمجال حكمهم. فأجابوه كلهم بالموافقه على طلبه.

و أراد المضي إلى بلاد ما وراء النهر لاختضاع خان بخارى الذي استقل عن إيران بعد مقتل "نادر شاه".

و لكن وصله قبل تحركه من (مشهد) لهذا الغرض خبر بان روسيا أرسلت نجده إلى ملك الكرج و أن الكرج عادوا فاستولوا

على النواحي التي كان قد احتلها و أن العسكر الروسي دخل القفقاس و اجتاز نهر "آرس" و وصل إلى أذربيجان. و بذلك انتقضت خطه "آغا محمد خان" كليا، و عزم على معاودة غزو القفقاس لدفع الروس و إخضاع الرؤساء و الخانات المحليين الذين واطئوهم. فسار في أواسط ذى القعدة سنة ١٢١١ هـ إلى أذربيجان، و منها سار إلى "قراباغ".

و في أثناء هذا الغزو أسعفت الظروف "آقا محمد خان" بان ماتت "كاترين" الثانية أمبراطوره روسيا (في تشرين الثاني سنة ١٧٩٦ و جمادى الأولى سنة ١٢١١ هـ) و كانت سندا قويا للكرج، و خلفها ابنها "بولس" الأول. و على أثر ذلك جلا العسكر الروسي عما احتله من أرض و عاد إلى روسيا. و بذلك خفت على "آقا محمد خان" الموانع التي تعترض طريقه.

و كان "إبراهيم الخليل جوان شير" حاكم "قراباغ" قد ارتبط سرا بروسيا و انحاز إليها. فلما علم بقدوم "آغا محمد خان" إلى "قراباغ" أمر بتخريب الجسر المعقود على نهر "آرس" ليمنع "آغا محمد خان" من عبوره.

ثم حول مياه النهر إلى الأراضي التي تقع في طريقه فاغرقتها. و مع ذلك ينصرف "آغا محمد خان" عن عزمه و ظل ثابتا على تصميمه. فبادر إلى صدار الأمر بتهيئه القوارب و السفن للعبور عليها. و مع أن جماعه من عسكره غرقوا بسبب طغيان الماء فإنه تمكن من عبور النهر بجيشه و احتل مدينه "شيشه" مقر الحاكم و قبل أن يدخلها خرج منها الحاكم و فر إلى داغستان.

مقتل "آغا محمد خان"

دخل "آغا محمد خان" إلى "شيشه" في ١٧ ذى الحجه سنة ١٢١١ هـ و بعد أربعة أيام من دخوله، أى في ٢١ ذى الحجه من تلك السنه قتل. قتله ثلاثه من خدمه و هو في السابع و الخمسين من عمره. و بعد قتله على هذا النحو الفجائي تفرق جنده كلهم و أغار أهالي "قراباغ" على معسكره فنهبوا ما بقى فيه. و كان له معسكر كبير آخر على الساحل الآخر من النهر في إمرة "حسين قلى خان قاجار" أخى "فتح على شاه" و "سليمان خان قاجار" "اعتضاد الدوله" و "الحاج إبراهيم خان اعتماد الدوله" فتفرق جنود هذا المعسكر أيضا، و لم يعد من ذلك الجيش أحد سوى البندقيين (١)، الذى هم من أهل فارس و مازندران. عاد بهم "الحاج إبراهيم اعتماد الدوله" بما هياه من تدابير صائبه إلى طهران.

أما سبب اغتيال "آغا محمد خان" فهو أن ثلاثه من خدمه ارتكبوا في مساء يوم خميس ذنبا فأمر بقتلهم. فنبهه "صادق خان شقاقى" (٢) إلى أن الوقت ليله الجمعة، و طلب منه تأجيل قتلهم إلى يوم آخر مراعاة لحرمة الجمعة فقبل. و لكنه لم يوقفهم بل تركهم طليقين يقومون بأعمالهم المعتاده ريثما يحل ميعاد قتلهم. و قيل فى سبب هذا التفريط الفاحش إنه شده غروره بنفسه فلم يخطر بباله أن أحدا منهم يمكن أن يتجرأ عليه. و قال "الحاج إبراهيم اعتماد الدوله الشيرازى" إن سببه اختلال فى قواه العقليه كان قد اعتراه فى تلك الأيام.

ص: ١٠

١- المحاربون بالبنادق.

٢- كان منافسا فسأله "آغا محمد خان" و حاربه و انكسر. ثم عفا عنه "آقا محمد خان" فالتحق به.

و إذ رأى الخدم الثلاثة أنهم مقتولون لا محاله فقد تواطئوا على اغتياله ليلا بالسكاكين و الخناجر. فلما أغفى دخلوا عليه و طعنه أحدهم، و هو كرجى اسمه "صادق". بالسكين فقتله. و كان أول من أطلعوه على هذه الواقعة "صادق خان شقاقى". ولكنه لم يصدقهم فى بادئ الأمر حتى احضروا إليه صندوقه من الجواهر دأب "آغا محمد خان" على حملها دائما معه و وضعها فى فراشه حين ينام، و سلموها إليه فصدقهم، و أخذ الجواهر، و لم يخبر أحدا بالواقعه، و انطلق فى الفور خارجا من "شيشه" إلى "سراب" مسقط رأسه و محل سكنه، و أخذ يعد العده لمعاودة طلب العرش و الخروج على "فتح على شاه" خليفه "آغا محمد خان".

و أما الذنب الذى استوجب الحكم بقتل الخدم الثلاثة فقد قيلت فيه أقوال كثيرة مختلفه. منها أن مقدارا من (الخربوز) (١) كان مودعا فى بيت السقايه من محل إقامته. و كان "آغا محمد خان" يعرف مقداره. و بناء على حسابه قرر أنه يكفى إلى مده معينه. و لكن (الخربوز) نفذ قبل استيفاء الوقت المعين. و ثبت أن الشرابى مع اثنين آخرين من الخدم البيستيين هم الذين فرطوا به، فحكم بقتلهم. (٢)

و ذكروا فى سبب قتله أقوالا أخرى منها أن أحد الخدم القاتلين، و هو كرجى اسمه "صادق" اتفق أن أراق ماء على مسند "آقا محمد خان" فغضب عليه. و اتفق أن وقع بعد أيام نزاع بين هذا الخادم و خادم آخر هو الفراش "خداداد [خداداد]" على دراهم و علت أصواتهما، فازداد غضب "آقا محمد خان" و أمر بقتلها. فشفع لهما "صادق خان شقاقى" و أجل قتلها إلى اليوم التالى، كما مر.

و ذكر "السرجان ملكم" نقلا عن بعض المقربين إلى "آقا محمد خان" أن سبب أمره بقتل الخادمين هو اختلال فى عقله اعتراه فى أيامه الأخيره.

فكانت تصدر منه أعمال تدل على الجنون.. و منها هذا العمل. و انتهى الأمر إلى أن تواطأ هذان الخادمان و خادم آخر مازندرانى اسمه "عباس على" على قتله، و قتلوه.

و ذكر بعضهم أن محرضهم على القتل هو "صادق خان شقاقى" نفسه. و لذلك بادر إليه المتآمرون بعد أن قتلوا "آقا محمد خان" و حملوا إليه جواهره و احتموا به. ثم لم يلبث أن نهض فى أذربيجان يطلب الملك لنفسه.

و دفن "آقا محمد خان" فى "شوشى". فلما تملك "فتح على شاه" أمر بنقل جثمانه من "شوشى" إلى طهران. فاحضر و شيعه "فتح على شاه" تشييعا حافلا إلى مقام "عبد العظيم الحسنى" حيث دفن موقتا. و فى ٢٦ جمادى الأولى سنة ١٢١٢ هـ أرسله إلى النجف حيث دفن قريبا من مقام الامام على بن أبى طالب (ع).

و فى شهر ربيع الأول سنة ١٢١٢ هـ اعتقل قتله "آغا محمد خان"، و كانوا قد فروا متوارين فى المدن، و جرى بهم إلى "فتح على شاه"، فأمر بخلع مفاصلهم ثم إحراقهم، فأنفذ أمره فى الحال.

و كان "فتح على خان" ابن أخى "آقا محمد خان" وليا لعهد، و قد نازعه الملك أخوه "حسين قلى خان" بعد مقتل عمهما. و كان "محمد خان زند" بن "زكى خان زند" مقيما فى البصره. فلما سمع بمقتل "آقا محمد خان" عاد إلى إيران و ذهب إلى أصفهان مطالبا بالعرش لنفسه. و لكن هؤلاء الثلاثة خابوا فى مسعاهم، و استقر ولى العهد على العرش باسم "فتح على شاه".

فى ليله من ليالى سنه ١٧٤٢ م توافق الثانى عشر من شهر ربيع الثانى سنه ١١٥٥ هـ ظهر مذب "هالى" .و خرج كل أبناء طائفه "أشاقه باش" (٣) القاجاريه المقيمين فى الصحراء التركمانيه من الرجال و النساء و الأطفال ليلتشد من مساكنهم إلى الفضاء ينظرون إلى المذب متطيرين هالعين من ظهوره يتوقعون حدوث الويلات و الكوارث لهم من شؤمه، إلا- "جيران" (٤) امرأه رئيس القبيله "محمد حسن خان قاجار قوانلو" فإنها لزمت بيتها معتكفه تتجنب النظر إلى المذب إذ كانت حاملا تنتظر الوضع. و هم يعتقدون أن الحامل إذا نظرت إلى المذب وضعت حملها مذنبا.

مولد "آقا محمد خان"

فى تلك الليله وضعت "جيران" حملها. و كان صبيا دعى باسم "محمد" (٥) و هو الذى عرف فيما بعد باسم "آغا محمد خان" و أصبح أول ملوك الأسره القاجاريه.

و قد وقع ما كان يحذره أبناء "أشاقه باش" من شؤم المذب. ففى منتصف تلك الليله، ليله الثالث عشر من ربيع الثانى، هبطت درجه الحراره و هطلت أمطار غزيره استمر هطولها إلى غروب اليوم التالى. فتعالت مياه نهر "أترك" و فروعه، و طغت على ما يليها من أرض بطوفان كاسح.

و لمثل هذا الطوفان سوابق فى حياتهم كان الماء فيها يجرف مواشيهم و بيوتهم و يغرق فيه فريق منهم. فيلجئون إلى المرتفعات التماسا للنجاه من الغرق.

و رأى "محمد حسن خان" أن يؤمن زوجته و ابنه من الخطر فأرسلهما إلى مدينه "أسترآباد" ريشما ينقش السيل.

و كان على "أسترآباد" حاكم من قبل "نادر شاه" اسمه "سبز على بيك"، كان فى مبدأ أمره أجييرا فى دار السقايه فى بلاط الشاه "طهماسب" الثانى الصفوى. و هناك عرفه "نادر شاه" فى ترده على البلاط يوم كان لا يزال قائدا عسكريا من قواد الشاه "طهماسب" و كان الأجير يبالغ فى تملق نادر و إكرامه حتى انعقدت بينهما صداقه قويه. و لما علا أمر نادر ألحق الأجير بخدمته.

و بعد تملك "نادر شاه" سنه ١١٤٨ هـ. عزم فى سنه ١١٤٩ هـ على قتل "طهماسب شاه" الثانى المخلوع، و كان مسجوننا. فاختر لهذه المهمه

١- نوع من الشامام المسمى فى سوريه بالبطيخ الأصفر، يكثر فى إيران.

٢- ليس هذا هو القول الفصل فى سبب قتل آقا محمد خان، و سترد فى تضاعيف هذا البحث تفاصيل أخرى.

٣- من انقسامات القاجاريين انقسامهم إلى طائفتين، طائفه "أشاقه باش"، و معناها "المساكن السفلى" و طائفه "يوخارى

- باش"، و معناها "المساكن العليا. و سبب التسميه هو أن قسما منهم سكن في القديم في الناحيه السفلى من سواحل نهر "أترك"
- و سكن قسم آخر في الناحيه العليا منها.
- ٤- "جيران" معناها: الظبيه.
- ٥- ذكر مهدي بامداد إن ولادته كانت في شهر المحرم من تلك السنه.

"سبز على بيك". و قام هذا بالمهمه و قتل الشاه "طهماسب" الثاني. (1)

و انتهى أمر "سبز على بيك" إلى أن أصبح حاكم "أستراآباد" من قبل "نادر شاه".

و أخذ سبز على يضايق قبيله (أشاقه باش)، فرأت أن تهاجر إلى حيث يقيم التركمان فى الشمال. فحلت هناك فى سهل (فالق) حيث يشتمو التركمان، فاستقبلهم هؤلاء استقبالا حسنا و أعانوهم على أمور الحياه و تعلموا الزراعة من التركمان فأخذوا يتعاطونها بعد أن كان عملهم يقتصر على رعايه الماشيه فقط.

و دامت إقامه "محمد حسن خان" و طائفه "أشاقه باش" بين التركمان مده أربع سنوات. إلى أن قتل "نادر شاه". فعادوا إلى "أستراآباد" بعد أن حصلوا على أمان من خليفه "على شاه أفشار" المتلقب بلقب "عادل شاه".

و بذلك قصرت يد عدوهم "سبز على بيك" حاكم "أستراآباد" عنهم.

و لكن طائفه "يوخارى باش" - و كانت تقيم فى ناحيه أخرى من صحراء "أستراآباد" - لم تلبث أن أغارت عليهم تبغى إجلاءهم عن أرضهم و احتلالها إذ كانت هذه الأرض أفضل من أرض الناحيه التى تسكنها "يوخارى باش". إلا أن "أشاقه باش" ردتهم فعادوا منهزمين.

و لكن "سبز على بيك" و رئيس طائفه "يوخارى باش" سعيا عند "عادل شاه" بطائفه "أشاقه باش" و رئيسها "محمد حسن خان" و أفنعاها بأنهم معتدون. فأمر "عادل شاه" حاكم أستراآباد "سبز على بيك" باعتقال "محمد حسن خان" و إرساله إلى العاصمه "مشهد". و أرسل الحاكم إليه يأمره بالحضور إلى "أستراآباد" لينقل منها إلى "مشهد" إنفاذا لأمر الشاه.

فرفض "محمد حسن خان" أمره لعلمه أن عاقبته ستكون القتل أو العمى. و تهيأت "أشاقه باش" للحرب.

و سار إليهم جيش "عادل شاه" و "سبز على بيك" أربع مرات فهزموه و عجز عن إخضاعهم. و بعد ذلك لم تقتصر حرب "أشاقه باش" على الدفاع بل تعدت طبيعه هذا الكر و الفر إلى الهجوم و الغزو أيضا. و التحق بهم جماعه من المرتزقه. و ما زال شأنهم يعلو حتى أصبحوا قوه يخشى بأسها.

و قاموا بغزو مدن من خراسان ينهبون ما تصل إليه أيديهم. و أترى "محمد حسن خان" رئيس "أشاقه باش" مما كان ينهبه حتى أصبح يستطيع استئجار المحاربين.

و بلغ من قوته أن عزم على احتلال مدينه "أستراآباد" نفسها، و اعتقال "سبز على بيك" و الانتقام منه. ثم هاجمها و احتلها، و لكن "سبز على بيك" فر منها إلى مشهد قبل أن يقع فى يده. و احتل "محمد حسن خان" بعد ذلك قسما من مازندران و "شاهرود" و "بسطام". و ما زال مجال سيطرته يتسع حتى شمل قسما آخر من مازندران و قسما من مغرب خراسان.

و أصبح وضع "أشاقه باش" مشكله سياسيه عسكريه كبيره تعترض "عادل شاه".

ولما وصل "سبز علي بيك" إلى "مشهد" حرض "عادل شاه" على المسارعة إلى قمع "محمد حسن خان" قبل أن يستفحل أمره أكثر مما استفحل، و يتمكن من القضاء على ملكه. فسير إليه جيشا إلى "أسترآباد" فهزمه "محمد حسن خان". ولكنه استطاع أن يستخلص منه "شاهرود" و "بسطام".

و أراد "عادل شاه" معاودة الحرب. و لكن خرج عليه أخوه "إبراهيم خان أفشار" و اعتقله و أعمى عينيه. و حين وصل نبا اعتقال "عادل شاه" إلى مشهد نودي ب "شاه رخ" حفيد "نادر شاه" ملكا على إيران. و نادى "إبراهيم خان أفشار" و كان في طهران، بنفسه ملكا باسم "إبراهيم شاه".

و كان لا بد من الحرب بين الشاهين المتنازعين. إلا أن كفه "شاه رخ شاه" كانت هي الراجحة. و كان ممن هب إلى نصرته "محمد حسن خان قاجار" رئيس طائفه "أشاقه باش"، بعد ان تخلص من عدوه الشرس "عادل شاه". و هو يخشى جانب "إبراهيم شاه" إذ لم يكن خيرا من أخيه.

و بادر "محمد حسن خان" فأرسل إلى "شاه رخ شاه" يهنئه بمنصب الملك و يعلن بولائه و ولاء طائفته له، و أنه إنما خرج في السابق اضطرارا و دفعا لما ألحقه بهم حكم "عادل شاه" على "أسترآباد" من ظلم و تعد.

و هو و كل طائفته يدخلون اليوم في طاعه "شاه رخ شاه".

و كان "شاه رخ شاه" بحاجة إلى الأنصار ليقمع "إبراهيم شاه".

فسرته رساله "محمد حسن خان". فأرسل إليه يشكره، و عينه حاكما على "أسترآباد" و خلع عليه. و جهز "محمد حسن خان" جيشا من رجال "أشاقه باش" و سار به إلى "شاه رخ شاه" ينصره على "إبراهيم شاه". و إذ كان "شاه رخ شاه" صغير السن قليل التجربة فقد استشار رجاله فأجمعته.

ص: ١٢

١- ذكر "مهدي بامداد" في كتابه "شرح حال رجال إيران" في ترجمه الشاه "طهماسب" الثاني الصفوي و في ترجمه "رضا قلي ميرزا" ولي عهد "نادر شاه" أن "نادر شاه" كان يوم قتل الشاه "طهماسب" نمائيا في غزو الهند. و ذكر أن القتل وقع في سنة ١١٥٢ هـ و ذكر مثل هذا أيضا "محمد حسين قوسي [قدوسي]" في كتابه "نادرنامه". و قال أيضا إن "نادر شاه" أوصى قبل سفره إلى الهند ابنه "رضا قلي ميرزا" بالمحافظة على الشاه "طهماسب". و ذكر "مهدي بامداد" و "محمد حسين قدوسي" أيضا أن الذي اتخذ قرار القتل إنما هو "رضا [قلي ميرزا]" و أنه أمر؟ "محمد حسين قاجار" و "أسترآباد" بإنفاذه ففعل و قتل الشاه "طهماسب" الثاني و ولديه "عباس ميرزا" و "سليمان ميرزا". و ذكر "مهدي بامداد" الواقعة في ترجمه الشاه "طهماسب" على هذا النحو: "في أوائل سنة ١١٥٢ هـ. ق (و في ترجمته لرضا قلي ميرزا قال: في سنة ١١٥١ هـ) شاع "في إيران خطأ أن نادر شاه قد قتل في الهند. فخشى ولي عهد نائبه رضا قلي ميرزا أن يثور الناس عليه لما للصفويين في نفوسهم من حب فينحازوا عنه إليهم و يعيدوهم إلى الملك فاحتاط لذلك بان أمر محمد حسين قاجار دولو حاكم أسترآباد من قبل نادر شاه

بقتل الشاه طهماسب المخلوع - و كان فى الإقامه الجبريه بسبزوار. و قتل ولديه الشاه عباس الثالث، و عمره يومئذ سبع سنوات، و سليمان ميرزا، و عمره ست سنوات، فقتلهم ". و قال "محمد محسن [حسين] قدوسى" فى كتابه "نادرنامه" إن نادر شاه لما عاد من الهند علم بما فعله ولى عهده من قتل الأسره الصفوى غضب و استنكر فعله. و كان ذلك أحد الأسباب التى احفظته على ولى عهده و حملته على إعماء عينيه. أما "مهدى بامداد" فيقول فى كتابه "شرح حال رجال إيران" فى ترجمه "رضا قلى ميرزا" إن نادر شاه لم يستنكر عمل ابنه. و ما أغضبه عليه لم يكن قتله للشاه و ولديه بل المقدمات التى مهد بها طريقه إلى اعتلاء العرش. و زاد "مهدى بامداد" على ذلك قوله إن بعضهم ذكر أن نادر شاه نفسه كان قد أوصى ولى عهده بان يستأصل الأسره الصفويه إذا اتفق أن قضى نحبه فى الهند. و فى روايه أخرى أن "نادر شاه" أراد قتل الشاه "طهماسب" الثانى فأمر ابنه "رضا قلى ميرزا" بذلك. و هذا أمر "سبز على بيك" بقتله فقتله.

آراؤهم على أن "محمد حسن قاجار" أليق رجال العسكر بهذا المنصب، فعينه فيه. وقاد المعركة إلى أحسن وجه.

وتغلب "شاه رخ شاه" على "إبراهيم شاه" واعتقله وأمر باعمائه وحمله إلى مشهد، فأعمى. ولكنه انتحر بقطع شرايينه وخلقومه بسكين استطاع الحصول عليها. وقيل إن جنوده الذين تركوه والتحقوا بعسكر "شاه رخ شاه" قتلوه انتقاما لما سبق أن أوقع بهم وبقارب لهم من ظلم. وقيل إنه مرض ومات بمرضه. ومهما كان الصحيح فإنه مات قبل أن يصل إلى مشهد. وقتل "شاه رخ شاه" أخاه الأعمى "عادل شاه" أيضا.

و كافي "محمد حسن خان" على وفائه بان أدى إليه ما تكلفه من مال نفقه للجيش الذي ساقه لنصرته. وأقره على حكمومه "أسترآباد" كما كان.

و أنعم عليه بمائه ألف نادري (نوع من النقد) و سيف مرصع. و أنعم على سراه "أشاقه باش" بجوائز.

و بعد خلع "شاه رخ شاه أفشار" و إعمائه سنة ١١٦٣ هـ. ق بمؤامره قام بها حموه متولى المقام الرضوى الميرزا السيد محمد سبط الشاه "سليمان الصفوى"، نصب المتأمرين حماه هذا ملكا باسم "الشاه سليمان الثانى". (١)

و كان مما قام به الشاه الجديد عزل الحكام المواليين ل "شاه رخ شاه".

و منهم "محمد حسن خان قاجار" عزله عن حكمومه "أسترآباد" و عين آخر من أنصاره فى مكانه. و عزل أيضا كل الموظفين الذين عينهم "محمد حسن خان" من طائفه "أشاقه باش" فى مجال حكمه. و عزل أمير "طبس".

و أرسل هذا إلى "محمد حسن خان" يواطئه على الثورة و الخروج على الشاه الجديد. فاستجاب له.

و بدأ عمله بان هاجم "أسترآباد" و احتلها، و هرب حاكمها إلى مشهد ثم اتجه إلى خراسان.

و استنجد "محمد حسن خان" بالأكراد الذين سبق أن أقامهم "نادر شاه" فى شمال خراسان، و كانوا من أشد الناس ولاء ل "نادر شاه"، و ظلوا على ولائهم لحفيده "شاه رخ شاه" المخلوع. و استجاب له أولئك الأكراد و واطاه على خلع "الميرزا السيد محمد" و إعماده "شاه رخ شاه" إلى العرش.

و فى صباح الثامن عشر من جمادى الأولى دخل "محمد حسن خان" بعسكر "أشاقه باش" و من معه من الأكراد، و دخل حاكم "طبس" إلى مشهد، فاحتلوها سلما إذ استسلمت حاميتها إليهم لما علمت أنهم قادمون لنصره "شاه رخ شاه". و لم يقتل سوى ثلاثة من حراس القلعة التى يقيم فيها "الميرزا السيد محمد" أو "الشاه سليمان الثانى"، إذ أرادوا المقاومة فقتلهم المهاجمون. و اعتقل جنود حاكم "طبس" "الميرزا السيد محمد".

و عند الظهر كانت المعركة قد انتهت و سيطر "محمد حسن خان" و خليفه حاكم "طبس" على المدنيه [المدينه]. و أقام "شاه رخ شاه" على العرش. و لم يسبق فى تاريخ إيران أن تملك عليها أعمى غيره. و ارتأى "محمد حسن خان" و حاكم "طبس" تأليف مجلس باسم "مجلس الشورى" لمساعدته الشاه الضيرير فى أعماله. و أنعم "شاه رخ شاه" عليهما و على قواد جيشهما

بهدايا فاخره، و منح كل واحد من الجنود مبلغا من المال. و أقر "محمد حسن خان" و حاكم "طبس" على عملهما السابق في الولاية.

في ذلك الحين وصلت إلى "محمد حسن خان" رساله من (جيران) تنبئه فيها أنها علمت بان "كريم خان زند" عازم على غزو "أسترآباد" و احتلال مازندران.

و كان "كريم خان" قد احتل أصفهان. و نصب رجلا اسمه "الميرزا أبو تراب" ملكا باسم "الشاه إسماعيل الثالث". و كان هذا بائع قرطاسيه في "دكان صغيره في السوق. و كان أبوه قد تزوج إحدى بنات الشاه "السلطان حسين الصفوي" الذي قتله الأفاغنه. و كانت أرملة. فولدت له "أبو تراب" هذا. فأراد "كريم خان زند" أن يعيد الملك إلى الأسره الصفويه، فلم يجد منهم بقيه غير هذا الرجل فنصبه ملكا.

و بعد ذلك عزم "كريم خان" على احتلال النواحي المركزيه من إيران و "أسترآباد" و مازندران. فخف محمد حسن خان مسرعا إلى "أسترآباد". و سار منها في طريق طهران.

و من ذلك الحين أصبحت حروب "محمد حسن خان" و "كريم خان" أبرز الوقائع في تاريخ إيران. و في ذلك الحين أيضا كان يحكم إيران أربعة ملوك هم "شاه رخ شاه" الضرير في خراسان و "الشاه إسماعيل الثالث" الأبله في أصفهان، و يمتد مجال حكمه أحيانا إلى سفوح جبل "ألبرز".

و في الرابع عشر من شهر صفر سنة ١١٦٥ هـ التقى الجيشان، جيش "كريم خان" و جيش "محمد حسن خان" عند "شاهرود". و نشبت معركة هائله قيل إن عدد قتلاها من الطرفين بلغ سبعين ألفا. و انتهت بهزيمه "كريم خان زند". فتفرق عنه جنده و فر وحيدا. و فيما هو جالس وحده في بعض الطريق صادفه "سبز علي بيك" حاكم "أسترآباد" السابق و عدو "محمد حسن خان" اللدود، فالتحق به و وضع نفسه في خدمته و انطلقا معا بلا جند إلى طهران و منها قصدا إلى أصفهان.

آقا محمد خان قاجار

و في سنة ١١٦٨ هـ كان "كريم خان زند" في أصفهان مشغولا ببعض الأعمال العمرانيه. و كان يومئذ قد تمكن وضعه و استقوى و قضى على بعض الفتن و منها غزو قام به "آزاد شاه" الأفغاني لأصفهان.

و بلغه أن "محمد حسن خان قاجار" رئيس طائفه "أشاقه باش" قد احتل طهران. و أنه عازم على غزو أصفهان.

و ذلك أن "محمد حسن خان"، بعد أن سيطر على إيلات "أسترآباد" و مازندران و "جیلان" عزم على غزو طهران. فسار إليها بجيش قوى. و جعل ابنه "محمد خان" الذي عرف بعد ذلك باسم "آقا محمد

ص: ١٣

خان " قائد طليعه الفرسان.

و مع أن " آقا محمد خان " لم يكن قد تجاوز يومئذ الثالثه عشره من عمره فقد كان معدودا من أمهر الرماه فى عسكر " محمد حسن خان ". لقد وضعت أمه " جيران " البندقية فى يده فى اليوم الذى أصبح فيه قادرا على الإمساك بالبندقية. كانت أمه أول معلم له. علمته الأبجديه و علمته كيف يمسك بالقلم للكتابه. و علمته سور القرآن القصار. كانت هى من رياه لا- أبوه، على خلاف المعهود فى حياه العشائر البدويه، إذ يكون الأب هو المربى. و كان " محمد حسن خان " دائم السفر أو الحرب فلم يقدر أن يتفرغ لتربيته ولده هذا.

يقول السائح الإنكليزى [الإنكليزى] المحقق " فارستر " و قد جاء إلى إيران فى تلك الحقبه، فى كتاب له: " كل ما كان فى آقا محمد خان من الصفات الحسنه إنما اكتسبه من أمه جيران. و قد هيأته هذه الأم ليكون ملكا. و قد حرصت كل الحرص على تبصيره بأصول الاقتصاد و تدبير المعاش ". و يقول ذلك المحقق الإنكليزى أيضا: " كانت جيران زوجه محمد حسن خان قاجار أم آقا محمد خان من عظيمات نساء العالم. و ليس لها نظير فى تاريخ أوروبا. و قد تتفوق بعض الأوروبيات فى بعض الأمور و لكنهن لم يبلغن ما بلغت إليه " جيران " من شمول التفوق. كانت جيران عالمه شجاعه صبورا بصيره بأصول الاقتصاد. و قد تلقى آقا محمد خان من أمه كل صفاتها المفيده. و لولاها لما بلغ محمد حسن خان إلى ما بلغ إليه من اقتدار و لا وصل آقا محمد خان إلى منصب الملك ".

و حين بلغ " آقا محمد خان " الثانيه عشره من عمره أمرته أمه بان يصحب أباه دائما فى سفره و حروبه ليتمرس بالحياه العمليه التى أعدته لها.

فانطلق مع أبيه كما أمرته. و قد تبين فيه أبوه الاستقامه و الصبر على المتاعب و الشجاعه و أنه، على صغر سنه، أهل للقيام باعمال عظيمه. و لذلك جعله قائد طليعه الفرسان حين سار من طهران قاصدا أصفهان، لمحاربه " كريم خان زند ". و هذا المنصب، فى مثل هذا السفر الحربى، إنما يعهد به فى العاده إلى المجربين لما يقتضيه من دقه و سرعه خاطر و معرفه و تجربه سابقتين.

و لما قارب جيش " محمد حسن خان " أصفهان خرج إليه " كريم خان " بجيشه. و انتهت المعركه بانتصار " محمد حسن خان "، و انهزام " كريم خان " فمضى عائدا إلى فارس. و دخل " محمد حسن خان " إلى أصفهان و احتلها، و بذلك أصبح ملكا على إيران المركزيه و الايالات الشماليه: أسترآباد و مازندران و جيلان.

حرب الملوك

بعد هزيمه " كريم خان زند " هذه فى سنه ١١٦٨ هـ. فى أصفهان و عودته إلى شيراز أصبحت إيران، ما عدا خراسان، إلى بضع سنوات ميدان عراك بين ثلاثه ملوك، " محمد حسن خان قاجار " و " كريم خان زند " و " آزاد شاه " الأفغانى، و كان هذا قد سبق أن جاء من أذربيجان يغزو أصفهان و احتلها، ثم طرده منها " كريم خان زند "، فعاد إلى أذربيجان.

و كان مجال الحرب بينهم يمتد من ساحل الخليج و بحر عمان أى ساحل بحر الخزر و أذربيجان و فى أيام هذه الحرب قتل مئات الألوف من فلاحى إيران فى الايالات الجنوبيه و المركزيه و الشماليه، و بادت أسر كثيره و خربت قصبات و قرى. و كان

"كريم خان زند" وحده من بين هؤلاء الثلاثة يتجنب ما أمكنه التجنب إلحاق الأذى بالناس. أما الآخرون فلم يكونوا يحجمان عن جريمته، أيا كان نوعها، من قتل و تخريب، من أجل الحصول على النصر، و لو بإبادة الناس جميعا! و حين كان "محمد حسن خان" و ابنه الأكبر في أصفهان، بعد هزيمه "كريم خان زند" غزا "أحمد شاه الأبدالي" ملك أفغانستان خراسان متظاهرا بأنه يريد تثبيت ملك "شاه رخ شاه"، إذ كان "مجلس الشورى" الذي أقيم لمساعدته في الحكم، قد استقل دونه بالحكم و لم يبق له من الملك غير العنوان. و قد سبق أن كان "أحمد شاه" هذا ضابطا في جيش "نادر شاه" و بعد مقتله عاد إلى أفغانستان و نصب نفسه ملكا عليها. و قد ادعى أنه يغزو خراسان لتثبيت ملك شاه رخ شاه" و فاء منه لجده "نادر شاه" و الواقع أنه إنما جاء إليها ليسلب رؤساء العشائر الخراسانية ثرواتهم.

و لذلك بادر أربعة من هؤلاء الرؤساء كانوا موضع أطماعه أكثر من غيرهم. إلى الفرار من وجهه. فروا بعشائرتهم من خراسان إلى "أستراآباد" ليلجئوا إلى "محمد حسن خان قاجار أشاقه باش". فلما وصلوا إلى "أستراآباد" كان "محمد حسن خان" لا يزال غائبا عنها. فتلقتهم زوجته "جيران" نائبة في الحكم و أكرمت متواهم، و عينت لهم أمكنه لسكنى عشائرتهم أما "أحمد شاه الأبدالي" فقد كف يد "مجلس الشورى" و أطلق يد "شاه رخ شاه" في الحكم ثم عاد إلى بلاده، و قد أفلت من كان يطمع بهم من يده. و حين وصل خبر الغزو الأفغاني لخراسان إلى محمد حسن خان" و هو في أصفهان كان الوضع في خراسان هادئا، و العشائر الأربع المذكوره قد هاجرت إلى "أستراآباد".

و في ذلك الحين وصل إلى "محمد حسن خان" خبر آخر بان "آزاد شاه" الأفغاني يقصد غزو "جيلان". فأقام أحد أمراء القاجاريين من طائفه "دولو" اسمه "محمد حسين خان قاجار دولو" حاكما على أصفهان، و أوصاه بالتشدد في محاربه "كريم خان زند" إذا حدثته نفسه بغزو أصفهان.

ثم سار و ابنه الأكبر "آقا محمد خان" إلى طهران، و ابنه هذا على قياده طليعه الفرسان. و من طهران سارا إلى قزوین يتعقبان "آزاد شاه" الأفغاني.

إلا- أنهما أضعاء أثره و خفى عليهما مكانه. فقد كانت خطه هذا المتمرد هي الخطه المعروفه اليوم بحرب العصابات. يضرب حيث يتمكن من الضرب. فإذا ضويق فر إلى مكان آمن. و قد جهد "محمد حسن خان" في تعقبه إلى آخر حياته فلم يتمكن منه. و ظل يغير و ينهب و يقتل و يفر من مكان إلى مكان إلى أن قتل "محمد حسن خان" سنة ١١٧٢ هـ و استتب الأمر لـ "كريم خان زند".

و استمرت الحرب سجالات بين "محمد حسن خان" و "كريم خان" من سنة ١١٦٨ هـ. إلى سنة ١١٧٢ هـ و هما يتداولان المدن، و لا سيما المدن المركزيه، تاره بيد هذا و تاره بيد هذا. و في سنوات تلك الحرب كلها كان "آقا محمد خان" يلازم أباه دائما. و مع أن العسكريين قلما يرغبون في الكتاب فان "آقا محمد خان" كان يحمل معه في الحرب بضعه كتب يطالعها في المساء إذا أوى إلى فراشه. و هي عادة غرستها فيه أمه "جيران". فكان لا يستطيع مفارقه الكتب. و بعد أن وصل إلى منصب الملك ظل هذا دأبه. حتى إنه في

الليله التي قتل فيها في "شوشى" كان قد استمع إلى قراءه من كتاب.

و قد أكسبته سنوات الحرب التي لازم فيها أباه خلقا قويا كالفولاذ المسقى، من تحمل مشاق السفر و الحرب و التمرس بالانضباط.

و يوم ذهب "محمد حسن خان" في سنة ١١٧٢ هـ إلى مازندران لمحاربه "الشيخ على خان" نصب ابنه "آقا محمد خان" حاكما على "أستراآباد".

مقتل محمد حسن خان قاجار

جهز "كريم خان زند" جيشا جعل على قيادته "الشيخ على خان زند" فسار به إلى مازندران ليمضى إلى "أستراآباد" و يقمع "محمد حسن خان قاجار".

و لما علم "محمد حسن خان" بذلك جهز جيشا من ثمانية عشر ألف جندي و سار به من "أستراآباد" يريد صد "الشيخ على زند خان" عنها قبل الوصول إليها. و التقى الجمعان عند مدينه "أشرف" من مدن مازندران.

و كان "سبز على بيك" في جيش الزنديين. بل كان حاضرا في جيشهم في كل الحروب التي وقعت بين "كريم خان زند" و "محمد حسن خان قاجار" من سنة ١١٦٩ هـ. إلى سنة ١١٧٢.

و وقعت معركة انهزم فيها "محمد حسن قاجار" و فر يريد العوده إلى "أستراآباد"، و لم يكن معه أكثر من عشرة فرسان، فتنبعه "سبز على بيك" و معه ثلاثمائة فارس، فأدركوه و حاصروه. و استطاع "سبز على بيك" أن يضربه على عنقه بالسيف فصرعه و ترجل "سبز على بيك" و احتز عنقه.

و كان مقتله يوم ١٥ جمادى الثانيه سنة ١١٧٢ هـ الموافق سنة ١٧٥٨ م.

و حمل "سبز على بيك" الرأس مع رساله من "الشيخ على خان زند" تنبئ بالنصر إلى "كريم خان زند"، و كان مقيما في طهران.

و أراد "سبز على بيك" إلقاء الرأس في أحد مجارى المياه القذره، فنهاه "كريم خان"، و أمر خادما بغسله و دفنه عند مقام "عبد العظيم".

و حين وصل خبر مقتل "محمد حسن خان" إلى ابنه "آقا محمد خان" في "أستراآباد" أشارت عليه أمه بالفرار إلى صحراء التركمان مره ثانيه.

فذهب بها و بأخيه "حسين قلى خان" إلى تلك الصحراء. و حين دخل "الشيخ على خان زند" إلى "أستراآباد" لم يجد فيها أحدا من أسره "محمد حسن خان". و كان "كريم خان" قد أمره باعتقال "آقا محمد خان" فأفلت من يده.

تمرد آقا محمد خان

بعد أن انتقلت أسره "محمد حسن خان قاجار" القليل إلى صحراء التركمان اختار ابنه "آقا محمد خان" ألف فارس من "أشاقه باش" و التركمان و أنشا منهم عصابه مسلحه للغزو.

و أخذ يباغت بهم نواحي "أسترآباد" بالاغاره فينهبون ما تصل إليه أيديهم و يقتلون من يقاومهم ثم يعودون إلى مقرهم.

و كان من أشد هذه الاغارات وقعا في نفس حاكم "أسترآباد" و "كريم خان زند" إغاره "آقا محمد خان" على قافله كانت تحمل أموال ضرائب من الولايات الشماليه إلى خزانه "كريم خان" مقدارها خمسون و مائتا ألف تومان، فنهب رجاله الأموال و قتلوا رجال القافله.

اعتقال آقا محمد خان

و أهتت هذه الواقعة "كريم خان زند" و وجد أن لا بد له من حسم أمر "آقا محمد خان" لتثيبت ملكه. فأرسل إلى "محمد خان قاجار" في "أسترآباد" رساله أنذره فيها بالعزل أو القتل إن هو عجز عن قمع "آقا محمد خان"، ثم أمده بعشرين ألف جندي. و بلغ مجموع ما عنده من الجنود ثلاثين ألفا سار بهم إلى آقا محمد خان". و كان "سبز علي بيك" يعاونه في التخطيط.

و قام حاكم "أسترآباد" بسد منافذ الهرب على "آقا محمد خان" في كل النواحي. و لم يبق في يده وسيله للنجاه غير اختراق الحصار، و هي مغامرة شديده أقرب إلى أن تكون انتحارا. و لكنه أقدم عليها و فضلها على الاستسلام بشجاعه خارقه. و كان الحصار في جهه المغرب أضعف منه في الجهات الأخرى. فاخترها طريقا للفرار.

في تلك الجبهه، في مكان من توابع "أسترآباد" يعرف باسم "خوته" أو "خطه"، أقام الزنديون أربعة آلاف جندي لقطع طريق الفرار على "آقا محمد خان". و عند الظهر من اليوم السابع من شهر شعبان سنه ١١٧٥ هـ. وصل "آقا محمد خان" إلى ذلك المكان، و معه خمسمائه فارس من رجاله. و بعد معركة رهيبه أظهر فيها ضروبا من الشجاعه و الاقدام استطاع خرق الحصار و الفرار.

و قيل إن من بقى معه من رجاله حين فراره كانت عدتهم عشره، و ذهب الآخرون بين قتيل و أسير. و كان إفلاته من ذلك الحصار من أعجب وقائع الشجاعه و الحرب.

و كان يرجو أن يديم فراره غربا إلى "جیلان" ليلجأ إلى حاكمها "نظر علي خان" (١)، و كان صديقا له. و لكن كان لا بد من المرور بمازندران، و حاكمها يومئذ "محمد خان سوادكوهي" عدو طائفه "أشاقه باش"، و كان "كريم خان زند" قد أمره بالقبض على "آقا محمد خان" إن هو قدم إلى مازندران. فلما وصل هذا إلى محله تعرف باسم "أشرف" من أعمال مازندران قبض عليه جنود "محمد خان سوادكوهي" في قريه اسمها "تغ سر"، في الخامس عشر من شهر شعبان سنه ١١٧٥ هـ.

خصاء آقا محمد خان

لم يذكر مؤرخو العهد القاجارى الايرانيون شيئاً عن قضيه خصاء "آقا محمد خان". و انفرد من بينهم بذكرها مؤلف "روضه الصفاء". قال إن "على شاه أفشار" المتلقب بلقب "عادل شاه" خصى "آقا محمد خان" و هو فى السابعه أو الثامنه من عمره. و لكنه لم يذكر لما ذا خصاه وحده و لم يخص معه أخاه "حسين على خان". فان كان قصده قطع نسل "محمد حسن خان" فقد كان عليه أن يلحق به أخاه هذا الذى لقب فيها بعد بلقب

ص: ١٥

١- "نظر على خان" هذا هو أخو "الشيخ على خان زند" الذى ساق جيشاً للقضاء على "محمد حسن خان قاجار أشاقه باش" أبى "آقا محمد خان". و لكنه، مع ذلك كان صديقاً ودوداً لـ "آقا محمد خان".

"جهان سوز" (حارق الدنيا).

وقال العقيد "غولد اسميث" الانكليزي إن "آقا محمد خان" قد خصى بجرح أصابه و هو يقاوم جنود "محمد خان سوادكوهي" حين جاءوا يعتقلونه.

و ذكر إنكليزي آخر اسمه "تيلور طامسون" روايه أخرى في موضوع خصاء "آقا محمد خان". و هي أنه كان قد عشق بنتا للشيخ علي خان زند و عشقته و تواملا في الخفاء. فلما نغلب "الشيخ علي خان زند" علي "محمد حسن خان" في معركة "أشرف" و قتل هذا في نهايه المعركه، وقع ابنه "آقا محمد خان" و أمه "جيران"، و كانا يرافقانه، في الأسر. و أراد "الشيخ علي خان" أن يقتل أسيره انتقاما لشرفه لتعديه علي ابنته. و لكن "جيران" تضرعت إليه ملتتمسه عفوهِ عن ابنها. فأجابها بان لا مجال للعفو عن دنس عرضه. و لكنه يوقع به أخف عقوبه توقع بمن يرتكب مثل هذا العمل و هي الخصاء. و أمر الجلاد بخصائه ففعل. ثم أطلق سراحه و أمه يذهبان حيث شاء (1) هذه هي روايه "تيلور طامسون". أما تفاصيل صلته "آقا محمد خان" ببنت "الشيخ علي خان زند"، كيف كانت و أين كانت و متى كانت، فلا شيء عنها في التاريخ.

و يقول "تيلور طامسون" إن "جيران"، بعد قتل "محمد حسن خان" و خصاء ابنه "آقا محمد خان"، طلبت من ابنها أن يقسم علي القرآن و السيف بان لا يبقى علي أحد من الزنديين و من يتصل بهم حتى السبب السابع من القرابه، حتى الأطفال منهم. فأقسم.

و قد وفي "آقا محمد خان" بقسمه لما تملك، فقتل "لطف علي خان" آخر ملوك الزنديين و تتبع الزنديين يستأصلهم. بل هو لم يكتف بهم فقضى أيضا علي كل خدمهم من رجال و نساءهم و أبناءهم. و أنذر كل حكام إيران بان يطلعوه علي كل من في مجال حكمهم من الزنديين و من يتصل بهم حتى السبب السابع من القرابه، و إلا فالموت جزاء من لا يطيع هذا الأمر من الحكام. و هذا الحقد الخارق العاده الذي حملة "آقا محمد خان" علي الزنديين يقوى روايه "تيلور طامسون" الانكليزي.

لقد سبق أن كان "نادر شاه أفاشار" السبب في قتل جده "فتح علي خان أشاقه باش". و مع ذلك لم يبلغ حقه علي أعقابه ما بلغه علي الزنديين. و ظل هؤلاء الأعقاب يحكمون في خراسان إلى زمن "فتح علي شاه"، إذ قضى هذا علي كل حكم لهم هناك. و لو كان "علي شاه" ابن أخى "نادر شاه" هو الذى خصى هذا الرجل العنيد الحازم الحقود فهل يعقل أن يترك النادرين حكاما علي خراسان، و هو الذى بلغ من انتقامه من الزنديين أن قتل حتى خدمهم الذى يخدمون في منازلهم؟! فهل يمكن أن يبقى في حكم خراسان أقارب من أوقع به محنه الخصاء؟! و لو كان "آقا محمد خان" قد خصى في طفولته لفقد وسامته و شأته خلقتة. و لكنه ظل علي وسامته و اعتدال قامته و تناسب جسمه إلى أن بلغ عنفوان الشباب. و لما خصى، و هو في هذه السن شأته خلقتة و عاد شكل وجهه شبيها بوجه امرأه عجوز.

آقا محمد خان في طهران

اعتقل عسكر "محمد خان سوادكوهي" في الخامس عشر من شعبان سنة ١١٧٥ هـ "آقا محمد خان قاجار". و أرسل حاكم مازندران خبرا باعتقاله إلى "كريم خان زند". فأرسل هذا مائه فارس من طهران حيث كان يقيم، و علي قيادتهم "أحمد بيك فندرسكي"، لاحضار "آقا محمد خان" إلى طهران. فلما وصل ألقى به في السجن، و ظل مسجوناً مده أسبوع. ثم نقل من

السجن إلى قرية في ضواحي طهران اسمها "كن" حيث كان يقيم "كريم خان زند"، فادخل عليه. و أبلغه "كريم خان" أنه مفروض عليه الإقامه الجبريه في طهران، و أن مسكنه في نفس القلعه التي يسكنها. و سمح له بالخروج منها إلى حيث شاء من المدينه على أن يرافقه جنديان دائما. و مكث "آقا محمد خان" في القلعه ثلاثه أيام لا يخرج منها.

و خرج في اليوم الرابع يتجول في أنحاء المدينه. و مر في تجواله على أحد المقامات المقدسه حيث قبر أحد العلويين اسمه "زيد". و رأى في ساحة المقام أحد العلماء يلقي درسا على طلاب. فاستمع إليه و أعجبه ما سمع من علمه، و عزم على استئذان "كريم خان" في حضور هذا الدرس أيام انعقاده. فاذن له و أخذ يواظب على حضوره و الجنديان يرافقانه دائما. و كان درس العالم، و اسمه "الشيخ على التجريشى"، لا يقتصر على الفقه و الحديث، بل كان يشمل أيضا الحكمه، و الفلسفه. و كان معجبا بفلسفه "ابن طفيل" أكثر من غيره. و لذلك كان "آقا محمد خان" يعرف عن "ابن طفيل" أكثر مما يعرف عن غيره من الفلاسفه. و لما وصل إلى منصب الملك كان رجال حاشيته يتملقونه بالإكثار من الحديث عن "ابن طفيل". و "آقا محمد خان" هو وحده من بين ملوك القاجاريين كلهم من كان له اطلاع على الفلسفه. و قد قرأ كل آثار "ابن طفيل". و كان كتاب "حي بن يقظان" لا يفارقه و يحمله معه في أسفاره. و ينقل إلى رجال حاشيته أجزاء من هذا الكتاب و أخبارا من سيره "ابن طفيل" كلما تيسر له ذلك.

ثم استاذن "كريم خان" في أن يسكن في بيت مستقل خارج القلعه فاذن له. و استاجر بيتا صغيرا له و للجنديين المرافقين. و كان "كريم خان زند" يكثر عليه، لا بخلا منه بل خوفا من أن تمكنه التوسعه عليه من الفرار، و يمنع وصول معونه ماله إليه من ذويه في "أسترآباد".

و كان يشتري "زيتا" من دكان قريبه ليطبخ طعاما بسيطا. و كان صاحب الدكان يعطيه زيتا رديئا فنبهه إلى ذلك. فقال له صاحب الدكان إن لم يعجبك زيتي فاشتر من غيري. و لم يكن في تلك النواحي من دكان قريبه غير دكانه. فيضطر إلى قبول ما يعطيه صاحب الدكان من الزيت الرديء كارها، و حقه عليه يتعاضم يوما بعد يوم.

فلما وصل "آقا محمد خان" إلى منصب الملك أحضر صاحب الدكان هذا إليه، و سأل: هل تعرفني؟ و كان "آقا محمد خان" قد تغير كثيرا عما كان عليه، فلم يعرفه صاحب الدكان. فقال له "آقا محمد خان": أنا ذلك المشتري الذي كنت ترغمه على أن يقبل زيتك الرديء. و قلت لي حين نبهتك إلى ذلك إن لم يعجبك زيتي فاشتر من غيري، مستهينا بي لاني فقير.

فلما عرف صاحب الدكان أن الذي أمامه هو ذلك المشتري القديم أخذته الرعده، و قال: أيها الملك العظيم لك على أن أعيد إليك ما أخذته منك ثمنا للزيت مضاعفا، فقال "آقا محمد خان": لست بحاجة إلى دراهمك اليوم،

ص: ١٦

١- يرى المؤرخ الفرنسي "جان غوره" أن هذه الروايه أقرب الروايات إلى التصديق.

و يوم كنت محتاجا إلى زيتك و طلبته منك بالثمن لا بالمجان بخلت على و أكرهتنى على قبول زيت لا يصلح لغير الراقه فى التراب. فاسترحمه الدكانى أن يعفو عنه. فقال: لو أنك فعلت بى هذا الفعل مره أو مرتين أو أكثر لعفوت. و لكن ظلمك لى دام كل المده التى كنت فيها محتاجا. و لم تستجب لى حين طلبت منك الإنصاف. و لذا لا- أعفو عنك اليوم و أعاقبك على ظلمك.

ثم أمر "آقا محمد خان" بإحضار قدر كبير و أمر بجلب كل ما فى دكان الرجل من زيت و إلقائه فى القدر، و إيقاد النار تحته. فلما حمى الزيت، و كان مقداره يبلغ إلى منتصف فضاء القدر، أمر بتقييد يدى الدكانى و رجله و إلقائه فى الزيت الغالى، هذا و الدكانى يبكى و يسترحم و يصرخ و "آقا محمد خان" يقسم بكل مقدس أنه لا يعفو عنه، ثم ألقى به فى الزيت و جعل يصرخ صراخا يقطع القلوب، و "آقا محمد خان" ينظر إليه هادئا مطمئنا إلى أن خمد صراخه و مات.

و بعد سنه من إقامه "آقا محمد خان" فى طهران أخذت تظهر عليه آثار الخصاء شيئا فشيئا فتساقطت لحيته و شارباه. و تشوه منظر حاجبيه و غابت فى عينيه تلك النظرة الجذابه و أصبح منظرهما منظر عينين دائمتى البكاء. و بعد أربع سنوات لم يبق فى "آقا محمد خان قاجار" أثر من وسامته السابقه. و عاد ذلك الشاب على الشكل الذى نراه له فى التصاوير اليوم. و كان له صوت رجولى قوى فأصبح شبيها بصوت النساء. حتى إنه لما وصل إلى منصب الملك كان يتحاشى مناداه خدمه إذا أراد استدعاءهم، بخلاف العاده المتبعه يومئذ. إذ كان الأعيان، و لا سيما الملوك، يعدون جهازه الصوت فى مناداه الخدم من علامات الرئاسة و التفوق، فينادونهم إذا أرادوا استدعاءهم بصوت جهير. أما "آقا محمد خان"، و قد حرم من هذه الميزه فقد اتخذ لنفسه شيئا كالطلب يضعه إلى جانبه يضرب عليه إذا أراد استدعاء أحد من الخدم ليخفى ما فى صوته من نقص فلا يستهينوا به. و لذلك كان أعداؤه يسمونه "الخصى الطبال". و مع أنه اشترك بعد وفاه "كريم خان" فى عده حروب كان فيها القائد، فقد كان يتجنب إصدار الأوامر بصوته كى لا يسخر منه الجنود إذا سمعوا صوته النسائى.

و لكن "آقا محمد خان"، مع كل ما أصابه من تشويه، استطاع أن يتجنب الترهل و تراخى الأعضاء مما يصاب به الخصيان فى العاده، إذ يعوضون ما حرموه من متعه جنسيه بالإكثار من الأكل و الإقبال على تناول مختلف الأطايب من الطعام. و قد فطن "آقا محمد خان" إلى هذا الأمر ففرض على نفسه حميه قاسيه، و تجنب المآكل الدسمه و جعل طعامه مقدارا معينا لا يتجاوزه لقمه واحده، حتى إنه كان يزن وجبته بالميزان لكيلا تزيد عن المقدار المعين. و قد سبق - إذ فطن لهذا الأمر - معارف أهل زمانه بقرنين من الزمان. و هو دليل قاطع على نبوغه و تفوق ذكائه. و قد جعلت هذه الحميه التى فرضها على نفسه و وزنه لطعامه بالميزان الايرانيين يظنون به البخل، و ما هو بالبخل، فزياده لقمه أو لقمتين فى وجبه الطعام لا تقدم و لا تؤخر فى الاقتصاد. و لو كان بخيلا لقتل على جنوده. و قد كان يمنحهم كفايتهم من الطعام كميته و نوعا. و إذ اتبع هذه الخطه فى الطعام فقد ظل محتفظا برشاقه جسمه كما كانت، مع كل ما أصابه من تشويه. و يوم قتل، و هو فى الخامسة و الخمسين من عمره، كان تناسب جسمه و رشاقته، كما كان و هو فى العشرين من عمره.

آقا محمد خان فى شيراز

ثم انتقل "كريم خان زند" من طهران إلى شيراز، و حمل معه إليها "آقا محمد خان". و كان هذا، بعد أن آل أمره إلى تلك الحال، قد سقط، فى نظر "كريم خان" و غيره من الناس، من حساب الطامعين فى الرئاسة و الملك و الفادرين على التمرد و

العصيان فليس يعقل فى عرف تلك الأيام، أن يصل مخصى فى إيران إلى منصب من مناصب الرئاسة، فضلا عن أن يصبح ملكا و كل اقتدار و نفوذ يمكن أن يحصل عليه المخصى لا يخرج عن دائره الحریم.

و مع ذلك استطاع "آقا محمد خان" المخصى أن يملك. فایه همه و إرادته و أى حزم و ثبات اقتضاها سعى هذا الرجل المحروم المطرود الذى حكم العرف و العاده و التقاليد بنزده و إبعاده عن كل مقام عال، حتى قدر أن يصل إلى أعلى منصب فى الدوله، و أن يمكن أسرته من تداول الملك بعده خلفا عن سلف!! ليس بين عظماء العالم العصاميين الذين ارتقوا من الدرجات الدنيا إلى المقامات العاليه من كانت له همه "آقا محمد خان قاجار" و ثباته و تنظيمه و انضباطه و صبره على المشقه. كان ظاهره خارقه للعاده. لقد ظل من يوم حلوله فى طهران إلى وفاه "كريم خان زند" مواظبا على القيام ببرنامج يومى وضعه لنفسه لم يعطه يوما واحدا.

كان ينهض كل يوم من نومه عند الفجر، فيسبغ الوضوء و يصلى. ثم يمارس بعض أنواع الرياضه البدنيه المتداوله فى إيران و يسبح و يمشى. فإذا انتهى من رياضته تناول فطوره، و هو أبدا لقيمات من الخبز و الجبنه و جرعه من الماء، لا يتجاوزها إلى أكثر. و يعين مقداره بالوزن - كما تقدم - لكيلا يزيد عن المقدار الذى فرضه على نفسه. و كذلك يزن غداءه و عشاءه على هذا النحو. فإذا تناول فطوره اتخذ سبيله إلى حلقه الدرس فى مقام "زيد" (يوم كان فى طهران) و إلى المدرسه (يوم انتقل إلى شیراز)، فاستمع إلى درس الأستاذ و شارك الطلاب فى المباحثه، ثم عاد إلى بيته، فكتب أجوبه ما ورد إليه من رسائل. فإذا حان وقت الغداء تغدى ثم انصرف إلى المطالعته حتى ساعه العصر. و عندئذ يمتطى حصانه و يخرج من المدينه للزهره، أو يحمل معه شاهينا يصطاد به. و كان "كريم خان زند" منحه حربه أكثر و أذن له بالخروج من المدينه، إذ أصبح لا يخشاه و قد آلت حاله إلى ما آلت إليه و صار مظهره مظهر المخصيان و شكله شكلهم. و لكنه لم يسمح له بالتغيب أكثر من ثلاثه أيام. فإذا أراد إطاله الغيبه فعليه استئذانه، و لا بد من أن يصحبه عندئذ حراس يراقبونه. و كل ما قام بها "آقا محمد خان" فى تلك الحقبه و ذكره مؤرخو العهد القاجارى من الايرانيين كان يتم على هذا النحو. و لكن هؤلاء المؤرخين لم يذكروا أنه كان محظورا عليه السفر ما لم يكن فى مراقبه الحرس، لثلا يكون فى ذلك حط من شان القاجاريين.

و من يقرأ ما كتبه مؤرخو العهد القاجارى من الايرانيين يخيل إليه أن "آقا محمد خان" كان عند "كريم خان زند" ضيفا مبجلا، و أنه كان يستشيره فى تدبير شئون الدوله حتى أصبح يعد من أعلى مستشاريه مقاما. و لم يكن الأمر الواقع مصدرهم فى هذا الذى ذكروه، بل الخوف على حياتهم أو الحذر من انقطاع المنفعه عنهم، فكتبوا ما كتبوا تملقا و قلبوا حقائق ذلك التاريخ. و لا لوم عليهم فى ذلك.

أما المؤرخون الأجانب الذين كانوا مقيمين في إيران أو مروا بها في تلك الحقبة فقد ذكروا أن وضع "آقا محمد خان" في بلاط "كريم خان زند" كان على نحو آخر. فهو لم يكن ضيفا مبعثا ولا مستشارا مقدا، بل أسيرا رهينة. و أن حياته في شيراز لم تكن محفوفة بالجلال و العظمة. كما ذكر مؤرخو العهد القاجارى من الايرانيين. و كان يسكن بيتا صغيرا حقيرا. و كل ما كان لديه من مظاهر التجمل هو اقتناء شاهين يصطاد به. و لكن اقتناء شواهين الصيد لم يكن من خصائص الأعيان. فقد كان في شيراز أناس غيره يقتنون الشواهين و لم يكونوا أعيانا و لا أمراء. كان "آقا محمد خان قاجار" مجبرا على الاكتفاء بحياه حقيره محدوده في شيراز. و لو أن "كريم خان زند" لم يمنع إمداده بالمال من "أسترآباد" لاستطاع أن يحيا في شيراز حياه طيبه تناسب ما لطائفته من سمعه و مكانه. و لكن "كريم خان زند" كان يأبى عليه التوسعه في حياته و جمع حاشيه حوله.

و واضب "آقا محمد خان"، و هو في شيراز على طلب العلم حتى أصبح يعد من العلماء المحترمين. و لم يسبق أن خرج قبله من بين الايرانيين عالم خصى. و أهم "كريم خان زند" ما حصل عليه ابن "محمد حسن خان أشاقه باش" من احترام بين أعيان شيراز. و يوم كان في طهران كان مطمئنا إلى أن الخصى لا يلقى من الناس غير الاستهانه به. و لم يخطر بباله أن "آقا محمد خان"، و قد أصبح عالما، سيصبح موضع الاحترام من أعيان المجتمع. و زاد في احترام الناس له أنه كان، إلى علمه، صادق القول محافظا على المواعيد منضبطا. فهو لا يخلف و عدا وعده و يؤدي قرضه في وقته، لا يكذب و لا يغتاب. و الأبواب مفتوحه في وجهه يستقبله الناس في بيوتهم بالترحاب و يدخلونه على نسائهم إذ هم يعلمون أنه خصى يقول مؤرخو العهد القاجارى من الايرانيين إن "آقا محمد خان"، بعد أن أقام مده في بلاط الشاه الزندى أرسله هذا إلى "أسترآباد" محفوقا بالأبهره و الجلال ليزور أمه و إخوته. ثم عاد بإخوته فأقامهم "كريم خان زند" في الولايات المركزيه، و حمل "آقا محمد خان" و أخاه "حسين قلى خان" (الذى لقب بعد ذلك بحارق الدنيا) معه إلى شيراز.

و لكن المؤرخين الأجانب يذكرون هذه الواقعة على نحو آخر. و العقل يحكم بان ما ذكره هؤلاء المؤرخون هو الصحيح. إذ يستبعد أن يترك الشاه الزندى "آقا محمد خان" طليقا يعود إلى "أسترآباد" و يلحق بامه و إخوته.

يقول المؤرخون الأجانب إن "كريم خان زند" أهمه ما حصل عليه "آقا محمد خان قاجار" من محبه الناس في شيراز. فرأى إبعاده عنها.

و وصلتته أيضا في ذلك الحين أخبار سيئه من "أسترآباد" و هى أن "جيران" أم "آقا محمد خان"، مع أنها كانت قد ابتليت بمرض السكر،⁽¹⁾ تهيئ الأسباب للحصول على قوه في "أسترآباد".

فأرسل إليها "كريم خان زند" رساله ينذر فيها بان تكف عن التامر عليه و لإقتل ابنها "آقا محمد خان" و بعت [بعث] برأسه إليها. فتوقفت عن مساعيها و كفت عن التامر خوفا على ولدها. و مع ذلك فان "كريم خان زند" لم يطمئن خاطره من جهه "جيران" و إخوه "آقا محمد خان". و رأى أنه لا يجوز بقاؤهم في "أسترآباد" إذ هى مسقط رأسهم و فيها أصلهم.

و يحتمل دائما أن يتوروا عليه فيها. و أن المصلحه في نقلهم إلى النواحي المركزيه من إيران.

و ذكر العقيد "غولدا سميث" الانكليزى أن كريم خان زند" إذ عزم على نقل جيران و إخوه آقا محمد خان من أسترآباد إلى

النواحي المركزيه، إنما أراد ضرب عصفورين بحجر واحد. أحدهما إبعاد آقا محمد خان عن شیراز حيث اكتسب محبه الأهالی. والآخر أن ترى أمه و يرى إخوته و يرى سكان أستراآباد و طائفه أشاقه باش بل ترى طائفه یوخاری باش أيضا بأعينهم إلى أی حال أوصل الخصاء أكبر أبناء محمد حسن خان أشاقه باش، فيقطعوا أملهم منه و يعرفوا أن من المحال أن يحل هذا الرجل الخصى في محل أبيه.

السفر إلى أستراآباد

كان "كريم خان زند" يعلم أن "جيران" و إخوه "آقا محمد خان" و رجال "أشاقه باش" و أهل "أستراآباد" يتصورون "آقا محمد خان" على ذلك الشكل الذي كانوا يرونه منه، و لا يعلمون أی تغير تغيرته سحنه ذلك الشاب و كيف أصبح شبيها بامرأه عجوز. فإذا رأوه أيقنوا أنه لن ياتى يوم يستطيع فيه أن يتقدم و يتبعه ذووه ماضيا إلى احتلال مكان أبيه. و كان ل "كريم خان زند" غايه أخرى هي أن يخرج "جيران" و إخوه "آقا محمد خان" من "أستراآباد" و يقيمهم في أماكن متفرقه من ولايات إيران المركزيه ليقطعهم عن "أستراآباد" و طائفه "أشاقه باش". من أجل ذلك عزم "كريم خان زند" على إرسال "آقا محمد خان" إلى "أستراآباد".

و كان "آقا محمد خان" يعرف أی تغير طرأ على سحنته، و يعلم أن أمه نفسها لن تعرفه. فقد تغير حتى صوته فأصبح غير صوته المعهود.

و لكنه، إذ كان عازما على أن يحتل يوما ما مكان أبيه، فقد رأى أن لا بد له من أن يظهر نفسه لأهل "أستراآباد" و رجال طائفه "أشاقه باش" و غيرهم، فيروا سحنته الجديده و يعلموا أن ابن "محمد حسن خان" الأكبر قد صار إلى هذا الشكل.

فإذا وصل إلى مكان أبيه لم ينكره أحد. و كان يتوقع أن يكون بعد عودته إلى "أستراآباد" موضع الاستهانه، و أن أولئك الذي يجعلون من مصائب الناس موضوعا للتسلية سيلسعونه بألسنتهم و سخریتهم. و لكنه وطن نفسه على تحمل ذلك كله لكيلا ينكر الناس هويته في المستقبل و ليعلموا أنه حقا ابن "محمد حسن خان قاجار أشاقه باش" الأكبر.

و حين سار من شیراز قاصدا "أستراآباد" إنما كان سجيناً ينقل من سجن إلى سجن، بخلاف ما ذكره مؤرخو العهد القاجارى من الايرانيين من أنه سار محفوفاً بالأبجه و الجلال. فقد كان محاطا بحراسه شديده. و أوصى "كريم خان" حراسه باليقظه التامه لمنعه من الفرار إذا حاوله. و أمرهم بان يقيدوه بالسلسله إذا حاول الفرار و أن يدخلوا به "أستراآباد" مقيدا بها.

و دخل "آقا محمد خان" إلى "أستراآباد". و كان قبل خروجه من شیراز قد أرسل رساله إلى أمه يعلمها بسفره. و لكن "جيران" توفيت بمرض السكر قبل وصوله بثلاثة أيام. و أراد "آقا محمد خان" أن يحمل جثمانها إلى النجف أو كربلاء لتدفن هناك. و لكن حاكم "أستراآباد" رفض أن يأذن له بذلك. فاستأذنه في حملها إلى قم أو مشهد فلم يأذن له. فاضطر إلى دفنها في

كان جيران فارسه ترمى بالرصاص و تحارب. فلما ابتليت بمرض السكر قالوا إنها سبق أن قتلت أناسا فابتلاها الله بالسكر كفاره
عن قتلهم.

"أسترآباد" موقتا إلى أن يتيسر له نقلها إلى إحدى البقاع المقدسه.

و بموت "جيران" استراح خاطر "كريم خان زند" من جهة هذه الأسره. فالأم، وقد كانت الدماغ المدبر فيهم، ماتت. و "آقا محمد خان" كل من رآه حكم بأنه غير أهل لأن يخلف أباه. و إخوته أصغر سنا من أن يفكروا في الثورة و التمرد.

و بعد أن أقام "آقا محمد خان" في "أسترآباد" عشره أيام أرسله حاكمها مع إخوته مخفورين إلى طهران. و فيها توفي أصغرهم "عباس قلى خان" و هو فى السابعه من عمره، و دفن عند رأس أبيه فى مقام "شاه عبد العظيم".

و أرسل "كريم خان زند" أمرا إلى حاكم طهران بإرسال أبناء "محمد حسن خان أشاقه باش" إلى قزوین للاقامه فيها ما عدا "آقا محمد خان" و أخاه الشقيق "حسين قلى خان"، فقد أمره بارسالهما إلى شیراز.

و "حسين قلى خان" هذا هو الذى لقب بعد ذلك بلقب "حارق الدنيا"، و ولد له ولد سماه "فتح على خان" باسم جد الأسره الذى قتل فى ضاحيه مشهد و دفن فى المحله المعروفه باسم "خواجه ربيع" كما مر. و قد عرف "فتح على خان" هذا فى الأسره باسم "خان بابا" و خلف عمه "آقا محمد خان" على سرير الملك باسم "فتح على شاه"، و لقب يومئذ بلقب "شاه بابا" أيضا.

و أقام الإخوان فى شیراز مراقبين. و عاد "آقا محمد خان" إلى ممارسه برنامجه اليومى، و تحصيل العلم. و أما أخوه "حسين قلى خان" فلم تكن به رغبه فى العلم، و كان يصرف أوقاته فى البطاله.

تمرد حاكم أسترآباد

كان "محمد خان قاجار دولو" حاكم "أسترآباد" من قبل "كريم خان زند" قد جمع، فى مده حكومته، ثروه كبيره. و بعد أن أنفذ أوامر "كريم خان زند" بشأن إقامه أسره "آقا محمد خان"، حدثته نفسه بالتمرد، فان يكن "محمد حسن خان قاجار قوانلو" أشاقه باش" قد استطاع أن يملك عده سنوات فى شمال إيران، فهو. حاكم "أسترآباد"، لا يقل عنه نسبا و لا حسبا و لا وسامه و لا- ثروه، فلما ذا يبقى قانعا بحكومته "أسترآباد" تابعا للشاه الزندى؟ و بدأ تمرده بان توقف عن إرسال خراج ولايته إلى "كريم خان زند" ثلاث سنوات متواليه متعللا بالقحط و الجفاف.

و كان "كريم خان زند" قد اطمأن كل الاطمئنان من جهة "آقا محمد خان"، إذ أيقن أنه يستحيل عليه بعد اليوم أن يسعى إلى منصب الرئاسة و الملك. و كان "آقا محمد خان" قد سار سيره تبعد عنه كل شبهه. و لذلك تبدلت معامله "كريم خان زند"، و أخذ يرفق به و يوليه عنايه أكثر من السابق، بل كان أحيانا يستشيره فى بعض الأمور التى يعهد أنه خبير بها.

فأحضره إليه و أخبره بما فعل "محمد خان قاجار دولو". و بعد تداول حديث طويل بينهما أقنعه "آقا محمد خان" بالدليل البين أن حاكم "أسترآباد" كاذب فى ما يتعلل به. و أقنعه أيضا بان اعتماده على رجل من "أشاقه باش" خير له من اعتماده على هذا الحاكم. و "أشاقه باش" اليوم لا رئيس لها بجمع كلمتها و يضعها فى خدمه الشاه الزندى. و رأى "كريم خان زند" أن يعامل محمد خان قاجار دولو "حاكم" "أسترآباد" بالمداراه. فقرر أن لا يعزله من منصبه لئلا يعلن التمرد. و اتخذ تدبيرا آخر يرفع به من شان "أشاقه باش" لتكون منافسا له. فصدر مرسوما بنبص "حسين قلى خان" أخى "آقا محمد خان" حاكما على "دامغان"

على أن يحق له الحضور إلى "أستراآباد" متى شاء.

و ذهب "حسين قلى خان" إلى مقر عمله فى "دامغان"^(١) وعرف هذا المولود لذلك باسم "خان بابا". ثم خلف "آقا محمد خان" فى الملك باسم "فتح على شاه" - كما تقدم - وقيل إن ولادته كانت فى سنة ١١٨٤ و قيل فى سنة ١١٨٥ هـ. ق. و لكن المؤرخين متفقون على أن ولادته كانت فى دامغان. و أرسل منها رساله إلى "محمد خان قاجار دولو" يخبره عازم على الحضور إلى "أستراآباد" و تفقد رجال طائفته "أشاقه باش". و لكن "محمد خان قاجار دولو" منعه من الحضور. و كان هذا المنع إعلانا منه بعزمه على التمرد.

إلا أن جماعه من رجال "أشاقه باش" استطاعوا السفر إلى "دامغان" و الاجتماع بحاكمها الجديد. و حدثت حركه أنعشت هذه الطائفة و وجهت آمالها إلى "حسين قلى خان" فى أن يخلف أباه فى رئاستها.

و استطاع "آقا محمد خان" إقناع "كريم خان زند" بان يسمح بنقل إخوته المحتجزين فى قزوين إلى "دامغان" ليقيموا مع أخيهم. و بهذا أفلت من يد "كريم خان زند" كل الرهائن الذين يحتجزهم من هذه الأسره ما عدا "آقا محمد خان".

و وجد "كريم خان زند" أن لا بد له من محاربه "محمد خان قاجار دولو". و استطاع "حسين قلى خان" حاكم "دامغان" أن يجمع، بمساعدته "كريم خان زند"، جيشا من سته آلاف جندى، كان بينهم جماعه من طائفه "أشاقه باش". و كان "آقا محمد خان" قد أفهم أخاه قبل سفره إلى "دامغان" أن إقامته فى هذا المنصب إنما هى فرصه عليه أن يغتتمها للتمرد على "كريم خان زند" و استخلاص الملك من يده.

سار "حسين قلى خان" بجيشه من "دامغان" قاصدا إلى "أستراآباد". و كان أكبر ما يعوقه قلعه تعرف باسم "قلعه نمكه" تقع فى الطريق بين البلدين. فتمكن من فتحها ثم ضربها و تابع سيره إلى "أستراآباد" فاحتلها و فر حاكمها "محمد خان قاجار دولو".

تمرد حسين قلى خان

و حين دخل "حسين قلى خان" إلى "أستراآباد" التف حوله رجال طائفته "أشاقه باش". و بادر هو إلى دعوه "كمال على بيك" رئيس طائفه "بوخارى باش" إلى إيقاع الصلح بين الطائفتين فاستجاب له و تصالحت الطائفتان على أن تكون رئاستها ل "حسين قلى خان" يتولى الشؤون السياسيه و الاقتصاديه و تكون اداره الشؤون الداخليه الحقيقه و القضائيه و أمثالها فى بد [يد] "كمال على بيك" و يكون له عنوان "العمده".

و تعاهد الرجلاان على خلع طاعه "كريم خان زند" و الاستقلال بحكم

ص: ١٩

١- فى سنة ١١٨٢ هـ الموافق و سنة ١٧٦٨ م تزوج "حسين قلى خان" فى "دامغان" من بنت لأحد رؤساء القاجاريين. و فى سنة ١١٨٣ هـ. ولدت له صبيا سماه "فتح على خان" باسم جد الأسره الذى قتل بحكم من "نادر شاه أفشار".

"أستراآباد" و إعلان التمرد فى الوقت المناسب.

ثم عاد "حسين قلى خان" إلى مقر عمله فى "دامغان" و أناب عنه "كمال على بيك" على حكومه أسترآباد"، و أرسل تقريراً بذلك إلى "كريم خان زند". فاقره هذا على ما فعل و شكره و أهده خنجراً مرصعاً.

و أخذت الرسل تتردد بين الرئيسين القاجارين يتبادلان الرأى فى تدبير الثورة و تهيئه مقدماتها. و كانا يختاران رسلهما من أعيان القاجارين الموثوقين و أهل الرأى و المشوره فيهم، و كانت رسائلهما كلها شفهيّه حذراً من وقوع وثيقه خطيه فى يد "كريم خان زند" تكشف تأمرهما.

و رفع جواسيس "كريم خان زند" إليه تقريراً بتردد الرسل بين دامغان مقر حكومه "حسين قلى خان" و "أسترآباد" مقر حكومه "كمال على بيك". فأرسل من قبله رجلاً اسمه "الله يار زند" يتحرى الأمر، و أمره باعتقال من يترددون بين الرجلين و مصادره ما فى حوزتهم من أوراق و إرسالها إليه. ففعل ما أمره به و لكنه لم يعثر على شىء من الأوراق معهم.

و إذ كان يرتاب فى هؤلاء الرسل. و عجز عن الحصول على مستمسك عليهم، فقد عمد يوماً إلى اعتقال أحدهم. و عند استجوابه فى التحقيق لم يحصل على اعتراف منه بشىء، فأمر بضربه فلحقا على باطن قدميه. و إذ كان المضروب من سراه القاجارين فقد غضب "حسين قلى خان" و استدعى "الله يار زند" إليه و أمر بضربه فلحقا، فضربوه حتى أغمى عليه، ثم ألقوه خارج دار الحكومه و هو مغمى عليه. و لما تمكن من أن يستوى على قدميه مضى إلى "كريم خان" فأعلمه بالواقعه.

و مضى "حسين قلى خان" من "دامغان" إلى "أسترآباد" و أعلن بالعصيان، و دعا نفسه "جهان سوز شاه" أى "الشاه حارق الدنيا". و لم يستطع "كريم خان زند" أن يسير بنفسه إلى محاربه بسبب مرضه. فنصب "محمد خان قاجار دولو" حاكم "أسترآباد" السابق حاكماً على مازندران، و أمره بالسير إلى محاربه "حسين قلى خان". و لكن "حسين قلى خان" تغلب عليه و تتبعه حتى حاصره فى إحدى القلاع، و انتهى الحصار باحتلال "جهان سوز" للقلاع و مقتل "محمد خان قاجار دولو".

و لما بلغ خبر الهزيمه إلى "كريم خان زند" استدعى "آقا محمد خان" و أمره بان يكتب رساله إلى أخيه "حسين قلى خان" يقول له فيها عن لسانه إن جزاءه، إذ تمرد و عصى و قتل عامله على مازندران، القتل. و لكنه يعفو عنه إن هو حضر إلى شيراز و أدى إلى ورثه القتل ديتة. فكتب "آقا محمد خان" رساله لآم فيها أخاه على فعله، و قال له إن أسرنا كانت موضع عطف "كريم خان زند" و عفوه و إكرامه. و قد جعلك والياً على "دامغان" ثم أضاف إليها ولايه "أسترآباد". و لكنك عصيته و تمردت عليه بدلاً من أن نشكره و ترعى حقه. و الآن خير لك أن تحضر إلى شيراز و تؤدى الديه إلى ورثه القتل، و إلا أنزل بك أشد العقوبه.

و لم يكن لهذه الرساله من وقع فى نفس "حسين قلى خان" لأنه كان و أخاه قد تواطأ على العصيان قبل سفره إلى "دامغان"، و كان "آقا محمد خان" قد أوصاه أن لا يدعن ل "كريم خان زند" بوجه من الوجوه.

و "حسين قلى خان" يعلم أن أخاه لا يعنى مما كتبه فى هذه الرساله شيئاً، و أنه إنما كتبها مضطراً. و لذلك أجاب على الرساله بأنه حاضر ليجىء إلى شيراز حين يتيسر له جمع المال اللازم للديه، و أنه الآن مشغول بتهيئته.

و لكن الوقت طال و لم يحضر "حسين قلى خان" إلى شيراز و لا وصل منه خبر آخر إليها. فاستدعى "كريم خان زند" أخاه "آقا محمد خان" و قال له اكتب إليه مره أخرى و قل له إنه إن لم يحضر قتلتك أنت. فكتب ما أمره به.

و حين وصل الساعى حامل الرساله إلى "أسترآباد" كان "حسين قلى خان" فى أحد مرافى مازندران يسعى إلى إنشاء أسطول حربى. فأوصلها الساعى إليه. و كتب فى جوابها يستعطف "كريم خان زند" أن يبقى على أخيه و يعده بالحضور فى أقرب وقت ممكن.

اعتصام آقا محمد خان

بعد أن كان "كريم خان زند" قد خفف القيود عن "آقا محمد خان" و سمح له بالخروج من شيراز للنزهه و الصيد، عاد فى تلك الحقبه، فضيق عليه و منعه من الخروج إلى خارج المدينه. و رأى "آقا محمد خان" أن من الممكن أن يقدم "كريم خان زند" على قتله فاعتصم فى مقام "شاه چراغ" (١) إذ كان اللاجئون إلى هذا المقام ممن يطلبهم السلطان يوقف عنهم الطلب احتراماً له.

و إذ كان "آقا محمد خان" محترماً عند الشيرازيين لمكانته العلميه و الأدبيه و حسن تصرفه الاجتماعى، فقد بادر أعيانهم إلى إمداده باطايب الطعام و فاخر اللباس، و لكنه رفض ذلك كله و ظل يقتصر فى طعامه و لباسه على ما اعتاده من بساطه. و جعل الفضلاء و طلاب العلم يختلفون إليه زائرين متفقدين أحواله، إذ أن "كريم خان زند" لم يحظر على أحد زيارته.

فتتعد عنده فى مقام "شاه چراغ" مجالس بحث علمى و أدبى و تاريخى.

و فى إحدى الليالى كان "كريم خان زند" ناشطاً للسم، و عنده بعض فضلاء فارس. فتلا بيتين من الشعر هذا تعريبيهما:

معشوقه خضراء الوجه ضيقه الفم تزيد فى نشاط الشيخ و نشاط الشاب إذا أنت حسرت المعجر عن رأسها أخذها الغضب فتدافع الزبد من فمها و أراد "كريم خان زند" أن يمتحن الحاضرين فسألهم من هو قائل هذين البيتين، و ما هو معناهما؟ فلم يعرفوا جواباً. فقال "كريم خان زند": لو كان آقا محمد خان قاجار حاضراً لعرف معناهما و ذكر اسم قائلهما. ثم قال: إن هذا التاعس يخشانا على نفسه. و غدا سأذهب إلى "شاه چراغ" للزياره و أخرجه من معتصمه آمناً.

و فى اليوم التالى ذهب "كريم خان زند" مع أولئك الفضلاء الذين كانوا سماره فى الليله البارحه إلى مقام "شاه چراغ". و بعد أن قرأ زيارته استدعى إليه "آقا محمد خان" و روى له واقعه الليله البارحه و ساله عن قائل هذين البيتين، فأجابه على الفور: هو الطاهر بن الفضل بن محمد بن المظفر ابن المحتاج الشغانى المكنى بـ "أبو المظفر" المتوفى سنه سبع و سبعين و ثلاثمائه هجرية و هو فى السبعين من عمره.

ص: ٢٠

فاستحسن "كريم خان زند" جوابه. و ساله عن معنى البيتين.

فأجابه "آقا محمد خان" بان ذكر معناهما هنا ينافى حرمه هذا المقام المقدس.

فقال "كريم خان زند" أنت هنا معتصم، فكيف ترضى أن تخرج من هنا لتشرح لنا معنى البيتين؟! فقال "آقا محمد خان": إن شملنى الملك بعطفه و رحمته خرجت من هذا المقام. و فى خارجه أشرح معنى البيتين. فقال "كريم خان زند": قد شملناك بعطفنا و رحمتنا، و خرج مصطحبا معه "آقا محمد خان" و مضى به إلى قصر الملك. و فى المساء انعقد المجلس الأدبى فى حضره "كريم خان زند" و شرح "آقا محمد خان" معنى البيتين بان الشاعر قالهما فى وصف زجاجه الفقاع و فوران الزبد منها حين فتحها. و هكذا كان شعره قاله شاعر فى القرن الرابع الهجرى سببا فى تذكر الشاه الزندى ل "آقا محمد خان" و إخراجه من معتصمه. و وفى "كريم خان زند" بوعد فلم يمس "آقا محمد خان" بأذى.

مقتل حسين قلى خان قاجار

و ظل "حسين قلى خان" يماطل فى الحضور حتى أيقن "كريم خان زند" أنه عازم على الاستمرار فى التمرد و أنه لن يحضر إليه طوعا. و لا بد من الحرب.

و كان "حسين قلى خان" قد تمكن و استتوى حتى سيطر على مساحه واسعه من شمال إيران و امتدت يده إلى مازندران و "جیلان" و أصبح يملك قوه بحريه صغيره لا تنفك تستتوى شيئا فشيئا، و بذلك استطاع أن يمد نفوذه على سواحل شمال إيران من "دربند" إلى خليج "قره باغاز". و حاول "كريم خان زند" مرارا. أن يقهره بحكام تلك الأقاليم المحليين فلم يفلح، إذ كان "جهان سوز" يتغلب عليهم دائما. حتى إنه أصبح يهدد طهران نفسها.

و رأى "كريم خان زند" أنه لا قبل له بمحاربه "جهان سوز" فاستشار بعض رجاله فى أمره. فأشار عليه أحدهم أن يقضى على "حسين قلى خان" بقتله اغتياالا من غير ان يسوق جيشا إلى محاربه. فراقت له الفكره. و أرسل رجلا اسمه "على خان دولو" إلى "أستراآباد" ليتولى تدبير مؤامره الاغتيال. فاستاجر هذا رجلا تركمانيا اسمه "آرتق" كان "حسين قلى خان" قد قتل أخوا و ابنا له، فاستوقفه و هو راكب متظاهرا بان يرفع إليه ظلامه، و وثب إليه على ظهر الفرس فقتله ضربا بالسكين، و قتل مرافقه "آرتق". و ذلك فى سنه ١١٨٩ هـ الموافق سنه ١٧٧٥ م، و عمره يومئذ ست و عشرون سنه. منها ست سنوات مده حكمه و ملكه. و قيل إنه قتل فى اليوم العشرين من شهر صفر سنه ١١٩١ هـ، و قيل فى الثانى عشر من شهر صفر سنه ١١٩٢ هـ. و قيل إن من قتله ثلاثه من التركمان من قبيله "يموت". و بعد قتله نصب "كريم خان زند" مدبر المؤامره "على خان دولو" حاكما على "أستراآباد".

و عادت، بعد مقتل "جهان سوز"، طائفتا "أشاقه باش" و "بوخارى باش" إلى "ما كانتا عليه من خلاف. و كان حاكم "أستراآباد" الجديد يحركه و يوسع شقته.

و عزم أحد خدم "حسين قلى خان"، و اسمه "يوسف"، على الأخذ بثار سيده. فاخذ يترصد "على خان دولو"، حتى كان هذا يوما راكبا يتنزه على شاطئ نهر "جرجان"، فامتطى "يوسف" حصانا و تبعه و أطلق عليه رصاصه، و فر إلى صحراء التركمان. و وقع "على خان دولو" جريحا. و بعد يومين قضى نجه. و قيل إن "على خان دولو" قتل فى دار الحكومه فى "أستراآباد". و ظل

القاتل متواريا إلى أن ملك "آقا محمد خان"، فعاد إليه و حصل منه على مكافاه و منصب.

فرار آقا محمد خان

كان "آقا محمد خان"، بما هو مخصى، مأذونا له أن يدخل إلى حرم "كريم خان زند". و إلى هذا كانت إحدى زوجات الشاه الزندی عمته.

و في أواخر حياه هذا عرف "آقا محمد خان" من عمته أن مرض "كريم خان زند" يشتد يوما عن يوم و أن حاله لا تنفك تزداد سوءا، و أنه مائت عن قريب بسبب المرض و الشيخوخه.

و يومئذ، في سنة ١١٩١ هـ الموافق سنة ١٧٧٧ م، أرسل "آقا محمد خان" في السر رسولا إلى "أسترآباد" و معه رساله إلى "عباس قلى بيك أشاقه باش" أحد رؤساء "أشاقه باش" و من أشد الموالين لآقا محمد خان إخلاصا. و أمره في هذه الرساله بان يبادر إلى السفر مع نخبه من رجال "أشاقه باش" إلى مدينه "ورامين" قاعده ناحيه "ورامين" الواقعه في شرقى طهران قريبا منها. و أعلمه في هذه الرساله بان موت "كريم خان زند" بات وشيكا، و أنه سيلحق به فور انقضاء أجله.

و كان "آقا محمد خان" يقضى تلك الأيام الأواخر من حياه "كريم خان زند" خارج شيراز متظاهرا بأنه يصطاد. و لكنه، إذ كان يتوقع موت "كريم خان زند" بين ساعه و ساعه، كان يريد أن يبقى خارج المدينه حين موته ليتيسر له الفرار ساعتئذ. و كان "كريم خان زند" بعد مقتل "حسين قلى خان"، قد أحضر جماعه من أقارب "آقا محمد خان" إلى شيراز و أبقاهم فيها رهائن. و لم يكن مسموحا لأحد منهم بالخروج من المدينه سوى "آقا محمد خان". و قد أعلمهم هذا بأنه سيكون حين موت "كريم خان زند" خارج المدينه، و أوصاهم بان يبادروا حينئذ إلى اللحاق به في مكان عينه لهم، مغتمين فرصه انشغال الزنديين بوفاه ملكهم و ما يصحب ذلك من بلبله و تشويش، فلا يتنبه لهم أحد حين فرارهم.

و في الثالث عشر من شهر صفر سنة ١١٩٢ هـ (١) توفي "كريم خان زند". و كان "آقا محمد خان قاجار" خارج المدينه. فلما علم بخبر وفاته أقام في المكان الموعود ينتظر قدوم ذويه الرهائن.

و لكن انتظاره طال و لم يحضر أحد منهم فأيقن أنهم منعوا من الخروج.

أما ما حدث لأولئك الأمراء القاجاريين فهو أن "أبو الفتح خان زند" حاكم شيراز، و هو ابن "كريم خان زند"، كان قد بث عليهم عيوننا تراقبهم من قبل أن يتوفى أبوه. فلما توفي حاول ثلاثه منهم الخروج من المدينه فقبض عليهم. و هم "عيسى خان" و "موسى خان" و "سليمان خان"، و هذا الأخير كان في العاشره من عمره. و أمر "أبو الفتح خان زند" بقتل الأولين فقتلا، و أبقى على الثالث لصغر سنه، و وضعه في المراقبه مع سائر الأمراء القاجاريين من طائفه "أشاقه باش" المحتجزين رهائن.

فلما أيس "آقا محمد خان" من حضور أقربائه ترك مكانه ليله الرابع

١- ذكر "سعيد نفيسى" فى كتابه "تاريخ إيران الاجتماعى و السياسى" و "مهدى بامداد" فى كتاب "شرح حال رجال إيران"
أن وفاه "كريم خان" كانت سنه ١١٩٣ هـ.

عشر من صفر منطلقا إلى أصفهان ليضى منها إلى طهران و يلتحق بأنصاره هناك.

فلما وصل إلى أصفهان بعد مشقات و أهوال عاناها في الطريق تبين له أن خبر موت "كريم خان زند" لم يبلغ إليها بعد فتابع السير إلى طهران.

و في سفره هذا كان يستقصى الأخبار في كل بلدة يمر بها فيتبين أن نبا موت "كريم خان زند" لم يصل إليها بعد، و لم يدخل طهران، بل عرج على مقام (عبد العظيم)، ثم اتجه إلى (ورامين).

و لما وصل وجد "عباس قلى بيك أشاقه باش" و رؤساء طائفته في انتظاره. فلما وقع نظرهم عليه علموا أن "كريم خان زند" قد توفي، إذ لو كان لا يزال حيا لما استطاع "آقا محمد خان" الفرار.

هذا و قد ظل "آقا محمد خان" أسيرا في شیراز عند "كريم خان زند" مدة ست عشرة سنة. و ملك "كريم خان زند" مدة عشرين سنة تقريبا (1) ثم عاد "آقا محمد خان" برجاله من "ورامين" إلى طهران و لم يكن نبا موت "كريم خان زند" قد وصلها بعد، فاذاعوه في الناس. و فر "تقى خان زند" عامل "كريم خان زند" على طهران. فأمر "آقا محمد خان" بتعقبه و اعتقاله. فاعتقل و أعيد إلى طهران و أحضر إلى مجلس "آقا محمد خان"، فأمر بضربه فلما ثم أطلقه، فذهب إلى شیراز.

و المؤرخ الانكليزي "واطسون" يقول إن "تقى خان زند" كان على علم بوفاه "كريم خان زند"، و أنه خرج من طهران قاصدا شیراز ليعلم، حسب العادة المتبعة، بولائه لخليفه الملك المتوفى "أبو الفتح خان زند" الذى نصب ملكا بعد أبيه، و يلتمس منه تثبيتته في منصبه. و لم يخرج فارا من وجه "آقا محمد خان". و لكن اتفق أن كان دخول "آقا محمد خان" إلى طهران حين سفره إلى شیراز.

و مهما يكن فان "آقا محمد خان قاجار" انتقل من "ورامين" إلى طهران، و لحق به جماعه أخرى من طائفه "أشاقه باش". و إذ كان حاكم طهران الزندى غائبا عنها، فقد أصبح هو حاكما عليها. و بادر إلى جبايه الضرائب من الأهالي، إذ كان بحاجة إلى المال. و أرسل المنادين ينادون في أنحاء المدينة و فى القرى و القصبات المجاوره لها بأنه يقبل الأوانى الفضية و النحاسيه ضريبه بدلا من النقد. و إذ كان القرويون لا يملكون شيئا من أوانى الفضة، و كان الذى يملكون منها شيئا فى طهران قلائل، و هم يفضلون إعطاء الأوانى النحاسيه و الاحتفاظ بالفضيه، فقد كان كل ما تجمع عنده من هذه الضريبه نحاسا. و ظل الناس متعجبين يتساءلون: ما ذا يصنع الخصى القاجارى بالنحاس؟! ثم تبين لهم مراده، إذ أمر بصهر النحاس و سكه نقدا. فكان أول نقد ضربه "آقا محمد خان" من النحاس. و ضربه، أول ما ضربه، فى طهران. و جعل "آقا محمد خان" نفقته الخاصه منه لا تزيد على عشره فلوس لفظوره و غدائه و عشائه. و يومئذ انتشر عنه ما انتشر من سمعه الشح و التقدير. و إذ ظل رجال حاشيته بعيدين عنه مدة سته عشره: سنه فهم يجهلون ما ألزم به نفسه من عادات، فقد نظروا إليه بعين النفور و التعجب إذ رأوه، و هو ابن "محمد حسن خان أشاقه باش"، يزن طعامه بالميزان. فقد ظنوه يفعل ذلك من شح و حساسه إذ كانوا يجهلون فائدته.

كان "آقا محمد خان" قد تعلم الاقتصاد و الانضباط من أمه، و ظل ملتزما بهذه الخصال إلى آخر حياته. و لم يكن قط شحيحا مقترا، بل مقتصدا منضبطا. يقول أعداؤه إنه بذل حياته فى مدينه "شوشى" فى القفقاس من أجل حزه من (الخبوز). و لكنهم

غفلوا عن أن ملكا مقتدرا مثل "آقا محمد خان" لا يمكن أن تهمة حزه خربوزه فيهدد خدمه بالقتل من أجلها، ثم يقدم خدمه على قتله خوفا على حياتهم. و كل ما فى الأمر أن الرجل كان يعلم أن بعض الناس لا انضباط لهم. و هو حريص على مراعاة النظام فى بيته و أن لا يترك الخدم على هواهم يفعلون ما يشاءون. و استهانته الخدم بامر من أمور البيت، مهما يكن حقيرا تافها، علامه على الإهمال و عدم الانضباط.

السفر إلى مازندران

رأى "آقا محمد خان" أن سعيه إلى كسب القوه يقتضيه الذهاب إلى "أستراباد" حيث يعرفه الجميع بما هو ابن "محمد حسن خان أشاقه" الأكبر. و حيث اعترفت به طائفه "أشاقه باش" رئيسا لها، و إن يكن خصيا و قد غاب عن معارفه مده سته عشره سنه. و حيث يتوقع أن تلتحق به الطوائف الأخرى و يقبل به الجميع رئيسا لهم أو ملكا عليهم. و لذلك قطع إقامته فى طهران و سار إلى مازندران.

و بعد مسيره بقليل عين "أبو الفتح خان زند" ابن "كريم خان زند" و خليفته "على مراد خان" حاكما على أصفهان و كاشان و طهران و قزوین.

و هذا الحاكم هو ابن أخت "زكى خان زند" أخى "كريم خان زند". و كان "زكى" هذا قد جمع، بعد وفاه "كريم خان زند"، كل شئون الحكم فى يده و قتل جماعه من الأمراء الزنديين ليستولى على أموالهم، و لم يبق ل "أبو الفتح خان زند" من الملك غير العنوان.

و كان "على مراد خان زند" لا يحسب حسابا ل "آقا محمد خان قاجار" و لا يبالى به، و لا يتوقع أن يكون لمثل هذا الخصى شان كشان أخيه و أبیه من قبله. و ما كان يهमे هو أحد كبار الرؤساء من إقليم "خمسه" الواقع فى شمال إيران، و اسمه "ذو الفقار خان أفشار" سار إلى قزوین و استولى عليها إذ كان يرى أنه أحق بها من "على مراد خان زند". و لكن هذا استخلصها منه بلا حرب، إذا استجاب "ذو الفقار خان" لالتماس أهالى قزوین أن يجنب مدينتهم ويلات الحرب و الحصار، فغادرها بلا حرب و احتلها "على مراد خان زند".

ثم سار "على مراد خان زند" من قزوین إلى طهران مزهوا مختالا.

و أمر الطهرانيين بتزيين المدينه ثلاثه أيام بالأضواء و غيرها من أنواع الزينه ابتهاجا بفتح قزوین. فالتمسوا منه الطهرانيون إعفاءهم من التزيين لما هم فيه من ضيق، إذ كان "آقا محمد خان" قد أجبرهم على أداء ضريبه السنه القادمه قبل حلول موعدها، ثم أجبرهم "على مراد خان زند" أيضا على بذل شىء من المال له. و لكنه أصر على طلبه و اضطر الطهرانيون إلى إقامه الزينه.

و فى أيام هذه الزينه قدم إلى طهران اثنان من رؤساء "لاريجان"

١- قال المؤرخ الفرنسي "جان غوره" إن الخلاف وقع بين الأمراء الزنديين فور وفاه "كريم خان زند" على نحو رهيب من الشراسه و الطمع، حتى أن جثته ظلت ثلاثه أيام ملقاه لا يهتم أحد بدفنها لانشغالهم بالتقاتل و التنايد [التنايد] حتى أنتنت الجثه.

أحدهما اسمه محمد قلى خان الأبيض، والثانى: محمد قلى خان الأسود و أخبرا "على مراد خان" أن "آقا محمد خان" منهمك فى جمع رؤساء مازندران حوله و أن شانه يرتفع يوما بعد يوم، و يخشى منه على ملك الزندين، بل إنه، من اليوم، بدأ يرى نفسه ملكا، و حاشيته تعامله معاملة الملوك. و قبل أن يغادر طهران أعلن بأنه سيجعل منها عاصمه له.

و لكن "على مراد خان زند" ظل يستهين بالخصى القاجارى.

و إذ أصر المحمدان اللارىجانيان، على وجوب قمع "آقا محمد خان" قبل أن يستفحل أمره أكثر مما استفحل، فقد قرر "على مراد خان زند" أن يكتب رساله إلى "أبو الفتح خان زند" و رساله إلى خاله "زكى خان زند" يطلعهما على الأمر، و أن يكتب رساله إلى "آقا محمد خان" بهذا المعنى:

"إذ اشتهر أن آقا محمد خان ابن المرحوم محمد حسن خان رجل ذو كفاءه فليس يجوز أن يظل وجوده متعطلا لا يستفاد منه. و الخير فى أن يحضر إلى طهران حين اطلاعه على ما أوليناه من مراحم ليسند إليه ما هو له أهل من المقام و المرتبه و يكون موضع الاعتماد فى الانشغال بالخدمه".

و لكن "آقا محمد خان" لم يرد عليه جوابا. فثنى "على مراد خان زند" برساله أخرى فلم يتلق جوابا. فأيقن عندئذ أنه عازم على التمرد. و كتب بذلك إلى "أبو الفتح خان زند" و خاله "زكى خان زند". فاجابه بانك، و قد استطعت التغلب على ذو الفقار خان أمير خمسه، يسهل عليك التغلب على "آقا محمد خان فهبى جيشا و أرسله إلى مازندران و أوامر بحمل "آقا محمد خان" منها إلى طهران مكتوفا، أو حمل رأسه

نهزام انهزام على مراد خان زند

و جهز "على مراد خان زند" جيشا جعل على قيادته كلاله من "محمد قلى خان الأبيض" و "محمد قلى خان الأسود" اللارىجانيين. و كان هذان يعاديان "آقا محمد خان قاجار" و يخشيانه على نفوذهما و أموالهما فى "لارىجان". و قد بدلا مقدارا كبيرا من مالهما الخاص لتجهيز الجيش، إذ كان "على مراد خان زند" يعوزه المال اللازم لذلك.

و ذكر مؤرخو العهد القاجارى من الايرانيين أن عدده هذا الجيش الذى ساقه "على مراد خان زند" إلى حرب "آقا محمد خان" كانت ثمانين ألفا.

و لكنه قول لا يقبله العقل. فقد كان كل ما يملكه "على خان زند" و ما بذله حليفاه من مال لا يفى بتجهيز مثل هذا الجيش. و قد بالغ أولئك المؤرخون هذه المبالغه تملقا للملوك القاجاريين على عاداتهم، ليقال إن "آقا محمد خان" بلغ من الشجاعه و الخبره الحربيه ما جعله يتغلب بالعدده القليله من رجاله على هذا الجيش العرمرم! و القرائن تدل على أن عدده جيش "على مراد خان زند" لم تتجاوز عشره آلاف أو خمسه عشر ألفا. و لكنه كان جيشا قويا، و التحق به أيضا جماعه من أهل "لارىجان".

و لما بلغ خبر تهيو "على مراد خان زند" لغزو مازندران إلى "آقا محمد خان" هيا جيشا و جعل على قيادته أخاه "جعفر قلى خان" و هيا الإخوان خطه محكمه لا يقاع الجيش الغازى فى الكمين. و كانت طريق هذا الجيش فى مضيق جيلى من جبال

مازندران الشجاء يعرف بمضيق "عباس آباد".

و وضع "جعفر قلى خان قاجار" كمينه فى الأعلى المحيطه بهذا المضيق. فلما توسطه الجيش الغازى رماه الكمين من الأعلى بالرصاص و دحرجه الصخور و جذوع الأشجار. فلم يستطع دفاعا و ألقى سلاحه، و تبدد بين قتيل و أسير و فار. و استطاع القائدان اللاريجانيان الفرار، إذ كانا فى مؤخره عسكرهما، و عرفا بالكمين من أصوات الرصاص، فعادا أدراجهما قبل أن يدخلوا فى المضيق.

و يمكن القول إن انتصار جيش "آقا محمد خان" يرجع إلى دقته و دقه أخيه فى التخطيط و خبرتهما العسكريه الفائقه من جهه، و غفله القائدين اللاريجانيين و غرورهما و جهلهما بالفنون الحربيه من جهه أخرى.

و بهذا النصر انفتحت الطريق إلى طهران لآقا محمد خان، فسار من مازندران إلى "ورامين" ثم انطلق منها إلى طهران فدخلها و اتخذ مسكنا له فى العمارات التى أقامها "كريم خان زند" خارج السور الذى أقامه لها الشاه "طهماسب" الأول الصفوى.

و ذكر "غولدا سميث" الانكليزى أن تاجرا فرنسيا اسمه "نوه" ورد إلى طهران حين ورود "آقا محمد خان" إليها، و معه كتاب توصيه من "كاترين الثانيه" أمبراطوره روسيا، ترجو فيه رؤساء إيران تسهيل أعماله و إكرام مثواه. و دخل هذا التاجر على "آقا محمد خان" فسر به و رحب. و إذ كان يجهل اللغه الفارسيه، و لم يكن فى إيران يومئذ من يعرف اللغه الفرنسيه فيكون ترجمانا بينهما، و كان هذا التاجر قد سبق أن أقام مده فى إستانبول و تعلم اللغه التركيه، فقد دار الحديث بينه و بين "آقا محمد خان" بهذه اللغه. و طلب "آقا محمد خان" من زائره أن يطلعه على خارطه أوروبا و خارطه فرنسا ففعل. و شرح له بعض الأمور عن النظام الملكى الفرنسي، و أخبره أن الملك اليوم فى فرنسا هو "لويس السادس عشر". و قد شوقت هذه الزياره "آقا محمد خان" إلى تعلم اللغه الفرنسيه. و كان ملما بعض الإلمام باللغه الروسيه العاميه بسبب إقامته فى "أسترآباد" و اتصاله بالملاحين و التجار الروس. فطلب من ضيفه الفرنسي "نوه" أن يعلمه اللغه الفرنسيه، و أخذ يتلقى عليه دروسا فيها. فتعلم الألفباء و تهجئته الكلمات.

و لكن مشاغل الملك صرفته عن متابعه الدرس. و هو من بين ملوك القاجاريين، أو من أقدم على تعلم لسان أوروبى غير اللسان الروسى.

تمرد ذو الفقار خان أفشار

و فى تلك الأيام بلغ إلى "آقا محمد خان" أن "ذو الفقار خان أفشار" أحد كبار أمراء "خمسه" - و قد مر ذكره - يهيا جيشا عرموما يغزو به طهران.

فاستعد "آقا محمد خان" للدفاع بان أقام فى طهران حاميه عسكريه و أوكل قيادتها إلى أخيه "جعفر قلى خان"، و أمر الطهرانيين بالتمون و حفر الآبار لاستنباط ماء الشرب، احتياطا للحصار إذا وقع على المدينه. و انطلق هو إلى "ورامين" لتجنيد الرجال. و كانت خطته أنه إذا حوصرت طهران قاوم أخوه الجيش المحاصر من الداخل و هاجمه هو من الخارج.

و لما بدت مقدمه جيش "ذو الفقار خان أفشار" كانت الطليعه التي أرسلها "جعفر قلى خان" للاستكشاف قد قامت بمهمتها على أكمل وجه.

و أبدى قائدها، و اسمه "قاسم خان فيروزكوهى"، من الفنون العسكريه البارعه ما يجعله فى مقدمه القواد العسكريين، و هو الذى لم يدخل مدرسه حربه فى حياته، و لا تخرج من معهد عسكري.

و الناس يخالون أن فن "التمويه" الحربى هو من ابتكارات الغربيين.

ص: ٢٣

و لكن الواقع أن الشرقيين سبقوا الغربيين إليه، و استعملوه من قديم الزمان قبل أن يعرفه الغربيون. و قد استعمله "قاسم خان فيروزكوهي" في استكشافه على نحو بارع معجب. فكان جنوده يستترون بالأعشاب و أغصان الشجر بكل مهاره، و يحصلون على ما يريدون الحصول عليه من معلومات و العدو غافل عنهم.

و يوم بدأ "ذو الفقار خان أفشار" تجييش جيشه هذا شاع أن عدده جنوده بلغت مائه ألف جندي. و لكن، بعد أن اقترب هذا الجيش من طهران، تأكد لقائد الطليعه القاجاريه "قاسم خان فيروزكوهي" أن عدتهم لا تتجاوز اثني عشر ألفا. و لذلك عزم "جعفر قلى خان" على الخروج بجيشه من طهران و مباغته "ذو الفقار خان أفشار" بالهجوم قبل الوصول إليها.

فبيته في نواحي بلده "كرج" و تغلب عليه و عاد إلى طهران ظافرا. و أرسل رسولا إلى "ورامين" ينبئ "آقا محمد خان" بالنصر. و عاد هذا إلى طهران.

تمرد رضا خان قاجار

و بعد بضعه أسابيع من توقف "آقا محمد خان" في طهران ذهب إلى مازندران في سنة ١١٩٥ هـ الموافق سنة ١٧٨٠ م و أقام في "بارفروش".

و في تلك السنه عصى "محمد قلى خان الأبيض" و "محمد قلى خان الأسود" اللاريجانيان في بلديهما "لاريجان". و قد ذكرنا آنفا أنهما كانا حليفى "على مراد خان زند" في محاربتة "آقا محمد خان" و كانا قائدى جيشه اللذى هزمه "آقا محمد خان" في مضيق "عباس آباد".

أعلن هذان العصيان على "آقا محمد خان قاجار" و استقلا عنه و لكنهما لم يطلببا الملك. و بلغ خبرهما إلى "آقا محمد خان"، و بلغه أيضا أنهما يصنعان البنادق و عن قريب سيحصلان على عشرات الألوف منها.

فاستدعى "آقا محمد خان" - و كان لا يزال في "بارفروش" - إليه أخاه "رضا قلى خان" و أمر باصطحاب جماعه من الفرسان إلى "لاريجان" و اعتقال "محمد قلى خان الأبيض" و "محمد قلى خان الأسود" و إحضارهما مكتوفين إلى "بارفروش".

فلما وصل "رضا قلى خان" إلى "لاريجان" و علم المطلوبان بقصده أرسلإ إليه أنهما حاضران للتسليم و لكنهما يلتمسان منه أولا الاجتماع به ليطلعاه على بعض الأمور. فقبل.

فلما اجتمعوا ثلاثتهم أبلغاه أنهما لا ينويان عصيانا و لا خروجا عن الطاعة، بل يطلبان حقا مغصوبا لهما. و ذلك أن أباه "محمد حسن خان أشاقه باش" سلبهما أملاكهما في "لاريجان" توارثاها أبا عن جد. و أن "آقا محمد خان" يرفض إعادتها إليهم.

و كان لهما قصد آخر من هذه المذاكره. و هو أن يحسنا له طلب الملك لنفسه. فقال له "محمد قلى خان الأبيض":

"لقد قرأنا في الشاهنامه أن منصب الملك في إيران تولته النساء مرارا.

و بعضهن معدودات من خير ملوك هذه الدوله. و كن يعاملن الناس بالعدل. و لكن هذا الرجل الذى يريد اليوم أن يملك علينا

لا هو رجل ولا هو امرأة. ولو كان رجلا أو كان امرأة لما أوقع في الناس هذا الظلم. فكل رجل فيه صفات الرجولة، و كل امرأة فيها صفات الأنوثة. وهذا الرجل لا له صفات الرجولة ولا صفات الأنوثة. وبدلا من أن تكون أنت، رضا قلى خان، ملك هذه البلاد، يريد هذا المخنث أن يحتل مكان ملوك إيران الماضين".

و أول من وصف آقا محمد خان " بكلمه "مخنث" هو "محمد قلى خان الأبيض" هذا. ثم درجت بعد ذلك على الألسنه و الأقلام.

و قال "محمد قلى خان الأسود":

"إن ملك إيران حله تليق بقامتك. و أنت من هو أهل لأن يضع تاج ملك إيران على رأسه، لا رجل خصى".

و قد غضب "رضا قلى خان" حين وصف "محمد قلى خان الأبيض" أخاه بالمخنث. و لكن غضبه لم يلبث أن خمد حين مناه "الأسود" بالملك.

و كذلك احتمل منهما اتهامهما أباه باغتصاب أملاكهما، لهذا السبب. و تبين اللاريجانيان من تغاضبه عما قالاه فى شان أبيه و أخيه أن تمنيتهما له بالملك قد راقته. فتابعا إغراءه. و قال له "الأبيض" منهما إن آقا محمد خان، و إن يكن هو أكبر إخوته و أحقهم بخلافه أبيه، ليس أهلا- لذلك لأنه ناقص الخلقه، لا يعد رجلا بين الرجال و لا امرأه بين النساء. و مثله لا يجوز الشرع الإسلامى أن يمتلك على الناس، لأن الحاكم يجب أن يكون راشدا و هذا لا يعد راشدا. و لو استطاع التملك بالقهر و الغلبه فإنه لن يجد بين علماء الشرع من يعترف له بحقه فى التملك. و قطعاه له عهدا بان ينصراه إذا خرج على أخيه و طلب الملك لنفسه. و ما زالاه حتى أفضاه بالخروج.

و انضم إليهما كردى اسمه "أبدال خان"، و هيا الثلاثة جيشا من ألفى جندى. و كان مع "رضا قلى خان" ثلاثمائة جندى، و ساروا بهم إلى "بارفروش" مازندران حيث يقيم "آقا محمد خان". و لم يكن يتوقع مثل هذا الهجوم، و لذلك كان غير مستعد للدفاع، فاستطاع جيش أخيه "رضا قلى خان" المهاجم احتلال "بارفروش" بسهولة. و حاصروا بيت "آقا محمد خان" و اضطروه إلى التسليم.

و كان بين ضباط الكتيبه التى رافقت "رضا خان قلى خان" يوم أرسله "آقا محمد خان" إلى "لاريجان" لاعتقال "محمد قلى خان الأبيض" و "محمد قلى خان الأسود" ضابط اسمه "حاجى خان حلال خور" من أهالى محله اسمها "بندقى"، و قد سبقت عنده يد من "آقا محمد خان" إذ أنقذه مره من الموت، و ما زال يحفظ له هذا الجميل. فالتمس من "رضا قلى خان" أن يكون مع الذين يرسلهم لاعتقال "آقا محمد خان"، و هم "أبدال خان" الكردى و جماعه من رجاله. و كانت غايه "حاجى خان حلال خور" حمايه "آقا محمد خان" من الأذى. فقبل "رضا قلى خان" التماسه و هو يجهل غايته.

و بعد اعتقال "آقا محمد خان" استطاع "حاجى خان حلال خور" أن يقنع "رضا قلى خان" بان يعهد إليه بحراسه "آقا محمد خان" فى محبسه.

و جعل معه عشره مسلحين يقومون لحراسته. و حين خلا "حاجى خان حلال خور" باسيره عاهده على أن لا يدخر وسعا فى حمايته و الذب عنه.

و كان "رضا قلى خان" يريد الإبقاء على حياه أخيه و سلامته، لا يقتله و لا يعميه، بل يكتفى بحجزه فى مكان منعزل. إلا أن اللاريجانيين، الأبيض و الأسود، كانا حريصين على قتله. فاعطيا "أبدال خان" الكردى

ص: ٢٤

مالا كثيرا، فوطاهما على قتله، و"رضا قلى خان" غافل عن ذلك.

و كان لا بد للكردى من الحصول على موافقه "حاجى خان حلال خور" إذ كان "آقا محمد خان" فى عهده و هو مسئول عن حراسته. فتظاهر "حاجى خان حلال خور" بالموافقه. و لكى يوهم "أبدال خان" بأنه جاد فى الموافقه و يبعد عنه الشك فى نيته، اشترط فى طلب حصته من المال. و طالت المساومه بينهما، و "حاجى خان حلال خور" يطلع آقا محمد خان "إذا خلا به على ما يدور من حديث المساومه بينه و بين "أبدال خان". و يتشاوران فى رسم خطه النجاه.

و لم يكن فى يد "أبدال خان"، إذا قتل "آقا محمد خان"، من حجه يسوغ بها قتله عند "رضا قلى خان"، غير الادعاء بأنه إنما قتله لانه كان يحاول الفرار و هذا يقتضى قتله خارج المحبس، و هو سائر فى الطريق، إذ لا يعقل بأنه قد حاول الفرار، و هو محبوس بين أربعة جدران يحرسه عشره مسلحين. و إخراجه إلى الطريق غير ممكن فى "بارفروش" و لكنه ممكن فى غيرها. و لهذا اقترح "أبدال خان" على "حاجى خان حلال خور" إخراج "آقا محمد خان" من "بارفروش" إلى مكان آخر.

و كان هذا الأمر فرصه قرر "آقا محمد خان" و "حاجى خان حلال خور" اغتنامها لابعاد "آقا محمد خان" عن متناول يد اللارىجانيين و "رضا قلى خان". فإذا ابتعدا عن "بارفروش" تيسرت لهما مدافعه "أبدال خان". و خفت قيود المراقبه عليهما فنظرا فى الاقدام على ما يمكن الاقدام عليه من تدابير للخلاص. و قر رأيهما على الانتقال من "بارفروش" إلى "بندقى" موطن "حاجى خان حلال خور" و محل نفوذه.

و قر الرأى على أن يتمارض "آقا محمد خان" و يدعى أن مناخ "بارفروش" أثر فى مزاجه تأثيرا سيئا. و تمارض "آقا محمد خان" و طلب الانتقال إلى "بندقى". و بعد أخذ و رد و معاینات طبيه وافق "رضا قلى خان" على نقله إليها.

و اتفق "حاجى خان حلال خور" و "أبدال خان" على أن يلحق هذا بهما بعد يوم من وصولهما إلى "بندقى" ليغتال "آقا محمد خان".

و حمل "آقا محمد خان" على "تخت روان" فى حراسه محكمه و نقل إلى "بندقى"، و معه "حاجى خان حلال خور". و حين أذن "رضا قلى خان" بانتقال أخيه من "بارفروش" أنذر "حاجى خان حلال خور" بان يقضى عليه و على كل من يتصل به بقرابه إذا تمكن "آقا محمد خان" من الفرار.

و أسكن "حاجى خان حلال خور" أسيره أو ضيفه فى أحسن بيت فى "بندقى" و أخذ يعامله بما تقتضيه معامله الملوک من التشریفات، و هيا له عده كتب للمطالعه. و قيل إنه فى أيام سكناه فى "بندقى" شرع فى كتابه تفسير للقرآن، و أنه كتب قسما منه. و لكنه اليوم مفقود. و لا يستبعد أن يقدم رجل فاضل مثل "آقا محمد خان" على كتابه تفسير للقرآن. و لكن.

إذا كانت الروحیه قد بلغت عند هذا الخصى ذلك المبلغ العظيم، فان تفكير هذا المحارب فى كتابه تفسير القرآن أمر محير! و كان إقدامه على كتابه تفسير للقرآن، و هو فى "بندقى" آخر محاوله له للكتابة. و قد سبق له أن فكر مرارا بتأليف كتاب و لكنه لم يفعل. و فى أيام إقامته الطويله فى شیراز لم يكتب شيئا. و إن كان قد كتب شيئا فهو اليوم مفقود. و يستبعد أن يكون قد أهمل الكتابه يوم كان فى شیراز، و هو ذلك الرجل الجلد المتقن المجتمع الشئون، هذا مع موافقه ذوقه لمثل هذا العمل. و بعد

خروجه من "بندقى" إلى آخر حياته لم تسنح له فرصة للكتابة، و لكنه ظل مواظبا على المطالعه. و فى كل رحلاته الحربيه كان يصحب معه كتبا.

و كان "حاجى خان حلال خور" قد عزم على اعتقال "أبدال خان" و إلقاءه فى السجن ساعه حضوره إلى "بندقى". و لكن "أبدال خان" مرض فى ليله اليوم المقرر لسفره إليها. و كان مرضه الحصبه، فلم يستطع السفر فى الموعد المقرر. فلما تأخر عن الحضور أيقن "حاجى خان حلال خور" أن واقعه عرضت له منعه من الحضور، لا أنه عدل عن قتل "آقا محمد خان"، إذ لا يعقل أن يتخلى امرؤ مثل "أبدال خان" عن الجائزه المالىه الضخمه المؤجله التى وعده بها اللاريجانيان إذا قتل "آقا محمد خان". و كان قد أسلفه قسما مقدما منها.

و رأى "حاجى خان حلال خور" أن يهيا نجاهه لاعانه "آقا محمد خان" على الخلاص من محتته. فبعث برساله إلى أخيه الآخر "جعفر قلى خان"، و كان يقيم فى "لاهبان"، و أوصى حاملها بمضغها و ابتلاعها عند الضروره إذا خاف وقوعها فى يد أحد غير صاحبها.

و بين "حاجى خان حلال خور" فى رساله وضع أخيه و أن حاشيه "رضا قلى خان" تسعى إلى قتله، و استصرخه أن ينجده.

و كان "جعفر قلى خان" قد سكت عن تمرد "رضا قلى خان" و لم يحرك ساكنا حين هاجم أخاه الأكبر فتغلب عليه و اعتقله. و سائر "رضا قلى خان" فلم يستنكر عمله و طلب منه تعيينه حاكما على "جيلان" فرفض و عينه حاكما على "لاهبان" و ولى رجلا- آخر على "جيلان". و يقول "غبريل بر" الانكليزى إن الذى تولى حكومه "جيلان" حصل على هذا المنصب برشوه "رضا قلى خان" و حرم منه "جعفر قلى خان" لانه لم يعطه رشوه. و لذلك أصبح "جعفر قلى خان" غير راض عن أخيه "رضا قلى خان".

فلما وصلت رساله "حاجى خان حلال خور" إلى "جعفر قلى خان" قبل أن يساعد "آقا محمد خان"، و لكن لا بدافع الأخوه و البر بالرحم كما يزعم مؤرخو العهد القاجارى من الايرانيين، بل بدافع الطمع و المزايدة.

و لو كان إقدامه على نصره "آقا محمد خان" قياما منه بما هو مكلف به من البر بأخيه لبادر إلى إنجاده يوم هاجمه "رضا قلى خان" و اعتقله فى "بارفروش".

و لكن لا- لوم على أولئك المؤرخين لأنهم كانوا مضطرين إلى إرضاء أولياء الأمر من القاجاريين أيام حكمهم، و إلا قطعت رقابهم، أو، على الأقل، أرزاقهم.

أما دافع "جعفر قلى خان" إلى نصره "آقا محمد خان" فهو سخطه على "رضا قلى خان" من جهه و طمعه فى الحصول على مكافاه كبيره من جهه أخرى. و لذلك أراد أن يعرف، قبل الاقدام على مساعده "آقا محمد خان"، ما هى مكافاته على هذه المساعده، و هل هى تساوى مغامرته بالخروج على "رضا قلى خان" و هو يومئذ يملك على كل شمال إيران، أم لا؟ و لذلك كان جوابه إلى "حاجى خان حلال خور" إيجابيا، بشرط أن يوليه "آقا محمد خان" حكومه "جيلان" و مازندران، بعد قمع "رضا قلى خان". و طلب جوابا بخط "آقا محمد خان" نفسه يتعهد فيه بذلك.

فأجابه هذا إلى طلبه و لكنه طلب منه أن يرضى بولاية "جيلان" و "طالش"

ص: ٢٥

و تبقى إدارة مازندران إلى مده في يده، يد "آقا محمد خان". فرضى بذلك.

و استدعى "جعفر قلى خان" أخويه "مصطفى قلى خان" و "مرتضى قلى خان" و استدعى أيضا "عباس قلى خان" أحد رؤساء "أشاقه باش" و من أشد الموالين ل "آقا محمد خان" و إخلاصا له، و هو الذى جمع رجاله و استقبل بهم "آقا محمد خان" فى "ورامين" بعد فراره من شيراز.

استدعاهم "جعفر قلى خان" و هيئوا جيشا لنجده "آقا محمد خان" و قمع "رضا قلى خان". و كان ذلك فى سنه ١١٩٥ هـ. الموافقه سنه ١٧٨٠ م.

و كان موضع تجمع الجيش فى "لاهبجان" و "أسترآباد".

و فيما كانوا منهمكين فى تجييش الجيش وصل "أبدال خان" الكردى مع عشره جنود إلى "بندقى" للقيام بمهمته، فتلقاهم "حاجى خان حلال خور" و حاصرهم هو و جماعه من أهل البلده و اعتقلوهم و نزعوا سلاح جنوده و ألقى ب "أبدال خان" فى السجن. ثم كتب رساله إلى "رضا قلى خان" قال فيها إن "أبدال خان" جاء إلى "بندقى" لقتل "آقا محمد خان" فاعتقله و سجنه، و أنه ينتظر أوامر الشاه (يعنى "رضا قلى خان"). و كانت قرائن الحال كلها تبعد الشبهه عن "حاجى خان حلال خور" و توجه التهمه إلى "أبدال خان". فانخدع "رضا قلى خان" بقول "حاجى خان حلال خور" و أرسل إليه أمره بإرسال "أبدال خان" إلى "بارفروش". فتابطا "حاجى خان حلال خور" فى إنفاذ الأمر خوفا من أن تظهر الحقيقه عند استجواب "أبدال خان" فى التحقيق. و ماطل فى الجواب منتظرا أن تصل النجده قبل أن يضطر إلى إرسال "أبدال خان" إلى "بارفروش". و كان الأمر كما توقع.

فقد أقبل رؤساء "أشاقه باش" إلى مازندران بجيش من جهه الشرق و جيش من جهه الغرب، و وجد "رضا قلى خان" نفسه محصورا فى طوق قوى من محاربين لا-قبل له بهم. فاضطر إلى التسليم. فكتب رساله إلى "آقا محمد خان" يلتمس فيها العفو منه، ثم سار من "بارفروش" إلى "بندقى". ليستسلم إلى أخيه.

فى هذه الأثناء التقى الجيشان المهاجمان، أحدهما بقيادة "مصطفى قلى خان" أشاقه باش و الآخر بقيادة "مرتضى قلى خان" أشاقه باش "أخوى" "آقا محمد خان". و ناديا به ملكا على إيران، باسم "آقا محمد شاه". ثم سارا، و معهما "عباس قلى بيك" إلى "بندقى" لملاقاه "آقا محمد خان".

ثم عرض عليهم رساله "رضا قلى خان"، و سالهم ما ذا تفعلون لو كان أحدكم فى مكانى؟ فبادر "مصطفى قلى خان" إلى إجابته باللغه العربيه، و كان يعرفها، قائلا: "أرحم!^(١) فعفا عنه و لكنه اشترط أن يغيب عنه لا يرى له وجهها، لانه إن رآه قد لا يتمكن من ضبط نفسه فيقتله.

و إذ قطع "رضا قلى خان" رجاءه من "آقا محمد خان" فقد عزم على الالتحاق بخدمه أعدائه الزنديين. و لكن هؤلاء لم يعتنوا به. فقصد إلى خراسان ليلتحق بخدمه الأسره الأفشاريه النادرية الحاكمه هناك. فلم يعتن هؤلاء أيضا به. ثم لم يلبث أن قضى نحبه هناك و دفن فى مشهد.

تملك آقا محمد خان

بعد هذا الانتصار عاد "آقا محمد خان" من "بندقي" إلى "بارفروش". و كافا كل الذين ساعدوه في الوصول إلى عرش الملك.

و نصب "حاجي خان حلال خور" حاكما على "بندقي" و رتب له معاشا سنويا مقداره ألفا تومان ظل يعطاه إلى آخر حياته. و لم يعاقب أحدا من أعدائه سوى "أبدال خان" الكردي، اعتقله و حاكمه ثم أمر بقتله فقتل.

ثم انتقل من "بارفروش" إلى مدينة "ساري". و في هذه المدينة توج في يوم عيد النيروز، الموافق الخامس عشر من شهر ربيع الأول سنة ١١٩٥ هـ و قد صنع تاجه صاغه "ساري". ثم أعيد تتويجه بعد بضع سنوات في طهران. و كافا كل إخوته الذين ساعدوه، و عفا عن أصغرهم "مهدي قلي خان".

و أنشا معسكرات في أماكن مختلفه لتدريب الجنود تدريبا يوميا. و أظهر في تهيئه برامج التدريب مهاره و نبوغا فائقين. و أخذ يستعد لمهاجمه الولايات المركزيه من إيران و استخلاصها من يد الزنديين.

تمرد أمير جونه خان

و لكنه اضطر إلى خوض حرب أخرى. فقد كان نصب أحد إخوته حاكما على "طارم". إلا أن أحد رؤسائها، و اسمه "أمير جونه خان"، رفض إطاعته. و لم يكن هذا طامعا في منصب الحاكم، بل كان يتطلع إلى منصب الملك. و انضم إليه أيضا "محمد قلي خان الأبيض" و "محمد قلي خان الأسود". و هيا الثلاثة جيشا لغزوه.

و علم "آقا محمد خان" بأمرهم، فسار بجيش إلى مدينة "آمل" لملاقاتهم فيها. فوصلها في أول شهر جمادى الثانيه سنة ١١٩٦ هـ و في الحادى عشر من هذا الشهر وصل جيش "أمير جونه خان" و فيه اللاريجانيان، الأبيض و الأسود، إلى قرب "آمل" فعسكر هناك وقت المساء. و هيا "آقا محمد خان" جيشه ليلا على نحو عجيب من التفنن في الترتيب و الاستعداد.

و في الصباح نشبت المعركه. و سرعان ما أوقع تخطيط "آقا محمد خان" البارح البلبه في جيش عدوه. و أصابت رصاصه "أمير جونه خان" فوق عن حصانه ثم حملة رجاله إلى خارج الميدان. و كذلك أصابت رصاصه اخرى "محمد قلي خان الأبيض" فقتلته. و أسر "محمد قلي خان الأسود". و تفرق جيشهم بين قتيل و أسير و هارب. و فر "أمير جونه خان". و هو جريح. إلى "جیلان". فلما وصلها وقع طريق الأرض لا يستطيع حراكا لما نرف من دمه و ما لقي من مشقه السير. فوضعه على سرير. و ظل ملقى على السرير لا يستطيع النهوض كل حياته إلى أن مات.

و أحضر "آقا محمد خان" أسيره "محمد قلي خان الأسود" للتحقيق.

و بعد استجوابه حكم عليه بالقتل. و خيريه في طريقه قتله. فطلب أن يقتل إغراقا في ماء النهر - و "آمل" تقع على شاطئ نهر "هراز" - فأمر "آقا محمد خان" بجمع يديه و جمع رجليه، و ربط بقدميه حجرا ثقيلًا، و شد على جسمه جبلا من أحد طرفيه و أمر بالإمساك بطرفه الآخر ليبقى خارج الماء

١- يقول المؤرخ الفرنسي "جان غويه" إن هذه الكلمه ظلت بعد ذلك باقيه فى تاريخ القاجاريين تقال بلفظها العربى فى مثل هذه المواقف. من ذلك أن "فتح على شاه" لما توفى خلفه حفيده "محمد شاه". و نازعه الملك عمه "ظل السلطان" ابن "فتح على شاه". ثم ظفر به "محمد شاه" و أراد معاقبته باعماء عينيه. فقال له وزيره، و كان مقربا إليه و له يد عنده: "ارحم!". فعفا عنه. و كان ذلك فى سنه ١٢٥٠ هـ الموافق سنه ١٧٣٤.

لانتشال جثه الغريق بعد موته. و ألقى "محمد قلى خان الأسود" فى النهر.

و بعد ساعه انتشلت جثته و سلمت إلى ذويه فدفنوها فى "لاريجان" عند قبر أبيه و جده حسب وصيته.

و استولى "آقا محمد خان" على أملاك "محمد قلى خان الأبيض" و "محمد قلى خان الأسود". و انتقلت منه إلى خليفته من بعده "فتح على شاه". ثم تقاسمها من بعده أبنائه و بناته.

عنايه آقا محمد خان بالزراعه

ليس بين ملوك القاجاريين من كان معنيا بالزراعه عنايه "آقا محمد خان" بها. و كما سبق زمانه بقرن و نصف القرن فى معرفه أمور من أصول المحافظه على الصحه لم يعرفها الأوروبيون أنفسهم إلا فى هذا القرن، كذلك سبق زمانه فى معرفه أمور من علم الزراعه، لم تعرف فى أوروبا نفسها إلا بعد مده من زمانه. و هو أول من وضع علم تصنيف التربه بحسب خصائصها فى الشرق، أو، على الأقل، فى إيران. و كان يرشد الفلاحين إلى كيفية معرفه خصائص كل نوع من أنواع التربه، و زرعه بالمزروعات التى يلائمها. و إذ كان فلاحوه يزرعون أرض أملاكه حسب توجيهاته فقد كان محصولها أحسن المحاصيل فى إيران.

وضع الزنديين

فى سنه ١١٩٦ هـ ١٧٨١ م كان فى إيران ملكان يعدان من الكبار نسيبا. أحدهما "آقا محمد خان قاجار" فى الشمال و الآخر "أبو الفتح خان زند" ابن "كريم خان زند" فى الجنوب.

و كان فيها أيضا بضعه ملوك آخرين أصغر منهما. و إنما نطق عليهم صفه "ملك" لأنهم كانوا هم أنفسهم يجعلون من أنفسهم ملوكا. منهم "على مراد خان زند" فى أصفهان. و منهم من كانوا فى خراسان من الأمراء الأفشاريين النادرين الذين يدعون أن الملك حق لهم. و منهم رؤساء كانوا فى أذربيجان و "الرستان" و "فهبستان" (جنوب خراسان) و "خوزستان" يجعلون من أنفسهم أيضا ملوكا و يتسمى كل منهم باسم "ملك".

كان "أبو الفتح خان زند" لا يؤذى أحدا. و لعل السبب فى ذلك إقامته على اللهو و القصف و الشراب و المنادمه. إلا أن عمه "زكى خان زند" أخا "كريم خان زند" كان ظلما. كان حاكما على شيراز، هذا هو منصبه الرسمى. و لكنه كان يجيز لنفسه التدخل فى كل شئون الدوله. و كل ضريبه، أيا كان مصدرها، يجب أن تحول إليه، و قد حمل الناس ضرائب ثقيله. و كان "كريم خان زند" قد منع المتاجره بالخمير و صنعها. فكانت تباع فى زمانه فى السر. و قد أباح "زكى خان زند" المتاجره بها، و لكنه وضع عليها ضريبه ثقيله. و قد ساء ذلك الشيرازيين، إذ كانت شيراز تعد مدينه علميه دينيه.

و أرسل "زكى خان زند" إلى "على مراد خان زند" الذى نصب نفسه ملكا فى أصفهان رساله يأمره فيها بإرسال ضرائب أصفهان إليه فى شيراز.

فأجاب "على مراد خان زند" برساله قال له فيها "الأسد لا يعطى الجزيه لابن آوى". فغزم "زكى خان زند" على محاربتة و سار بعسكره إليه.

و صحب معه "أبو الفتح خان زند"، مع ندمائه و عشرائه و ما يحتاجه من خمور، ليبيعه عن شيراز، إذ كان يعلم أن الشيرازيين ناقمون عليه سيرته فهو يخشى أن يغتنموا فرصه غيابه فيحملوا "أبو الفتح خان زند" على عزله و إبعاده، بل قد يتمكنون من قتله. و في أثناء السير ظل "أبو الفتح خان زند" مقيما على لهوه و قصفه و سكره، يسير متثاقلا، و في الصباح ينهض من نومه مكرها مضعضعا من أثر السكر، و "زكى خان زند" يلازمه دائما لئلا يتركة و يعود إلى شيراز إذ كان يفضل عيشه اللهو على ممارسه الحرب.

فلما وصلوا إلى بلده "إيزد خواست" توقف "زكى خان زند" عندها ليجمع فرقه عسكر من المرتزقه. و دعا إليه وجوه البلده، فجاءه ثمانيه عشر رجلا- من الوجهاء اختارهم الأهالي مندوبين عنهم. فطلب منهم "زكى خان زند" تهيئه مبلغ كبير من المال ليستاجر به من يحتاجه من الجند. و لكنهم كانوا عاجزين عن تهيئه شىء من المال. و كان فيهم عالم دين. و كان شريفا شيخا كبيرا. فاعتذر هذا إليه بان الأهالي قد أدوا ما عليهم من ضرائب السنه الحاليه. فطلب "زكى خان زند" أن يؤدى إليه ضرائب السنه القادمه تسليفا. فقال له ذلك العالم إن محصول السنه الزراعى لم يثن أوان جنيه بعد و ليس فى يد الناس فضله من مال. فأجاب "زكى خان زند" بقوله إنك امرؤ طويل اللسان. و قد أمهلتكم إلى ما بعد الغد. فان لم تؤدوا إلى المبلغ المطلوب قصرت لسانك! و انقضت المهله و حل الموعد المعين و الأهالي عاجزون عن تهيئه المبلغ المطلوب. فاحضر "زكى خان زند" أولئك الرجال الثمانيه عشر فضرب أعناقهم و ألقى أجسادهم فى الصحراء. و جاء بذلك العالم الشريف الشيخ و أمر ببقر بطنه و هو حى، فبقرت و أمر بإخراج أمعائه من جوفه فأخرجت و عرضت أمام عينيه، و ظل يتلوى من الألم المبرح حتى قضى نجه. ثم أمر "زكى خان زند" بسبى زوجته و بناته و إسلامهن إلى الجند فسين.

و لكن خان على خان قائد حرسه الخاص - و كانوا كلهم من قبيله "مافى" المازندرانيه استنكر هذه الأعمال، و قال لجنوده قد رأيتم ما فعل بهذا الشريف الشيخ و كيف قتل أولئك الرجال الثمانيه عشر، و كلهم أبرياء لا ذنب لهم. و الآن، إذ وضعت فى أيديكم نساء ذلك الشيخ الشهيد، عليكم بالمحافظه عليهن و معاملتهن بالاحترام اللائق بسليلات البيت النبوى.

فعاذه الجنود على أن يتجنبوا كل عمل يغضب الله تعالى.

و فى المساء، إذ كان "زكى خان زند" جالسا إلى سفره العشاء، علم بما قاله "خان على خان" لجنوده، فاستدعاه إليه، و هو لا يزال جالسا إلى السفره، و قال له: لقد علمت بما قلته للجنود فى شان نساء الشريف الايزد خواستى. و لكن أقسم بهذه النعمه - و أشار بيده إلى الخبز - إن لم تنفذوا أمرى هذه الليله قتلتك أنت و كل الضباط المافيين.

و خرج "خان على خان" من حضرته، و أخبر رفاقه من الضباط بما قاله. و تواطوا كلهم على قتل "زكى خان زند". فلما آوى إلى فراشه و أغفى انسلوا إلى خيمته و قتلوه ضربا بالسيوف. ثم خرجوا من المعسكر و ساروا فى طريق أصفهان، و توقفوا غير بعيد عن "إيزدخواست" ينتظرون ما يكون من "أبو الفتح خان زند" حين يستيقظ من نومه و يعلم بمقتل "زكى خان زند". فان تبينوا أنه يعفو عنهم عادوا إليه و إلا تابعوا سيرهم و التحقوا بعلى مراد خان زند فى أصفهان.

و أصبح الصباح و "أبو الفتح خان زند" لم يفق بعد من سكره و نومه.

و ظل نائما إلى الظهر. فلما أفاق أخبروه بان الضباط المافيين قتلوا "زكى خان زند". فقال: رحم الله آباءهم إذ أراحوني من الذهاب إلى أصفهان و محاربه على مراد خان زند. ثم أمر العسكر بشد الرحال و العوده إلى شیراز.

و فى شیراز أقام "أبو الفتح خان زند" على شربه و ندمائه لا يضايقه اليوم شىء من "زكى خان زند". و كان له عم آخر اسمه "صادق خان زند" هارب من أخيه "زكى خان زند" يقيم فى "كرمان". فلما بلغه خبر مقتل أخيه هذا عاد إلى شیراز. و إذ كان "أبو الفتح خان زند" لا طاقه له بالقيام بشئون المملكة، فقد أقام عمه صادق خان زند "هذا معاونا له.

و لكنه فى الواقع أصبح هو الملك إذ كان كل شىء فى يده و ليس ل "أبو الفتح خان زند" من الملك غير العنوان.

أما الضباط المافيون قتله "زكى خان زند" فقد أحجموا عن الالتحاق ب "أبو الفتح خان زند" إذ علموا أن "صادق خان زند" يصبر على محاكمتهم و معاقبتهم لاقدامهم على قتل أخيه. و لذلك ذهبوا إلى أصفهان و التحقوا ب "على مراد خان زند".

و لم يتخذ "أبو الفتح خان زند" لنفسه عنوان "الشاه"، شانه فى ذلك كشان أبيه "كريم خان زند". و لكنه كان يحيط نفسه بكل التشريفات الشاهانية.

و كان "صادق خان زند" امرأ صلبا متشددا، فكان لا ينفك يلموم "أبو الفتح خان زند" على إدمانه الشراب، و لكنه لا يرتدع. فعزم "صادق خان زند" على خلعه من منصب ملك الجنوب من إيران و الاستيلاء على هذا المنصب لنفسه. و أراد تهيئه الرأى العام "رجال الدين و وجهاء المجتمع لتقبل هذا الأمر. فدعا جماعه منهم إلى المنزل الذى فيه مجلس شراب "أبو الفتح خان زند" و أجلسهم فى مكان مخفى يرون منه مجلس الشراب. و كان الملك و ندمائه عاكفين عليه. فلما رأوا ما يجرى فى هذا المجلس من شرب و سكر و مجون و سخافات قاموا و انصرفوا و هم يقولون إن رؤيه هذه المناظر أمر لا نقدر عليه.

و من ذلك اليوم اشتهر من ألسن أولئك التقاه فى طول شیراز و عرضها ما كان مستورا من مجون "أبو الفتح خان زند" و استهتاره و سخافته، فنفر منه الشيرازيون و كرهوه. و أصبحوا متهيئين لتقبل تنحيته عن سرير الملك و إجلاس "صادق خان زند" فى مكانه.

و فى صباح يوم من الأيام أرسل "صادق خان زند" المنادين ينادون فى أنحاء المدينه بخلع "أبو الفتح خان زند" و إقامه "صادق خان زند" على سرير الملك. ثم اتخذ هذا لنفسه اسم "صادق شاه".

هجوم على مراد خان زند على شیراز

و أرسل "صادق شاه"، على حسب العاده المتبعه يومئذ، رسائل إلى حكام الولايات يخبرهم فيها بخلع "أبو الفتح خان" و توليه الملك، و أن طاعتهم، من الآن فصاعدا، تكون له، و الضرائب تجبى إليه. و كان فى من أرسل إليه بذلك "على مراد خان زند". و كان هذا حاكما على أصفهان و يسيطر على المدن الواقعه بين أصفهان و طهران. و قد استطاع أن يوسع حدود ملكه إلى همذان و کرمانشاهان. و لكنه تجنب التعرض لشیراز أيام كان "أبو الفتح خان زند" يملك على جنوب إيران، و لم يفكر فى تنحيه هذا عن العرش، إذ كان يعده الوارث القانونى للتاج.

فلما خلع "أبو الفتح خان زند و تولى الملك "صادق شاه" نوى أن يغزو شیراز و يستخلص ملك الجنوب لنفسه و يضم جنوب إيران إلى الولايات المركزيه التى يسيطر عليها. و لما وصلتته رساله "صادق شاه" غضب و عزم على التعجيل بإنفاذ نيته. فجهز جيشا كثيفا قيل إن عدته كانت ثلاثين ألفا و قيل أربعين ألفا. و انطلق به إلى شیراز فحاصرها فى سنه ١١٩٦ هـ.

و كان حصارا رهيبا قطع فيه "على خان زند" الماء عن شیراز، و نفذ ما عند أهلها من طعام و وقعوا فى مجاعه هائله. و مات الألو ف من الجند المدافع و الأهالى المدنيين قتلا و جوعا.

و فى أول شهر المحرم سنه ١١٩٧ هـ. اضطر "صادق شاه" إلى التسليم، و تعهد له "على مراد خان زند" بان لا يمس أحدا من أهالى شیراز بسوء و أن لا يوقع به و لا بأحد من ذويه و أبناؤه و لا ب "أبو الفتح خان" و لا بأحد من ذوى "كريم خان زند" شيئا من العقوبه على الإطلاق.

و دخل "على مراد خان زند" إلى شیراز فى ثانى شهر المحرم سنه ١١٩٧ هـ. (١) و لكنه لم يف بتعهده ل "صادق شاه". فقد بادر بالأمر باعتقاله و اعتقال ابنه "على نقى خان" و "أبو الفتح خان" الشاه السابق ابن "كريم خان زند" و كل أقرباء "كريم خان زند". و أباح البلده لجنوده يهبونها. ثم أمر بقتل "صادق شاه" فقتل، و إعماء ابنه "على نقى خان" و إعماء "أبو الفتح خان زند" و إخوته فاعموا. (٢)

محاصره آقا محمد خان طهران

يوم كان "على مراد خان زند" يحاصر شیراز كان "آقا محمد خان" يحاصر طهران. فقد كان ينوى احتلالها و جعلها عاصمه لملكه من زمن بعيد. فلما سمع أن "على مراد خان زند" سار إلى شیراز و أنه مشغول بمحاصرتها و أن غيبته هذه فى إقليم فارس ستطول عزم على اغتنام الفرصه و احتلال طهران، و كانت فى يد "على مراد خان زند" و عليها حاكم من قبله اسمه "غفور خان".

جهز "آقا محمد خان" جيشا من خمسه و ثلاثين ألف جندى و سار به إلى طهران. فحاصرها. و فيما هو يحاصرها وقع فى عسكره وباء "الكوليرا". و أشار عليه طبيبه بالابتعاد عن طهران و إلا أعدى. فغادر معسكره و فر إلى نواحى "دامغان" فأقام فى ناحيه تسمى ششمه على".

و ظل جيشه يحاصر طهران بقياده إخوته.

ص: ٢٨

١- ذكر "مهدى بامداد" فى كتابه "شرح حال رجال إيران" أن "على مراد خان زند" فتح شیراز سنه ١١٩٦ هـ و دخلها بعد احتلال جنده لها باربعه أيام. و كان دخوله يوم الخميس ٢٢ ربيع الأول من تلك السنه.

٢- ذكر "مهدى بامداد" فى كتابه "شرح حال رجال إيران" فى ترجمه "صادق خان زند" أن "على مراد خان زند" لما تغلب على "صادق خان زند" تحصن هذا فى القلعه التى يسكنها فى شیراز. و بادر إلى إصدار أمر باعماء أبناء أخيه "كريم خان

زند"، و هم "أبو الفتح خان" و "محمد على خان" و "إبراهيم خان"، و كانوا مسجونين فاعموا. و بعد يومين من هذا الحادث أمر "على مراد خان"، و كان قد احتل شيراز، "أكبر خان زند" ابن "زكى خان زند" باعماء "صادق خان زند" و ابنه "على نقى خان" و "نقى خان" فأعماهم. و بعد بضع ساعات من إعمائهم قتلهم ثلاثتهم.

إلا أن الوباء فشأ في العسكر حتى اضطر "آقا محمد خان" إلى الإيعاز إلى إخوته بترك الجنود المرضى في أمكنتهم و الابتعاد بالجنود الأصحاء عن طهران. ففعلا. و قد مات أكثر المرضى من العسكر و نجح العلاج في قليل منهم.

و كانت طهران في مجاعه لانقطاع الأغذيه عنها بسبب الحصار. فلما ارتفع الحصار عنها بادر "غفور خان" حاكمها إلى فتح بواباتها لجلب الأغذيه إليها. و لكن دخل إليها مع الأغذيه الوباء أيضا. و كان من أوائل الذين أصيبوا به "غفور خان" فقضى نخبه [نخبه]، فتولى مكانه ابن أخ له اسمه "محمد خان".

و هجر كل من استطاع المهاجره من الطهرانيين بلدتهم. و استمر الوباء متفشيا فيها إلى سنه ١١٩٧ هـ. الموافق سنه ١٧٨٢ م، إذ حل فصل الخريف و برد الهواء. و انقطع الوباء، فعاد المهاجرون من طهران إليها.

و لكن دهمهم الشتاء و ثلوجه و هم غير مستعدين له بما اعتادوا الاستعداد به من الوقود و وقعوا من ذلك في مضيعه عظيمه.

و هكذا أعجز الوباء "آقا محمد خان" عن الرجوع من "ششمه على" إلى طهران و احتلالها. بعد انقضاء المرض كان الوقت المناسب لتجيش الجيش قد فات بسبب حلول فصل الشتاء. فترك "آقا محمد خان" محله "ششمه على" قاصدا مازندران على أن يعاود الهجوم على طهران لاحتلالها حين ارتفاع البرد و اعتدال الهواء.

أما "على مراد خان زند" فحين بلغه نبا غزو "آقا محمد خان" و هو يحاصر شيراز ظل مطمئنا إلى اقتدار حاكمها من قبيله "غفور خان" على المقاومه و رد المهاجم. و عزم على إنجاده بجيش قوى بعد الاستيلاء على شيراز.

و بعد استيلائه عليها و قتله من قتل و إعمائه من أعمى عهد بحكومتها إلى أحد معتمديه و عاد منها إلى أصفهان. و إذ دهمه فصل الشتاء ببرده و ثلوجه فقد تريت ينتظر فصل الدفء. فلما اعتدل الهواء سار بجيشه إلى طهران.

و هناك أنعم على حاكمها "محمد خان" جزاء ما أبداه هو و عمه "غفور خان" من شجاعه و أقطع أبناء "غفور خان" أرضا في فارس ليكونوا بعيدين عن مجال حروب "آقا محمد خان".

و كانت خطه "على مراد خان زند" الاستيلاء على "جيلان" و "مازندران" و "أستراآباد" و ضمها إلى أقاليم ملكه. و كان مال "آقا محمد خان قاجار" هناك من قدره يحول بينه و بين غايته هذه. و إلى هذا كانت الولايات المركزيه التي في يده دائما معرضه لغارات "آقا محمد خان". فقرر "على مراد خان زند" القضاء عليه بالاغاره عليه من أكثر من ناحيه واحده.

و أخذ يجمع حوله الناقمين على "آقا محمد خان" من الذين صادر أموالهم و ألحق بهم الأذى في مختلف النواحي. و أوكل "على مراد خان زند" إلى ابنه "الشيخ ويس" مهمه تدريبهم على الأعمال العسكريه.

ثوره بسبب اللحي

لما أمر "على مراد خان زند" ابنه "الشيخ ويس" بتهيئه حمله يقوم بها على "آقا محمد خان" ذهب إلى "مازندران" لهذه الغايه. و كان الرجال في "مازندران" و "أستراآباد"، بل النساء أيضا، غاضبين على "آقا محمد خان". و ذلك لسبب قد يبدو لنا

مضحكا لا أهميه له. و لكنه كان فى تلك الأيام أمرا مهما.

كان "آقا محمد خان" أمعط الوجه، بلا لحيه و لا شاربين، إذ كان خصيا. و للحيه يومئذ فى إيران مقام كبير. و يعدون حلقتها مثله. و لذلك كان الرجال يطلقون لحاهم و يعتزون بها و يعدونها من مظاهر الرجوله و التفوق. بل كانت النساء يحتقرن الرجل حليق اللحيه. و الشبان المرد لا ينفكون يشتاقون الساعه التى تنبت فيها لحاهم ليتنظموا فى سلك الرجال.

و لهذا كان "آقا محمد خان" يشعر بالحقاره و النقصان، إذ هو لا له لحيه و لا شاربان. و كان يرى ملاحين من الروس فى ترددهم على سواحل الشمال من إيران و هم ينقلون البضائع التجاريه المتبادله على البواخر، و هم حليقون بلا لحي و لا شوارب. فاستنتج من ذلك أن الروس لا يعدون فقدان اللحيه و الشاربين نقصا فى الرجل يستلزم الاحتقار و السخرية، كما هى الحال فى إيران. فأراد "آقا محمد خان" أن يحمل الايرانيين على اتباع هذا العرف ليصون نفسه من الاحتقار و السخرية. و يتساوى هو و غيره من الرجال فى فقدان اللحيه و الشاربين. و قد سبق أن أقدم رجال الديوان الرسمى فى عهد الشاه "عباس الأول" الصفوى و خلفائه على حلق لحاهم من غير أن يصبحوا لذلك موضع الاحتقار و السخرية.

و لذلك أمر "آقا محمد خان" بان يحلق الرجال لحاهم، مقتديا بما فعله "بطرس الأكبر" قيصر روسيا قبله بثمانين عاما. و لكن بفارق، هو أن "بطرس" جعل حلق اللحي إجباريا، أما "آقا محمد خان" فقد خير الرجال بين أن يحلقوا لحاهم و بين أن يؤدوا ضريبه عليها إذا أرادوا إطلاقها.

و أمهلهم شهرين ليتخذ كل منهم قراره، هل يحلق أو يؤدى الضريبه؟ و جعل مقدار الضريبه متفاوتا على سته مقادير، بحسب حاله الرجل المالىه. و أقلها كان الضريبه المفروضه على لحي القرويين. و كانت مقادير ثقيه، حتى ما فرض على القرويين كان فوق طاقتهم.

و للخلاص من هذه المحنه لجأ الرجال إلى رجال الدين و جعلوهم وسيلتهم إلى "آقا محمد خان" ليعفيهم من هذه الضريبه. فكتب هؤلاء إليه رساله ذكروا فيها أن استيفاء هذه الضريبه غير جائز فى الشرع، و أن الله تعالى إنما فرض الزكاه على الأموال لا على أعضاء جسم الإنسان.

و وصل "الشيخ ويس خان زند" ابن "على مراد خان زند" إلى "مازندران" و شرع فى تهيئه الحمله على "آقا محمد خان" حين كان جباه الضريبه الجديده قد بدءوا عملهم. و كانت طريقتهم فى الجبايه أن يجلس بضعه رجال منهم فى نقاط معينه من كل مدينه، و يؤتى إليهم بكل رجل ملتج، فيجبرونه على أداء ضريبه اللحيه أو يحلقون لحيته إذا رفض أداءها.

و كان الرجال يصعب عليهم أن توقع بهم مثله الحلق و يصبحوا موضع احتقار نساءهم، فيضطرون إلى تحميل أنفسهم فوق طاقتها بتاديه الضريبه أو استقراض المال إن كانوا معدمين لتأديتها. ثم يعطون إيصالا يثبت أنهم أدوا الضريبه.

و ضج الناس بالشكوى من "آقا محمد خان" و اشتغلوا بالغضب

عليه، و تمنى كل إنسان القضاء عليه. و لذلك اتبعوا "الشيخ ويس خان زند" و انقادوا إليه و حملوا السلاح معه و تهيئوا للثوره علي "آقا محمد خان".

و إذ رأى "آقا محمد خان" نفسه في هذا الحرج اضطر إلى إلغاء أمره بشأن اللحى و أخلى مراكز الجبايه من الجباه.

و حين ألغى هذا الأمر كان المازندرانين قد ثاروا و جيش "الشيخ ويس خان زند" يقترب مسرعا من مدينه "سارى" و الناس يتقاطرون إليه للالتحاق به من كل نواحي "مازندران" لمحاربه "آقا محمد خان". و قد قتلوا في بعض مراكز الجبايه فريقا من جباه ضريبه اللحى. و في نواحي أخرى هاجموا أنصار "آقا محمد خان". و ضاق الفضاء علي "آقا محمد خان" حتى اضطر، علي شجاعته، إلى الفرار من "سارى"، فاحتلها "الشيخ ويس خان زند". و لم يتمكن "آقا محمد خان" بعد فراره من البقاء في "مازندران" فغادرها إلى "أستراآباد". و قيل إنه فر من "سارى" متسترا بلباس النساء، إذ لم يكن قادرا علي الظهور، و كل من في "مازندران" متعطش إلى دمه و دم جنوده.

و لما وصل إلى "أستراآباد" أبلغ أعيانها و مخاتيرها أنه ألغى ضريبه اللحى، و بعث المنادين ينادون في الناس بذلك، و أن ملتجيا لن يجبر بعد الآن علي أداء ضريبه عن لحيته. و بذلك اطمان الأستراآباديون و ركنوا إلى السلام و انصرفوا عما كانوا يعدونه من أسباب الثوره علي "آقا محمد خان".

اختلاف الاخوه

فلما اطمان "آقا محمد خان" إلى هدوء الوضع في "أستراآباد" أراد الاستنجد بأبناء طائفته و التركمان. و لكن مهمته هذه كانت صعبه. فحين وصل إلى "أستراآباد" لم يكن معه غير عدده قليله من الرجال. و كانت حاله حين وصلها تشبه حاله حين وصل طهران فارا من شيراز بعد وفاه "كريم خان زند"، سوى أنه وصل إلى طهران يومئذ وحده و وصل إلى "أستراآباد" اليوم و معه جماعه قليله من الرجال.

و قد استطاع إخوته الذين كانوا معه في "مازندران" الفرار أيضا سوى اثنين منهم هما "مرتضى قلى خان" و "رضا قلى خان". و لما تبين هذان أن الناس سيقتلونهما إن وقعا في أيديهم التحقاب "الشيخ ويس" و وضعا أنفسهما في خدمته و طعنا في "آقا محمد خان" عنده، و قالوا له إنهما كانا ينويان قتله و لو لم يبادر إلى الفرار لقتلاه. و أنهما الآن يتجندان في جيش الزنديين، ليحاربا "آقا محمد خان". فقبلهما "الشيخ ويس خان زند" و نصبهما آميرين علي قسم من جيشه.

مهاجمه الزنديين لأستراآباد

بعد أن سيطر "الشيخ ويس خان" ابن "علي مراد خان زند" علي "مازندران" عزم علي سوق جيش إلى "أستراآباد" للقضاء علي "آقا محمد خان قاجار". فجهز جيشا جعل علي قيادته "محمد ظاهر خان زند" و أرسله يهاجم "أستراآباد" و بقى هو في مدينه "سارى".

و "محمد ظاهر خان زند" هذا هو الذى سبق أن قتل في شيراز الأميرين القاجاريين "عيسى خان" و "موسى خان" حين أراد

الفرار من شيراز و الالتحاق ب "آقا محمد خان" لما فر من شيراز بعد أن تحقق من موت "كريم خان زند". و سار "محمد ظاهر خان زند" بجيشه قاصدا "أسترآباد". و كانت عده جيشه ثلاثين ألف جندي. أما "آقا محمد خان قاجار" فيقول مؤرخو العهد القاجارى الايرانيون إنه استطاع أن يجند مائه ألف تركمانى.

و هو رقم نقطع بأنه مبالغ فيه، لأن جميع من كان فى "أسترآباد" و الصحراء التركمانيه من التركمان لم يكن يبلغ يومئذ هذا المقدار. و لا كان "آقا محمد خان" يومئذ على قدر من التمول يمكنه من الإنفاق على هذا الجيش. و لا نستطيع اليوم أن نخمن عده جيشه. و لكننا نقطع بأنها لم تبلغ إلى ثلاثين ألفا، أى عده جيش الزنديين. و مع ذلك كان "آقا محمد خان" يتفوق على "محمد ظاهر خان زند" فى أصول قياده الجيش و تنظيم تحركاته، لأنه كان عارفا بكل شبر من أراضى "أسترآباد" خبيراً بطبيعتها و تحصيناتها، ففيها مسقط رأسه و فيها قضى أيام طفولته و شبابه، على حين كان "محمد ظاهر خان زند" و جنوده يجهلون كل شىء عنها.

و رأى "آقا محمد خان" أن مدينه "أسترآباد" لا تصلح للتحصن فيها. فقرر الخروج منها و ملاقاته الجيش المهاجم فى خارجها. و بعد خروجه من المدينه، أرسل فرقه من فرسان التركمان بقياده عسكري شجاع فطن منهم اسمه "حمزه سلطان أنزاني" و أمره باختراق أحد جناحي الجيش الزندى و الانطلاق إلى ما وراء هذا الجيش و التمرکز فى مكان مناسب على نحو يقطع خط الرجعه على الجيش الزندى إذا أراد التراجع.

فكر "حمزه سلطان أنزاني" على الجناح بحمله شديده فشقه و بعثره و نفذ إلى ما وراء الجيش الزندى و سار حتى وصل إلى خندق حربى كان الشاه "عباس الصفوى الكبير" قد حفره هناك لأغراض عسكريه، فتمركز فيه.

و أصبح جيش "محمد ظاهر خان زند" محصوراً بين جيش "آقا محمد خان" من أمامه و عسكري "حمزه سلطان أنزاني" من ورائه.

و حينئذ تقدم "آقا محمد خان" مهاجماً و معه ستة عشر مدفعاً. و أظهر "محمد ظاهر خان زند" شجاعه فائقه فى المقاومه، و لكن مدافع "آقا محمد خان" من جهه و رشاقه التركمان و سرعه حركاتهم فى الكر و الفر من جهه أخرى جعلت شجاعه القائد الزندى و جنوده بلا-فائده، حتى التحم الفريقان يتحاربون بالسلاح الأبيض، و تفوق جيش "آقا محمد خان" و أخذ عسكري الزنديين يستسلم جماعه جماعه، و وقع "محمد ظاهر خان" نفسه أسيراً و انتهت المعركه بانتصار "آقا محمد خان".

ثم عاد "آقا محمد خان" إلى "أسترآباد". و هناك قتل أسيره محمد ظاهر خان زند.

فرار الشيخ ويس خان زند و إعمائه

و بعد أن حصل "آقا محمد خان" على هذا النصر سار من "أسترآباد" إلى "مازندران". و كان "الشيخ ويس خان زند" فى مدينه "سارى" فرأى أنه لا-قبل له ب "آقا محمد خان" و جنوده، فغادر "سارى" إلى طهران حيث كان يقيم أبوه "على مراد خان زند"، فأنبه أبوه على هزيمته ثم تفارقا و لم يلتقيا.

و أمر "علی مراد خان زند" أحد أمراء الزنדיين، "رستم خان"، بسوق جيش إلى "مازندران" لاستئصال "آقا محمد خان"، و
أمله بان المازندرانيين سيهبون إلى مساعدته لكرههم "آقا محمد خان". فان لم يفعلوا

ص: ٣٠

أكرههم على المساعدة بالقوه، يجبار رجالهم على التجند و مصادره أموالهم.

و قد تسرع فى إصدار هذا الأمر على غير تدبر لما استولى عليه من غضب و هياج.

فقد غضب المازندرانىون على "آقا محمد خان" بسبب ضريبه اللهى، و قد رفعها عنهم و زال غضبهم عليه. و هم فقراء لا يستطيعون المساعدة.

و مصادره أموالهم سيجعل منهم أعداء للزندان لا نصراء لهم. و من جهة أخرى كان "آقا محمد خان" قد استولى على كل "مازندران" و تمكن من السيطرة عليها، و يتعذر التمرد عليه. فانفاذ أمر "على مراد خان زند" غير ممكن إلا بمعجزه.

و لما وصل "رستم خان" إلى "مازندران" لم يجد أموالا- للمصادره غير مواشى الفلاحين، فصادرها. و أجبر الرجال على التجنيد، فكانوا يفرون من وجهه فعمم أمرا على القرى أن كل من فر من الجنديه تسبى نساؤه و يقتل أبناؤه.

و لما قرب "رستم خان" من "سارى" خرج "آقا محمد خان" إلى ملاقاته. و لما حمل جنده على جيش الزندانين بادر من فيهم من المازندرانين الذين أجبروا على التجند إلى إلقاء أسلحتهم و الاستسلام لجيش "آقا محمد خان". و لم يستطع من بقى مع "رستم خان" الثبات فتضعضوا و تفرقوا سريعا و أسر فريق منهم، و لما يمض على بدء المعركه غير ساعات قليله. و فر "رستم خان"، و لكنه لم يجرؤ على العوده إلى طهران و مواجهه "على مراد خان زند" منكسرا، و قد رأى بعينه كيف استقبل هذا ابنه بعد عودته إليه منكسرا. فذهب إلى أصفهان.

و رأى المازندرانىون فى "آقا محمد خان" منقذا لهم فعادت نعمتهم السابقه عليه حبا له. و زادهم حبا له أنه وضع فى أيديهم ما غنمه من "رستم خان"، و فيه المواشى التى صودرت منهم فاستعادوها. و لم يسبق أن وهب عسكري منتصر غنائمه للناس و أعاد إليهم ما خسروه فى الحرب. فأخذوا يدعون له فى المساجد بالسلامه و النصر و طول العمر.

و أبلغ ضباط جيش "رستم خان" و جنوده المنهزمون حين عادوا إلى طهران "على مراد خان زند" نبا الهزيمة. و كان هذا مريضا بداء السكر.

فاشتد به المرض لما ركبه من غم هذا الخبر المشؤم.

و زاده غما على غم نبا آخر وصله بان حاكم أصفهان من قبله قد عصى و خرج عليه. فعزم "على مراد خان زند" على السير إلى أصفهان لقمع الحاكم المتمرّد. و بعد مسيره ثلاثه أيام عجز عن مواصلة ركوب الخيل بسبب مرضه. فحمل على "تخت روان" مسطحا على ظهره. و لكنه لم يلبث أن عجز عن البقاء منسطحا لأورام نبتت فى ظهره فاضطر إلى البقاء منبطحا على وجهه. فلما وصل إلى قصبه اسمها "مورشه خورت" فى نواحي أصفهان أغمى عليه. و لم يفق بعد ذلك من إغمائه قط إلى أن مات فى الثانى عشر من شهر رمضان سنه ١١٩٨ هـ.

و بموته استراح "آقا محمد خان" من خصم عنيد. و لعل "آقا محمد خان" لم يكن مستطيعا الوصول إلى منصب الملك لو ظل "على خان زند" حيا، لما اتصف به من ثبات و رباطه جاش و قوه إرادته.

و كان الأمراء الزنديون في حياته مضطرين إلى الخضوع له لتفوقه عليهم. فلما مات حدث بينهم ما حدث بعد وفاه "كريم خان زند"، فعادوا إلى التناوب والتدابع. فيما بينهم. و كل من طالت يده أحدا منهم قتله أو أعماه. من ذلك أن "جعفر خان زند"، و كان قد حصل في شيراز على شيء من الاقتدار، اعتقل "الشيخ خان زند" ابن "علي مراد خان زند" فأعماه، مع أن "الشيخ ويس خان زند" كان ابن عمه، و لم يكن يطلب لنفسه شيئا من شئون السيطره و الحكم، و لا طامعا في شيء منها. و لكن "جعفر خان زند" احتمل أن يأتي يوم تحدته نفسه فيه بطلب الملك فيصبح عائقا في طريقه، فأقدم على اعماء هذا الشاب و هو في إبان شبابه و وسامته.

مصير أخوي آقا محمد خان

مر أن "الشيخ ويس خان زند" لما تغلب على "آقا محمد خان" أيام ضريبه اللحي، و فر هذا من مازندران إلى "أسترآباد"، التحق أخوه "مرتضى قلى خان" و "رضا قلى خان" بالشيخ ويس خان زند و حصلوا منه على منصب في الجيش.

فلما تغلب "آقا محمد خان" على "الشيخ ويس خان زند" في معركة "أسترآباد" و فر هذا إلى طهران تواري أخوا "آقا محمد خان" عن الأنظار، و ذهب "مرتضى قلى خان" إلى "خمسه" و منها إلى "تبريز". ثم ذهب من هناك إلى روسيا فبقى فيها إلى أن مات هناك. و مضى أخوه الآخر "رضا قلى خان" إلى خراسان ليلتحق بالشاه الأعمى "شاه رخ أفسار"، و كان لا يزال يحكم في خراسان. و لم يكن لآقا محمد خان يومئذ شيء من السلطان على خراسان، فامل "رضا قلى خان" أن يكون هناك بعيدا عن متناول يده.

و لكن "شاه رخ شاه" لم يطمئن إليه فجافاه و أبعده عنه، و قال لحاشيته إن من خان أخاه جدير بان يكون أكثر جراه على خيانتى. و إذ قطع "رضا قلى خان قاجار" أملة من "شاه رخ شاه"، و كانت صلته بأخيه مقطوعه فقد ضاق به أمر معاشه فأرسل رساله إلى أخيه "آقا محمد خان" أعلن فيها بتوبته و ندامته على ما كان منه و التمس منه العفو و المسامحه. و لكن "آقا محمد خان" لم يجبه على رسالته.

و كان "رضا قلى خان" قد اتفق له أن تعلم في شبابه صنعه لم تكن يومئذ تليق بالأمراء، و هى صنعه النقش على المعادن بالحفر. فعزم على أن يتعيش منها. و لكن كان عليه لممارسه صنعته أن يجلس إلى دكه صغيره مكشوفه للريح و الشمس كما هى حال أصحاب هذه الصنعه يومئذ. و إذ كان معروفا في مشهد، و كان جلوسه هذا المجلس يعرضه لسخرية الناس لأن اتخاذ الأمراء لأنفسهم صناعه يدويه كان يعد عارا في الشرف يومئذ، فقد رأى أن يمارس صنعته و يتعيش منها في مكان لا يعرفه فيه أحد.. فخرج من مشهد و ذهب إلى مدينه "هرات" حيث يجهل الناس من هو، و اتخذ مجلسا في مقبره اعتاد أصحاب هذه الصنعه و الذين يتعاطون مهنة كتابه الرسائل و العرائض للناس أن يجلسوا فيها، و أخذ يمارس صنعته. و ظل في هذا العمل مده سبع سنوات. و بعدها عفا عنه "آقا محمد خان قاجار" و أمده بمال و دعاه إلى الحضور إلى طهران.

عندئذ عهد "رضا قلى خان" بدكانه إلى أجير كان عنده و اشترى حصانا و مضى إلى مشهد ليذهب منها إلى طهران. فلما وصل إلى مشهد وعك، و كان فصل الشتاء أيضا قد حل فتعذرت عليه مواصلة السفر و مكث في مشهد و سكن في بيت عاش فيه وحده و تقوم بخدمته امرأه عجوز. ثم

قضى نحبه هناك ولا يعرف أين دفن. وحين توفي كان أخوه "آقا محمد خان" قد أصبح ملك إيران و جعل طهران عاصمه له. إلا أن "شاه رخ شاه أفشار" الأعمى كان لا يزال يحكم فى خراسان.

محاصره طهران ثانى مره

يوم عزم "آقا محمد خان قاجار"، بعد انتصاره فى "مازندران"، على غزو طهران، و عزم "على مراد خان زند"، و هو مريض بداء السكر، على الخروج من طهران إلى أصفهان، عين هذا حاكما على طهران اسمه "محمد خان"، و هو ابن أخى "غفور خان" الذى مر ذكره فى حصار "آقا محمد خان" لطهران أول مره.

و قد لقي الطهرانيون فى ذلك الحصار الأول أهوالا من المجاعه التى وقعت فى مدينتهم و مات جماعه منهم جوعا. و فى سنه ١١٩٩ ه عادوا فوقعوا مره أخرى فى حصار "آقا محمد خان". و ما بين اليوم الذى قتل فيه "نادر شاه أفشار" و اليوم الذى استقوى فيه "آقا محمد خان" و تمكنت سيطرته لقيت طهران كثيرا من المشقات و المخاطر. فموقعها الجغرافى كان يعرضها فى المحاربات التى حدثت فى تلك الحقبه لغزوات متتابعه. فهى لا تنفك متداوله من يد إلى يد. و فى كل محاربه و كل محاصره يموت فريق من الطهرانيين بالقتل أو بالجوع أو بالمرض.

و بعد هلاك "على مراد خان زند" فى "مورشه خورت" التى هى من أعمال أصفهان أصبح "جعفر خان زند" مقدا بين أمراء الزنديين، و استطاع الحصول على قدر من القوه بقتل بعض من يخشى منافستهم و إعماء بعض آخر منهم، و فيهم "الشيخ ويس خان زند" ابن "على مراد خان زند" كما مر.

ثم دعا "جعفر خان زند" من بقى من الأمراء الزنديين إلى الاجتماع فى أصفهان. أرسل إليهم رساله أقسم لهم فيها أنه لا ينوى قتل أحد منهم و لا- إلحاق شىء من الأذى بهم على الإطلاق. و إنما مراده إنشاء عهد جديد من التفاهم و التأخى بين الأمراء الزنديين.

و أجاب هؤلاء دعوته و اجتمعوا فى أصفهان. فدعاهم "جعفر خان زند" إلى نسيان الماضى و جمع كلمتهم. و قال لهم إن الشقاق و التقاطع هو الذى أضعفهم حتى آل أمرهم إلى أن تطلع إلى منصب الملك خصى قاجارى لا يعد رجلا بين الرجال و لا امرأه بين النساء، و حزم أمره على منابذتهم و القضاء عليهم، مع أنهم هم ورثه ملك إيران.

و أطال الكلام و ضرب الأمثله فى هذا الموضوع. و عاهدهم على أن ينعم عليهم بارفع المناصب لا ينتزعها منهم ما دام حيا، إن هم ساعدوه فى الوصول إلى عرش الملك. فأجابوه بالسمع و الطاعه. و شرع هو فورا باعداد مراسيم تعيينهم فى مناصب مختلفه من الحكم.

و بعد بضعه أيام دعاهم مره أخرى و شرح لهم خطته إلى غايته.

و قال: نحن الآن نملك من طهران إلى ساحل الخليج. و لكن "جیلان" و "مازندران" و "أسترآباد" خارجه عن أيدينا. و فى خراسان تحكم الأسره النادرية. و خطتى هى احتلال أرض إيران كلها و إيكال حكومه كل من ولاياتها إلى أمير من أمراء

الزنديين. و ليس لنا منافس قوى سوى آقا محمد خان الخصى. فعلينا إخضاعه و القضاء عليه. فأجابه أحدهم، "نجف خان زند"، باني حاصر لمحاربه "آقا محمد خان قاجار" و حمل رأسه إليك. فعهد إليه "جعفر خان زند" بقياده جيش، و فوض إليه أن يفعل كل ما يراه مناسباً للحصول على النصر.

و سار "نجف خان زند" بجيشه من أصفهان قاصداً "مازندران" ليعاجل "آقا محمد خان" بالهجوم قبل أن يتحرك هذا إلى إنقاذ خطته بالهجوم على الولايات المركزيه. و فى أثناء سيره أوقع بسكان القرى مظالم كثيره إذ كان يسلب منهم الطعام لجنده و العليق لدوابه، فلا يجرون على الاعتراض.

و لما وصل "نجف خان زند" إلى كاشان "بلغه أن" آقا محمد خان "قد حاصر طهران. فعزم على مهاجمته ليحصره بين نارين، الجيش المدافع عن طهران و هو تابع للزنديين، و جيشه المهاجم من خارجها.

و كان "آقا محمد خان" قد حاصر طهران فى شهر ربيع الأول سنة ١١٩٩ هـ. و هو لا- ينفك يتحرى أخبار الزنديين و الاحتياط لنفسه منهم.

فلما بلغه مسير "نجف خان زند" إليه تنبه لخطر انحصاره بين الجيش المدافع و الجيش المهاجم. فترك قسماً من جيشه على حصار طهران و سار بقسم آخر إلى ملاقه "نجف خان زند" بعيداً عنها، ليتفادى الانحصارين الجيشين العدوين.

محاصره قم و ثوره القميين

و سار "آقا محمد خان" من طهران قاصداً "نجف خان زند" فى "كاشان". و كانت طريقه على مدينه "قم". و كان يتوقع أنه، بعد اجتيازه "قم"، سيجد "نجف خان زند" فى نواحي مدينه "كاشان".

و لكنه حين وصل إلى "قم" وجد أبوابها مغلقه، و أن "نجف خان زند" متحصن فيها. و ذلك أن "نجف خان زند" إذ كان ماضياً فى إنفاذ خطته و متابعه السير إلى طهران، بوغت، على غير توقع، بمسير "آقا محمد خان قاجار" إليه، فاضطر إلى تغيير خطته تغييراً مرتجلاً- و ذلك بالتحصن فى "قم". فدخلها و تحصن فيها على غير استعداد. و لذلك أعوزته المئونه اللازمه. فصادر كل ما وقعت عليه يده من أرزاق القميين، و أوقع بالأهالى مظالم فاحشه. و وقعت مجاعه شديده.

أما "آقا محمد خان" فقد ضرب على المدينه حصاراً. و أيس القميون من حصول الفرج. و كان فيهم رجل من سلالة الزهراء (ع)، و جيه من أهل الرأى و التدبير، يرمى مصالح الناس و يرجعون إليه فى حل مشاكلهم اسمه "مير السيد على القمى". ففزعوا إليه للنظر فى مخرج من هذا الضيق.

فاقترح عليهم القيام بعمل صعب فيه مخاطره و يلزمه كثير من الدقه و سرعه الخاطر و الشجاعه. و لكن لم يكن فى اليد حيله غيره فقبلوا به و عزموا عليه. و تعهد "مير السيد على القمى" بان يقوم بأصعب قسم من هذه الخطه.

و كانت خطه "مير السيد على القمى" هى مواطاه "آقا محمد خان" على أن يهجم هو من الخارج و يهجم القميون من الداخل على بوابه معينه من بوابات السور فى وقت واحد و التغلب على حراسها و فتحها فى وجه "آقا محمد خان".

أما طريقه إيصال الخبر إلى "آقا محمد خان" فقد رتبها "مير السيد علي

ص: ٣٢

القمى " على هذا النحو:

كان الناس من كل الطبقات فى تلك الأيام يعتقدون اعتقادا راسخا بأثر الدعاء فى قضاء الحاجات، كشفاء الأمراض و تيسير الرزق و التغلب على العدو و وجدان الضائع و ما أشبه ذلك. و فى المأثور أن أنسب الأوقات للدعاء هو الليل.

و كان "نجف خان زند" يراعى جانب "مير السيد على القمى" لما له من نفوذ و احترام فى "قم". و كان يسمح له بالصعود إلى ظهر السور إذا أراد، إذ لم يكن فى صعوده ما ينافى أعماله العسكرية. و مع ذلك أحتاط "مير السيد على القمى" ليبعد عنه كل شبهة محتملة، فأرسل إلى "نجف خان زند" رساله يستأذنه فى الصعود ليلا. إلى ظهر السور ليتوجه بوجهه نحو معسكر "آقا محمد خان" و يدعو عليه بان ينزل به بلاء ينجى المدينة من شره. يفعل ذلك سبع ليال متتابعه، فاذن له.

فلما حل الليل صعد "مير السيد على القمى" إلى ظهر السور و اشتغل بالدعاء و هو ينتقل من مكان إلى مكان حتى تبين أن لا أحد متنبه إليه، فاخرج من داخل عباءته قوسا و سهما كان قد أعدهما و أنشب رأس السهم برساله كتبها إلى "آقا محمد خان"، و أعلمه بخطه القميين، و طلب أن يحمل المهاجمون معهم سلالم للصعود عليها إلى برجى البوابه. و جعل العلامة على موافقه "آقا محمد خان" على الخطه إضاءه مشعل فى الغد من نحو بوابه "الرى" و إطفاءه خمس مرات، بعد انقضاء أربع ساعات من الليل. فإذا رفعت له هذه العلامة أطلق إليه سهما آخر مع رساله يعلمه فيها بالوقت المعين و المكان المعين للهجوم. و ذكر فى الرساله ما يقاسيه القميون من ظلم و إذلال و مجاعه و أنهم ينتظرون الفرج على يديه. ثم أطلق السهم نحو معسكر "آقا محمد خان".

و فى الصباح عثر أحد جنود "آقا محمد خان" على الرساله فحملها إليه. و قام "آقا محمد خان" بتحريرات واسعه حتى تأكد عنده أنها بخط "مير السيد على القمى" حقا.

و فى المساء، بعد انقضاء أربع ساعات من الليل، رفعت العلامة المتفق عليها من معسكر "آقا محمد خان"، فأطلق "مير السيد على القمى" سهما يحمل الرساله الثانيه بتعيين الوقت و المكان للهجوم. و كان الوقت الذى عينوه ليله الثامن و العشرين من ربيع الآخر بعد انقضاء أربع ساعات من الليل، و المكان "بوابه الرى" من سور قم. و جعلوا علامه الموافقه إضاءه مشعل فى الغد، بعد انقضاء أربع ساعات من الليل، من نحو "بوابه الرى" و إطفاءه سبع مرات. و فى الوعد المعين رفعت هذه العلامة فعلم "مير السيد على القمى" أن الموافقه قد حصلت.

و فى ليله الثامن و العشرين من ربيع الآخر تسلح "مير السيد على" و رفاقه. و جعلهم ثلاث فرق، فرقتان منها لمهاجمه برجى البوابه، و الفرقة الأخرى لازاحه الحجاره التى ركمها "نجف خان زند" وراء البوابه. و باغتوا حراس البوابه بالهجوم و حمل عليها "آقا محمد خان" من الخارج، فوقعت البلبله فى الحرس و أعجلوا عن الاستعداد للدفاع، و أيقظت صيحات الجنود و أصوات الرصاص "نجف خان زند" من نومه. فلما علم أن القميين يشاركون "آقا محمد خان" فى الهجوم من الداخل أمر جنده بانزال القتل العام فيهم. و لولا الليل و توارى الناس فى بيوتهم و تغلق أبوابها لفنى القميون عن آخرهم.

و لكن الظلام حجبهم عن أعين الجنود و كذلك اختفاؤهم فى داخل منازلهم، فلم يقتل غير جماعه من رجال "مير السيد على"

و استطاع المهاجمون القضاء على حراس البرجين و احتلالهما و إزاحه الصخور من خلف البوابة، كما تمكن جند "آقا محمد خان" من الصعود إلى البرجين بسلاالم فما حل الصباح حتى كانت البوابة قد فتحت و دخل جند القاجاريين إلى "قم". و أبدى "نجف خان زند" شجاعه فائقه في الدفاع، و لكنه حوصر فلم يقدر على شيء، و أسر جميع عسكره. و لكنه استطاع الفرار على نحو عجيب، فقد كانت جميع طرق الفرار مقطوعه عليه فكأنما انشقت الأرض و ابتلعتة. و قال بعض المؤرخين إنه كان في قم يومئذ دهليز تحت الأرض ينفذ خارج السور على نحو ما كان في بعض القلاع في القديم، فسكله "نجف خان زند" و فر. و قيل إنه لجا إلى بيت صديق في قم فاختمى فيه، و بعد بضعه أيام خرج منها متنكرا.

و تجند في جيش "آقا محمد خان" كل العساكر و الضباط الذين أسره من جند "نجف خان زند"، إذ كانوا كلهم من المرتزقه لا يبالون في أي جيش يحاربون، و همهم الحصول على أجورهم على الحرب.

و أصيب "مير السيد على" برصاصتين. و مع ذلك ثبت و ظل يحارب و دمه ينزف إلى أن تم استيلاء "آقا محمد خان قاجار" على المدينة. و عندئذ ألقى السلاح و قد خارت قواه فنقل إلى منزله، و بعد بضعه أيام توفي. و لولا شجاعته و شهامته و حسن تدبيره لفضى كل القميين جوعا.

و خص "آقا محمد خان" أعقاب "مير السيد على القمي" و أعقاب رفاقه الذين قتلوا وراء "بوابة الري" برواتب دائمه. و كان هذا دأب "آقا محمد خان قاجار" في مكافاه كل محارب كفاء و كل من كانت له عليه يد.

لقد اتهم آقا محمد خان قاجار" من أبناء زمانه، و لا يزال إلى اليوم، بالشح و التقير. و الحق أنه إنما كان مقتصدا، تعلم الاقتصاد من أمه "جيران" و لم يكن شحيحا و لا مقترا. و لا أهمل أحدا أدى إليه خدمه كبيره، فلم يكافئه عليها.

روى أن رجلا- أدى إلى "آقا محمد خان" خدمه كبيره، فلم يكافئه عليها. و ظن الرجل أنه نسيه. فجعل يقف له في الطريق و يديم النظر إليه كلما رآه، يذكره بنفسه و يتوقع الحصول منه على المكافاه. و في يوم غضب "آقا محمد خان" من تكرار نظر هذا الرجل إليه، و قال لا أطيق أن أرى بعد اليوم نظره هذا الرجل و ما فيها من توقع، ثم أمر باعمائه فاعمى.

و هي روايه نقطع باختلافها فالذين رووها لم يذكروا اسم الرجل و لا- ذكروا تاريخ وقوع الحادثه. و لم تذكر في التواريخ المعتمره. و مثلها ما اتهم به من إقامته مشاهد أخلاقيه قبيحه. فهي تهمه باطله أيضا.

فتح طهران

و اتفق أن تلقى "آقا محمد خان"، و هو مستبشر بفتح مدينه "قم"،

بشاره أخرى هي تمكن جيشه الذي تركه عند طهران يحاصرها من فتح تلك المدينة أيضا. فبادر إلى إرسال رساله إلى قائد ذلك الجيش أنعم فيها عليه بلقب "خان" و نصبه حاكما على طهران، و أخبره بأنه ينوى جعل طهران عاصمه ملكه. فيكون بذلك قد أصبح حاكم العاصمه.

و استقوت روحه "آقا محمد خان" بهذين الفتحين حتى إنه عزم على السير إلى أصفهان و التخلص من خطر ملك الجنوب "جعفر خان زند" كليا.

معركة نصر آباد

لما علم "جعفر خان زند" بتمزق جيشه في "قم"، جهز جيشا آخر و جعل على قيادته "أحمد خان" ابن "آزاد شاه الأفغانى" الذى مر ذكره.

و قال له لا بد لنا من القضاء على آقا محمد خان قاجار و لإقضى علينا. لقد أرسلت نجف خان زند لياتيني برأس آقا محمد خان، فارتكب، لجهله، خطأ خسر به جيشه و عتاده و فر منهزما وحيدا. و عليك الاتعاض به و تجنب الوقوع في مثل خطئه. فسر إلى آقا محمد خان و ابعث إلى برأسه. و إن ظفرت به حيا فاحمله إلى أصفهان مقيدا.

و جعل لقائد جيشه هذا "أحمد خان" معاونا اسمه "تقى خان زند".

و كان شجاعا تروى عن شجاعته العجائب و كانت إحدى يديه مقطوعه.

و مع ذلك يحارب بيد واحده، و يثبت في القتال ثباتا يشبه الأساطير.

و خرج جيش "جعفر خان زند" من أصفهان قاصدا نواحي "قم" و "كاشان". و حين خروجه هذا كان جيش "آقا محمد خان" قد خرج أيضا من "قم" قاصدا أصفهان. و التقى الجمعان بالقرب من "نصرآباد" في نواحي "كاشان". و كانت عده جيش "آقا محمد خان قاجار" ثلاثين ألفا، و جيش "جعفر خان زند" خمسه عشر ألفا.

و نشبت بين الفريقين معركة أدار فيها "آقا محمد خان" تحركات عسكريه على أدق و أبرع ما تقتضيه الفنون العسكريه يومئذ من دقه و براعه. و كانت هذه المعركة بين كل المعارك الحربيه التى خاضها أحسنها تنظيما و تخطيطا.

و رتب خطه محكمه لتطويق جيش العدو. و رأى "أحمد خان" و معاونه "تقى خان زند" أنهما واقعان في الطوق لا محاله، و لا مخرج لهما منه إلى غير القتل أو الأسر. فاما "أحمد خان" فقد امتطى حصانه و فر هاربا. و أما "تقى خان زند" فقد أبت له همته و إباؤه أن يفر و عزم على الثبات حتى الموت، هذا و هو يحارب بيد واحده لا يقدر على الإمساك بالبندقية، و سلاحه السيف و "الطنبجه".

فلما رأى أن عسكر القاجارى آخذ في محاصرته من كل جانب، امتطى حصانه، و هجم مع جماعه من فرسان الزنديين على جبهه القلب من العسكر القاجارى، و هو يعلم أنه سائر إلى الموت. و أخذ العدو يرميهم بالرصاص فقتلت خيولهم. و أدام "تقى خان

زند" و رجاله الهجوم راجلين. ثم أصابت رصاصه "تقى خان زند" فى فخذه، فوقع على الأرض لا يقدر على النهوض. ثم أخذوه أسيرا.

و انتهت المعركة بانتصار "آقا محمد خان" و هزيمة الجيش الزندى. و لم يتوقف "آقا محمد خان" فى "نصرآباد"، بل تابع سيره فور انتهاء المعركة، إلى مدينة "كاشان" لينطلق منها إلى أصفهان. و فى "كاشان" أمر "آقا محمد خان" بإحضار "تقى خان زند" إليه، و كانوا قد ضمدوا جرحه. و لكنه كان جرحا لا يرجى شفاؤه و بات متيقنا أن "تقى خان زند" ميت به لا محاله فلما أحضروه قال له "آقا محمد خان":

هل عرفتنى؟ فقال "تقى خان زند": "أجل. فقال القاجارى: أ تذكر إذ قلت لى يوما فى شيراز" يا قرد"؟ فقال الزندى: و الآن أنت فى عينى قرد أيضا! فقال القاجارى: كنت أنوى الإبقاء عليك حيا لا أفتلك، لأنك مقطوع اليد جريح. و لكن تبين لى أنك أسفه مما كنت أتصور! و من كان على هذا القدر من الوقاحه لا يجوز أن يبقى حيا! ثم دعا "آقا محمد خان" الجلاد و قال له: أقطع أولا لسان هذا الوقح لكيلا يستطيع بعدها التلفظ بما لا يليق. فلما قطع لسانه قال له: و الآن أقطع رأسه. فما كان من "تقى خان زند" إلا أن توجه نحو "آقا محمد خان" رابط الجأش غير جازع، و بصق عليه. و لكن بصاقه لم يكن غير الدم الجارى من لسانه المقطوع! ثم قطع الجلاد رأسه!

العاصمة طهران

ثم غادر "آقا محمد خان" "كاشان" إلى أصفهان و كان "جعفر خان زند" قد فر هاربا منها. و بذلك أصبحت أصفهان تابعه لملك "آقا محمد خان". و مكث فيها أربعين يوما ثم غادرها إلى طهران. و هناك أنعم على فاتحها الذى عينه حاكما عليها بخنجر مرصع. و قتل حاكمها السابق "محمد خان" الذى كان عليها من قبل الزنديين، و أعمى اثنين من ضباط جيشه.

ثم أخذ يهيا طهران لتكون عاصمه له. فأمر ببناء أربعه أسواق فيها و إنشاء مصنع كبير للماء و إقامة بعض العمارات فى أطرافها الشماليه لتكون مصطافا له.

و فى يوم الأحد حادى عشر شهر جمادى الأولى سنة ١٢٠٠ هـ الموافق سنة ١٧٨٥ م - و كان يوم عيد النيروز - نودى به ملكا على إيران ثانى مره.

و كانت المره الأولى فى "مازندران" كما مر. و لكن لم تقم له مراسم التتويج المعتاده بل أقيمت هذه فيما بعد، و سيأتى ذكر ذلك. و فى ذلك اليوم نفسه أصدر مرسوما باتخاذ طهران عاصمه لملكه، و ضرب النقده باسمه و خطب له على المنابر. و فى ذلك اليوم أيضا نصب ابن أخيه "فتح على خان" الملقب ب "خان بابا خان جهان بانى" الذى أصبح بعد ذلك "فتح على شاه" نائبا عنه يقوم بمهام الملك كلما تغيب "آقا محمد خان" عن العاصمه. و قيل بل نصبه فى هذا المنصب فى يوم آخر من تلك السنه.

و ينسب مؤرخو العهد القاجارى الإيرانيون إلى "آقا محمد خان" القيام باعمال عمرانيه ضخمه كثيره فى طهران غير ما ذكرنا و أنه وسع مساحتها.

و كل القرائن تجعلنا نقطع بأنها مزاعم غير صحيحه. و ما حدث فى طهران من إعمار و خدمات أخرى كجر المياه إليها إنما حدث فى عهد "فتح على شاه" و "محمد شاه" و "ناصر الدين شاه".

و فى ليله الخامس عشر من شهر جمادى الثانيه سنه ١٣٠٠ [١٢٠٠] هـ، و كان "آقا محمد خان" نائما فى إحدى العمارات التى أقامها "كريم خان زند" فى طهران، زلزلت أرض العاصمه و اهتزت العماره و سائر البيوت مده بضع ثوان. فخاف "آقا محمد خان" مع شجاعته إذ لم يكن قد عرف زلزه قبل ذلك. و من تلك الليله أخذ ينام فى خيمه نصبت له فى ساحه مكشوفه من العماره. ثم أمر ببناء منام له لا تؤثر فيه الزلازل على نحو ما فى بعض

ص: ٣٤

نواحي خراسان حيث تكثر الزلازل. و ظل ينام في الخيمه إلى أن تم بناء المنام الذي أمر به.

آقا محمد خان و الحكام

في سنة ١٢٠٠ هـ، إذ اتخذ "آقا محمد خان" طهران عاصمه له، كان مجال حكمه يشمل نواحي "بسطام" و "شاهرود" و "جیلان" و "طالش" و "كرمانشاهان" و "أصفهان" و "أسترآباد" و "مازندران" أما سائر النواحي فكان يحكمها أمراء مستقلون. و بعضهم كان يتخذ لنفسه لقب "الملك".

ففي خراسان كان يحكم "شاه رخ شاه" حفيد "نادر شاه". و في "کردستان" يحكم "خسرو خان" و يدعو أتباعه "خسرو شاه". و في جنوب إيران يحكم الزنديون على ما بينهم من خلاف. و في آذربيجان جماعه من الأمراء المحليين و رؤساء القبائل مستقلون بالحكم عن المركز. و قد ظل "آقا محمد خان" إلى سنة ١٢٠٥ هـ لا يستطيع دخول تبريز.

بل كانت حاشيه "آقا محمد خان قاجار" أنفسهم في بدء ملكه لا ينقادون إليه يشغبون عليه و يثورون، إذ كانوا يأنفون من الانقياد لخصي.

و من سنة ١٢٠٠ هـ، إذ اتخذ "آقا محمد خان" طهران عاصمه له و نودي به ملكا، إلى سنة ١٢١٢ أو سنة ١٢١١ هـ، إذ قتل في مدينه "شوشى" فى الففقا، اتفق مرارا أن خرج عليه حكام كان قد نصبهم لإداره شئون بعض الولايات. و كل ما كان يحملهم على التمرد عليه هو كونه خصيا.

فيستهيون به، إذ يرون أنفسهم رجالا- أسوياء فيحسبون أنهم، لذلك، قادرون على التغلب عليه و استخلاص الملك من يده، غافلين عن نبوغه و قدرته على إتقان أعماله. و من هؤلاء إخوته الآخرون، غير دينك الذين انتهى أمر أحدهما إلى التعيش من الحفر على المعادن ثم مات فى خراسان، و انتهى أمر الآخر إلى الفرار من إيران إلى روسيا و المكث فيها إلى أن مات.

فقد خرج عليه اثنان آخران من إخوته، فقتل أحدهما و أعمى الآخر.

إن "آقا محمد خان"، و قد خصي - فى أصح الروايات - فى مطلع شبابه، و سلم - و لم يكد - من الموت و العمى، و بات أسيرا عند "كريم خان زند"، كان يعانى من ذلك عقده و لا شك. و من مظاهر هذه العقده أنه لم ير ضاحكا قط. إلا أنه حين كان أيام أسره يحضر فى بلاط "كريم خان زند" و يتفق أن يضحك لشيء يسايره "آقا محمد خان" بضحكه مغتصبه تادبا. فلما تحرر من الأسر ثم أصبح ملك إيران لم ير ضاحكا قط، و لا- انفرجت شفتاه ببسمه أو ضحكه مهما سمع أو رأى من المضحكات. و كذلك لم ير باكيا قط إلا فى مجالس تعزیه الحسين (ع). و زاد فى عقده شدة خيبه أمله برجاله و من كان يراهم موضع ثقته و اعتماده، إذ كانت خيانتهم له لا- تنقطع، حتى عاد امرأ قاسيا لا يرحم. و أخبار قساوته و فظاظته فى معاقبه خصومه تقشعر من ذكرها الأبدان.

و يوم فر من شیراز ثم مضى إلى "أسترآباد" لم يكن هذا شأنه. و تغيرت حاله أى القساوه و الفظاظه سنة ١٢٠٢ هـ، و ظل هذا شأنه مده عشر سنوات، إلى آخر حياته. و يحتمل احتمالا قريبا من اليقين أن عله قساوته ناشئه مما لقيه من خيانه إخوته و رجاله

المقربين الذين جعلهم موضع ثقته.

و لم تقتصر الخيانه له على حكام الولايات و الإيالات الذين كان ينصبهم، ثم لا يلبثون أن ينقلبوا عليه عاصين متمردين بل تعدتهم إلى حكام النواحي الصغيره مثل "جسكر" و "منجيل" و "آباده" فإنهم كانوا لا يلبثون أن يتمردوا عليه كلما أصبح بعيدا عنهم. و لم يلق حاكم ما لقيه "آقا محمد خان" من سوء معامله رجاله له. فهو، من هذه الجبهه، أسوأ الحكام حقا.

و من أجل أن يهرب غيرهم فلا يقدموا على ما أقدم عليه هؤلاء من خيانه كان يعاقب من الرجال الذين وضع فيهم ثقته بان يقطع أحدهم نصفين (١) أو يدفنه حيا أو يلقيه فى الماء الغالى. و أخف عقوباته كان الإعماء! و كان ابن أخيه "فتح على خان قاجار" الملقب بلقب "خان بابا خان جهان بانى" و فيا له ثابتا على و لائه مطيعا لأوامره، فأصبح أقرب المقربين إليه. و هو الذى نصبه فى سنه ١٢٠٠ هـ نائبا عنه، و نصبه سنه ١٢٠٤.

وليا لعهد، و تولى الملك بعد وفاته باسم "فتح على شاه". و قد تربى على يدى عمه و تعلم منه فن الحرب و الإدارة. و كان، كعمه، مقتصدا. (٢)

مواصله الحرب

بعد أن أقام "آقا محمد خان" فى طهران قليلا- بلغه أن جعفر خان زند"، بعد أن فر من أصفهان إلى شیراز، عاد فسار إلى أصفهان ينوى احتلالها.

فعهد "آقا محمد خان" إلى نائبه "خان باب جهان بانى" بمهام الملك، و سار هو قاصدا أصفهان. و كان "جعفر خان زند" قد اقترب بجيشه منها. فلما علم أن "آقا محمد خان" سائر إليها تراجع و ذهب إلى "بروجرد".

و كان عالم فاضل أديب اسمه "الشيخ جعفر التنكابنى" قد ظهر فى بلاط "آقا محمد خان" فى سنه ١٢٠٠ هـ و أصبح من حاشيته. و لا يعلم مبدأ صلته به. و كان عمله الرسمى فى البلاط هو قراءه الكتب ل "آقا محمد خان". إلا أنه كان يستشيره أيضا فى بعض شئون الحكم.

و قد ذكرنا أن "آقا محمد خان" كان على اطلاع جيد على فلسفه "ابن طفيل". و زاده التنكابنى علما بان أطلعه على فلسفه "الغزالي". و قبل خروجه من طهران إلى حرب "جعفر خان زند" أعطاه التنكابنى حرزا منسوبا

ص: ٣٥

١- عقوبه رهيبه. كانت تجرى على هذا النحو: يعلق المحكوم عليه منكوسا بشجرتين متقابلتين أو عمودين نصبان متقابلين، و ذلك بربط إحدى قدميه برأس إحدى الشجرتين أو رأس أحد العمودين، و القدم الأخرى برأس الشجره أو العمود الآخر على نحو يجعله منفرج الفخذين. ثم يضرب بساطور قدا بين فخذه إلى أن ينشطر إلى شطرين.

٢- ذكر المؤرخ الفرنسى "جان غوره" أن "فتح على شاه"، و قد رباه عمه "آقا محمد خان"، كان مقتصدا، تعلم الاقتصاد من

عمه. و حين اعتلى العرش ظل سائرا على خطاه، لا يسخو بالمال إلا فى أمرين. أحدهما جوائز الشعراء. إلا أن تعيين مخصصات لجوائز الشعراء لم يكن يعد يومئذ سخاء لأن منح هذه الجوائز كان يعد من السن المفروضه فى حياه البلاط. و مع ذلك كان ما يناله الشعراء من جوائز فتح على شاه مقدارا قليلا من المال. و الأمر الآخر الذى كان يسخو له فتح على شاه بالمال هو نفقات الحریم. و كانت مقدارا كبيرا. و ينقل "جان غوره" عن العقيد الإنكليزى "غولد اسميث" قوله إن مخصصات حریم فتح على شاه كانت أكثر من مخصصات جيشه. و لو أنه أنفق على جيشه بمقدار ما كان ينفق على سرايات نسائه لانتتهت محارباته لأباطره روسيا إلى مصير آخر غير ما انتتهت إليه!

إلى "الغزالي" و معروفًا باسم "مربع الغزالي"، و طلب منه أن يحمله فينتصر به على عدوه.

و لكن "آقا محمد خان" عجب من هذا الطلب و قال للتكابني:

عهدي بك أنك أعلى مقاما من أن تكون كاتب أحرار! و متى كان النصر في الحرب يكتسب بالأحراز؟! فأجابه التكابني بان ما في هذا الحرز إنما هو أعداد ترمز إلى أن المعصومين الأربعة عشر (ع) الذين يتولاهم الشيعة هم بعين الله و رعايته و رضاه. و القصد من حمل هذا الحرز هو تقوية الروحيه فيكون ذلك مساعدا على الثبات في ميدان الحرب. و عندئذ أذعن "آقا محمد خان" لقول "الشيخ جعفر التكابني" و حمل الحرز و ظل يحمله إلى آخر حياته.

أما "جعفر خان زند" فقد أقام على "بروجرد" حاكما من قبله اسمه "إسماعيل خان زند". ثم غادر "بروجرد" يسعى إلى جمع المال من أماكن أخرى. و قبل سفره أوصى حاكمه هذا بجمع مقدار معين من المال من الأهالي، و عين له تاريخا يتم فيه جمعه.

و كان مقدارا ضخما يعجز الأهالي، و كلهم رعاه و فلاحون فقراء، عن تأديته. و أمر "إسماعيل خان زند" كلا من مختير القرى باطلاعه على عدد سكان قريته. ثم قسم مقدار المال المطلوب عليهم، و عين ما يجب على كل منهم تأديته ليتيها من مجموع ذلك القدر المطلوب من المال. و أنذرهم بان من أدى ما عليه سلم و من لم يؤديه قتل. و اتبع إنذاره بالفعل. فقتل من قتل و هرب من استطاع الهرب إذ كانوا كلهم عاجزين عن تاديه ما فرض عليهم.

و أما "آقا محمد خان" فقد وصل إلى أصفهان بلا عائق يعوقه. و هناك علم أن الزنديين يحكمون في "بروجرد". فأرسل إليها فرقه من جيشه و بقي هو في أصفهان. و أمرهم باعتقال كل من تطاله يدهم من الزنديين و إرساله مخفورا إلى أصفهان.

فلما اقترب جيش "آقا محمد خان" من "بروجرد"، خرج إليه جماعه من نساء القرويين و أطفالهم يستصرخونه، و قد لطمخوا وجوههم و رءوسهم بالطين، يخمشون وجوههم و يبكون و يعولون. و لم يكونوا يعلمون من هو "آقا محمد خان قاجار" و لا من هو قائد جيشه هذا القادم إلى "بروجرد". و كل ما كانوا يعرفونه هو أنه جيش قادم لقمع "إسماعيل خان زند"، فاجتأوا إليه يستصرخون و يتظلمون.

و لم يكن "إسماعيل خان زند" مستعدا لمقاومه جيش "آقا محمد خان"، فأراد أن يفر. و لكن أهالي "بروجرد" حالوا بينه و بين الفرار، و تمكن جيش "آقا محمد خان" من اعتقاله، و استولى على "بروجرد".

و لما أرادوا حمل "إسماعيل خان زند" إلى أصفهان، إلى "آقا محمد خان"، سار معهم وفد من أهالي "بروجرد" و أهالي قراها ليرفعوا ظلامتهم إلى "آقا محمد خان قاجار". و لكن هذا لم يستطع أن يستخلص من أسيره الأموال التي سلبها و يعيدها إلى أصحابها إذ كان قد أرسلها إلى "جعفر خان زند" في فارس. و اكتفى "آقا محمد خان" بأعمائه.

و أراد "آقا محمد خان" متابعه غزوه إلى فارس. و لكن بلغه أن "علي خان أفشار"، و هو من أنسباء "نادر شاه" الأبعد، و أحد أمراء "خمسه" الأقوياء، يطلب الملك لنفسه، و أنه جهز جيشا ليحتل قزوین و طهران. و قد انضم إليه جماعه من أمراء "خمسه". و عندئذ قرر "آقا محمد خان" التوقف عن متابعه حرب الزنديين موقتا، إذ رأى الأولى أن يتفرغ لقمع "علي خان أفشار" قبلهم.

فترك أصفهان و خف إلى طهران فوصلها قبل أن يتحرك "علي خان أفشار" من "خمسه". و جهز جيشا قويا و سار به قاصدا إلى "خمسه".

و كان "علي خان أفشار" واقعا فى الخطا الذى وقع فيه أكثر الذين حاربوا "آقا محمد خان". و هو أن هذا الخصى القاجارى ليس كفواله.

و صورته التى فى ذهنه هى صورة خصيان القصور المترهلين العاجزين العاكفين على أطائب الطعام، غافلا عما حصل عليه "آقا محمد خان" من انتصارات تدل على نبوغ و ذكاء و شجاعه خارقه. فكان "علي خان أفشار" يقول لرجاله: حسب آقا محمد خان أن يعلم بتحركنا من خمسه ليولى الأدبار! و لكن "علي خان أفشار" لم يلبث أن علم أن جيشا جرارا يقترب من "خمسه". ثم وصل هذا الجيش إلى قزوین و علم "علي خان أفشار" أن جيش "آقا محمد خان" قادم إلى حربه. ثم سار الجيش من قزوین قاصدا إلى "زنجان"، و كان "علي أفشار خان" و جماعه من أمراء "خمسه" يومئذ فى "زنجان"، فاضطروا إلى مغادرتها إذ لم يكونوا مستعدين للمقاومه.

و دخل "آقا محمد خان" إلى "زنجان" لا يلقى مقاومه و توقف فيها.

و أرسل قائدا شجاعا من رجاله المقربين مع خمسه عشر ألف جندى من المشاه و الفرسان يتعقبون "علي خان أفشار". و بعد عشره أيام وقعت فيها مناوشات بسيطه استطاعوا محاصرته مع من كان معه من أمراء "خمسه".

و إذ رأى "علي خان أفشار" أنه مقبوض عليه لا- محاله. و أن عاقبته ستكون القتل أو الإعدام، أرسل إلى قائد الجيش الذى يحاصره رساله أنكر فيها أنه كان يريد التمرد على شاه إيران و تبرأ من ذلك و وصف ما قيل عنه بأنه دسيسه عليه من أعدائه، و أعلن بأنه ليس غير خادم من خدم شاه إيران، حاضر لبذل حياته فداء له.

فأجابته القائد برساله قال فيها إن كان هو كما يقول فى رسالته فعليه تسليم نفسه إلى شاه إيران. فأجابه "علي خان أفشار" بان خصومه قد أظهروه فى نظر الشاه بمظهر الباغى المتمرد و يخشى إن هو سلم نفسه أن يوقع به عقوبه القتل أو غيرها من العقوبات. فأجابه القائد بان قطع له على نفسه عهدا بان يشفع له عند "آقا محمد خان" و يصونه من كل أذى.

و إذ كان "علي خان أفشار" قد عدم كل وسيله أخرى للنجاه، فقد اضطر إلى الإذعان و سار مع ابنه الأكبر للنجاه، إلى قائد جيش "آقا محمد خان" فسلم نفسه إليه. و حملهما القائد إلى "زنجان" و هناك دخل القائد على "آقا محمد خان" و أخبره بأنه شفع للمتمرد على أن يتنازل عن كل أملاكه ل "آقا محمد خان" و يبقى ابنه رهينه عنده. فقبل "آقا محمد خان" شفاعته و عفا عن "علي خان أفشار".

ثم أدخل هذا على "آقا محمد خان" على الصورة التى تقتضيها السنه التى كانت متبعه فى تلك الأيام. و هى أن يدخل المذنب الراجى للعفو على الملك حافيا معصوب العينين. و دخل "علي خان أفشار" و هو على هذا الوضع، و ابنه ممسك بيده يقوده. فوبخه "آقا محمد خان" على ما كان منه ثم أخبره بأنه قبل شفاعه قائده به و عفا عنه. و أمر برفع العصابه عن عينيه.

و قال له: إذ كنت قد أظهرت الندامه و التوبه فاني أقبل توبتك و أعفو عما مضى، و أجعلك موضعا لثقتي و اعتمادي و أنصبك من اليوم قائد فوج خمسه.

فان أخلصت الخدمه رفعتك في المستقبل إلى مناصب أعلى. و ألحق ابنه

ص: ٣٦

بخدمته في البلاط. ثم قفل عائدا إلى طهران.

و لكنه ما إن وصل إلى طهران حتى بلغه خبر بان "هدايت الله خان" حاكم "جیلان" من قبله قد خرج عليه. فجهز جيشا أرسله إلى "رشت" حيث كان يقيم ذلك الحاكم فحاصره فيها. و لكن الحاكم فر منها بان سلك المجرى الذى تنصرف منه المياه المستعمله إلى خارج المدينة. و تبعه أيضا جماعه من رجاله خارجين من نفس المجرى. و من لم يتمكن منهم من الخروج سلم للجيش القاجارى.

و انطلق "هدايت الله خان" مع رجاله الفارين من مرفا "أنزلى" على بحر قزوين. و أخذ يغير على مختلف النواحي المجاوره فيسطو و ينهب و يخيف. و صعب على جيش "آقا محمد خان" تعقبه، خصوصا أنه كان يضطر أحيانا إلى أن تكون تنقلاته في البحر و رجاله يجهلون قياده السفن و الملاحة. و حل فصل الشتاء و قطعت الثلوج الطريق بين طهران و "رشت"، و طالت غيبه الجيش الغازى و أخباره مقطوعه عن "آقا محمد خان".

بعد ذلك عهد بقياده جيش إلى أخيه "مصطفى قلى" و أرسله ينجد الجيش الأول. و التقى الجيشان في قريه "غازيان" من نواحي جیلان على شاطئ بحر قزوين، و دارت بينهم و بين عصابه "هدايت الله خان" مناوشات صعبه، إلى أن علقته مره سفن كانت تحمل "هدايت الله خان" و رجالا له بقاع البحر، و طغى عليهم موج هائل و كسر سفنهم و غرقوا جميعا. و بعد بضعة أيام لفظت الأمواج جثثهم على الساحل، و فيها جثه "هدايت الله خان". فالتقط الناس تلك الجثث و حملوها إلى المقبره فدفنت.

و أوصل "مصطفى قلى خان" خبر موت "هدايت الله خان" إلى أخيه "آقا محمد خان" في طهران. و بذلك انقطعت فتنته.

و فى سنه ١٢٠١ هـ الموافق سنه ١٧٨٦ م أراد "آقا محمد خان" السير إلى "کردستان" لاختضاع و إليها "خسرو خان" إذ كان هذا يحكم مستقلا.

و كان إخضاعه جزءا من خطه نوى "آقا محمد خان" على تحقيقها. و هى توحيد نواحي إيران و جمعها على حكم مركزى واحد على نحو ما كان عليه وضعها أيام الصفويين و أيام "نادر شاه".

و لكن وصله قبل مسيره خبر من "بروجرد"، بوقوع فتنه فيها. فعدل عن السير إلى "کردستان" و عزم على السير إلى "بروجرد" من طريق أصفهان. و كان معلوما عند كل جنده أن غيبته ستطول فى هذا السفر.

و فى الليله التى عزم "آقا محمد خان" على السير فى صباحها إلى أصفهان دعا إليه قائدا مشهورا من قواده يعرف باسم "المجنون الفازوكى". (١) و سأل: أتذكر أنى يوم شفعت عندى لعلى خان أفشار عفوت عنه فلم أعاقبه و نصبته قائدا لفوج خمسه؟ فأجاب "المجنون الفازوكى": نعم، أذكر ذلك. فقال "آقا محمد خان": إن على خان أفشار، إذ علم أن غيبتى عن طهران فى هذا السفر ستطول، فقد حدثته نفسه بمعاودة التمرد. ثم أراه رساله و قال: هذه الرساله تثبت ما أقول.

و كان "آقا محمد خان" قد أمر فى السر البريذى الرسمى أن يدفع إليه بكل رساله يبعث بها "على خان أفشار" معه. فيقرؤها قبل نقلها إلى من أرسلت إليه، لعل فيها حديث خيانه.

وقد وقع ما كان يحذر منه. فان "علي خان أفشار" بعث بهذه الرسالة إلى أحد أمراء "خمسه" ليبلغ مضمونها أيضا إلى سائر الأمراء، و هو دعوتهم إلى اغتنام فرصه غياب "آقا محمد خان" في هذه الحمله و القيام بهجوم على طهران و احتلالها و خلع الشاه القاجارى. و بلغت الغفله ب "علي خان أفشار" إلى أن أرسل رسالته مع البريدى الرسمى و لم يحتط لنفسه فيرسلها مع رسول خاص من رجاله.

و فى اليوم التالى أمر "آقا محمد خان" باعتقال "علي خان أفشار" و إعمائه. فاعتقل و أعمى. ثم سار "آقا محمد خان" إلى أصفهان و منها إلى "بروجرد". و بعد عودته منها سار قاصدا همذان سنه ١٢٠١ هـ ليمضى منها إلى كردستان فيضمها إلى مجال ملكه.

و لكن "خسرو خان" والى كردستان تدارك أمره، إذ عرف أنه عاجز عن المقاومه، فبعث برساله إلى "آقا محمد خان" قبل أن يغادر همذان، أعلن فيها بولائه لشاه إيران، و أنه حاضر لتحويل مال الضرائب التى من كردستان إليه فى همذان، و يلتمس منه قبول ابنه فى خدمته. ثم أرسل ابنه إلى همذان يحمل إلى "آقا محمد خان" مال الضرائب عن سنه أو سنتين، و اعتذر بالمرض عن الحضور بنفسه إلى همذان، فقبل "آقا محمد خان" عذره و أقره على عمله و بعث إليه بخلعه، و أدخل ابنه فى خدمته.

و ذكر مؤرخو العهد القاجارى أن أحد أبناء "خسرو خان" قتل فى سنه ١٢٠٣ هـ. و هو يقوم بقمع قبيله كرديه كانت تغير على الناس بالسلب و القتل. و كان مقتله صدمه لأبيه ضعفت حواسه و قواه العقلية. و ظل على هذه الحال حتى مات فى سنه ١٣٠٦ هـ [١٢٠٦] هـ فنصب "آقا محمد خان" ابنا آخر له اسمه "أمان الله خان" واليا على كردستان خلفا لأبيه.

الترىاق دواء الكوليرا

و عاد "آقا محمد خان" من همذان إلى طهران فى نفس تلك السنه، سنه ١٢٠١ هـ و مع وصوله إليها وقع فيها وباء "الكوليرا". و كان أطباء ذلك الزمان يداوون هذا الوباء بابتلاع الترياق (الأفيون). فأشار طبيب "آقا محمد خان" عليه بالمواظبه على ابتلاع شىء من الترياق لوقايه نفسه من الوباء. فرفض "آقا محمد خان" أن يفعل. و قال للطبيب إن وقانى الترياق من الوباء فسيقعنى فى شر آخر هو الإدمان و ما يترتب عليه من ضعف القوى النفسية و العقلية و الجسمانية و إطاله النوم و الخمول. ثم غادر طهران إلى "فيروزكوه" يقيم فيها ريثما ينقطع الوباء عن طهران. و ظل مقيما هناك إلى أن حل فصل الشتاء و برد الهواء و انقطع المرض، فعاد إلى طهران، و فى كل بيت منها ماتم و على كل وجه سيما الغم و الحزن.

ص: ٣٧

١- هو رجل من أهل "فازوك"، و هى ناحيه تقع فى شمال طهران. و هو الذى أقامه "آقا محمد خان" على حصار طهران، و فتحها يوم كان "آقا محمد خان" يحاصر مدينه "قم"، كما مر. ثم عينه حاكما على طهران. و هو الذى قمع فتنه "علي خان أفشار" فى "خمسه" و شفع له عند "آقا محمد خان"، كما مر أيضا. و سبب تسميته بالمجنون هو أنه عشق فى شبابه صبيه من "فازوك" و تدله فى حبها حتى هجر أهله و دياره و هام فى الصحراء، وحده عدّه سنوات، على نحو ما يروى من فعل مجنون ليلي العامرى. و لذلك دعى بالمجنون تشبيها بقيس العامرى، و ظل هذا الاسم ملازما له. و كان أميا لا يقرأ و لا يكتب. و لكنه

كان على درجه عاليه من الفطانه و الشجاعه و المعرفه بفنون الحرب. و كان شديد الإخلاص ل "آقا محمد خان".

تغير جعفر قلى خان قاجار

بعد عوده آقا محمد خان " إلى طهران ساوره أول مره سوء الظن بأخيه " جعفر قلى خان ". و كان هذا، من بين أبناء " محمد حسن خان أشاقه باش "، أجملهم و أهيبهم منظرا. و كان محاربا شجاعا. فهو فى نظر من يراه المناسب لمنصب الملك لا أخوه الخصى. و كان من حوله من رجال حاشيته يلقون فى سمعه مثل هذا الكلام. حتى استقر فى نفسه شيئا فشيئا أن يطلب الملك لنفسه، و عزم على تهيئه خطه تمكنه من تنحيه أخيه من عرش الملك.

و من ذلك أنه واطا فى سنه ١٢٠١ هـ على ذلك جماعه من رؤساء القبائل الخراسانيه و جماعه من رؤساء القبائل الجيلانيه و لكن " آقا محمد خان " كان من دقه التدبير و إتقان العمل بحيث لم يلبث أن عرف بالمؤامره فور وقوعها.

فبث العيون و الجواسيس يراقبون " جعفر قلى خان " لا يغفلون عنه ليل نهار و هو لا يدري. و ما بين سنه ١٢٠١ و سنه ١٢٠٥ هـ كان " آقا محمد خان " يعزم مرارا على قتله ثم يبدو له أن يؤجله.

الأمير الزندى الشجاع الوسيم

فى تلك السنه، إذ ساء ظن " آقا محمد خان " بأخيه " جعفر قلى خان "، سمع " آقا محمد خان قاجار " باسم " لطف على خان زند " أول مره.

كان هذا ابن " جعفر خان زند ". و فى تلك السنه عهد إليه أبوه بقياده جيش من جيوشه.

كان " لطف على خان زند " أجمل شبان شيراز، على كثره من فيها من الشبان الوسام. و كان لا ينفك يزداد جمالا يوما فيوما. يقول العقيد " غولدا سميث " الانكليزى: " لم ير فى إيران، من بدء عهد الصفويين إلى ذلك اليوم، أمير له وسامه لطف على خان زند ".

و يوم سمع " آقا محمد خان قاجار " باسم " لطف على خان زند " أول مره لم يحسد فى سوف يوقعه به هذا الشاب الشجاع الوسيم من الدواهى و المعضلات فى المستقبل.

كان " لطف على خان زند " من أمراء الشرق الأبطال. و لكن مؤرخى العهد القاجارى الايرانيين كتّموا أخباره و عجائب بطولته. و سكتوا عن الفظائع التى أوقعها به " آقا محمد خان " بعد اعتقاله إياه، لئلا يغضبوا القاجاريين المالكين. و مراجعه المصادر الغربيه التى كتبها الكتاب و السواح الأوروبيون فى تاريخ " لطف على خان زند " أنفع فى كسب المعلومات عنه من المصادر الإيرانيه.

إن الوقائع الخارقه من بطوله هذا الشاب الوسيم الشجاع تجعله شبيها بابطال الأساطير الذين كان أحدهم إذا أصبح وحيدا فى ميدان الحرب، و جيش عدوه ينيف على الألف، بادر إلى الحمله عليه، فشق صفه و خرج من بينهم سالما.

هذه الصوره تروى أسطوره. و لكن " لطف على خان زند " حققها بالفعل و الواقع لا مره واحده بل مرارا.

كان " آقا محمد خان " عازما على فتح شيراز و القضاء على ملك الزنديين. و ظل مقيما فى طهران ثلاثه عشر يوما بعد عيد "

النيروز"، وهو أول السنه الإيرانيه الشمسيه. و يومئذ سار من طهران قاصدا أصفهان فوصلها في آخر شهر شعبان سنه ١٢٠٢ هـ. ثم انهمك في تقويه عسكره و تجهيزه ثم سار قاصدا شيراز لفتحها و إخضاع إقليم فارس لملكه. و لما وصل إلى شيراز ضرب عليها حصارا، و كان "جعفر خان زند" فيها.

إلا أن ابنه "لطف علي خان" اختار نخبه من الجنود و أخذ يغير بهم على العسكر المحاصر ممارسا الحرب المعروفه اليوم بحرب العصابات، فيقتل و ينهب ثم يتوارى. و كان يقوم باغارته أحيانا في النهار و أحيانا في الليل. و قد أتعبت كراته هذه "آقا محمد خان" كثيرا. و اضطرت الغارات الليليه إلى مضاعفه حرسه الساهر.

و كان رجال عصابه "لطف علي خان زند" في غاراتهم الليليه يتنادون و يتفاهمون بتقليد أصوات الحيوانات كبنات آوى و الضباع و البوم على نحو متفق عليه فيما بينهم. و سماع أصوات هذه الحيوانات مستمره طول الليل كان مألوفا في تلك النواحي. فلم يفتن جند "آقا محمد خان" أول الأمر إلى خدعه العصابه الزنديه. و في أول غاره قاموا بها و هم يقلدون هذه الأصوات باغتوا العدو على حين غفله فقتلوا سبعين و جرحوا مائتين من جنوده. و غنموا مقدارا من الأسلحه. و بات جنود "آقا محمد خان". يهبون فزعين و يأخذون سلاحهم متأهين كلما سمعوا تلك الأصوات و لو كانت أصواتا لحيوانات حقيقه.

و تتابعت غارات العصابه لا تنقطع. و في كل غاره قتل و جرح و نهب يوقعونه في جيش "آقا محمد خان". و في إحدى الغارات الليليه استطاع الأمير الزندي الشاب أن يغنم من معسكر "آقا محمد خان" مدفعين من نوع المدافع الصغيره. و لما بلغ الخبر إلى "آقا محمد خان" سال: من الذين كان المدفعان في عهدهم؟ فقيل له: كانا في عهده جنديين و قد قتلا: فقال: لو لم يقتلا لأمرت أنا بقتلها! و كان "لطف علي خان زند" يستدرج متعقبه حين فراره بعد الإغاره، إلى أماكن سبق أن نصب فيها فخاخا مما يستعمل في صيد الوحوش أو حفر فيها حفرا عميقه و ستر أعلاها حتى ساوى وجه الأرض لا يبين، فإذا وصلوا إليها أطبقت الفخاخ على أرجلهم فكسرتها أو بترتها، و سقطوا في الحفر فمنهم جريح و منهم قتل.

و كان "لطف علي خان زند" لا ينفك يترصد جند "آقا محمد خان" حتى إذا استفرد أحدا منهم انقض عليه فاخطفه و استطلعه عن أوضاع جيش "آقا محمد خان" بالتفصيل. و لذلك كان دائم الاطلاع على أحوال جيش العدو.

و طالت حرب العصابات التي شنها "لطف علي خان زند" على "آقا محمد خان" و كثرت بلاياها عليه حتى ضاق به ذرعا. و زاد في متاعبه و ضيقه شده، حادثه مهمه أخرى، هي وصول خبر إليه بخروج أخيه "مصطفى قلى خان" عليه في إقليم "طالش".
(١) فعزم على فك الحصار عن شيراز و الانصراف عنها.

ص: ٣٨

نوره مصطفى قلى خان قاجار

خرج "مصطفى قلى خان قاجار" على أخيه "آقا محمد خان" فى إقليم "طالش" وعزم على احتلال "جيلان" و "مازندران" و "أستراآباد"، و منها يمضى إلى احتلال سائر نواحي إيران.

و كان إقليم "طالش"، من قديم العهود، موطن قوم من أشد المحاربين مراسا. و فى القرون الأخيرة، و لا سيما عهد الصفويين، كان لمحاربتهم صيت بعيد. و تردد اسمهم فى تاريخ إيران القديم. و ذكروا أنهم "كانوا يومئذ يصحبون معهم إلى الحرب كلابا مفترسه. و فى إحدى الحروب التى وقعت أيام الصفويين سحب الجنود الطالشيون معهم أيضا كلابا مفترسه. و كان سكان "طالش" فى القديم يقتنون الوعول الأهليه كما يقتنى الناس البقر.

أما يوم خرج عندهم "مصطفى قلى خان قاجار" فكانوا قد تخلوا عن اقتناء الوعول و اصطحاب الكلاب المفترسه معهم إلى الحرب. و لكنهم كانوا لا يزالون كآبائهم محاربين شجعانا.

كان "مصطفى قلى خان" كاخيه "جعفر قلى خان" يرى نفسه أليق بالملك من أخيه "آقا محمد خان" الخصى. و قد استطاع أن يقنع الطالشين بأنه أحق بالملك. و قال لهم إن من يملك على إيران اليوم رجل خصى، و هو إلى ذلك شحيح حتى إنه يزن طعامه بالميزان. و أن دأبه المحاربه و سفك الدماء و الاغاره على البلدان، و لن ترتفع هذه الفتن عن إيران ما دام هو الملك المتسلط. و من أجل بسط السلام و الاستقرار على إيران يجب تنحيته عن هذا المنصب. و أمثال هذا من الكلام و المواعيد.

و لم يلبث "مصطفى قلى خان" أن سار بمن تجند معه من الطالشين إلى "جيلان" فاحتلها. و اقتضى تكنيكه العسكرى أن يحتل بعدها العاصمه طهران قبل غيرها.

معاودة فتح طهران

أما "آقا محمد خان" فقد تراجع عن شيراز قاصدا طهران بمنتهى ما يقدر عليه من السرعة. و بلغ من سرعته أنه وصل إلى مدينه "قم"، و "مصطفى قلى خان" يحسب أنه لا يزال يحاصر شيراز. فلما بلغه خبر مسير "آقا محمد خان" إلى طهران، بادر إلى إغلاق بواباتها متحصنا فيها.

فلما بلغها "آقا محمد خان" ضرب عليها حصارا. و هكذا ما كاد الطهرانيون يتخلصون من شر الوباء الذى اجتاح بلدتهم فى السنه الماضيه حتى دهمهم شر هذا الحصار! و كان "المجنون الفازوكى" المحارب الذكى الرشيق الشجاع على قياده جيش "آقا محمد خان". فرأى أن محاوله التسلل إلى المدينه فى الخفاء أنجح فى تحقيق النصر من الاعتماد على السلاح وحده. فأمر جنده بقطع ما حول المدينه من الأشجار و صنع سلالم منها. و لما تهيأ له ما يحتاجه من السلالم انتظر حتى انتصف الليل. فأمر بقطع الماء عن القنوات التى تمد المدينه بالماء من خارجها. و هى قنوات واسعها يتمكن الرجال من عبورها. و كانت مستوره لا تنكشف إلا- فى سوق المدينه فى داخلها. و فى تلك الساعه كان الناس نياما فلم ينتبه أحد إلى انقطاع الماء حيث تنكشف القنوات. و لو فعل ذلك نهرا لتنبه الناس إلى انقطاع الماء و علموا بخطة الجيش المحاصر.

و في منتصف الليل تسلل فريق من جنود "آقا محمد خان" في داخل القنوات إلى قلب المدينة، على حين أمر "المجنون الفازوكي" بايقاد المشاعل و المبادره إلى نصب السلالم في أماكن معينه على السور. و بدأت المعركه و كثر القتل في المدافعين و المهاجمين على السواء. و استطاع المتسلقون احتلال بعض أبراج السور. و في تلك الساعه خرج المتسللون من القنوات و انطلقوا بمعداتهم إلى بوابه تعرف باسم بوابه خراسان، و الناس و الجيش المدافع غافلون عنهم، ففتحوها و دخل جيش "آقا محمد خان" منها إلى المدينة. و لم يستغرق وصولهم إلى البوابه و فتحها و دخول الجيش منها أكثر من ربع ساعه.

و بعد احتلال المدينة استمر جنود "مصطفى قلى خان" في المقاومه و قاتلوا في الأزقه قتال الأبطال و قتل جماعه منهم. و لجا "مصطفى قلى خان" إلى مقام "زيد" حيث كان "آقا محمد خان" يحضر دروس "الشيخ على التجريشى" في الفقه و الحديث و فلسفه "ابن طفيل" أيام كان أسيرا عند "كريم خان زند".

و أنذر "آقا محمد خان" أخاه مصطفى قلى خان "بان يسلم نفسه بلا قيد و لا شرط و إلا حاربه و لو كان معتصما في مقام "زيد". فاضطر إلى التسليم. و تم ل "آقا محمد خان" احتلال طهران. ثم غادرها، بسبب الحر، إلى ضاحيه "شميران"، فمكث فيها أسبوعا ثم عاد إلى طهران.

مقتل جعفر خان زند

و كان أول خبر تلقاه بعد عودته إلى العاصمه هو خبر مقتل "جعفر خان زند". و سبب مقتل هذا هو عزمه على قتل جماعه من الأمراء الزنديين كانوا في سجنه. و هم "ويس مراد خان" و "شاه مداد خان" و "صيد مراد خان".

و في الليله التي كان عازما على قتلهم في صباحها رشوا السجن ففتح لهم باب السجن و أطلقهم، فدخلوا على "جعفر خان زند" و هو سكران نائم فقتلوه. (١) و نصبوا "صيد مراد خان" ملكا في مكانه.

و كان "لطف على خان زند" غائبا عن شیراز يوم قتل أبوه. و عاد إليها بعد أسبوع من مقتله. و قيل بعد عشره أيام. و قيل بعد شهر. عاد إليها.

في ٢٧ جمادى الأولى سنه ١٢٠٢ هـ. و معه تلك العصابه من الجنود الشبان الذين كان قد اصطفاهم، و كانوا يرافقونه دائما في القتال و في رحلات الصيد.

و أراد "صيد مراد خان" الشاه الجديد أن يقاومه. و لكن الشيرازيين لم

ص: ٣٩

١- ذكر "مهدي بامداد" في كتابه "شرح حال رجال إيران" أنه قتل في ليله الخميس ٢٥ جمادى الأولى سنه ١٢٠٣ هـ على الأصح. و نقل أيضا روايه أخرى تقول إن القتل كان في سنه ١٢٠٢ هـ.

يمكنوه من المقاومة و ثاروا عليه و هبوا إلى نصره "لطف على خان". و حاصروا القلعة التي يسكنها "صيد مراد خان" و احتلها "لطف على خان" ثم قتله و قتل رفيقيه اللذين شاركاه في قتل "جعفر خان زند".

إعلاء مصطفى قلى خان

لما استسلم "مصطفى قلى خان" فى مقام "زيد" إلى "المجنون الفازوكى" سار به هذا مخفورا إلى أخيه. و لكنه لم يقيد يديه احتراماً لنسبته إلى "آقا محمد خان".

فلما رآه "آقا محمد خان"، و هو فى مجلسه، قادمًا من بعيد أرسل إلى "المجنون الفازوكى" أن لا يدخله عليه، بل يحبسه فى مكان آخر إذ خشى أن تبعث رؤيه أخيه فى نفسه رأفه به، أو يسمع منه كلاماً يلين قلبه عليه، فيصرف النظر عن مجازاته و يعفو عنه.

و فى اليوم التالى استدعى إليه "المجنون الفازوكى" و سألته عن حال أخيه. و قال "المجنون": هيات له بالأمس ما يلزم من طعام و وسائل للنوم، و ها هو الآن مقيم فى عزفته محروساً. و قد قال لى صباح اليوم إنه يريد الحضور إليك و عرض مطالب ضروريه عليك. فقال "آقا محمد خان":

أسمح له بالحضور عندى و لكن بعد ساعه. فقال "المجنون الفازوكى":

إذن أحضره إليك بعد ساعه؟ فقال "آقا محمد خان": نعم، بعد أن يقوم الجلاد بمهمته. فعلم "الفازوكى" أن "آقا محمد خان" ينوى الأمر بمعاقبه أخيه. فقال: السمع و الطاعة لما يأمر به الشاه! و استدعى "آقا محمد خان" الجلاد و قال له: أصحاب المجنون و أعم عيني المذنب الذى يدللك عليه. و قال للمجنون: بعد إعماؤه آذن لك بإحضاره إلى.

فلما وقع نظر "مصطفى قلى خان" على الجلاد و معه أدوات الاعماء و رأى "الفازوكى" يرافقه علم بما يراد به. فقال للمجنون الفازوكى: هل جئت لتعاقبنى؟ فوضع "المجنون الفازوكى" يديه متصلبتين على صدره و طأطأ رأسه علامه الخضوع و الاحترام و قال: أنا أقل من أن أقدر على معاقبه رجل مثلك! ما أنا إلا مأمور، و معذور أنا! فسأله "مصطفى قلى خان":

بما ذا أمر بى أخى؟ فقال "الفازوكى": أمر باعماؤه عينيك. فقال "مصطفى قلى خان": اذهب إلى أخى و اطلب منه أن يسمح بحضورى إليه. فقال "المجنون الفازوكى": أخوك لم يأذن لى باحضارك إليه إلا بعد إتمام المهمه.

فقال "مصطفى قلى خان": قل له إن كان لا بد من إيقاع العقوبه بى فليعم إحدى عيني و يبق على الأخرى. فقال المجنون: لقد منعى أخوك من مراجعته فى شأنك هذا. و أمرنى بان لا- أعود إليه إلا- بعد إتمام المهمه. فقال "مصطفى قلى خان": لقد أمرك بهذا و هو غاضب و أنبهك إلى أنه سيندم عليه و سيؤاخذك على أنك لم تطلعه على التماسى.

و مع أن "المجنون الفازوكى" كان يعلم أن "آقا محمد خان" ليس ممن يصدرن أمراً بإيقاع العقوبه بأحد، و هم فى حال الغضب، و أنه لا- ينفك متبصراً مالكا نفسه، فقد عهد ب "مصطفى قلى خان" إلى الحراس و ذهب إلى "آقا محمد خان" فاطلعه على مقالته. فأجاب "آقا محمد خان" بقوله: لو لا ما سبق من خدماتك لأمرت باعماؤك أنت أيضاً اذهب و افعل ما

أمرت به! فعاد "المجنون الفازوكي" و أبلغ إلى الجلالد أمر "آقا محمد خان".

فعمد الجلالد إلى يدى "مصطفى قلى خان" و رجله فقيدها. ثم أمر ميلا محميا على حدقتى عينيه. و لما حلوا قيوده كانت الدنيا قد أصبحت ظلما فى ناظره!

معاودة غزو فارس

تعد سنة ١٢٠٣ هـ فى تاريخ "آقا محمد خان" من أيام حياته المهمه.

ففيها عزم على القضاء على ملك الزنديين فى جنوب إيران. و لا شك فى أن خصومه "آقا محمد خان" للزنديين ناشئه عن عقده نفسيه فيه. فقد كان أعقاب "نادر شاه" يحكمون فى خراسان، و لم يكن "آقا محمد خان" يخاصمهم مع أن نادر شاه " قتل جده الكبير "فتح على خان".

و مؤرخو العهد القاجارى الايرانيون يرون أن غزو "آقا محمد خان" ل "لطف على خان زند" سببه مصلحه سياسيه. إذ كان يريد جمع كل إيران فى طاعه الحكومه المركزيه، و لهذا السبب سار إلى محاربه "لطف على خان زند".

و الحق أن كل حرب تقع لها محرك سياسى أو اقتصادى. و لا نستثنى من هذا الحكم محاربه "آقا محمد خان" للأمير الزندى "لطف على خان". إلا أن هذا السبب ياتى فى الدرجه الثانيه من الأهميه بين الأسباب التى دفعت "آقا محمد خان" إلى محاربه "لطف على خان زند". أما السبب الذى ياتى فى الدرجه الأولى من الأهميه فهو ما كان يحمله "آقا محمد خان" فى نفسه من حقد على "لطف على خان زند". و زاد فى حقه هذا ما لقيه منه من أذى قبل سنه إذ كان يحاصر شيراز. و لعل الحسد أيضا كان له أثر فى ذلك. فقد كان "لطف على خان" أشجع منه. و كان بصيرا دقيق النظر بعيد الهمه فى التخطيط للعمران و الإصلاح و البراعه فى السياسه و الاداره و التوجيه الاجتماعى. و لو لا- مضاده الظروف له لكان من أعظم المصلحين بين من حكموا إيران. و هى مواهب كان "آقا محمد خان" محروما منها. و تفوق موهبته يقتصر على الحرب و مطالعه الكتب و تحصيل المعارف النظرية.

و فوق هذا كان "آقا محمد خان" قبيح الشكل لما امتحن به من عاهه الخضاء، على حين كان "لطف على خان زند" معدودا من أجمل شبان إيران. و لكل هذه المزايا يمكن القول إن "آقا محمد خان" كان يحسد "لطف على خان زند".

و أقوى دليل على أن "آقا محمد خان قاجار" كان يحسد "لطف على خان زند" و يحمل عليه حقدًا شخصيا لا علاقه له بالمصالح السياسيه و لا بالمصالح الاقتصاديه، ما أوقعه به بعد أن ظفر به من معامله شنيعه منتته.

و قد سبق أن ظفر "آقا محمد خان" بأعداء له قبل ظفره ب "لطف على خان زند" و بعد ظفره به، فقتل بعضهم و أعمى بعضهم، و لكنه لم يعامل أحدا منهم بمثل ما عامل به "لطف على خان زند"! أعد "آقا محمد خان" جيشا قويا. و قبل خروجه من طهران أرسل جيشا بقياده ابن أخيه "خان بابا جهان بانى" إلى "مازندران" لقمع فتنه

حدثت هناك. ثم خرج بجيشه قاصدا إقليم فارس ليقتضى على ملك الزندين.

و كان مسيره فى رمضان سنه ١٢٠٣ هـ و قيل سنه ١٢٠٤ هـ و كانت طريقه على مدينه "قم". و قبل وصوله إليها اضطر إلى قطع طريق صحراويه ليلا ليصل إلى الماء فى أحد المنازل. و لكنهم ضلوا الطريق و هبت عواصف شديده نشرت الرمال فى الفضاء حتى ضاقت أنفاسهم و مات بعضهم اختناقا. و تشتتوا فى الصحراء لا يهتدى بعضهم إلى بعض. و أمضهم و خيولهم العطش و فقدان العلف لدوابهم. و لما أصبح الصباح وجد "آقا محمد خان" أن قسما كبيرا من جيشه مفقود و لم يبق معه غير بعض هذا الجيش و قاسوا مشقات عظيمه من التعب و العطش، و هم يتلمسون الطريق حتى اهدوا إليها، فتابعوا سيرهم إلى "قم" فوجدوا أن المفقودين كانوا قد استطاعوا الوصول إليها، و لكن سبعمائه جندى منهم ظلوا مفقودين لم يعثر لهم على أثر و لا ظهر منهم أحد. ثم تابع "آقا محمد خان" السير بجيشه من "قم" إلى إقليم فارس.

فلما اقترب من شيراز ارتأى "لطف على خان زند" أن يخرج إلى محاربه خارج المدينه ليتفادى المحاصره و ما يترتب عليها من ضيق فى الطعام و غيره من الحاجات. فخرج و أقام جنده فى سهل مستو سبق أن كان قبل خمس قرون من ذلك التاريخ ميدانا للحرب التى وقعت بين "تيمور لنك" و "السلطان منصور المظفرى" آخر ملوك "آل المظفر".

و تراءى الجمعان فى العاشر من شهر شوال سنه ١٢٠٣ هـ. و فى صباح اليوم التالى ١١ شوال سنه ١٢٠٣ هـ حمل "لطف على خان زند" على الجيش القاجارى و إذ كان جند الزندين من الفرسان فقد كانوا معرضين كثيرا.

لقدائف الرماه من البندقيين و المدفيعين، فوقعوا فيهم قتلا ذريعا. و لكن "لطف على خان زند" تابع الهجوم بفرسانه، و هو فى مقدمتهم، لا يتراجع، و قصده الالتحام بالعدو، إذ، فى هذه الحاله، يتعطل السلاح النارى، و لا يبقى من وسيله للمحاربه غير السلاح الأبيض. و هو بهذا السلاح متفوق على خصمه. و لو استطاع متابعه هجومه هذا لكان انتصاره و انهزام "آقا محمد خان" أمرا محققا.

و لكن تبين، و هو فى هجومه، أن "آقا محمد خان" أرسل فرقه من عسكره إلى ما وراء فرسان المهاجمين ليحصرهم بين جيش أمامه و جيش وراه، و بهذا هلاك جيشه لا محاله فبادر فوراً إلى أمر جنوده بقطع الهجوم و التراجع. و كان تراجعهم هذا دليلا على تعقله و معرفته بفنون الحرب. و لو لم يتراجع لعرض جيشه للفناء، و إن يكن مؤرخو العهد القاجارى الايرانيون يزعمون إن تراجعهم هذا كان باعثه الخوف و الجبن. و لكنه قول مردود لا يعتنى به. فما أكثر الوقائع الحربيه التى تراجع فيها جيش عن عدوه و كان تراجعهم فى الحقيقه انتصارا له لا انكسارا لأنه أحبط به خطه لعدو أعدها للإيقاع به.

و أمثله هذا كثيره فى الحروب القديمه و الحروب الحديثه.

و اضطر "لطف على خان زند" إلى العوده إلى شيراز و التحصن فيها.

و تقدم "آقا محمد خان" فضرب الحصار عليها. و لكن سرعان ما أعوزته الذخيره من الطعام لجنده و خيوله، على حين كان "لطف على خان" قد أحاط قبل خروجه إلى ملاقاه "آقا محمد خان" بأن أمر بجمع مقادير كافيه من المئونه تحسبا لمثل هذه الحاله. و لذلك كانت الذخيره متوفره فى داخل المدينه. و أمر "آقا محمد خان" جنده بالاغاره على القرى و المزارع المجاوره

و مصادره كل ما يجدونه فى بيوت الفلاحين من الطعام و العلف، فأغاروا عليها و نهبوا و أوقعوا بالأهالى أذى كثيرا من الالهانه و الجلد و أمثال ذلك، حتى اضطروهم إلى الفرار من قراهم و مزارعهم، و خلت بيوتهم من السكان.

و لكن ما نهبوه من بيوت الفلاحين من ذخيره كفاهم أياما معدوده، لم يجدوا بعدها ما ينهبونه، فاضطر "آقا محمد خان" إلى رفع الحصار عن شيراز و الرجوع عنها إلى طهران. و هكذا خاب سعيه إلى فتح شيراز مره أخرى. و ازداد حقدا على حقد على "لطف على خان زند".

و قدر بعض المؤرخين الشرقيين عدد من قتل يومئذ من جند "لطف على خان زند" بثمانيه آلاف. و آخرون منهم قدروا عدد القتلى بألفين و عدد الأسرى بثمانيه آلاف.

و لما وصل "آقا محمد خان" إلى طهران كان الفصل فصل الشتاء، و ليس هو الوقت المناسب لتسيير الجيش. فمكث فى العاصمه ينتظر حلول الربيع ليعاود فيه غزو فارس للقضاء على "لطف على خان زند". و لو كان غرضه من غزو فارس توسعه مجال حكمه لغزا آذربيجان و احتل ذلك الإقليم الواسع، و غزوه أهون عليه من غزو فارس. أو غزا خراسان و احتلها.

و شأنها من هذه الجبهه كشان آذربيجان. و بلغ عداؤه لشخص "لطف على خان زند" بحيث قال مره للشيخ جعفر التنكابنى، و هو الذى كان يسامره فى لياالى الشتاء الطويله بقراءه الكتب له: لن أقدم على القيام بعمل من الأعمال العظيمة ما لم أقض على "لطف على خان زند"! فسأله "الشيخ جعفر التنكابنى": لو دخل "لطف على خان زند" فى طاعتك و طلب منك العفو فايه معامله كنت تعامله؟ فقال "آقا محمد خان": إن هذا الشاب الجسور المزهو لن يطيع أبدا! فقال "الشيخ جعفر التنكابنى": فما أنت صانع به ان أطاع؟ فقال "آقا محمد خان": إن أطاع سامحته. و لعلى أجعله معاونا خاصا لى. فقال "الشيخ جعفر التنكابنى": هل تأذن لى بان أكتب إليه رساله أوصيه فيها بان يسألك العفو عنه و يدخل فى طاعتك لتعفو عن ذنوبه الماضيه و يصبح مشمولاً برحمه شاه إيران؟ فقال "آقا محمد خان": اكتب إليه و إن كنت أعلم أنه لن ينزل عن مكانه من الغرور إلا يوم يمثل أمامى مقيدا.

فكتب "الشيخ جعفر التنكابنى" إلى "لطف على خان زند" رساله مطوله منمقه ذكر له فيها أنه لن يستطيع مقاومه ملك مثل "آقا محمد خان".

و خير له أن ينصرف عن غروره و عناده و يكفى نفسه و أسرته الخطر. و أوصاه فى ختام الرساله أن يكتب بخطه رساله إلى الشاه و يلتمس منه العفو، و ليطمئن إلى أنه بعد كتابه هذه الرساله سيكون موضع العفو، و يمنحه الشاه القاجارى عملا- فى البلاط يكون مناسبا لشبابه و عنصره.

و أرسل "لطف على خان زند" الجواب رسالتين إحداهما إلى "الشيخ جعفر التنكابنى" و الأخرى إلى "آقا محمد خان". فاما رسالته إلى "التنكابنى" فقد خاطبه فيها متأدبا و قال إنه يعلم بان ما حملة على الكتابه إليه إنما هو حسن النيه و ظنه بأنه يؤدى إليه خدمه. و أما رسالته إلى "آقا محمد خان" فقال فيها إن ملك إيران حق وراثى للأسره الزنديه. و أنا اليوم أعلى سره الزنديين منزله. و لذلك كان ملك إيران حقا لى. و لو فرضنا أن الأسره

الزنديه لا حق لها في هذا الملك، فاننا، ونحن سلاله زند، لن نقبل بان يملك علينا خصي. و إيران، و الحمد لله، لا يزال فيها رجال حقيقيون يستطيعون اعتلاء العرش. و لم يعدم الايرانيون الرجال فيضطروا إلى الرضا بتمليك الخصيان عليهم. و في حاله انعدام الرجال و اضطرار الناس إلى الرضا بتمليك خصي، فاننا، نحن الزنديين، لن نقبل به، و نفضل تمليك امرأه على تمليك خصي.

و قال "آقا محمد خان" للشيخ جعفر التنكابني معلقا على جواب "لطف علي خان زند": "لو أمكن تطويع المعاندين بالنصائح لما صنع السيف و لا اخترعت البندقية و المدفع. ثم قال: إني و إن كنت خصيا، سأثبت لهذا المتمرد الوقح يوم يقع في يدي أني قادر على أن أصنع ما يصنعه الفحول!

تراجع آخر

و ما إن حل فصل الربيع حتى بادر "آقا محمد خان" إلى السير بجيشه إلى غزو فارس من طريق "قم" و أصفهان. فلما وصل إلى أصفهان بلغه أن "لطف علي خان زند" غائب عن شيراز و كان هذا قد غادرها إلى الأقاليم الصحراويه الواقعه في النواحي الجنوبيه من فارس، ليجمع من أهلها متطوعين يعوض بهم من فقد من جيشه في محاربه الماضيه ل "آقا محمد خان".

و كانت ل "لطف علي خان" غايه أخرى من سفره إلى جنوب فارس، غير جمع المتطوعه لجيشه. و هي النظر في شئون التجاره الإيرانيه في مرفأ "بوشهر". فقد كان هذا المرفأ مركز تلك التجاره في جنوب إيران، و اكتسب أهميته التجاريه من عهد "نادر شاه أفشار" إذ جعله مركز القوه البحريه الإيرانيه الناشئه.

و في سفر "لطف علي خان زند" هذا إلى جنوب فارس ذهب إلى "بوشهر"، و قام باستطلاع شامل عن الأوضاع التجاريه في الخليج و في بحر عمان. و اجتمع بأهل التجاره فيه، فعرضوا عليه احتياجاتهم و مشاكلهم.

فتبين من هذا التحقيق أن لا بد له من بناء أسطول تجاري و آخر حربي لتغلب التجاره الإيرانيه و ما يتصل بها من شئون علي ما يعترضها من صعوبات و إشكالات في الخليج و في بحر عمان. و عزم على إنفاذ خطته هذه. و مثل هذا التفكير و التخطيط كانت تقصر عنه تطلعات "آقا محمد خان قاجار".

يوم غادر "لطف علي خان زند" شيراز إلى جنوب فارس كان خالي الذهن من احتمال غزو يقوم به "آقا محمد خان" بمثل هذه السرعه لشيراز.

و لذلك سافر، و هو مطمئن، للبدء بهذه التدابير العسكريه و العمرانيه. و لو تبين قرينه تدل على نيه خصمه على غزوه لما غادر هذا البطل المغوار عاصمه ملكه. و لكن مؤرخي العهد القاجاري الايرانيين يزعمون أنه خاف من "آقا محمد خان" ففر إلى الجنوب. و في هذا الافتراء ما فيه من ظلم لشجاعه هذا الشاب و بعد نظره و علو همته في طلب الإصلاح، و إن تكن الأيام و الأحداث المضاده قد أعجزته عن أن يبذل نبوغه و حسن نواياه في سبيل راحه شعبه و تقدمه! فلما وصل إلى "لطف علي خان زند" خبر بان "آقا محمد خان" قد بلغ في مسيره إلى أصفهان، كان في "بوشهر" فما عتم أن خف عائدا إلى شيراز. و بعد ثلاثه أيام من وصوله إليها خرج بجيشه منها لملاقاه "آقا محمد خان" في خارجها، كما فعل في الحرب السابقيه، ليجنب الشيرازيين

ويلايت الحصار و يجنب ما حولها من القرى و المزارع النكبات التي أوقعتهم فيها جند "آقا محمد خان" في تلك الحرب السابقة.

و تبين "آقا محمد خان" أن جيش "لطف على خان زند" أقوى من جيشه، و كان يوم سار إليه يحسب العكس، فتجنب المغامرة، و غادر أصفهان منصرفاً عن الحرب. إلا- أن مؤرخى العهد القاجارى الايرانيين ينسبون تراجعهم إلى عامل آخر لئلا يعترفوا بأنه خشى تفوق "لطف على خان زند" عليه، و ذلك تملقاً منهم للملوك القاجاريين. فيقولون إن جماعه من أعيان شيراز ذهبوا إلى "آقا محمد خان" و هو فى أصفهان، فقدموا إليه هدايا. و قالوا له: إن خوف "لطف على خان زند" ملك إيران قد جعله يفر من شيراز و يلجأ إلى النواحي الصحراويه فى الجنوب. و مع ذلك فمصلحه شاه إيران تقضى بان ينصرف عن غزو شيراز و يؤجله إلى وقت آخر. و قد قبل "آقا محمد خان" التماسهم و قفل راجعاً من أصفهان.

و هو قول متهافت. إذ لو صح أن "لطف على خان زند" خرج من شيراز فراراً من "آقا محمد خان"، إذ وجد هذا أقوى منه فخافه، لكان ذلك فرصه "آقا محمد خان" للظفر به. و هل كان المتوقع أن ينتظر "آقا محمد خان" استقواء "لطف على خان زند" حتى يهاجمه؟! و متى عهد، فى جميع العصور، أن جيشاً عاد عن مهاجمه خصمه لأنه وجده ضعيفاً؟! و هل يعقل أن يضيع عسكري نابغه مجرب مثل "آقا محمد خان" هذه الفرصه من يده، فرصه ضعف خصمه و فراره من وجهه، فلا يقدم على احتلال شيراز؟! خصوصاً أنه كان لا ينفك يتحرق شوقاً إلى الساعه التى يظفر فيها بالعدو الذى يخصه باشد حقه! لقد اقتضت روايه المؤرخين المذكورين على أن الوفد الشيرازى أخبر "آقا محمد خان" بان "لطف على خان زند" ضعيف، و أن خروجه كان خوفاً من "آقا محمد خان"، و أن الوفد المذكور التمس من "آقا محمد خان" تأجيل مهاجمه شيراز إلى وقت آخر، و أن "آقا محمد خان" قبل التماسهم.

و لكن أولئك المؤرخين لم يذكروا سبب هذا الالتماس و لا سبب قبول "آقا محمد خان" لهذا الالتماس! فان كان السبب هو الرأفه بالشيرازيين فمتى كان طاغيه جبار مثل "آقا محمد خان قاجار" يقيم وزناً لهذه الاعتبارات الإنسانية، و هو الذى ارتكب ما ارتكب من الفضائح فى "كرمان" يوم كان يتعقب "لطف على خان" فيها. و سياى ذكر ذلك؟! لم يكن تراجع "آقا محمد خان" يومئذ عن محاربه "لطف على خان زند" جيناً فيتكلف مؤرخو العهد القاجارى الايرانيون الأعذار المتهافته لتسويغه. إذ ليس كل تراجع فى الحرب يعد جيناً. و لم يكن "آقا محمد خان" تنقصه الشجاعه و لا كان هيباً. و لو كان أولئك المؤرخون و حكاهم من القاجاريين أبعد نظر أو أكثر موضوعيه لوجدوا فى هذا التراجع مدعاه للثناء و التحسين، على عكس ما تصوروا. فقد كان تراجع "آقا محمد خان" يومئذ عن غزو شيراز تعقلاً و حسن تدبير إذ وجد أن خصمه أقوى منه فراجع عن حربيه ليتقوى و يهيا جيشه على نحو يجعله كفئاً للقتال. هذا هو السبب المعقول.

و كيف ينسب أولئك المؤرخون إلى رجال الوفد الشيرازى الذين زاروا "آقا محمد خان" فى أصفهان قولهم له إن "لطف على خان زند" فر من

شيراز حين سمع بقدم "آقا محمد خان" إلى أصفهان، و الحال أن "لطف على خان زند" كان يومئذ في شيراز، عاد إليها فوراً من الجنوب ليقابل خصمه بالحرب حين عرف بمسيره إليه؟!

تذهيب مقام على ع

بعد عوده "آقا محمد خان" من أصفهان طلب إحضار أمهر صاغه إيران إليه. فاحضروا من كل من أصفهان و "كرمان شاه" و "بروجرد" ثلاثة منهم. فأمرهم بصنع ضريح من الذهب لمقام الامام على بن أبى طالب (ع) و خصص له مبلغ سبعين ألف تومان. و تظهر ضخامه هذا المبلغ بالنسبه إلى قيمه النقد فى تلك الأيام إذا علمنا أن راتب "قائد الفوج" - و هو من أعلى المناصب العسكريه - كان يومئذ عشره توماتان فى الشهر. فقاموا بصنع الضريح و حمل إلى النجف حيث نصب فى مقام الامام.

نصب ولى العهد

و مما قام به من أعمال أيضا بعد عودته من أصفهان نصبه ابن أخيه "فتح على خان" المعروف بلقب "خان بابا جهان بانى" ولياً لعهد. و كان "آقا محمد خان" لا يعتقد بالطوالع التى يقول بها المنجمون و لا بخصائص الأيام من سعد و نحس. بخلاف غيره من ملوك تلك الأيام و من سبقهم من الملوك إذ كانوا لا يعزمون على الأمور المهمه إلا بعد استشاره المنجمين و تعيينهم اليوم الموافق للقيام بالعمل.

و لكن حاشيته ما زالت تلح عليه بان يستشير المنجمين لتعيين يوم سعد لنصب ولى العهد حتى أذعن لهم. و رأى المنجم أن السابع و العشرين من شهر جمادى الأولى سنة ١٢٠٤ هـ - يوم السعد الصالح لنصب ولى العهد.

فاصدر مرسوم تعيينه فى ذلك اليوم. و جلس ولى العهد يتقبل تهانى أعيان إيران بحصوله على هذا المنصب.

على أن بين المؤرخين الإيرانيين اختلافاً فى تعيين تاريخ نصب "فتح على خان" ولياً للعهد. فمنهم من قال سنة ١٢٠٤ هـ، كما ذكرنا. و منهم من قال سنة ١٢٠٨ هـ و منهم من قال سنة ١٢١١ هـ.

و ذكروا أن إقدامه على نصب ولى عهد هو إحساسه بشيء من التوعك فى مزاجه. فخشى أن يصيبه أمر قبل تعيين ولى عهد يخلفه، و يقع النزاع بين أمراء الأسره على خلافته، و قد ينحى عنها "فتح على خان" خلافاً لإرادته، إذا كان، من بادئ أمره، يرشحه لخلافته. فبادر إلى حسم هذا النزاع المحتمل قبل وقوعه.

و حين شعر بالتوعك شخص طبيبه سبب المرض بأنه الحميه التى يواظب عليها "آقا محمد خان". و أشار عليه بان يزيد فى مقدار الطعام الذى يتناوله، فرفض و ظل متبعاً نظامه المعتاد فى الطعام. و الظاهر أن مرضه ذاك هو ما يعرف اليوم بانخفاض ضغط الدم.

مقتل جعفر قلى خان قاجار

فى سنة ١٢٠٤ هـ - و هى سنة نصب "خان بابا جهان بانى" ولياً للعهد بناء على إحدى الروايات - عزم "آقا محمد خان" على

قتل أخيه "جعفر قلى خان قاجار". و كان هذا قد أحسن من "آقا محمد خان" سوء الظن به، فكان، لذلك، لا يستبعد أن يقدم أخوه على إعمائه كما فعل بأخيه الآخر "مصطفى قلى خان". و لذلك امتنع عن الحضور إلى طهران (1) و الاجتماع بأخيه.

و كان "آقا محمد خان" قد أقام جماعه من الجواسيس على مراقبه أخيه "جعفر قلى خان" يطلعونه على أعماله يوما فيوما. و علم منهم أن "جعفر قلى خان" يجمع جنودا. فلم ير "آقا محمد خان" من غايه وراء هذا العمل سوى التهيؤ للثوره عليه. و لذلك عزم على القضاء عليه.

و من أجل أن يحمل "آقا محمد خان" أخاه "جعفر قلى خان" على الحضور إلى طهران أصدر مرسوما بتعيينه قائدا للجيش و بعث إليه برسالة قال له فيها إنه عازم على غزو فارس لمحاربه "لطف على خان"، و لذلك فإنه يعهد إليه بامر الجيش، و يطلب منه أن يبادر بالحضور مع جيشه إلى طهران فينضم إلى جيشه، جيش "آقا محمد خان"، و يحصلان من اتحاد الجيشين على جيش قوى تكون قيادته "لجعفر قلى خان" فيسير به إلى غزو فارس مفضا بان يفعل كل ما يراه لازما لإتمام مهمته إلى أن يقضى على "لطف على خان". و أهداه أيضا سيفا مرصعا و اثني عشر ألف تومان.

و طمانت الهديه خاطر "جعفر قلى خان قاجار". و جعله مرسوم تعيينه قائدا للجيش يعتقد بان أخاه بحاجه إليه فى محاربه "لطف على خان زند". و كان حقد "جعفر قلى خان" على "لطف على خان زند" لا يقل عن حقد "آقا محمد خان" عليه، شانه فى ذلك كشان أبناء "محمد حسن خان أشاقه باش" كلهم، إذ كان مده أسيرا عند "كريم خان زند" و يشتهى الانتقام من الزنديين. و لذلك أجاب دعوه أخيه "آقا محمد خان" و سار بجيشه إلى طهران فوصلها فى اليوم التاسع من شهر ربيع الأول سنة ١٢٠٥ هـ. فاستقبله أخوه بمظاهر المحبه و السرور و أصبح مطمئنا كل الاطمئنان إليه.

و كان "آقا محمد خان" يصاب بين الفينه و الفينه بألم عرق النسا فيعجز عن الوقوف و السير بضعه عشر يوما. و أخبر أخاه بذلك و قال إنه مضطر إلى التخلف عن السير معه إلى فارس لأن الوجع أخذه. و أمره بالسير وحده إليها قائدا مطلق اليد لجيشه. و تم الاتفاق على أن يمضى إلى الغزو بعد أسبوع.

ثم أذن له بالانصراف.

فلما خرج دنا منه أحد رجال البلاط و دعاه إلى تناول الطعام فى أحد القصور الملكيه بما هو ضيف الملك. و هناك أدخله إلى إحدى الغرف فدخل، و فى ظنه أنها غرفه [غرفه] الطعام. و لكن لم يلبث أن أنقض عليه جماعه فأمسكوا به فدخل أحدهم فى فمه شيئا ذا شعبتين يمنعه من إطباق فمه.

و جاء بمنديل فجمعه كتله و دسه فى حلقومه و دفعه فيه بوتد و جعل يضرب على طرف الوتد الخارج بمطرقه حتى دخل فى قصبه الرئه. و ظلوا يمسكون به حتى اختنق و همد. فأخبروا "آقا محمد خان" بموته، فدخل عليه و عاينه و تيقن من موته. ثم دعا حاشيته الذين صحبوه إلى طهران و قال لهم إن جعفر قلى خان مات بالسكته. ثم أمر بدفنه فدفن فى مقام "زيد" و قيل فى مقام "عبد العظيم".

و بمقتل "جعفر قلى خان قاجار" أمن "آقا محمد خان" جانب أقربائه إذ لم يكن بين من بقى حيا منهم من له تطلعات "جعفر

۱- ذکر "مهدی بامداد" فی کتابه "شرح حال رجال ایران" أنه كان مقیما فی بسطام".

و مقدرته على طلب الرئاسه.

فى أذربيجان

إلى ذلك اليوم ظلت أذربيجان خارج يد "آقا محمد خان". و كانت ضرائبها تجبى إلى أمرائها المحليين. و بعد مقتل "جعفر قلى خان قاجار" باثنى عشر يوما سار "آقا محمد خان" إلى أذربيجان لاختضاع أمرائها. و قبل مسيره أرسل ابن أخيه "خان بابا جهان بانى" بجيش إلى أصفهان تحسبا من قيام "لطف على خان زند" بهجوم عليها.

و من أجل أن يتمكن من السيطرة على أذربيجان كان عليه أن يبدأ بالسيطره على إقليم "طالش" و رجاله الأشداء قبل أذربيجان. و كان أمراء هذا الإقليم قد توقعوا، بعد مقتل "نادر شاه أفشار"، عن إرسال الضرائب إلى الحكومه المركزيه.

فأرسل "آقا محمد خان" أحد رؤساء عسكره اسمه "سليمان خان قاجار" إلى "طالش" بجيش عدته خمسه آلاف جندى لتحصيل ما على ذلك الإقليم من ضرائب السنه الجاريه و السنه الماضيه. و سار هو إلى أذربيجان.

و قبل وصول "سليمان خان قاجار" إلى "طالش" أرسل إلى حاكمها "مصطفى خان الطالشى" ينبئه بقدمه، متوقعا أن يخرج الحاكم إلى استقبالهم و ينزله ضيفا عليه معززا مكرما و لكن الحاكم لم يعتن به و لا خرج إلى استقباله. فكانت هذه المعامله إعلانا بالتمرد. و لذلك عزم "سليمان خان قاجار" على محاربتة، و هو فى بلاده و فى مكان يتمتع فيه "مصطفى خان" بنفوذ فائق، و يفديه الناس بأرواحهم لما كان يبذله لهم من رعايه أبويه و سهر على مصالحهم و الآخذ بيد المحاويع منهم.

و أراد "سليمان خان قاجار" إرهاب الطالشين فعمد إلى إحراق بعض بيوتهم و مصادرهم مواشيهم. فغضب الطالشيون، و بيتوا معسكر "سليمان خان قاجار" و قتلوا جماعه من جنده و فر هو مع من بقى منهم و خرج بهم من إقليم "طالش".

و يومئذ كان "آقا محمد خان" فى "سراب" من أعمال أذربيجان.

و اتفق فى إحدى الليالى أن كان "الشيخ جعفر التنكابنى" يقرأ له فى كتاب.

و أراد "آقا محمد خان" أن يقول شيئا، و إذا بلسانه يعقده فلا يستطيع كلاما. ثم يقع مغمى عليه بنوبه قلبيه. و كان ذلك فى اليوم ٢٩ من شهر صفر سنه ١٢٠٥ هـ بناء على قول بعض المؤرخين. و قال آخرون إن هذه الواقعة حدثت فى طهران فى شهر ربيع الأول سنه ١٢٠٦ هـ.

و تولى الأطباء مداواته حتى شفى، فغادر "سراب" قاصدا إلى "أردبيل"، و هى تقع على بعد أربعين و مائه كيلومتر من تبريز إلى جهه الشرق منها. فلما وصلها نزل فى قلعتها. و توافد أعيان "أردبيل" إلى زيارته. و فى هذا الاجتماع أبلغ "آقا محمد خان" زواره بأنه يعفى مدينتهم من تاديه الضرائب المتاخره من السنين الماضيه و لكنه يطلب تاديه الضرائب عن السنه الجاريه، و أمهلهم خمسه أيام لتهيئتها من سكان المدينه و خمسه عشر يوما لتهيئتها من سكان النواحي الأخرى التابعه لها. و قد أرهقهم بهذا الطلب إذ كان أوان الجنى و الحصاد لا يزال بعيدا و ليس فى أيديهم فضله من مال. و لكنهم اضطروا إلى الرضوخ فجمعوا الضريبه بشق الأنفس. أما "سليمان خان قاجار" الهارب من "طالش" فقد سار قاصدا "أردبيل". فلما قرب منها علم أن "آقا

محمد خان" فيها. فخاف على نفسه من عقابه فتوقف عن دخولها إلى أن علم أن "آقا محمد خان" قد غادرها إلى تبريز، و عندئذ دخلها. و أرسل منها رساله إلى "آقا محمد خان" قال فيها إن عسكر الطالبيين كانت عدته عشره أضعاف عده جيشه و لذلك عجز عن التغلب على "مصطفى خان" الطالشي، فقتل جماعه من جيشه و جرح جماعه و أسر جماعه. و أن لا بد، للتغلب على الطالبيين، من إمداده بجيش قوى.

و أما "آقا محمد خان" فكما دخل إلى "أردبيل" سلما لم يلق مقاومه، كذلك اقترب من تبريز لا يلقى مقاومه. و قبل أن يدخلها سارع إليه حاكمها "حسين خان بيكلر بيكى" يستقبله على بعد ثلاثه فراسخ منها. و استقبله و هو على هذا الوضع: ملا كل فرده من جزمته ترابا و ربط إحداهما بطرف من حبل و ربط الأخرى بطرفه الآخر و جعل الحبل على عنقه بحيث تتدلى الفردتان على صدره و عصب عينيه بمنديل و تقدم نحو "آقا محمد خان" حافيا يقوده من يده أحد مرافقيه. و هذا الوضع كان يتخذ في تلك الأيام المذنب الراجي للعتو إذا حضر عند من أذنب إليه.

فلما رآه "آقا محمد خان" على هذه الحال قال له: أراك تتقدم إلى على شكل مذنب يعترف بذنبه، فما هو الذنب الذى أذنبته؟ فقال "حسين خان بيكلر بيكى": ذنبى أنى تأخرت فى الاطلاع على تملك الملك السعيد فلم أبادر إلى الحضور إلى طهران و وضع نفسى فى خدمته فى الوقت اللازم.

و قد نفعت هذه الحيله "حسين خان بيكلر بيكى"، إذ سر بها "آقا محمد خان". و سبب سروره و هو حاله نفسانيه خاصه. أنه، مع كل ما كان يتصف به من صفات عاليه، كان لا ينفك مبتلى بما يسمى اليوم فى علم النفس بعقده الصغار، بسبب خصائه، و ما يلقاه أحيانا من سخرية و استهانه لاصابته بهذه العاهه. فإذا أبدى له رجل كبير كامل الرجوله خضوعا و استكانه وجد فى ذلك شفاء لنفسه.

و كان "حسين بيكلر بيكى" مذنبا حقا بمقتضى السنن و الرسوم التى كانت متبعه يومئذ. فإنه لم يبادر، حين تملك "آقا محمد خان"، إلى إظهار الخضوع و الطاعه له و إرسال الضرائب المستوفاه إليه. و قيل إن عله استقبال "حسين خان بيكلر بيكى" ل "آقا محمد خان" و هو على هذه الحاله هى أن "آقا محمد خان قاجار" ارتكب لما قدم إلى أذربيجان أعمالا قاسيه، فقتل فريقا من الرؤساء و الأمراء و أعمى فريقا منهم. فأراد "حسين خان بيكلر بيكى" تملقه و استعطافه ليعفو عنه. و قيل أيضا إن "آقا محمد خان" ارتكب بعد دخوله إلى تبريز أعمالا أخرى من هذا القبيل.

و مهما يكن فان "آقا محمد خان" أولى "حسين خان بيكلر بيكى" عنايته و أكرمه حتى إنه أعفاه من تاديه ضرائب تبريز إليه. إذ وقعت معامله "حسين خان بيكلر بيكى" له موقعا حسنا من نفسه.

و كان النافذون فى أذربيجان يومئذ جماعه من الرؤساء المحليين ياتى فى مقدمتهم "حسين خان بيكلر بيكى" حاكم تبريز و "محمد على خان بيكلر بيكى" حاكم "أروميه".

مؤامره لقتل آقا محمد خان قاجار

دخل "آقا محمد خان قاجار" إلى تبريز و نزل في قلعتها. و في ليله الثامن و العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ١٢٠٥ هـ. انعقد مجلس في بيت "محمد علي خان جوجوق" أحد رؤساء أذربيجان، حضره جماعه من الرجال كان الأعيان فيهم خمسة هم صاحب المنزل و حفيده "محمد تقى خان شام بياتي" و "محمد علي خان بيكلر بيكى"، و كان قد حضر من "أروميه" لاستقبال "آقا محمد خان قاجار" و الإعلان بطاعته له - و "محمد خان عز الدين لو" و أخوه "محمد زمان خان" و "محمد ولى آقا". و حضره أيضا غيرهم ممن هم دونهم فى المرتبه.

فى هذا المجلس اتفق الحاضرون على وجوب قتل "آقا محمد خان".

بان يطلبوا منه إذنا بالدخول عليه لتقديم هدايا إليه. فإذا دخلوا انقضوا عليه و قتلوه. و عين "آقا محمد خان" لهم موعدا للدخول عليه يوم ٢٩ ربيع الآخر سنة ١٢٠٥ هـ.

و لكن أحدهم "محمد علي خان بيكلر بيكى" حاكم "أروميه" أطلع "آقا محمد خان" على المؤامره فتهيا لها. فلما حضروا إلى القلعه - و كانت عدتهم ستة عشر - أطبق عليهم رجال "آقا محمد خان" ليعتقلوهم. و لكنهم قاوموهم و قتلوا بعضهم. و سقط من المتأمرين ستة بين قتيل و جريح.

و اعتقل التسعه الباقون. فأمر "آقا محمد خان" بقتل اثنين منهم و إعماء ثلاثة و العفو عن الباقين.

زحف الخان الزندى إلى أصفهان

قبل ذهاب "آقا محمد خان" إلى أذربيجان أرسل ابن أخيه "فتح علي خان قاجار" الملقب بـ "خان بابا جهان بانى" بجيش إلى أصفهان يربط فيها تحسبا لهجوم يقوم به "لطف علي خان زند" عليها. و فى أول شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٠٥ هـ بلغ إلى فتح علي خان "خبر بان" لطف علي خان زند" سار بجيش قيل إن عدته كانت عشرين ألف فارس قاصدا إلى أصفهان.

فبادر إلى ملاقاته فى خارج أصفهان ليتفادى الحصار. و قيل إن عدده جيشه كانت خمسين ألفا بين راجل و فارس. و التقى الجمعان عند محله معروفه باسم "سميرم" يوم الرابع عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٠٥ هـ.

و فى اليوم التالى (١٥ جمادى الآخرة) بدأ "لطف علي خان زند" الهجوم و أبدى جنده شجاعه فائقه و استطاعوا الوصول إلى بعض أقسام الجيش القاجارى حيث دارت الحرب بالسلاح الأبيض. و لكن الجيش القاجارى لقيهم بمقاومه شديده و أوقع بهم قتلا كثيرا، فرأى "لطف علي خان زند" أن يتراجع و إلا عرض جيشه للفناء، فراجع، و أخذ يعيد تنظيم جيشه و يستقدم نجدات. و استقر كل من الجيشين فى مكانه، لا يقدم على عمل حربى سوى عمليات الاستكشاف مده عشره أيام.

و رأى "خان بابا جهان بانى" أن خصمه قوى قد لا يقدر عليه. خصوصا حين بلغه أن جندا من أهل ولايه "بوير" (١) الشجعان قد قدموا إلى نجدته. عندئذ ارتأى "خان بابا جهان بانى" أن يضعف خصمه بإيقاع الاختلال فى داخل عسكره. فبعث برسالة إلى "عبد الرحيم خان" الشيرازى أحد وجهاء الإقليم المحاربين، و كان لديه جماعه من البندقين يأمر عليهم. و هو أخو "الحاج

إبراهيم الشيرازى "كلائتر شيراز، وقد مر ذكره فى ما سبق من هذا البحث. و أرسل إليه مع الرساله ألف ليره ذهبيه. و طلب منه الحضور إليه للمذاكره فى موضوع مهم.

و أجاب "عبد الرحيم" الدعوه و حضر إلى "خان بابا جهان بانى".

و اتفقا على أن يلتحق "عبد الرحيم" بجند "لطف على خان زند" ليقوم باعمال تخريب من الداخل. و مضى "عبد الرحيم خان الشيرازى إلى "لطف على خان زند" فانخدع به و قبله فى حزمته. و كانت نتيجة دسائسه أن منى "لطف على خان زند" بالهزيمه فى حملته مباغته قام بها "خان بابا جهان بانى" على معسكره ليله الخامس و العشرين من شهر جمادى الآخره سنه ١٢٠٥ هـ ع [ق]. (٢) و كان "لطف على خان زند" ينوى القيام بالهجوم على العسكر القاجارى فى صباح تلك الليله.

الخان الزندى بعد الهزيمه

كان "لطف على خان زند" من متانه الخلق بحيث لا تضعضعه النوائب و لا يستخفه النصر و الفوز، بل يبقى أبدا على مظهره المعهود متيقظا مجتمع الشئون فى جميع حالات الشده و الفرج. و هكذا كانت حاله بعد تلك الهزيمه الهائله. فكانت طباعه و تصرفاته فى اليوم التالى، و هو شريد طريد، هى نفسها طباعه و تصرفاته التى كانت له فى اليوم السابق، و هو فى مقدمه فرسانه الكماه الشجعان!

ص: ٤٥

١- ولاية فى إقليم فارس يعد أهلها أشجع أهالى ذلك الإقليم. ارتد عنها كل الفاتحين منزهين. و لم يقدر على احتلالها أحد سوى "تيمور لنك"، و لكن بعد أن تكبد خسائر جسيمه. و مع ذلك عجز عن الاستقرار فيها إذ استمر أهلها فى مقاومته حتى اضطر إلى إحراق غابتها العظيمه الملتفه، و كان البويريون يتخذون منها حصنا. و بعد إحراقها لم يستطع أيضا إدامه الاحتلال و اضطره البويريون إلى الجلاء عنها.

٢- ذكر "جان غوره" مؤلف كتاب "الخصى المتوج" أن "عبد الرحيم خان" الشيرازى واطا "خان بابا جهان بانى" فى السر على أن يهيا هذا جمالا تنصب على ظهورها مشاعل. فإذا حل الليل أوقدت هذه المشاعل ثم طردت الجمال بالصياح و النخس و ضرب الطبول صوب معسكر "لطف على خان زند" حيث تقوم مرابط خيول الفرسان، على حين يكون رجال "عبد الرحيم خان" قد قطعوا الجبال التى تشدها إلى المرابط. فتذعر الخيل من منظر الجمال المشتعله، و الخيل، بطبيعتها، تنفر أيضا من رائحه الجمال، و تركض هائمه على غير هدى، و جند "لطف على خان زند" نيام، فندوس الخيل من ندوس منهم و تهدم من الخيام ما تهدم، و يقع العسكر فى المباغته و التشويش و البلبه و التشتت، على حين يقوم عسكر "خان بابا جهان بانى" بالهجوم على المعسكر و يستولى عليه و يتحقق له النصر. فهيا "خان بابا جهان بانى" أربعمائيه جمل و نصب على ظهورها المشاعل. و فى ليله الخامس و العشرين من شهر جمادى الآخره سنه ١٢٠٥ هـ أنفذت هذه الخطه. و تحقق النصر للجيش القاجارى و تراجع "لطف على خان زند" منهزما كما توقعوا. و لكنها قصه نراها أشبه بالأسطوره منها بالحقيقه. و قد رويت واقعه شبيهه بها قيل إن "نادر شاه أفشار" قام بها و هو يغزو الهند، و أوقع الذعر بالفيله من جيش العدو بإطلاق الجمال المشتعله نحوها. و المحقق هو أن "عبد الرحيم خان" الشيرازى و غيره من ذوى "حاج إبراهيم كلائتر" الذين اندسوا فى عسكر "لطف على خان زند" قد أوقعوا فيه

اختلالا بتعمد الاساءه فى تدبيره الخطط أو فى إنفاذها و فى التوجيه و بمخالفتهم أوامر "لطف على خان زند". فانتهى أمره إلى الهزيمة.

و يوم خرج "لطف على خان زند" من شیراز قاصدا إلى "سميرم" لمحاربه "خان بابا جهان باني" عهد إلى "الحاج إبراهيم خان كلانتر" بتصريف الأمور في شیراز في غيبته، لم يخطر في باله احتمال أن يكون هذا يضمم له نيه الغدر به. فلما عاد إلى شیراز بعد هزيمته وجد أبوابها مغلقة في وجهه. فلم تخرجه هذه الصدمه الطاحنه المفاجئه عن طوره المعتاد، بل تبسم و تمثل بيت من شعر حافظ الشيرازي.

ثم طلب حضور "الحاج إبراهيم خان كلانتر" ليخاطبه مشافهه، فحضر و أخذ يخاطب "لطف على خان زند" بالبوق من فوق السور. و جرى بينهما حوار طويل تبين منه الخان الزندي أن خصمه مصر على التمرد عليه و عصيانه. و كان من بقى مع "لطف على خان زند" من جنده ثلاثمائة فارس فقط. و هم أقل من أن يستطيعوا فتح المدينه بالقوه، فانصرف عنها إلى "بوشهر" يحاول جمع جيش يهاجم به شیراز.

كان "الحاج إبراهيم خان كلانتر" قد ناصر "لطف على خان زند" على "صيد مراد خان زند" بعد أن قتل هذا أباه "جعفر خان زند" و تملك في مكانه. و شارك مشاركه فعاله في إيصال "لطف على خان زند" إلى منصب الملك. أما عله انحرافه عنه بعد ذلك و مواطاته "آقا محمد خان قاجار" عليه فقيلت فيها أشياء، أرجحها أن "الحاج إبراهيم خان" كان يأمل أن يصبح "لطف على خان" آله في يده، إذ سبقت منه هذه المنه عليه، فيكون عنوان الملك للخان الزندي و الأمر و النهي في يده، يد "الحاج إبراهيم خان". و لكن تبين أن هذا الأمير الشاب، في قوه شخصيته و نبوغه و مروءته و شجاعته و وسامته، أعلى شانا من يكون آله مسيره في يده، فخاب أمله فيه.

كان "لطف على خان زند" سمح الخلق عادلا سخيا مفطورا على الخير رحيمًا ساعيا إلى تحسين أحوال المجتمع. و كان يقول: يصعب على أن أرى وجهها مغموما، و لا أطيق أن أبيت شعبان [شعبان] و بنو قمومي [قومي] جياع. و لما كان في شیراز كان في بعض الليالي يتنكر و يخرج من قصره يتفقد المحتاجين و يحمل إليهم مساعده. و لعله أول من فكر في الشرق بإنشاء ما يسمى اليوم "الضمان الاجتماعي". و لو طال به العمر لأنشا مثل هذه المؤسسه. و كان ينوي أن يجعل في بيت المال راتبا لكل عاجز عن العمل و تحصيل المعاش. من أجل ذلك تبين "الحاج إبراهيم خان" أن لا أمل في إمكان التسلط على إرادته هذا الرجل فنفض يده منه.

و سبب آخر جعل "الحاج إبراهيم خان" ينحرف عن "لطف على خان" هو أنه أيقن بعد انكساره في وقعه "سميرم" أن الدنيا قد أدبرت عن الأمير الزندي الشاب و أنها مقبله على "آقا محمد خان". و قد تفرق جيش "لطف على خان زند" شذر مذر، و سيطول به الوقت ريثما يجمع جيشا آخر، على حين لا يزال جيش "آقا محمد خان" في الذروه من قوته و اجتماع شمله.

وصل "لطف على خان زند" إلى "بوشهر" - و كان حاكمها صديقا له - فساعده على تجهيز جيش كان جنوده يعدون من أشجع أهل فارس، و سار به عائدا إلى شیراز.

أما "آقا محمد خان" فقد أبلغ إليه ابن أخيه "خان بابا جهان باني" نبا انكسار "لطف على خان زند" في "سميرم" فأنعم عليه باهداء خنجر مرصع إليه، و أنعم على "الحاج إبراهيم خان كلانتر" بنصبه حاكما على شیراز و تلقيبه بلقب "اعتماد الدوله" و أنعم على أخيه "عبد الرحيم خان" الشيرازي بنصبه حاكما على جزء من فارس.

و أرسل أحد رجال البلاط إلى شیراز لإحصاء مقتنيات "لطف على خان زند" و مصادرتها. و كان يحسب أن لديه مالا كثيرا و أن كل ثروه "كريم خان زند" قد آلت إليه. و لكن تبين بعد الإحصاء أن تلك الأموال قد تناهبتها الأيدي فى الحروب الأهليه التى وقعت بين الزنديين. و أن كل ما بقى فى يد "لطف على خان زند" هو أربعة بيوت فى شیراز و ثلاثه بساتين فى خارجها و بعض الأثاث البيتى من فرش و غيره.

قالوا إن "آقا محمد خان" يوم كان أسيرا عند "كريم خان زند" فى شیراز كان يشفى حقه بتقطيع المفروشات الملكيه الثمينه بالسكين. و لما صودرت له مفروشات "لطف على خان زند" التى ورثها من بلاط "كريم خان زند" قال "آقا محمد خان": لو علمت أن هذه المفروشات ستؤول إلى لما أقدمت على إتلافها بالسكين! و هو قول مردود، إذ لا يعقل أن يقدم رجل جدى متين الخلق مثل "آقا محمد خان" على القيام بهذا العمل الصبيانى.

و مع هذا كان القيم على أثاث بلاط "كريم خان زند" رجلا حريصا شديد الكراهيه ل "آقا محمد خان" فليس يعقل أن يغفل عن قيامه بهذا العمل، و ليس يعقل أن لا يفتن "آقا محمد خان"، و هو الفطن الذكى، إلى أن القيم على الأثاث لا يمكن أن يغفل عنه! و أمر "آقا محمد خان" بنقل نساء "لطف على خان زند" و أبنائه من شیراز إلى طهران لينقلوا منها إلى "أسترآباد". و قيل إنهم نقلوا من شیراز إلى "أسترآباد" بعد اعتقال "لطف على خان زند".

و إذ كان "الحاج إبراهيم كلانتر" يتوقع عوده "لطف على خان زند" إلى مهاجمه شیراز فقد طلب من آقا محمد خان "مددا فامده بجيش قیل إن عدته كانت عشرين ألفا و قیل خمسه آلاف، يقودهم "مصطفى خان قاجار".

أما "لطف على خان زند" فقد عاد من "بوشهر" بالف فارس قاصدا إلى شیراز لاحتلالها. و خرج "مصطفى خان قاجار" إلى لقاءه خارج المدينه ليتفادى الحصار و ترك الدفاع عنها فى عهده "الحاج إبراهيم خان" إذا هوجمت.

و قبل أن يصل "لطف على خان زند" إلى شیراز تلقاه "مصطفى خان قاجار" فى خارجها. و كان ذلك فى سنه ١٢٠٥ أو ١٢٠٦ ه و كان بين ضباط "لطف على خان زند" ضابط شاب شجاع اسمه "أبدال خان" و يلقب بلقب "عبد الملكى". و كان من أشد الجنود إخلاصا للأمير الزندى الشاب. و مع أن جيش "لطف على خان زند" لم يكن عدده يتجاوز ألف فارس و جند القاجاريين عدته، على الأقل، خمسه آلاف جندى، فإنه لم يتراجع عن الحرب. فأفرد خمسمائه جندى من فرسانه جعلهم فى قيادته على حده. و أمر "أبدال خان" بالهجوم بخمسمائه فارس. ففكر على جند "مصطفى خان قاجار" بحمله صادقه أوقعت فيهم مقتله عظيمه و لكنهم ثبتوا و عجز "أبدال خان" عن اختراق صفهم، فتراجع عنهم لتنظيم فرسانه و إعدادهم لحمله أخرى. و ليس فى المصادر التاريخيه ما يفيد تفصيلا عن هذه الحمله و خطه "أبدال خان" فى الهجوم و التراجع. ثم قيامه فى الحمله

الثانية، سوى أن أحد المؤرخين الفرنسيين ذكر أن "أبدال خان" لما أعاد الكره ثاني مره على جيش "مصطفى خان قاجار" لم يكن قد بقي معه من فرسانه غير ثلاثمائة فارس، و أن مائتين ممن كانوا معه فى الحمله الأولى قد ذهبوا بين قتيل و جريح. فلم يكن هجومه. الثانى غير إقدام على الانتحار، إذ كيف يستطيع ثلاثمائة فارس زعزعه جيش مجهز لا تقل عدته عن خمسه آلاف محارب؟! و كانت نتيجة هذه الحمله أن أيبس جند "أبدال خان" عن آخرهم. و أصيب "أبدال خان" بثلاث رصاصات ففضى نحيبه.

معركة مرج إيرج

أصبح من غير المعقول أن يتابع "لطف على خان زند" الهجوم على شیراز. و لكنه انصرف إلى ممارسه حرب العصابات. فكان يغير ليلا و نهارا على مواقع "مصطفى خان قاجار" فيقتل و ينهب ثم يتوارى مبديا منتهى البراعه و الخفه و الشجاعه. و أخذ يقطع الطريق على حاملى العلوفه و المثونه من نواحى فارس إلى الجيش القاجارى فيسلبها منهم، و من قاومه قتله.

و لكنه كان يعف عن التعدى على غيرهم من المسافرين المترددين بين البلاد لا يتعرض لهم بسوء و لا يسلب منهم شيئا مما يحملون. و قد أتعبت هذه الغارات المتواصله "مصطفى خان قاجار" و اضطرتة إلى تجنيد فرقه قويه من الجند ترافق حاملى العلوفه و المثونه. و فى أثناء ذلك كان "لطف على خان زند" لا ينفك يجمع حوله الرجال و يجندهم فى جيشه، و جيشه يزداد عدده يوما فيوما، و ينتظر الوقت الذى يحصل فيه على جيش قوى يستطيع أن يهاجم به شیراز و يحتلها. و كان "مصطفى خان قاجار" لا ينفك يتعقبه من مكان إلى مكان محاولا اعتقاله فلا يظفر به، إذ كان يفر من مكان إلى مكان بكل براعه و خفه حتى أعجزه.

عندئذ أرسل "مصطفى خان قاجار" رساله إلى "آقا محمد خان" يطلب فيها نجده، و إلا استحال عليه القبض على الأمير الزندى. فبعث إليه "آقا محمد خان" جيشا من سته آلاف جندى يقودهم "جان محمد خان قاجار". و فى إحدى الليالى أغار "لطف على خان زند" على معسكر "مصطفى خان قاجار" و أوشك "جان محمد خان قاجار" أن يقتل، و فر جميع جنوده.

و ظل "لطف على خان زند" يمارس حرب العصابات و يجمع حوله الرجال إلى سنه ١٢٠٦ هـ إذ أناب "آقا محمد خان" ابن أخيه "خان بابا جهان بانى" عنه فى الحكم، أو نصبه حاكما على طهران كما فى روايه أخرى، و جهز جيشا سار به بنفسه قاصدا إلى فارس ليقمع "لطف على خان زند".

فلما وصل "آقا محمد خان" إلى مرج يعرف باسم "مرج إيرج" علم أن "لطف على خان زند" قصده بجيشه ليهاجمه فى ذلك المرج. و كان الوصول إلى المرج يقتضى عبور واد بين جبلين يعرف باسم "مضيق إيرج". فأقام "آقا محمد خان" على مدخل المضيق فرقه من جيشه تصد المهاجمين عن الدخول فيه. و أقام فرقه أخرى على طرف المضيق الآخر النافذ إلى المرج.

و بذلك قطع الطريق على "لطف على خان زند". و لكن هذا صعده مع فريق من جنوده من وراء التلال المحيطه بالمضيق من الجانبين إلى أعالى التلال.

صعدوا إليها زحفا على صدورهم بمنتهى الحذر خوفا من أن يكون "آقا محمد خان" قد أقام عليها حرسا. و أبقى "لطف على

خان زند " فريقا آخر من جنده قريبا من مدخل المضيق. فلما وجدوا أعالي التلال خاليه من الحرس انحدر "لطف على خان زند" مع رفاقه منها إلى قاع الوادى. و كانت العلامه بينهم و بين من ظلوا خارج المضيق أن يطلقوا أصواتا كأصوات طير الفاخته، و كان سماع صوتها ليلا مألوفا في تلك النواحي. و كان المضيق نفسه خاليا من جند "آقا محمد خان"، إذ اكتفى بحراسه طرفيه ليمنع الدخول فيه و النفوذ منه.

و أطلق الذين انحدروا إلى أرض المضيق أصوات الفاخته، و هجموا على حراس طرفى المضيق من الداخل و هجم رفاقهم من الخارج على حرس المدخل، فتغلبوا عليهم و قتلوا أكثرهم و جرح آخرون و أسر الباقي و كان بين القتلى قائد الجند المكلف بحراسه المضيق. و وقعت هذه المعركه فى ليله الثانى و العشرين من شهر صفر سنه ١٢٠٦ هـ، و لم تطل أكثر من ساعه واحده، دخل بعدها "لطف على خان" إلى المرج.

و كانت عده فرسانه ألفى فارس، أفرد منهم سبعمائه فارس على حده و جعلهم احتياطا، و هجم بثلاثمائة و ألف فارس على معسكر "آقا محمد خان". و اقترب من خيمته. و لولا استماته حرس هذا فى الدفاع عنه لقتله "لطف على خان". و أحاط حوالى ألف جندى من جنود القاجارى ب "لطف على خان" حتى قطعوه عن رجاله و ظل وحيدا بينهم. و لولا ظلام الليل و امتناعهم عن إطلاق الرصاص عليه محاذره أن يصيب بعضهم بعضا بالرصاص بسبب الظلام لقتل "لطف على خان زند" لا محاله. و كان هو أيضا غير قادر على محاربتهم بالسلاح النارى إذ كان ما فى يده منه قد خلا من الرصاص و قد أعجله ضيق الوقت عن ملئه، فهجم على محاصريه بالطبر و استطاع أن يشق صفهم و أفلت من حصارهم. و غادر معسكر "آقا محمد خان" و التحق بالاحتياطي الذى كان قد أفرد على حده من جنده، و خرج بهم من مرج "إيرج"، و سار قاصدا إلى "كرمان". و لم يقصد إلى شيراز لأن ذهابه إليها سيوقعه بين نارين، جيش "الحاج إبراهيم خان كلانتر" من داخل شيراز و جيش "آقا محمد خان" من خارجها. و قد أصبح عاجزا عن معاوده حرب العصابات بسبب كثافه الجيوش التى تجمعت فى فارس لحربه. فكانت "كرمان" أنسب مكان يستطيع فيه جمع جيش جديد للحرب.

دخول آقا محمد خان إلى شيراز

بعد انكسار "لطف على خان زند" فى مرج "إيرج"، و انطلاقه فى طريق "كرمان"، سار "آقا محمد خان" قاصدا إلى شيراز. فخرج "الحاج إبراهيم كلانتر" إلى استقباله على بعد خمسه فراسخ من شيراز. و نصب الفساطيط لاستقباله. فلما رآه هوى بوجهه إلى الأرض و قبل التراب بين يديه. ثم دخل "آقا محمد خان" إلى شيراز بين مظاهر التجليل و الإعظام.

و فى روايه أن "آقا محمد خان" أمر، بعد دخوله إلى شيراز باجلاء نساء "لطف على خان" و أبنائه إلى "أسترآباد". و ذكر جماعه من المؤرخين أن نساءه هتكت أستارهن.

ثم أرسل رساله إلى "أبو الحسن خان" (١) حاكم "كرمان" يأمره فيها

باعتقال "لطف [لطف] على خان زند" إذا حضر إلى "كرمان" وإرساله مخفورا إلى شيراز. فان لم يقدر على اعتقاله فليمنعه من دخول "كرمان".

مسير الخان الزندي إلى كرمان

الطريق ما بين فارس و "كرمان" تقع في صحراء وسيعة قاحله. و في قطعها مشقه عظيمه. و سار فيها "لطف على خان زند" يقطع الفيافي و القفار مؤملا أن يحصل من "أبو الحسن خان" حاكم "كرمان" على شيء من العون، أو، على الأقل، يستطيع تجديد قومه فيها و هو مطمئن الخاطر.

و لكنه حين وصل إلى "كرمان" وجد أبوابها مسدوده في وجهه، و حاكمها يرفض فتحها له، امتثالا لأوامر "آقا محمد خان". فأقام في خارج السور.

و أرسل حاكم "كرمان" رساله إلى "آقا محمد خان" بان "لطف على خان زند" مقيم عند سور المدينة، و قد منعه من دخولها و لكنى لم أستطع اعتقاله.

إلا أن "لطف على خان زند"، بعد أن يئس من دخول المدينة لم يطل موقفه عندها، و انصرف عنها متوجها نحو الشمال منها قاصدا إلى "راور"، و هي تقع في أقصى الشمال من ولايه "كرمان". و في شمالها تقع الصحراء الإيرانية الكبرى المعروفة.

و كان الخان الزندي الشاب يأمل في أن يحالف "محمد خان الراوري" حاكم "راور" و يجند من الرماه بالبنادق الراوريين المشاهير جيشا صغيرا يستعين به على حرب "آقا محمد خان قاجار"، أو أن يستأجر من رجال "راور" الشجعان محاربين معه إذا امتنع الحاكم عن محالفته على خصمه.

إلا- أن "محمد خان" "راور" كان قد تلقى، قبل وصول "لطف على خان زند" إليها، رساله من "آقا محمد خان" يأمره فيها باعتقال "لطف على خان زند" إذا حضر إلى "راور". و تلقى مثل هذه الرساله أيضا من "الحاج إبراهيم كلانتر" و كانت تصله به صداقه متينه.

فلما وصل "لطف على خان زند" إلى "راور" تلقاه "محمد خان" حاكمها بالحرب. و ليس في اليد من المصادر التاريخيه ما نعرف منه تفاصيل هذه الحرب سوى أن "لطف على خان زند" فوجئ بها على غير توقع منه و أن جماعه من جنده قد قتلوا فيها و أسر آخرون.

في المفازه الرهيبه

بعد هذه الوقعه وجد "لطف على خان زند" نفسه محرجا لا سبيل أمامه غير المضى في طريق الصحراء الكبرى الرهيبه المعروفة باسم "صحراء لوط" إلى مدينه "طبس" في خراسان يستنجد بحاكمها "الأمير حسن خان". (1) و كان صديقا له. و هو من كبار الممولين.

و كانت عده من بقى معه من رجاله ثمانين فارسا، سار بهم فى تلك المفازة الرهيبة، و لقوا فيها أهوالا من العطش و الجوع و إضاعه الطريق، و كادوا يهلكون هم و خيولهم. و قتل منهم ثلاثه فرسان، قتلهم بعض قطاع الطريق. و لكنه استطاع الإمساك بالقتله فحملهم معه إلى "طبس" ليوكل أمر عقابهم إلى حاكمها الشرعى مراعاة منه لحرمة إذ كان الحاكم هو صاحب الحق فى محاكمه المجرمين و معاقبتهم. و غرهم السراب مره فانتعشت نفوسهم إذ حسبوا أنهم قد اقتربوا من الماء و العمران، و لكن سرعان ما خاب أملهم حين تبينت لهم الحقيقة.

و لما اقترب "لطف على خان زند" من "طبس" بعث برسالة إلى "الأمير حسن خان" يؤذنه بوصوله. فخرج هذا لاستقباله إلى مسافة بعيدة و تلقاه بالإكرام و المودة و دخل به إلى "طبس" معززا مبجلا و أكرم مثواه غاية الإكرام. و عرض عليه الإقامة عنده على أن يضع فى تصرفه أحسن أملاكه و يقيم آمنًا مطمئنًا. و لكن "لطف على خان زند" شكره و أصر على العوده إلى فارس لمحاربه "آقا محمد خان قاجار". و أمده "الأمير حسن خان" بثلاثمائة فارس من خيره الفرسان. و أشار عليه بالذهاب إلى "يزد" و استمداد حاكمها تقى خان (٢)، اليزدى، و تعهد له بان يحمل هذا الحاكم على إجابته طلبه بتوصيه منه، إذ كان صديقا له، و أعطاه رساله إلى "تقى خان" بهذا المعنى و سار "لطف على خان زند" بفرسانه قاصدا إلى "يزد".

و فى الرابع و العشرين من شهر رمضان سنة ١٢٠٦ هـ خيم قبيل الظهر عند سفح جبل يعرف باسم "كوه كبود" (الجبل الأزرق). و استلقى ليستريح. و فيما هو نائم لسعته أفعى فى قدمه. و أجريت له الاسعافات المعروفة. و لكن قدمه ورمت و أخذته الحمى ثلاثة أيام. و مع ذلك تابع سيره لا يتوقف. ثم ارتفعت عنه الحمى و زال الورم. و فى سفره هذا مات ثلاثة شبان من فرسانه فى أثناء الطريق بمرض الحصبة.

معاربه تقى خان اليزدى

لما علم "الحاج إبراهيم كلانتر" بسفر "لطف على خان زند" إلى "طبس" بادر إلى اطلاع "آقا محمد خان" على ذلك. و عمم على أصدقائه فى بلاد فارس و "يزد" و "كرمان" تحذيرا من الاقدام على مساعده "لطف على خان زند" و إلا حل بهم غضب "آقا محمد خان" و انتقامه. و كان فى جملة من حذرهم "تقى خان" حاكم "يزد".

و لما اقترب "لطف على خان زند" من مدينه "يزد" أرسل إلى "تقى خان" نسخه عن الكتاب الذى يحمله إليه من "الأمير حسن خان" حاكم "طبس". و كان "تقى خان" قد تلقى قبل ذلك التحذير من "الحاج إبراهيم خان كلانتر". فرد على "لطف على خان زند" ردا جافيا. و بعث، فى نفس الوقت برسالة مستعجله إلى "الحاج إبراهيم خان كلانتر" ينبئه فيها باقتراب "لطف على خان زند" من "يزد"، و طلب المساعدة منه. فأجابه "الحاج إبراهيم خان كلانتر" برسالة أوعده فيها بانتقام "آقا محمد خان" إن هو أقدم على مساعده "لطف على خان زند" و مناه بالمكافاه العظيمه إن هو أقدم على قمعه و حربته. و أنجده أيضا بفرقه من الفرسان.

خان". كانت إقامته في نواحي "طبس". و كان الأب و الابن كلاهما من كبار أمراء خراسان و أقواهم.
٢- ذكره "مهدى بامداد" في كتابه "شرح حال رجال إيران" في ترجمه "لطف على خان زند" باسم "على خان الباقي".

أما "لطف علي خان زند" فاستاء من جواب "تقي خان" وعزم على مهاجمته، و كل عسكريه عدتهم سبعون و ثلاثمائة فارس. و خرج إليه "تقي خان" بجيش من ثلاثة آلاف، و قيل أربعة آلاف جندي فارس و راجل.

و وقعت حرب شديده اضطر فيها "لطف علي خان زند" إلى التراجع تفاديا للانحصار. و لكن "تقي خان" كان قادرا على محاصرته على نحو آخر في مجال أوسع. إلا أن "لطف علي خان زند" استطاع الافلات ببراعه و خفه و انسل تحت جنح الظلام و خصمه لا يشعر به. و في الصباح لم يجد له أثرا و هو يحسب أنه أصبح في قبضه يده! (١) و بعث "تقي خان" برسالة إلى "الحاج إبراهيم خان كلانتر" و رساله إلى "آقا محمد خان" يعلمهما بانهزام "لطف علي خان زند" فأنعم "آقا محمد خان" عليه بلقب "معتمد الديوان".

معركة خرمن كوه

و انطلق "لطف علي خان زند" إلى نواحي أخرى يستنجد أصدقاء و معارف له من أمرائها. و استطاع أن يحصل منهم على معونه ماليه و عسكريه.

و بلغت أخبار ذلك إلى "الحاج إبراهيم خان كلانتر" و "تقي خان" اليزدي و "آقا محمد خان قاجار". و كان هذا قد ضاق به ذرعا و عزم على القيام بعمل حاسم. فجهز جيشا من سبعة آلاف جندي بين فارس و راجل، و جعل على قيادته "محمد حسين قوانلو"، و أمره بتعقب "لطف علي خان زند" أينما كان و القبض عليه و إرساله إليه حيا أو ميتا.

فسار "محمد حسين قوانلو" بجيشه إلى شیراز. و منها سار إلى "أبرقو" في شمال إقليم فارس حيث كان "لطف علي خان زند" مشغولا بتجهيز جيشه للحمله على شیراز. و اتبع "آقا محمد خان" جيشه هذا بنجده أخرى من ثلاثة آلاف جندي بين فارس و راجل. (٢)

و لما علم "لطف علي خان زند" بمسير ذلك الجيش إليه رأى أن موقعه في "أبرقو" لا يصلح للمقاومه، فانطلق منها إلى ناحيه "نيريز". و في هذه الناحيه جبل يعرف باسم "خرمن كوه" و فيه واد يجري فيه نهر. و جانبه مرتفعات عموديه صعبه المرتقى. و طرفاه ضيقان إذا حرسا بقوه مسلحه تعذر الدخول إليه. و قد اختار "لطف علي خان زند" هذا الوادي حصنا يمتنع فيه في محاربتة للجيش القاجاري، فاحتله و رابط فيه.

و لكن "محمد حسين خان قوانلو" قائد جيش "آقا محمد خان" دبر خطه بارعه و نفذها بحزم و جرأه، مستعينا ببعض السكان المحليين الخبيرين بتسلق الجبال، و استطاع إشغال الجيش الزندي بمناوشات تمثليه عما يقوم به في الخفاء و ظلام الليل من تجهيزات شاقه تمكنه من ارتقاء المرتفعات ثم الهبوط إلى الوادي و احتلاله، و تفرق جند "لطف علي خان زند" بعد أن أوقع به مقتله عظيمه. و لكن الأمير الزندي استطاع، كعادته أن يفلت من أيديهم بتلك الشجاعه النادره المأثوره عنه. و تعد خطه "محمد حسين خان قوانلو" هذه من أعظم الأعمال العسكريه.

و أرسل "محمد حسين خان قوانلو" خبرا بهذا النصر إلى "آقا محمد خان"، فأنعم عليه بهديه هي إبريق من الذهب وزنه مقدار كيلو غرامين و أربعمائه غرام. و ظل هذا الإبريق يتوارثه أبناؤه من بعده إلى زمن "ناصر الدين شاه" فاهدوه إليه أو باعوه إياه.

وقيل إن مده حرب "خرمن كوه" هذه كانت خمسه عشر يوما وقيل كانت شهرا.

السير إلى كرمان

أما "لطف على خان زند" فذهب إلى مدينه "قاین" و أقام فيها إقامه مؤقتة. (٣)

و فى إقامته هذه فى "قاین" بدأت المقدمات التى أودت به بعد ذلك.

ففيها تقرر مصيره المشؤم حين عزم على الذهاب إلى "كرمان".

فقد عرض عليه، و هو فى "قاین"، أحد أمراء "سيستان" و اسمه "جهانجير خان" أن يكون عوناً له و أن ينجده بالف فارس. و اقترح عليه أن يجعل من ولايه "كرمان" مقراً لحكمه، و منها ينطلق إلى احتلال ولايه فارس.

فقد كان الكرمانيون يقاسون ظلماً شديداً من حاكمهم "مرتضى قلى خان" المنسوب على ولايتهم من قبل "آقا محمد خان" و مثله معاونه "محمد إبراهيم آقا قاجار" قائد الحاميه. و كان "لطف على خان زند" محبوباً فى "كرمان"، إذ كان عادلاً ذا مروءه و شهامه محباً للإصلاح و العمران.

و الكرمانيون يعرفون فيه هذه الصفات، و يتمنون أن يكون حكمهم فى يده.

و لكن الكرمانيين، من جهه أخرى، كانوا معروفين فى إيران

ص: ٤٩

١- ذكر "مهدى بامداد" فى كتابه "شرح حال رجال إيران" فى ترجمه "لطف على خان زند" أن حاكم "يزد" انكسر فى هذه المعركه و فر من وجه "لطف على خان زند" و دخل "يزد" فتحصن فيها. عندئذ غادرها "لطف على خان زند" قاصداً إلى شيراز.

٢- ذكر "جان غوره" الفرنسى فى كتابه "الخصى المتوج" أن "آقا محمد خان قاجار" بعد أن سير هذين الجيشين تلقى من العراق من أهالى مدينه كربلاء رساله ينبئونه فيها بان قبه مقام الحسين (ع) قد أصابها تصدع و يستجدون لاصلاحها. فبادر فوراً إلى إرسال بعثه من أهل الاختصاص لترميم القبه و تذهيبها، و خصص لذلك مبلغ مائه ألف تومان. و قامت البعثه بمهمتها فرممت القبه و ذهبها.

٣- قال "جان غوره" الفرنسى فى كتابه "الخصى المتوج": "بعد وصول لطف على خان زند إلى قاین ببضعه أيام حضر إليها من الهند رجل مشهور اسمه السيد على بن مير رضى الدين الأسدآبادى. و قال إن غايته من الحضور إلى إيران هى أن يعود إلى مسقط رأسه أسدآباد همذان. و توافد أعيان قاین إلى زيارته نظراً لمكانته. و أحب لطف على خان زند التعرف عليه فزاره أيضاً. و قد ارتاح الأمير الزندى إليه و أنس به و أحله ضيفاً عليه فى بيته. ثم سافر السيد على مير رضى الدين إلى مشهد لزياره الامام الرضا (ع) ثم المضى من هناك إلى مسقط رأسه فى أسدآباد همذان. و السيد على مير رضى الدين هذا كان له ولد اسمه السيد

صفدر و السيد صفدر هو والد السيد جمال الدين الأسدآبادى المعروف بالأفغانى فالسيد على مير رضى الدين ضيف لطف على خان زند هو جد السيد جمال الدين الأفغانى. و لا شك فى أنه ولد فى أسدآباد همذان، و قبور أجداده لا تزال قائمه فيها إلى اليوم. و قد تتلمذ مده على أبيه فى أسدآباد. ثم ذهب مع أبيه السيد صفدر إلى قزوین سنة ۱۲۶۴ هـ، و هو فى العاشره من عمره. فأقام فى قزوین سنتين ذهب بعدهما مع والده إلى طهران و هو فى الثانيه عشره، و حلا فى منزل "سليمان خان صاحب اختيار". و كان و هو فى طهران يعتمر "الكلاه". و قد عممه بيده أحد علماء طهران اسمه آقا السيد صادق، إذ رأى فيه من مخايل الذكاء و حسن الاستعداد ما أعجبه. و قال له أنت أهل لأن تتخذ سيما العلماء. بعد ذلك ذهب به أبوه إلى النجف حيث كان يحضر درس الشيخ مرتضى الأنصارى. يقول حسن الأمير [الأمين]: خلال زيارتى لقزوین سنة ۱۹۹۱ زرت المدرسه التى كان السيد جمال الدين يقيم فيها و يدرس، و هى معروفه مشهوره فى قزوین.

بالمسالمة و الصبر و تجنب الشغب فلم يخطر لهم على بال أن يخرجوا على حاكمهم ثائرين عليه، و إن يكن مؤرخو العهد القاجارى الايرانيون قد سوغوا الفطائع الرهيبة التى أوقعها "آقا محمد خان" بالكرمانيين، بعد احتلاله "كرمان"، بأنها كانت عقوبه لهم على أنهم ثاروا على حاكمه.

لقد حدثت حقا ثوره فى "كرمان" على حاكمها "مرتضى قلى خان" و حاصر الثائرون هذا الحاكم فى قلعه المدينه. و لكن لم يكن الكرمانيون هم الذين قاموا بهذه الثوره، بل قام بها رجال "الحاج إبراهيم كلانتر" الشيرازى.

بتدبير و إيعاز منه، لأنه كان يريد نصب أحد أصدقائه حاكما على "كرمان" بدلا من الحاكم المنسوب.

و حين اقتنع "لطف على خان زند" برغبه أهالى "كرمان" فى حكمه، و كان الواسطه بينه و بينهم "جهانجير خان" السيستانى، و أيقن بمساعدته "جهانجير خان" له عزم على السير إلى "كرمان" فسار إليها و احتل المدينه فى سنه ١٢٠٨ هـ و أعلن أكثر حكام الولاية بتأييدهم له، و نودى به ملكا على إيران.

و كان "آقا محمد خان" يومئذ عازما على غزو خراسان. فلما بلغه نبا احتلال "لطف على خان زند" لكرمان و المناداه به ملكا انصرف عن غزو خراسان و بعث ابن أخيه "خان بابا جهان باني" بخمسه آلاف فارس إلى "كرمان". و فى الرابع من شهر شوال من تلك السنه، خرج "آقا محمد خان" من طهران على أثره بجيش قيل إن عدته كانت خمسين ألفا و مائه ألف جندى و ازدادوا عشره آلاف جندى حين وصل بهم إلى فارس. و لكنه رقم مبالغ فيه بلا شك، بالقياس إلى ما يلزم لهذا الجمع الغفير من الجند من مئونه و علوفه و سلاح و إمكانيات ذلك الزمان.

فلما وصل "آقا محمد خان" إلى "كرمان" ضرب عليها الحصار فى سنه ١٢٠٨ هـ أو فى شهر المحرم سنه ١٢٠٩ هـ. و كان ل "لطف على خان زند" أنصار أقوياء فى جميع أنحاء ولايه "كرمان". و لكنه أعجل عن جمع عساكرهم فى جيش موحد إذ دهمته الحوادث فلم يجد متسعا من الوقت لجمعهم. فكان "آقا محمد خان" يحاصره فى "كرمان" منقطعا عن أنصاره فى خارجها. و "خان باب جهان باني" يغزو أولئك الأنصار كلا فى بلده بمفرده، فيتغلب عليهم واحدا واحدا و يمعن فيهم قتلا، ثم يقطع رءوسهم و يرسل بها إلى "آقا محمد خان". و قد بلغ ما جمع به إلى عمه من الرءوس المقطوعه مقداراً حمل "آقا محمد خان" على أن يكتب إليه أن حسبك! كف عن إرسال الرءوس المقطوعه إلى! ذكر "السير برسى سايكس" فى كتابه عن تاريخ إيران أن عشره أقاليم من تلك النواحي هب أمراؤها بألوف من عساكرهم إلى نصره "لطف على خان زند". و لكنهم كانوا متفرقين متباعدين لم يتمكنوا من جمع أنفسهم فى جيش موحد. فكانت عساكر "آقا محمد خان" تقصدهم و تقضى عليهم واحدا بعد آخر. و كانوا على أشد الولاء للخان الزندى، و كثيرون منهم ثبتوا فى مقاومه الخصى القاجارى لا يتراجعون حتى قتلوا عن آخرهم.

محاصره كرمانيون و فتحها

قاسى "آقا محمد خان" فى محاصره كرمانيون مشقات كبيره أفتقد فيها "المجنون الفازوكى" و شجاعته و خفته و رشاقته و براعته فى تسور الأسوار. و ذكر ما فعله من ذلك يوم محاصره طهران. و لكن الفازوكى العاشق المجنون المحارب كان يومئذ يعيش فى ظلام دامس، إذ كان "آقا محمد خان قاجار" قد أعماه قبل مده، متهما إياه، بالحق أو بالباطل، بالتسلل ليلا إلى غرفه نومه

فى قلعه طهران لقتله. فلما انطفأت باصرتاه عاد إلى مسقط رأسه "فازوك" فى نواحي دماوند و أقام فيها إلى أن مات.

و من روائع الأحداث النادره المثل التي وقعت فى هذا الحصار تطوع مائه من جند "لطف على خان زند" لعمل انتحارى أقدموا عليه بمنتهى الرجوله و الشجاعه فأفسدوا على "آقا محمد خان" خطه بذل فى إنفاذها جهدا عظيما، و حفظوا سور المدينه من الانخراق و دخول الجند القاجارى إليها.

و ذلك أن "آقا محمد خان" حفر نفقا من خارج السور لينتهى به إلى أسفل السور حيث يفرغ فيه البارود ثم يفجره فيحدث فجوه فى السور يدخل منها إلى المدينه. و كان عملا شاقا مع ما اقتضاه من التكتم و الحذر. و لكن "لطف على خان زند" علم بالخطه فغزم على تفجير النفق قبل الوصول به إلى أساس السور. و هو عمل يقتضى اقتحام الجند القاجارى خارج السور.

و كانت خطته أن ينزل بعض جنوده ليلا من أعلى السور على سلالم من الحبال تدلى فى الخارج، و معهم أكياس من البارود و أسلحه، فإذا وصلوا إلى الأرض رفعت السلالم، و مضوا إلى النفق فصبوا فيه البارود ثم فجروه، على حين يكون فريق آخر من رفاقهم فى أعلى السور مصوبين بنادقهم نحو جيش العدو، فإذا هجم أحد منه على رفاقهم الذين فى الخارج رموه بالرصاص ليحموا رفاقهم. و بعد القيام بمهمه التفجير تدلى السلالم مره اخرى ليعود عليها رفاقهم - إذا عادوا - إلى مواقعهم فى داخل السور.

و طلب "لطف على خان زند" متطوعين لهذا العمل الفدائى فتقدم له مائه شاب. و فى ليله التاسع عشر من شهر صفر سنه ١٢٠٩ هـ، بناء على قول بعض المؤرخين، قام هؤلاء الأبطال بهذه المهمه على أكمل وجه. أما الذين عادوا منهم فكانت عدتهم سبعة عشر جنديا فقط و قتل رفاقهم الآخرون و قتل أيضا كل الجنود القاجاريين الذين كانوا داخل النفق حين تفجيره.

أما أسامى هؤلاء الأبطال الأفاضل فقد أغفلها التاريخ سوى أن "غولد سميث" ذكر أن اسم قائدهم "صادق" و يعرف ب "كاكا صادق"، و كان بين المفقودين! فكيف يصح هذا الاغفال؟! ألم يكن الأجدد بالمؤرخين أن يحفظوا أسماء هؤلاء العظماء لتبقى قره عين و مناط افتخار لأعقابهم؟! و لكن مؤرخى الشرق دأبوا على إغفال أسماء مثل هؤلاء الجنود الأبطال فى ذكرهم للوقائع الحربيه، و نسبو مفاخر كل الأعمال الحربيه العظيمه إلى أصحاب المناصب العاليه.

طالت محاصره "آقا محمد خان" لمدينه "كرمان" حوالى خمس شهر (١) (من ١٧ ذى القعدة سنه ١٢٠٨ هـ إلى غره ربيع الثانى سنه ١٢٠٩ هـ).

و وقع فيها الجوع و مرض النفوس [التيفوس] و كثر الموت فيها جوعا و مرضا و انقطعت عنها المؤن و الوقود، و هى شديد البرد و الوقت يومئذ أوائل الشتاء. و قطع

ص: ٥٠

عنها "آقا محمد خان" القنوات التي تمدها بالماء، فأكتفى الأهالي بما لديهم من آبار و حفروا آبارا جديدة.

و كان الكرمانيون يتوقعون قدوم نجدات من مدن كرمان الأخرى.

و لكن انتظارهم طال حتى قطعوا الأمل. و كان "آقا محمد خان" يبعث المنادين ينادون، بين الفينه و الفينه من حيث يسمعونهم الكرمانيون يعلنون بسقوط المدن و القلاع الكرمانيه فى يد حنده [جنده] واحده بعد أخرى، حتى خمدت معنوياتهم و تولاهم القنوط.

و مع ذلك كانت كل هجمات "آقا محمد خان" على المدينة تنتهى به دائما إلى الانكسار لما كان يلقاه به "لطف على خان زند" من شجاعه و ثبات فى الدفاع، حتى إنه فكر مرارا فى رفع الحصار عن المدينة و الانصراف بجيشه عنها.

و كان الكرمانيون لا- ينفكون يسمعون "آقا محمد خان" و جنوده من فوق الأسوار و من ورائها بالشتائم المقذعه. و أكثر ما كانوا يعيرون ب "آقا محمد خان" خصاؤه. فيكون لذلك وقع أليم شديد فى نفسه، و كل ما أوقعه بالكرمانيين من فظائع بعد أن تم له فتحها كان سببه الحقد الهائل الذى كان يبعثه فى نفسه تعبيرهم له بهذه العاهه. و بلغ من حساسيته من هذا الأمر أن رجاله و حاشيته كانوا يتحاشون كل كلمه و كل إشارة تفيد معنى الخصاء.

و حزم "آقا محمد خان" أمره و عزم على القيام بعمل حاسم لفتح "كرمان" و تم له فتحها. و لكن المؤرخين لم يذكروا، الخطه التى اتبعها "آقا محمد خان" حتى تم له الفتح. و كل ما ذكروه هو أن بعض أصحاب "لطف على خان زند" خانه، و أن الجوع و المرض قد هد قوى المحصورين. فكان ذلك سببا فى استسلام المدينة للغازى.

و لسنا ننفى وجود خونه بين رجال "لطف على خان زند". فوجود هؤلاء أمر مألوف معقول فى كل حدث من مثل هذه الأحداث. و لكن الخيانه لا تكون فاعله الا إذا ترتبت عليها ثوره و تمرد و تخريب. و هذا أمر لم يقع فى جند "لطف على خان زند". بل ظل الناس، بصورة عامه، على ولائهم له.

و مجرد نيه الخيانه عند بعض رجال "لطف على خان زند" لا- يكفى لفتح أبواب "كرمان" فى وجه "آقا محمد خان". و كذلك تفسى المجاعه و الموت بالجوع. هذا مع أن المجاعه اقتصرت على المدنيين. أما الجنود فكانوا يحاربون و هم شباع أقوياء.

كان الخندق المحيط بالسور من أكبر العوائق التى تعرقل هجمات "آقا محمد خان". و لذلك أمر بملء مواضع منه بالتراب حتى ساوت وجه الأرض، و أصبحت ممرات يسهل عبورها إلى السور. و كانت خطته أن يسير أبراجا متحركه على هذه الممرات مع جنود يحملون سالام و أكياسا من البارود، فإذا وصلوا إلى أسفل السور نصبوا السلالم عليه، و كان قليل الارتفاع، و صعدوا إلى أعاليه فأحدثوا حفرا فيها و ملئوها بالبارود و فجروها و خرقتها فى السور مدخلا إلى المدينة. و قد نجح "آقا محمد خان" فى إنفاذ هذه الخطه. و بديهى أن عدد من قتل من الطرفين فى هذا الهجوم كان كبيرا. و كان أثر انفجار البارود شديدا اهترت به النواحي المحيطه بالمدينه على مدى بضعه كيلومترات منها. و انهارت بضعه منازل قريبه من السور. و دخل الجند القاجارى من هذه الثغرات إلى المدينة. و أمرهم "آقا محمد خان" بالمبادره إلى إزاله ما وراء البوابات من صخور و دعامات، و قتل كل

إنسان يقع في طريقهم. و أمرهم باجتناّب كل نوع من أنواع التعدى ما دام في المدينه مقاومه. فإذا توقفت المقاومه و ألقى الناس سلاحهم أبيحت لهم الأموال ينهبونها و الأعراض يهتكونها و الرقاب يسترقونها!

خروج الخان الزندى من كرمان

كان "لطف على خان زند" من أول أمره، قبل وصول "آقا محمد خان" إلى ولايته "كرمان"، يرفض التحصن في مدينه "كرمان"، و يرى مصلحته في محاربه خصمه في ميدان مكشوف. و لكن "جهانجير خان" و أنصاره الآخرين ما زالوا به حتى أقنعوه بالتحصن في المدينه إذ كانوا يتوقعون أن لا-يقو "آقا محمد خان" على إدامه الحصار حين يحل فصل الشتاء، و كان قريبا، بسبب البرد الشديد الذى يقع فيها شتاء.

و لما دخل جند "آقا محمد خان" إلى "كرمان" كان "لطف على خان زند" فى قلعتها. فبادر إلى الخروج منها مع حاشيته و حرسه الخاص. إذ كانت المقاومه فيها أمرا مستحيلا. و كل ما كان يرجوه هو أن يتمكن من الافلات من يد عدوه. و كان كل من معه من الحرس مائه رجل فقط، فى أصح الروايات. و وضع "آقا محمد خان" جائزه لمن يقبض على "لطف على خان زند" حيا مقدارها عشره آلاف تومان. و هى مبلغ ضخم يعادل أربعة ملايين فرنك فرنسى تقريبا من نقد اليوم. و من جاء برأسه لا جائزه له.

و لذلك تجنب كل الذين تعقبوه و قاوموه أن يصيبوه بالرصاص رجاء أن يقبضوا عليه حيا و يحصلوا على الجائزه. و لو لا ذلك لاستطاعوا قتله، و هم ألوف قادرون على صب و ابل من الرصاص عليه من كل جانب. و كان "آقا محمد خان" يحرص على الإمساك به حيا ليستمتع بالنظر إلى تعذيبه أطول ما يمكن من الوقت. و كان يقول إن قتل "لطف على خان زند" هو أهون عقوبه توقع به، فهى لا تكفى لشفاء ما فى صدرى من حقد، و لو استطعت إطاله مده تعذيبه مائه عام لفعلت! و كان جند "آقا محمد خان" يسيطرون على كل ممر فى المدينه.

و بوابات السور لا تزال مسدوده. و الخندق المحيط بالسور يتعذر على الهارب اجتيازه. و لا منفذ ل "لطف على خان زند" إلى الخارج غير الثغره التى أحدثها الانفجار فى السور. و لا وسيله لاجتياز الخندق غير ذلك الجزء منه الكائن وراء الثغره الذى سبق أن ملأه "آقا محمد خان" بالتراب حتى ساوى الأرض و عبر عليه إلى السور.

و انطلق "لطف على خان" على حصانه "گران" يشق الصفوف و حوله حرسه المائه يحمونه بأنفسهم حتى قتلوا دونه كلهم لم يسلم منهم أحد. و كانت استماتتهم فى الدفاع عنه من روائع أعمال الوفاء.

كان "لطف على خان زند" يهجم على المحاربين المجريين شاهرا سيفه، و هو يصيح: أنا لطف على خان زند تابع الشيخ الشبسترى! (١).

توفى " الشيخ محمود الشبسترى " فى النصف الأول من القرن الهجرى الثامن.

١- كان "لطف على خان زند" من أهل الثقافة و المعرفة، و ينظم الشعر. و كان معجبا بالعارف "الشيخ محمود الشبستري" مطالعا على أحواله و أخباره و يقتنى مؤلفاته

فيوقع صوته الرعب في قلوبهم و ينفرجون من بين يديه مذعورين متباعدين عن طريقه. و هذا أمر اعترف به مؤرخو العهد القاجارى الايرانيون أنفسهم، و هم الذين أجبروا على كتمان فضائل "لطف على خان زند" خضوعا لاراده الحاكمين. و ذكره الكاتب الانكليزى "جيمس موريه" الذى ساح فى إيران مرتين و كتب كتابين عن سياحته. و هو مؤلف الروايه المشهوره "حاجى بابا أصفهان".

و استمر "لطف على خان زند" يصول بسيفه و يشق الصفوف وحيدا، بعد أن قتل حرسه المائه، حتى نفذ من ثغره السور و أصبح خارج "كرمان"، و معه بضعه من رؤساء حاشيته منهم "جهانجير خان". و حين أصبحوا خارج السور لم يهتد هؤلاء إلى مكانه بسبب البلبله و التشتت و حلول الظلام. و بقى وحيدا. و بذلك انتهت تلك الحرب الرهيبه. و فى اليوم الثانى قطعوا رؤوس رفاقه المائه و نصبوها على سور المدينه. و لما بلغ خبر إفلات "لطف على خان زند" إلى "آقا محمد خان قاجار" غضب و عض على يده من الغيظ عضه أدمت يده!

إباحه كرمان و إعماء الكرمانيين

حين انتهت الحرب فى "كرمان" أطلق الخصى المتوج أيدى جنوده فى "كرمان" يستبيحون منها ما شاءوا. فبدأت حملته القتل و النهب، و قد أهدرت دماء الناس و أعراضهم و أموالهم. فالجندى منهم يقتل من يروق له قتله من الرجال و يهتك ستر من يحلو له هتك سترها من النساء و ينهب ما يعجبه نهبه من الأموال. و أغلق بعض الأهالى أبواب بيوتهم على أنفسهم و ظلوا مقيمين فيها. و داهمها جنود "آقا محمد خان" فوجدوا كل من فيها من النساء قتيلا. لقد أقدم آباؤهن و إخوتهن و أزواجهن على قتلهن ليحفظوا شرفهن بالموت! فكان الجنود المداهمين يتمون المجزره بتعذيب من يجدونه فى تلك البيوت من الرجال. ليحملوهم على الإقرار بما يحتمل أن يكونوا قد خبئوه من ذهب و فضه و جواهر، ثم يقتلونهم، و ينهبون ما يجدونه من مال و متاع.

و بعد أن نهب جنود الخصى القاجارى كل شىء، حتى القدر الحقيقه من بيت أفقر فقير فى "كرمان"، و قتلوا كل من أبدى مقاومه، و عذبوا كل من ظنوا به الغنى ليحملوه على الإقرار بما عنده من مال حتى مات جماعه كبيره منهم بالتعذيب، و هتكوا أستار النساء و الأبكار، أمر الخصى القاجارى جنده بوقف الغاره فوقففت. و قيل إن هذه الغاره دامت يوما واحدا و قيل يومين اثنين و قيل ثلاثه أيام.

و قال بعض مؤرخى العهد القاجارى من الايرانيين إن "آقا محمد خان" إنما أباح "كرمان" لما استولى عليه من الغضب بسبب فرار "لطف على خان زند". فلما بلغه نبا بان "لطف على خان زند" قد اعتقل سكن غضبه فأمر بوقف الغاره.

و هو قول مردود. لأن "لطف على خان زند" فر إلى بلده "بم" فى الجنوب الشرقى من "كرمان". و قد استغرق وصوله إليها يوما و ليله.

و قبض عليه بعد ثلاثه أيام من إقامته فيها. فهذه أربعه أيام. و إيصال خبر القبض عليه إلى "آقا محمد خان" يستغرق، فى أقل تقدير، يوما و ليله.

فهذه خمسه أيام. و أولئك المؤرخون من مؤرخى العهد القاجارى يقولون إن نبا القبض على "لطف على خان زند" وصل إلى

"آقا محمد خان" بعد يوم من بدء الغاره، أى يوم فرار "لطف على خان زند"، أو بعد يومين أو ثلاثة، فسكن غضبه و أوقف الغاره، مع أن وصول نسا القبض على الهارب لا بد أن يستغرق أياما كما رأيت. و حتى لو جعلنا مده الغاره ثلاثة أيام فهي غير كافيه لإيصال الخبر إلى "آقا محمد خان".

ثم إن "آقا محمد خان" عاد فأمر، بعد وقف الغاره، باعماء الكرمانيين كلهم. فما الذى أغضبه حتى أصدر هذا الأمر؟! ألم يكن غضبه قد سكن بعد معرفته بنبا القبض على "لطف على خان زند" كما قالوا؟! إن إقدام "آقا محمد خان" على إصدار هذا الأمر يصعب تعليله.

و ليس فى اليد أثر باق منه يمكن أن يستنتج منه تعليل أو تكهن. و هو لم يكتف بالأمر باعماء الكرمانيين أمرا مطلقا. بل أمر بان يكون الاعماء على أفضع كفيات هذا العمل الرهيب.

كانت الطريقه المتبعه قديما فى إعماء المحكوم عليهم هى إحماء ميل دقيق من المعدن و لسع حدقه العين به فيفقد المحكوم عليه بصره و لكن تبقى عيناه فى مكانهما و على شكلهما. أما "آقا محمد خان" فقد أمر بان يكون الاعماء باقتلاع العين بالإصبع من مكانها! كان الاعماء الجماعى نادر الوقوع جدا فى تاريخ إيران. و لكنه كان شائعا فى حكم الخانات فى بلاد تركستان و ما وراء النهر. و قد تعذر على المؤرخين الأجانب تبين السبب الذى حمل "آقا محمد خان" على القيام بهذا العمل الفظيع. و يقول "روبرت غرانت واطسون" الانكليزى لا يمكن افتراض سبب لذلك سوى إرادته "آقا محمد خان قاجار" الاقتداء بمن سلف من أولئك السلاطين، إذ لم تكن له فائده حربيه أو غير حربيه من هذا العمل. فما أفضعه من عمل و ما أعظمها من حماقه! كان جنود الخصى القاجارى يمسون بالناس فيربطون أيديهم و أرجلهم ثم يقتلعون عيونهم بالأصابع، و يقطعون ما بقى عالقا بمكان العين من أعصاب و عروق بالسكين. و كان بعض هؤلاء التعساء يموتون من النزيف و بعضهم بالغرغرينا. و قد غطت هذه الفظاعات جميع حسانات "آقا محمد خان قاجار". فلا يذكره أحد اليوم بشىء سوى أنه ظالم طاغية. لا يذكره أحد بما هو عالم ذكى حازم مالك لهوى نفسه، و أنه كان، بعد "نادر شاه أفشار"، موحد إيران.

لطف على خان زند فى "بم"

تابع "لطف على خان زند" سيره قاصدا إلى "بم" و هى مدينه صغيره تقع إلى الجنوب الشرقى من مدينه "كرمان". و كان حاكما عليها رجل اسمه "محمد على خان"، و هو أخو "جهانجير خان" السيستانى الذى مر ذكره.

و اختلفت الروايات فى عدد من صحب "لطف على خان زند" من رجاله إليها. و أصحها أنه لما وصل إلى "بم" كان وحيدا.

و فى "بم" نزل ضيفا على الحاكم "محمد على خان" فاستقبله هذا بالإكرام و الاحترام. ثم روى له "لطف على خان زند" وقائع حرب "كرمان". و ساله عن أخيه "جهانجير خان" فأخبره بأنه خرج من "كرمان" سالما لا يلبث أن يلحق به.

و أدرك "محمد علي خان" أن "آقا محمد خان قاجار" لن ينصرف عن تعقب "لطف علي خان زند" حتى يعتقله أو يقتله. و كان يخشى أيضا علي أخيه "جهانجير خان" من انتقام "آقا محمد خان" لمخالفته "لطف علي خان زند" عليه. فرأى أنه لو اعتقل الخان الزندي و سلمه إلى "آقا محمد خان" لحصل، في مقابل ذلك، علي العفو عن أخيه من "آقا محمد خان". إلا أن المؤرخين الغربيين مجمعون علي أن تفكير "محمد علي خان" في الغدر بضيفه و تسليمه إلى عدوه لم يكن الدافع إليه رجاء الحصول علي العفو عن أخيه فقط، بل كان له دافع آخر أيضا هو الحصول علي الجائزه من "آقا محمد خان". فقد كان هذا أعلن سنه ١٢٠٥ هـ. الموافق سنه ١٧٩٠ م، بعد وقعه "سميرم" بين "لطف علي خان زند" و "خان بابا جهان باني"، بأنه سيتمنح: جائزه كبيره لمن يأتيه ب "لطف علي خان زند" حيا أو ميتا. بل قال أولئك المؤرخون إن اهتمام "محمد علي خان" بالحصول علي الجائزه كان أقوى في نفسه من اهتمامه بالحصول علي العفو عن أخيه. و لهم علي ذلك أدله قويه، منها أن "محمد علي خان" لما تمكن من اعتقال "لطف علي خان زند" أرسل رساله إلى "آقا محمد خان" يشره فيها بذلك. و لكنه لم يأت فيها علي ذكر أخيه بشيء، و إنما اقتصر علي تذكيره بوعده بالجائزه و مطالبته بالوفاء بهذا الوعد!

اعتقال لطف علي خان زند

عزم "محمد علي خان" علي الغدر بضيفه باعتقاله و تسليمه إلى "آقا محمد خان". فلما أراد "لطف علي خان زند" استئناف السفر، و كان يقصد إلى "سيستان"، استمهله بحجج مصطنعه. و ظل يستمهله حتى آخره ثلاثه أيام، إذ عزم "لطف علي خان زند" عزما قاطعا علي استئناف السفر.

و ذهب إلى الاصبطل، و كان الوقت ظهرا، فأسرج حصانه "گران"، و فيما هويهم بامتطائه رأى جماعه من الرجال مقبلين إلى الإصبطل شاهري السيوف فاستطاعوا بعد معركه بطوليه القبض عليه جريحا و حمل إلى منزل "محمد علي خان". و أرسل هذا رساله "إلى كرمان" إلى "آقا محمد خان" يخبره باعتقال "لطف علي خان زند".

و في صباح اليوم التالي حملوه إلى بلده اسمها "دارزين" تقع علي الطريق بين "بم" و "كرمان"، و هو محموم. و رافقه "محمد علي خان" و أخ آخر له غير "جهانجير خان"، و جماعه من الحرس. و أقاموا في تلك البلده ينتظرون جواب "آقا محمد خان قاجار" و أوامره. و فيما هم ينتظرون وصل إلى "دارزين" "جهانجير خان"، و هو يقصد إلى "بم"، و كان قد تخلف عن "لطف علي خان زند" بعد فرارهما من "كرمان". فلما علم أن أخويه قد غدرا بالخان الزندي و اعتقاله لم ينكر عليهما عملهما. ثم وصل رسول من "آقا محمد خان" يحمل جواب رساله "محمد علي خان"، و فيه يأمره بتسليم الأسير إلى رسول قادم من قبله اسمه محمد ولي خان قاجار ليحمله إلى "كرمان".

فلما وصل تسلّم "لطف علي خان زند" من آسريه و قبيل وصولهم إلى معسكر "آقا محمد خان"، وضعوا في عنقه رسنا، و سلسلوه بزنجير يزن ما يعادل خمسه عشر كيلو غراما من أوزان اليوم، أفلوا أحد طرفيه علي يديه و الآخر علي قدميه.

آقا محمد خان يتجلبب بالعار!

فلما بدا "آقا محمد خان" لأنظارهم أمر "محمد ولي خان قاجار" أسيره "لطف علي خان زند" بالسجود له. فقال: أنا لا أسجد لغير الله! فما كان من "محمد ولي خان قاجار" إلا أن ضربه علي رأسه، و صاح به: آمرك بالسجود! فقال الأمير الزندي: قلت

لك أنا لا اسجد لغير الله وحده! فشد "محمد ولي خان قاجار" يديه على رأس الأسير الجريح العاجز حتى طأطاه و ألقاه على الأرض و أخذ يمرغ وجهه فى التراب! و قد ذكرنا أن "آقا محمد خان" كان يتجنب إعلاء صوته لشباهته بصوت النساء بسبب خصائه، فلا يسخر منه سامعوه. فإذا أراد استدعاء الخدم استدعاهم بالضرب على صنج أو طبل ليخفى ما فى صوته من خنوته.

و لكنه فى تلك الساعة، و قد رأى عدوه بين يديه، لم يستطع أن يملك نفسه فصاح بأعلى صوته: أى لطف على! أرى أنك لا تزال على غطرستك لم يزايلك الغرور! و ها أنا أفعل بك الآن ما لا- تستطيع أن ترفع رأسك بعده أبدا! ثم أمر الخصى القاجارى العالم المتدين الفقيه بإحضار جماعه من الاضطبل! و إن المرء ليحتر كيف يقدم رجل مثل "آقا محمد قاجار"، و هو الفاضل المتشدد فى إجراء أحكام الإسلام الذى لم يترك صلاه قط، على إصدار مثل هذا الأمر لا يستحى من عاره! هذا الأمر الذى لم يجرؤ مؤرخ على التصريح بمضمونه، و لا نجرؤ نحن أيضا على ذلك! لقد خيل إلى ذلك الخصى أنه سيوقع، باصداره ذلك الأمر، رجلا مثل "لطف على خان زند" فى العار. و الحال أن الذى وقع فى العار إنما هو "آقا محمد خان قاجار" نفسه! و لم يذكر المؤرخون تاريخ اليوم الذى أدخل فيه "لطف على خان زند" على "آقا محمد خان" فى "كرمان". و قال بعضهم كان ذلك فى سنة ١٢٠٨ م. - و قال آخرون سنة ١٢٠٩ هـ. و لكن لا يستبعد أن يكون ذلك قد [حدث فى أواخر شتاء سنة ١٧٩٣ م أو سنة ١٧٩٤ م. أما "محمد على خان" و أخوه "جهانجير خان" فلم يحضرا إلى "كرمان" بعد أن سلما أسيرهما إلى "محمد ولي خان قاجار".

بعد تلك الواقعة وضع "لطف على خان زند" فى الاضطبل، و هو يغلى بالحمى و يده و قدماه فى الزنجير و عنقه فى الرسن. و كان يشكو العطش. و لكن خدم الاضطبل امتنعوا عن إسقائه الماء خوفا من غضب "آقا محمد خان".

و فى اليوم التالى أمر "آقا محمد خان" بإحضاره إليه. فجاءوا به يمسكونه من عضديه، إذ كان عاجزا عن الوقوف و السير، يجر جر قيوده و الرسن فى عنقه، و ألقوه أمام "آقا محمد خان". فقال له هذا: لطف على، قل لى أ ما زالت بك غطرسه، أم زايلتك غطرستك؟! فما كان من "لطف على خان زند" إلا أن تحامل، مع ما به من ضعف و عجز و مرض، و رفع رأسه و بصق فى وجه "آقا محمد خان قاجار"، و قال له: أيها الخصى الحقير، أنا لا أخشاك! و كان تعبيره بالخصاء أعظم ما يؤذيه. حتى كان كل المتصلين به يتجنبون كل كلمه و كل إشارة تفيد معنى الخصاء من قريب أو بعيد، و إلا

أوقع بهم عقوبه القتل. وقد قالها له "لطف على خان زند" بمسمع من كل الرؤساء و الأعيان الذين هم فى حاشيه "آقا محمد خان".

عندئذ أمر "آقا محمد خان" بإحضار الجلاد فاحضر. فأمره باقتلاع عيني "لطف على خان زند". فربط الجلاد يدي الأسير و رجليه على نحو لا يستطيع معه حراكا. ثم نهض "آقا محمد خان" من مجلسه و وقف على رأس الأسير ليستمتع عن قرب بالنظر إلى اجراء العمل الفظيع الذى أمر به. و لعل وقفته هذه هى التى أوهمت بعضهم بأنه هو الذى قام بهذا العمل. ثم اقتلع الجلاد عينيه بأصابعه. و عندئذ قال "آقا محمد خان" مخاطبا "لطف على خان زند": "الآن دورى فى أن أبصق فى وجهك ثم بصق على وجهه. و لكن "لطف على خان زند" لم يسمع كلامه و لا شعر ببصاقه لأنه كان مغمى عليه! و أعلن "آقا محمد خان" أنه يريد الإبقاء على "لطف على خان زند" حيا ليستمتع بتعذيبه، و أنه يريد أن يصحبه معه فى أسفاره ماشيا و الرسن فى عنقه. فقبل له إن حالته لا تسمح بذلك و هو موشك أن يموت، و لا بد من مداواته إذا أريد له أن يبقى حيا. عندئذ أمر "آقا محمد خان" بمداواته، و انطلق هو إلى شيراز. و منعوا عن "لطف على خان زند" الطعام سوى قليل من الخبز و الماء و أفضوا مضجعه. و كان أحيانا يسكن أوجاع محنته بالتغنى باشعار "الشيخ محمود الشبستري" أو أشعار العارف "بابا طاهر عريان" ينشدها بنغمه شجيه محزنه.

ثم أمر "آقا محمد خان" بنقله إلى طهران، و كان قد عاد إليها من شيراز، فنقل إليها. و أحدثت إقامته فى طهران عطفًا فى نفوس الطهرانيين عليه. بل كان بعضهم يجاهر بأنه أحق بالملك. فهو وريث "كريم خان زند". و قد ملك هذا مده على طهران. و أن إعماء "لطف على خان زند" لا يمنع من تملكه عليهم. فان "شاه رخ شاه أفشار" يملك فى خراسان و هو أعمى.

و قد خشى "آقا محمد خان قاجار" من تطور هذه المشاعر و الأحاديث إلى ما لا تحمد عقباه، فأمر بقتل "لطف على خان زند". فربط الجلاد يديه و رجليه، ثم جاء بخرقه فجمعها على شكل كره و أدخلها فى فمه و دسها فى حلقومه و أتبعها بوتد أدخل طرفه فى الحلقوم فوق الخرقه و أخذ يضرب على طرفه الآخر بمطرقة من الخارج حتى دخلت قصبه الرئه، و لم يلبث أن مات.

و دفن فى مقام "زيد" فى طهران و عفى قبره و كان موته سنة ١٢٠٩ هـ.

و عمره ٢٩ سنة و بموته انقرض ملك الزندين. و قد دام ثلاثا و أربعين سنة.

حرب "شوشى" فى القفقاس

فى تلك الأيام كان نهر "أرس" الواقع فى شمال آذربيجان نهرا إيرانيا.

و حد إيران الشمالى خط يمتد من "سوخوم" على ساحل البحر الأسود فى جهة الغرب إلى مصب نهر "ترك" فى بحر الخزر من جهة الشرق. أما اليوم فان الأراضى الواقعة فى جنوب هذا الخط إلى ساحل نهر "أرس" تابعه لما كان يعرق بالاتحاد السوفياتى. و كانت فى عهد "آقا محمد خان قاجار" جزءا من أرض إيران. و كان ملوك إيران يقبلون بان يكون حكام الولايات الواقعة فى شمال نهر "أرس" من أهلها. و قد ينصبون عليها أحيانا حكاما من أهل تبريز أو قزوین أو أصفهان أو طهران أو غيرها. و لم يكن الملوك يتدخلون فى شئون تلك الولايات الداخليه إلا إذا خرج عليهم أحد حكامها أو امتنع عن تاديه

الضرائب إليهم. و كانت تقسيماتها غير ثابتة. و لكنها، بوجه الإجمال، كانت تعرف بأسماء "كرجستان" و "أرمينيا" و "قراباغ".

و بعد قتل "لطف على خان زند" ببضعه أشهر بلغ إلى "آقا محمد خان" خبر بان "إبراهيم خليل خان" حاكم "قراباغ" الملقب بـ "جوان شير" قد خرج عليه و امتنع عن أداء ضرائب الولاية إلى عماله و أنه أخذ في تحصين مدينه "شوشى" عاصمه الولاية.

فسار إليه "آقا محمد خان" لاختضاعه (١). و حاصر عاصمه الولاية مدينه "شوشى". و خرج "إبراهيم خليل خان" بجيشه من المدينه و وقعت معركة خارج السور كانت خسائرها، فى أصح الروايات، من قتيلى و جريح، حوالى ألف جندى من عسكر "آقا محمد خان قاجار"، و مثلهم من عسكر "إبراهيم خليل جوان شير".

و رأى "آقا محمد خان" أن المصالحة خير له من إدامه الحرب، فأرسل مندوبا عنه إلى "إبراهيم خليل جوان شير"، يفاوضه على الصلح. و تم الاتفاق على أن يبعث حاكم "شوشى" رساله إلى "آقا محمد خان" يعلن فيها بطاعته و تاديه ما عليه من الضرائب. و أن يعلن بذلك أيضا من على سور المدينه لجنود "آقا محمد خان".

و بعد أن كتب الرساله و بعث بها إلى الخان القاجارى، صعد فى ١٩ من شهر المحرم سنه ١٢٠٩ أو ١٢١٠ هـ. إلى ظهر السور بحيث يشرف على معسكر "آقا محمد خان"، و قد لبس كفنا، و "آقا محمد خان" على ظهر حصانه تحت السور، و نادى بدخوله فى طاعه الملك القاجارى و وعده بان لا يخرج أبدا على إرادته و أن يواظب على أداء ما يترتب عليه من الضرائب.

و إذ كان "آقا محمد خان" يتجنب رفع صوته بالكلام لئلا يتبين السامعون ما فيه من خنوته فيستخفوا به و يسخروا منه، فقد أناب عنه أحد رجال حاشيته يجيب "إبراهيم خليل جوان شير" بالرضا عنه و تقبل ما أرسله إليه من هدايا و رفع الحصار عن مدينه "شوشى". و هكذا انتهت هذه الحرب (٢).

نكبه تفليس

يقول العقيد الانكليزى "غولدا سميث" إن لانفصال الولايات الواقعه فى شمال نهر "أرس" عن إيران سببين اثنين من الأسباب الاجتماعيه المعنويه. السبب الأول هو ما ارتكبه "آقا محمد خان قاجار" فى "تفليس" من فجائع و فظائع. و السبب الثانى هو انغماس "فتح على شاه" فى الشهوات.

و انصرف "آقا محمد خان قاجار" عن "شوشى" فى الثالث و العشرين من شهر المحرم سنه ١٢٠٩ أو ١٢١٠ هـ. و ترك فى "قراباغ" ثلاثه آلاف جندى بين راجل و فارس احتياطا من أن يعاود "إبراهيم خليل خان" التمرد و يقوم بحمله عليه من ورائه. و سار قاصدا إلى "هرقل" أمير "كرجستان" لاختضاعه. و "كرجستان" هى الحد الشمالى الأعلى لأرض القفقاس التى

ص: ٥٤

١- لم نجد ذكرا للتاريخ مسير "آقا محمد خان" إلى محاربه "إبراهيم خان جوان شير". و لكن يستفاد من بعض النصوص أن "آقا محمد خان" كان أواسط شهر المحرم سنه ١٢٠٩ أو ١٢١٠ هـ يحاصر مدينه "شوشى".

٢- ذكرنا في ما مر بعض التفاصيل عن هذه الواقعة.

دخلها الإسلام. فعندها وقف امتداد الإسلام. وعاصمتها "تفليس" ومعناها في اللغة الكرجيه "الماء الحار". و سبب التسميه وجود حمات(1) في هذه المدينه.

و كان جيش "آقا محمد خان" ثمانين ألف جندي بين راجل و فارس.

و جيش "هرقل" خمسه عشر ألفا، منهم ثلاثه عشر ألفا مشاه و ألفا فارس. و كان حين عزم على الخروج على "آقا محمد خان" قد استنجد بامبراطوره روسيا "كاترين الثانيه". و لكنها لم تنجده لأسباب سياسيه و عسكريه و شخصيه. و كان بين جنده فرقه من "الشركس"، و كانت هذه الفرقة عمده جيشه شجاعه و مهاره في المحاربه.

و إذ كانت "تفليس" بلا سور فقد خرج "هرقل" إلى ملاقاه "آقا محمد خان" على بعد سته فراسخ من "تفليس". و في صباح السابع و العشرين من شهر صفر سنه ١٢١٠ أو ١٢١١ هـ. استفتح "آقا محمد خان" بالقرآن فجاء مضمون الآيه مبشرا بالنصر(2)، فسره ذلك و أيقن أنه منتصر لا محاله.

و وقعت معركة دامت من الصباح إلى العصر، إذ بدت بوادر الضعف على جيش "هرقل". عندئذ أمر "آقا محمد خان" بهجوم شامل عليه، فما حل الغروب حتى كانت الحرب قد انتهت بانهزام الجيش الكرجي و تشتته.

و كان بين جنود "هرقل" ألفان من الشركس لم يعد منهم أحد، إذ كان كل منهم يثب لا يفر و لا يتراجع حتى يقتل أو يقع جريحا أو يؤسر. و فر "هرقل" و عائلته إلى خارج "كرجستان".

و لم يستطع "آقا محمد خان" أن يدفن قتلى جيشه لحلول الظلام، فأجل ذلك إلى الصباح. و في الصباح وجد أن الضباع قد أكلت من أجساد جماعه منهم.

ثم سار "آقا محمد خان" قاصدا إلى "تفليس". و قبيل وصوله إليها تلقاه سبعون رجلا من أعيانها، و أعلموه بأنهم يجعلون مدينتهم مدينه مفتوحه و أن أهلها يلقون إليه السلام لا يقاومونه.

و مع أن التقاليد الحربيه ما زالت تقضى، قديما و حديثا، بان يكف الجيش الفاتح الأذى عن البلدان التي تعلن مفتوحه، فان "آقا محمد خان قاجار" لما دخل إلى "تفليس" أمر جنده بإيقاع مذبحه عامه بأهلها و نهبها.

و أمر بضرب أعناق الأعيان السبعين الذين وفدوا عليه لاعلان "تفليس" مدينه مفتوحه.

و انطلق جنوده يقتلون كل من يقع في أيديهم، و استحيوا الشبان لاسترقاقهم. و هذه أمور اعترف بها مؤرخو العهد القاجارى من الايرانيين أنفسهم.

و انطلق "آقا محمد خان" من "تفليس" إلى سائر مدن "كرجستان" فاحتلها بلا مقاومه. ثم اجتاز نهر "أرس" إلى صحراء "مغان". و لما أراد متابعه السير إلى طهران بلغه أن وباء "الكوليرا" قد وقع فيها. فعدل عنها إلى "طالش"، و منها إلى "جيلان" و "مازندران". و في نهايه فصل الخريف ارتفع الوباء فعاد إلى طهران. و في تلك السنه قرر أن يتوج في فصل الربيع بعد انقضاء

تتويج آقا محمد خان قاجار

رسم "آقا محمد خان قاجار" شكل التاج الذى يريده لنفسه بيده.

وجعله ثلاث طبقات شبيها بتاج البابا. واستدعى بعض الصاغة و تجار الجواهر من أصفهان و "كرمانشاه" و طهران و أمرهم بصياغة التاج على الشكل الذى رسمه. و نظر الصاغة فى الرسم و حسبوا ما يلزم للتاج من الذهب فتبين لهم أن مقداره يبلغ خمسة عشر منا، أى ما يعادل خمسة و أربعين كيلو غراما من الذهب. و هو ثقل لا يستطيع الرأس حمله. فرسم الخصى القاجارى شكلا آخر قدروا وزنه بمن و نصف المن، أى ما يعادل أربعة كيلو غرامات و نصف الكيلو غرام. و إذ كان "آقا محمد خان" امرأ عمليا فقد صنع "كلاها" ثقيلًا يزن هذا المقدار، و جعل يعتمر به كل يوم مده ليمرن رأسه على القدره على النهوض بثقل التاج يوم التتويج.

و أمر جماعه من الخياطين باعداد قباء له منسوج بالذهب مرصع بالزمرد و الماس و اللؤلؤ.

و اختلفت الروايات فى تاريخ تتويجه. فمنهم من قال إنه توج فى أواخر سنة ١٢٠٩ هـ. و منهم من قال يوم عيد النوروز سنة ١٩١٠ [١١٧٤] هـ. و منهم من قال بعد ثلاثة عشر يوما من النوروز من تلك السنة و منهم من قال فى أول الشهر الثانى من فصل الربيع من تلك السنة.

و أقيمت حفله التتويج فى قلعه طهران، و هى قلعه بناها "كريم خان زند". جلس "آقا محمد خان قاجار" على العرش و وضع التاج على رأسه.

و ظل مده ساعه فى مجلسه و هو ممسك بصولجان مرصع، و قصف إطلاق المدافع متواصل، و الطبول و الأبواق تعزف عند باب القلعه، على حين تذبح الأضاحى من الغنم عشره عشره، عن كل سنه من سنوات عمره عشره رؤوس من الغنم، و تطهى فى المطابخ الملكيه. و تناول الطهرانيون طعام يومهم ذاك من مطبخ "آقا محمد خان قاجار". و أنعم على الأعيان الذين حضروا مراسم التتويج بنقود من الذهب.

السفر إلى مشهد

حين كان الصاغة و الخياطون مشغولين باختيار ما يناسب تاج "آقا محمد خان" و قباءه من الجواهر جرى حديث عن الجواهر التى حملها "نادر شاه أفشار" من الهند. و ذكر أن هذه الجواهر فى حوزة حفيده "شاه رخ شاه" الأعمى المالك على خراسان. و أن من هذه الجواهر ما لا يقدر بثمن لنفسه.

فأرسل "آقا محمد خان قاجار" رساله وديه إلى "شاه رخ شاه" يطلب منه إعارته هذه الجواهر لأجل حفله تتويجه على أن تعاد إليه بعد التتويج.

و دعاه أيضا إلى حضور حفله التتويج. فأجابه "شاه رخ شاه" بان لا شيء من جواهر "نادر شاه" عنده و أن الجميع يعلمون أن ما كنزه "نادر شاه" من ذهب و جواهر في "كلايت" قد نهب كله بعد قتله. و أما حضوره حفله التتويج فقال إنه غير قادر عليه، معتذرا بعماه.

و قد قبل "آقا محمد خان" عذر "شاه رخ شاه" عن عدم الحضور.

و لكنه لم يقبل ما قاله عن جواهر "نادر شاه"، و ظل موقنا بان هذه الجواهر

ص: ٥٥

١- الحماة جمع حمه (بفتح الحاء و تشديد الميم): العين الحاره الماء.

٢- الظاهر من المعنى الذى ذكره جان غوره للآيه أنها آيه "إِنَّ يَنْصُرُكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ".

فى حوزته. و لذلك عزم أن يذهب، بعد حفله التتويج، إلى خراسان ليصادر جواهر "نادر شاه أفشار" من حفيده "شاه رخ شاه". و لكنه تظاهر بان سبب هذا السفر هو زياره مقام الامام الثامن (ع).

و فى أثناء ذلك بلغه خبر بان الأزابكه قد أغاروا على شمال خراسان و وصلوا إلى "مرو"، يقتلون الناس و ينهبون الأموال. و فى شهر ذى القعدة سنه ١٢١٠ هـ. سار بجيش من طهران قاصدا إلى خراسان. فلما وصل إلى "شاهرود" انطلق منها إلى صحراء "أسترآباد" مسقط رأسه، و حيث تقيم طوائف التركمان. و هناك قام بتحقيق حتى عرف من كان الذين قاموا بتلك الغاره. و كانت عدتهم اثنين و ستين و مائه تركمانى. فقبض عليهم و أمر بان يدفنوا أحياء فى الجص فى جانب الطريق المؤديه إلى خراسان حيث قطعوا الطريق على المسافرين و قتلوهم و نهبوا أموالهم. فدفنوا كما أمر فى نفس المكان الذى ارتكبوا فيه جنائيتهم. و بعد مقتل "آقا محمد خان قاجار" ظل المسافرون إلى خراسان إلى سنوات كثيره إذا وصلوا إلى ذلك المكان بدت لهم فى جانب من الجاده اثنتان و ستون و مائه دكه بيضاء، يعرفون أنها قبور أولئك الجماعه من قطاع الطرق.

و لكن هذا العقاب الرهيب لم يقطع تعديتات التركمان على المسافرين إلى خراسان. فكانوا كلما تبنوا فى الحكومه المركزيه ضعفا عاودوا غاراتهم على المسافرين، فيضطر الطهرانيون الذين يريدون زياره مقام الامام فى مشهد إلى سلوك الطريق إليها من أرض روسيا.

و كان "آقا محمد خان" بعد عودته من "نفليس"، قد سيطر على كل إيران، ما عدا خراسان - و كانت خراسان يومئذ تشمل قسما مما هو اليوم من أرض تركستان و أفغانستان - و عمم على كل حكام الولايات بلاغا بالمناداه به ملكا على إيران. و كان فى جملة من أبلغهم ذلك "شاه رخ شاه أفشار". و قد عمم الحكام هذا البلاغ على أهالى ولاياتهم و بادروا إلى الاعتراف بتملكه.

و لكن "شاه رخ شاه" كتم هذا البلاغ عن أهالى مشهد فظلوا على غير علم بان "آقا محمد خان قاجار" قد أصبح ملكا على إيران، بل إن بعض المشهدين لم يكن قد سمع باسم "آقا محمد خان" بعد، و ذلك بسبب بعد المسافات و قصور المواصلات و قتلها يومئذ.

و فى أثناء سير "آقا محمد خان" إلى مشهد كان الحكام و الرؤساء من مختلف الولايات و الأقاليم يتبادرون إلى الالتحاق به و إمداده بالجند و المال.

و يخرجون إلى استقباله إلى مسافات بعيدة قبل وصوله إلى بلدانهم التى تقع على طريقه.

فلما قارب مشهد أشارت حاشيه "شاه رخ شاه" عليه بان يخرج إلى استقباله فرفض محتجا بعماه. و لكن رجاله أفهموه بان "آقا محمد خان" سيعد تخلفه عن الخروج إلى استقباله إهانته كبرى له، و هو رجل قاس لا يرحم، و قد يوقع به أذى عظيما لذلك، فقبل بالخروج. و أشاروا عليه بان يحمل إليه معه هديه فرفض. و طلب من المرجع الدينى الأول فى مشهد "الحاج ميرزا مهدي" أن يصحبه، ففعل. و خرج "شاه رخ شاه" إلى استقبال "آقا محمد خان" على بعد فرسخين من مشهد. فلما دخل عليه عاتبه على تاخره فى الخروج إلى استقباله، فاعتذر "شاه رخ شاه" بشيخوخته و عماه، و تمثل ببيتين من الشعر أرضيا غرور "آقا محمد

خان".

ثم دخل "آقا محمد خان" إلى مشهد و زار مقام الامام الثامن (ع). و دعاه "شاه رخ شاه" إلى النزول في مسكنه فرفض و اتخذ لنفسه منزلا خاصا.

و بعد ثلاثه أيام بعث برسالة إلى "شاه رخ شاه" مكتوبه بلهجه لطيفه يطلب فيها تسليم جواهر "نادر شاه" إليه بما هي بعض ممتلكات المملكة و ليست ملكا خاصا لأحد. و أوصى حامل الرسالة بان يسلمها إلى "شاه رخ شاه" بمظهر الاحترام و أن لا يصر عليه بتسليم الجواهر إليه.

تعذيب شاه رخ شاه

و أجاب "شاه رخ شاه" الرسول بأنه حاضر لبذل حياته في سبيل الملك بطيبه خاطر، فكيف يبخل عليه بالجواهر. و لكنه يلتمس أن يأذن له بالحضور عنده ليوضح له هذا الأمر مشافهه.

و أجابه "آقا محمد خان" إلى طلبه و أحضره إليه. و لكنه أحاطه بجماعه من رجاله و أمرهم. بحجزه إذا أراد الفرار. و روى "شاه رخ شاه" له تفاصيل إغاره رؤساء عسكر "نادر شاه" على أمواله بعد مقتله، و أنكر أن يكون لديه شيء منها.

فأجابه "آقا محمد خان" بأنه يمهل، مراعاه لشيخوخته، مده يومين لتسليم جواهر نادر إليه، و إلا فلا لوم عليه إن هو عامله على نحو آخر! ثم أذن له بالانصراف فعاد إلى مسكنه في القلعه، و لكن رجال "آقا محمد خان" ظلوا قائمين على مراقبته. و أرسل "شاه رخ شاه" إلى المرجع الديني "الحاج ميرزا مهدي" أن يشفع له عند "آقا محمد خان"، إذ كان يبدي احتراما لرجال الدين. و لكن "آقا محمد خان" لم يشفعه. و أصر على القول بان "شاه رخ شاه" كاذب في ادعائه. و روى بعض المؤرخين أن "آقا محمد خان" وقع نظره في أثناء الحديث على خاتم من الزمرد في إصبع مجتهد مشهد المرجع، فطلب منه أن يريه إياه فنزعه من إصبعه و ناوله إياه، فنظر "آقا محمد خان" إلى زمرد الخاتم و قال: زمرد جميله! و كان يتوقع أن يجيبه المجتهد، كما هو مقتضى العاده المتبعه، بقوله: هو هديه مني إليك. و لكن المجتهد لم يقل شيئا إذ كان هذا الخاتم عزيزا عليه. فما كان من "آقا محمد خان" إلا- تناول آله خاصه مما يستعمله الصاغه في صناعتهم فاقطلع بها حجر الخاتم ثم أعاد إليه الخاتم خاليا و قال له: أنت رجل دين روحاني لا يليق بك التختم بالزمرد. و العقيق أليق بك.

عندئذ آيس "الحاج ميرزا مهدي" فاستأذن و انصرف إلى "شاه رخ شاه" فأشار عليه أن لا يعاند "آقا محمد خان"، و أن كان لديه شيء من جواهر "نادر شاه" فليدفعه إليه ليكف شره عنه.

و بعد انقضاء مهله اليومين انتقل "آقا محمد خان" من مسكنه إلى قلعه. مشهد. و قيل إنه أمر، بعد انتقاله، بالبحث عن قبر "نادر شاه"، إذ كان مكانه مجهولا. و الذين يعرفونه لا يبوحون به خوفا من أن ينبشه أعداؤه. (1) و لكنهم بحثوا كثيرا فلم يهتدوا إليه. و الظاهر أنه كان يريد نبش القبر و أن يفعل بعظام "نادر شاه" ما فعله بعظام "كريم خان زند".

و لما استقر "آقا محمد خان قاجار" في مسكنه في قلعه مشهد أمر بوضع

١- يقول "جان غوره" الكاتب الفرنسي مؤلف كتاب "الخصى المتوج" "أن مكان قبر "نادر شاه" ظل مجهولا- لا- يبوح به العارفون به إلى زمن "ناصر الدين شاه" إذ أظهوره و قد أمنوا عليه من النيش.

"شاه رخ شاه" فى العذاب حتى يسلم إليه جواهر "نادر شاه". و بدأ تعذيبه بان كانوا ينتظرونه حتى يغفو. فإذا غفا أيقظوه. يفعلون به ذلك كلما غفا.

و ألح به السهاد حتى صار النوم يغلب عليه فلا يستيقظ إذا أيقظوه. فجعلوا يوقظونه بصب الماء البارد عليه إذا غفا. ثم صار الماء البارد لا يوقظه أيضا فجعلوا يخزونه بالمناخس إذا غفا.

و لكن هذا العجز الأعمى كان يتحمل كل هذا العذاب و لا يقر بالجواهر فأخبر أصحاب العذاب الخصى القاجارى بأنه مصر على الإنكار صابر على العذاب. فأمر "آقا محمد خان" بصب الرصاص المصهور على بدنه. فجعلوا يصهرون الرصاص و يصبونه على مواضع من بدنه فيصرخ و يستغيث و لكنه يصبر على الإنكار.

فأمر "آقا محمد خان" بان يحضروا عجينه كبيره و يضعوها على رأس "شاه رخ شاه" و يقعوها حتى تصبح على شكل إناء، ثم يصبوا فيها الرصاص المصهور. ففعلوا. فكان عذابا لم يستطع "شاه رخ شاه" عليه صبرا. فصاح: كفوا عنى و سأخبركم أين هى جواهر نادر! كانت الجواهر مدفونه فى سرداب فى القلعه فدلهم عليها، و لكن "آقا محمد خان" كان يعتقد بان هذه بعض الجواهر لا كلها. و لم يكن ممكنا إيقاع العذاب مره أخرى ب "شاه رخ شاه" و إلا مات، إذ أصبح عاجزا عن تحمل العذاب. و كان "آقا محمد خان" يحتمل أن يكون قسم من هذه الجواهر عند "نادر ميرزا" ابن "شاه رخ شاه". و لكن هذا قد هاجر مع نسائه و أبنائه إلى "هرات" فهو لا يستطيع اعتقاله. ثم أمر بمداواه "شاه رخ شاه".

و استمرت مداواته مده شهرين حتى شفيت جراحه. و لكن الجرح الذى فى رأسه لم يبرأ براء كاملا، و ظل ينز بالصديد و القيح طول حياته.

و عزم "آقا محمد خان" على إخراج جميع أعقاب "نادر شاه" من خراسان إلى طهران لثلا تحدث أحدا منهم نفسه بالخروج عليه. فأمر "شاه رخ شاه" بان يبعث إلى ابنه "نادر ميرزا" المقيم فى "هرات" برسالة يستدعيه إلى خراسان. و أن يقول له فيها إنك إن لم تحضر فانا مقتول.

فقال "شاه رخ شاه": أكتب إليه و لكنى أعلم أنه لن يطيعنى. فقال "آقا محمد خان" إن لم يحضر سقت إليه جيشا إلى "هرات" لاختضاعه.

ففعل ما أمره به. و لكن "نادر ميرزا" أجاب بانى لا أرى ضروره لحضورى إلى مشهد و أنا هنا فى راحه.

عندئذ سير إليه "آقا محمد خان قاجار" جيشا إلى "هرات" ففر منها إلى "كابل". فأرسل "آقا محمد خان" إلى قائد جيشه هذا يأمره بتعقب "نادر ميرزا" إلى "كابل" و لكنه كان أمرا يستحيل إنفاذه بسبب فقدان العلوفه و المئونه و وعوره الطريق و حلول برد الشتاء و مقاومه سكان شجعان أشداء. فاضطر "آقا محمد خان" إلى استدعاء جيشه من "هرات" و صرف النظر عن اعتقال "نادر ميرزا أفسار".

و هكذا سلم "نادر ميرزا" من شر "آقا محمد خان". و بعد سفر هذا من خراسان عاد "نادر ميرزا" إليها و ملك فى مكان أبيه. و

لم يمهل العمر "آقا محمد خان" فيعاود غزو [غزو] خراسان مره أخرى و يقضى على "نادر ميرزا" كما قضى على أبيه قبله.

العودة إلى آذربيجان

و أراد "آقا محمد خان"، و هو فى خراسان، قمع بعض الخارجين عليه. و منهم الزعيم الأذربكى "مراد بك خان" فقد كان قد هاجم بجماعته من الأزابكه مدينه "مرو" فاحتلها و أقام فيها و نادى بنفسه ملكا باسم "الشاه مراد بك خان".

و جهز "آقا محمد خان" جيشا من عشره آلاف جندى بقياده "محمد ولى خان قاجار" ليعث به إلى "مرو" لقمع الخارج. و فى ذلك الحين وصله نبا بان الجيش الروسى احتل "دربند" ثم دخل "دشت مغان" فى آذربيجان. و كان ذلك فى عهد الإمبراطوره "كاترين الثانيه". و كان فى جملة الدوافع إلى هذا الغزو الانتقام لأهالى "تفليس" لما أوقعه بهم "آقا محمد خان".

عندئذ أقام "آقا محمد خان" الجيش الذى هياه لغزو "مرو" فى خراسان و أمره بمقاومه "مراد بك خان" الأذربكى إذا حاول الاغاره على تلك النواحي. و تهيأ لمغادره خراسان.

و قبل خروجه منها أمر بحمل "شاه رخ شاه" و كل أبناء الأسره النادريه إلى "أسترآباد"، و قيل إلى "مازندران"، مخفورين. و مع الخفراء جلاذ أمره بقتل "شاه رخ شاه" خنقا عند وصولهم إلى قصبه تسمى "مزينان"، و أن يذيعوا بأنه مات موتا طبيعيا بسبب الشيخوخه و المرض. فلما وصلوا إلى تلك القصبه عمد الجلاد إلى يدى ذلك الشيخ الأعمى و رجله فقيدهما.

و دس فى فمه خرقة جمعها على شكل كره و دفع بها بوتد إلى حلقة، و أخذ يضرب على طرف الوتد الخارج بمطرقة حتى دخلت الخرقة فى قصبه الرئه و اختنق ذلك المنكود الحظ "شاه رخ شاه". ثم أشاعوا بين الناس أنه مات موتا طبيعيا. و مؤرخو العهد القاجارى من الايرانيين زعموا أيضا أن موته طبيعى.

و علل المؤرخون الأوروبيون قتل "آقا محمد خان" ل "شاه رخ شاه" بسببين أحدهما أنه حفيد "نادر شاه" و الآخر أنه أبو "نادر ميرزا". فاما "نادر شاه" فهو الذى حكم بقتل "فتح على قاجار" جد "آقا محمد خان قاجار" عند محله "خواجه ربيع" فى ظاهر مشهد. و أما "نادر ميرزا" فىرى "آقا محمد خان" أنه امتنع عن الحضور من "هرات" إلى مشهد و تسليم ما لديه من جواهر جده باشاره من أبيه "شاه رخ شاه" و لو أراد أبوه إحضاره لاطاعه.

و أقدم أيضا قبل مغادرته خراسان على أمر آخر هو إعلان النفي العام بواسطه رسل سيرهم إلى الرؤساء و الأمراء فى مختلف نواحي إيران لتجهيز جيش لمحاربه الروس.

ثم عاد "آقا محمد خان" إلى طهران، و انهمك فى تجهيز جيشه العظيم. و أرسل فرقه من خمسمائه و ألف جندى تقيم على طريق الجيش إلى آذربيجان مراكز للتموين و العلوفه، و تستقصى أخبار الجيش لروس الغازى. و سارت هذه الفرقة فى مهمتها، و بلغت إلى آذربيجان حتى ساحل نهر "أرس"، و لكنها لم تتبين أثرا من الجيش الروسى. ثم تحقق لقائد الفرقة أن الروس قد أدخلوا جميع النواحي التى احتلوها و رحلوا عن أرض إيران.

فبادر إلى أخبار "آقا محمد خان" بهذه البشاره.

و لم يستطع أحد من الايرانيين أن يتبين السبب فى إقدام روسيا على الجلاء عن الأرض الإيرانية يومئذ. و لكن الأوروبيين يعرفون هذا السبب.

و هو أن "كاترين الثانية" أمبراطوره روسيا التى أمرت بسوق جيشها إلى إيران

ص: ٥٧

ماتت فى أثناء ذلك و خلفها على العرش ابنها "بولس الأول". و كان هذا راغبا عن غزو إيران لأسباب سياسيه و اقتصاديه و شخصيه. فلم يلبث حين اعتلى العرش أن أصدر أمره إلى الجيش الغازى بالتراجع عن إيران. و بذلك استراح "آقا محمد خان" من هم عظيم.

و أراد "آقا محمد خان" إرسال جيش إلى بخارى لقمع أميرها "الشاه سعيد خان"، و كان قد تمرد و أعلن استقلال بلاده عن حكم "آقا محمد خان". و لكن بلغه أن "إبراهيم خليل خان"، حاكم "قراباغ" قد عاد فعصى و نقض عهد الصلح الذى رفع "آقا محمد خان" بمقتضاه الحصار عن "شوشى" و مضى عنها كما ذكرنا سابقا. فانصرف "آقا محمد خان" عن غزو بخارى و عزم على مهاجمه "إبراهيم خان" فى "شوشى" عاصمه ولايه "قراباغ".

و سير الجيش الذى كان قد أعده لمحاربه الروس إلى آذربيجان ليعبر نهر "أرس" إلى "شوشى" لاختصاع "إبراهيم خليل خان".

و لما بلغ خبر مسيره إلى حاكم "قراباغ" عمد إلى تخريب الجسر المعقود على النهر، كما فعل فى الحرب السابقه، ليمنع "آقا محمد خان" من عبوره إلى "شوشى". و هى تقع وراء ساحل النهر الشمالى. و طريق "آقا محمد خان قاجار" تنتهى إلى ساحله الجنوبى، فعليه أن يعبر النهر إليها.

و عسكر "آقا محمد خان" فى جنوب النهر بعيدا عن الساحل. و أخذ يعد عدته لجمع ما يحتاجه من الزوارق لنقل جنوده إلى الساحل الشمالى، و كان هذا العمل يقتضيه وقتا طويلا.

فاغتنم "إبراهيم خليل خان" الفرصه و حقق خطه حربيه هى مغامره عجيبه تذكر بمغامره "أنيبال" و مغامره "نابليون" باجتيازهما جبال الألب.

حمل "إبراهيم خليل خان" زوارق صغيره من النواحي السفلى من النهر التى ينحدر الماء نحوها، و صعد بها إلى النواحي العليا التى ينحدر الماء منها. حملها على عربات سارت بها على الياسه، إذ كان إصعاعها فى الماء متعذرا بسبب قوه التيار، و الوقت ربيع وقت الفيضان، فهى لا تقوى على معارضة الماء. و وضع الزوارق على الساحل الشمالى فى موازاه معسكر "آقا محمد خان" القائم وراء الساحل الجنوبى.

و وصل بجوانب الزوارق ألواحا عاليه من الخشب جعلت جوانب الزوارق مرتفعه كالجدران. و ثبت أحد الزوارق تثبيتا متينا على الأرض و وصله بزورق آخر ألقاه فى الماء. و وصل به آخر. و هكذا جعل يصل زورقا بزورق حتى انتهى بآخرها إلى الساحل الجنوبى فثبته فى الأرض تثبيتا محكما.

و ملأ الزوارق بالحجاره. و جعل بين الحجاره فجوه يستطيع أن يجلس رجل فيها. فعل ذلك كله ليلا لئلا يكشفه معسكر "آقا محمد خان". و أجلس فى كل زورق جنديا. فلما انتهى العمل خرق الجنود الذين فى الزوارق قعورها فاندفع الماء إليها. و وثب الجنود منها إلى زوارق أخرى كانت معده لحملهم إلى الشاطئ. و غرقت الزوارق المحزوقه فى الماء و ثبتت فى القعر لثقلها، و ظلت الألواح التى وصلت بجوانبها قائمه على وجه الماء كالسد، تحول دون اطراد الماء. فانحرف معظم الماء إلى الساحل

الجنوبى إذ كان فى ذلك المكان أوطا من الساحل الشمالى. و كان نهر "أرس" العظيم يومئذ فى إب [إبان] فيضانه. فاندفع ماؤه سيلا جارفا إلى معسكر "آقا محمد خان" فأطبق عليه، و الوقت بعيد منتصف الليل و العسكر نيام.

و أفاق "آقا محمد خان" و جنوده مذعورين و تعالت ضوضاء الصياح من كل جانب: سيل! سيل! و تفرق الجند هاربين فى كل النواحي، و تخلصت خيولهم من الماء، و قد غمرها حتى صدورها، و غرق المعسكر كله، من متاع و عتاد و سلاح و خيام، فى السيل، و سلمت المدافع فقط، إذ كانت قد أقيمت على مرتفعات، و الجند يتساءلون من أين جاء السيل؟! و لم يتبينوا مصدر السيل إلا حين أصبح الصباح. و عندئذ أمر "آقا محمد خان" بضرب ذلك السد الخشبى بالمدافع فهدمه و انقطع السيل عن معسكره، و لكن بعد أن أوقع فيه خسائر جسيمة و حمل الجند مشقات كبيره فى استخلاص السلاح و المتاع من الماء و الوحل و غسلها و تجفيفها، و جرف كل ما فيه من مؤن و علوفه، و بعض الأسلحة و التجهيزات الأخرى. و تبين لهم بعد جمع ما أبقى عليه السيل أنهم أصبحوا بحاجه إلى أربعة آلاف بنديقه و طبنجه و حوالى خمسه آلاف لحاف و أشياء أخرى.

بعد ذلك أمر "آقا محمد خان" بنقل جنوده بالزوارق إلى الشاطئ الآخر الشمالى.

فتح قلعه فناه آباد

ثم عزم على السير إلى "شوشى" حيث يتحصن "إبراهيم خليل خان" لفتحها و القبض على الحاكم المتمرد. و كانت طريقه إلى "شوشى" تعترضها قلعه صغيره، قبل الوصول إليها، معروفه باسم "فناه آباد". و كان عليه أن يستولى عليها قبل الوصول إلى "شوشى"، و كان "إبراهيم خليل خان" قد أقام فيها حاميه.

و حين وصل "آقا محمد خان" إلى "فناه آباد" هاجمها بضربها بالمدافع.

و دافع عنها جنودها دفاعا مجيدا شجاعا. و لكن "آقا محمد خان" تمكن من فتحها، بعد أن قتل من جنوده ألفان. و دارت عند أبوابها معركة رهيبه بالسلاح الأبيض و الأيدى. و أسر من جنودها سبعة و مائتا جندى. أما الباقي فقد قتلوا كلهم. و كانت عدتهم، فى بعض الأقوال، سته آلاف.

محاصره شوشى

و تابع "آقا محمد خان" سيره إلى "شوشى" فحاصرها و ضربها بالمدافع. و فى هذا الحصار قام "إبراهيم خان جوان شير" بمغامره أخرى، إذ خرج من المدينه على رأس جماعه من جنده و انقض على مدافع "آقا محمد خان" فدمرها بتفجيرها بالبارود. و هى حادثه تعد من نواذر الحوادث فى حروب الشرق و الغرب. و لكن "آقا محمد خان قاجار" و إن يكن قد أصابته هذه الواقعه بضربه شديده، استطاع قطع "إبراهيم خليل خان" عن المدينه فعجز عن الرجوع إليها، و اضطر إلى الفرار فسلك سبيل "داغستان"، و قد فقد أكثر جنوده الذين هجم بهم على المدافع. و كانت نجاته من القتل أمرا عجيبا. و تيسرت الطريق ل "آقا محمد خان" إلى فتح "شوشى". و بذلك كانت الفائده التى حصل عليها إبراهيم خليل خان من هذه المغامره أقل من الخساره التى نزلت به منها.

و أذاع "آقا محمد خان قاجار" فى أهل المدينه و المدافعين عنها بواسطه المنادين و الرسائل يرمى بها إلى داخل المدينه بالسهم، خبر فرار "إبراهيم خليل خان"، و دعاهم إلى ترك المقاومة و التسليم و وعدهم بالأمان. و كان(١)

ص: ٥٨

١- ذكر "مهدى بامداد" فى كتابه "شرح حال رجال إيران" أن مسير هذا الجيش كان فى أواسط شهر ذى القعدة سنه ١٢١١ هـ.

يريد التعجيل بحسم هذه الحرب، إذ كانت قوته قد ضعفت بتخريب مدافعه و كان يخشى أن يعود "إبراهيم خليل خان" بنجده من "داغستان".

و كان أهل المدينة قد ضعضع غياب قائدهم الشجاع المرجو معنوياتهم و أقل من حماسهم و باتوا فى حيره من أمرهم. و كانوا ميالين إلى التسليم لولا- خوفهم من غدر "آقا محمد خان" بهم. فقد سبق له أن غدر بأهل "تفليس"، بعد أن سلموها له و أعلنوها مدينه مفتوحه. و لكنه، مع ذلك أوقع بها تلك الغاره الفظيحه، مخالفا بذلك السنن الحربيه المتبعه من قديم الزمان عند كل المحاربين. و سبق له أن فعل ما فعل باهالى "كرمان".

مفاوضه آقا محمد خان

ثم قر رأيهم على إرسال مجتهد المدينه المرجع الدينى "حاجى بابك" إلى "آقا محمد خان" لمفاوضته فى موضوع التسليم بشرط الحصول منه على ما يضمن الوفاء بوعدته بتأمين المدينه. و قبل المجتهد القيام بهذه المهمه الصعبه و كتب رساله إلى "آقا محمد خان" ألقيت إلى معسكره من وراء السور يطلب فيها الاذن له بالحضور إليه. فاذن له.

و أدلى بالمجتهد فى صندوق مكشوف من أعلى السور إلى خارجه.

و مضوا به إلى فسطاط "آقا محمد خان قاجار".

كان "آقا محمد خان" على جبروه و طغيانه، مسلما راسخ العقيده، مواظبا على الصلاه لم يتفق أن تركها مره فى حياته. و كان يحترم رجال الدين احتراما حقيقيا لا احترام محاباه و تزلف إلى العامه. و كان "حاجى بابك" امرأ فطنا لبقا. و جرى بين الرجلين حوار طويل تحمل فيه "حاجى بابك" مشقه عظيمه فى اختيار الألفاظ و تنسيق المطالب التى هى موضوع الحديث تنسيقا منطقيا معقولا، حتى ألان قلب ذلك الطاغيه فاذعن له و قبل بإعطاء ضمانه بالوفاء بوعد الأمان. و لكنه اشترط أن يدفع إليه أهالى "شوشى" بغرامه حربيه باهظه هى خمسمائه ألف أشرفى ذهبى (نوع من النقده).

و لكن المجتهد ما زال به حتى أقنعه بتخفيض المبلغ إلى مائتى ألف أشرفى.

أما الضمانه التى أعطاه "آقا محمد خان" لأهالى "شوشى" فهى أنه أحضر نسخه من القرآن و ختم على ظهرها بخاتمه الخاص و سلمها إلى "حاجى بابك" ليحملها إلى أهالى "شوشى".

فتح شوشى

و عاد "حاجى بابك" إلى المدينه. و أرى زعماءها و قوادها العسكريين القرآن و على ظهره خاتم "آقا محمد خان" فاطمأنوا إلى صدقه. و خرجوا إلى بوابات المدينه، و فى مقدمتهم "حاجى بابك" ففتحوها و وقفوا يستقبلون "آقا محمد خان"، و قد جمعوا كل أسلحتهم و جعلوها كومه فى مكان واحد و دخل "آقا محمد خان" إلى المدينه، و عرضوا على أنظاره الأسلحه إيذانا بأنهم يسلمونها إليه. و نحرت الذبائح عند قدميه، و ساروا به إلى منزل "إبراهيم خان" فاحلوه فيه.

و أمر "آقا محمد خان" بإقامه حاميه من جنده داخل المدينه. و وفى بوعده بالأمان، فأمر ببقاء سائر الجنود فى خارج المدينه حيث كانوا لا يسمح لهم بدخول المدينه، على أن يدخلوها بعد ذلك بالتدريج. و أمر بان كل جندى و كل ضابط يريد أن يشتري شيئاً لنفسه عليه أن يؤدى ثمنه إلى البائع. و اتفق فى أول يوم من دخوله أن اشترى اثنان من جنوده شيئاً و لم يؤدى الثمن إلى البائع. فلما علم "آقا محمد خان" بذلك أوقع بالجنديين عقوبه شديده.

حرب شيروان

"شيروان" إقليم يقع فى شرقى جبال القفقاس على ساحل بحر الخزر. و اشتهر على ألسنه الناس من أزمنه قديمه أن هذا الإقليم فيه "عين الحياه"، و فيه الصخره التى أوى إليها موسى و غلامه و ذكرت فى القرآن الكريم فى سوره الكهف فى آيه: قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ .

"الآيه". و قال بعض الجغرافيين المسلمين القدماء إن الإسكندر المقدونى ذهب إلى "شيروان" ليشرب من "عين الحياه" و يحصل على الخلود فى الحياه. و ذكر آخرون أن الصخره التى أوى إليها موسى و غلامه تقع فى "دربند" فى شمال "شيروان" على شاطئ البحر.

و عاصمه إقليم "شيروان" مدينه "شماخى". و من مدينها الشهيره مرفا "دربند" و يسميها العرب "باب الأبواب".

و اختلف المؤرخون فى تاريخ غزو "آقا محمد خان" لاقليم "شيروان". فمنهم من قال إنه كان قبل احتلال "شوشى" و منهم من قال بعده.

و جعل "آقا محمد خان" على قياده جيشه "محمد حسين قاجار" و امره بالمسير إلى "شماخى" عاصمه "شيروان". و ظل هو فى "شوشى" لمرض أصابه. فسار إليها و حاصرها و ضربها بالمدافع.

و بعد أيام برئ آقا محمد خان من علته فتبع الجيش الغازى إلى "شماخى". و تمكنت مدافعه من خرق سور "شماخى" و دخل جيشه إليها، بعد مقاومه شديده و فر حاكمها و استولى "آقا محمد خان" عليها.

و مع أن "شماخى" قاومت و فتحت بالقوه، فان "آقا محمد خان" حطر، بخلاف عادته، على جنده استباحه شىء منها و حقن دماء أبنائها و حفظ عليهم أموالهم، بل إنه أعفاهم من الغرامه أيضا. و هو يدل على انقلاب كبير فى أخلاقه. و قد يكون للبيانات المنطقيه التى سمعها من المرجع الدينى "حاجى بابك" فى "شوشى" أثر فى ذلك. هذا على فرض أن "شوشى" فتحت قبل "شماخى". و إلا ظل هذا الانقلاب لا تخمن له عله! إلا أن تكون الأيام و التجارب و الممارسات قد غيرت و بدلت من نزعاته و عوامله النفسانيه.

و قد ذكره ضباط جيشه بان جنوده يتوقعون، كما هى العاده فى كل الحروب، أن يعوضوا ما تحملوه من مشقات و ما تعرضوا له من مخاطرات بما يغنمونه من البلد المغلوب، و أنهم اليوم يشعرون بالخيبه و الخساره. و عندئذ أمر "آقا محمد خان" بالانعام على الجنود من ماله الخاص. و كان أمرا تلقاه الجنود بالتعجب، إذ اشتهر عن "آقا محمد خان" أنه بخيل مقتر. و الواقع أنه لم

يكن بخيلا و لا مقترا، بل كان مقتصدا حسن التدبير.

و فى أواخر عمره كان، على شده ولعه بالمال و حرصه على جمعه، يأخذ المكلفين باللين و التساهل فى استيفاء الضرائب منهم. و حين وقوع النكبات الطبيعیه أو غيرها فى المزروعات كان يعفى أصحابها من تاديه الضرائب. و لم يتفق مره أن أجبر أحدا من الممولين على تاديه شىء من ماله إلى بيت المال إذا احتاج إلى مخصصات لأمر من أمور الدوله. و اغتصاب المال من الممولين قلما

ص: ٥٩

أحجم عنه ملك من ملوك عهود الاستبداد. و لم يعهد عنه أنه أوقع ظلما بأحد من الناس العاديين المسالمين المنصرفين إلى أعمالهم الخاصة لا دخل لهم في سياسته و لا مرام لهم في حكم. و هذه وقائع لم نأخذها من مصادر مؤرخيالعهده القاجارى من الايرانيين دأبوا على تزكيه "آقا محمد خان" و خلفائه و تغطيه سيئاتهم و نشر فضائلهم بالحق أو بالباطل تملقا منهم للملوك و الأمراء الحاكمين، بل أخذناها من مصادر المؤرخين الأورويين الذين ساحوا في إيران و كتبوا الوقائع كتابه موضوعيه خاليه من الغرض. و مع أن هؤلاء المؤرخين الأجانب لم يغفلوا سيئاته و لا غفلوا عن طغيانه، بل ذكروا كل شىء عنها، فإنهم مجمعون على أن سلوكه، بوجه عام، كان بالنسبه إلى الناس سلوكا معتدلا. و أن رجال الدين كانوا راضين عنه. و كان عطوفا عليهم يبر الفقراء منهم برواتب دائمه.

مقدمه قتل آقا محمد خان

الموظفون الذين يديرون أعمال دار السقايه و الفرش و المكتبه و أمثالها في البلاط يسمونهم "عمال الخلوه". و هم، بطبيعه عملهم يظنون قريبين من الملك لأن مهمتهم هي تاديه الأعمال الخاصه بشخصه. و كان من عمال خلوه "آقا محمد خان" رجل اسمه "صادق خان النهاوندى".

و قد ذكرنا أن "آقا محمد خان" قد صان "شماخى" بعد فتحها من الاغاره عليها و حظر على الجند أعمال السلب و القتل و السبى فيها. و قد ذكر العقيد الانكليزى "غولدا سميث" أن "صادق خان" هذا - و كان ذا نفوذ في حاشيه الخصى القاجارى - و اثنين آخرين من عمال الخلوه (1)، ذهبوا، بعد احتلال "شماخى"، إلى بيت أحد أغنيائها و سلبوا منه خمسه آلاف تومان و حلى ذهبيه مدعين أن "آقا محمد خان" أمرهم بذلك. و قد فعلوا ذلك في الليله التى عزم "آقا محمد خان" على العوده في فجرها إلى "شوشى".

و لذلك كان "صادق خان" و رفيقاه مطمئنين إلى أن الرجل المسلوب لن يستطيع الوصول إلى "آقا محمد خان" لرفع شكواه إليه.

و في الصباح ذهب المسلوب قاصدا إلى "آقا محمد خان" ليرفع إليه شكواه. و لكن هذا كان قد سارت ركابه قاصده "شوشى" فلم يستطع الوصول إليه. فانطلق في أثره إلى "شوشى". و هناك لم ينفعه أحد ممن شكاهم ظلامته في هدايته إلى وسيله تمكنه من إيصال شكواه إلى "آقا محمد خان"، إلى أن أشار عليه أحدهم بمراجعته المجتهد "حاجى بابك".

فذهب إليه. و ساله "حاجى بابك" إن كان يعرف أسماء المعتدين أو بعضها فأجاب بالنفى. فسأله عن أشكالهم، فقال على أنف أحدهم ندبه.

فقال: هل تعرفه إذا رأيته؟ فقال: نعم. فقال المجتهد: عيد الغدير يقع بعد ثلاثه أيام. و سأذهب يوم العيد لتهنئه "آقا محمد خان" بالعيد و أسلمه رساله بشكواك.

و كتب "حاجى بابك" رساله إلى "آقا محمد خان" بالظلامه و أخبره بالعلامه التى ذكر الشاكى أنها على أنف أحد المعتدين و بين مقدار المال المسلوب. و في يوم عيد الغدير ذهب إلى مجلس "آقا محمد خان" لتهنئته. و لما أراد الانصراف من

المجلس ناوله الرسالة و مضى. فلما قرأ "آقا محمد خان" الرسالة ظن أن أحد المعتدين هو "صادق خان النهاوندى" إذ كان على أنفه مثل تلك العلامة. فكتب إلى "حاجى بابك" يطلب إرسال المعتدى عليه إليه فى صباح الغد وقت الصلاة. و أمر "صادق خان النهاوندى" نفسه بإيصال هذه الرسالة إلى حاجى بابك".

فلما حضر الشاكى أوقفه "آقا محمد خان" فى جانب من المجلس بحيث لا تبين سحنته للرائى، و قال له سأدعو الآن رجلا إلى الحضور.

و احرص أنت على أن لا- تجعله يتبين وجهك. و لكن دق النظر فيه و تبين هل هو أحد الرجال الذين سلبوك أم لا. ثم أمر بإحضار "صادق خان النهاوندى" فحضر. فسأله "آقا محمد خان": هل وصلت الرسالة التى أعطيتك إياها البارحة إلى يد "حاجى بابك"؟ فقال: نعم. فقال "آقا محمد خان": أخرجوا هذه القناديل إذ قد أضاء النهار و لا حاجة إليها.

فتقدم "صادق خان" و رفع القناديل و خرج بها. عندئذ التفت "آقا محمد خان" إلى الشاكى و سأل: هل هذا هو الشخص الذى سلبك؟ فقال:

نعم. عرفت سحنته و عرفت صوته أيضا. فقال له "آقا محمد خان":

امض إلى منزلك و امكث فيه إلى أن يصلك خبر منى. و احرص، و أنت خارج، على إخفاء وجهك لا يتبينه أحد ممن يراك.

و حين علا النهار أحضر "آقا محمد خان" الخادم "صادق خان النهاوندى" و أمره بان يذهب إلى قريه قريبه و يأتيه بشيء من المشمش. فمضى إليها. و انتظر "آقا محمد خان" حتى ابتعد "صادق خان" عن المدينه فأمر بكبس بيته. فوجدوا فيه الحلى الذهبية المسلوبه من الشماخى المتظلم و حملوها إلى "آقا محمد خان".

و أحضر الشاكى و عرضت عليه الحلى المصادره. فلما رآها قال: نعم هذه الحلى بعض ما سلب منى فى تلك الليله. فقال "آقا محمد خان": بقيه المسروقات عند الرجلين الآخرين و غدا صباحا ساعرف من هما أيضا، و تستعيد أنت كل ما سلب منك. و يلقي المعتدون جزاءهم.

و فى صباح اليوم التالى عاد "صادق النهاوندى" بالمشمش. و قبل أن يدخل على "آقا محمد خان" تلقاه رفيقاه و أخبراه بكبس منزله و العثور على الذهب فيه. و عندئذ أدرك "صادق خان" كل شيء.

و فيما الثلاثه يتشاورون فى ما يفعلون للخروج من المأزق جاء من ينادى "صادق خان" للحضور عند "آقا محمد خان" يبلغه عن لسانه أنه ينتظر المشمس الذى أوصى عليه. و طمانت هذه الدعوه "صادق خان" إذ رأى أن اهتمام "آقا محمد خان" بالمشمش معناه أنه غير مهتم بموضوع الشكوى.

فحمل المشمس إليه. و نظر "آقا محمد خان" فيه ثم ذاقه، و أخذ يحدث "صادق خان" عن خواص المشمش الصحيه و أى الأوقات هى الأفضل لتناوله.

و بعد أن أكل منه قليلا- أمره أن يحمله إلى دار السقايه. و عاد إلى رفيقيه، و كان ينتظر انه بفارغ الصبر. فطمانهما و قال إنه لا يتوقع أن يقدم "آقا محمد خان" على عمل غير مقاسمتهم ما سلبوه من الرجل، و أنه يحتمل أن يرضى بالنصف، فان لم يرض به وهبوه المال المسلوب كله و ظلوا في عملهم في خدمته.

و كان "آقا محمد خان" قد وضع عيوننا على "صادق خان" لينظروا من هو أول من يلقاه و يحدثه حين يصل من القرية، و من الذي يلقاه و يحدثه أيضا

ص: ٦٠

١- ذكرهم "مهدي بامداد" في كتابه "شرح حال رجال إيران" نقلا- عن كتاب "روضه الصفاء" تأليف "رضا قلى خان هدايت"، بأسماء: "صادق الكرجى" و "خداداد الأصفهاني" و "عباس المازندراني".

حين خروجه من حضرته، فأخبره الجواسيس بما رأوا. و أخبروه بان عاملى الخلوه الآخرين حين حدثاه ساعه وصوله من القريه ظهر عليه الجزع. فعد "آقا محمد خان" ذلك إماره على أنهما هما شريكاه فى الجريمه.

و عند الغروب استدعى آقا محمد خان " ذلك الرجل الشماخى المسلوب فحضر. و استدعى "صادق خان النهاوندى" و رفيقيه فحضروا. و لما وقع نظرهم على الشماخى أخذتهم الرعده. فقال لهم "آقا محمد خان": إن قسما مما سلبتموه من هذا الرجل قد عثر عليه فى منزل صادق خان. و عليكم أن تعيدوا إليه بقيه ماله فاعادوه. و قال له "آقا محمد خان" عد مالك، هل هو كل ما سلبوه منك؟ فقال الرجل: ينقص منه مائتا تومان. فأمر "آقا محمد خان" بتاديتها إليه من ماله الخاص، و قال للرجل: سأستوفيهَا من مال هؤلاء الثلاثة بعد قتلهم. فلما سمعوا هذه الكلمه أيقنوا أنهم مقتولون فى الصباح.(١)

آخر ليله من حياه آقا محمد خان

حدث ذلك فى ليله السبت الواحد و العشرين من شهر ذى الحجه سنه ١٢١١ هـ أو سنه ١٢١٢ هـ (اختلاف فى الروايات" و هى آخر ليله من حياه "آقا محمد خان". فى تلك الليله تابع الخصى القاجارى برنامج المعتمد فى كل ليله. فصلى المغرب و العشاء. ثم استمع إلى تقرير عرضه عليه بعض كبار موظفى الولايات. ثم تناول عشاءه وحده. ثم دخل غرفه نومه و استدعى "الشيخ جعفر التنكابنى"، على عادته فى كل ليله، ليقرأ له شيئا من كتاب قبل أن ينام.

و حبس الثلاثة المحكوم عليهم فى غرفه مخفورين. و وضعوا فى عهده رئيس عمال الخلوه. و لكنه لم يقيدهم و اكتفى باقامه حارس فى مواجهه باب الغرفه، و تركهم طليقين فى داخل الغرفه. و لعله فعل ذلك مراعا لما بينه و بينهم من صداقه و زماله.

و بعد محاوره سريره طويله جرت بين المحبوسين قرروا قتل "آقا محمد خان". و رتبوا خطه محكمه لاغتيال من يعترض طريقهم إلى غرفه نومه من الحراس، من غير إحداث صوت. و نفذوا الخطه بدقه، و دخلوا عليه، و هو نائم قطعنه "صادق خان النهاوندى" بالسكين فى عنقه، و أتبع رفيقاه طعنته بطعنات أخرى بالسكاكين حتى قضوا عليه. و أخذوا كل ما وقع فى أيديهم من مال و جواهر. و انطلقوا خارجين من العماره. و لم يتعرضهم الحارس القائم على بابها الخارجى إذ ادعوا أنهم مكلفون بمهمه عاجله، و كان الحارس يعرفهم، و منها انطلقوا إلى بوابه المدينه ففتحها الحراس لهم إذ ادعوا لديهم بمثل هذه الدعوى، و كان هؤلاء الحراس يعرفونهم أيضا. فانطلقوا هاربين.(٢)

و فيما هم فى الطريق لقيهم "صادق شقاقى"(٣) قادما من المعسكر، و كان المعسكر يقيم خارج المدينه. فاستوقفهم و حدثهم و استراب بهم، فاعتقلهم و عاد بهم إلى المعسكر. و هناك أقروا له بما فعلوا. ففتشهم و استولى على ما أخذوه من غرفه "آقا محمد خان" من مال و جواهر، و أبقاهم عنده.

و حين انتشر نبا مقتل "آقا محمد خان" فى المدينه وقع الاضطراب و الهرج فى رجاله. و فر قسم منهم خوفا من الفتنة و انتقام ذوى الأحقاد بهم بعضهم من بعض. و حار آخرون لا يدرون ما ذا يفعلون. و تحرك أهل المدينه للثوره. و لو لا تدخل المجتهد "حاجى بابك" لأوقع أهلها برجال "آقا محمد خان" مذبحه عامه. و لكنه تمكن من تهدئتهم بما له فى نفوسهم من احترام و بما أوتيه من حكمه و فطانه. و تولى أيضا المحافظه على جثه "آقا محمد خان"، و لولاه لأحرقها الشوشيون.

و كان "الحاج إبراهيم خان اعتماد الدوله" الشيرازى وحده من بين رجال "آقا محمد خان" من ملك نفسه وقام بتصريف الأمور برباطه جاش و بصيره. فهو الذى بادر إلى وضع الجثه أمانه فى عهده "حاجى بابك" ريشما يقرر ذوو القتل مكان دفنه. و حفظ الخزانه و الجواهر الملكيه من النهب، إلا شيئاً قليلاً منها، و هيا لها جماعه من الحراس برعايه أبناء "خان بابا جهان بانى"، و حملوها إلى طهران. و أرسل رساله إلى "خان بابا جهان بانى" ولى العهد، و كان فى شيراز حاكماً عليها، ينبئه بمقتل عمه. و هو أمر لم يفتن له أحد، غيره، إذ شغل الناس بما وقعوا فيه من اضطراب و بلبله و حيره.

و كان إرسال الرساله مع ساع ممن تخصصوا بالقيام بمثل هذه الأسفار مشاه، اسمه "بابا يوسف" فى الخمسين من عمره. و كان إيصالها من أعاجيب المواصلات، إذ قطع حوالى ثمانمائه و ألف كيلومتر فى مده أحد عشر يوماً راجلاً! خرج من "شوشى" عصر يوم السبت ٢١ ذى الحجه و وصل إلى شيراز فى اليوم الثانى من المحرم.

و فى يوم عيد الفطر سنه ١٢١٢ هـ الموافق سنه ١٧٩٧ م نودى ب "خان بابا جهان بانى" ملكاً على إيران باسم "فتح على شاه". و اتفق أن كان وقوع عيد الفطر فى تلك السنه فى يوم النوروز. و فى ذلك اليوم نفسه احتفل بتتويجه فى طهران.

و نقل جثمان "آقا محمد خان" من "شوشى" إلى طهران فوصلوا به إليها فى ١ جمادى الآخره سنه ١٢١٢ هـ. و دفن مؤقتاً فى مقام "شاه عبد العظيم". ثم أرسل الجثمان إلى النجف ليدفن عند مقام الامام على بن أبى طالب (ع)، فوصل إليها فى ١٩ رجب سنه ٢١٢ هـ. و فى يوم ٢٠ رجب فى تلك السنه و ورى الثرى.

ص: ٤١

١- بنفى العقيد "غولدا سميث" الذى ينقل عنه "جان غوره" هذه الوقائع، الروايه القائله إن حكم "آقا محمد خان" بالقتل على أولئك الثلاثة إنما كان سببه أكلهم حزه من الخربوز كان قد أوصاهم بالاحتفاظ بها - كما تقدم -، لأن الفصل لم يكن فصل الخربوز. و ينفى كذلك الروايه الأخرى القائله إن المأكول كان شيئاً من المشمش الذى أحضره "صادق خان النهاوندى" من القرية، لا الخربوز، و دليله أن مطبخ "آقا محمد خان" و دار سقايته كانا حيثما حل يشكلان مدينه صغيره تتوفر فيهما الأطعمة و الأشربه لمرافقيه و خدمه، و يتناولون على سفرته فى كل يوم و جبتين من الطعام الوافر المتنوع. فليس يعقل أن يحكم بقتل ثلاثة من خدمه من أجل حزه من الخربوز أو قليل من المشمش.

٢- قال المؤرخ الفرنسى "جان غوره" فى كتابه "الخصى المتوج" "روى أن أحد كبار المنجمين نهى آقا محمد خان، قبل سفره الأول إلى قراباغ، عن الذهاب إلى هناك. و قال له: فى قراباغ ينتظر ك نحس". و لم يكن آقا محمد خان يؤمن بمثل هذه الأشياء فيشنى عن عزمه. و لكن الوقائع بينت أن نحسا كان فى انتظاره فى قراباغ حقاً.

٣- "صادق خان شقاقى" هو ابن أحد الرؤساء فى عسكر "كريم خان" زند. خرج على "آقا محمد خان" سنه ١٢٠٥ هـ. و لكنه انهزم. ثم شفع له أحد الخانات عند "آقا محمد خان" فعفا عنه، و التعق به فى تلك السنه نفسها، و أصبح بعد ذلك من كبار قواده العسكرين.

و كان عمر "آقا محمد خان" يوم قتل سبعة و خمسين عاما تقريبا.

و ملك ثمانى عشره سنه و بضعه أشهر.

اشتهر عنه أنه كان بخيلا- مقترا. و الواقع أنه كان - كما تقدم - مقتصدا غير مسرف و لم يكن بخيلا. و قل من كان مثله فى ملوك الشرق و فى القاجاريين خاصه يؤدى رواتب الموظفين و الجنود كامله فى مواعيدها. و كان هذا النظام سببا فى أن أحبه موظفوه و جنوده و أخلصوا له.

أما فظاظته و قساوه قلبه فى الانتقام كما فعل فى "كرمان" و "تفليس" فسببها العقده النفسيه الرهيبه التى أوجدها فيه خصاؤه. فكان لا يحتمل كلمه أو إشاره تفيد معنى الخصاء. فإذا حدث شىء من ذلك أصبح كالسبع الهائج لا يبالى أين يضرب. و قد دأب الكرمانيون و دأب التفليسيون حين محاصرته المدينتين على تعبيره بالخصاء جهارا.

مره واحد فقط دفعه الحقد لسبب غير التعبير بالخصاء إلى إيقاع انتقام رهيب. و ذلك انتقامه من ذلك (السمان) الذى كان يغشه بالبيع يوم كان فى الإقامه الجبريه فى طهران أيام حكم "كريم خان زند". فقد قتل ذلك السمان التاعس بإلقائه فى الزيت الغالى. و قد مر ذكر الحادثه.

و كان "آقا محمد خان" من أهل العلم و المعرفه محبا للقراءه و المطالعه.

و أحاديثه الأدبيه و العلميه قبل تملكه و بعد تملكه كانت موضع إعجاب مستمعيه. و لذلك كانت له منزله محترمه بين العلماء. و لكن تلطخت حياته بحادثتين منكرتين هما طريقه انتقامه الكريهه "من لطف على خان زند" و نبشه قبر "كريم خان زند" و استخراج عظامه و دفنها تحت بلاط الممر الذى يمر منه ليجعله تحت قدميه كلما اجتاز ذلك الممر. و كذلك إباحته مدينه "تفليس" للقتل العام و السلب و النهب بعد أن أعلنها أهلها مدينه مفتوحه.

آمنه بيگم بنت الآغا محمد باقر بن محمد أكمل البهبهاني الحائرى:

ولدت فى كربلاء حدود سنه ١١٦٠ و توفيت بها حدود سنه ١٢٤٣ و دفنت عند نجلها السيد محمد المجاهد المتوفى سنه ١٢٤٢ فى المقبره الخاصه المجاوره لمدرسه البقعه فى سوق التجار فيما بين الحرمين و قبره مزور مشهور عليه قبه عظيمه من القاشانى الأزرق.

من أفضه نساء عصرها متكلمه واعظه أصوليه محققه محدثه جليله ذات سند قويوم كثيره الزهد عظيمه الورع ولدت و نشأت فى كربلاء و أخذت المقدمات و فنون الأدب و علوم العرييه على أعلام أسرتها و تخرجت فى الفقه و الأصول و الحديث على والدها المؤسس الوحيد الآغا محمد باقر البهبهاني الحائرى المتوفى سنه ١٢٠٥. و لما بلغت سن الرشد زفوها لابن عمته السيد على الطباطبائى الحائرى المتوفى سنه ١٢٣١ صاحب الرياض و رزقت منه ولدان السيد محمد المجاهد المتوفى سنه ١٢٤٢ و السيد مهدي الطباطبائى الحائرى المتوفى سنه ١٢٥٠ و ذكرها فى أعيان الشيعه الجزء التاسع صفحه ٤٤٣ فى ذيل ترجمه ابنها

السيد محمد المجاهد قائلًا (... و لصاحب الترجمة أخ اسمه السيد محمد مهدي أصغر منه كان أيضا عالما جليلا أمهما بنت الآغا البهبهاني كانت عالمه فقيهه).

يقول عبد الحسين الصالحى: و لها مؤلفات فى الفقه و الأصول منها مبحث الحيض من كتاب الرياض لزوجها السيد على الطباطبائى الحائرى و رساله فى النفاس و كتاب الطهاره و غيرها و كلها موجوده فى مكتبه آل صاحب الرياض فى كربلاء.

آمنه الكبرى بنت الامام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين على بن أبى عبد الله الحسين بن على بن أبى طالب ع.

توفيت بعد سنه ١٨٦.

نشأت فى حجر أبيها الإمام موسى الكاظم ع و اختلف المؤرخون و علماء النسب فى عدد اولاد الامام موسى الكاظم ع قال على بن عيسى الإربلى فى كشف الغمه أن للإمام ع عشرين ولدا و ثمانى عشره بنتا و ذكر ابن شهر آشوب تسع عشره بنتا و يضيف إليهن أم وجيه. و ضبط سبط ابن الجوزى عشرين بنتا و نقل فى أعيان الشيعة الجزء الثانى صفحه ٥ عن المفيد تسع عشره بنتا ثم نقل أكثر الأقوال، و ذكر ملا حسين الكاشفى فى روضه الشهداء سبعا و ثلاثين بنتا و مما يجدر ذكره هنا ذكر المؤرخين ثلاث بنات باسم آمنه الصغرى و آمنه الوسطى و آمنه الكبرى و أما آمنه الوسطى فنسب لها قبر فى مصر فى القاهره و أما آمنه الكبرى ففى قروين و لها روضه قديمه تقع فى وسط محله پنه ريسه ريسه احدى المحلات القديمه فى قروين و تعرف هذه المحله فى العصر الحاضر باسمها (محله آمنه خاتون) و على القبر قبه كبيره قديمه مزينه بالقاشانى البديع الصنع و له حرم واسع يمتلى بالزوار الذين يقصدونه من كل مكان.

ذكره السيد محمد على گلريز القزوينى فى كتابه مينودر و نسب القبر خطأ إلى آمنه بنت الامام جعفر الصادق ع و قد أجمع علماء النسب أنه لم يكن بنت باسم آمنه للإمام جعفر الصادق ع و إنما هذه الروضه هى لآمنه بنت الامام موسى الكاظم ع كما نص على ذلك فى لوحه القبر القديمه. (١)

آمنه الوسطى بنت الامام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب ع:

توفيت بعد سنه ١٨٦.

نشأت فى حجر أبيها الامام موسى الكاظم ع و قد أجمع العلماء و المؤرخون و النسابون أن للإمام موسى الكاظم ع بنت باسم آمنه و ذهب جماعه أن للإمام موسى الكاظم ع ثلاث بنات باسم آمنه هن آمنه الصغرى و آمنه الوسطى و آمنه الكبرى و قال النسابه الشهير أبو الحسن العمري من أعلام القرن الخامس حين ذكر أعقاب الامام الكاظم ع: فأسماء بناته... آمنه قالوا: قبرها بمصر و قال ياقوت الحموى المتوفى سنه ٦٢٦ (... فى مصر بالقرب من القرافه الصغرى...

قبر آمنه بنت موسى الكاظم فى مشهد...) و ضبط السيد عبد الرزاق الكمونه فى كتابه مشاهد العتره أن المدفونه فى مصر هى آمنه الوسطى و قال (آمنه الوسطى بنت الامام موسى الكاظم بن جعفر بن محمد الصادق ع ذكر أبو الحسن العمري فى المجدى

قالوا قبرها بمصر و في معجم

ص: ٦٢

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

البلدان في مصر بالقرب من القرافه الصغرى، قبر آمنه بنت الامام موسى الكاظم في مشهد...) و يقول عمر رضا كحاله في اعلام النساء الجزء الأول صفحه ١٧ عن الكواكب السياره لابن الزيات: (آمنه بنت موسى الكاظم بن جعفر الصادق من ربات العباده و الصلاح. ذكرها الأسعد النسابة و عدها القرشى في طبقه الأشراف و حكى عن خادمها أنه كان يسمع عندها قراءه القرآن في الليل و ينسب إليها المشهد المعروف باسمها).

ذكر عباس قلى خان السپهر في كتابه المعروف ناسخ التواريخ بنات الامام موسى الكاظم ع المسميات بامنه الصغرى و الوسطى و الكبرى ثم ذكر بعض الكرامات التي ظهرت في روضه آمنه الوسطى المدفونه في مصر. (١)

السيد إبراهيم بن السيد إسماعيل آل باليل الموسوى الدورقى

توفى في البصره سنه ١٢٦٣ كان من فضلاء الفلاحيه و أدبائها. و كان مولده فيها في العقد الأول من القرن الثالث عشر الهجرى قرأ على علمائها و على غيرهم، و عاصر من علمائها جماعه منهم الشاعر الشهير الشيخ هاشم الكعبى و الشيخ أحمد بن محمد المحسنى الاحسائى الفلاحى و ابنه الشيخ حسن.

له على حاشيه الملا عبد الله تعاليق و حواشى، و كانت عنده مكتبه فيها نقائس [نقائس] المخطوطات، يقول عنها حفيده السيد هادى بن السيد ياسين: لم يصل لنا منها الا شىء يسير، منه (شرح الشيخ جواد رحمه الله على زبده الأصول) كتب على ظهر النسخه العبارة التاليه: "انتقل بمن الله إلى إبراهيم ابن أبى ليل الموسوى فصار فى ملكه فى سنه ١٢٤٩، و ختم بخاتمه و نقشه (سلام على إبراهيم)". و النسخه من مخطوطات أواخر القرن الحادى عشر تملك جماعه من العلماء و رأيت مكتوبا على ظهر نسخه كتاب (حاشيه الملا عبد الله) التي كتبها المترجم فى القرن له بخطه العبارة التاليه:

"بسم الله، الكتب التي لنا عند الشيخ محمد بن قعود، ١ - قواعد العلامة، ٢ - شريح [شرح] الشيخ جواد، ٣ - معالم الزلفى، ٥ - كتاب آخر فى المنطق، ٦ - تصريح شرح التوضيح على الفيه ابن مالك". و من هنا يظهر أن معاصريه من العلماء كانوا يستعبرون بعض الكتب من مكتبته.

إبراهيم حسين باروى

ولد سنه ١٣٢٠ و توفى سنه ١٣٧٥.

هو من قريه باره التابعه قضاء غاريبور (و الهند). و قد درس المدرسه الناظميه فى لكهنو و حصل على شهاده (ممتا [ممتاز] الأفاضل). و هى الشهاده التي تعطى لمن أكمل دراسه كتب: الكفايه و الرسائل و المكاسب.

كان خطيبا متفوقا، مشهورا بذلك فى الهند كلها، و كان كاتبنا نشر فى المجالات و الجرائد الهنديه كثيرا من المقالات الإسلاميه.

أقام أولا فى لكهنو، ثم استقر فى حيدرآباد حتى وفاته.

إبراهيم خان أيوب

توفى سنة ١١٢١ و لم يعلم تاريخ ولادته كان إلى جانب شخصيته العلميه سياسيا إداريا تقلد عدة مناصب فقد عين سنة ١٠٧٢ محافظا لكشمير، ثم تنقل بنفس العمل بينها وبين لاهور و البنغال. ثم استقر فى بلده إبراهيم آباد حتى وفاته.

له كتاب (بياض إبراهيمى) فى سبعة مجلدات تدور بحوثه على ولاية الأئمة و أصول الدين و فروعه، و يوجد فى معظم مدارس الشيعة فى الهند و الباكستان.

إبراهيم فخرائى بن الحاج رضا

ولد برشت سنة ١٣١٧ و توفى فى طهران عام ١٤٠٧، سافر إلى دمشق حيث درس فى أحد المعاهد اليونانية فتعلم العربية، كما أجاد الفرنسية و الروسية ثم عاد إلى طهران و درس الطب فى مدرسه دار الفنون و بعد أن عاد إلى جيلان (إحدى مقاطعات إيران الشماليه) التحق بمعسكر ميرزا كوجك خان قائد ثوره الغابه، و كان يضم للذين كانوا يناهضون سلطه حكم رضا خان البهلوى و الاستعمار البريطانى و الروسى فى شمال إيران، فصار سكرتيرا لزعيم الحركه [الحركه] ثم مسؤولا عن الشؤون الماليه لها و أخيرا صار مسؤولا عن الشؤون الثقافيه و التعليميه للثوار.

و بعد فشل الثوره قضى فتره فى السجن ثم بعد الإفراج عنه اتجه إلى التعليم فصار مديرا لإحدى المدارس، ثم توجه إلى الصحافه فصدر جريده (بيام النداء) ثم جريده (طلوع)، ثم مجله (فروغ) و نشر فيها و فى غيرها عشرات المقالات و التحقيقات عن الأدب و التاريخ و المراثى و قام بتوسعه مكتبه رشت الوطنيه. ثم انتقل إلى طهران و درس الحقوق و مارس المحاماه و تولى القضاء فى جيلان و قزوین و أردبيل و بروجرد و عبادان و ملایر و أراک و غيرها، ثم انتقل إلى محكمه الاستئناف و عمل بها إلى حين تقاعده.

له مؤلفات عديده أهمها: عن حياه قائد ثوره الغابه حيث شرح فيها تاريخ الثوره التى قادها ميرزا كوجك خان و يعتبر هذا الكتاب المصدر الموثوق الوحيد عن هذه الحركه الثوريه و قد طبع أكثر من عشر مرات. (٢)

السيد إبراهيم الموسوى التبريزى ابن السيد مهدى

ولد سنة ١٣١٣ فى تبريز و توفى سنة ١٣٨١ فى طهران و دفن فى قم.

كان عالما مبتحرا [مبتحرا] فقيها محدثا ثقة أدبيا شاعرا باللغه العربيه.

نشا فى بيته الجليل على والده. و درس اللغه العربيه و آدابها، و العلوم الإسلاميه، فكان من أساتذته الحاج ميرزا حسن المجتهد التبريزى المتوفى سنة ١٣٣٨ و السيد أبو الحسن الحسينى المتوفى سنة ١٣٥٧ و أجزى من أستاذه و من شيخ الشريعه الأصفهانى و الشيخ عبد الله المامقانى و الشيخ محمد تقى الشيرازى و الشيخ عبد الكريم الحائرى و السيد أبو الحسن الأصفهانى. و له تعليقات على الرسائل و المكاسب، و حواش على شرح اللمعه و المطول و المغنى و غيرها، و لكن لم يقدر له تنسيق ذلك و طبعه.

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

ولد سنة ١٣٢٢ فى بلده جارجه التابعه لمنطقه (بلند شهر) فى الهند.

و توفى سنة ١٣٩٣ فى كراتشى.

توفى والده و هو فى الخامسة من عمره فرعاه جده، كانت دراسته الأولى فى (رام بور) و (لاهور) و قد اتقن اللغتين العربيه و الإنكليزيه. ثم انتمى إلى جامعه على گر حيث حصل منها على الدكتوراه. و انتهى إلى أن كان فقيها، مثقفا، مفكرا، خطيبا. و كان معروفا بحده الذهن و قوه الفهم، فتسلم عدّه مسئوليات هامه فى المؤسسات العلميه و الجمعيات الثقافيه و طرح أفكارا جديده فى هذه المؤسسات و الجمعيات كان لها أثرها فى محاربه الجمود فى الوسط الإسلامى الشيعى.

يقول العالم المؤرخ السيد مرتضى حسين فيما كتبه عنه: " كنت أجمع كثيرا معه و أستمع إلى أفكاره، فرحت أفكر كيف يمكن أن أساعده فى تحقيق ما يود تحقيقه. و بعد تفكير طويل استطعت تأسيس (كل هند شيعه عربيه جمعيه طلبا) أى (الجمعيه العربيه لطلبه الشيعه فى الهند). ثم بدأت الاتصالات المكثفه بجميع المدارس الشيعيه و الشخصيات المعنيه و دعوت العلماء و الأفاضل و المثقفين إلى حضور اجتماع كبير عقد سنة ١٩٤٦ فى جلستين ترأس إحداهما مولانا كلب حسين من كبار علماء الهند و ترأس الثانيه ابن حسن جارجوى. و انتهت الاجتماعات بصدور قرارات هامه معظمه تتعلق بما يجب أن تسير عليه مدارس الشيعه فى الهند من أسلوب جديد، و هو ما كان يهدف إليه المترجم.

و قد كان للمترجم [للمترجم] دور كبير فى إقامه الباكستان فقد عمل مع محمد على جناح الذى كان يكن له احتراماً كبيراً. و لكنه بعد التقسيم آثر الإقامة فى الهند بمدينة لكهنؤ، فلقي كثيرا من المضايقات و المعاملات السيئه فانتقل إلى الباكستان حيث قوبل بحفاوه كبيره و استقر فى كراتشى و أخذ يمارس فيها نشاطه العلمى و الاجتماعى و السياسى، و كانت حياته مبرمجه منظمه فى تحركاته بمختلف ميادين الحياه، بحيث لم يكن لديه وقت ضائع. و كان من بين ما تولاه تدريس عقائد الشيعه فى جامعه كراتشى.

و قد تعاورته فى أواخر حياته أمراض لازمه حتى وفاته. ترك من الأولاد كلا من: السيد محمد و السيد مشهور و السيد على، و بنتين اثنتين.

له من المؤلفات: ١ - مقدمه فلسفه آل محمد ٢ - فلسفه آل محمد فى سته مجلدات ٣ - كتاب فى المجالس الحسينيه قدم له السيد مرتضى حسين ٤ - شهيد نينوى ٥ - قراءه التعزیه بأسلوب حديث ٦ - أسلوب حياه الامام على باللغتين الأردويه و الإنكليزيه. كما نشر الكثير من المقالات فى الصحف فى شتى المواضيع الإسلاميه. كما أنه أصدر فى دهلى مجله (رهبر). (١)

أخذ المقدمات فى مسقط رأسه ثم هاجر لطلب العلم إلى السند و لاهور و دهلى و على گره و حضر فى هذه المدن على جماعه

من علماء الشيعة و في عام ١٩٣٣ م عين استاذا في (جامعه مليه دهلي) و كان يدرس العلوم الإسلاميه فيها حتى سنه ١٩٣٨ م حيث أصبح رئيس كليه الشيعه في لكهنو (شيعه دگری گالچ) ثم أسس مركز التحقيقات الإسلاميه في كراتشي و هو من أهم المراكز العلميه في باكستان و أوصى أن يدفن فيه. و بعد وفاته نفذت وصيته و مع ممارساته الجامعيه فكان من كبار خطباء و وعاظ المنبر الحسيني في شبه القاره الهنديه و كان يجيد اللغه الفارسيه و الأردويه و الهنديه و الإنكليزيه و نشرت له مقالات و بحوث بهذه اللغات.

ابن حسن بن مير حسين رضا جايسی

ولد في لكهنو سنه ١٢٩١ و توفي فيها سنه ١٣٦٨.

و ابن حسن اسمه، تلقى دراسته الأولى في لكهنو ثم سافر إلى العراق لمتابعه الدراسه، فتنقل بين النجف و كربلاء و سامراء، و كان من أساتذته كل من السيد كاظم الطباطبائي و الآخوند محمد كاظم الخراساني و شيخ الشريعه الأصفهاني و غيرهم. ثم عاد إلى الهند و استقر في لكهنو ممارسا نشاطه في التدريس و الخطابه حتى وفاته.

و له من المؤلفات: ١ - الرأى السديد في مسائل الاجتهاد و التقليد، و هو باللغه العربيه ٢ - الامام الراتب، و هو باللغه الأردويه ٣ - نهايه الأصول، و هو حاشيه على كفايه الأصول. و غير ذلك.

ابن يوسف الشيرازي

ولد بشيراز عام ١٣٢٣ و توفي سنه ١٤٠٧ درس العلوم الإسلاميه في مسقط رأسه ثم في أصفهان ثم في قم و أخيرا في مشهد بخراسان ثم حاز على شهاده اليسانس من كليه المعقول و المنقول (كليه الإلهيات بطهران) و صار مدرسا في مدرسه سبهاسالار و مدرسه مروى بطهران.

كان خبيراً بالمخطوطات و قام بفهرسه بعض الخزائن المخطوطه بايرانكفهرست مخطوطات مدرسه سبهاسالار و فهرست مخطوطات مكتبه البرلمان الايراني. (٢)

أبو البقاء إبراهيم بن حسين بن إبراهيم البصري:

كان حيا في المحرم سنه ٥١٦.

من أكابر المحدثين الشيعه و علمائهم. أخذ العلم عن الشيخ أبي طالب محمد بن الحسن بن عتبه و هو يروى عن أستاذه المذكور. تصدر كرسى التدريس في النجف الأشرف و تخرج عليه جماعه منهم الشيخ عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم على بن محمد الطبري الآملي صاحب كتاب بشاره المصطفى لشيعة المرتضى و ذكر استاذه المترجم له في حديث وصيه أمير المؤمنين على بن أبي طالب ع لكميل بن زياد و قال أنه قرأ عليه بمشهد أمير المؤمنين ع في المحرم سنه ٥١٦ هجريه و ذكره شيخنا الأستاذ في

١- مطلع أنوار.

٢- الشيخ محمد رضا الأنصاري.

السيد كمال الدين أبو الحسن بن السيد بهاء الدين محمد بن السيد على الحسيني الأفتس الزباري البيهقي:

كان حيا عام ٥٦٣.

من العلماء و أهل الفضل و الكمال أديب شاعر، له نظم فى اللغة العربيه و الفارسيه أخذ العلم عن أكابر علماء بيهق ثم نبغ فى الأدب و الشعر.

و هو من أسره آل زباره البيهقيين أو آل الزباري و هم من ذريه السيد محمد زباره بن عبد الله المفقود بن الحسن المكفوف بن الحسن الأفتس بن على الأصغر بن الامام زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب ع فى بيهق نبغ من هذه الأسره نقباء و علماء و فقهاء و شعراء سيأتى ذكر كل منهم فى محله و كان والد المترجم له السيد بهاء الدين محمد المتوفى سنه ٥٤٩ من علماء بيهق و عمه السيد ضياء الدين على من شعراء هذا البيت الجليل.

ذكر المترجم له ابن الفندق المتوفى سنه ٥٦٥ فى كتابه تاريخ بيهق و كان أديبا شاعرا له ديوان شعر بالعربيه و ديوان شعر بالفارسيه و من قصائده بالعربيه:

الله يشهد انا معشر نجب حلت بعقوتنا العلياء و الكرم

ما ضرنا اننا قلت دراهمنا و البيت منزلنا و الحل و الحرم

بيوتنا بنيت للمجد مذ بنيت ترى لديها رقاب المال تهتضم

فقل لمعتسف يرجو للحاق بنا تسعى كثيرا و عقبى سعيك الندم (٢)

أبو الحسن أبو صاحب بن محمد بن على شاه الكشميري

ولد سنه ١٢٦٠ فى لكهنو (الهند) و توفى فى كربلاء سنه ١٣١٣.

من مشاهير فقهاء الهند، توفى والده و عمره تسع سنوات، درس كتاب (عماد الإسلام) على السيد محمد سلطان العلماء و درس الفقه و الأصول على ممتاز العلماء السيد محمد تقى، و كان من أساتذته أيضا المفتى محمد عباس.

أسس فى لكهنو سنه ١٢٨٩ (المدرسه الايمانيه) و لكنها لم تعمر غير بضعه شهور، كما أسس مدارس دينيه فى لكهنو منها المدرسه الناظميه التى فوض أمرها للسيد نجم الحسن، و مدرسه سلطان المدارس التابعه لوقف حسين آباد، و لا تزال المدرستان عامرتين حتى الآن، و قد تخرج من هاتين المدرستين الكثير من العلماء و الأفاضل.

و فى ١٤ رمضان من سنه ٣١٢ [١٣١٢] پ و كان هذا السفر هو سفره السادس إلى كربلاء، كما كان آخر سفر له حيث ظل فيها

حتى وفاته.

ترك من الأولاد كلا من السيد زين العابدين المتوفى فى كربلاء سنة ١٣١٣ و السيد محمد جعفر المتوفى سنة ١٣١٠ و السيد محمد الباقر المتوفى فى كربلاء سنة ١٣٤٦ و السيد محمد هدى هادى المتوفى فى كربلاء سنة ١٣٥٧ من تلاميذه السيد محمد صادق الكهجورى، و السيد نجم الحسن، و السيد عابد حسين، و سبط الحسن الكربلايى الجونبورى، و السيد محمد كاظم الكشميرى، و السيد أحفاد حسين ببيره غاديبور، و غيرهم.

و من مؤلفاته: ١ - شرح الفصول (إلى بحث النبوه) ٢ - الأربعين و شرح الأربعين ٣ - الدر الثمين (شرح أربعين الشيخ البهائى) ٤ - حواش على رسائل الشيخ الأنصارى ٥ - حواش على قوانين الأصول ٦ - تعليقات على منهج اليقين للعلامه الحلى ٧ - تراجم علماء الكاظمين ٨ - الخلاصه الصافيه فى حل لغز الكافيه ٨ - شقائق الحقائق (تحقيقات فى أحاديث مشكله) ٩ - التقريب فى شرح التهذيب. و غير ذلك.

أبو الحسن تاناشاه

توفى سنة ١١١١ و لم يعرف تاريخ مولده كان عالما فاضلا، بدأ حياته زاهدا قليل المخالطه للناس، ذا شخصيه قويه شجاعا. و اتصل خبره بملك حيدرآباد الدكن (الهند) عبد الله قطب شاه فقربه إليه و زوجه ابنته، و لما توفى الملك حل مكانه فى الملك و عاش حياه السلطه و الحكم أربعه عشر عاما، ثم غزاه (أورنگ زيب) و تغلب عليه و سجنه و ظل فى السجن أربعه عشر عاما حتى وفاته. و قبل ذلك كانت له وقائع مع تيمور لنگ لم يتغلب فيها تيمور.

من مؤلفاته: ١ - حواش على تفسير الكشاف باللغه العربيه ٢ - ديوان شعر باللغتين العربيه و الفارسيه، و غير ذلك من المؤلفات المطبوعه.

الشيخ أبو الحسن بن الحسين الباقي اليزدى الحائرى:

توفى فى كربلاء حدود سنة ١٢٤٣.

من أكابر علماء عصره، رجالى محدث، فقيه متبحر. أخذ الفقه و الأصول عن المؤسس الوحيد آغا باقر البهبهانى الحائرى المتوفى سنة ١٢٠٥ و السيد على الطباطبائى الحائرى صاحب الرياض المتوفى سنة ١٢٣١ و حضر فى الجهاد على روسيا القيصرية فى سنة ١٢٤٢ و كان له رئاسه فى كربلاء و شغل كرسى التدريس و الفتوى فيها حتى توفى ذكره شيخنا الأستاذ فى طبقات أعلام الشيعه و وصفه بأنه من العلماء الماهرين فى الحديث و الرجال و ذكره فى طبقه تلاميذ الوحيد البهبهانى و ذكره أيضا فى موسوعته الذريعه إلى تصانيف الشيعه ج ٢٥ ص ٤٨ و قال كانت وفاته بين سنة ١٢٣٧ و ١٢٤٤ و أشار إليه أيضا فى مصفى المقال فى مصفى علم الرجال ص ٢٧، و من مؤلفاته كتاب الوجيزه فى الدرايه انتهى من تاليفه فى شعبان سنة ١٢٣٧ و له رساله فى (الفقه الرضوى) تكلم فيها نفيا و إثباتا و لم يطمئن بأحدهما. ذكرته فى كتابى كربلاء فى حاضرها و ماضيها". (٣)

أبو الحسن ممتاز العلماء ابن ددار على

وللد [ولد] سنه ١٢٤٨ فى لكهنؤ (الهند) و توفى فىها سنه ١٣٠٩.

هو من الأسره الشهيره (غفران مآب)، و قد تربى و ترعرع فى محيط

ص: ٤٥

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

العلم والفضل، و درس على مشاهير العلماء مولانا علي نقى و مولانا السيد حسين و مولانا كمال الدين فضلا عن والده. ثم سافر إلى العراق لمتابعه الدراسه و سكن كربلاء. و قد أجز من الشيخ زين العابدين المازندراني و غيره و عند ما عاد إلى بلاده كان فيها مرجعا دينيا بارزا محط الأنظار في شبه القاره الهنديه. و كان متوليا أوقاف (غفران مآب)، و عند ما بنى بيگك مير حسن من سكان محمودآباد بنايه بقصد جعلها مدرسه دينيه سلمها له، كما أنه كان يشرف على (المدرسه الايمانيه) التي كانت بنظارته و إدارته.

و قد تولى تدريس (بحث الخارج) و كان يحضر درسه نخبه من الأفاضل أمثال المولوى على نقى صاحب و المولوى محمد حسين صاحب و المولوى السيد محمد حسين صاحب و المولوى السيد محمد صاحب و المولوى حسن رضا صاحب و المولوى السيد محمد باقر صاحب و المولوى ظهور حسين صاحب بارهوى و غيرهم.

و واجد على شاه هو الذى لقبه: ممتاز العلماء، و هو اللقب الذى اشتهر به.

ترك من الأولاد: ملا محمد طاهر صاحب، و السيد صاحب، و المولوى السيد عابد على صاحب.

و من تلامذته: السيد نجم الحسن، و السيد ظهور حسين و هما أبرز تلامذته و أشهرهم.

و من مؤلفاته: تنفيذ العقود فى حل شبهه عامه الورود، و حاشيه على ملا جامى و غير ذلك.

الشيخ أبو الحسن الشيرازى ابن الشيخ محمد بن غلام حسين بن أبو الحسن الطهرانى

. و جده لأمه محمد إبراهيم نواب:

ولد سنه ١٣٢٠ فى طهران، و توفى سنه ١٣٩٣ على أثر مرض ألم به اضطره للسفر إلى ألمانيا حيث فارق الحياه هناك. و نقل جثمانه إلى إيران و دفن إلى جوار السيد عبد العظيم الحسنى فى ضواحي طهران.

سار على نهج علماء السلف فى جمع العلوم النقليه و العقليه، فتعمق فى الفقه و أصول الفقه و المنطق و الكلام و الحكمه، كما سبر أغوار الرياضيات القديمه و الفلك و مقدار من الطب.

درس الفقه و الأصول على جماعه من العلماء منهم: الميرزا محمود القمى، و الشيخ محمد رضا قمشه اى، و الميرزا طاهر التنكاينى [التنكاينى]، و الميرزا على أكبر اليزدى فى مدينه قم.

فى سنه ١٣٤٦ إذ توفى والده، هاجر إلى النجف الأشرف و درس علم الرجال و الحديث على السيد أبو تراب الخونسارى، و استفاد من دروس أساتذته آخرين فى الحوزه العلميه لهذه المدينه، ثم عاد إلى وطنه، فأثر فيه الانصراف إلى التحقيق و التأليف و التدريس، و كان يشغل إضافه إلى الأعمال العلميه، إمامه مسجد من مساجد طهران القديمه المعروف بمسجد حوض فى شارع سيروس قرب السوق الكبير للعاصمه.

يقول عنه صاحب كتاب " گنجينه دانشمندان " أى خزانه العلماء:

" إن العلامة الشعراني كان من نواذر العلماء المعاصرين، عاش حياه بساطه بعيده عن زخارف الدنيا و بهارجها، و أتيحت له الفرص كى يكون من ذوى المناصب الاجتماعيه الهامه. لكنه آثر الانشغال بالأمور العلميه.

كان حاذقا فى اللغه العربيه و اللغه العبريه و اللغه الفرنسيه..

و تربى على يده عدد من العلماء أشهرهم الشيخ حسن زاده الآملى من كبار علماء الحوزه العلميه فى قم.
مما خلفه من أعمال علميه:

١ - تعليقات على تفسير أبى الفتوح الرازى فى ١٣ مجلدا.

٢ - تعليقات على تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسى فى ١٠ مجلدات.

٣ - تعليقات على كتاب الوافى للمحدث الفيض فى ٣ مجلدات.

٤ - تعليقات على كتاب وسائل الشيعة للحر العاملى.

٥ - ترجمه تبصره العلامة الحللى إلى الفارسيه مع تعليقات عليها فى جزءين.

٦ - تعليقات على شرح أصول الكافى للملا صالح المازندراني فى ١٣ مجلدا.

٧ - مفردات القرآن من الألف إلى الظاء. (و تم إكماله إلى حرف الياء و طبعه).

٨ - طريق السعاده فى إثبات الله و النبوه و الولايه و المعاد.

٩ - تعليقات على تفسير منهج الصادقين فى ١٠ مجلدات.

١٠ - تعليقات على تفسير الصافى فى مجلدين.

١١ - تعليقات على كتاب (أسرار الحكم) للحكيم السبزوارى.

١٢ - ترجمه و شرح تجريد الأحكام للشيخ نصير الدين الطوسى.

و عشرات التعليقات و الحواشى على الكتب العلميه الأخرى.

أبو الحسن الكشميرى

توفى سنه ١٣٠٠ و لم يعلم تاريخ ولادته.

كان عالما فاضلا جليل القدر، درس في لكهنو (الهند)، ثم ذهب إلى مدينة مرشدآباد في البنغال فنشر فيها العلوم الإسلاميه و أصبح من مشاهير علماء البنغال، التي عرفت بعد ذلك باسم (بنغلادش).

السيد أبو الحسن الكشميري ابن السيد نقي

ولد سنة ١٢٦٢ في الهند و توفي سنة ١٣٤٢.

درس في الهند و كان من أساتذته فيها المفتي محمد عباس. ثم سافر إلى العراق للدراسه فكان من أساتذته هناك الشيخ حسين المزاندراني [المازندراني] و السيد حسين الشهرستاني.

من مؤلفاته: ١ - إسعاف المأمول في شرح زبده الأصول ٢ - سواء السبيل في شرح الزاد القليل. و هو في الكلام ٣ - حل المغلقات في شرح السبع المعلقات ٤ - إزالة الشبهات ٥ - رساله في رد التناسخ. و غير ذلك.

كان يجيد اللغة العربيه و الفارسيه و كان خطيفا [خطيبا].

أبو الحسن ميرن صاحب ابن المولوى نیاز حسن برستى

ولد سنة ١٢٨٠ في جنوب حيدرآباد (الهند) و توفي سنة ١٣٤٠ في حيدرآباد درس العلوم الأوليه من نحو و صرف و منطق على السيد أكابر حسين ريدبورى. و فى سنة ١٢٩٩ جاء إلى لكهنو لإكمال دراسته فلم تطل

إقامته فيها بل عاد إلى بلدته حيث تابع الدراسة على والده، ثم هاجر إلى العراق فدرس على كل من الشيخ محمد حسن المامقاني و السيد الشهرستاني، و عاد بعد ذلك إلى وطنه، و منه سافر إلى شرق إفريقيا حيث أقام فترة رجع بعدها إلى الهند، و كانت له يد طولى فى ترميم و تجديد عمارات المؤسسات الدينية كالمدارس و المساجد و الحسينيات، و كان خطيبا جذابا و مرجعا للناس فى أمور دينهم و دنياهم.

من مؤلفاته: (مخزن طهاره) باللغه الأردويه.

أبو العباس شهاب الدين أحمد بن عبد الملك العزاري

ولد سنه ٦٣٤ فى القاهره و توفى فيها سنه ٧١٠.

كان تاجرا بقيساريه جهار كس بالقاهره، و كان أدبيا بارعا لا سيما فى نظم الموشحات، و كان يتشيع و يظهر تشيعه فى شعره فمن ذلك قوله:

إذا أنا لم أبت دامي الأماقى عليه و أدنى الكمى القصى

و أمسى فيه ذا وسن ضنين و أصبح فيه ذا شجن شجى

فلا سارت بقافيه ركابى و لا عادت بناجحه مطيى

و إلا لا اعتقدت ولا على و لا أضمرت حب بنى على

أناس أدركوا أمل المعالى و نالوا رتبه الشرف العلى

هم سحب الندى يوم العطايا و يوم الفخر أقمار الندى

إذا كررت ذكرهم كانى فتقت لطائم المسك الزكى

أبوهم ذو الجلاله من قريش و ذو النسب الصحيح من النبى

و ناصر دينه سرا و جهرا خلافا للفریق الجاهلى

و قاهر كل كفار عنيد و قاتل كل جبار عتى

و ضارب يوم صفين و بدر أعالى هامه البطل الكمى

و كاشف كل مشكله و لبس و غامضه بلا حصر و عى

أ للباغى عليهم يوم فخر كاصلهم و فرعهم الزكى

أ للباغى بهم نحو المنايا كقدرهم و مجدهم العلى
أ تقدر ظلمه الليل الديق تغطى آيه الصبح الجلى
ترى بعد الحسين يسوغ ماء و يخلو مورد العيش الهنى
و آيه عيشه تحلو و تصفو و قد جار العدو على الولى
لقد ظلموا و ما حازوا حقوقا لفاطمه البتول و لا الوصى
بكم يا آل ياسين و طه تحط خطيه الجانى المسى
و يحظى بالشفاعة كل عاص و يسعد كل مجترم شقى
سلام الله و الرضوان منه عليكم فى الغدو و فى العشى

الشيخ أبو عبد الله بن جلاب البغدادى:

استشهد سنة ٤٤٩ ببغداد.

من علماء الشيعة فى بغداد أخذ العلم و الفنون الإسلاميه على جماعه من أفاضل علماء عصره و سكن فى محله الكرخ ببغداد و كان من أكابر زعماء الدين فى عصره قال شيخنا فى طبقات أعلام الشيعة نقلا عن كتاب أحسن القصص: (كان من كبراء علماء الشيعة فى محله الكرخ ببغداد و قتل بها فى الفتنه التى وقعت بين الشيعة و السنه عام ٤٤٩...) و قد قتل فى هذا العام كثير من العلماء الشيعة و أحرقت مكنتاتهم. و فى هذه السنه هرب الشيخ الطوسى إلى كربلاء و منها استقر فى النجف الأشرف بعد أن أحرقت كرسى تدرسه و كتبه. (١)

أبو على الأمروهى

ولد سنة ١٢٠٢ فى دهلى و توفى سنة ١٢٧٢.

فاضل طبيب. درس العلوم الإسلاميه على السيد محمد عبادت و غيره و درس الطب على رضى الدين الأمروهى، ثم قام بالتدريس فى (بأنده) خمساً و عشرين سنة.

من مؤلفاته: ١ - هادى المخالفين فى الرد على تحفه المسلمين ٢ - حجه الايمان ٣ - كشف الدين فى إثبات عزاء الحسين ٤ - الفوائد الحسينيه فى المفردات ٥ - حواشى على طب أكبر.

أبو الفتح الجيلانى ابن عبد الرزاق

ولد سنة ٩٥٥ في جيلان (إيران) و توفي سنة ٩٩٢ في كشمير.

من مشاهير علماء عصر محمد أكبر في الهند، اشتهر بالحكمة و الفلسفه و الطب.

و هو ابن السيد عبد الرزاق الجيلاني مولدا الشيرازي موطنا و الدهلوي مسكنا، مؤلف مصباح الشريعة، و مصباح الحقيقه. جاء مع والده إلى شيراز ثم إلى الهند، و قد التحق برجال الملك أكبر باعتباره طبيبا، ثم أصبح من مديري سياسته. و في سنة ٩٨٧ صار مسئولا عن (بنغال)، ثم استدعى ليكون إلى جانب الملك مستشاره المعتمد عليه، و يفهم من كتابه (رقعات أبو الفتح) أنه كان صديقا حميما للقاضي نور الله الشوشتری صاحب كتاب (احقاق الحق)، و يبدو ذلك من رسائله الموجهه إلى القاضي. (٢)

كان إلى جانب علمه سياسيا فطنا حسن التدبير للأمر، كبير المنزله عند أكبر.

من مؤلفاته: ١ - فتاحي شرح قانونجه ٢ - قياسييه، شرح أخلاق ناصري على ضوء القرآن و الحديث النبوي ٣ - چهار باغ (رقعات أبو الفتح) ٤ - إفادات الحكيم أبو الفتح ٥ - مظهر الأسرار ٦ - مثنوى. (٣)

أبو الفضل بن الشيخ مبارك بن الشيخ خضر اليماني الأصل الهندي المسكن و المدفن

مرت ترجمته في الصفحه ٣٩٩ من المجلد الثاني من (الأعيان):

و نضيف هنا إلى ما هنالك ما ذكره السيد مرتضى حسين في كتابه (مطلع أنوار):

سنة ١٠١١ عند ما هاجم جهانگیر الهند استولى على البلد كله فأمر أبا الفضل بالقدوم إليه من الدكن (حيدرآباد) إلى (إله آباد) حيث كان يسكن جهانگیر، فلما وصل أبو الفضل إلى بلده (كواليار) في طريقه إلى

ص: ٦٧

١- الشيخ عبد الحسين الصالحي.

٢- نقل هذه الرسائل في رقعاته المطبوعه في لاهور.

٣- مطلع أنوار.

جهانگیر، أوقفه أحد جلاوزه جهانگیر و قتله و بعث برأسه إلى جهانگیر في إله آباد، و دفنت جثته في بلده (انترى).

و يعدد السيد مرتضى مؤلفاته هكذا: ١ - أكبرنامه (تاريخ عهد أكبر) ٢ - آيين أكبرى (في الثقافه و التاريخ) ٣ - عيار دانش (خلاصه أنوار سهيلي) ٤ - ديباجه رزم نامه (مقدمه كتاب في الحرب) ٥ - ترجمه الإنجيل إلى الفارسيه ٦ - مناجاه (أشعار فارسيه) ٧ - مكاتبات علامى ٨ - رقعات أبو الفضل.

أبو الفيض، و يقال: فيضى، و فياضى

ولد في آكره (الهند) سنة ٩٥٤ و توفي فيها سنة ١٠٠٤.

مرت ترجمه له في موضعها من (الأعيان) و نشر هنا أسماء مؤلفاته:

١ - سواطع الإلهام، و هو تفسير للقرآن باللغه العربيه، بدون نقط، و قد قرضه فيمن قرضه القاضى نور الله الشوشترى و قد أكمله سنة ١٠٠٢ و هو مطبوع ٢ - موارد الكلم باللغه العربيه ٣ - صنعت مهمله (في علم الأخلاق) ٤ - مثنوى مركز، باللغتين الأردويه و الفارسيه، و هو في التصوف ٥ - مثنوى تل و من ٦ - لطيفه فياضى ٧ - كلييات، و هو مجموعه القصائد و الرباعيات باللغه الفارسيه ٨ - دربار اكبرى ٩ - فكارستان، باللغه الفارسيه. و غير ذلك.

أبو القاسم النجفى ابن عبد الحكيم

ولد سنة ١٢٧٥ و توفي سنة ١٣٥٠ في كربلاء.

درس في النجف و كربلاء و سامراء، و قد طلبه أهالى بمبئى للمجىء إليهم، فكلفه المرجح [المرجع] الشيخ زين العابدين المازندراني بالذهاب، فبقى في بمبئى إحدى و أربعين سنة، ثم عهد بأمور مسجد الخوجه الاثنى عشرية إلى ولده الشيخ محمد حسين و جاء إلى كربلاء و بقى فيها حتى وفاته و قد ترك مخطوطات كثيره في اللغتين العربيه و الفارسيه.

السيد أبو المعالى

ولد سنة ١٠٠٤ و توفي سنة ١٠٤٦ في بنكاله (الهند) هو من أبناء القاضى نور الله الشوشترى المرعشى، و كان من كبار العلماء فقيها محدثا أديبا. و قد ترك عدده مؤلفات منها: ١ - أحوال شهاده القاضى نور الله المرعشى ٢ - تفسير سوره الإخلاص ٣ - رساله نفى الرؤيه ٤ - أنموذج العلوم ٥ - ديوان شعر بالفارسيه.

ميرزا أبو المعالى

المشهور بعالى النيسابورى المتصل نسبه بفريد الدين العطار:

الشاعر، العالم الفاضل العارف. لازم (فرخ سير) قبل توليه الملك، و في عهد سلطنته (١١٢٤ - ١١٣١) كان له المقام الكبير المرموق، و لقب بالوزير الخان.

و ديوانه المحفوظ في مكتبه المتحف البريطاني يشتمل على ٣٣٠٠ بيت من القصائد و الغزل و الرباعيات و المفردات و مديح فرخ سير، كما أنه يحتوي على مسائل تاريخيه و ذكر الزيجات و الولادات في البيوت الملكيه.

و له القصائد في مدح النبي (ص) و الأئمه ع و رجال. و له ذم للزاهدين رياء و المعتمين المرائين، و ربما كان وراء ذلك أمور معينه.

و مما قيل في شعره أنه تغلب عليه اللهجه الخراسانيه، و أنه سهل سلس، و أن غزلياته حاره تلمس القلب.

أحفاد الحسين بن جواد على

ولد سنة ١٢٨٣ في لكهنو (الهند) و توفي فيها سنة ١٣٣٢.

تربى برعايه والده المتوفى سنة ١٣٠٦ و درس عليه و على غيره من علماء لكهنو. كان مشتهرا بالطب و الشعر و الخطابه. ثم حل محل أبيه في إمامه مسجد نواب على خان حسين آباد من توابع (مونگیر). ترك عدده مؤلفات بالعرييه و الفارسيه لم تطبع و ضاعت بعد وفاته. (١)

أحسن الله

الملقب بظفر خان و المشهور بأحسن الترتبي:

هو ابن ركن السلطنه خواجه أبو الحسن تربتي من أصل خراساني.

و المترجم من شعراء القرن الحادي عشر في الهند، و كان أبوه خواجه أبو الحسن (٩٧٢ - ١٠٤٢) سافر إلى الهند في عهد جلال الدين أكبر (٩٦٣ - ١٠١٤) و عهد إليه هناك بصدارة الدكن. و في عهد جهانگیر (١٠١٤ - ١٠٣٧) ترك الدكن إلى العاصمه، فعهد إليه باماره منطقته (مير بخشى) المعتبره من المناصب العاليه. و بعد وفاه اعتماد الدوله الطهراني ارتقى إلى منصب الوزاره العاليه (الديوان الكلى)، ثم عهد إليه بمسئوليه (كابل) مضافا إلى ما يشغله من مسئوليه. و بالنظر إلى المهام الكبرى المعهوده إليه، عين ابنه المترجم أحسن الله (ظفر خان) نائبا عنه في كابل. و في عهدشاه جهان (١٠٣٧ - ١٠٦٨) عين في كشمير، و لتقدمه في العمر أحال المنصب الجديد إلى ابنه، ثم توفي الأب سنة ١٠٤٢ عن عمر يناهز السبعين سنة و ظل ابنه المترجم حاكما لكشمير.

و في أواخر حياته اعتزل حتى وفاته سنة ١٠٧٣.

لم يكن أبوه شيعيا و مع ذلك فقد كان هو شيعيا صلبا في تشيعه. و كان شاعرا ينظم بالفارسيه و يروج لها، و كان الشعراء يقصدونه من البلاد البعيده لكرمه و جوده، و من الشعراء في عهده، كل من مهمنى، و كلیم، و قدسى، و صائب. و كان ميرزا محمد على صائب صديقا حميما له.

كان ينظم القصيده و الغزل، و له مثنوى في وصف كشمير، و قصائد و غزليات في وصف مناطق كشمير و قصورها.

آقا أحمد البهبهانی ابن محمد علی

كانت ولادته فی ایران سنه ۱۱۹۱ و توفي سنه ۱۲۳۵.

فی سنه ۱۲۲۳ سافر إلى حیدرآباد و لکهنو و فیض آباد و فرح آباد من بلاد الهند. بدأ دراسته علی أبيه ثم سافر إلى العراق للدرس فی النجف و عاد إلى الوطن لفته قصيره ثم رجع إلى النجف و منها إلى قم مواصلا دراسته.

من مؤلفاته: ۱ - حاشیه علی الصمدیه ۲ - ربیع الأزهار، فی مسائل متفرقه من أصول الفقه ۳ - تحفه المحیین فی مراتب الأئمه الطاهرين. ۴ - عقد جواهر الحسان فی أجوبه مسائل حیدرآباد الدکن ۵ - مرآه الأحوال و غیر ذلك. (۲)

ص: ۶۸

۱- مطلع أنوار.

۲- مطلع أنوار.

أحمد بن حسن بن سليمان العاملی

توفى بعد سنة ١٠٨٣.

عالم جليل قرأ المبادئ و المقدمات فى موطنه ثم سافر إلى أصفهان و درس على أعلامها رايت من ممتلكاته و استنساخه كتاب الدر المنثور كتبه عن خط المؤلف و قابله فى ٢٧ ربيع ١٠٨٢ - توفى بعد هذا التاريخ، و هذا غير أحمد بن حسن بن سليمان العاملی النباطی الذى ذكر فى الأعيان: ٢/٤٩٤. (١)

أحمد حسن كاظمينى ابن المولوى صفدر حسين

ولد حوالى سنة ١٣٢٥ فى الهند و توفى سنة ١٣٨٤.

لقب بالكاظمينى لأنه كان يسكن حى (الكاظمين) فى لكهنؤ، و هو خريج مدرسه (سلطان المدارس) بدرجه (صدر الأفاضل)، كما نال شهادات المدارس الحديثه.

كان شاعرا ناثرا باللغه العربيه، كما كان يجيد اللغه الإنكليزيه، و تولى التدريس الدينى فى (شيعه كالج) فى لكهنؤ، و الاشراف على مجله (الأديب) فى لكهنؤ أيضا. و ذهب بعد ذلك من لكهنؤ إلى (كمباله) فى اغونده بشرق إفريقيا و بقى فيها حوالى عشر سنوات. و فى سنة ١٩٦٢ م عاد إلى كراتشى حيث توفى فيها. (٢)

أحمد حسين أمروهى

ولد حدود سنة ١٢٧٠ فى أمروه (الهند) و توفى فيها سنة ١٣٢٨ العالم الشهير الزاهد العابد. درس علوم اللغه العربيه على المولوى السيد على، و الكتب الطبيه على الحكيم أمجد على خان رئيس أمروه، و فى لكهنؤ درس شرح اللمعه و الشرح الكبير و معالم الأصول و القوانين على بنده حسين، و تفسير الطبرسى على فردوس مآب حامد حسين، و نهج البلاغه و المسالك على المفتى محمد عباس. و قد أجازة هؤلاء كلهم كما أجازة ممتاز العلماء السيد محمد تقى.

و فى سنة ١٢٨٨ عاد إلى وطنه لانحراف صحته، و بتكليف من المفتى محمد عباس تولى أعمالا قضائيه، كما أن الحكيم أمجد على اختاره لتعليم أولاده. ثم طلبه رئيس () التابعه لفيض آباد ليكون إماما للجمعه و الجماعة سنة ١٣١٣، و لما عزم الرئيس المذكور على زيارة مقامات الأئمه (ع) اصطحبه معه. و لما أسس أمجد على مدرسه () اختاره مدرسا فيها على أن رئيس () أصر عليه بالاستمرار بامامه الجمعه و الجماعة فى بلده. و فى ١٣ شعبان سنة ١٣٢٨ تدهورت صحته فعاد إلى بلده حيث توفى فيها.

ترك من المؤلفات: ١ - شرح نهج البلاغه ٢ - حواش على المختصر النافع ٣ - أعظم المطالب فى آيات المناقب ٤ - مناقب الأبرار ٥ - هديه سنيه (هديه الصدر) ٦ - جواب لا- جواب ٧ - فرق الفريقيين فى تمسك الثقلين ٨ - تنقيح الأخبار و تعديل الأخبار. (٣)

أحمد حسين بن گدا بن كاظم حسين

ولد حدود سنة ١٣١٠ و توفي حدود سنة ١٣٨٥ فى وطنه لكهنو (الهند) هو من أسره معروفه بالعلم و العمل فى لكهنو. و قد اشتهر بإنشاء الأشعار فى رثاء [رثاء] أهل البيت (ع).

كانت دراسته العلوم الإسلاميه فى مدرسه (سلطان المدارس) فى لكهنو و نال منها شهادة (صدر الأفاضل)، ثم كان مدرسا فيها، و من تلاميذه فيها العالم المؤرخ المحقق السيد مرتضى حسين صدر الأفاضل.

و فى سنة ١٩٥٠ م غادر لكهنو للاقامه فى كربلاء، و لكن عاوده الحنين إلى وطنه فعاد إلى لكهنو حيث توفي فيها. (٤)

أحمد حسين خان

ولد سنة ١٢٩٠ فى الهند و توفي سنة ١٢٦٤.

هو من بلده بريانون قرب رائي بريلي (الهند) و كان من كبار الاقطاعيين فيها، و قد ولد و نشأ على غير التشيع، كما درس العلوم الإسلاميه على غير علماء الشيعة، ثم مال إلى التشيع و اتخذه مذهبا.

له كتب قيمه فى التاريخ و الفقه و العقائد، و له دراسات معمقه فى المسائل الفقيهيه. و قد كتب كثيرا فى فهرست الكتب و أسماء المؤلفين، و كانت له مكتبه ضخمة تحتوى على كتب كثيره أهدها و لده بعده إلى المكتبه الناصريه فى (لكهنو).

كان ذواقه للشعر استظهر ديوان (حافظ) كله. و من مؤلفاته:

١ - آيات بينات ٢ - تفسير آيات فى فضائل أمير المؤمنين (ع) ٣ - تاريخ أحمدى فى تاريخ الإسلام ٤ - رفع الحجب عن أسامى الكتب ٥ - الموافقه و المصالحه، و هو مقابله بين فقه الشيعة و فقه السنه ٦ - معرفه العلماء ٧ - أسماء الرجال ٨ - اثنا عشر برج شمس الامامه ٩ - تصحيح الاغلاط ١٠ - ديوان ١١ - شرح مفاتيح الأفعال ١٢ - جذبات مذاق. (٥)

أحمد بن حسين خوانى امانت خوانى

ولد سنة ١٠٢٠ و توفي سنة ١٠٩٥ فى أورنگ آباد (الهند).

كان فقيها فاضلا إلى كونه سياسيا. شغل مناصب حكوميه فى كل من (اجمير) و (قندهار) و (ملتان). ثم فى المؤسسه العسكريه فى (كابل).

ترجم إلى اللغه الفارسيه كتاب (شرائع الإسلام).

السيد أحمد الحسينى

توفى بعد سنة ١٣١٢ فى النجف الأشرف قرأ على الأعلام فى النجف الأشرف و اختص بالميرزا حبيب الله الرشتى (الجيلانى) و الشيخ عبد الله المازندرانى و نال قسطا وافرا من العلم و الفضل - من تأليفاته حاشيه على المكاسب ألفها فى حياه أستاذه الرشتى

و أتمها بعد وفاته و ذكر فيها آراء أستاذه الرشتي و المازندراني. (٤)

ص: ٤٩

-
- ١- الشيخ محمد السماي.
 - ٢- مطلع أنوار.
 - ٣- مطلع أنوار.
 - ٤- مطلع أنوار.
 - ٥- مطلع أنوار.
 - ٦- الشيخ محمد السماي.

الشيخ أحمد ديوبندى ابن وجيه الدين

توفى سنة ١٣١٥ على الأرجح و لم يعرف تاريخ ولادته.

درس فى ديوبند (الهند) و كان يجيد العربية و الفارسيه، عالما فاضلا كاتبا. من مؤلفاته: كتاب ضخم باسم (تاريخ الأنبياء فى أقوال الأصفياء) كتبه أولا بالفارسيه ثم ترجمه إلى الأردويه. و له كتاب (تشریف الأنوار) فى مجلدين.

أحمد راد

ولد عام ١٣١٥ و توفى ١٤٠٥ بدأ حياته العلميه فى مدارس طهران حيث كان معلما فيها ثم انتقل إلى عده مدن إيرانيه فصار مديرا للتعليم فى شيراز و مشهد و غيرها. و فى مدينه رشت التقى بميرزا كوجك خان قائد ثوره الغابه و عمل فى حكومته للجمارك - ثم صار مشرفا على مدرسه سپهسالار بطهران - و كان ديوانه فى تلك المدرسه فى يوم الأربعاء مشهورا حيث كان يجتمع مع تله من المفكرين و المثقفين الإسلاميين فى يوم الأربعاء فى تلك المدرسه و يتباحثون حول القضايا الثقافيه و العلميه. له مؤلفات تزيد على ٣٠ كتابا و له مقالات عديده فى المجلات الإيرانيه. (١)

أحمد حسين زنگى بورى بن السيد أكرم حسين زنگى بورى

ولد سنة ١٢٤٦ فى زنگى پور من توابع غازى بدر فى الهند و توفى سنة ١٢٧٢ فى لكهنو درس فى فيض آباد و فى سنة ١٢٦٢ توفى والده فجاء إلى لكهنو و درس هناك شرح اللعنه على السيد حسين صاحب، و أصول الكافى على الأستاذ قائمه الدين، و أصول الفقه على ولى الله صاحب، كما كان من أساتذته تراب على صاحب و كان أستاذه هذا يفاخر به و يعده من أرشد تلاميذه.

اشتهر بالتقوى و صفاء الباطن.

من مؤلفاته: ١ - حاشيه على (شمس بازغه) ٢ - شرح التهذيب فى المنطق. (٢)

أحمد حسين سرسوى

توفى حدود سنة ١٣٥٠ فى موطنه الهند.

كان محاضرا فى الجامعه العثمانيه بالقسم الإسلامى. و كان عالما، أدبيا فى اللغه العربيه، و قد كتب رساله فى العوامل النحويه، و كانت له اليد الطولى فى الفقه و الحديث. (٣)

أحمد حسين سند يلوى

ولد حدود سنة ١٢٥٠ و توفى حدود سنة ١٣٠٤.

هو من أولاد ملا حمد الله شارح (سلم العلوم)، من بلده (سنديله) فى منطقه (لكهنو) بالهند.

درس على مشاهير العلماء في لكهنو مثل المولوى عبد الحق خيرآبادى. ثم ذهب إلى حيدرآباد الدكن و تولى التدريس في مدرسه دار العلوم.

كان عارفاً بالفقه و الحديث و التفسير و المنطق و الفلسفه.(٤)

الشيخ أحمد الشمرانى اليمنى بن محمد بن على بن إبراهيم

ولد سنه ١٢٠٠ فى الحديده (اليمن) و توفى سنه ١٢٥٦ فى الهند.

كان مجيدا للأدب العربى و العلوم الإسلاميه، و كان قد درس علوم اللغه و الأدب على محسن بن عيسى النجفى و بهاء الدين بن محسن العاملى، و الفقه الشافعى على الشيخ على بن يحيى عفيف اليمانى و السيد زين العابدين بن علوى المدنى، و الفقه الجعفرى على أبيه. ثم جاء إلى كلكته فى الهند و درس فيها شرح الشمسيه على حيدر على التوتكى كما درس عليه نخبه الفكر. ثم تجول فى شبه القاره الهنديه و عاد إلى كلكته، ثم ذهب إلى لكهنو و اتصل بالسلطان غازى الدين، و كانت مجالس الشعر و النثر يوم ذاك عامره، فكتب هناك كتابين فسر به السلطان و عين له راتباً شهرياً، و بعد وفاه السلطان طلبه جند دلال بيگ إلى الدكن فاعترضه قطاع الطرق و سلبوه كل ما كان لديه.

توفى بين بمبئى و بنارس و بونا من بلاد الهند.

له من المؤلفات: ١ - المناقب الحيدريه ٢ - المحامد الحيدريه ٣ - نفحه اليمن ٤ - حديقه الأفراح ٥ - العجب العجاب ٦ - منهج البيان ٧ - الشافى فى العروض و القوافى ٨ - الجوهر الوقاد فى شرح بانت سعاد.(٥)

السيد أحمد الشهرستانى ابن السيد على أصغر

ولد سنه ١٣٢٤ فى النجف الأشرف و توفى سنه ١٤١٢ فى طهران و دفن فى قم درس فى النجف فكان من اساتذته السيد أبو الحسن الاصفهانى و الشيخ حسين النائينى و الشيخ ضياء الدين العراقى و الميرزا أبو الحسن المشكينى. و فى سنه ١٣٦٤ انتقل إلى طهران فكان يقيم صلاه الجماعه فى مسجد (باب الحق) فى مجله [محلّه] مولوى. كما كان يقضى فى السنه شهرين فى بلده (نور) من توابع طهران.

ترك بعض المؤلفات، منها: شرح الوقت و القبله من متون كتاب اللمعه، و شرح على كتاب اللمعه، و شرح على كتاب الكفايه.

ميرزا أحمد على أمرتسى

ولد حدود سنه ١٣٠٠ فى (أمرتسر) من البنجاب بالهند و توفى سنه ١٣٩٠ فى لاهور بالباكستان درس الدراسه الحديثه حتى صار جنرالاً فى الجيش، و كان له أنس شديد بالعلوم الدينه [الدينه] من صغره و تعلق شديد بالإسلام، و بالرغم من انصرافه إلى عمله العسكرى لم يترك العمل الإسلامى، و قد لقى عنتاً كثيراً و كان يخطب كثيراً فى عامه الشعب و يتصدى للآراء الباطله إذ كان خطيباً بليغاً.

ترك بلدته أمرتسر و جاء إلى كشمير و انتقل إلى الحجاز و العراق و إيران، و كانت له منزله عاليه لدى علماء لكهنو فى الهند و علماء النجف و علماء قم.

أصدر بالاتفاق مع اخوان له فى مدينه (لاهور) جريده (الشيعة).

ص: ٧٠

١- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

٢- مطلع أنوار.

٣- مطلع أنوار.

٤- مطلع أنوار.

٥- مطلع أنوار.

و المعروف أنه ألف ما يقرب من الخمسين كتابا و لكن لم يعرف منها إلا:

(تعارف البهائيه) و (برواز قياس) و (دستور العمل الإسلامى) و (معارف إقبال) و (شيعة باك بك) و هو كتاب فى التعريف بالشيعة. (١)

أحمد على سجادى فاخاتى

من فضلاء الهند الذين جمعوا بين الدراستين الحديثه و القديمه و كان يجيد اللغه العربيه كثير القراءه للقرآن. أسس ميما باسم (الميتم الحسينى). له بعض المؤلفات، و من أكبر مؤلفاته كتاب ضخيم باللغه الإنكليزيه عن سيره الحسين (ع)، و له تفسير القرآن باللغه الإنكليزيه.

لم نصل إلى معرفه لا تاريخ ولادته و لا تاريخ وفاته و لا مكانهما.

السيد أحمد على محمد آبادى بن عنايت حيدر بن السيد على

ولد سنه ١٢٠٦ فى بلده محمد آباد التابعه لأعظم كده فى الهند و توفى سنه ١٢٩٥ فى لكهنو.

ولد فى بيت العلم و العمل و درس دراسته الأولى فى بيته ثم انتقل إلى فيض آباد طلبا للعلم فدرس على المولى السيد عبد العلى ديوكفتوى. و فى سنه ١٢٢٥ جاء إلى لكهنو فدرس المنطق و الفلسفه على المفتى ظهور الله، و الفقه و الأصول على غفران مآب. ثم صار من كبار مدرسى لكهنو، و كان بيته فى حى (بائى نالى) بلكهنو مقصدا لطالبي العلم و المعرفه، و كان بارزا فى تدريس التفسير و الحديث و الأصول و الفقه و المنطق و الفلسفه. كان ضليعا فى الأدب العربى.

فى سنه ١٢٧٤ سافر إلى الحج و زار العتبات المقدسه فى العراق و اتصل بكبار العلماء من أمثال الشيخ مرتضى الأنصارى و ميرزا على الطباطبائى الحائرى و ميرزا لطف الله المازندرانى و استفاد من معارفهم.

له من المؤلفات: ١ - تحفه المعجزات، و هو فى السيره النبويه ٢ - الأسئلة المحمدآباديه و هى أجوبه على مسائل للمولى أمانه على ٣ - الرد على الاخباريه ٤ - شرح رساله الامام الرضا (ع) ٥ - الرحله الحجازيه ٦ - حاشيه على تحرير العلامه ٧ - رساله فى التجويد و القراءه ٨ - رد بعض أبواب التحفه ٩ - رد منتهى الكلام لحيدر على ١٠ - ديوان شعر. و غير ذلك. (٢)

المفتى أحمد على ابن المفتى محمد عباس

ولد سنه ١٣٠٣ فى لكهنو و توفى فيها سنه ١٣٨٨.

من كبار علماء لكهنو و مراجع الهند توفى والده و هو صغير السن فربته والدته بتوجيه (أبو صاحب) أحد تلامذه والده. و فى سنه ١٣١٢ دخل مدرسه سلطان المدارس فكان أستاذه فيها المولى جعفر حسين و ظل فيها حتى سنه ١٣١٧ حيث جاء ابن عمه نجم العلماء فتولى رعايته و أدخله المدرسه الناظميه. و فى سنه ١٣١٩ ذهب مع أمه إلى العراق فسكن كربلاء و بدأ فيها دراسته فكان من أساتذته فيها كل من الشيخ غلام حسين المازندرانى الحائرى و السيد كاظم البهبهانى ثم انتقل إلى النجف و حضر هناك

دروس الشيخ ضياء العراقى و السيد كاظم اليزدى. ثم رجع إلى كربلاء و صار يدرس فيها الطلاب الهنود كتب الرسائل و شرح اللمعه و القوانين، ثم عاد إلى الهند و لكنه لم يلبث أن عاد إلى العراق مدرسا. ثم دعاه السيد نجم الحسن إلى لكهنو و عهد إليه فيها بتدريس الفقه و الأصول. و فى سنة ١٣٥٩ توفى نجم العلماء فتولى هو أمور المدرسه. و نتيجة لانحياز البلد سياسيا و اقتصاديا ضعف أمر المدرسه فسافر لأجلها إلى إفريقيا و كشمير و العراق و إيران، فاستطاع بمعونات من تلك البلاد أن يحفظ أمر المدرسه و يعاود سيرها.

كان يرتجل الشعر فارسيا و عربيا و أردويا. (٣)

أحمد بن عيسى الرادعى:

هو صاحب الأرجوزه الطويله، أرجوزه الحج التى ختم الهمدانى بها كتابه "صفه جزيره العرب"، و هى تدل على أن الرادعى كان جهذا و مؤرخا و جغرافيا و ذا ملكه بيانيه، و تقع فى ستمائه و خمسه و ثلاثين بيتا، و فى مائه و سبعة و عشرين مقطعا كل مقطع خمسه أبيات و بين كل مقطع و آخر، تفسير لما ورد فيه من غريب، أو اسم مكان، و شرح للمعنى إن كان يفتقر إلى ذلك و قد استشهد الهمدانى ببعض أبياتها فى كتابه الإكليل، و قال و هو يقدم لها فى خاتمه "صفه الجزيره" ما يلى:

"و لا نعلم أحدا وصف من جزيره العرب مسافه أربعة و عشرين يوما بشعر طبعى، و نشر بصفه الإبل و الفلوات، سوى أحمد بن عيسى الرادعى رحمه الله من خولان العاليه، و كان يسكن برادع من أرض اليمن، و منها وصف البلاد إلى مكه على محجه صنعاء فى أرض نجد العليا، و قد سمعت لرجل من البصريين شيئا فى صفه طريق البصره غير مرتضى، بل ضعيفا، و كان أبو يوسف ابن أبي فضاله الأبنائى جد أبى يوسف الذى كان فى زمن محمد بن يعفر قد قال فى محجه صنعاء شعرا أرجوزه ضعيفه فاهتجرت و أذيلت حتى درست، و فقد من ينشدها غير الأبيات التى لا-قوه بها و لا طبع، و كان كثير من أهل صنعاء لا سيما الأبناء قد غيروا فى قصيده الرادعى أشياء نفاسه و حسدا فلم يكن بصنعاء لها نسخه على الاستواء، فلم أزل ألتمس صحتها حتى سمعتها من أحمد بن محمد بن عبيد من بنى ليف من الفرس، و كان لا يدخل فى عصبيه، و لا يلى أحدا حقه، و كان آل ليف فرقتين، فرقه تسكن برادع، و فرقه بصنعاء، فقال لى: روانيها أحمد بن عيسى برادع عشره أبيات، عشره أبيات، حتى حفظتها و أنا حدث فلم تزل عنى، و هى على ما سمعت بجميع لغاته إلا- ما كان منها معينا من جهه الاضطرار، و لا فائده فيه فقد ثقفته، و فسرت منها ما لم يسقط إلى العامه لغته، و هذه الأرجوزه فرده فى فنها إلا أن يقفوها قاف مجيد و شاعر مفلق، و قد كان له سواها شعر لا بأس به".

و قد حرصت على سرد هذا التقديم كاملا، لأننا نستنتج منه فوائد شتى:

أولا: أن الأرجوزه فرده فى فنها، شمولاً و بيانا و قوه سبك و إن كان قد سبق "الرادعى" رجل من البصره و أبو يوسف الأبنائى لكن شعرهما كان ضعيفا لا قوه به و لا طبع فاندرس ما قالاه.

و ثانيا: إن بعض المتعصبين كانوا قد غيروا أرجوزه الرادعى، و هذا

١- مطلع أنوار.

٢- مطلع أنوار.

٣- مطلع أنوار.

يؤكد أن الكثير من النصوص القديمة قد عبث بها روايتها و إن من اللازم التثبت في تحقيقها، و تزييف ما يدل على عصبية، و نعرف أيضا شده حرص الهمداني على التماس الصحة فيما كان يتلقاه من معارف و يرويه من أشعار.

و ثالثا: نستفيد أن الأرجوزه مع أشعار البصرى و الأبنوى قد كانت من مصادر الهمداني فى تاليفه لكتابه "صفه جزيره العرب".

و رابعا: نفهم مقدار حرص القدماء على معرفه أسماء البلدان و تسجيل الأحساب و الأنساب و تعليمها للأحداث و حملهم على استظهارها و لو لا ذلك لما تمكن الهمداني من روايتها عن سمعها عن الرادعى.

و خامسا: أنه كان يوجد - و رغم تفاقم النعرات العنصريه و الطائفية - فى القرنين الثانى و الثالث إلى حد التجرى على تشويه و تغيير النصوص و تحريفها، من لا يندفع فى متاهات العصبية، من الفضلاء الذين لا يغمطون حق أحد، أمثال راوى الأرجوزه - و هو من الأبناء - لأبى محمد الهمداني.

و سادسا: نعرف من الروايه أن الشاعر أحمد الرادعى قد عاش فى أواخر القرن الثانى و النصف الأول من القرن الثالث الهجرى و حتى سنه ٢٧٠ هـ، لأنه أسمع أرجوزته لأحمد بن محمد و هو حدث السن، و نحن نعلم أن الهمداني لم يمت قبل سنه ٣٤٤ هـ و انه قد عثر على النسخه الصحيحه من الأرجوزه فى أواخر القرن الثالث الهجرى من أحمد هذا الذى أصبح شيخا و راويه.

و سابعا: إن للرادعى آثار شعريه أخرى غير هذه الأرجوز [الأرجوزه] و لا ندرى ما قصد الهمداني بقوله "و هى على ما سمعت بجميع لغاته إلا- ما كان منها معيبا"؟ و هل نفهم أنه قد ثقف و أصلح بعض ألفاظ الأرجوزه؟ و هل ما ورد فى الأرجوزه من تفسيرات لغويه أو إيضاحات جغرافيه من صنع الرادعى أم الهمداني؟ و قد أراد بقوله، "و فسرت منها ما لم يسقط إلى العامه لغته"، انه قد شرح ما يعده غريبا لدى العامه، و إن كان معروفا لدى الخاصه أى العلماء و الأدباء، و لعل الراوى عند ما قال "عشره أبيات عشره أبيات" اقد جعل كل شطر من الأرجوزه بيتا فيكون مجموع أبياتها ألف شطر و مائتين و سبعين شطرا. و قد افتتحها بقوله:

أول ما أبدأ من مقالى بالحمد للمنعم ذى الجلال

و المن و الآلاء و الإفضال و الملك و الجد الرفيع العالى

و لما وصل إلى ذكر "صنعاء" فى المقطع الرابع عشر قال:

صنعاء أعنى جنه الجنان بحيث شيد القصر من غمدان

أرض التقى و البر و الإحسان بها مقبلى، و بها إخوانى

و استطرذ بعد ذلك يقول:

صنعاء ذات الدور و الآطام و القدم الأقدم ذى القدام

و العز عن ذى السطوه الغشام أست بعلم لاين نوح سام

بعلم رب ملكك علام إذ رادها سام بلا توهاام

و رادها من قبل ألفى عام ما بين سفحى "نقم" النقام

و بين "عيان" المعين السامى فاسها فى سالف الأيام

ثم خصها باربعه مقاطع مادحا مشيدا بمفاخرها و خصائصها حتى قال فى المقطع التاسع عشر يؤكد "المقوله المتداوله" إن صنعاء محروسه تقهر الطغاه من غزاتها.

ان رابها من حدث الزمان ريب عدو حرب الأضغان

قام فحامى دونها حيان "قحطان"، و الأحرار من "ساسان"

قبيلتا صدق إذا ما الجانى أشعل نار الحرب بالإعلان

كانوا كأسد الغاب من خفان ظلت بها غير المضل الوانى

قرير عين بصلاح شانى فى فتيه مثل القنا المران،

و لما أشرف على "صعده" فى المقطع الخامس بعد الثلاثين قال:

خوارجا من جنح ليل داجى مخيسات القلص النواجى

مهريه أعيانها سواجى حزائقا بالرفق الحجاج

نواسلا يرقنن فى دماج ناجيتها فى بعض ما أناجى:

ناق.. صلى التهجير بالإدلاج ما لك عن صعده من معاج

ما لم تجودى بدم الأوداج حتى تزورى البيت ذا الرتاج!

و قال فى المقطع السادس و الثلاثين:

"صعد" سقيت الغيث من مكان طاب المقييل لكم إخوانى،

فى رطب صلح، و فى رمان، و القت فى أسواقها المجان!

بما بنى بيت "أكيل" باني و "يرسم" فرعان من خولان،

و قد ظل بتعايره الجزله، و ألفاظه المنتقاه، يقف بنا عند كل مكان و ثنيه و جبل و ماء، واصفا بدقه القافله و رجالها و جمالها و حداتها مناجيا ربه متبتلا خاشعا أو متذكرا أهله و أحبابه فى شجو و شوق. و ما إن أكمل وصف أعمال الحج و مناسكه و مواقفه و أماكنه و مشاعره قائلا:

دعا فاشجاني لنفر داعى و قد رميت بحصى تباع

الجمرات غير ما مضىاع ألتمس السنه باتباع

ثم نميت الكور ذا الأنساع على أمون حره ملاع

ثم أتيت البيت للوداع فقلت يا قابل سعى الساعى

انى دنا عن بيتك انتجاعى، فاغفر ذنوبى، يا مجيب الداعى

حتى يلتفت فى المقطع رقم - ٩٦ - متحدثا عن بيوت "قريش" و يقول:

ص: ٧٢

و لا شك أن الناقد لا بد أن يلمس عاطفه الشاعر الفياضه بمحبه أهل البيت و مودتهم التي لا يشوبها غلو و لا إفراط، و كان قد سبق أن قال فى مطلع أرجوزته:

أدعوك يا ذا السؤدد الممجد و ذا العلا فى عزه المؤبد
من لم يزل قدما و لما ينفد، و لم يلد ولدا، و من لم يولد
صل على الهادى النبى المهتدى على النبى المصطفى محمد
و ابعثه يا ذا المن يوم المشهد مقامه المحمود غير الأندك
و أعطه من عزك المؤبد حظا ممضا لقلوب الحسد
و أخلفه فى عترته و آله، رب، و من والههم فواله
و زده إجلالا إلى إجلاله و ابسط عليه الرزق من حلاله
و أعطه منك الثرى فى ماله رب، و من عاداهم فقاله
بفعله يا رب أو مقاله و خذه فى العمياء من ضلاله
و احتل به يا رب فى احتياله و حل به يا رب عن محاله

ثم يعود أدراجه مع قافلته يعلو بها البطاح، و يقطع الفيافى، و لا يعرج طويلا على المدن و القرى حتى يصل وطنه "رداع" (١).

أحمد الناصر لدين الله العباسى

مرت ترجمته فى موضعها من (الأعيان) و نضيف هنا إلى ما هنا لك هذا البحث عن الوظائف الاداريه فى دولته مكتوبا بقلم صادق حسن السودانى:

يعتبر الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضىء من أشهر خلفاء بنى العباس و أطولهم حكما إذ حكم سبعا و أربعين سنه بين ٥٧٥ - ٦٢٢ هـ. و كان من المهتمين بشئون الدوله العباسيه خاصه الاداريه منها.

كانت دوله الناصر لدين الله تدار من قبل عدد كبير من الموظفين مختلفى المناصب و الرتب مختلفى الأسماء، لذا كثيرا ما نرى فى وظائف هذه الدوله التشابه بين مهام وظيفه و أخرى و قد يتعدى صاحب الوظيفه حدود وظيفته إلى أخرى سواء أقصد ذلك أم لم يقصده شعر بذلك أم لم يشعر لعدم وجود حدود لكل وظيفه تحدد مهامها و أين تتوقف الصلاحيات المنوطه بها و الموظف الذى يديرها. و الوظائف الاداريه التي لازمت دوله الناصر و عهده هي:

الوزاره:

الوزر: الحمل الثقيل، و الوزير: حبا الملك الذى يحمل ثقله و يعينه برأيه و قد استوزره و وازره على الأمر أى أعانه و قواه و الأصل آزره. و وزير الخليفه معناه الذى يعتمد على رأيه فى أموره و يلتجئ إليه، و قيل لوزير السلطان وزير لأنه يزر عن السلطان أثقال ما أسند إليه من تدبير المملكه أى يحمل ذلك. (٢)

من المعروف بان هذا المنصب استحدث فى الدوله العربيه الإسلاميه فى إطلاله الدوله العباسيه حين استوزر أبو العباس السفاح ١٣٢ - ١٣٦ هـ / ٧٥٠ - ٧٥٤ م لأول مره أبا سلمه الخلال الذى سمي بوزير آل محمد و ظل هذا المنصب موجودا منذ ذلك العهد و طيله بقاء الخلافه العباسيه المنهاره على يد المغول سنه ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م. لقد ولى منصب الوزاره فى عهد الناصر لدين الله عدّه وزراء و لكن عددهم القليل لا يتناسب مع فتره حكمه الطويله و الممتده سبعا و أربعين سنه و السبب فى ذلك اعتماد الناصر على نواب (٣) الوزراء أى أنه كان يولى الوزاره شخصا يديرها اسمه نائب الوزاره و هى تشبه اليوم و كيل الوزاره إلا أن الفرق هو أن نائب الوزاره كان يقوم باعباء الوزاره بينما فى الوقت الحاضر و كيل الوزير لا يوجد إلا بوجود الوزير. و الواقع أن نائب الوزير كما يبدو كان أقل سلطه من الوزير و أكثر ارتباطا بالخليفه و الرجوع إلى أوامره و نواهيّه، و يمكن تبرير فعل الناصر بعدم استخدام الوزراء إلا قليلا بأنه نوع من السياسه الفرديه أو نهج من هذا القبيل أو بعدم ثقته بمن حوله حتى يوليه مثل هذا المنصب الحساس و الخطير الذى يلى منصب الخلافه قوه و تسلطا أو لاعتقاد الناصر بان ليس هناك الشخص الكفوء الذى يستطيع ملء هذا المنصب و إدارته إدارة تعتمد على الحصافه و المقدره بحيث تليق بهذا المنصب السامى.

أحد هذه الأسباب أو كلها مجتمعه قد تبرر سلوك الناصر لدين الله.

و هكذا نجد أن أكثر الذين قاموا بدور الوزير لم يكونوا وزراء إنما كانوا نواب وزراء. و الملاحظ على فتره حكم الناصر شيوع أسلوب العزل خاصه فيما يتعلق الأمر بالوزراء أو نواب الوزراء، فيقول ابن دحيه بهذا الخصوص "ان الناصر أوقع بوزراء السوء على الإطلاق" (٤) إلا- أن الحقيقه أن أسبابا كثيره كانت تجتمع لخلع وزير أو نائب منها جمعه للمال بصوره غير شرعيه أو استهتاره بمنصبه و مهامه و تعديه و سوء استغلاله لهذا المنصب أحيانا حاجه الناصر للمال تدفعه لتنجيه الوزير أو النائب و مصادره أمواله خاصه فى أوقات الضيق المالىه التى يعانيتها الخليفه و كان الناصر بذلك يضرب عصفورين بحجر، التخلص من الوزير أو النائب خاصه من جمع أمواله بصوره مريبه ثم الاستفاده مما معه بمصادرته. و لا ريب أن للوشايه و الشك دورا كبيرا فى الاقصاء.

و قد أورد الإربلى و غيره من المؤرخين أسماء اللذين [الذين] تولوا الوزاره و نيابه الوزاره أو عزلوا منهما لأسباب متباينه ظاهره أحيانا و أخرى خفيه، و هم:

استتاب الخليفه الناصر لدين الله أولا داود بن سليمان بن ساورس ثم عزله. (٥)

و استتاب محمد بن هبه الله بن البخارى إلى أن توفى سنه ٥٨٠ هـ / ١١٨٥ م. (٦)

و استتاب أبا الفتح صدقه ثم عزله. و قد توفى هذا سنه ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م.

(٧) و استناب محمد بن عبد الباقي بن الداريج ثم عزله.

و استوزر أبا المظفر عبيد الله بن يونس إلى أن خرج مع العسكر لقتال

ص: ٧٣

١- تاريخ اليمن الفكرى.

٢- ابن منظور، لسان العرب، ٢٨٢/٥-٢٨٣ (ماده "وزر").

٣- يقول ناجى معروف عن النائب بأنه "دون الوزير و هو الذى ينفذ أوامر الخليفه" انظر كتابه تاريخ علماء المستنصرىه، ص ٣٣٨.

٤- ابن دحيه، النبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس، ص ١٦٥.

٥- الإربلى، خلاصه الذهب المسبوك، ص ٢٨٣، يقول ابن الطقطقى فى كتابه الفخرى فى الآداب السلطانيه ص ٢٨٦: لما بويع الناصر بالخلافه أقر ابن العطار وزير أبيه على قاعدته أياما يسيره ثم نكبه و قبض عليه و حبسه فى باطن دار الخلافه ثم أخرجه ميتا.

٦- الإربلى، المصدر السابق، ص ٢٨٣، ابن الساعى، الجامع المختصر، ٦٠/٩.

٧- الإربلى، المصدر السابق، ص ٢٨٣، ابن الساعى، الجامع المختصر، ٦٠/٩.

طغرک و حصل فی أسره.(١) و يقول ابن خلدون فی کیفیه مجيء ابن یونس للوزاره "قتل الناصر أستاذ داره أبا الفضل بن الصاحب سنه ٥٨٣هـ/١١٨٨ م و أخذ أمواله بوشایه من عبید الله بن یونس و هو من أصحابه فلم یزل یسعی فیہ عند الناصر حتی أمر بقتله و استوزر ابن یونس هذا و لقبه جلال الدین و کنیته أبو المظفر و مشى أرباب الدوله فی خدمته حتی قاضى القضاء"(٢) و قد استقبل ابن یونس سنه ٥٨٦هـ/١١٩٠ م ابن السلطان طغرل الثالث السلجوقى و أكرمه.(٣)

ثم استتاب قاضى القضاء علی بن البخارى ثم عزله.

و استوزر أبا المعالى سعد بن جديره إلى أن عزله.

و استتاب بعد الاستيزار أبا المظفر عبید الله بن یونس إلى أن عزله.

و استتاب محمد بن علی بن القصاب ثم قلده الوزاره.(٤) و يقول ابن خلدون أنه فی سنه ٥٨٨هـ/١١٩٢ م استتاب الناصر فی الوزاره، بعد أسر ابن یونس، أبا عبد الله محمد بن علی المعروف بابن القصاب و كان قد ولى الأعمال فی خوزستان و غيرها.(٥) و هو أعجمى الأصل كان أبوه یببع اللحم ببغداد و نشا مشغلا بالعلوم و الآداب و برع فی الحساب و المساحات و المقاسات. و قد توفى ابن القصاب أثناء حربہ مع خوارزم شاه سنه ٥٩٢هـ/١١٩٦ م.(٦) و قد استتاب الناصر ولده أبا الفضل أحمد ثم عزله.

و استتاب صاحب المخزن الحسن بن نصر بن الناقد المعروف بابن قنبر إلى أن عزله عن النیابه(٧) و يقول سبط بن الجوزى "توفى فی سنه ٦٠٤هـ/٢٠٧ [١٢٠٧] م شرف الدین بن الناقد بن قنبر و اسمه الحسن بن أبى طالب و لاه الخلیفه حجه الباب و ناب فی الوزاره ثم و لاه صاحب المخزن فتجبر و طغى و بنى دارا ببغداد و تباهى فی بنائها فلم یکن فی بغداد مثلها و شرع فی الظلم فرفع أمره إلى الخلیفه فقبض علیه و استأصله و حبسه ثم أخرج میتا من الحبس".

و استتاب أبا الحسن ناصر بن مهدى العلوى ثم قلده الوزاره ثم عزله. و هذا الوزير مازندرانى(٨) المولد و الأصل رازى(٩) المنشأ ببغدادى التدبر و الوفاء. و هو من أهل الرى من بیت أماره و قد جاء إلى بغداد فی فتره استيزار ابن القصاب فجعله الخلیفه نائبا للوزاره و ذلك سنه ٥٩٧هـ/١٢٠٠ م ثم استوزره سنه ٦٠٢هـ/ و خلع علیه خلع الوزاره و القمیص و الدراعه(١٠) و العمامه و ضرب له الطبول و البوقات(١١) و جعل ابنه صاحب المخزن فتحکم فی الدوله و أساء إلى الأكابر من موالى الناصر و لما حج مظفر الدین سنقر المعروف بوجه السبع و كان أمیرا للحج سنه ٦٠٣هـ/١٢٠٦ م أرسل إلى الناصر یخبره بان الوزير نصیر الدین یرید أن یدعى الخلافه فعزله الناصر و ألزمه بیته ثم سمح له بالخروج. و یعلل لنا سبط بن الجوزى عزله بأنه كان یرسل الأموال للعجم (الخوارزمیین) لیجهزوا العساكر و یرقیموا ملکا و یقصدوا بغداد و كان عزله سنه ٦٠٤هـ/١٢٠٧ م.(١٢) أما ابن الأثیر فیرى بان ازدياد ثروته و أملاکه سببا للشک فی نزاهته فعزل من الوزاره.(١٣)

و استتاب صاحب الديوان أبا البدر محمد بن أسینا الواسطى و عزله فی سنه ٦٠٦هـ/١٣٠٩ م و نقل إلى المخزن علی سبیل الاستظهار.(١٤) و ولى مكانه أبا الحسن محمد بن محمد القمى(١٥) و كان علی ذلك إلى آخر أيامه.

و كان هذا كاتباً للإنشاء فلقب مؤید الدین و نقل إلى دار الوزاره مقابل باب النبى.(١٦) و هو قمى الأصل و المولد ببغدادى المنشأ و الوفاء ینتسب إلى المقداد بن الأسود الکندى، كان خبیرا بأدوات الرئاسه عالما بالقوانين خبیرا بالحساب و الأدب و

الأسفار و ظل في الوزاره عهد الناصر و الظاهر ثم المستنصر حين قبض عليه هذا و حبسه في باطن دار الخلافه مدته ثم أخرج مريضا فمات سنه ٦٢٩هـ / ١٢٣٢ م.

و هكذا نجد أن أغلب من تولى منصب الوزاره كان نائبا للوزاره أما الوزراء فهم أربعة كما مروا بنا أبو المظفر عبيد الله بن يونس و أبو المعالي سعد بن جديره و محمد بن علي بن القصاب و أبو الحسن ناصر بن محمد العلوي.

[الحجابه]

حجب: منع، و حجبته: منعه من الدخول و الحجاب: الستر، و الحاجب: البواب. يقول ابن خلدون عن لقب أو مهمه الحجابه " هذا اللقب كان مخصوصا في الدوله الأمويه و العباسيه بمن يحجب السلطان عن العامه و يغلق بابه دونهم أو يفتحه لهم على قدره في موافيقته و كانت هذه منزله يومئذ عن الخطط مرءوسه لها إذ الوزير متصرف فيها بما يراه " . و يدعى الحاجب أحيانا أمير الستر.

و يلاحظ على دوله الناصر وجود درجات خاصه بالحجابه أو أسماء أو ألقاب معينه يحملها بعض الحجاب و هذه الدرجات تحدد مهام الحاجب و اختصاصاته. و أهم هذه الدرجات: ٩.

ص: ٧٤

- ١- الإربلي، المصدر السابق، ص ٢٨٣.
- ٢- ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ٩٩/٢.
- ٣- سبط ابن الجوزي، مرآه الزمان، ح ٨ ق ٢ ص ٤٠٠.
- ٤- الإربلي، المصدر السابق، ص ٢٨٣.
- ٥- ابن خلدون، العبر، مح ٣ ح ٥ ص ١٠٩٢.
- ٦- ابن الطقطقي، الفخرى، ص ٢٨٧.
- ٧- سبط ابن الجوزي، مرآه الزمان، ح ٨ ق ٢ ص ٤٥٠، ابن خلدون، العبر، مح ٣ ح ٥ ص ١٠٩٣.
- ٨- نسبه لمازندران و هو اسم لولاية طبرستان شمال إيران. انظر ياقوت، معجم البلدان، ٤١/٥.
- ٩- نسبه إلى الري و هي من مدن بلاد فارس المشهوره سابقا و هي اليوم على مقربه من طهران الحاليه.
- ١٠- ضرب من الثياب التي تلبس و قيل جبه مشقوقه المقدم. انظر ابن منظور، لسان العرب، ٨٢/٨.
- ١١- [الجامع] المختصر، ٤٤/٩.
- ١٢- سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ح ٨ ق ٢ ص ٥٢٥.
- ١٣- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١١٥/١٢.
- ١٤- استظهر به أي استعان، الاستظهار: الاستعانه، انظر ابن منظور، لسان العرب، ٥٢٥/٤.
- ١٥- نسبه إلى مدينه قم شمال شرقي إيران و هي من المدن ذات المركز الديني المهم في إيران.
- ١٦- أحد أبواب مدينه بغداد و يعرف أيضا بباب العتبه فقد كانت فيه العتبه التي يقبلها الرسل و الأمراء و الملوك و رؤساء الحجاج إذا قدموا بغداد. و كان هذا الباب في بعض الأدوار بابا رئيسا للقصور. و يبدو أنه كان قريبا عن منطقه الميدان الحاليه

في صوب الرصافه. انظر الدكتور مصطفى جواد و أحمد سوسه، دليل خارطه بغداد، ص ١٥٨-١٥٩.

١ - الحاجب: وردت هذه الكلمه بلا إضافه بل كل الذى ذكر أن الناصر اتخذ له حجابا و يبدو أن هؤلاء خاصين بالناصر نفسه دون مهام أخرى أو مناطق أخرى. و هم:

أبو طالب يحيى بن زياده ثم عزله.

و استحجب أبا الفتح أحمد بن هبيرة و عزله.

و أعاد ابن زياده ثم نقله إلى أستاذ داره.

ثم استحجب أبا شجاع محمد بن سعيد الظهيرى ثم عزله.

و استحجب أبا القاسم الحسين نصر بن قنبر إلى أن نقله إلى صدرية المخزن.

و استحجب عمه أبا جعفر بن على بن أحمد ثم عزله.

و استحجب أبا جعفر محمد بن محمد بن الناعم ثم عزله.

و استحجب أبا القاسم قثم بن طلحة الزينبي ثم عزله.

و استحجب أبا على طلحة بن عبد الله بن حمزه ابن طلحة ثم عزله فى جمادى الأولى سنة ٦١٦هـ/١٢١٩ م و لم يستحجب أحدا بعده إلى أن توفى. (١) أى أن الناصر ظل لمدته ست سنوات تقريبا بلا حاجب و لكن ليس معنى هذا أن ليس هناك من يقوم بوظيفه الحاجب للخليفة الناصر و إن لم يحمل لقبها و اسمها. و يبدو لى أن أسباب العزل لا تشد على العموم عن الأسباب التى مر ذكرها بالنسبة لعزل الوزراء أو نوابهم.

٢ - الحجاب بالديوان العزيز أى دار الخلافة و هى على نوعين: - ١ - حاجب بالديوان العزيز: ذكر ابن الساعى عن أبى الهيجاء المتوفى سنة ٥٦٩هـ/١٩٩ م و الملقب بابن الأثير أنه كان أحد الحجاب بالديوان العزيز جعله مؤيد الدين محمد بن القصاب حاجب المجلس، و يبدو أنه مجلس الخليفة، فبقى على ذلك إلى أن مات ابن القصاب و فى أيام الوزير ناصر بن مهدى جعل من جملة حجاب المناطق. (٢) و من الذين تولوا منصب حاجب بالديوان العزيز أبو المظفر بن القائى المتوفى سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣. (٣) و أحمد بن المقرنى. (٤) و أبو تمام محمد بن يوسف الهاشمى المتوفى سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٦ م. (٥)

ب - حاجب الحجاب بالديوان العزيز: و يبدو أن هذا كان يشرف على حجاب دار الخلافة حيث يكثر الحجاب. و من الذين ولوا هذا المنصب أبو المعالى أحمد بن جعفر و ذلك فى ١٤ محرم سنة ٥٩٨هـ/١٤ (٦) تشرين الأول ١٢٠١ م. و رضى الدين عمر بن أبى القاسم التبريزى الذى رتب حاجبا لحجاب الديوان العزيز فى ١١ جمادى الأولى سنة ٦٠١هـ/كانون الثانى ١٢٠٤ م و كان يومئذ أحد فقهاء النظامية. و هى المدرسه التى بناها نظام الملك الوزير السلجوقى المشهور وزير السلطان ألب أرسلان.

٣ - حجاب المناطق: و المقصود بها كما يبدو مناطق بغداد خاصة أبوابها الشهيرة و بشكل خاص باب النوبى. و يبدو أن حجاب

المناطق في بغداد كانت لهم سلطات تدخل ضمن صلاحيات الشرطه أو صاحب الشرطه حيث يقول ابن الساعى في حوادث ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م أن أهل باب البصره (٧) في هذه السنه و ثبوا على حامى محلتهم المعروف بابن الشراب فقتلوه. و يبدو أن هذا بسبب ظلمه و قسوته، و قتلوا أيضا أربعة أفراد و سبوههم و ألقوهم في دجله فقبض حاجب باب النوبى أبو جعفر بن الناعم على جماعه من أهل المحله و عاقبهم و ألزمهم بمال قرره عليهم. (٨) و من حجاب هذا الباب أبو الفتح صدقه الملقب ظهير الدين حيث أنه قبل أن يتولى نيابه الوزاره في ٥٨٠ هـ / ١١٨٥ م كان حاجبا لباب النوبى. (٩) و فى سنه ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م ولى شرف الدين الفضل بن يحيى العلوى المعروف بابن الموصلى حجب باب النوبى. (١٠)

القضاء

كان للقضاء فى عهد الناصر لدين الله ثلاث رتب فى بغداد و مرتبه واحده فى غيرها أما أولاهها فى بغداد فرتبه قاضى القضاء (١١) و لقاضى القضاء مجلس ديوان الحكم و أما المرتبه الثانيه فهى أفضى القضاء (١٢) و الرتبه الثالثه القاضى كان يكون الفقيه قاضيا فى ربع من أرباع بغداد كربع حريك دار الخلافه و ربع باب الأزج (١٣) و قاضى البلده يحكم أيضا باسم قاضى القضاء إلا إذا خلا منصبه فإنه يسجل الخليفه رأسا و للقای شهود معدلون (١٤) أى منسوبون إلى العدل بان يزيكهم قبل التعيين شهود عدول و القاعده فى ذلك أن يكون المزكون شاهدين اثنين و هؤلاء المعدلون يتولون الشهاده أمام القاضى لاثبات الحكم.

و من الذين تولوا منصب قاضى القضاء فى عهد الخليفه الناصر: أبو طالب على بن أبى الحسين على البخارى و قد عزل عن قضاء القضاء فى يوم الجمعة ١٤ رمضان ٥٨٤ هـ / ٦ تشرين الثانى ١١٨٨ م و توفى فى سنه،

ص: ٧٥

- ١- ابن الطقطقى، الفخرى، ص ٢٨٩.
- ٢- ابن منظور، لسان العرب، ١/٢٩٨.
- ٣- ابن خلدون، المقدمه، ص ٢٠٨-٢٠٩.
- ٤- الإربلى، المصدر السابق، ص ٢٨٤.
- ٥- ابن الساعى، الجامع المختصر، ٩/٤٢.
- ٦- المصدر السابق، ٩/١٢٦.
- ٧- المصدر السابق، ٩/١٩٩.
- ٨- المصدر السابق، ٩/٢١٦.
- ٩- المصدر السابق، ٩/٨٠.
- ١٠- من أبواب مدينه بغداد. و هو الباب الجنوبى الشرقى (فى صوب الكرخ). و يبدو أنها كانت شمال محله الجعيفر الحاليه. انظر دليل خارطه بغداد، ص ٤٨ و ص ١٦٨.

١١- ظهر هذا المنصب فى عهد الرشيد. و يعتبر من أرفع الوظائف الدينيه و أعلاها قدرا و أجلها رتبه. و من يتولى قضاء القضاء فى الدوله العباسيه يكون إليه أمر توليه القضاء و لا- يكون لغيره. انظر عبد الرزاق الأنبارى، منصب قاضى القضاء فى الدوله

العباسيه، أطروحه ماجستير من جامعه بغداد، كليه الآداب، قسم التاريخ، ص ١٠٧.

١٢- ان أفضى القضاء يسجل أحكامه باسم قاضى القضاء فإذا ما خلا مجلس الحكم من قاضى القضاء فله أن يسجل باسم الخليفه إلى حين تولى قاضى القضاء لمنصبه الجديد فاما أن يقر أفضى القضاء فى منصبه أو أن يعزله. انظر الأنبارى، منصب قاضى القضاء، ص ٢٨٣.

١٣- هى منطقه باب الشيخ و رأس الساقيه و قسم من المربعه الحاليه. انظر دليل خارطه بغداد، ص ١٧٦.

١٤- إذا عدل الشاهد أمام قاضى القضاء قيل له المعدل أى الشاهد المزكى بشاهدين عدلين و تكون الشهاده عند قاضى القضاء و فى مجلسه. انظر الأنبارى، منصب قاضى القضاء،

و ضياء الدين أبو الفضائل القاسم بن يحيى الشهرزورى و قد قلد هذا المنصب سنه ٥٩٥/هـ ١١٩٨ م و لكنه فى ١١٩٨ م [] و لكنه فى ٥٩٧/هـ ١٣٠٠ [١٢٠٠] م طلب الاستعفاء و الرجوع إلى وطنه فأجيب إلى ذلك. (٢)

و أبو الحسن على بن سلمان الحلى و قد قلد يوم ١٤ صفر ٥٩٨/هـ ١٣ تشرين الثانى ١٢٠١ م قضاء القضاء شرقا و غربا. (٣)

و فى ١٥ رمضان سنه ٦٠٣/هـ ١٥ نيسان ١٢٠٧ م قلد عماد الدين أبو القاسم عبد الله بن الدامغانى قضاء القضاء. (٤)

و من الذين تولوا هذا المنصب بعد الدامغانى أبو الحسن محمد بن جعفر العباسى. (٥)

أما من الذين تولوا منصب أفضى القضاء و الذى يلى منصب قاضى القضاء درجه فهو أبو الفضل أحمد بن على بن على بن البخارى الذى عزل عما كان إليه من القضاء و الحكم فى ذى الحجه من سنه ٥٩٥/هـ أيلول ١١٩٩ م. (٦) و قلد ثانيه فى ذى الحجه من سنه ٥٩٩/هـ آب ١٢٠٣ م نفس المنصب. (٧)

أما من الذين تولوا منصب القضاء و هو الدرجه الثالثه من درجات السلم القضائى فى زمن الخلافه العباسيه على عهد الناصر لدين الله فهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الجليل بن محمد بن الحسن السماوى و قد ولى هذا القضاء بحريم دار الخلافه من قبل قاضى قضاء المستضىء على بن الدامغانى المتوفى سنه ٥٨٣/هـ ١١٨٨ م، ثم خلفه القاضى عبد الله بن الحسين الدامغانى على الحكم بمدينة السلام فى سنه ٥٨٦/هـ ١١٩١ م. (٨)

و من الذين ولوا القضاء برقع الأزج شرف الدين أبو الفتوح عبد اللطيف بن البخارى و ذلك فى ١٠ شوال سنه ٦١٠/هـ ١٢١٤ م ٢٢ شباط. (٩)

و من الذين تولوا القضاء بواسط أبو منصور محمد بن على بن ينيق النعمانى حيث قلد من قبل قاضى القضاء الشهرزورى فى ٥٩٧/هـ ١٢٠٠ م و لكنه عزل بعد شهر و جىء به من واسط تحت الاستظهار. و كان قضاء واسط عبد اللطيف بن نصر بن الكيال الذى قلد القضاء فيها سنه ٥٩٨/هـ ١٢٠١ م. (١٠) و قد عزل هذا فى سنه ٦٠٣/هـ ١٢٠٦ م و عين بدلا منه تاج الدين أبو الفتح محمد بن المندائى و قد استنابه قاضى القضاء فى ذلك، (١١) إلى أن عين أبا الفضائل على بن يوسف بن الآمدى قاضيا لواسط سنه ٦٠٤/هـ ١٢٠٧ م. (١٢)

و من قضاء الأقاليم أبو محمد عبد الرحمن بن عبد الواحد بن الثقفى قاضى نهر عيسى (١٣) و توفى هذا فى ١٧ محرم سنه ٥٩٧/هـ ٢٨ تشرين الأول ١٢٠٠ م. أما قاضى الدجيل فكان أبو محمد ابن المأمون و قد عزل عنه فى ٦٠٤/هـ ١٢٠٧ م. أما قضاء الأنبار فقد تولاه أبو على يحيى بن الحسن ابن الشاطر الأنبارى و قد توفى هذا فى تسع من ذى القعدة سنه ٦٠٤/هـ ٢٧/هـ ١٢٠٨ م. أما قاضى البصره فكان أبو المناقب محمود الجوى الذى توفى فى ١٣ محرم سنه ٦٠٥/هـ ٢٨ تموز ١٢٠٨ م.

الحسبه: الأجر، و أنه لحسن الحسبه فى الأمر أى حسن التدبير و النظر فيه، و فلان محتسب البلد لا محسبه.

قال الماوردى " كان القضاء و الحسبه يسندان بعض الأحيان إلى رجل واحد مع ما بين العاملين من التباين فعمل القاضى مبنى على التحقيق و الأناه فى الحكم. أما عمل المحتسب فمبنى على الشده و السرعه فى الفصل ".

و قد أجمل ابن خلدون أعمال المحتسب بقوله " أنه يحول دون مضايقه الناس فى الطرقات و يمنع الحماليين و أهل السفن من المبالغه فى الحمل أو شحن السفن و يحكم بهدم المباني المتداعيه للسقوط حتى لا تقع على الماره و يمنع معلمى الكتاتيب من ضرب الصبيان و يحكم فى الدعاوى المتعلقة بالغش و التدليس و يحمل المماطلين على أداء ما عليهم من الديون ". و من هذا يظهر لنا بان هذه الوظيفه تجمع بين صلاحيات القاضى و الشرطه و كذلك صلاحيات بلديه بل و حتى تفتيشيه تربويه تعليميه... إلخ. و كذلك من مهام المحتسب مراقبه المكاييل و الموازين و يحول دون ارتفاع مباني أهل الذمه على مباني المسلمين.

و من الذين تولوا هذا المنصب فى جانبى مدينه السلام سنه ٦٠٤/٥ ١٢٠٧ م محى الدين أبو محمد يوسف بن عبد الرحمن بن الجوزى و كان شاعرا و لاه الخليفه الناصر لدين الله حسبه بغداد و أنعم عليه إنعاما عظيما و رزق حظا و لم يزل فى ترق إلى أن ولى أستاذه الدار للخليفه و ترسل عنه إلى ملوك الأقاليم و حصلت له الوجاهه التامه. ٥.

ص: ٧٦

١- مصطفى جواد، فصل ضمن كتاب الجامع المختصر لابن الساعى، ص: يب، يج.

٢- ابن الساعى، الجامع المختصر، ٩/٩، الإربلى، المصدر السابق، ص ٢٨٣.

٣- ابن الساعى، الجامع المختصر، ٩/٤٥، الإربلى، المصدر السابق، ص ص ٣٨٣ - ٣٨٤.

٤- ابن الساعى، المصدر السابق، ٩/٨٠-٨١.

٥- المصدر السابق، ٩/٢٠١.

٦- المصدر السابق، ٩/٢٠٧.

٧- المصدر السابق، ٩/٣.

٨- المصدر السابق، ٩/٩٩.

٩- المصدر السابق، ٩/٢٣. و انظر ابن الأثير، الكامل، حوادث سنه ٥٨٣ هـ.

١٠- المصدر السابق، ٩/١٤٩.

١١- أغلب النصوص عن قاضى واسط تشير إلى أنه كان يمارس مسئوليه القضاء فى واسط دون أن تكون له ارتباطات قضائيه فى مدن أخرى و أن أكثر قضائياتها كانوا من بغداد. انظر الأنبارى، المصدر السابق، ص ص ٢٩٤-٢٩٥.

١٢- ابن الساعى، المصدر السابق، ٩/٤٥.

١٣- المقصود به نهر عيسى بن على بن عبد الله بن العباس. و هى كوره، منطقه أو موضع، و قرى كثيره و عمل واسع فى غربى بغداد (الكرخ) تعرف بهذا الاسم. انظر ياقوت، معجم البلدان، ٥/٣٣٢.

قال ابن برى: و قول العامه فى الشحنة أنه الأمير غلط. و قال الأزهرى: شحنة الكوره من فيهم الكفايه لضبطها من أولياء السلطان.

الشحنة وظيفه سلجوقيه جديده استحدثها السلاجقه و يعين صاحبها من قبل السلطان و هذه الوظيفه أشبه ما تكون بوظيفه (المحافظ) فى عصرنا الحاضر يتمتع شاغلها بسلطات بوليسيه و إداريه و هو مسئول عن إداره المدينه و المحافظه على أمنها و استقرارها، و ملاحظه الخارجين على النظام و معاقبه المسيئين. و من معانيها الرئيس أو الرقيب قالوا " و جعه شحنة على الحكماء الذين يلوذون به لعمل الكيمياء "

و من الذين تولوا منصب الشحنة فى بغداد قيطرمش بن عبد الله المستجدى و كان هذا شحنة من أيام المستضىء و قد توفى فى سنه ٥٨٩هـ/١١٩٤ م و كان شجاعا مهيبا و له هيبه عظيمه على المفسدين.

و عند ما حدثت فتنه بين أهل سوق السلطان(١) و الجعفريه(٢) استطاع شحنة بغداد الأمير فخرى الدين أيبك الأرنباى أن يهدأها بحبس بعض المشتبه بهم.

و من الذين تولوا هذا المنصب فى البصره الأمير رسبه الناصرى و كان قد شرف بالخلعه من ملابس و غيرها و انحدر إلى البصره فتوفى هناك سنه ٥٩٦هـ/١١٩٩. و فى سنه ٦٠٤هـ/١٢٠٧ م رتب شمس الدين أبو طالب بن عطاف شحنة للبصره و واليا لها فانحدر إليها.

أما سنقر الطويل فقد تولى شحنيه أصبهان للخليفه و قتل سنه ٥٩٢هـ/١١٩٥ م رئيس الشافعيه فيها صدر الدين بن عبد اللطيف بن محمد الخجندى لوحشه بينهما(٣).

أما الأمير صبه [أصبه] فقد تولى شحنيه واسط و كان أصبه هذا أحد المماليك المستجديه، نسبة للخليفه المستجبد. و كان ذا شجاعه و حسن تدبير و قد توفى سنه ٥٩٦هـ/١١٩٩ م(٤).

و يبدو أن هناك علاقته ما بين منصب أو وظيفه الشحنة و منصب نائب الشرطه إلا أن أتباع الأول من الجند و أتباع الثانى من الشرطه و فى الوقت الذى يعتمد فيه الأول على السيف و التحقيق يعتمد الثانى على التحقيق و التفتيش و التجسس و ينفق الاثنان حينما يحدث اضطراب كما تتفق اليوم الشرطه و الأجناد إذا اضطرت الدوله(٥) و يعتقد بان نائب الشرطه فى منطقه باب النوبى أبو بكر يحيى المعروف بابن المرأه و قد صرف منه فى ١٧ جمادى الأول سنه ٥٩٦هـ ٦ آذار ١٢٠٠ م و ولى عوضه كمال الدين أبو جعفر محمد بن الناعم(٦) و فى ١١ رجب سنه ٦٠٠هـ ١٥ آذار ١٢٠٤ م صرف الحسن على بن البورى عن نيابه الشرطه بباب النوبى و رتب عوضه أبا منصور بن الطحان و خلع عليه فارتاع الناس منه لما كانوا يعلمونه من ظلمه و غشمه و قسوه قلبه(٧) و فى سنه ٦٠٠هـ/١٢٠٤ م توفى أبو منصور الطحان نائب الشرطه و كان مجبا للظلم و لم أسمع، كما يقول ابن الساعى، أحدا يترحم عليه(٨).

يقول الدكتور مصطفى جواد: كان للخليفة أستاذ دار و وكيل أما أستاذ الدار فيتولى شئون دار الخلافة و نفقاتها و أمور الأسره العباسيه القصوره فى دار الخلافة كاخوان الخليفه و أعمامه و أبناء أعمامه و أما وكيل الخليفه فيمضى المعاهدات و المعاهدات و البياعات نيابه عنه.(٩) و يعرف الأستاذ ناجى معروف الأستاذ داريه و متوليها بقوله هي "رئاسه ديوان الخليفه و هو بمثابة رئيس الديوان الملكى أو القصر الجمهورى.(١٠) و كانت هذه الوظيفه ذات مركز حساس فى دوله الناصر لدين الله، و صاحبها يتمتع بمركز مرموق و مهم و يكون أقرب إلى الخليفه و حاشيته من غيره.

و من أساتذته الدار فى عهد الناصر لدين الله:

أبو الفضل بن الصاحب و قد تولى هذا أستاذه الدار فى عهد المستضىءسنه ٥٧١هـ/١١٧٦ م و ظل فى منصبه فى عهد الناصر لأنه من الذين ساندوه أبان الترشيح لولاية العهد بعد المستضىء. و لكنه عزل سنه ٥٨٣هـ/١١٨٧ م و قتل من قبل الناصر بعد أن اتهم بجمع المال و أخذت أمواله كلها منه.(١١) و كان يتشيع فوصفه اليافعى بأنه كان "رافضيا سبابا لما تمكن أحيا شعار الإماميه و اشتهر بأشياء قبيحه فقتل و أخذت حواصله من جملتها ألف ألف دينار. بينما يقول ابن خلدون أنه قتل من أجل تحكمه حيث استحوذ على الأمور و لم يبق للخيفه معه كلمه تطاع و مع هذا كان عفيفا عن الأموال جيد السيره. و هكذا يتضح التناقض فى تعليل عزله و قتله بين ما يقوله اليافعى و ما يقوله ابن خلدون و إن كان تعليل الأخير أقرب إلى الصواب و المنطق. و كان أبو الفضل ممن لعبوا دورا كبيرا فى أخذ البيعه للناصر بعد وفاه أبيه المستضىء.

و من الذين تولوا استاذيه الدار عبيد الله بن يونس الذى أسر من قبل السلطان طغرل الثالث.(١٢)

و كذلك ولى هذا المنصب حسبه بغداد محيى الدين أبو محمد يوسف بن عبد الرحمن بن الحوزى.(١٣)٣.

ص: ٧٧

- ١- هو سوق الميدان الحالى. انظر دليل خارطه بغداد، ص ١٨٥.
- ٢- منسوبه إلى جعفر بن المقتدى بامر الله. محله كبيره مشهوره فى الجانب الشرقى من بغداد(رصفاه). انظر ياقوت، معجم البلدان، ١٤٤/٢ و مكانها فى موضع محله تحت التكيه اليوم. انظر دليل خارطه بغداد، ص ١٦٤
- ٣- المصدر السابق، ٢٦٥/٩.
- ٤- ابن الوردى، تاريخ ابن الوردى، ١١١/٢.
- ٥- ابن الساعى، المصدر السابق، ٤٣/٩.
- ٦- مصطفى جواد، المصدر السابق، ص: يب.
- ٧- انظر ص ٤٠، ١١٦-١١٧، ١٣٢ فى الجامع المختصر لابن الساعى.
- ٨- ابن الساعى، المصدر السابق، ٣٠/٩.
- ٩- المصدر السابق، ١١٦/٩-١١٧.
- ١٠- المصدر السابق، ١٣٢/٩.
- ١١- مصطفى جواد، المصدر السابق، ص: يب.

١٢- ابن الوردى، تاريخ، ٩٩/٢.

١٣- اليافعى، مرآه الجنان و عبره اليقظان، ٢٤٦/٣.

و وليها كذلك أبو الفتح رزين و لكنه عزل عنها سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩ م فخلفه بهاء الدين أبو نصر المبارك بن الضحاك (١).

صدرية المخزن

يعتقد الدكتور مصطفى جواد أن ديوان الخراج أصبح يسمى في عهد الناصر (المخزن) و صدر المخزن كوزير الماليه اليوم. و يسمى صدر المخزن هذا أحيانا بصاحب المخزن (٢). و يعرف ناجي معروف متولى هذه الوظيفة بقوله رئيس أكبر من الناظر. يتولى صدرية أحد الدواوين الكبرى كصدرية المخزن الذى يشبه وزاره الماليه أو التموين. أو إداره إحدى الولايات كصدرية الأعمال الفراتيه أو صدرية واسط أو صدرية الوقوف (٣) و الذى اعتقده أنه كان يشرف على مخزونات الدوله و يديرها فهو مشرف على اقتصاد البلد، مخزونه، قابلياته الاقتصادية.

أما الذين تولوا هذا المنصب المهم فهم ظهير الدين بن العطار الذى يسميه ابن كثير صاحب المخزن و لكنه عزل فى سبع ذى القعدة من سنة ٥٧٥هـ/٤ نيسان ١١٨٠ م أى بعد تولي الناصر لدين الله الخلافة بأيام قليله و أهين غايه الاهانته (٤) و ذلك لأنه وقف فى الترشيح لخلافه المستضىء إلى جانب أبى منصور هاشم الملقب بالأمين أخى الناصر لدين الله الأصغر فاتتقم الناصر منه بعد توليه الخلافة بتحريض و تأييد من أستاذ داره أبى الفضل بن الصاحب.

و كذلك ولى هذا المنصب شرف الدين أبو القاسم بن الناقد (٥).

و لكنه عزل فى سادس جمادى الأولى سنة ٥٩٨هـ/١ شباط ١٢٠٢ م عن صدرية المخزن. و ولى عوضه زعيم الدين أبو المعالى أحمد بن جعفر نقلا من جحبه [حجبه] الحجاب (٦)، بعد أن بذل مالا على أن يولى صدرية المخزن فولى و توفى فى ١٣ محرم سنة ٦٠٠هـ/٢٢ أيلول ١٣٠٣ م و هذا يدل [يدل] على أهميه صدرية المخزن إذ أن مجال الإثراء فيها أكثر من غيره و المتولى قادر بلا شك على تعويض ما بذله أضعافا.

ثم ولى هذا المنصب أحمد بن عباس و كان أحد المتصرفين باعمال السواد (٧) و قد ظل فى هذا المنصب سنتين ثم عزل عنه و لم يستخدم بعدها إلى أن توفى فى ٤ شوال سنة ٦٠٠هـ/حزيران ١٣٠٤ م ثم ولى ركن الدين أبو عبد الله محمد بن الوزير نصير الدين ناصر بن مهدى صدرية المخزن (٨) و عزل منه ١١ جمادى الآخرة سنة ٦٠٤هـ/٢ كانون فى ١٢٠٨ م. فولى عوضه قوام الدين أبو الفوارس نصر بن ناصر المدائنى (٩).

ثم جاء بعده أبو الحسن على بن عبد الجبار بن صالح الملقب شمس الدين و توفى هذا فى ٢ صفر ٦٠٦هـ/٦ آب ١٢٠٩ م.

الدواوين

الديوان لغه مجتمع الصحف، أبو عبيده: هو فارسى معرب، قال ابن الأثير: هو الدفتر الذى يكتب فيه أسماء الجيش و أهل العطاء (١٠).

من الدواوين المعروفه فى فتره حكم الناصر لدين الله ديوان الزمام و ديوان التركات و ديوان الجوالى و ديوان الأبنيه و ديوان عرض الجيش و ديوان الإنشاء الذى كان يسمى فى صدر الدوله العباسيه بديوان الرسائل، و ديوان الحسبه الذى هو أشبه ما

يكون بنظام أمانه العاصمه و البلديات، مع الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، اليوم.

ديوان الزمام: يبدو أن هذا الديوان ذو مهام ماليه يقوم، إلى حد ما، بما تقوم به اليوم بعض دوائر وزاره الماليه خاصه مديره الأملاك و الأراضي الأميريه حيث أن المقطعين أرضا كانوا يعاهدون الدوله على أن يدفعوا مبلغا من المال إلى ديوان الزمام. و يعتقد الدكتور مصطفى جواد بان ديوان الزمام هو مجلس الوزير أو نائب الوزاره و المتصل بينه و بين الأمه و بين الخيفه. (١١)

و من الذين تولوا هذا المنصب فى عهد الناصر، صفى الدين يونس بن الأرموى و قد خلع عليه فى دار الوزير و ركب إلى الديوان و ذلك فى سادس شعبان سنه ٦٠٣هـ/٨ آذار ١٢٠٧ م. (١٢)

و وليه كذلك فخر الدين أبو البدر بن أمسينا (١٣) و فى منتصف رمضان سنه ٦٠٤هـ/أوائل نيسان ١٢٠٨ م وليه جلال الدين أبو الحسن محمد بن الباباى البصرى. (١٤)

و فى ربيع الآخر سنه ٦٠٦هـ/١٥ تشرين الأول ١٢٠٩ م ولى جلال الدين أبو محمد الحسن بن مسعود بن خلود. (١٥)

ديوان التركات: يتولى ارث من لا وارث له من الرعيه لأن الدوله كانت ترثهم بحكم الشرع الإسلامى. (١٦)

و من الذين تولوا منصب ناظر ديوان التركات العدل يوسف بن هبه الله و ذلك سنه ٦٠٤هـ/١٢٠٧ م. (١٧)

ديوان الجوالى: الجوالى جمع جاليه و هم أهل الذمه فى بلاد الإسلام و يؤدون للخليفه الجزيه بمقتضى الشريعه. (١٨) و يستوفى هذا الديوان الجزيه ٩.

ص: ٧٨

١- ابن كثير، البدايه و النهايه، ٣٢٨/١٢.

٢- انظر سبط ابن الجوزى، المصدر السابق، ح ٨ ق ٢ ص ٤٣٨.

٣- اليونينى، ذيل مرآه الزمان، ٣٣٤/١.

٤- ابن الساعى، المصدر السابق، ٢٨٥/٩.

٥- مصطفى جواد، المصدر السابق، ص: ض.

٦- ناجى معروف، تاريخ علماء المستنصرىه، ٣٣٧.

٧- السواد رستاق العراق و ضياعها التى افتتحها المسلمون على عهد عمر بن الخطاب سسمى بذلك لسواده بالزروع و النخيل و الأشجار... و حد السواد من مدينه الموصل إلى عبادان طولاً و من العذيب بالقادسيه إلى حلوان عرضاً. انظر ياقوت معجم البلدان ٢٧٢/٣.

٨- المصدر السابق، ١٢٧/٩.

٩- ابن الساعى، المصدر السابق، ١٣٧/٩.

١٠- المصدر السابق، ١٤٣/٩.

- ١١- المصدر السابق، ٢٢٠/٩.
- ١٢- المصدر السابق، ٢٨٩/٩.
- ١٣- ابن منظور، لسان العرب، ١٦٦/١٣. ماده "دون".
- ١٤- مصطفى جواد، المصدر السابق، ص: ذ - ظ.
- ١٥- ابن الساعي، المصدر السابق، ٢٠١/٩.
- ١٦- المصدر السابق، ٢٠٢/٩.
- ١٧- المصدر السابق، ٢٣٠/٩.
- ١٨- المصدر السابق، ٢٨٧/٩.

من أهل الذمه على مذهب الامام الشافعي (المتوفى سنة ٢٠٤ هـ) الذي لا يجوز في مذهبه أن يؤخذ من ذى ذمه أقل من دينار إذا كان فقيرا و إن كان متوسط الحال أخذ منه ديناران و إن كان غنيا أخذ منه أربعة دنائير. و كان صاحب الذمه يقف بين يدي صاحب ديوان الجوالي إلى أن توزن جزيته فيعطى وصولا و لا يغنى ابن عن أبيه في تاديه و لا قريب عن ذى قرابته. (١)

و يبدو أن هذه مبالغه إذ أن الدوله تريد و أرادا سواء دفع في ذلك الأب أم الابن أم القريب خاصه إذا كان مستعدا لذلك ألا أنه كما يتراءى لى أن صفه الإكراه أو حمل القريب على الدفع عن قريبه غير وارده.

و من الذين تولوا منصب ناظر أو صاحب ديوان الجوالي أحمد بن زهير و ذلك سنة ٦٠٤/٥١٢٠٧ م - ١٢٠٨ م. (٢)

ديوان الأبنيه: كان هذا الديوان يتولى عمارات أو إنشاءات الدوله و ترميماتها و يعين له مهندس أو أكثر مع غيره من الموظفين الذى يقيمون أمره. (٣)

و من الذين ولوا هذا المنصب أبو الحسن جعفر بن محمد القطاع و ذلك للعماره بديوان الأبنيه و القسمه و الهندسه و يعرف طرفا من علم الكلام و كان شيعيا، و قد توفى سنة ٦٠٢/٥١٢٠٥ م. (٤)

ديوان عرض الجيش: عرض الشىء عليه: أراه إياه. و عرضت الجند عرض العين إذا أمرتهم عليك و نظرت ما حالهم و قد عرض العارض الجند و اعترضوا هم... و قيل هو من عرض الجند بين يدي السلطان لاظهارهم و اختبار أحوالهم. (٥) و عارض الجيش هو المتولى لشئون العساكر الخليفه. (٦) و يشبه اليوم رئيس أركان الجيش. (٧)

و من الذين ولوا هذا المنصب أبو غالب هبه الله ابن المبارك بن دقسى الذى عزل عنه فى ١١ شعبان ٦٠٤/١٥ آذار ١٢٠٨ م (٨)، فولى محله جمال الدين أبو الحسن بن عبد الله و خلع عليه و لقب ظهير الدين. (٩)

الكتاب

كان هؤلاء يتولون مهمه الكتابه فى دار الخلافه و دوائر الدوله الأخرى و منهم كاتب الإنشاء أو ما كان يعرف بكاتب الرسائل فى أيام الدوله العباسيه الأولى و فى أواسطها.

و من الذين تولوا هذا المنصب فى عهد الناصر أبو الحسن محمد بن محمد بن عبد الكريم القمى و ذلك فى سنة ٦٠٢ هـ. (١٠) و ظل فى هذا المنصب إلى سنة ٦٠٦/٥١٢٠٩ م حين ولى نيابه الوزاره و لقب مؤيد الدين. (١١)

و من كتاب دار الخلافه أبو البدر بن الياقونى حيث ولى الكتابه بالديوان العزيز و توفى سنة ٥٩٥/٥١١٩٨ م. (١٢)

و من الكتاب المعروفين فى عهد الناصر محمد بن الأستاذ كاتب البدرية الشريفه (١٣) إذ تولى هذا المنصب سنة ٥٩٧/٥١٢٠٠ م. (١٤)

و فى جمادى الأولى سنة ٦٠٠/٥١٨ كانون الثانى ١٢٠٤ م ولى الرضا بن الحسن كاتباً بالمخزن و كان كاتباً ضابطاً متواضعا قبل

ذلك هو حسن الكتابه. و كان يتولى شئون الدواوين الأنفه عدد من الكتاب.

و من الكتاب الذين كانت لهم منزله فى عهد الناصر كاتب السله و المراد بالسله هنا ما تحفظ فيه بعض الكتابات الديوانيه بديوان الزمام و كاتب السله هو الذى يرقمها. قال ابن خلكان فى ترجمه طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوى " و جمع فى حال انقطاعه سله كبيره فى النحو قيل أنها لو بيضت قاربت خمس عشره مجلد(١٥) فكان السله كانت عندهم مجمعا للمسودات.

و من الذين تولوا هذا المنصب فى عهد الناصر أبو محمد عبد الملك بن ورد المتوفى فى ١٣ صفر سنه ٥٩٨هـ/١٢ تشرين الثانى ١٢٠١(١٦)و أبو غالب بن زطينا المسلم الذى كان نصرانيا و المتوفى سنه ١٢٠٤هـ/١٦٠١ م. (١٧)و كان هذا نصرانيا و لكن الناصر حين أصدر أمره بعدم استخدام أى ذمى فى دوائر الدوله دخل هذا فى الديانه الإسلاميه تاركا نصرانيته. و الجمال بن موسى الذى عزل عن منصبه سنه ١٢٠٧هـ/١٦٠٢ م.

النقباء

اشتهرت على عهد الخليفه الناصر لدين الله ثلاث نقابات الأولى نقابه العباسيين و الثانيه نقابه الطالبين أو العلويين و الثالثه نقابه النقباء. و كانت هناك نقابه رابعه فى عهد الناصر تعرف بنقباه مشهد موسى بن جعفر. و الذى أظنه أنه كان لكل مشهد من المشاهد المقدسه فى العراق فى سامراء و كربلاء و النجف نقابات تمثلها خاصه فى عهد الناصر.

و قد فصل ابن الأثير وظائف النقباه حين أورد نصابا بتعيين نقيب/٢

ص: ٧٩

- ١- مصطفى جواد، المصدر السابق، ص: ض.
- ٢- ابن الساعى، المصدر السابق، ٢٥٩/٩.
- ٣- المصدر السابق، ٣٥٩/٩.
- ٤- مصطفى جواد، المصدر السابق، ص: ض.
- ٥- ابن منظور، لسان العرب، ١٦٦/٧-١٦٧ (ماده " عرض ").
- ٦- مصطفى جواد، المصدر السابق، ص: ظ، ض.
- ٧- ابن الساعى، المصدر السابق، ١٨٤/٩.
- ٨- ابن الساعى، المصدر السابق، ٢٥٩/٩.
- ٩- مصطفى جواد، المصدر السابق، ص: ض.
- ١٠- ناجى معروف، المصدر السابق، ص ٣٣٨.
- ١١- ابن الساعى، المصدر السابق، ٢٢٨/٩.
- ١٢- المصدر السابق، ٢٢٩/٩.
- ١٣- لما ضاق جامع المنصور، الذى كان فى السابق ديوان الخليفه المنصور، بمصليه أمر الخليفه المعتضد فى سنه ٢٨٠هـ/٨٩٣ م

بتوسيعه و اهتم بذلك مولاه بدر فعرفت الزيادات و الترميمات باسم البدرية نسبة لمولى المعتضد بدر. انظر دليل خارطه بغداد، ص ٥٨.

١٤- ابن الساعى، المصدر السابق، ٧٧/٩.

١٥- المصدر السابق، ١٣٠/٩.

١٦- المصدر السابق، ٢٢٩/٩.

١٧- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٩٩/٢.

الطالبين فى عهد الطائع (٣٦٣ - ٣٨١ هـ / ٩٧٤ - ٩٩١ م) أى أيام البويهيين (٣٣٤ - ٤٤٧ هـ / ٩٤٦ - ١٠٥٥ م) و هذا العهد كان لمحمد بن الحسين بن موسى العلوى الموسوى. و مما جاء فيه "قلده ما كان داخلا فى أعمال أبيه من نقابه الطالبين أجمعين بمدينه السلام و سائر الأعمال و الأمصار شرقا و غربا و بعدا و قربا" و هى هنا نشبه إلى حد كبير وظيفه إداريه و يضيف "و أمره أن يتصفح أحوال من ولى عليهم من استقراء مذاهبهم و البحث عن بواطنهم و دخائلهم... و أمره بحياطه أهل النسب الأظهر و الشرف الأوفر عن أن يدعيه الأدياء أو يدخل فيه الدخلاء... و أن يحصن الفروج عن مناكحه من ليس كفوا لها فى شرفها و فخرها حتى لا- يطمح فى المرأه الحسيه النسبيه إلا- من كان مثلا لها مساويا و نظيرا موازيا" و من مهامه "الأخذ للمظلوم من الظالم و أن يجلس للمترافعين إليه جلوسا عاما... و أمره أن يسير حجيج بيت الله عز و جل إلى قصدهم و يحميهم فى بدأتهم و عودتهم و يرتبهم فى مسيرهم و مسلكتهم و يرعاهم فى ليلهم و نهارهم حتى لا تنالهم شده و لا تصل إليهم مضره و أن يريحهم فى المنازل و يوردهم المناهل... و أمره أن يراعى أمور المساجد بمدينه السلام و أطرافها و أقطارها و أكتافها و أن يجبى أموال وقفها و يستقصى جميع حقوقها و أن يلم شعثها و أن يكتب اسم أمير المؤمنين على ما يعمره منها و يذكر اسمه بعده بان عمارتها جرت على يده... و أمره أن يستخلف على ما يعمره منها و يذكر اسمه بعده بان عمارتها جرت على يده...

و أمره أن يستخلف على ما يرى استخلافه عليه من هذه الأعمال فى الأمصار الدانيه و النائيه". (١).

يظهر لنا مما سبق أن هذا المنصب إدارى إلى حد كبير و أنه أشبه ما يكون بممثل العلويين عند الخلفه أو عند الدوله فهو الناطق بلسانهم و اسمهم فى دار الخلفه و هذا المنصب، بالنسبه للعلويين، كان يزدهر و ينمو فى الفترات الذى تكون فيه علاقته الخليفه بهم جيده طيبه و العكس بالعكس لذا ظهرت فى عهد الخلفاء الذين تربطهم بالعلويين علاقته جيده أو على الأقل غير سيئه. و يمكن القول أن مفهوم و مهام نقيب العباسيين لا- تختلف عنها بالنسبه للعلويين أما نقيب النقباء فإنه كما يبدو يمثل الاثنين أو أعلى منهما درجه و صلاحيه و نقيب النقباء يكون فى العاده عباسيا.

و من الذين تولوا منصب نقيب الطالبين عهد الناصر فخر الدين أبو الحسن محمد بن المختار الكوفى حيث قلد فى ١٧ ربيع الأول سنه ٦٠٣ هـ / ٢٢ تشرين الأول ١٢٠٦ م و خلع عليه فى دار الوزير ناصر الدين بن مهدي العلوى و سلم إليه عهده. (٢).

و من الذين تولوا منصب النقباء عن مشهد موسى بن جعفر عدنان بن المعمر بن المختار الكوفى الذى عزل عنها فى ١١ ربيع الأول سنه ٦٠٦ هـ / ١٣ أيلول ١٢٠٩ م. (٣).

و من الذين تولوا منصب نقيب النقباء ملد بن المبارك بن النشال المتوفى فى ١٣ ربيع الآخر سنه ٦٠٣ هـ / ١٧ تشرين الثانى ١٢٠٦ م (٤) و مما سبق يتضح لنا بان النقباءه منصب متوليها بعين و يعزل بامر الخليفه كاي موظف آخر من موظفى الدوله.

المقطعون

كان بعض الأشخاص، فى عهد الناصر لدين الله يقطعون بعض الأراضي لقاء دفع مبلغ، كثيرا ما يحدد، من المال و يصبح ذلك المقطع حر التصرف فى جمع هذا المبلغ من المال و لربما أضعافه فالمفروض بهذا المقطع أو الضامن أو الملمزم أن يربح و لذلك كان المقطعون يتبعون طرقا غير سليمه بل رقاسيه فى جمع المال حتى أن الخليفه كثيرا ما يضطر لافصائهم أو معاقبتهم

على أفعالهم. و هذا يوضح لنا أن الاقطاع فى عهد الناصر كان أشبه ما يكون بضمان أراضى الدوله من قبل أشخاص و لكن الرقبه أو ملكيه الأرض تبقى للدوله و هى حره فى خلع الضامن أو إعطائها لغيره إن أخل بالشروط أو العهد المتفق أو إن شاءت الدوله ذلك لسبب أو آخر، لذا كثيرا ما كانوا يعزلون من إقطاعاتهم بل و حتى مناصبهم إن كانت لهم مناصب.

و من الأمثله على ظلم هؤلاء المقطعين ما يذكره لنا ابن الساعى فى حوادث سنه ٦٠٠هـ/١٢٠٣ م حيث يقول عن أحدهم و هو الأمير أى أبه بن عبد الله التركى المعروف بالشاهين أحد الأمراء الناصريه، نسبه للخليفه الناصر، المتوفى فى شهر ربيع الأول سنه ٦٠٠هـ/١٢٠٣ م باقطاعه بواسط بأنه "كان قاسيا مقدما على المعاصى بلغنى أنه أخذ شيخا من إقطاعه فضربه ألف خشبه (عصا) فلم يتأخر بعد هذه الحاله موته". (٥) و من المرجح إن سبب ضربه هو تاخره فى دفع ما عليه لسوء أحواله و ارتباكها أو شيئا من هذا القبيل.

و من الذين أقطعوا أرضا أو بالأحرى عقد لهم ضمان البصره الأمير عماد الدين طغرل و ذلك فى رجب سنه ٥٩٧هـ/نيسان ١٢٠١ م بما مبلغه مائه و خمسه عشر ألف دينار. (٦) و قد توفى مقطع البصره هذا فى ١١ ذى القعدة من سنه ٦٠٣هـ/٩ حزيران ١٢٠٧ م. (٧) أما الأمير ملك الدين سنقر الطويل الناصرى فقد أقطع دقوق (٨) و تكريت و بين النهريين (٩) و قد توفى بدقوق فى شهر ربيع الأول سنه ٥٩٦هـ/كانون الأول ١١٩٩ م.

نظار المناطق و ولاه و أمراء الأقاليم

كانت مناطق أو أقاليم الخلافه العباسيه تدار من قبل أشخاص تساعدهم مجموعه من الجند و الشرطه و يعرف هؤلاء الأشخاص باسم النظار، جمع ناظر، أو أمراء الأقاليم أو عمال الخليفه و يبدو أن بعض هؤلاء كانوا يقومون بجبايه الضرائب على الحاصلات الزراعيه من المزارعين حيث جاء فى ترجمه ابن الساعى لأفصح بن أفصح ناظر قوسان قوله "كان فيه جلاده و جراه على أخذ الأموال لنفسه و كان يؤخذ و يحبس ثم يخرج فيعود إلى ما كان عليه إذا رتب فى شغل. قال الحاجب قيصر: حدثنى النصير. ٩.

ص: ٨٠

- ١- ابن الساعى، المصدر السابق، ٩٦/٩.
- ٢- المصدر السابق، ١٦٢/٩.
- ٣- المصدر السابق، ٢٢٩/٩.
- ٤- ابن الأثير الجزرى، المثل السائر فى أدب الكاتب و الشاعر، ٢٨٧/١-٢٩٥.
- ٥- ابن الساعى، المصدر السابق، ١٩٣/٩.
- ٦- المصدر السابق، ٢٠٩/٩.
- ٧- المصدر السابق، ٢٠٩/٩.
- ٨- دقوق أو دقوقاء: مدينه بين أربل و بغداد معروفه لها ذكر فى الأخبار و الفتوح كان بها وقعه للخوارج، انظر ياقوت، معجم البلدان، ٤٥٩/٢.
- ٩- المصدر السابق، ٢١٥/٩.

السامري مشرف ديوان الزمام المعمور عن المذكور حكاية عجيبة و ذاك أنه قال: أخرجوني معه إلى قوسان و أنا يومئذ أحد المعدلين بمدينة السلام حتى تقدر البلد و تكمل ارتفاعه فأول ما خرجنا ضايق المعاملين و استوفى عشره آلاف دينار ما منها مع الكاتب و المشرف شيء فقلت له: ما هذا المال الذي جمعه ما جرى له ذكر في الحساب؟ فقال: هذا المال لي و للكاتب و للمشرف و البراطيل و نفقه الحبس. فقلت له: ما معنى هذا الكلام. فقال: هذا البلد مضمن علي بكذا و كذا ألف دينار أريد أتعجل لنفسي بهذه العشرة آلاف دينار، أعطيك أنت منها ألفا و للمشرف ألفا و للكاتب ألفا و أ برطل بالف و أنفق على نفسي في الحبس ألفا و بقي ورائي لعيالي خمسة آلاف فان خسرت في آخر السنة هذه العشرة آلاف سهل الحال و إن كان أكثر من ذلك حصلت لنفسي هذا المقدار. قال فقلت: يا شيخ و الله أن الحراميه لا يعتمدون ذلك و لا يقدمون عليه بشهادة العدول، و الله يا شيخ لا أقتم معك لئلا يلحقني، شرك. فقال لي: أنت رجل مجنون محشف الدماغ محروم لهذه الألف.

فانفصلت عنه و طالعت بالحال فاخرج إليه من أحتاط عليه و على المال و كفيت أنا المخاطره. و قد توفي أفلح في سنة ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م.

و كان ناظر نهر عيسى تاج الدين العلوي و ذلك في سنة ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م و قد قتل شخص من الأنبار يعرف بابن مهدويه في منطقته فألزم أهل الأنبار ديته و طالبهم بمال فقطع على خمسة نفر خمسة آلاف دينار ثم ألزم الضعفاء ألف دينار: على الجليله خمسة (لعل الصحيح خمسمائة فهي نصف الألف) و على الصنفارين خمسمائة و درك بذلك شيخ كل محله فضايقيهم و أخذ أموالهم فهربوا إلى هيت و الحديدته و الحله و أدخلوا بيوتهم فأوقر الزواريق من رحلهم و ثيابهم فلما وصلت إلى بغداد لتباع أنهى ذلك إلى علم الخليفه الناصر لدين الله فأنكره غايه الإنكار و كتب برد ما أخذ من أموال الناس و يقتصد من ذلك على ديه المقتول و هي ألف دينار تؤخذ من عاقلته(١) و لا يزداد على ذلك الحبه الفرد هذا حكم الشرع المطهر في ذلك.

و في المحرم من سنة ٥٩٧ هـ / تشرين الأول ١٢٠٠ م صلب إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الناظر باعمال السواد بالجانب الغربي على شاطئ نهر عيسى و سبب ذلك أنه تكلم في الحبس بقدرح الدوله فلم تقتض السياسه التغاضي عنه ففعل به ذلك.

و من نظار الدجيل عز الدين بن أبي الهيجاء ثم رتب ناظرا في معاملات خوزستان و توفي في سنة ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م. و من نظار الدجيل أيضا أبو الحسن علي بن يحيى بن الصلايا و كان مشكور السيره محمود الطريقه و كانت وفاته في ثالث شعبان من سنة ٥٩٨ هـ / ٢٨ نيسان ١٢٠٢ م.(٢)

و أبو الغنائم نصر بن ساوه النصراني الذي صلب في ١٨ جمادى الأولى سنة ٦٠٤ هـ / ١٠ كانون الأول ١٢٠٧ م و سبب صلبه أنه كان على علاقته بمقتل الأمير علاء الدين تنامش الناصري بالسسم ثم أحرق بعد صلبه و كان هذا الأمير مقطع دقوق أو دقوقا حينئذ فلما مات مسموما نسب ذلك لابن ساوه.(٣) أي أنه أراد الاستيلاء على ما بيده فقتله أو أوعز إلى من قام بذلك و فعلا استولى على دقوق فضلا عن الدجيل إلا أن الشبهات حامت حوله حتى قبض عليه و أعدم.

و من نظار الحله أبو الفرج بن الحداد الذي توفي في شعبان سنة ٦٠٣ هـ / آذار ١٢٠٧ م.(٤) و في شهر ربيع الأول من سنة ٦٠٤ هـ / أيلول ١٢٠٧ م رتب أبو الميامره علي بن أحمد بن أمسينا ناظرا بديوان واسط متوليا لأعمالها و خلع عليه بها.(٥) و من نظار واسط الآخرين أبو الشكر محمود بن أحمد بن سعاده الملقب ظهير الدين و كان موصوفا بالجود و السماح.

و من نظار نهر الملك (٤) مئقال خادم الفيروزجيه ابنه الخليفه المستنجد بالله (٥٥٥ - ٥٦٦ هـ / ١١٦٠ - ١١٧٠ م) و كان موصوفا بالذكاء و الجلاده و كان قبل ذلك ناظرا بمعامله باجسرى ثم أعيد إليها إلى أن توفي سنه ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م. و من نظار نهر الملك الآخرين أبو القاسم بن حماد و كان ذلك في سنه ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م.

أما الذين تولوا منصب الوالى فى البصره فمنهم ابن كنكر و كان من الرجال الأجلء و عمر البصره و أحبه أهلها و قد توفي فى شعبان سنه ٦٠١ هـ / آذار ١٢٠٥ م. و يبدو أنه كان لين المعامله مع الناس عادلا.

و من أمراء الديوانيه أو ولاتها أبو إسحاق إبراهيم بن برجم و قد قتل سنه ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م من قبل باطنى.

و من رؤساء همذان فى عهد الناصر همايون العلوى الملقب مجد الدين المتوفى سنه ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م.

و من الذين تولوا إماره عرب الشام أبو داود محمد بن قروان البدرى، و كان ممن أنفذ عساكره لمساعده الناصر فى همذان و قد توفي سنه و من أمراء خفاجه زمن الناصر لدين الله زياد بن عبيد و قد خلع عليه فى الديوان العزيز و سلمت إليه حمايه البلاد الفراتيه (٧) فمضى مخلوعا عليه و حضر عند جمال الدين قشتمر الناصرى بالحله مظهرا للتعزز بخلعه الديوان العزيز و توفي سنه ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م.

و من عمال أو ولاءه أو متصرفى معامله الأحمريه (٨) أبو البركات بن ٤.

ص: ٨١

١- العقل فى كلام العرب الديه. و العاقله هم العصبه و هم القرابه من قبل الأب الذين يعطون ديه قتل الخطا و هى صفه جماعه عاقله. و يقول أحمد بن حنبل العاقله: القبيله إلا أنهم يحملون بقدر ما يطيقون. انظر ابن منظور، لسان العرب، ١١/٤٦٠ - ٤٦١. ماده "عقل".

٢- المصدر السابق، ٩/٤٤.

٣- المصدر السابق، ٩/١٧.

٤- المصدر السابق، ٩/٩٠.

٥- المصدر السابق، ٩/٢١٩.

٦- نهر الملك كوره واسعه ببغداد بعد نهر عيسى يقال إنه يشتمل على ثلاثمائه و ستين قريه على عدد أيام السنه. و هناك خلاف على من حفره. انظر ياقوت، معجم البلدان، ٥/٣٢٤.

٧- يبدو أنه يقصد بها منطقه الفرات اليوم خاصه الحله.

٨- الاحمريه: من نواحي بغداد فى أقصى كوره الخالص من الجانب الشرقى - عمرت أيام الناصر لدين الله. و فى دار الخلافه موضع آخر يقال له قصر الأحمريه. انظر ياقوت، معجم البلدان، ٤/٣٥٥.

وظائف أخرى

و من الوظائف الاداريه الاخرى فى عهد الناصر لدين الله :-

١ - آمر العقار الخاص: أى متولى عقار الخليفه و ممتلكاته و أراضييه، ففى صفر سنة ٥٩٦هـ/تشرين الثانى ١١٩٩ م رد أمر العقار الخاص و جبايته و النظر فيه إلى كمال الدين أبى جعفر بن الناعم و هو يومئذ ناظر خزانه الغلات بباب المراتب المحروس فاستوفى البقايا و زاد على السكان فتكامل فى ذلك مبلغ له قدر و كان ينظر فيه ابن الرسى.

٢ - ناظر خزانه الغلات: و هو المشرف على خزن أو على المخزن الذى تخزن فيه الغلال التى ترد على الدوله سواء على شكل ضريبه عينيه أو من ممتلكات الخلافه و الدوله. و من الذين تولوا هذا المنصب القوام بن الزاهد و كان أحد المتصرفين فى الأعمال الديوانيه و قد رتب ناظرا لخزانه الغلات بباب المراتب المحروس.

٣ - وكيل ولى العهد: و ممن تولى هذا المنصب القوام بن الزاهد الذى رتب و كيلا لولى العهد عدده الدنيا و الدين أبو نصر محمد. ثم خلفه فى منصبه محمد بن مبشر بن أبى الفتوح و كان عالما فيلسوفا عارفا بالفرائض توفى سنة ٦٨١هـ/١٢٢١ م ببغداد و هو على منزلته. و هكذا يبدو لنا أن هناك وظيفه هى أشبه ما تكون بمساعد ولى العهد أو سكرتيره يدير شؤنه و ينظم أموره.

٤ - عميد بغداد: و كان هذا يقوم بوظيفه أقرب إلى الجبايه و الاداره فى مركز الدوله و هو أقرب ما يكون لنائب الوزاره و منصبه. و يبدو لى أنها تشبه كثيرا فى يومنا الحاضر منصب أمين العاصمه. و من الذين تولوا هذا المنصب الركن عبد السلام بن عبد القادر الجبلى و ذلك فى ١٣ رجب سنة ٦٠٠هـ/١٧ آذار ١٣٠٤ م و خلع عليه و جعل له ديوانا مفردا ورد إليه استيفاء الأموال و أسكن الدار المقابله لباب العامه (١) المجاوره لجامع القصر الشريف.

٥ - المشرف على أموال الأيتام: و هذه الوظيفه يقابلها فى يومنا الحاضر مديره أموال القاصرين التى تشرف على أموال القاصرين من الأيتام لحين وصولهم سن الرشد و البلوغ فتسلمهم حقوقهم و أموالهم إذ يصبجون بعدها أحرارا بالتصرف بها. و من الذين تولوا هذا المنصب أبو إسحاق خليل بن محمود بن خليل التبريزى و قد ولاه قاضى القضاة أبو الحسن بن الدامغانى و ظل إلى أن توفى فى ١٥ ذى الحجه سنة ٦٠٠هـ/١٤ آب ١٢٠٤ م.

٦ - وكيل الخدمه الناصريه: يبدو أن هذه الوظيفه كانت مهمه متوليها الاشراف على خدمه قصر الخلافه خاصه تحضير ماكولاته. و يقول ابن الساعى فى أحداث شوال سنة ٥٩٦هـ/تموز و آب ١٢٠٠ م أنه رد النظر فى أملاك الطباق الشريف إلى العدل على بن رشيد الحربوى و كيل الخدمه الشريفه الناصريه فاستتاب فيه الفقيه فخر الدين إسماعيل غلام بن المنى و بسط يده فيه فظهرت فيه جلاده و توفر حاصله معه.

أحمد ناصر الدين شاه قاجار:

مرت ترجمته فى مكانها من (الأعيان) و نذكرها هنا بتفاصيل أوسع:

اسمه أحمد، و ناصر الدين الذي اشتهر به هو لقبه.

ولد سنة ١٢٤٧ و اغتيل سنة ١٣١٣ هـ.

هو رابع ملوك الأسره القاجاريه التي حكمت في إيران.

في سنة ١٢٥٠ هـ تملك أبوه "محمد شاه قاجار". و في سنة ١٢٥١ هـ نصب ابنه هذا "ناصر الدين ميرزا"، و هو أكبر أبنائه و أُرشد هم، وليا للعهد، و له من العمر خمس سنوات. و في سنة ١٢٦٣ هـ عينه حاكما على أذربيجان.

و في سنة ١٢٦٤ هـ توفي "محمد شاه قاجار". و نودي بابنه ولي العهد "ناصر الدين ميرزا" ملكا ليله الرابع عشر من شهر شوال سنة ١٢٦٤ هـ، و هو في تبريز، و له من العمر سبعة عشر عاما. ثم حضر إلى العاصمة طهران في ٢١ ذى القعدة [١٢٦٤] من تلك السنة، و جرى الاحتفال الكبير بتنصيبه ليله السبت ٢٢ ذى القعدة [١٢٦٤] و جلس للناس جلوسا عاما في قاعة قصر "نخت المرمز" في ذلك اليوم.

كان في أول عهده بالملك كأكثر الشبان إذ يحاولون الظهور بمظهر من هم أكبر منهم سنا. فكان يتعهد لحيته متعجلا تكاملها بصبر نافذ. فلما بلغ الثانيه و العشرين كانت له لحيه وافر كثة. و لكنه عاد فحلقتها بالموسى حين بلغ من العمر بضعة و خمسين عاما. و هو أول من حلق لحيته من ملوك القاجاريين.

كان "ناصر الدين شاه" مفرطا في حب السياحه و السفر و النزاه و الإكثار من الزوجات. و هو أول من سافر إلى أوروبا من ملوك إيران.

و هو، بعد "فتح على شاه"، أكثر ملوك القاجاريين نساء.

يقول مؤرخ إيراني أنه قيل إنه صار له ١١٠ زوجات أربع منهن بالعقد الدائم و الباقي يزواج المتعه. و مات عن ٨٥ زوجة. و لكن هل نستطيع أن نسلم بهذا القول الذي قيل بعد زوال سلطانه و سلطان أسرته؟ لا أدري.

ثم لنا أن نتساءل: هل هذا معقول؟ لا أدري. ثم يقول هذا المؤرخ:

و لكن عدد النساء في حريمه لم يكن يقل قط عن ١٦٠٠ امرأة هن نساؤه و جواريه و الخادمت و من يزور نساءه يوميا من نسيباتهن و صديقاتهن. و ولد له سبعة و عشرون ولدا ما بين ذكر و أنثى. و كانت زوجاته مصنفات على ثلاث درجات. فنساء الدرجه الأولى لكل منهن عماره خاصه و ساحه أمامها. و الأخريات تتفاوت مساكنهن من حجره واحده إلى ثلاث حجر لكل منهن. و كان في حريمه تسعون خصيا من البيض و السود. و لكل من نساء

ص: ٨٢

١- أحد أبواب دار الخلافة ببغداد كان من أجل أبوابها و أشرفها. و كان حاجبه عظيم القدر و نافذ الأمر إلا أنه أهمل، كما

يؤكد ياقوت، على عهدہ (توفى ياقوت سنه ٦٢٦هـ/١٢٢٨ م). انظر ياقوت، معجم البلدان، ٣١٢/١.

الدرجة الأولى ثلاث خصيان أو أربعة يخدمونها. و لكل من نساء الدرجة الثانية خصى أو اثنان. و نساء الدرجة الثالثة لا خصيان لهن. و لكل من زوجاته راتب شهري يتفاوت من خمسين و سبعمائة تومان إلى خمسين و مائة تومان حسب درجتها. و لكل من بناته الكييرات راتب سنوي مقداره أربعة آلاف تومان. و يسكن في حريمه أربعة آلاف نسمة. و له في كل سنة رحله للاصطياف، و يقيم حوله في مصيفه حشد من رجاله و نسائه يتكون من سبعة آلاف إلى عشرة آلاف نسمة، و يصحب معه اليه نصف زوجاته تقريبا.

على أن مؤرخا إيرانيا آخر يقول عنه: قد اكتست إيران في أيامه حله من البهاء و الجلال، و كان مقدرًا للعلماء الروحانيين و الأدباء و الشعراء، و قرر اصلاحات سياسيه في نظام المملكة. اه.

ورد السيد محسن الأمين في كتابه (معادن الجواهر) على هذا المؤرخ قائلا: و لسنا نعرف ما هو هذا البهاء و الجلال الذي اكتسبته إيران في أيامه سوى أن الجنديه كانت منحطه إلى درجه مخجله، و نفوذ روسيا و انكلترا يزداد يوما فيوما حتى كان لانكلترا بريد و خط برقي في إيران و سوى القروض من روسيا و انكلترا التي كانت تصرف على السياحات في الممالك الأجنبيةه و سوى إعطاء امتياز حصر التباك للانكليز لو لا أن حالت دون ذلك فتوى الامام الشيرازي.

كان "ناصر الدين شاه" يتخلى غالبا عن القيام بمهام منصبه و ينصرف إلى تقضيه أوقاته في الصيد و النزهه و ركوب الخيل و اللعب و الزواج. و من ملاحظيه مشاهدته أمراء البيت المالک يقامرون في حضوره. و أكثر مقامرتهم كان بالنرد. و قد يشاركهم أحيانا في المقامرة.

و من أسوأ أعماله قتله في أوائل سلطنته "الميرزا تقى خان" الفراهاني الصدر الأعظم المشهور المعروف باسم "أمير كبير". بل لعل هذا العمل كان أسوأ أعماله على الإطلاق. فقد كان قتل هذا الرجل العظيم المصلح خساره كبيره نزلت بايران. و لو أبقى عليه لحققت إيران شيئا كثيرا من آمالها في الرقي و التقدم و الصلاح. و لكن تضافر عليه حساد من المحليين و أعداء من الأجانب حتى حملوا الشاه على كف يده عن العمل ثم قتله! في ٢٨ شوال سنة ١٢٤٨ هـ حاول البايون اغتيال "ناصر الدين شاه" بإطلاق الرصاص عليه و هو يجتاز الطريق في إحدى ضواحي طهران. و لكنه لم يصب بأذى سوى جرح بسيط. فأمر "ناصر الدين" بقتل البايين قتلا عاما، فقتل أكثرهم في جميع نواحي إيران. و من ذلك التاريخ بدأت هجره البايين إلى خارج إيران.

في سنة ١٢٧٥ هـ عزل "ناصر الدين شاه" الصدر الأعظم "الميرزا آقا خان نوري" (١) عن منصبه. ثم أُلّف هيئه من ستة وزراء لست وزارات باسم "مجلس شورى الوزراء"، و في سنة ١٢٧٦ هـ أُلّف هيئه أخرى من أحد عشر عضوا باسم "مجلس شورى الدوله"، و تقرر أن تحول إلى المجلسين أمور المملكة المطروحه للبحث فينظران فيها ثم ترسل إلى الشاه للموافقه. و لكن هذا التدبير كان تدبيرا موقتا مثل تدابير و قوانين أخرى اتخذها. إذ لم يلبث كل شيء أن عاد إلى ما كان عليه يقضى فيه برأيه و نظره الخاص.

و أنشا أيضا مع هذين المجلسين ندوه أمر بان يكون أعضاؤها من العلماء و الرجال المجريين، و جعل خاله "عيسى خان اعتماد الدوله" رئيسا لها، و أمر بان تنعقد هذه الندوه يوميا تنظر في أمور المملكة و تتباحث في وسائل تقدمها. و لكنها كانت إجراء شكليا لم تصنع شيئا.

و فى سنة ١٢٨١ هـ أمر بوضع صندوق سماه "صندوق العدالة" فى "ميدان أرك"، و هو ساحه كبيره فى طهران. و كل من كانت له مظلمه أو مطلب يريد رفعه إلى الشاه كتبه فى عريضه و وضعها فى ذلك الصندوق.

و لكن الموظفين المعينين لهذا الصندوق كانوا لا يجدون فيه حين يفتحونه غير اللعنات إذ كان الناس آيسين لا يحملون مثل هذا العمل على محمل الجد بل يعدونه خداعا. و من ثم أمر "ناصر الدين شاه" بالغائه و فى سنة ١٢٨٣ هـ أراد القيام بعمل إصلاحى شامل لأمر المملكه، يحقق التزام المسئوليات و يحدد لكل مجال عمله حسب ما هو مكلف به.

و لكن التشيكلات التى أنشأها لتحقيق هذه الغايه لم تلبث أن انحلت و ظل كل شىء على ما هو عليه.

و أنشا فى سنة ١٢٩١ هـ دائره باسم "ديوان المظالم" ثم غير اسمها باسم "صناديق عداله الولايات" ليضع فيها أصحاب الحاجات و الظلمات فى الولايات كلها ما يريدون رفعه إلى الشاه من حاجاتهم و ظلاماتهم. و لكنها لم تأت بفائده لانعدام ثقه الناس بهذا الأمر، فألغيت.

و فى سنة ١٢٩٤ هـ رأى "ناصر الدين شاه" أن تكون أمور المملكه بعهد وزارتين، وزاره الأمور المدنيه و عهد بها إلى "الميرزا يوسف مستوفى الممالك"، و وزاره الأمور العسكريه و عهد بها إلى قائد الجيش "الحاج الميرزا حسين خان".^(٢)

كان "ناصر الدين شاه" كثير النساء ميالا إلى القصف و اللهوه. و من أجل ذلك احتاج إلى أبنيه لإسكان نسائه و إقامة مقاصفه و ملاهيه. و قد مكته طول المده التى ملك فيها من إقامة عدّه أبنيه فى طهران و ضواحيها لهذه الغايه.هـ"

ص: ٨٣

١- هو "الميرزا نصر الله خان نوري" المعروف باسم "الميرزا آقا خان" الملقب ب "اعتماد الدوله". من أصحاب المناصب العاليه و النفوذ القوى فى البلاط فى عهد "فتح على شاه" و "محمد شاه" و "ناصر الدين شاه". كان له أثر كبير فى حمل "ناصر الدين شاه" على قتل الصدر الأعظم المصلح "الميرزا تقى خان أمير كبير". كان آله طيعه فى يد الإنكليز و أضر بايران كثيرا خدمه لهم. عاقبه "محمد شاه قاجار" إذ ثبت له تجسسه للانكليز، و فرض عليه الإقامة الجبريه فى مدينه "كاشان". فلما ملك "ناصر الدين شاه" بعد أبيه "محمد شاه" عاد إلى طهران من غير أن يؤذن له بالعوده. فأراد "الميرزا تقى خان" إعادته إلى منفاه، فلجا إلى السفاره الإنكليزيه، و منحتة السفاره الجنسيه الإنكليزيه لكيلا يطاله الحكم عليه بالنفى و يبقى فى العاصمه. و بعد مقتل "أمير كبير" توصل إلى منصب الصدر الأعظم ل "ناصر الدين شاه" و تخلى عن الجنسيه الإنكليزيه، ثم عزله الشاه، بعد أن أوقع بايران شرا كبيرا.

٢- من كبار رجال الاداره. و "مستوفى الممالك" تعنى فى اصطلاح اليوم "وزير المالىه". و كان فى هذا المنصب مده فى عهد "ناصر الدين شاه"

و كان مبتلى بالبواسير، إذ كان نهما شاربا للخمر كثير الرفث إلى النساء. روى أنه شكا يوما إلى طبيبه الفرنسي الخاص "تولوزان" بعض الانحراف في مزاجه، وقال: الظاهر أنه بسبب التداخل في الطعام. فأجابه الطبيب: طعام صاحب الجلاله متواصل لا ينقطع فكيف يمكن أن يحدث فيه التداخل! وفي سنة ١٢٨٧ هـ سافر "ناصر الدين شاه" إلى بغداد لزياره قبور الأئمه ع، و استغرقت هذه الرحله حوالى خمسہ أشهر.

و فى سنة ١٢٩٠ هـ سافر إلى أوروبا و صحب معه جماعه من أبنائه و أعيان المملكه. و زار روسيا و ألمانيا و بلجيكا و إنكلترا و فرنسا و سويسرا و إيطاليا و النمسا و تركيا. و استغرقت رحلته هذه حوالى خمسہ أشهر.

و كان قد صحب معه أيضا إحدى نسائه الأثيرات " أنيس الدوله " و لكنه أعادها إلى إيران من موسكو، إذ أن رؤيتها متحجبه أمر مستهجن عند الأوروبين، و لا بد من تحجبها على عادته تلك الأيام. و قد نالت هذه المرأه مكانه عاليه عند "ناصر الدين شاه"، و أصبحت موضع الاهتمام و بلغت درجه ساميه من الوجاهه و الغنى، إذ كانت عاقله حسنه التدبير ذكيه.

و كانت لها حاشيه و أمر و نهى، و بلغت مكانتها إلى أن أصبحت رئيسه على نساء الشاه كلهن، و أعطيت مقام "ملكه". و هى بنت طحان من إحدى ضواحي طهران، رآها "ناصر الدين شاه" يوما، و هو خارج فى موكب ملوكى، فعشقها. و عقد عليها بعقد المتعه. و أراد أكثر من مره أن يعقد عليها بعقد الزواج الدائم فكانت ترفض و تقول له إن الساعه التى مرت فيها معدوده من نساء الشاه المستمتع بهن هى ساعه سعد و يمن و لا أريد الخروج من هذا الزواج الذى أسعدنى. و كان الشاه يستشيرها أحيانا فى بعض شئون الحكم.

و فى رحله "ناصر الدين شاه" هذه إلى أوروبا كان يتزين ببعض الجواهر كمامه "درياي نور" (بحر النور) و غيرها. و حين كان فى ألمانيا سال يوما أمبراطورها "غليوم الأول" عن جواهره، فلم يجبه بشيء. ثم شهدا، الشاه و الإمبراطور، عرضا عسكريا فالتفت الإمبراطور إلى الشاه، و هو يشير إلى جنوده، قائلا: هذه هى جواهرى! و فى سنة ١٢٩٥ هـ قام "ناصر الدين شاه" برحله أخرى إلى أوروبا استغرقت حوالى أربعة أشهر. و لما مر بالقفقاس و إيروان شاهد عسكر "القوزاق" الروسى فأعجبه لباسهم العسكرى و تنظيمهم. فلما عاد إلى إيران أمر بتشكيل فرقه على مثالهم يتولى تديبها ضباط روسيون و تكون حرسه الخاص. و كانت له غايه أخرى أيضا هى إرضاء الروس بجعل هذا العمل امتيازاً لهم فى إيران. و لكن ذلك جر على إيران، فيما بعد، متاعب كثيره.

و استخدم أيضا أربعة عشر ضابطا نمسويا لتدريب الجيش الايرانى.

و استدعى الضابط الايطالى "الكونت دومونت فورته" إلى إيران ليقوم بتشكيل فرقه الشرطه و فرقه الدرك و تأسيس البلديه. و قد ظل هذا الضابط يتولى رئاسه هذه المؤسسات أكثر من اثنتى عشره سنه. و كان أيضا من نتائج رحلته الثانيه هذه إلى أوروبا إدخال الإناره الكهربائيه و الإناره الغازيه إلى إيران. و فى عهد "ناصر الدين شاه" مد خط حديدى للقطار بين طهران و بلده "الرى". حيث ضريح "عبد العظيم الحسنى" (رض). قامت بمده شركه بلجيكيه، بعد تمنع و تعلل بان فى هذا العمل صعوبات كثيره، مع أن المسافه بين البلدين لا تتجاوز بضعه كيلومترات، و بعد أن فرضت بضعه شروط منها أن يتعهد الايرانيون بان لا يتجاوزوا بالخط إلى أبعد من "الرى"! و فى سنة ١٣٠٥ هـ، فى عهد "ناصر الدين شاه"، انتهى مد هذا الخط و جرى عليه القطار.

و لكن لابست إجراءه حادثه مهمه فى أوائل سنه ١٣٠٦ هـ فى يوم ذكرى وفاه الرسول (ص) و شهاده الامام الحسن ع، و هو يوم تعطيل عام، كانت جموع غفيره تؤم ضريح "عبد العظيم الحسنى" (رض) للزياره، و القطار مكنظ بالركاب. و اتفق أن سارع أحد الركاب إلى النزول منه قبيل توقفه فى المحطه فعلقت عباءته بعجله القطار فانجر إلى تحت العجله و قتل. فهاج الناس و هجموا على المحطه يريدون قتل العاملين فى القطار.

و أطلق قاطع التذاكر فى القطار الرصاص على الأهالى فقتل واحدا منهم. فزاد ذلك فى هياج المهاجمين، و فر موظفو القطار هارين و صب المهاجمون نفطا على القطار و أشعلوا فيه النار. و سبب هذا الحادث للحكومه القائمه كثيرا من المشاكل فى مسئوليتها أمام الشركه البلجيكيه.

و فى سنه ١٣٠٦ هـ قام "ناصر الدين شاه" برحله ثالته إلى أوروبا، استغرقت سته شهور و بعض الشهر. بدأها بزياره روسيا بدعوه من امبراطورها جاءته بناء على طلب منه. و صحب معه ثنتين من زوجاته هما "أنيس الدوله" و "أمينه أقدس" و إحدى بناته و هى "توران آغا فخر الدوله". و لكنه أعادهن إلى طهران من الحدود. و زار، بعد روسيا، بولونيا و ألمانيا و النمسا و فرنسا و بلجيكا و هولندا و إنكلترا.

و عاد "ناصر الدين شاه" من هذه الرحله إلى إيران سنه ١٣٠٧ هـ، و بعد عودته أرسل بعثه طلابيه إلى أوروبا للدراسه فيها على نفقه الدوله.

و فى هذه الرحله الثالثه أعطى "ناصر الدين شاه" شركه إنكليزيه امتياز انحصار التبغ و التباك (الريجى). ذلك الامتياز الذى يعد بما ترتب عليه من أحداث، من الوقائع العظيمه فى تاريخ إيران. فقد ثار الناس ثوره عارمه داميه لا سيما فى طهران و تبريز استنكارا لما فيه من إجحاف بحق إيران. و أصدر المرجع الدينى الشيعى الأكبر "الميرزا حسن الشيرازى" يومئذ من مقره فى مدينه "سامراء" العراقيه فتوى بتحريم تدخين التبغ و التباك فى إيران، و أطاع الجمهور و رجال الدين هذه الفتوى و امتنعوا عن استعمالهما، حتى اضطرت الحكومه الإيرانيه إلى إلغاء هذا الامتياز سنه ١٣٠٩ (١٨٩٢ م) و تعد هذه الثوره أول ثوره شعبيه على أعمال الخيانه التى دأبت حكومتهم على ارتكابها.

و اغتتم الروس الفرصه فهبوا أيضا يحرضون على الثوره بكل ما لديهم من الوسائل، إذ كان إعطاء هذا الامتياز لمنافسيهم الإنكليز صدمه شديده لهم.

و لكن إلغاءه كلف إيران دفع مبلغ ضخم من المال تعويضا للشركه صاحبه الامتياز.

وقد بلغ من إطاعه الناس لفتوى تحريم التبغ و التباك أن نساء الشاه أنفسهن انقطعن عن التدخين. فلامهن الشاه و أمرهن بالتدخين، و سألهن قائلاً: من ذا الذى حرم التدخين؟! فقالت له إحداهن، و كانت امرأه تقيه رزأنا: حرمة علينا من حللنا لك! فقال: ها أنا ذا أدخن فدخن أنتن أيضا كما أدخن أنا. فقالت له: و أنت تجمع بين الأختين. و ليس يجوز للناس أن يقلدوك فيجمعوا بينهما! هذا و كان "ناصر الدين شاه" يجمع بين أختين إحداهما اسمها عائشه و الأخرى ليلي.

و كان "ناصر الدين شاه" قد سبق أن منح الإنكليز امتيازاً بإنشاء بنك لهم فى إيران باسم "البنك الشرقى". و فى أثناء إقامته فى انكلترا فى رحلته الثالثه هذه تقرر تغيير اسم هذا البنك باسم "البنك الشاهنشاهى"، و إعطائه امتيازاً بإصدار النقد الورقى. و قد سهل هذا الامتياز عمليه تسرب الذهب الايرانى إلى أيدي الأجانب. و دفع بالروس إلى إجبار إيران على إعطائهم امتيازاً مماثلاً لما حصل عليه منافسوهم الإنكليز، فحصلوا فى سنه ١٣٠٨ هـ على امتياز بإنشاء "بنك الرهون"، و هو شعبه من مؤسسات وزاره الماليه الروسيه. و تساهل هذا البنك فى منح القروض إغراء للناس بالاستقراض و رهن أموالهم غير المنقوله، كالأراضى، بلا ترو، ثم يعجزون عن إيفاء القرض و يغلق الرهن بيد البنك، اى بيد وزاره الماليه الروسيه.

و لوحظ أن النفوذ الانكليزى فى إيران ازداد كثيراً بعد رجوع "ناصر الدين شاه" من رحلته هذه الأخيره. و قد أعطى "ناصر الدين شاه" الإنكليز هذه الامتيازات فى إيران:

١ - إنشاء خط برق الهند و أوروبا، و امتداده: بغداد - طهران - بوشهر. ثم اتصل ببلاد غيرها بعد ذلك.

٢ - الملاحه فى نهر كارون.

٣ - إنشاء "البنك الشاهنشاهى" إلى مده ستين عاماً. و قد اشترت الحكومه الإيرانيه هذا الامتياز فى عهد "رضا شاه بهلوى" و تولت هى إصدار النقد الورقى.

٤ - امتياز انحصار التبغ و التباك. و قد آل أمره إلى الإلغاء بسبب فتوى التحريم التى أصدرها الميرزا حسن الشيرازى كما تقدم.

٥ - إعطاء قرض لايران برهن جمارك الجنوب.

٦ - شق طريق بين طهران و خرمشهر.

و أعطى الروس هذه الامتيازات:

١ - إنشاء فرقه القوزاق.

٢ - استثمار مصائد بحر الخزر.

٣ - إنشاء بنك الرهون.

٤ - شق طريق من "عشق آباد" إلى "مشهد".

بعد أن أذن للروس بتشكيل كتيبه القوزاق في إيران سنة ١٢٩٥ هـ قدمت إلى طهران سنة ١٢٩٦ هـ بعثه من الضباط الروس برئاسة العقيد "ديمانتو فيتش"، وشكلوا وحده عسكريه على طراز القوزاق الروسيين من خمسين وثمانمائه فارس اختاروهم من المهاجرين. وهؤلاء المهاجرون كانوا جماعه من القفقاسيين جاءوا إلى إيران بعد أن خرجت مدن القفقاس من يد إيران وضمته روسيا إلى بلادها بحسب معاهده "تركان شاي". فتركوا بلادهم، بعضهم بدافع من الأنفه الدينيه و بعضهم كانوا أيام الحرب قد سبقت لهم خدمات لايران. و من ثم رأوا أن صلاح أمرهم في اللجوء إلى إيران فقدموها و في نفوسهم آمال كثيره. و لكنهم وقعوا في الخيبه إذ أنهم أهملوا و لم يجدوا عند المسئولين عنايه تذكر، و ظلوا حيارى مشردين. إلى أن أعطى "ناصر الدين شاه" الروس امتياز تشكيل كتيبه قوزاق في إيران، و قدمت البعثه العسكريه الروسيه فأمر الشاه باختيار أفرادها من بين المهاجرين هؤلاء. و شيئاً فشيئاً كان عدد المجندين فيها يزداد يوماً بعد يوم. و في سنة ١٣١١ هـ جاء إلى إيران عقيد آخر اسمه "كاساكوفسكى" رئيساً للكتيبه فأقامها على وضع آخر مختلف كل الاختلاف عن السابق، إذ أنه فصلها عن وزاره الحربيه الإيرانيه و جعل لها كيانا خاصا مستقلا، و بنى لها عماره خاصه لتكون تكنه لها و سور إحدى ساحات العاصمه و جعلها مكانا لتدريب الكتيبه و أخذ من الحكومه قسرا يعرف بـ "قصر قاجار" و جعله معسكرا لها. و في سنة ١٣١٨ هـ رفع الإمبراطور الروسى رتبه هذا الضابط بناء على طلب من "مظفر الدين شاه". و كان الاتفاق الذى وقع بين الدولتين بشأن هذه الكتيبه ينص على أن لا يبقى رئيسها في إيران أكثر من ثلاث سنوات. و لكن "كاساكوفسكى" هذا ظل في إيران تسع سنوات رئيسا لها. و مع أنه كان مطلق التصرف خارجا عن سيطره الدوله الإيرانيه يرجع بصوره مباشره إلى الدوله الروسيه فى كل شئونه فان نفقات الكتيبه كلها كانت تؤخذ من خزينه الدوله الإيرانيه و لم يقدم قط فى يوم كشفا حسابيا يبين وجوه الإنفاق! يقول الدكتور "فوفريه" طبيب "ناصر الدين شاه" الخاص فى كتابه " ثلاث سنوات فى بلاط إيران":

" يبدو أن إيران ستنتهى، بإعطاء هذه الامتيازات المتلاحقه، إلى أن تقع كلها فى يد الأجانب "

و يقول "براون" فى كتابه " انقلاب إيران":

" كل هذه الامتيازات التى أعطيت للأجانب تنتهى إلى مصير واحد، هو انتفاع الشاه و رجال بلاطه انتفاعا زائلا بالقليل الزهيد و الإضرار بأهل إيران إضرارا دائما "

كان "ناصر الدين شاه"، مع استبداده المفرط، يتسع صدره أحيانا للكلام الجارح و التوبيخ يوجهه إليه أناس من الطبقات الدنيا فيتحملة و يغضى عليه. من ذلك أن زردشتيا اسمه " خاراداد" كان بستانيا فى إحدى عماراته المسماه " سلطنت آباد"، قتلت زوجته و هى تجتاز إحدى الطرقات ليلا. و مر "ناصر الدين شاه" يوما فى بستان تلك العماره فرأى ذلك البستاني فقال له:

كيف صح عندك أن ترسل زوجتك إلى الخارج ليلا حتى سببت بذلك قتلها؟! فبادره البستاني بالجواب فورا قائلا: كنت أحسب أن الليل و النهار فى مملكتك سواء. إذا نمنا فأنت ساهر. و لذلك كنت مطمئنا عليها فارسلتها. فلم يقل "ناصر الدين" شيئاً و ساق فرسه منصرفا.

كان "ناصر الدين شاه" حسن الخط حسن الإنشاء. يعرف من الألسنه الأجنبيه قليلا من الفرنسيه. أحد تراجمته "محمد حسن خان اعتماد السلطنه"، و هو ملحق عسكري سابق بسفاره إيران فى باريس، يقول فى مذكراته متحكما بـ "ناصر الدين شاه":

" ما زلت من خمسة عشر عاما ألقى عليه درسا. وقبلى علمه معتمد الملك عشره أعوام. وقبله الطيب كلوكه (فرنسى). وفي أيام ولايته للعهد حين كان واليا على تبريز علمه جماعه آخرون. ما شاء الله! انه، لشده العمل، أو لتشتت الفكر، لا يعرف، مع ذلك، شيئا من الفرنسيه! لأنه، كدأبه في كل أعماله، لا يسلك إليها طريق أصولها. إنه يتصور أن التربيه و التعليم هما كاستقلال بالملك على إيران يمكن تحصيلهما بنزوات الهوس و الرغبات. الدرس، لعمري، شيء آخر! "

كان "ناصر الدين شاه" شديد الرغبة في تعلم اللغات الأجنبية، و لكنه كان يتوسل إلى ذلك بعقله الملك الذى يأمر فيطاع لا بعقله الطالب.

كانت رغبته هذه نزوات عارضه لا تلبث أن تزول. أراد مره تعلم اللغه الألمانية مدفوعا ببعض الاعتبارات السياسيه فتلقى بعض الدروس ثم انصرف عنها. و أراد تعلم اللغه الروسيه فبدأ دراستها ثم انصرف عنها.

و كذلك اللغه الإنكليزيه. و لم يحصل من كل تلك الدروس سوى بضع كلمات من الروسيه و الإنكليزيه. كان إذا أراد التوجه إلى الإنكليز أخذ في تعلم الإنكليزيه. و أرسل الروس "الأمير دالفوروكى" سفيرا لهم إلى إيران فقرر الشاه تعلم اللغه الروسيه لأن المبعوث الروسى شخصيته كبيره بما هو أمير! و اعتاد "ناصر الدين شاه" أن يزور فى كل أسبوع أو أكثر منزل أحد الأعيان أو منزل أحد أبنائه أو أحد أمراء الدرجة الأولى من الأسره المالكة.

و جرت العاده أن يقدم إليه صاحب المنزل فى كل زياره مبلغا من النقود و شيئا من التحف هديه.

و كان فى معيته بضعه أطباء من الايرانيين. و استخدم أيضا بضعه أطباء من الأجانب واحدا بعد آخر. منهم طيبب فرنسى اسمه "كلوكه" و بعده طيبب نمساوى اسمه "بولاك" و قد كتب هذا الطيبب مؤلفات عن إيران و بعده فرنسى اسمه "تولوزان" و فرنسى آخر اسمه "فوفريه".

عاش "ناصر الدين شاه" سبعة و ستين عاما. و ملك تسعه و أربعين سنه و شهرا و ثلاثه أيام. و فى يوم الجمعة ١٧ ذى القعدة سنه ١٣١٣ هـ الموافق أول أيار (مايس) سنه ١٨٩٦ م أطلق عليه رجل اسمه "الميرزا رضا الكرمانى" رصاصه من مسدس، و هو قائم للزياره فى حرم "عبد العظيم الحسنى" (رض)، فارداه قتيلا.

و أودع جثمانه قصر "گلستان" ريشما هيئ قبره قرب مقام "عبد العظيم الحسنى" (رض). و فى سنه ١٣١٤ هـ حمل جثمانه إلى هناك و دفن عند قبر احدى زوجاته الأثيرات، المسماه "جيران".

ذكر ترجمانه "محمد حسن خان اعتماد السلطنه" فى مذكراته اليوميه قصه غريبه قال:

" اليوم (٢٨ محرم سنه ١٣٠٠ هـ) روى لى الشاه حلما رآه قبل بضع ليال. رأى حيوانا كبيرا، أكبر من الفيل، يهجم عليه. فأطلق الشاه نحوه بازيا كان فى يده، فانشب البازى منسره فى حلق الحيوان فقطعه، و سال منه دم كثير و وقع الحيوان على الأرض و مات. و ابتعد الشاه عنه كارها ما انبعث من دمه من رائحه كريهه. ثم إذا بالحيوان يرفع رأسه و يقول للشاه: سأبعث حيا بعد أربعه عشر عاما و ألقاك ". و بعد أربعه عشر عاما قتل "ناصرالدين شاه" برصاصه مسدس. أما القاتل "الميرزا رضا الكرمانى" فرجل

جسور مقدم من أهل كرمان كان قد فر منها بعد أحداث قاسيه مرت به و استقر في طهران، حيث تعرف على السيد جمال الدين الأفغانى حين إقامته فيها و أصبح من أشد مرديه تعلقا به. ثم نفى الأفغانى من إيران إلى إسلامبول. ثم وقعت أحداث امتياز التبغ و التباك فشارك "الميرزا رضا الكرمانى" معارضى الامتياز فى معارضتهم و قام بنشاط فى هذا المجال، فقبض عليه و سجن و لقي فى سجنه أهوالا و عذبا كثيرا. و كان يشتغل فى طهران ببيع بعض المنسوجات الكرمانيه فاشترى منه الأمير "كامران ميرزا" ابن "ناصر الدين شاه" و نائبه شيئا منها دينا. و كان بعد ذلك إذا طالب بدينه لم يلق جوابا غير الالهانه و الضرب حتى اضطر إلى أن شكاه إلى مؤسسه العداله الجديده التى أنشأها الشاه، فاجبروا الأمير على تاديه الدين إليه، فأداه. و لكن "الميرزا رضا" تلقى مع كل تومان قبضه صفعه، و كان دينه ألف تومان، حتى أصيب برجفه دائمه فى رأسه و عنقه لازمته مده من الزمن. فزادته هذه المظالم جساره و تمردا و نقمه.

ثم استطاع أن يفر من إيران و يلتحق بالسيد جمال الدين الأفغانى فى إسلامبول. ثم عاد إلى إيران عازما على اغتيال "ناصر الدين شاه". و فى استجواب المحققين له أصر إصرارا قاطعا على أن الذى حرضه على القتل هو السيد جمال الدين و أن أحدا لم يكن على علم بالمؤامرة غيره.

و يرى "إدوار براون" فى كتابه "انقلاب إيران" أن المحرك الأصيل غير المباشر على الاغتيال هو السياسه الإنكليزيه و السياسه الروسيه. و كذلك احتمال مخبر جريده "المانشستر غارديان" هذا الاحتمال. و يرى مؤرخون آخرون أن للسلطان عبد الحميد العثمانى ضلعا فى المؤامرة أيضا.

و قد ظل "الميرزا رضا الكرمانى" القاتل حوالى ثلاثه أشهر فى السجن و التعذيب حتى حكم عليه بالموت، فشنق فى يوم الأربعاء الثانى من ربيع الأول سنه ١٣١٤ هـ الموافق ١٢ آب (أغسطس) سنه ١٨٨٦ م فى أحد ميادين طهران، و ظل معلقا يومين.

أم "ناصر الدين شاه" اسمها "ملك جهان خانم" و لقبها "مهد عليا". و هى من القاجاريين. كان زوجها "محمد شاه قاجار" ضعيفا عليلا. فكانت، لذلك تتجاوزته و تتدخل فى شئون الدوله. فتعزل و تنصب و تقطع أصدقاءها الاقطاعات من أملاك الدوله إلى أمثال هذه الأمور. و لكن لما تولى المصلح "الميرزا تقى خان أمير كبير" منصب الصدر الأعظم فى أول حكم "ناصر الدين شاه" أوقفها عند حدها و ألغى كل أحكامها و مراسيمها، و كف يدها عن التدخل فى شئون الدوله. فحاولت استجلابه ببعض التملقات فلم يذعن لها. فاعتمدت طريقا آخر بان اقترحت عليه تزويجه من ابنتها أخت "ناصر الدين شاه" راجيه أن تسيطر عليه بهذه المصاهره. فقبل بهذا الاقتراح و تزوج من ابنتها راجيا أن يحكم بذلك مكانته عند الشاه. و لكن رجاء "مهد عليا" خاب أيضا. إذ أن صهرها كان يرد كل وساطاتها و توصياتها غير ملتفت إلى شىء منها قاضيا فى تحقيق خطته الاصلاحيه فى تنقيه جهاز الحكم من الفساد. و من ثم حنقت عليه و أخذت هى و حساد له آخرون فى دس الدسائس و إثارة الفتن عليه حتى تمكنت من حمل الشاه على عزله ثم قتله.

و كان لتدخلاتها فى شئون الحكم و سيرتها الخاصه أثر كبير فى نشر الفساد فى البلاط و جهاز الحكومه. توفيت فى ٦ ربيع الثانى سنه ١٢٩٠ هـ فى

طهران و "ناصر الدين شاه" فى أوروبا فى رحلته الأولى إليها. و دفنت فى مقبره زوجها "محمد شاه" فى قم.

أحمد شاه القاجارى

احمد شاه قاجار آخر ملوك الأسره القاجاريه، و ثانى أبناء محمد على شاه المخلوع. ولد فى تبريز سنه ١٣١٤ هـ. و نصب ملكا على إيران سنه ١٣٢٧ هـ، و له من العمر اثنا عشر عاما، بعد خلع أبيه.

و إذ كان يومئذ دون سن البلوغ فقد أقيم عليه وصيان يتوليان شئون السلطنه بالنيابه عنه. أحدهما "عضد الملك قاجار" و قد تولاهما من ٢٨ جمادى الآخره سنه ١٣٢٧ هـ إلى ١٧ رمضان سنه ١٣٢٨ هـ، و الآخر "أبو القاسم خان ناصر الملك قره گوزلو"، و قد تولاهما مدته أربع سنوات.

و فى سنه ١٣٣٢ هـ بلغ السن القانونيه و تولى سلطاته بنفسه. و كان ذلك قبل ثمانيه أيام من نشوب الحرب الكونيه الأولى سنه ١٩١٤ م.

و استمر فى الملك مدته اثنتى عشره سنه خلع بعدها عن العرش فى سنه ١٣٤٤ هـ.

و سافر إلى أوروبا ثلاث مرات كانت أولاهما سنه ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م) فى عهد وزاره "حسن وثوق" الملقب بـ "وثوق الدوله" الثانيه. و هى الوزاره المعروفه باسم "وزاره المعاهده"، سميت بذلك لأنها أرادت أن تعاقدا انكلترا بمعاهده تضع إيران فى حمايه الإنكليز. و من أجل ذلك بعثوا به إلى لندن ليعلم موافقته على المعاهده و أمره بانفاذها. و رافقه فى هذا السفر وزير خارجيته "فيروز ميرزا نصره الدوله". و قد اجتهد هذا و "أبو القاسم ناصر الملك" غايه الجهد لحمله على إعلان موافقته على تلك المعاهده المشؤومه فى مجلس رسمى، ثم التوقيع عليها، فرفض. و أصر الإنكليز على ذلك فثبت لهم و ظل على صلابته و تشدده فى الامتناع. و أقامت له بلديه لندن مادبه رسميه خطب فيها رئيس البلديه و اللورد "كرزن" وزير خارجيه انكلترا. فلما أجابهما على خطابيهما تجنب كل إشاره قريبه أو بعيده إلى هذا الموضوع. حتى أن "ناصر الملك" همس فى أذنه أنه إن لم يوافق على المعاهده و لم يوقع عليها فمن الممكن أن يعود عليه ذلك بالضرر. و مع ذلك ظل ثابتا على موقفه يأبى التوقيع على مثل هذه المعاهده المذله.

و قد صح ما تنبأ به "ناصر الملك" فقد انتهى به إباؤه إلى الإضرار به.

ففى يوم السبت الثالث عشر من ربيع الثانى سنه ١٣٤٤ هـ عقد المجلس النيابى فى الدوره الخامسه جلسه غير قانونيه و قررت الأكثريه خلع أحمد شاه قاجار عن العرش. و عارض هذا القرار معارضه شديده فريق من عيون النواب، و لكن معارضتهم لم تأت بنتيجته.

و فى مساء ذلك اليوم ختمت غرف البلاط و قصر "گلستان" بالشمع و أخرجوا ولى العهد "محمد حسن ميرزا" من قصر "گلستان" مهانا ذليلا و نقلوه مخفورا إلى حدود العراق، خارج إيران. و قد توفى ولى العهد هذا فى سن ٤٢ فى لندن موتا فجائيا و حملت جنازته إلى كربلاء حيث دفن فى حرم الامام الحسين (ع).

وانتهت بخلع أحمد شاه سلطنه الأسره القاجاريه بعد أن دامت مائه و خمسين عاما. و خلفه على عرش إيران "السردار رضا خان"، و كان يومئذ رئيسا للوزاره و قائد الجيش العام. و أقام أحمد شاه بعد خلعه فى باريس، و ظل مده يتداوى من مرض به إلى أن توفى بسبب ورم فى كليته فى مستشفى بالقرب من العاصمه الفرنسيه فى ٢٦ رمضان سنه ١٣٤٨ هـ و هو فى الرابعه و الثلاثين من عمره، و حمل جثمانه إلى كربلاء حيث دفن فى مقبره أبيه و جدّه فى حرم الامام الحسين (ع).

و يعد أحمد شاه من خيره الملوك الذين تعاقبوا على حكم إيران. كان دقيقا فى تنظيم أموره ملتزما بالقانون و طنيا مخلصا لوطنه. و ما عرف عنه يدل على أنه كان شابا مؤدبا رحيم القلب عطوفا. هادئا متأنيا فى حديثه. و إذ كان جسمه قابلا للسمنه فقد كان يقل من الطعام. و يفضل الطعام الايرانى على الطعام الفرنجى. يكره المشروبات الكحوليه، زاهد فى التشريفات البلاطيه، بسيط السلوك، ديمقراطى الفطره، يحب الصيد و لعبه البليار و التنس، مولعا بالموسيقى الكلاسيكيه، و كان هيابا حذرا بعيد الغور واسع الحيله متحفظا مقتصدا بالفطره، مهتما بكنز الذهب و الفضة، يقطع قسما من مخصصاته الشهريه، و هى ثلاثون ألف تومان، فيخزنه. و استطاع أن يجمع ثوره جيده عن طريق المضاربه فى البورصه و المتاجره بالذهب. و كان شديد التعلق بارحامه، و لا سيما أبوه و أمه. و كان مبرئا من معايب محمد على شاه.

و كان نقش خاتمه:

"الحمد لله الغنى المجيد".

"إذ أراد الله أن يستعيد الملك و الدين رونقهما".

"فقد صار اسم السلطان أحمد قاجار نقشا لهذا الحجر الكريم".

و له خاتم آخر نقشه:

"الملك لله".

"السلطان أحمد قاجار سنه ١٣٣٢".

"أراد الله أن يصبح الملك عامرا بالعدل و الإنصاف".

"فاعطى خاتم السلطنه السلطان أحمد قاجار سنه ١٣٣٢". (١)

أحمد كبير سيد بن فتح حسين بن قربان على

ولد سنه ١٢٦٥ فى بيزه التابعه لجنور (الهند) و توفى فيها سنه ١٣٦٠.

من شعراء أهل البيت و له مجموعه كبيره من القصائد فى مدحهم و رثائهم.

درس فى (كواليار) ثم جاء مع ابن عمه إلى لاهور و أصبح مدرسا فى احدى المدارس الحديثه، ثم عاد إلى وطنه حيث توفى. (٢).

أحمد بن ماجد

مرت ترجمته فى المجلد الرابع من (المستدركات) و نضيف إلى ما هنالك ما يلى:

يقول الدكتور أنور عبد العليم فى مقال له فى العدد ٤٠٤ الصفحه ٨٠ و ما بعدها من مجله العربى (تموز ١٩٩٢):

لدينا تراث عربى قديم فى مجال علوم البحار، التسميه نفسها عربيه أما

ص: ٨٧

١- مهدي بامداد.

٢- مطلع أنوار.

الاسم الأعجمي (Occomogrophy) فلم يعرفه الأوروبيون إلا- أخيرا في القرن التاسع عشر، بعد رحله الاستكشاف البحريه (تشانجر)، التسميه العربيه جاءت قبل ذلك بكثير على يد (ابن ماجد)، عنوان كتابه (الفوائد في أصول علم البحار و القواعد). و عنوان الكتاب الثاني: (حاويه الاختصار في أصول على البحار).

هو إذن صاحب التسميه العربيه لهذا الاسم.

يقول الدكتور عبد العليم:...

و بدأت أتبع تاريخ و حياه ابن ماجد و أصدرت كتابي عنه (ابن ماجد الملاح). كنت متشككا في أنه هو الذي أرشد الملاح البرتغالي (فاسكو دي غاما)، و فعلا، لم يكن هو مرشده، و إنما بحار هندي.

و لم يكن ابن ماجد مجرد ملاح، فقد درس بعض الظواهر الطبيعیه في البحر مثل التيارات، و لون ماء البحر، كما وصف طبيعته القاع، و رصد بعض أنواع الحيوانات و الطيور البحريه، و وضع أسماء و مصطلحات عربيه علميه جميله.

أبو جعفر أحمد بن محمد المروزي أو المروزي

إشارة

هذا القاضي الشاعر الذي صحب الخلفاء الفاطميين الثلاثة: المهدي و القائم ثم المنصور، يدعى أيضا "المرودي" فلا نثق إذن بلقبه. كان أبوه "محمد بن عمر المروزي" أول قاض شيعي بالقيروان. و يقول أبو العرب في طبقاته أنه "تطاول على رجال صالحين فضربهم و حبسهم، و أتى عبيد الله من سجلماسه فاقره على القضاء...". و يظهر أنه تمادى في التنكيل بأهل السنه حتى كثر منه التشكى إلى المهدي فعزله و عذبه ثم قتله.

و تولى ابنه القضاء إلى زمن المنصور، فوجد بعض أخباره في سيره الأستاذ جودر (٢٥). و يروي لنا ابن خلكان في ترجمه المنصور العبيدي شاهدا على بديهه المروزي في استحضاره من الشعر المأثور ما يناسب المقام.

و هي روايه وردت أيضا مفصله في "اتعاظ الحنفاء" للمقرزي.

و لم نجد من شعر المروزي إلا- بضعه أبيات من أرجوزه مطوله تغنى فيها بمناقب الفاطميين، و تعرض في هذه الأبيات إلى انتصار المنصور على أبي يزيد. و عثرنا على أبيات أخرى في مدح المنصور، في تاريخ ابن حماد.

المقطوعه الأولى:

سرنا و قد حل بقرب طبنه و صار منه أهلها في محنه

فأعظم الله العزيز المنه و بدلوا من بعد نار جنه...

و بعدها باجه أيضا أفسدا و أهلها أجلى و منها شردا

و هدم الأسواق و القصورا و الدور قد فتش و القبورا

ثم إلى مدينه مرضيه أسست على التقوى مرضيه

فحل فى عسكره المسيله فى هيئه كامله جميله

ثم أتى بسكره النخيل قد اغتدى فى زيه الجميل

المصدر:

البكرى المغرب ص ٥١ إلى ٥٩.

المقطوعه الثانيه:

لما قرب المنصور منها (من باغايه) أنشده أبو يعلى المروزي:

لقد تاهت بطلعتك الغروبكما ابتهجت بدولتك القلوب

لقد زهت الخلافه إذ حداها نجيب راح يحمله النجيب

المصدر:

ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، نشر فوندار هايدن، الجزائر ١٩٢٧ ص ٢٥.

المقطوعه الثالثه:

بعد قتل أبي يزيد قال أبو يعلى المروزي:

يا خير من وهب العهود بعهده و حكى لنا بالعهد سيره جده

عجبا لمعتوه يحدث نفسه بوساوس فيها شقاوه جده

عاداك، و انسلخ الشقى من الهدى حتى أمرت بسلحه من جلده

المصدر:

ابن حماد: أخبار... ص ٢٧.

التعليق:

الأقرب إلى الظن عندنا أن أبا يعلى هذا - و أيضا أبو جعفر و أبو يحيى - إنما هو المروروذى شاعر المنصور و قاضيه. المعلوم أن المروروذى رافق المنصور أثناء مطاردته لصاحب الحمار. و هو فى المقطوعه الأخيره، يشير إلى عمليه سلخه و حشو إهابه بالتبن للتشفى منه. و قد رأينا وصفا لهذه النهايه الفظيعه عند الأيادى.

الشيخ أحمد المطهر الساوجى

ولد فى سنه ١٣٥٥ و توفى أول رمضان ١٤١١ قرأ المقدمات و المبادئ فى قم ثم حضر على أعلامها منهم السيد محمد الداماد و السيد محمد حسين الطباطبائى و فى حدود ١٣٨٥ هاجر إلى النجف الأشرف و حضر على السيد أبو القاسم الخوئى ثم اشتغل بالتدريس و التأليف و عاد مدرسا و مؤلفا و بعد الثوره الإسلاميه عينه الامام الخمينى إماما للجمعه فى مدينه ساوه. له مؤلفات عديده بالفارسيه و العربيه أهمها: مستند تحرير الوسيله فى عده مجلدات طبع فى قم. (١)

أحمد ملا الأعرج

توفى سنه ١٣٠١.

من فضلاء الهند، و أصله من كشمير و قدم فى شبابه إلى لكهنو و أكمل دراسته فيها و أجزى من بعض علمائها، و كانت شهرته فى علم النحو، و من مؤلفاته: حل غايه البيان، و هو فى علم الصرف العربى، و له حاشيه على الصحيفه الكامله.

أحمد الشيخ مهذب الدين الحيدر آبادى البصرى ابن عبد الرضا أو رضا

ولد سنه ١٠٢٠ و توفى سنه ١٠٨٥ على الأرجح فى التاريخين.

كان فقيها أصوليا محدثا متقنا لعلمى المعانى و البيان و الفلكيات. و من سنه ١٠٦٨ إلى سنه ١٠٨٠ وجد فى خراسان و يرجح أنه وجد سنه ١٠٨١ فى

ص: ٨٨

١- الشيخ محمد السامى.

دهلي و سنه ١٠٨٥ فى حيدرآباد. و نسبتبه (البصرى) ربما كانت لأنه ذهب إلى البصره. له من المؤلفات: ١ - "الرساله الاعتقاديه" كتبها فى إحدى القرى الواقعه قرب مشهد الرضا (ع) و هذه الرساله موجوده فى مكتبه الشيخ هادى كاشف الغطاء فى النجف الأشرف - ٢ - الدرہ النجفيه فى الأصول مع تقریظ الشيخ الحر العاملی موجوده فى مكتبه الشيخ هادى كاشف الغطاء فى النجف أيضا ٣ - الرساله الفلكيه ألفها سنه ١٠٧٧. ٤ - عهده الاعتماده فى كیفیه الاجتهاد ألفها سنه ١٠٨٠ فى كابل ٥ - كليات الطب سنه ١٠٨١. ٦ - رساله الحساب ٧ - رساله القیافه ٨ - رساله آداب المناظره ٩ - الزبده (فى المعانى و البيان) ١٠ - خلاصه الزبده ١١ - رساله رسم الخط ١٢ - رساله حساب العقود ١٣ - رساله الأخلاق ١٤ - جوابات المسائل ١٥ - غوث العالم فى حدود العالم ١٦ - رساله الحد ١٧ - تحفه ذخائر كنوز الأخبار ١٨ - رساله فى القراءه ١٩ - المنهج القويم.

السید أحمد هادى بن السید محمد

ولد سنه ١٣١٦ فى مدينه لكهنو (الهند) و توفى فيها سنه ١٣٩٢.

كان والده عالما جليلا فدرس عليه ثم انتمى إلى مدرسه (سلطان المدارس) حيث تخرج منها بشهاده (صدر الأفاضل) ثم صار مدرسا للأدب العربى فيها، و كان ينظم الشعر العربى. (١)

الشيخ أسد الله بن محمد صادق البروجردى النجفى الحائرى:

توفى حدود سنه ١٢٩٥.

من أكابر علماء عصره و مراجع التقليد. أخذ الأوليات على أفاضل علماء كربلاء ثم تخرج فى الفقه و الأصول على السيد إبراهيم القزوينى الحائرى صاحب الضوابط المتوفى سنه ١٢٦١ و ملا محمد صالح البرغانى الحائرى المتوفى سنه ١٢٧١ فى كربلاء ثم سكن النجف الأشرف و تصدر كرسى التدريس و الفتوى و الأمور الشرعيه. له مؤلفات منها كتاب صحيفه الشيعه فى أصول الدين، و مجمع الأحكام رساله عمليه لمقلديه. ذكره شيخنا الأستاذ فى طبقات أعلام الشيعه و الذريعه إلى تصانيف الشيعه. (٢)

أسماء صحابيه و راويه للحديث:

روت عن رسول الله (ص) فى باب دعاء الكرب و الهم و الحزن و الخوف، كما روى عنها جماعه منهم ثابت

قال أبو جعفر محمد الكلينى المتوفى سنه ٣٢٨ فى أصول الكافى (عده من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن عبد الرحمن بن أبى نجران، عن عاصم بن حميد، عن ثابت، عن أسماء قالت: قال رسول الله (ص) من أصابه هم أو غم أو كرب أو بلاء أو لأواء فليقل: (الله ربى و لا أشرك به شيئا توكلت على الحى الذى لا يموت).

و هى محدثه ثقه روت الحديث المذكور و ذكرها السيد الخوئى فى معجم رجال الحديث الجزء الثالث و العشرون صفحه ١٧٠.

(٣)

ملا إسماعيل ذبيحى، أو ذبيح اليزدى:

من شعراء أواخر القرن الحادى عشر، و من المعاصرين لمحمد طاهر النصير آبادى صاحب التذكرة:

جمعت مثنوياته القديمه و الحديثه سنه ١١٧٠ و هى محفوظه فى مكتبه المتحف البريطانى.

له: هديه الأحياب، و هى فى الغزل، و الزكسدان، و المثنوى نرجسدان، و هو مكون من ٦٥٠ بيتا فى قصه نرجس خاتون أم الامام الثانى عشر.

إسماعيل رئين

ولد عام ١٢٩٨ هـ و اغتيل عام ١٣٩٩ هـ و هو صاحب أشهر مؤلف عن الماسونيه فى إيران بدأ عمله كصحفى و مراسل ثم استمر فى دراسته عن تاريخ الأسره القاجاريه و له عدة كتب.

ترجع شهرته إلى كتابه عن الماسونيه فى إيران باسم (فراموش خانه و فراماسونرى در إيران) فإنه طبع الكتاب أولا بايطاليا فى نسخ معدوده لتعذر طبعه فى إيران فى العهد الملكى ثم طبع فى إيران و انتشر بسرعه مذهله و تلقفته الأيدى و كان لهذا الكتاب تأثيرات اجتماعيه و سياسيه كثيره حيث كشف عن أسماء الأسر و الشخصيات الماسونيه المرتبطه بالاستعمار - كما أنه قام بعد ذلك بطبع كتاب عن السياسه النفطيه البريطانيه فى إيران و قد أثار هذا الكتاب أيضا جدلا سياسيا واسعا فى إيران و له كتاب ثالث باسم (حقوق بگيران انگليس در إيران) حيث يتعرض للأسر التى كانت تقبض الأموال و الرواتب من بريطانيا أيام أمبراطوريتها فى الشرق و قد أثار هذا الكتاب أيضا حفيظه كثير من الأسر الأرستقراطيه. و أخيرا اغتيل فى ظروف غامضه حيث وجد مخنوقا فى أحد أزقه طهران.(٤)

الشيخ الميرزا إسماعيل الصوفى الاصفهانى:

كان حيا سنه ١٠٤٩ من أكابر الصوفيه و المرتاضين و فحول العلماء فى المعقول، أديب شاعر حكيم فيلسوف.

أخذ العلم فى أصفهان ثم هاجر إلى الهند و اشتغل فى الرياضيات حتى اشتهر أمره و طار ذكره فى الآفاق استقر فى كشمير و كان من مشاهير تلك البلاد. قابله صاحب كتاب (دبستان مذاهب) فى كشمير سنه ١٠٤٩ ثم اتهمه جماعه بالغلو و الإلحاد و دافع عن نفسه و رد على خصومه قائلا: (...)

نحمد الله أنا لم نلتق فى هذه الدنيا، و تزعم أنى ملحد و من أهل النار فى يوم القيامه، فلن نلتقى أيضا فى الجنه، فعليك أن تشكرنى لأنى تركت لك الدنيا و الآخره...). و من آثاره ديوان شعر و هذا البيت من نظمه:

بشكستم هر بتى كه در راهم بود باقيست بت خدا پرستيدن من

و كان له صولات و جولات فى ميدان التصوف، و هو من المؤسسين فيه و له أصحاب و تابعون فى كشمير

١- مطلع الأنوار.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٤- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

أشرف على بلگرامي

توفي في حدود سنة ١٢٧٠ في الهند.

من علماء الهند و فضلائها، أديبا باللغه العربيه، و هو من تلاميذ غفران مآب دلدار على. له عدده مؤلفات.

السيد أصغر حسين زنگي بوري

توفي بعد سنة ١٢٧٠.

كان يقيم في (يثنه) التابعه لمحافظة (بهار) بالهند إماما للجمعه و الجماعه فيها. و هو من الفضلاء الشعراء من تلاميذ المفتي محمد عباس، و كان يجيد اللغه الفارسيه، و له فيها تقرير شعري على مثنوى أستاذه المفتي (بيت الحزن).

أصغر حسين بن السيد فخر الدين

ولد في حدود سنة ١٣٢٥ في الهند و توفي سنة ١٣٦٢.

من سكان بلده (جندن بنى) التابعه لقضاء (دربهنكا) بالهند. عالم أديب خطيب. درس في لكهنو بالمدرسه الناظميه و كان من أساتذته: سبط الحسن و المفتي محمد على. ثم صار من مدرسيها.

من مؤلفاته: حواش على نقد الشعر لابن قدامه، و ديوان القصائد، و شرح قصيده الشنفرى.

المولوى اعجاز حسن حاجى أمروهى ابن المولوى محمد

ولد سنة ١٢٦٦ في أمروهه التابعه لقضاء مرادآباد (الهند) و توفي سنة ١٣٤٠.

درس في أمروهه على السيد أحمد حسين المتوفى سنة ١٣٢٨ ثم جاء إلى لكهنو فدرس على المفتي محمد عباس. و فى سنة ١٣٢٠ وقعت فتنه مذهبيه أدت إلى التقاتل فنال بسببها ضرر كبير.

كان من المساهمين فى تأسيس مدرسه (سيد المدارس) و عمل على تقدمها و رفع شأنها، كما كان له مساهمه كبرى فى مسار (شيعه كالج) و إيصالها إلى ما وصلت إليه، و كان يساعد فى طباعه الكتب الإسلاميه و نشرها.

له من المؤلفات: ١ - مفاتيح الطالب فى خلافه على بن أبى طالب، باللغه الفارسيه ٢ - كشف الخلافه ٣ - تفسير الآيات ٤ - معارج العرفان فى علوم القرآن ٥ - الشهابه فى معرفه الصحابه ٦ - كلمه الله العليا، و هو فى رد وحده الوجود ٧ - معيار الفضائل ٨ - ترجمه من لا يحضره الفقيه ٩ - تشقيق الأخبار فى رد الطاعنين على أحاديث الأئمه الأطهار، و غير ذلك. و كتبه مكتوبه اما بالعربيه أو الأردويه أو الفارسيه.

أعظم على بنگوروى

توفى حدود سنه ١٣٨٠.

هو من سكان بلده (بنگوره) التابعه لدهلى فى الهند، و أكثر سكان هذه البلده هم من سلاله الرسول (ص)، و هو من تلاميذ غفران مآب دلدار على. له من المؤلفات: بحث الحب، النساء و البنون، و غير ذلك.

السيد أكبر على الحسينى

توفى حدود سنه ١٣٣٠ فى الهند.

من مشاهير علماء الهند، و هو من تلاميذ غفران مآب دلدار على، و كان أديبا فى اللغه العربيه. له كتاب (ضياء الأبصار) فى مقتل الحسين (ع) باللغه العربيه.

أكبر مهدي سليم بن حيدر مهدي

ولد حدود سنه ١٣٠٠ فى جرول (قضاء لكهنو) بالهند و توفى فيها سنه ١٣٦٦.

من فقهاء الهند الذين أجادوا اللغه العربيه و اللغه الفارسيه مع اللغه الأردويه. له كتاب (جواهر البيان) وضعه لقراء التعزیه فى مجالس العزاء.

السيد أكرم على بنارسى

توفى فى بنارس بالهند.

من أنجب تلاميذ غفران مآب دلدار على، كان مشهورا بالفقه و العقائد له من المؤلفات: الشواهد الفلكيه، و هو رد على (تبصره المسلمینلسلامه على بنارسى).

ألف حسين

توفى حدود سنه ١٣٥٠ من فضلاء الهند. من مؤلفاته: كتاب (معجزه الفرقان).

أم أحمد بنت موسى زوجة الامام موسى بن جعفر ع و وصيته:

توفيت بعد سنه ١٢٩ [١٩٢].

عالمه فاضله من رواه الحديث و أصحاب الامام موسى بن جعفر ع و وصيته كما نص فى وصيه الامام ع المذكوره فى عيون أخبار الرضا الجزء الأول صفحه ٣٤ و روت فى باب غسل يوم الجمعة عن الامام موسى بن جعفر ع.

قال أبو جعفر محمد الكلينى فى فروع الكافى: (عده من أصحابنا عن أحمد بن محمد عن الحسين بن موسى عن أمه و أم أحمد

بنت موسى قالتا: كنا مع أبي الحسن ع بالباديه و نحن نريد بغداد فقال لنا يوم الخميس اغتسلا اليوم لغد يوم الجمعة فان الماء بها غدا قليل، فاغتسلنا يوم الخميس ليوم الجمعة).

ذكرها جماعه من الرواه فى الكتب الرجاليه منهم الأردبيلى الحائرى فى جامع الرواه الجزء الثانى صفحه ٤٥٥ و السيد الخوئى فى معجم رجال الحديث ج ٢٣ ص ١٧٢-١٧٣ و قال الشيخ ذبيح الله المحلاتى فى كتابه رياحين الشريعه الجزء الثالث صفحه ٣٥٨-٣٥٩ ما هو تعريبه: من أعظم نساء عصرها و زوجها الامام موسى بن جعفر ع و كانت صاحبه دهاء و حزم و عقل راجح. عند ما أراد الامام السفر إلى العراق جعلها وصيته و وضع وديعه الامامه عندها... ثم يقول و هى أم الشاه زاده أحمد دفين شيراز المعروف ب (شاه چراغ) و قبره مزار معروف فى إيران يقصده الوافدون من كل حدب و صوب و له كرامات معروفه. (١)

ص: ٩٠

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

أم برده و اسمها خوله مشهوره بكنيتها بنت المنذر بن زيد بن لبيد بن حراث بن عامر بن عدى بن النجار الأنصاريه النجاريه.

قال ابن سعد فى الطبقات الكبرى... لما ولد إبراهيم (ابن رسول الله) تنافست فيه نساء الأنصار أيتهن ترضعه فدفعه رسول الله (ص) إلى أم برده بنت المنذر... و زوجها البراء بن أوس بن خالد بن الجعد بن عوف بن مبدول بن عمرو بن غنم بن عدى بن النجار فكانت ترضعه و كان يكون عند أبويه فى بنى النجار و ياتى رسول الله (ص) أم برده فيقبل عندها و يؤتى بإبراهيم...).

و قال عز الدين بن الأثير فى أسد الغابه ج ٧ ص ٣٠٥ و قال ابن حجر فى الاصابه ج ٤ ص ٤١٧ اسمها خوله مشهوره بكنيتها أم برده الأنصاريه أمها زينب بنت سفيان بن قيس بن زعوراء من بنى عدى بن النجار تزوجها البراء بن أوس بن الجعد بن عوف بن مبدول و هى التى أرضعت إبراهيم بن النبى (ص) دفعه إليها لما وضعت ماريه فلم تزل ترضعه حتى مات عنها...

ولد إبراهيم فى ذى الحجه سنه ثمان للهجره.(١)

أم بكر:

من راويات الحديث روت عن أبى عبد الله الامام جعفر الصادق ع ذكرها أبو جعفر احمد البرقى فى رجاله ص ٦٢ و السيد الخوئى فى معجم رجال الحديث ج ٢٣ ص ١٧٤.(٢)

أم حبيب بنت ربيعة:

زوجه أمير المؤمنين على بن أبى طالب ع، رزقت منه عمر و رقيه توأمين و تزوج رقيه مسلم بن عقيل بن أبى طالب ع، و صحبت أولادها مع سيد الشهداء أبى عبد الله الحسين ع من المدينه إلى كربلاء.(٣)

أم حبيبه:

من راويات الحديث ذكرها الشيخ الطوسى المتوفى سنه ٤٦٠ فى رجاله ص ٣٢ من الطبعة النجفيه من أصحاب رسول الله و تقى الدين الحسن الحلى المعروف بابن داود فى رجاله من أصحاب رسول الله (ص) و ذكرها جماعه منهم الأردبلى [الأردبلى] الحائرى فى جامع الرواه ج ٢ ص ٤٥٥ و السيد الخوئى فى معجم رجال الحديث ج ٢٣ ص ١٧٥ و غيرهم.(٤)

أم حذيفه اليمان القطعى

من صحبايات رسول الله (ص):

من راويات الحديث، قال فى أعيان الشيعة فى ترجمه ابنه حذيفه بن اليمان القطعى العبسى (... فى الاستيعاب أمه امرأه من الأنصار من الأوس من بنى عبد الأشهل اسمها الرباب بنت كعب بن عدى بن عبد الأشهل، و نحوه فى الطبقات و تاريخ بغداد...).

قال المؤرخ المعاصر الشيخ ذبيح الله المحلاتى فى الجزء الثالث من رياحين الشريعة صفحه ٣٧٦ نقلا عن ابن منده و أبو نعيم انها

روت عن ابنها حذيفه عن رسول الله (ص) أن الحسنو الحسين ع سيدا شباب أهل الجنة و فاطمه الزهراء ع سيده نساء العالمين.

(٥)

أم الحسن بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع:

أمها أم سعيد بنت عروه بن مسعود الثقفي تزوجت ابن عمتها جعده بن أبي هبيرة بن أبي وهب المخزومي، و أم جعده هي أم هاني بنت أبي طالب أخت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع، و بعد وفاه جعده تزوجها جعفر بن عقيل. (٤)

أم الحسن النخعيه:

محدثه ثقه، روى عنها عثمان بن عيسى عن أبي زهره عنها عن أمير المؤمنين ع في باب النوادر في آخر كتاب المعيشه و في كتاب التهذيب باب المكاسب.

قال شيخ الطائفة أبو جعفر محمد الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠:

(محمد بن أحمد بن يحيى عن محمد بن عيسى عن الحسن بن علي عن عثمان بن عيسى عن أبي زهره عن أم الحسن النخعيه قالت: مر بي أمير المؤمنين ع فقال: أى شيء تصنعين يا أم الحسن قلت: أغزل، قالت:

فقال أما أنه أحل الكسب).

ذكرها الأردبيلي الحائري في جامع الرواه ج ٢ ص ٤٥٥ و سيدنا الأستاذ في معجم رجال الحديث ج ٢٣ ص ١٧٥ و غيرهم. (٧)

أم الحسين بنت السيد الحسن بن السيد علي بن السيد الحسن الحسينى المدنى:

توفيت بعد سنة ٩٨٣.

أخذت العلم و فنون الأدب عن رجال أسرتها حتى نبغت و كانت من فواضل نساء عصرها. أجازها الشيخ عز الدين الحسين بن الشيخ عبد الصمد بن الشيخ شمس الدين محمد الجبى العاملى الحارثى الهمدانى المتوفى سنة ٩٨٤ والى الشيخ البهائى باشتراك مع والدها و أخوتها باجازه مؤرخه سنة ٩٨٣ فى سفر الحج بمكة المكرمه و ذكر الإجازة شيخنا الأستاذ آقا بزرگ الطهرانى فى موسوعته الذريعه و قال: (إجازته للسيد الحسن بن علي بن الحسن المشهور بابن شدم المدنى و لأولاده السيد محمد و السيد علي و السيد حسين و أختهم أم الحسين كتبها لهم عام تشرفه بمكة المعظمه و نزوله بدار المجاز بعد يوم الغدير سنة ٩٨٣ مختصره أوردها فى الرياض فى ترجمه المجاز له).

أقول: و يظهر من القرائن أنها كانت عالمه محدثه ذكرها صاحب رياضين الشريعه و غيره. (٨)

- ١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٥- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٦- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٧- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٨- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

أم حكيم بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر:

زوجه القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر الطيار، و رزقت منه داود بن القاسم المشهور بأبي هاشم الجعفرى. قال ابن داود الحلبي في رجاله: (داود بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أبو هاشم الجعفرى عظيم المنزله شريف القدر ثقته). أقول وقد أدرك الامام الرضا ع و لازم الامام الجواد و العسكريين ع. ذكره في أعيان الشيعة الجزء السادس صفحه ٣٧٧-٣٨١. كما ذكره ابن الأثير ثم ذكر قسما من شعره. و أم حكيم المترجم لها هي أخت أم فروه أم الامام جعفر الصادق ع و أمهم أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر. و كان القاسم بن محمد أحد الفقهاء السبعة و من أصحاب الامام زين العابدين على بن الحسين ع. (١)

أم كلثوم بنت الامام زين العابدين على بن الحسين بن أبي طالب ع:

نشأت في حجر أبيها الامام زين العابدين ع و لما بلغت سن الرشد زفوها إلى داود بن الحسن المثنى بن الامام الحسن السبط بن على بن أبي طالب ع و رزقت ولدان هما سليمان و عبد الله. و حفيدها محمد بن سليمان بن داود بن الحسن المثنى هو الذى خرج بالمدينه.

و كان داود بن الحسن المثنى زوج أم كلثوم ولى صدقات أمير المؤمنين ع نيابه عن أخيه عبد الله المحض كما نص على ذلك أبو الحسن العمري في كتابه المجدى و قال ابن عنبه المتوفى سنة ٨٢٨ فى عمده الطالب: (... داود بن الحسن المثنى بن الحسن بن على بن أبي طالب ع و يكنى أبا سليمان كان يلى صدقات أمير المؤمنين ع نيابه عن أخيه عبد الله المحض، و كان رضيع جعفر الصادق ع و حبسه المنصور الدوانيقي فأفلت منه بالدعاء الذى علمه الصادق ع لأمه أم داود و يعرف بدعاء أم داود و بدعاء يوم الاستفتاح و هو النصف من رجب و توفى داود بالمدينه و هو ابن ستين سنه و عقبه من ابنه سليمان بن داود، أمه أم كلثوم بنت زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبي طالب ع و أعقب سليمان من ابنه محمد بن سليمان، و يلقب البربرى و خرج بالمدينه أيام أبي السرايا...). و جاء ذكرها فى جميع كتب الأنساب. (٢)

أم كلثوم بنت القاسم بن محمد بن جعفر بن محمد الباقر بن زين العابدين على بن الحسين بن أبي طالب ع:

نشأت فى حجر أبيها و لما بلغت سن الرشد زفوها إلى موسى بن إسماعيل بن موسى الكاظم ع. ذكرها الأستاذ عمر رضا كحاله فى أعلام النساء عن خطط المقرئى و سماها كلثوم، و قال (كلثوم بنت القاسم بن محمد بن جعفر الصادق: من ربات العباده و الصلاح و الزهد و الورع لها مشهد فى مصر) (٣) و قال المؤرخ المعاصر الشيخ ذبيح الله فى كتابه رياحين الشريعة الجزء الثالث صفحه ٤٣٣ ما هو تعريبه: أم كلثوم بنت قاسم بن محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين ع تزوجها موسى بن إسماعيل بن موسى الكاظم ع و رزقت منه جعفر بن موسى بن إسماعيل بن موسى الكاظم ع و كانت من ربات الزهد و العباده و لها مشهد فى القاهره قريب من خندق فى مقابر قریش.

السيد أمجد حسين الله آبادى بن منور على

ولد حدود سنه ١٢٨٠ فى مدينه الله آباد (الهند) و توفى فيها سنه ١٣٥٠.

كان والده فاضلاً وجيهاً وبدأ ابنه المترجم دراسته عليه ثم جاء إلى لكهنو لمتابعه الدراسة فكان من أساتذته فيها المفتي محمد عباس والسيد أحمد علي آبادي وغيرهما. ثم عاد إلى الله آباد و صار فيها إماماً للجمعة والجماعة.

ثم سافر إلى العراق فدرس على اعلام النجف كالشيخ محمد الرشتي و الشيخ محمد طه نجف و السيد محمد كاظم الطباطبائي و أجاز منهم. و بعد إقامه عشر سنوات و ستة أشهر في النجف عاد إلى الهند و استقر في الله آباد.

من مؤلفاته: زبده المعارف (في أصول الدين)، وسيله النجاه في أحكام الصلاة، خلاصه الطاعات في أحكام الجمعة و الجماعات، الحاشيه الرضيه على البهجه المرضيه.

امداد إمام

ولد سنة ١٢٦٥ في قضاء بتنه التابع لمحافظة بهار في الهند و توفي فيها سنة ١٣٥٣ هو من نسل فيروز جنك الحاجي محمد سعيد خان رئيس أركان دوله (شاه جهان) و (أدرنگ [اورنگ] زيب). و اجداره [أجداده] من أمراء المغول. و كان والده كذلك من الأمراء و هو عالم فاضل.

درس المترجم في (بهار) ركان يجيد اللغات العربيه و الإنكليزيه و الفارسيه مضافاً إلى الأرديه، و جمع بين الدراستين الحديثه و القديمه، و كان يتعاطى الطب. له من المؤلفات: ١ - مصباح الظلم ٢ - ديوان كليات أثر ٣ - كاشف الحقائق ٤ - مرآه الحكماء ٥ - كتاب الأثمار ٦ - منظر المصائب.

السيد امداد حسين كاظمي بن عباس علي

ولد سنة ٣١٩ [١٣١٩] [ب] في البنجاب (الهند) و توفي فيها سنة ١٣٩٥.

كان جده السيد رمضان علي من كبار الفقهاء في عصره، و كان خطيباً مؤثراً. درس المترجم في (وزير آباد) و (كوجرا نواله) و (لاهور)، و اتمى إلى جامعه البنجاب و تخرج منها.

كان يقوم بجولات تبليغيه في الهند، في آسام و مدارس و البنغال، كما كان يوالى صحف الهند و الباكستان بمقالاته الإسلاميه و الاجتماعيه. و تولى لفته إداره مجله (صوفي)، و كتب في بعض المجلات الصادره باللغه الإنكليزيه في لندن.

كان يميل إلى الطريقه الاخباريه، و أصيب في أواخر حياته بالفالج، و لكن ذلك لم يمنعه من إدامه القراره و الكتابه. و كانت لديه مكتبه حافله.

و من مخطوطاتها كتاب (الكافي) و عليه إجازة بخط الشيخ محمد باقر المجلسي منحها للشيخ محمد الأردبيلي.

من مؤلفاته: ١ - ترجمه و تفسير للقرآن باللغه الأردويه ٢ - فتنه التفسير

-
- ١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
 - ٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
 - ٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

بالرأى ٣ - فاطمه ٤ - بركات محرم و هو فى الرد على كتاب: بدعات محرم ٥ - تطبيق الشهاده ٦ - الأعمال الواجبه ٧ - معلم الإسلام ٨ - أخلاق المعصومين ٩ - استقرار حق عزادارى.

و أغلب هذه الكتب باللغه الأردويه.

الراجح امداد على بن رحمان بخش

ولد فى لكهنو (الهند) و توفى فيها ١٢٩٢.

هو من راجات الهند درس فى لكهنو على السيد على حسن كنتورى ثم على أعظم على أحد تلاميذ غفران مآب دلدار على. و قد انصرف إلى التفسير و الأدب. من مؤلفاته: ١ - منهج السداد (تفسير للقرآن) ٢ - شرح الخطبه الشقشقيه ٣ - شرح مقامات الحريرى ٤ - رساله فى المنطق.

إنشاء الله خان

ولد سنه ١١٧٠ فى مرشدآباد (الهند) و توفى سنه ١٢٣٥.

والده نجفى الأصل جاء فى عصر (شاه عالم) إلى دلهى ثم انتقل إلى لكهنو، و قد ولد والده المترجم فى مرشدآباد و لكنه نشأ فى لكهنو. ترك من المؤلفات ١ - كليات، و هو مجموعته شعريه باللغات العربيه و الفارسيه و الأردويه ٢ - دربائى [درىاى] لطافت (لطفه البحر) و هو فى الشعر ٣ - لطائف السعاده ٤ - سلك گوهر (سلك الجواهر).

أنور حسين

توفى قبل سنه ١٣٦١.

هو من بلده (سرما) التابعه لقضاء (شاه آباد) فى الهند. كان معدود من علماء و فضلاء الهند، تخرج من المدرسه النظيميه و كان من أساتذته كل من مظاهر حسين و المفتى أحمد على.

كان شاعرا باللغه العربيه و قد شرح احدى قصائد السيد الحميرى.

أولاد حسين الأمروهى

ولد سنه ١٢٦٨ فى (أمروهه) التابعه لقضاء (مرارآباد) فى الهند. و توفى سنه ١٣٣٨.

ولد فى بيت علمى دينى و قد درس أولاً فى أمروهه ثم جاء إلى لكهنو لإكمال الدراسه فتخرج فى العلوم المعقوله و المنقوله على علمائها و عاد إلى بلده. كانت له مكتبه كبيره، و كان شاعرا اسمه الشعرى (سليم) و قد نظم الشعر بالعربيه و الفارسيه فضلا عن الأردويه، و اشتهر بما كان ينظمه فى تاريخ الوفيات و الولادات.

له من المؤلفات: ١ - نيرنگ زمانه (عصر جديد) ٢ - طرفه العين ٣ - دلائل الحسين ٤ - جراغ ايمان (مصباح الايمان) ٥ - الاشاعه فى شرح نهج البلاغه ٦ - نظم الفرائض.

أولاد حسين لكهنوى

توفى سنه ١٣٧٣ فى الهند.

خطيب و شاعر هندى. له كتاب (تذكره الأصحاب).

أولاد حيدر

توفى سنه ١٣٤١ فى الهند.

خان بهادر سيد اولاد حيدر، هكذا كان يقال له، و هو من الوجهاء النافذين فى بلده بلگرام بالهند، و على الرغم من أنه لم يدرس دراسه منتظمه فقد كانت له رغبه شديده فى التاريخ و سير النبي (ص) و الأئمه (ع) فكان يقرأ كثيرا، ثم انصرف إلى التأليف عن الأئمه (ع)، و يقال أن ما كتبه عنهم باللغه الأردويه لم يباره به أحد.

و مؤلفاته هي: ١ - تفسير القرآن ٢ - أسوه الرسول، و هو فى سيره النبي (ص) فى ثلاثه مجلدات ضخمه ٣ - سراج مبین، و هو فى سيره أمير المؤمنين على (ع) ٤ - سر و چمن، و هو فى سيره الحسن (ع) ٥ - ذبح عظيم، و هو فى سيره الحسين (ع) ٦ - صحيفه العابدین، و هو فى سيره على بن الحسين (ع). و هكذا إلى آخر سير الأئمه.

و عدا ذلك فله: تاريخ محافظه بهارواريه، و گلدسته مؤمنين، و هو قصائد فى الأئمه.

السيد أولاد حيدر البلگرامى الهندى:

من فحول محققى الشيعة فى الهند و أكابر العلماء الأجلاء فى القرن الرابع عشر للهجره. مؤلف مكثر.

لم أقف على تاريخ ولادته و وفاته. أخذ العلوم الإسلاميه على أكابر علماء الهند ثم قضى عمره فى التحقيق و التأليف و الإرشاد و بث المعارف الشيعيه فى الهند. له مؤلفات كثيره مطبوعه و مخطوطه. من مؤلفاته المطبوعه التى ذكر قسما منها شيخنا الأستاذ الامام الطهرانى فى موسوعته الذريعه إلى تصانيف الشيعة: ترجمه القرآن إلى الأردو، الآثار الجعفرية فى سوانح الامام الصادق ع، أسوه الرسول (ص)، التحفه الرضويه فى سوانح الامام الرضا ع، الدر المقصود، الذبح العظيم، الزهراء فى سوانح و تاريخ حياتها، سرور چمن فى سوانح و حياه الامام الحسن العسكرى ع، المآثر الباقرية، المحاسن، سيره الامام على النقى ع و غيرهما [غيرها] من الكتب المطبوعه. (١)

ايرج ميرزا:

توفى سنه ١٩٢٥ م.

عاصر إيرج ميرزا حركة البعث الأدبي و أسهم بنصيب كبير فى تطوير الشعر الفارسى، فكان من أوائل من حملوا لواء التجديد فيه و يعد شعره مثالا رائعا للشعر الغنائى الوجدانى فى العصر الحديث، و يمثل فى الأدب الفارسى مدرسه الشاعر أحمد شوقى فى الشعر العربى، و كان شعره صدى لعصره يمثل واقعيه صادقه، و يترجم عن مشاعر الشعب و أحاسيسه، و يقل عنده شعر المناسبات.

و لقد عالج "إيرج" - إلى جانب الشعر الوجدانى و الوطنى و الاجتماعى - الشعر المسرحى فوفق فيه إلى حد كبير، و من مسرحياته الجيده

ص: ٩٣

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

"زهرة و منوچهر" و هي مسرحيه غراميه من الأدب الواقعي تصور عاطفه الحب بمعناه المادى حين يقع فى سن الشباب، و تكتمل له بواعثه و دواعيه.

و من قصائده المشهوره نشير إلى بعضها بالعناوين الآتية.

بيجاره مادر (مسكينه أمى) و آه از اين مستى (آه من هذا السكر!) كارگر و كار فرما (العامل و صاحب العمل) - قوى و ضعيف - دو روباه (ثعلبان).

و حينما يحس "إيرج" أن أيامه الباقية فى هذه الحياه الدنيا أصبحت قليله، يودعها بنظره آسفه على الماضى، و أمل فى أن يذكره الأحياء الذين يستمتعون بعده بمباهجها، و هذه ظاهره تغلب على كثيرين من الشعراء الايرانيين.

و يرسل إيرج وداعه ذاك لحنا يفيض رقه و عذوبه، و يسرى فيه الأسى و الحسره، و إليك بعض أبيات هذه القصيده التى جعل عنوانها "اكتبوا على قبرى".

إن الراقد فى هذا القبر هو إيرج! إيرج المغنى الحلو اللسان...! قد غطى التراب عينيه...! لقد انطوى قبر هذا المحب الصادق على دنيا من الحب مدفونه كان العشق فنى و أنا حى و لذا، فان قبرى مدفن العشق ها أنا ذا فى الموت كما كنت فى الحياه احتضن كل ثنيه شعر شقراء، و كل وجه مليح أننى أنا الرجل نفسه الذى عرفتموه الرجل الذى قضى كل ساعه من العمر معكم فما ذا لو تركت هذا العالم إننى على الطريق انتظر الانضمام إليكم و مهما يكن مرقدى فى هذا القبر فان عينى مفتوحه تترقبكم فلتجلسوا عند قبرى لحظه و لتمر أقدامكم فوق ثراى (و حسبى منكم) أن تذكرونى فى حديثكم حيناً فتسعدوا قلبى: و هو فى قلب الثرى "

السيد باقر حسين

توفى بعد سنه ١٣٢٠ فى الهند.

كان من وجهاء (جون پور) بالهند. ترجم إلى الأردويه كتاب مقتل أبى مخنف، و كتاب اللهوف، و كان ينظم الشعر باللغه العربيه، ميالا إلى دراسه التاريخ.

السيد باقر و يقال محمد باقر الشخص ابن على

ولد فى القاره من قرى الإحساء سنه ١٣١٥ و توفى سنه ١٣٨١ فى النجف اصطحبه والده و هو طفل مع أخويه السيد أحمد و السيد عبد الحسين إلى النجف سنه ١٣٢١ فنشأ فيها و درس المقدمات على بعض الأفاضل، ثم كان من أساتذته كل من السيد ناصر الاحسائى و الميرزا حسين النائينى و الشيخ ضياء العراقى و غيرهم. و أجزى عده إجازات. ثم استقل بالتدريس طيله خمسين سنه فتخرج عليه كثير من الفضلاء العراقيين و العاملين، و ترك عده مؤلفات بينها تقاريرات بعض أساتذته، و كتاب فى تمام الأصول العمليه، و كتاب فى الأوامر و النواهى، و رساله فى الاجتهاد و التقليد، و كتاب فى المكاسب المحرمه و غير ذلك.

و مما رثى به قول الشيخ محمد على يعقوبى من قصيده:

إذا عقد النادى و عدت رجاله فأول ما تشنى عليك الخناصر

السيد باقر مهدي ابن السيد ظفر

ولد سنة ١٢٧٦ فى الهند و توفى سنة ١٣١٢.

هو من قضاء بهرائج فى الهند. كان فقيها فاضلا محدثا خطيبا شاعرا، يقوم بامامه الجمعة و الجماعة فى بلده. له من المؤلفات: مواظ باقرية، مجموعته خطوط عربية.

بدر جهان بنت محمد جعفر العرب:

كانت حيه سنة ١٢٢٠.

صاحبه خيرات و مبرات و محبه للعلم و العلماء ولدت و نشأت فى بلاط أبيها محمد جعفر خان العرب حاكم بسطام و عند ما بلغت سن الرشد زفوها إلى السلطان فتح على شاه القاجارى و هى زوجته الأولى و كانت من أظهر نساء البلاط القاجارى و هى والده حسين على ميرزا فرمان فرما و حسن على ميرزا شجاع السلطنة و ثلاث بنات و هم همايون سلطان خانم و بيگم خان خانم و و سيد بيگم خانم. ذكرها ميرزا محمد حسن خان اعتماد السلطنة فى كتابه خيرات حسان.

عند ما هاجم الوهابيون كربلاء سنة ١٢١٦ و قتلوا النفوس و أحرقوا و هدموا و خلفوا وراءهم الدمار و سلبوا و نهبوا مدينه الحسين ع هرعت لنجدته كربلاء و أقامت بها تعميرات واسعة فى الروضه الحسينيه و المدارس الدينيه و دور للفضلاء و طلاب العلوم الدينيه. و عينت رواتب شهرية للفقراء و المعوزين ثم أوقفت الدور على العلماء و الفضلاء و ذلك سنة ١٢٢٠ و رأيت بعض الوقفيات عند فضلاء كربلاء و عندنا وقفه جعلت فيها التوليه بيد أعلم علماء كربلاء مؤرخه فى رجب سنة ١٢٢٠. (١)

بدر جهان بيگم بنت السيد محمد خان الصفوى:

توفيت سنة ١٠٦٢ فى أصفهان و دفنت فى بقعه شاهزادگان (الأمراء).

من فواضل نساء الشيعة فى عصرها ذات دين و صلاح و من أهل البر و الإحسان ولدت و ترعرعت فى البلاط الصفوى و أخذت العلم و الفضل من علماء أصفهان و اختلطت بالعلماء و الشعراء و كانت دارها مجمع الأدباء و الشعراء و مركز العلماء و الفضلاء و هى حفيده زيده بيگم بنت الشاه عباس

ص: ٩٤

الصفوى ذكرها جماعه من المؤرخين منهم السيد مصلح الدين المهدوى فى كتابه تذكره القبور صحيفه ٢٩ و ٣٣ و صاحب كتاب گنجينه آثار تاريخى أصفهان الصفحه ٦٠٣ و رثاها جماعه من الشعراء و الأدباء و جاء فى تاريخ وفاتها شعرا:

فشاند از پى تاريخ أشك تيره كه زود نمود چهره نهان بدر همچو يكشنبه ماه

١٠٦٢ هجرية (١)

بليغه الشيرازيه:

أديبه فاضله متكلمه شاعره.

توفيت حدود سنه ١٢٦٠.

لم أقف على تاريخ ولادتها كانت من شاعرات النصف الثانى من القرن الثالث عشر معاصره للسلطان فتح على شاه القاجارى الذى استلم العرش عام ١٢١٢ و المتوفى سنه ١٢٥٠ و الشاعره قره العين المقتوله فى سنه ١٢٦٨ و من أقدم المصادر التى ذكرتها ما ذكره محمد مظفر حسين بن مولوى محمد يوسف على المتوفى سنه ١٢٩٧ فى كتابه (روز روشن) صفحه ١١٨ و نقل عنه الوزير محمد حسن خان اعتماد السلطنه المتوفى سنه ١٣١٣ فى كتاب خيرات حسان و وصفها بأنها أديبه شاعره متكلمه فصيححه ثم ذكر عن صاحب كتاب روز روشن نموذجا من شعرها الفارسى هذا البيت:

شب سگ كويت بهر جائي كه پهلو مى نهى روز خورشيد آن زمين را بوسه و رومى نهى

و ذكرها جماعه من أهل الفضل منهم محمد حسين آدميت فى كتابه دانشمندان و سخن سرايان فارس صفحه ٤٦٠ و صاحب كتاب پرده نشينان سخنگوی صفحه ٨٦ و غيرهما من المحققين و المؤرخين. (٢)

بنت حسام سالار:

عالمه فاضله أديبه من شواعر الشيعة فى مطلع القرن الحادى عشر للهجره لم أقف على تاريخ ولادتها و وفاتها إلا أنها كانت معاصره للشاه عباس الكبير الصفوى المولود فى سنه ٩٧٨ و المتوفى سنه ١٠٣٨ أخذت العلم و فنون الأدب من أفاضل علماء عصرها و نبغت فى فنون الأدب و الشعر ذكرها شيخنا الأستاذ فى موسوعته الذريعه إلى تصانيف الشيعة الجزء التاسع القسم الأول صحيفه ١٤٢ نقلا عن كتاب گلشن ص ٦٨. (٣)

بنت الشيخ عزيز الله بن الشيخ محمد تقى المجلسى الأول ابن مقصود على المجلسى الاصفهانى:

توفيت بعد سنه ١١١٠ فقيهه محدثه عالمه فاضله بصيره بالكلام و من ربات الفصاحه و البلاغه. ذكرها فى أعيان الشيعة الجزء الثالث ص ٦٠٧ و قال: لم نعرف اسمها و نزيد على ذلك ما يلى: لم أقف على اسمها و تاريخ ولادتها و وفاتها إلا أنها ولدت فى أصفهان فى بيت علم و فضل و ترعرعت فى أحضان الفضل بين آل المجلسى من أرفع بيوت العلم و أعرق الأسر العلميه فى أصفهان حيث نبغ منهم جمهور كبير من حملة لواء العلم و كان والدها الشيخ عزيز الله المجلسى المتوفى سنه ١٠٧٤ المترجم فى

أعيان الشيعة ج ٨ ص ١٤٤ من أعلام أصفهان و عمها الشيخ محمد باقر المجلسي المتوفى سنة ١١١٠ صاحب البحار شيخ الإسلام في عصره و جدها الشيخ محمد تقي المجلسي الأولى من مشايخ علمائنا و عمتها آمنه بيگم المار ذكرها من أعلام نساء عصرها.

أخذت المقدمات و العربية و فنون الأدب على أعلام أسرتها و تخرجت في الفقه و الحديث على والدها و عمتها آمنه بيگم و سائر رجال بيتها الجليل.

ذكرها الشيخ محمد على المدرس التبريزي في ریحانه الأدب الجزء السادس ص ٣٦٦ و ترجم لها السيد مصلح الدين المهدوي و وصفها في كتابه تذكره القبور قائلا (... من أرباب الكمال و كانت في مصاف العلماء المعدودين و أعلام نساء عصرها...).

لها مؤلفات و تحقيقات منها مجموعه المسائل الفقهية، تعاليق على كتاب من لا يحضره الفقيه، مجموعه رسائل (٤).

بنت عمر بن يزيد:

عالمه محدثه راويه للحديث روت عن أبيها عن الامام أبي عبد الله جعفر الصادق ع و روى عنها عدة من أصحابنا.

ذكرها السيد الخوئي في معجم رجال الحديث ج ٢٣ ص ١٨٢.

بهادر على ميرزا حيدر آبادي بن محمد رضا

ولد سنة ١٢٩٤ في حيدرآباد (الهند) و توفي فيها سنة ١٣٥٧ من فضلاء الهند، أسس مدرسه باب العلوم و مكتبه كبيره، و تولى التدريس في (جاگیر دار كالج) حتى وفاته.

له من المؤلفات: طريق الشريعة. رباعيات صفى. عرفان صفيتههيل المنطق. مصباح الهداية. تسيح فاطمه. أخلاق آصفى.

السيد أكبر شاه بن السيد مختار

و يتصل نسبه بأبي الفتح الجيلاني توفي سنة ١٣٠٩.

درس في لكهنو (الهند) و كان أدبيا طبييا يجيد اللغة العربية، ميالا إلى التاريخ. له من المؤلفات: سبيكه الذهب في معيار الأدب. و كتاب في التاريخ، عنى فيه. بسيره أبي الفتح الجيلاني.

السيد إقبال رضا بن السيد محمد

(٥) توفي [ولد] حدود سنة ١٣١٥ في لكهنو (الهند) و توفي فيها سنة ١٣٦٢ كان أدبيا شاعرا فاضلا، طبييا على الطريقه القديمه.

درس في مدرسه سلطان المدارس، و نظم في مدح الأئمه (ع) شعرا

- ١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٥- هذه الترجمة و التى قبلها آخرتا عن مكانهما سهوا.

باللغات الأردويه و العربيه و الفارسيه.

بى بى و يقال بيدلى الأنصاريه الهرايه:

توفيت قبل سنه ٨٩٥.

عالمه فاضله أديبه شاعره فقيهه لم أقف على تاريخ ولادتها إلا- أنها كانت من مشاهير شواعر الشيعة فى أواخر القرن التاسع للهجره. أخذت العلم و فنون الأدب و الشعر عن أفاضل علماء (هرات) ثم نبغت فى فنون الشعر و لما بلغت سن الرشد زفوها إلى الشيخ عبد الله المعروف بالديوانه(١) و رزقت منه ولدا هو الشيخ زاده الأنصارى من أعلام عصره و كبار الشعراء اختلف المؤرخون فى نسبتها حيث ذكر خطأ الوزير الايرانى الميرزا محمد حسن خان اعتماد السلطنه المتوفى سنه ١٣١٣ فى كتابه خيرات حسان أنها أخت الشيخ عبد الله ديوانه(٢) و نقل عنه صاحب كتاب تذكره الخواتين(٣) و أما صاحب جواهر العجائب و الوزير الايرانى المعاصر لها الأمير نظام الدين على شير نوائى المتوفى سنه ٩٠٦ فقال أنها زوجة الشيخ عبد الله ديوانه و هو الصحيح ثم أضاف و كان لها ولد باسم الشيخ زاده الأنصارى ابن الشيخ عبد الله ديوانه الذى كان أيضا من كبار شعراء عصره و أضاف قائلا و كان تخلصها فى شعرها باسم بيدلى(٤) و نقل عنه شيخنا فى موسوعته الذريعه إلى تصانيف الشيعة القسم الأول من الجزء التاسع صفحه ١٥٣ و قال: و هى زوجة الشيخ عبد الله ديوانه و أم الشيخ زاده الأنصارى:

و كانت لها قصائد فارسيه بسبك قوى و أسلوب سلس فمن شعرها:

روم بباغ و ز نرگس دو دیده وام کنم که تا نظاره آن سرو خوش خرام کنم

(٥)

بيجه الكرمانيه:

توفيت حدود سنه ٩٠٠.

عالمه فاضله أديبه شاعره من علماء الفلك و الرياضيات فى أواخر القرن التاسع للهجره أخذت فنون الأدب و الشعر و علوم الرياضيات و الهيئه و النجوم عن أكابر علماء عصرها و نبغت فى الشعر و الرياضيات و علم الفلك و هى أخت الشيخ علاء الدين الكرمانى و ذكرها شيخنا الأستاذ الشيخ آغا بزرگ الطهرانى فى موسوعته الذريعه إلى تصانيف الشيعة و قال (... كانت منجمه عالمه استخرجت التويم و هى أخت علاء الدين الكرمانى و قد بنت مسجدا جنب دار الجامى...) يقول عبد الحسين الصالحى: ذكرها المعاصر لها الوزير المير نظام الدين على شير النوائى المتوفى سنه ٩٠٦ فى كتابه مجالس النفائس بما تعريبه (... و لها فضائل لا تعد و لا تحصى و كانت تستخرج التويم و تنظم الشعر بأسلوب متين رائع و هى أخت مولانا علاء الدين الكرمانى و كانت تعيش فى عصر السلطان حسين بايقرا (٨٦٣ - ٩١٢ هجرية) و معاصره لمولانا الشيخ نور الدين عبد الرحمن الجامى المتوفى سنه ٨٩٨ هجرية الشاعر المعروف و قامت ببناء مسجد ضخم جنب دار مولانا جامى و طلبت من مولانا جامى أن يكون إماما فى المسجد يصلى فيه فامتنع جامى من الصلاة فى مسجدنا و نظم شعرا فى هجوها و وضعه فى محراب المسجد المذكور

و مطلع الشعر هذا البيت:

نگزارم بمسجد تو نماز زانکه محراب... نمازی نیست

و تعریبه: (لم أصل فی هذا المسجد التي بنیته لأن هذا المحراب لم یکن للصلاه) و عند ما علمت بیجه بهجو جامی و امتناعه عن الصلاه فی المسجد المذكور ردت علیه قائله:

جامیا زین سان خری چندی که در گرد تواند گر تو خر گردی تخلص سازی از جامی بهست

و لها آثار منها المسجد الجامع فی هرات و دیوان شعر و التقویم و غیر ذلك. (٤)

تفضل حسین خان بن أسد الله

ولد حدود سنه ١١٤٠ فی سیالکوت (هی الیوم فی الباکستان) و توفی سنه ١٢١٥ کان عالما فی المعقولات و المنقولات، درس فی (لاهور) ثم انتقل إلى دلهی. و فی الثامنه عشره من عمره جاء إلى لکهنو للدراسه، و کان أهم أساتذته فیها الشیخ علی حزین المتوفی سنه ١١٨١، و قد کان الشیخ الحزین عالما جلیلا حکیما.

اتقن المترجم [المترجم] اللغه الإنکلیزیه و تعلم اللاتینیه، و فی سنه ١٢١٢ حصل علی نیابه وزاره آورد [أوده] و لکن لم یطل أمره فیها إذ فضل التفرغ للعلم، علی أنه اختیر بعد ذلك سفیرا لحکومه أود [أوده] فی کلکته فذهب إليها.

قام بجولات فی البلاد الهندیه و تنقل بین دلهی و لاهور و لکهنو و بنارسو گواکلباد و بریلی و غیرها. و بینما کان عائدا من کلکته إلى مرشدآباد مات فی الطریق و دفن فی مدینه بنارس.

ترک عده مؤلفات و لکن أكثرها مفقود، و من مؤلفاته: رسالتان فی علم الجبر و الطبیعیات، و ترجم عن الإنکلیزیه إلى الفارسیه کتابا لنیوتن.

الشیخ توفیق البلاغی

ولد سنه ١٨٧٨ م فی صور و توفی فیها سنه ١٩٥٢ م. هو من أسره عراقیه الأصل خرج منها العديد من الفقهاء و الشعراء، و قد نشأ فی صور نشأه بسیطه فتعاطی صید السمک لضمان حیاته، و راح یجالس الأدباء و الفقهاء فیفید من مجالسهم، و یتقف نفسه من معارفهم، نظم الشعر بدون دراسه لقواعد اللغه، فراقت مجالسه و طابت، و شارك بشعره فی أحداث بلاده فمدح أحياءها و ثی [رثی] أمواتها. كما نظم فی بعض أحداث البلاد الإسلامیه کقصیدته فی انتصار الأتراك علی اليونانیین فی الأناضول فی أعقاب الحرب العالمیه الأولى و لم یجمع شعره، و قد نشر قليل منه فی مجله (العرفان)

ص: ٩٦

- ٢- انظر خيرات حسان ج ١ ص ١٥٩ الطبعه الحجريه طهران سنه ١٣٠٤ هـ.
- ٣- انظر تذكره الخواتين ص ٧٠ الطبعه الحجريه بمبئي سنه ١٣٠٦ هـ.
- ٤- الأمير نظام الدين على شير نوائي: مجالس النفايس تحقيق على أصغر حكمت ص ١٠٢ طهران الطبعه الأولى.
- ٥- الشيخ عبد الحسين الصالحي عن كتابه المخطوط (رياحين الشيعة)
- ٦- الشيخ عبد الحسين الصالحي.

فمن شعره قوله راثيا من قصيده:

أ عليك يسطو الدهر أو يعدو الردى يا (بعلبك) و قد سموت الفرقدا

أ مدينة الشمس التي لم يستطع عادى الزمان بان يمد لها يدا

أ إلى علاك الحادثات تطلعت و على حماك الدهر أقدم و اعتدى

و المجد فى الدنيا لمجدك ينتمى منه اغتذى و له اقتفى و به اقتدى

يا (أسعد) الأمجاد لو تفدى بما فى الأرض من غال لما عز الفدا

جاهدت فى الدنيا جهادا صادقا و فتحت للآمال بابا موصدا

و من قصيدته فى انتصار مصطفى كمال على اليونانيين:

الله أنقذ خلقه بالمصطفى و لدينه جمع الشتات و ألفا

ما أنصف اليونان فى أفعالهم لكن سيف الحق منهم أنصفا

ظلموا و عاثوا فى البلاد و أفسدوا فى الأرض حتى أوشكت أن تخسفا

و قال فى السيد محسن الأمين مؤلف (أعيان الشيعة):

مقامك لا يدانيه مقام و فضلك منه يمتار الغمام

و فضلك نوره عم البرايا و شأوك لا ينال و لا يرام

بك افترت ثغور الدهر انسا كأنك فى فم الدهر ابتسام

(أ محسن) قد أقمت عماد مجد به للدين و الدنيا اعتصام

تحج إليه صنعاء و مصر و بغداد و تونس و الشام

يراعك عند معترك القضايا به فصل القضية لا الحسام

لقد جاهدت فى الرحمن طوعا و ما ألهاك مال أو حطام

و ليس يقاس من سهر الليالى بمن قطعوا الحياه و هم نيام
سلكت سبيل جدك و هو نهج عليه تتابع الرسل الكرام
و جاوزت الورى عملا و علما و حول حماك أهل العلم حاموا
إذا البدر المنير عراه خسف فوجهك دائما بدر تمام
و إن غاب الامام فدته نفسى فأنت لكل شيعى إمام
و قال فيه أيضا:

يراك الاله لنفع البشر فأظهرت من علمه ما استتر
فأنت لأحمد نعم الحفيد أتى بالهدى فاقتفيت الأثر
و أعطاك حيدر صمصامه من الحق تأتي على من كفر
رعاك المهيمن من (محسن) به الله منقذنا من سقر
يشع لنا فى دياجى الدجى سناك إذا ما فقدنا القمر
(أ محسن) أنت لدى المشكلات إذا ما تعاصت صحيح النظر
إذا نام غيرك عن فرضه سهرت و إن نال منك السهر
لك الله من عالم عامل ينوب عن الحجج المنتظر
حماك المهيمن ما أشرقت شمس و ما لاح نجم السحر

الشيخ جابر بن الشيخ مهدي آل عبد الغفار:

إشاره

مرت ترجمته فى مكانها من (الأعيان) و نضيف إلى ما هنالك ما ياتى:

ذكر هناك أن وفاته كانت سنه ١٣٢٢، و يرى بعضهم أن وفاته كانت سنه ١٣١٩.

شعره

قال يمدح السيد عباس البغدادي الخطيب و يهنيه بقدمه من زياره الرضاع سنه ١٣١٢:

حججت و قد زرت النبي و آله و سارعت مشتاقا إلى جدك (الرضا)

نزلت به ضيفا فعجل بالقرى و نلت الرضا فيمن أفاض و فيضا

فقل للذي زار الرضا فزت بالرضا من الله و الغفران عن ذب ما مضى

به نال "عباس" - و خدمه جده - علا لم ينله من تأخر أو مضى

إمام به بيت النبوه قد زها و فى نوره أفق الامامه قد أضا

قضى ذو العلى فضلا لزوار قبره على نفسه حتما بأكرم ما قضى

هو العروه الوثقى التى قد تمسكت يداه بها لم يخش من مبرم القضا

فهن به أكناف طوس فطالما بفيض نداه ذابل الروض روضا

و سرح به سرح النواظر راعيا رياضا أحالت أسود الليل أبيضاً

ترى خدها بالأرجوان مذهبا و مبسمها بالأقحوان مفضضا

بزاد التقى عباس زار تقربا بتاريخه "لله زار به الرضا"

و قال يمدحه و يهنيه أيضا:

تباشرت الزوراء فى أى قادم و أى همام من سلالة هاشم

قد ابتسمت بعد التعبس مذ رأت بها ثغر "عباس" العلى أى باسم

بمقدم ميمون النقيب طيب الأرومه زاكى الأصل فرع الأكارم

و أشرف ذى عز و أعظم ذى على و أقدم ذى مجد و أكرم قادم

لقد كانت الزوراء من بعد نايه بساهر طرف سائل الدمع ساجم

فاضحت بقلب مثلج غير مضمزم و عادت بطرف جامد الدمع نائم

محافلها كالروض من عندليه لأن عدن صفرا أو هديل الحمام

فما هي إلا الهيم قد كظها الظما فعاودها بالوكف فيض الغمام

يفوه بلحن العندليب و تاره بغنه ظبي بالترنم باغم

فتى بالمزايا طرز الفضل مثلما يطرز نور الدوح خضر الكمام

ترعرع فى ظل الأكارم مجده و شبت علاه بين أيدي المكارم

فكم من لئال منه فى سلكك خاطر قد انتظمت مذ شابته عقد ناظم

و كم كبد فت النوى لمتيم به و سقاه الناي سم الأرقام

و مذ أم بيت الله شاهده به بطرف حجى فيه ارتسام العوالم

مصوره أن لا يصور إذ هو المصور أرواح الملا و النسائم

غدا الموسم الموسوم من نور جده سنا منه موسوما بأسنى المواسم

رمى جمرات الموت فى أكبد العدى برمى الجمار السبع جمره هاشم

فلو كان ذا ذنب لمحى مآثما ببعض الذى قد بثه فى المآثم

لقد زار شوقا كعبه لمهول و ما هو إلا كعبه للمكارم

إلى عاكف فيها و باد مثوبه من الله كم سارت لمحو المآثم

و كم فيه من ذنب محا الله مثلما محا فيضان الغيث رسم المعالم

و قد طاف سبعا ثم لله قد سعى و كم قد سعى لله سعى الأكارم

كما طاف فى مغناه للغنم معشر تراه مطافا فيه نيل المغانم

و لما أتى مولاه مستسقى ندى سحائب فضل بالأيدى السواجم

لرحمته حلت يد العفو عقده من الفضل فانهلت سحاب المراحم

رأى من كنين الفضل طلعه بارز و من مستكن المن برزه كاتم

فتى أخواه النيران و ما له أخ فى العلى - لولاهما - و المكارم

أحل و لكن عن جميع محلل و أحرم لكن عن جميع المحارم
و آب إلى أبيات آبائه الألى بهم قام بيت الله على الدعائم
و قد عرفته قبل عرفانه لها به عرفات فى المدى المتقادم
و مذ تم فى بيت الإله مرامه و أعماله فازت بأزكى الخواتم
لخاتم رسل الله عاج ليثرب و آباء صدق مع جدود أكارم
بدور محت أنوارهم كل ظلمه و كل علت عليها عن وهم واهم
و ودعهم لا عن ملال ميمما بروج نجوم فى العراق نواجم
مراقده ما زالت فراقدها بها تضىء بوجه باهر النور دائم
و منها لبرج البدر آب وافقه الرفيع ، و برج البدر هام النسائم
من القوم قد عم الوجودات جودهم و أنوارهم قد أشرقت فى العوالم
لهم أوجه مثل الكواكب نورها و مجدهم لا يرتقى بالسلام
ألا قل لهذا الدهر سالم فاننى لعباس سلم و اخش أن لم تسالم
أبو الفضل صنو المكرمات أخو الندى سليل " على " ذى العلى و المكارم
فتى حصنت فيه المناقب مثلما تحصن أبناء العلى بالتمائم
فامضى من الماضى الغرار... لدى الروع ماضى الرأى ماضى العزائم
إذا ما أتى قوم بأعظم مفخر و جاءوا باجداد كرام أعظم
أتاهم بأزكى ولد آدم كلها و مبدا الملا طرا و أكرم خاتم
و جاء بمن فات الوصيين فى العلى و ساد بنى (حوا) و أبناء (آدم)
أت ترسم العلىا به شذقيه و كم رسمت مجدا أكف الرواسم
فصافح كف المجد غير ممنوع و واصل بكر الفضل غير مزاحم

أبى "على" الندب والده الذى له خضعت صيد الملوك الخضارم
أيا من بنى العلياء من بعد هدمها و كم من مقيم للمعالى و هادم
أقم ما بقيت الدهر باليمن رافلا و فى صفو عيش دائم الظل فاعم
و قال يمدح السيد على البغدادى المتوفى سنة ١٣١٦:
بشراك يا دهر ألا قد أشرقت سود لياليك بأنوار الهنا
و تلك آمال بنى الدهر فقد عدن فابلغن من الدهر المنى
العيش عاد صفوه من بعد ما كرره البين المشت بيننا
يوم به عاد السرور باسماء يملأ زوراء العراق بالسنى
بزوره الندب العلى قدره الهمام سامى المجد موئل الثنا
أبى "أبى الفضل" الذى بفضلته فاق ذوى الفضل فاضحى علنا
ذاك أخو الندى و من إلى ندى يديه للعفاه ينتمى الغنى
فتى سما هام السما بسؤدد تقصر عن مداه ألسن الثنا
كم حكما بليغه لما غدا عنها لسان البلغاء ألكنا
أبانها فى محكم من قوله فعاد مجمل البيان بينا
كم أنطق الناس بمدحه و كم أحرص باللحن الفصيح اللسنا
من معشر ذوى علا قد أسسوا منازل العليا و شيدوا البنا
أكارم تقلدوا مكارما و اعتقلوا المجد الأثيل لا القنا
مسود ساد الأنام يافعا و عاد كهلا بالتقى مقترنا
فكم نهى النفس عن الهوى تقى و كم أجاب ربه المهيمنا
و كم وفى بعهدده و لم يخن عهدا له كان عليه ائتمنا

فمذ رءاه أنه قد اهتدى إلى هداة، و اتقى و أحسنا
أولاه أنعما عقيب أنعم ثم حباه من لدنه بالغنى
لذاك أدناه مكانا أسعدت ثوبه من أدنى إليه فدنا
قربه من بيته ليجتنى منه الذى ليس يكاد يجتنى
فطاف بالبيت الحرام بعد ما أبلغه منه بلاغا حسنا
و حاز بالسعد الصفا لدى الصفا و أدرك المنى هناك فى منى
و طاب نفحه بنشر طيبه فعاد طيبا شذاه و انثنى
يسفر عن بهجه وجه مشرق كأنما بدر السما تضمنا
فكم جلا ظلمه ليل و لكم أقر منا بلقاه الأعينا
و كم أعاد للقلوب بهجه كما أعاد للعدى عيد ضنى
فليهن فيه جابر القلوب من قلد جيد الدهر منه فتنا
وليهن مهدي الهدى بماجد غدا علاه للمعالى ما منا
فالساده الغر الكرام هنهم به فقد عاد لهم عيد الهنا
و خير عم عم فيض جوده شرقا و غربا سهلها و الحزنا
بشراكم اليوم فعنكم العنا غاب به و غائب البشر دنا
و قال يمدحه أيضا و يهنيه بقدومه من الحج: -

"على" تبدى و هو بدر الغياهبفاضحى العلى فى أنفه أى ثاقب
فاضحى الهدى من نوره أى مشرقو أمسى الندى من جوده غير خائب
فقرت به عين المكارم و العليكما انشحت فيه صدور المناقب
و قد قررت الأحباب طرا باوبهكما فيه قد قررت عيون الأجانب

و فيه أضاءت و جنه الدهر مثلما أضاء بنور الشمس وجه الغياهب
و أصبح فيه غائب الجود آثباو غائب شخص المجد ليس بغائب
همام به للحق زمت رواحلو آبت به لله حوص الركائب
راء بعين العقل لا عين رأسهو شاهد نورا فى ظلام الغياهب
أيا فلكا شمس العلى منه أشرفتكما ازدهرت فيه درارى الكواكب
لأنت الذى ألقيت ظلا على العليأحاطت ذراه فى جميع الجوانب
من العصبه الغر الألى شيدوا العليبسمر عواليهم و بيض القواضب
و قد أسسوها قبل تشييدهم لها بصم الصفا من شاهقات المناقب
كرام تردوا فى برود مكارمو قد سحبوها فوق هام السحاب
أقاموا ييمن ما أقاموا مدى المديو فى ظل عيش دائم الصفور دائب
به جانبا بغداد طارا مسرهو كانت بقلب لاهب الشوق ذائب
فكان لديها حاضرا غير حاضرو كان لديها غائبا غير غائب
لقد حج بيت الله من هو كعبهتجج لها الوفاذ من كل جانب
بظل علاها كل عال و هابطو قصد حماها كل ماش و راكب
و طاف كما طاف العلى منه كعبهيطوف بها فضل الإله لطالب
و فاض نداءه مثلما فاض من منيحجيج لبيت مبتنى للرغائب
و لو لم يعجل بالمسير لكعبهلحجت حمى منه لنيل المطالب
به هن عباس العلى بل وهنهعباس ماضى البأس شمس المناقب
و هن الشقيقين العريقين فى العليو كل شهاب صنوغر الكواكب

بيگم جان خانم بنت السلطان فتح على شاه القاجارى:

توفیت بعد سنه ۱۲۵۰.

ص: ۹۸

ولدت و نشأت في بلاط أبيها فتح على شاه الذي حكم عام ١٢١٢ و أخذت العلم و فنون الأدب على أفاضل علماء طهران حتى حصلت على درجه عاليه من العلم و الفضل و أمها بدر جهان خانم بنت محمد جعفر خان عرب حاكم بسطام المار ذكرها و هي أكبر بنات الشاه القاجارى و عند ما بلغت سن الرشد زفوها إلى محمد قاسم خان قوانلو و لازمت أباهما في السفر و الحضر و كان الشاه يحبها حبا شديدا و يشاورها في إداره أمور الدوله و يأخذ برأيها و كانت في الأعياد و الاحتفالات الرسميه في مقدمه المستقبليين و كان زوجها من كبار مرافقى الشاه معظما عنده و من أشهر أولادها الذكور سليمان خان الملقب بخان خانان الذى كانت بنته أم ناصر الدين شاه القاجارى.

ذكرها ميرزا محمد حسن خان اعتماد السلطنه في كتابه خيرات حسان و زاد على ما تقدم بأنها مالت إلى أهل العرفان و التصوف و كانت من أنصار المرحوم الحاج ملا رضا الهمداني الذى كان من أكابر مشايخ عصره و كانت تدفع له في كل عام مبالغ خطيره من المال يقول عبد الحسين الصالحى و كانت تصرف مبالغ طائله في كل شهر في العتبات المقدسه في العراق و عينت رواتب شهريه لجمع من أهل الفضل و العلماء و كان لها مضيف في الروضه العلويه و الروضه الحسينيه للدرراويز و الفقراء و الزائرين يعد فيها الطعام ظهرا و عشاء. (١)

جعفر حسن بدايونى بن على حسين

ولد سنه ١٢٤٠ في بدايون (الهند) و توفى سنه ١٣٣٢ في جلالى التابعه قضاء على كره.

درس العلوم الإسلاميه في لكهنو، و سافر إلى الحج و إلى العراق فأجيز من الشيخ زين العابدين المازندراني و الشيخ حسن آل ياسين. أسس في الهند عدده مدارس بقى منها مدرسه في ميرن پور، و هناك مدرسه اشتهرت في لوگانوان (قضاء مرادآباد). و أصدر في مظفر نگر جريده (الصادقين).

السيد جعفر حسين شاه بن المولوى السيد مير جعفر

ولد في حدود سنه ١٢ [١٣١٢] في بابان التابعه لقضاء كوهان في الهند و توفى حدود سنه ١٣٦٠.

درس على أبيه ثم صار معلما في إحدى المدارس الحكوميه، و التقى سنه ١٩٢٦ م بالميرزا يوسف فدرس عليه اللغه العربيه ثم رافقه إلى (باواتشمار) مواصله الدراسه عنده، كما استفاد علميا من إسماعيل خان في بلده (ديره).

كان يجيد العربيه و الفارسيه و الإنكليزيه، و كان شاعرا عرف باسمه الشعري (رينختونى)، و معناه: (صادق القول).

و في آخر حياته قضى أربع سنوات في ترجمه القرآن منظوما بلغه (پشتو) و طبعت الترجمه و اشتهرت، و صدف أن محمد بنى بخش في نفس هذا الوقت كان يترجم القرآن منظوما إلى اللغه البنجابيه.

السيد جعفر رشتيان

الفنان الايرانى الكبير حيث كان يرسم نقوش السجاد الايرانى و ولد عام ١٣٤٧ في أصفهان من عائله عريقه، قديمه في امتهان فن

الرسم و النقش يعتبر أحد كبار الفنانين فى فن الرسم على القاشانى و السجاد و له آثار فى كثير من المساجد، يعتبر السجاد المعروف باسم (ثار الله) أشهر أعماله الفنيه حيث رسم عليه حادثه شهاده الحسين بكرىلا بصوره رمزيه و قد كتب على وسط السجاده عباره:

* (إن الحسين مصباح الهدى و سفينه النجاه) و قد عرض هذا السجاد فى عدّه متاحف و معارض.

توفى عام ١٤٠٨. (٢)

السيد جعفر على جارجوى ابن السيد أفضل على

ولد سنه ٢٢٧ فى جارجه (الهند) و توفى سنه ١٣١٤ فى دلهى.

بدأ سنه فى دلهى، ثم فى لكهنو فى آخر عصر غفران مآب فتلمذ على (عليين مكان) و كانت أكثر دراسته عليه. و درس التجويد على القارئ محمد الأصفهانى التبريزى الذى كان مقيما فى لكهنو. ثم اشتهر بصفته قارئاً مجوداً، و ساعده على الاشتهار رخامه صوته. و كان يجتمع على قراءه فى مسجد حامد على فى دلهى كبار القوم.

تولى التدريس فى المدرسه المنصبيه و فى (دلهى كالج). و ساهم فى ثوره التحرير الكبرى على الإنكليز سنه ١٨٥٧ و بعد إخمادها اعتقله الإنكليز و سجنه مع غيره من سادات جارجه. و بعد خروجه من السجن عانى الفقر.

كان له أثر كبير فى الهدايه و الإرشاد، و تخرج عليه كثيرون فى تجويد القرآن.

جعفر بن فلاح الكتامى

(٣) قال الدكتور موسى لقبال: آن الغموض يكتنف حياه هذا القائد و دوره فى الدور المغربى للخلافه الفاطميه. فنسبته كما وردت فى المصادر القليله التى أشارت إليه كانت ذات صبغه عامه و من ثم يوصف فيها بالكتامى، مساعد جوهري.

و لم نظفر رغم استشاره كثير من المصادر، على نسبه الخاصه بين فروع كتامه المعروفه. و قد لاحظنا أن كثيرا من قاده كتامه و رجالاتها فى الدور المغربى ينسبون إلى عشائرم الخاصه و الأمثله على ذلك، أبو مدين بن فروخ اللهيصى، و أبو زاكى الأجانى، و عروبه الملوسى، و أبو القاسم السكتانى، و القله منهم هم الذين جاءت نسبتهم ذات صبغه عامه مثل جعفر بن فلاح، و عبد الله بن يخلف، و تشيع هذه الظاهره خاصه فى الدور المشرقى للخلافه الفاطميه. و يزداد الأمر غموضا عند ما يكتفى بمجرد ذكر النسبه المغربيه و يستثنى من ذلك حالات قليله ياتى فيها ذكر النسبه الخاصه لأحد فروع كتامه، و من الأمثله على ذلك عسلوج بن الحسن الدنهاجى، و ابن لبون الدنهاجى و جبر بن القاسم المسالتى (٤)، و غيرهم ممن ازدهر فى عصر الحاكم سواء كانوا من عنصر دنهاجه فى مصر أو من أسره ابن ثعبان من فروع

- ١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٢- الشيخ محمد رضا الأنصارى.
- ٣- راجع الحاشيه فى ترجمه جوهر الصقلى.
- ٤- المقرئى: اتعاظ ١، ٢١٦ وقد ورد بصيغه المسالمى.

جميله (1)، الذين أدركوا مجدا في بدايه عصر الظاهر لإعزاز دين الله في بلاد الشام.

و بالنسبه لجعفر بن فلاح، نلاحظ أن المصادر القليله التي أشارت إليه، لم تفدنا بشيء، نير السبيل حول نشاته و حياته عند ما ظهرت الحركه فى منطقته كتامه، و إفريقيا، و لا عن نشاطه فى خدمه الدوله الفاطميه قبل اشتراكه فى الحمله الكبرى ضد مصر الإخشيديه، فلم نصادف إشاره إليه ضمن قاده كتامه فى بلاد المغرب الذين اشتركوا إلى جانب جوهر أثناء حركته الكبرى سنه ٣٥٤٧ [٣٤٧] هـ/٩٥٨ - ، هذا بينما نلاحظ إشاره عن اشتراك زيرى بن مناد فى الحمله و مسؤوليته القياديه و دوره فى اقتحام مدينه فاس.

فهل أن جعفر بن فلاح لم يقم فعلا باى دور إيجابى لفائده الدوله قبل اشتراكه فى الحمله ضد مصر، التى لم يفصلها عن حمله بلاد المغرب غير فارق زمنى يسير، مداه إحدى عشره سنه، ربما كان خلالها جعفر صغير السن نسبيا، يشق طريقه إلى الظهور فى الميدان السياسى تدريجيا، و هذا احتمال قريب، أو أن المصادر التاريخيه انسقت وراء الروايات الخاصه التى تبرز قيمه جوهر و أهميته عند المعز لدين الله الذى حرص على خضوع الجميع إليه و إظهاره دون غيره فى ميدان القياده فى بلاد المغرب حيث ينافسه الكثيرون من أولياء الدوله و عصبيتها، من رجالات كتامه خاصه، الذين كانوا بارزين مثله، و كرهوا أن يظهر عليهم فجاه مع أنه لم يصل إلى مستواهم فى القدم و التاريخيه و قوه العصبية. و لعل ذلك هو سر إهمال الحديث عنه و عن غيره فى ميدان المغرب.

أما فى مصر فيبدو أن وجود مجموعات قبله أخرى غير كتاميه، ساعد على ظهوره كقائد لبنى قومه الذين كان دورهم البطولى إلى جانبه فى بدايه ظهور حركه المقاومه عند منيه شلقان، دورا مشرفا.

و يبدو أن جعفرا بن فلاح كان من بين قاده الدوله و رجالها فى بلاد المغرب، لكنه لم يلق العناية التى يستحقها لاعتبارات خاصه، لأنه من غير المقبول بسهوله أن يظهر فجاه فى قمه الميدان السياسى و العسكرى مساعدا مباشرا لجوهر فى قياده أضخم حمله ضد مصر و أساسا ترتكز عليه جهود الفاطميين فى مصر ثم فى بلاد الشام إذا لم يكن المعز لدين الله قد عرفه من قبل معرفه جيده و خبره فى ميدان القياده فتبينت له قدراته و مهارته فى الحرب، و إخلاصه للنظام و التزامه بسياسه التوسع لإيجاد مناطق للنفوذ الفاطمى فى بلاد المغرب و المشرق.

و على أقرب الاحتمالات فان جعفر بن فلاح كانت أهميته فى بلاد المغرب لا- تقل عما أداه من خدمات للدوله فى ميدان المشرق و هو من بين الرعيل [الرغيل] الأول، للجيل الذى أشرف المعز لدين الله على تربيته و تكوينه من أبناء كتامه و شبابهم، و يؤيد ذلك مجموعه اعتبارات فى مقدمتها:

- ان مركز جعفر فى قياده الحمله ضد مصر، كان يلى مباشره (٢) مركز القائد الأعلى، و هو جوهر لذلك وقع الاختيار عليه ليقوم دون غيره بأكبر دور ضد الكافوريه و الاخشيديه، الذين تجمعوا لمقاومه عبور الحمله إلى الجانب الآخر من النيل، و هذا يشير إلى أنه كان بمثابة رئيس أركان الحمله حسب المفهوم العسكرى الحديث.

- و قد اعترف القائد جوهر باهميه اشتراكه فى الحمله و دوره الايجابى، و لمح إلى دواعى اختيار الخليفه المعز لدين الله له دون

غيره إذ خاطبه بقوله "لهذا اليوم أرادك المعز لدين الله". (٣)

- وقد انتدب جعفر، لكي يتبع فلول الكافوريه و الاخشيديه و يضم بلاد الشام إلى النفوذ الفاطمي، و هذا يعني أن جوهرًا كان يعترف بقيمته الخاصه و أهميته لكي يضم قطرا متسعا و يقف فيه حارسا له و لمصر، من بقايا عناصر السلطه القديمه و من أطماع القرامطه و تطلعات العباسيين، و إغارات الروم البيزنطيين. (٤)

- و يلاحظ أن المنافسه بين القائدين كانت قويه و مثلت أحد العوامل لترشيح جعفر لمهمه في بلاد الشام، أبعادا له من مصر. (٥)

و مع ما كان يوجد من تنافس فان جوهرًا حرص على إرضاء مساعده و مشاركته عاطفيا، فقد حضر جنازه أحد أبنائه في مصر اعتبارا لشخصه كما حضرها كبار القاده من الكافوريه و الاخشيديه. (٦) و يلاحظ أن هذا الابن الذي توفي في مصر كان أحد أبناء جعفر الأربعة الذين صحبوه أو ألحقوا به فيما بعد و هذا في حد ذاته يبرهن على أن هذا القائد الكتامى كان كبير السن نسيبا، عند ما اشترك في الحمله، و قد ظهر دور أحد أبنائه في ميدان القيادة مباشره، و هو أبو محمود إبراهيم.

و لو لم يكن جعفر في مستوى القيادة و على درجه لا- تقل عن قيمه جوهر ما تطلعت نفسه إلى الرئاسه العليا و إلى الاستقلال ببلاد الشام عن التبعية لجوهر في مصر، فقد حرص على الاتصال مباشره بالخليفه المعز لدين الله في المنصوريه دون وساطه جوهر.

و إذا كان الخليفه المعز قد سار في خط معين لم يتزحزح عنه و من ثم كره تصرفات جعفر، و وقوعه في جوهر، و سارع إلى رد رسائله، و لامه و حثه على الكتابه إليه عن طريق القائد الأعلى، فإنه أوضح له أن حسن التغيير لا يقتضى استفساد قلب جوهر مع إخلاصه للنظام، و ثباته على العهد "قد أخطات الرأى لنفسك، نحن أنفذنا له مع قائدنا جوهر، فاكتب إليه فما وصل منك إلينا على يده قرأناه، و لا تتجاوز به بعد". (٧)

و عند ما اتضح للمعز لدين الله ما بين القائدين من تنافس و جفاء، و كان يعرف قيمه جعفر و طموحه إلى السلطه و الاستبداد بالأمر لم يشأ أن يوسع الهوه بينهما بتغذيه طموح جعفر لئلا- يغضب جوهر، و نظرا لأهميه كل منهما للنظام الفاطمي فقد التزم الخليفه بالمبدأ الذي رسمه من قبل و هو إضفاء كل الأهميه على قائده جوهر و في نفس الوقت أرضى خاطر جعفر، بتمجيد دوره و خاطبه بقوله "فلسنا نفعل ذلك على الوجه الذي أردته و إن كنت أهله عندنا". ه.

ص: ١٠٠

١- ابن العديم: زبده الحلب في تاريخ حلب ١، ٢٢٢. ط دمشق ١٩٥١.

٢- ابن منجب الصيرفي: الإشارة إلى من نال الوزاره ٨٢-٨٣ و يشير إلى أن مقدار ما أعطى لابن هانئ من طرف ابن فلاح كان مائتي دينار و هو نفس ما أعطاه إياه جوهر.

٣- أبو المحاسن: المصدر السابق ٤، ٣١.

٤- نفسه ٤، ٢٧، النويري: المصدر السابق ٢٦ ورقه ٤١-٤٢.

٥- على إبراهيم حسن: تاريخ جوهر ٣٩-٤٠.

٦- المقریزی: اتعاظ الحنفا ١، ١١٨.

٧- نفسه، الخطط ١، ٣٧٨.

لم تشر النصوص إلى صفاء الجوينين القائدين، و لذلك لم يطلب جعفر نجدات من جوهر، كما لم يخف الأخير، لمساعدته عند ما لاحت الأخطار.

و كانت هزيمه جوهر بعد ذلك في ميدان الشام بسبب تخاذل كتامه بمثابه الثار الذى استوفاه رجال هذه القبيله منه لموقفه المعادى لأكبر قادتهم في بلاد الشام، و كان أبعاده تدريجيا عن مركز النفوذ بعد سنه ٣٦٤ هـ (٩٧٤ - ٩٨٥ م) تديبرا سياسيا خاصا قصد به ترضيه أسره ابن فلاح، التى استاءت من موت رئيسها في ظروف محزنه، كما كان بدايه لسياسه جديده بمقتضاها، بدأ اصطناع وجوه جديده عوضا عن القاده القدامى الذين استنفدوا طاقتهم و أدوارهم، و هذه السياسه أدركها جوهر و عبر عنها في قوله للحسن بن عمار الكلبي، " لكل زمان دوله و رجال، أنريد نحن أن نأخذ دولتنا و دوله غيرنا" (١). و كان ابن فلاح أحد الجعفرين (٢) اللذين مدحهما ابن هانئ شاعر المعز لدين الله في قوله:

كانت مساء له الركبان تخبرني عن جعفر بن فلاح أطيّب الخبر

حتى التقينا فلا والله ما سمعت أذني بأحسن مما قد رأى بصرى

و بما أن ابن هانئ قد قتل غيله في برقه، أى لم يقدر له اللقاء بابن فلاح في مصر، فضلا عن بلاد الشام، فان المؤكد على كل حال أن يكون مدحه له في فتره مبكره، دليلا على ظهوره في الميدان السياسى و العسكرى كشخصيه قويه في عصر المعز لدين الله و ذلك قبل أن يشترك في الحرب في ميدان مصر و الشام، و كان اللقاء بين الشاعر و القائد قد تم في أرض المغرب تأكيدا حسب إشاره الشاعر نفسه (٣).

و ما أشار إليه ابن هانئ عن قيمه جعفر بن فلاح، أكدته بعض النصوص التى أوضحت بان ابن فلاح لم يكن فقط قائدا عسكريا ماهرا و إنما كان أيضا شاعرا قديرا له عواطف رقيقه خاصه تجاه أهل البيت حتى أن عدوه القرمطى بكاه بعد قتله، تأثرا و اعترافا بقيمته (٤).

و لعل هذه الاعتبارات جميعها تؤيد ما نعتده من ظهور جعفر بن فلاح في ميدان المغرب قائدا كبيرا لا تقل أهميته عن زيرى بن مناد، و لا عن جوهر الصقلى، الذى حظى بالقياده العليا في المغرب و في مصر، عن غير اقتناع من القائد الكتامى الذى حاول من مركزه في بلاد الشام أن يبرهن للخليفه المعز لدين الله على أنه أهم من غيره إخلاصا للنظام و نجاعه عند الأخطار.

و قد لا- يبعد عن الصواب القول بان الخلفاء الفاطميين بعد الذى جرى لهم مع كتامه أصبحوا يحتاطون من طموح قادتهم و يجاهدون من أجل إبعادهم عن مراكز التوجيه العليا، خوفا على سلطانهم أن يتأثر لأن كتامه يدلون على الخلفاء بسبب دورهم التاريخى في نصره الحركه الفاطميه و كونهم أقدم عهدا بها إذا قيسوا بطبقه الفتيان الصقالبه الذين كانوا غرباء عن البيئه و مفتقرين إلى التاريخيه و إلى العصبيه و من ثم كانت لا- تطمح نفوسهم إلى شىء مما تطمح إليه نفوس الكتاميين، و كانوا يرضون دائما بدور التابع الذليل، و لذلك استصفاهم الخلفاء و اعتمدوا عليهم اعتمادا كليا حتى بلغ منهم قيصر و مظفر مكانه كبرى في عصر المنصور و المعز، و مثلهما جوذر الذى كان مستودعا لثلاثه خلفاء و ناب عن المنصور في تسيير سياسه الدوله و كان عمده المعز في التعرف على سير الحياه السياسيه و الاداريه، و لو امتد به العمر لكان له شان كبير في مصر و قد هم المعز

لدين الله باستخلافه على بلاد المغرب بعد رحيله لو لا امتناعه، و رغبته فى البقاء إلى جانبه فى مصر كما أشرنا.

و ظواهر التجديد فى القيادة و اصطناع الوجوه الجديده و التركيز على من لم تكن لهم عصبية سارت مع الخلافة الفاطمية منذ قيامها فى بلاد المغرب حتى سقوطها فى نهايه الأمر.(٥)

و يرتبط بشخصيه جعفر بن فلاح، تحقيق اسمه الكامل، فقد جاء فى أغلب المصادر التى أشارت إليه مختصراً، أى على النحو التالى "جعفر بن فلاح الكتامى".(٦) و يضيف بعضها إليه كنيه أبى على، لأن أحد أبنائه يعرف بهذا الاسم.(٧) بينما تذكر بعض النصوص كنيه أخرى لهذا القائد فهو أبو الفضل،(٨) و هو فيما يبدو اسم أحد أبنائه الذى توفى فى مصر و حضر جنازته كبار رجال الدوله بما فيهم القائد جوهر،(٩) لأنه لم يظهر له دور ما فى مصر أو بلاد الشام على عكس إخوته على، و إبراهيم و سليمان، و نجد اسمه أكمل من ذلك فى بعض النصوص التى تشير إلى جده، أبى مرزوق.(١٠)

و لما كانت بلاد الشام بحكم كونها منطقه نفوذ للأخشيديين و آلت نظرياً، و عن طريق الإرث بعد تصفيه نظامهم فى مصر إلى الفاطميين، و فيه.

ص: ١٠١

١- المقرئى، الخطط ١، ٣٧٩. و قد جرى ذلك عند ما أمر الجميع بالترجل لمنجوتكين و ظهر الانفعال و التأثر على القائد الكلبى الذى زفر زفره كادت تتقطع لها نياط قلبه.

٢- و عن جعفر بن على بن حمدون الأندلسى أمير الزاب: انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان ١، ٣١١. و فيه يقول ابن هانى. و يا ملك الزاب الرفيع عماد هبقت لجمع المجد و هو فريق على ملك الزاب السلام مردداو ريحان مسك بالسلام فتيق

٣- أبو المحاسن: النجوم الزاهره ٤، ٣١ هامش ٣. ابن خلكان: المصدر السابق ١، ١١٢، ١١٣، ابن الأبار، الحله السراء، ٤٣٤. ط. بيروت ١٩٦٢. الجيلانى: المرجع السابق ١، ١١٨، العينى: عقد الجمان ١٩ (ق ٢) ورقه ٢٤٧-٢٤٨.

٤- أبو المحاسن: النجوم ٤، ٣٣، ٥٨-٥٩، الذهبى: المصدر السابق ٣ ورقه ١٩٠، العينى: المصدر السابق و الورقات، و قد نسب إليه شعر وجهه إلى يعقوب بن كلس منه: ولى صديق ما مسنى عدممذ نظرت عينه إلى عدمى أعطى و أفنى و لم يكلفني تقبيل كف له و لا قدم

٥- و اعتماد الخلفاء على الأسر الكبيره كان ظاهره أخرى خاصه فى بلاد المغرب، و من هذه الأسر، و أسره ابن خنزير و أسره الكلبين، و أسره النعمان و أسره ابن أبى المنهال، و أسره ابن الفلاح و أسره ابن ثعبان. و بعض هذه الأسر امتد نشاط أفرادها إلى مصر و بلاد الشام، و كان القدر المشترك بين هذه الأسر أو عنصر الوحده هو الولاء للخليفه الفاطمى، الذى ينتمى إلى عتره الرسول (ص).

٦- ابن عذارى ١، ٣١٥-٣١٦. ابن خلدون: العبر ٤، ١٠٠-١٠١، المقرئى بالخطط ١، ٣٧٨، الزركلى: الأعلام ٦، ٧١. حسن إبراهيم: الدوله الفاطميه ١٣٥ هامش ١. عمر كمال توفيق: العدوان الصليبي على الشرق ٦٩، عبد المنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين

E.I.ArtFatimides,T.٢,P. ١٠٩..٩٤

٧- ابن خلكان: المصدر السابق ١، ١١٣، الجيلالى: المرجع السابق ١، ٣١٧، (نقلا عنه) ط ثانيه ١٩٦٥.

٨- ابن الأبار: الحله السبراء ٤٣٤ ترجمه رقم ١٤٥.

٩- المقریزی: اتعاظ ١، ١١٨ س ٣.

١٠- نفسه ١، ١٢٠ س ٤. و مما یلاحظ أن ابن عذارى ١، ٢٦٣، أشار إلى قائد باسم قمون بن فلاح. أما نسبه جعفر بن فلاح لفرع من بین فروع كتامه، فتبقى لغزا محیرا، غیر أنه لا- یتبعد أن یكون من بین عناصر مسألته أو دنهجاه الدین هاجروا إلى مصر باعداد ضخمه و عرف من بینهم قاده كثیرون استأصل منهم الحاکم بامر الله مجموعه و الحق بهم علی بن جعفر بن فلاح فی ظروف غامضه.

نفس الوقت كانت منطقه هامه فى حرب الثغور، و أصبحت بعد فتح مصر ملجا لفلول المنهزمين من الكافوريه و الإخشيديه الذين ضموا جهودهم إلى عناصر السلطه القديمه فى بلاد الشام، و أصبح الخطر من جهتهم متوقعا فقد بادر جوهر بضمها إلى مصر، تامينا للحدود و توسيعا للنفوذ الفاطمى، الذى امتدت خطوط دفاعه "فأصبحت فى بلاد الشام و ليست فى مصر".

(١) و كان نائبه فى قياده الحمله الكبرى جعفر بن فلاح هو الرجل الأول الذى عهد إليه بتصفيه بقايا الإخشيديه و الكافوريه و ضم بلاد الشام فعليا إلى نفوذ الخلافه الفاطميه.(٢)

و كان يشرف على بلاد الشام كبير الأسره الإخشيديه، أبو محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج الذى كان مركزه دمشق، و كان على طبريه و حوران و البنيه(٣) و لاه من عرب بنى عقيل، و منهم شبيب و ظالم، و ملهم، الذى كان يشرف عن طريق غلامه فاتك على طبريه و كان على بيت المقدس عامل أخشيدى هو الصباحى، و لما كانت الرمله و دمشق أهم مدن الإقليم التابع للأخشيديين فقد كان والى بلاد الشام يوصف أحيانا بصاحب دمشق و الرمله التى هى مدينه جنوب فلسطين العظمى، (٤) و قد ظفرت بمركز ممتاز فاق أهميه بيت المقدس بسبب موقعها الاستراتيجى و قربها من حدود مصر، و قد تعرضت أكثر من مره لغارات قرامطه البحرين و غدت بعد فتح مصر قاعده حربه لمواجهه الغزو الفاطمى من جهه مصر، إذ استقر فيها الحسن بن عبيد الله بن طغج منذ شهر رمضان ٣٥٨ هـ/ يولييه ٩٦٨ م ليخطط للمعركه القادمه مع جعفر بن فلاح، و ترك دمشق فى عهده أحد موالى الإخشيديين، و هو شمول، و لأن الأخير، كان يحقد على الحسن مكانته السياسيه و سعه سلطانه، و ينتظر به فرصه قدوم طلائع الجيش الفاطمى ليخذه، و يظهر ما بيته له، فقد اتصل بجوهر سرا و كشف له عورات البلاد و أبان عن وجهه نظره فى الحسن بن عبيد الله، ثم تقاعد عنه و رفض مساعدته فى الرمله رغم إلحاحه عليه و على الصباحى و فاتك فى سرعه المجيء، بسبب قرب العسكر الفاطميه، و تركوه مع ثله من مساعديه يواجهون الهزيمه، و محنه الأسر على يد جعفر بن فلاح، منذ منتصف رجب ٣٥٩ هـ/ ماى ٩٧٠ م و قد أرسلوا مقيدين إلى مصر، و منها واصلوا الرحله صحبه الهديه التى أنفذها جوهر إلى بلاد المغرب.(٥)

و يبدو أن حزم جعفر بن فلاح و سياسته و دعوته لولاه الإخشيديين لاعلان الولاء و الطاعه للمعز لدين الله، هى التى صرفت كثيرا منهم عن مساعده ابن طغج و أدته إلى الاستسلام لقوات جعفر دون مقاومه تذكر، إلا فى مدينه طبريه، التى يبدو أن واليها فاتكا غلام ملهم العقيلى، بيت على مقاومه قوات الفاطميين، (٦) و لذلك تحصن جعفر فى نقطه استراتيجيه تسيطر على الجسر و بنى معسكرا اتخذه منطلقا لحرب فاتك، رغم أن ملهما مال إلى الموادعه و تظاهر بالولاء و الطاعه للفاطميين. (٧) و عند ما تم قتل فاتك غدرا، تظاهر جعفر بأنه فوجئ بالحدث الذى لم يكن له به علم، و تحفظ على عناصر التامر من الأعراب، و قدمهم إلى ملهم، ليقتص منهم، فتحاشى الأخير قتلهم، و عفا عنهم، خوفا من الإيقاع به(٨) أما سكان المدينه فقد استاءوا للحدث، و التحموا مع قوات جعفر، و شهدت طبريه فتنه كبرى، لم تقتصر آثارها على عناصر الخلاف و إنما شملت من جاء إلى المدينه فى هذا الظرف الدقيق، و هم ممثلو سكان مدينه دمشق، الذين غادرهم شمول الإخشيدى، و انضم إلى قوات جعفر بن فلاح فى طبريه، (٩) فارتاع السكان و أرسلوا إلى جعفر، وفدا من شيوخهم لاعلان الولاء، و رغم أن القائد الكتامى استقبلهم بحفاوه و تبسط معهم فى الحديث فإنهم تألموا من سوء المعامله، و عند ما رجعوا إلى دمشق "غير شاكرين، و لا راضين" عن قوم جفاه قباح المناظر و الزى و الكلام، ليس لهم عقول يرجعون إليها "نقلوا إلى سكان المدينه صورته قائمه و انطباعا سيئا آذى مشاعرهم، و أدخل الرعب فى نفوسهم(١٠)، و جعلهم يستعدون للمقاومه الجديه بتوجيه أشراف دمشق و بمساعدته بقايا الإخشيديه و الكافوريه

الذين لم يرافقوا شمولاً، ثم عنصر الأحداث و الشطار" الذين كانوا بمثابة قوه دفاعيه مدنيه من بين عامه السكان، و قد استغلوا حاله القلق فى المدينه و الفراغ السياسى بعد انسحاب شمول،(١١) و تفرق جنده، لكى يظهر او عنصرا فعالا فى حمايه المدينه من الغزو الخارجى و يبرزوا إلى الحياه السياسيه و يمثلوا دورا هاما فى مدن الشام الأخرى قبل و بعد الفتح الفاطمى.

و يبدو أن أوضاع دمشق و حاله الاستعداد للمقاومه هى التى أملت على ابن فلاح خطه أساسها الانتقاص من أطراف دمشق، و كسر مقاومه بنى عقيل فى حوران و البثنيه، و سكان الغوطه بجهد مشترك بين جزء من قواته و أعراب مره و فزاره، و ذلك قبل اقتحام المدينه بقوات الحمله الرئيسيه.

و عند ما شعر بأنه أبعد بنى عقيل عن الميدان إلى حمص، و نال رجاله من ضواحي دمشق بعد خسائر تكبدها خف بكامل قواته(١٢)، منذ يوم الخميس ٤.

ص: ١٠٢

١- عمر كامل توفيق: مقدمات العدوان الصليبي على الشرق العربي ٦٦-٦٧، المقريزى: اتعاظ الحنفا ١، ١٢٠، ابن خلدون، العبر ٤، ١٠٠، ابن الأثير، الكامل ٨، ٢١٢، النويرى، نهايه الإرب ٢٦ ورقه ٤١-٤٢، يحيى بن سعيد الأنطاكى: المصدر السابق ٣٤٩ و ما بعدها.

٢- عبد المنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين ١٠٩، جمال سرور: النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام و العراق ١٦ و ما بعدها.

٣- و البثنيه من كوره دمشق انظر: مدينه دمشق عند الجغرافيين و الرحاله ١٣.

٤- ابن حوقل: صورته الأرض ١٧١.

٥- المقريزى: اتعاظ الحنفا ١، ١٢١ و ما بعدها، أبو المحاسن: النجوم الزاهره ٤، ٢٧، ٣٢-٣٣، ابن أيبك الدوادارى: الدرره المضيئه ٦، ١٢٣-١٢٥ - الذهبى: تاريخ الإسلام ٣ ورقه ١٩٠. بيبرس الدوادارى: زبده الفكره ٦ ورقه ٢٠٤-٢٠٥، ابن الجوزى: مرأه الزمان ج ١١ و رقات ٥، ١٥، العينى: المصدر السابق ج ١٩ (قسم ٢) ورقه ٢٣٣-٢٣٤، ابن القلانسى، ذبل تاريخ دمشق ١، ابن الأثير، الكامل ٨، ٢١٢، عبد المنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين ١٠٩، جمال سرور: النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام ١٨.

٦- نفسه ١، ١٢٣.

٧- القريزى: اتعاظ الحنفا ١، ١٢١، ابن خلدون العبر، ٤، ١٠٠، ابن أيبك الدوادارى، الدرره المضيئه ٦، ١٢٥، ابن الأثير الكامل ٨، ٢١٢، بيبرس الدوادار: زبده الفكره ٦ ورقه ٢٠٥.

٨- ابن أيبك الدوادارى: المصدر السابق ٦، ١٢٦ و قد كان رد ملهم على جعفر " هو غلامى و قد وهبته " بيبرس الدوادار: المصدر السابق و الورقه، و يلاحظ أن جعفر ترك طبريه إلى دمشق، لأن ملهما أقام الدعوه باسم المعز لدين الله دون أن يشير إلى قتل فاتك.

٩- المقريزى: اتعاظ الحنفا، ١، ١٢٤ س ١.

١٠- نفسه، ١، ١٢٣. أس ١٧-١٩، ابن أيبك الدوادارى: الدرره المضيئه ٦، ١٢٦، جمال سرور: النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام ١٨ و ما بعدها.

١١- نفسه ١، ١٢٤. س ١-٢.

١٢- ابن أيبك الدوادارى: الدرر المضية ٦، ١٢٦-١٢٧، المقرئى، اعاض الحنفا ١، ١٢٤.

لثمان خلون من ذى الحجه ٣٥٩هـ، و فرض حصارا على المدينة، و اتخذ من يوم السبت ١٠ ذى الحجه [٣٥٩] معسكره، و مقر قيادته بحى الشماسيه و من هناك أشرف على المعركه ضد أحداث دمشق و أشرفها و جندها الذين قاوموا ضغط جند كتامه فتره ثم بدءوا يميلون لانهاء حاله الحرب و الحصار فى إطار الاعتراف بالسياده الفاطميه، غير أن جعفر بن فلاح، لم يستجب لهم بسهولة، قصدا لما عرفه من تقلب أهوائهم و سيطره الشطار و الأحداث، و الأشراف، و سائر عملاء العباسيين على الوضع الداخلى، و لذلك لقى وفد سكان المدينة معامله سيئه أثناء محاولتهم الاتصال به فى حى الشماسيه للحصول على الأمان، كما قبلوا بالتهديد و الوعيد من جانبه عند ما قابلهم بنفسه و كان هدفه فيما يبدو أن يكون هؤلاء أداءه تبليغ لسكان المدينة و لعناصر الشغب المتطرفين، ليشتد خوفهم و تزداد حيرتهم، عند ما يعرفون مدى تصميم القائد على إخضاعهم بالقوه القاهره، و ربما كان يريد بهذا التشدد أن ينصرف السكان عن المشاغبين، و يتخلصوا منهم، و بذلك تتبلور اتجاهات السلام و الصلح على أساس متين و يبدو أنه نجح فى خطته إلى حد بعيد، لأن السكان و قد هالهم هذا التشدد و احتاروا فى معالجه الوضع، لم يجدوا غير مشايخ البلد و أشرفها و كان جعفر بن فلاح يميل إليهم و يقدرهم لأنهم من آل البيت، و قد نجحت وساطتهم لانهاء حاله الحرب إنما بعد تشدد، و عند ما عرف استعدادهم لتنفيذ كل ما يطلبه، بدأ يتراجع عن موقف الشده الذى اصطنعه حتى هذا الوقت، و تبسط فى الحديث مع الوفد، و قرر أن يشرف بنفسه على إقامه الدعوه للمعز لدين الله فى الجامع الأموى فى يوم الجمعة و يتفقد شئون المدينة تطيبا لخاطر السكان، ثم يرجع إلى معسكره بالشماسيه.

و كان أعضاء الوفد قد بلغوا ذلك، و رغبوا من عنصر الشطار أن يلازموا بيوتهم، غير أن هؤلاء لم يستجيبوا لهذه الرغبه و استغلوا فرصه انتشار عسكر كتامه فى أحياء المدينة و أسواقها أثر الصلاه و قتلوا منهم كثيرين بحجه الدفاع عن النفس و عن الأموال، فتأثر جعفر للحادث و اعتبر ما حصل حركه عدائيه مقصوده لنقض عهد الأمان الذى تقرر مع وفد المدينة، و أنكر على المشايخ و الأشراف ما حصل من الغدر برجال أمير المؤمنين و تهددهم و لم تهدأ ثورته إلا عند ما اعتذروا عن الحادث و وافقوا على ما اقترحه من دفع ديات ضخمه، فديه لمن قتل من عسكره و تكلفوا بجمع المال من السكان.

و تشير النصوص إلى ثوره عامه شهدتها مدينة دمشق فى الجمعه الثانيه أى بعد الاتفاق على مبدأ الصلح و قد تزعمها عنصر الأشراف بقياده أبى القاسم بن أبى يعلى، الذى كان بمثابة رئيس المدينة ينتهى السكان عند رأيه، و يطيعه الشطار، و قد انضم إليه عرب بنى عقيل و منهم ظالم بن موهوب و أبناء عصودا، محمد، و إسحاق، و كان مظهر الثوره قطع الدعوه للمعز لدين الله و إزالة شعار الفاطميين و إرجاع الدعوه للمطيع العباسى و لبس شعار السواد، و كانت الثوره من الخطوره بحيث أن جعفر واجهها بقوه، و اجتهد فى إخمادها و فى القبض على رؤوس الفتنة و مشيرى الشغب، و يبدو أن جهوده أثمرت فى النهايه، و فشلت الثوره و فر زعماءها خارج دمشق، و بينما نجا محمد بن عصودا، و ظالم بن موهوب العقيل بالفرار إلى الإحساء حيث نجح فى الكيد للنفوذ الفاطمى بتاليب القرامطه و تشجيعهم على العوده إلى بلاد الشام و فشل الشريف أبو القاسم بن أبى يعلى، فى النجاه بنفسه إلى بغداد، فأدرکه ابن عليان العدوى، فى صحراء تدمر، و أرجعه إلى دمشق لکی ينال الجزاء من قائد الفاطميين، و قد قام جعفر بن فلاح بتشهييره فى المدينة على جمل، ثم أودعه السجن و أخضعه لامتحان عسير حتى رق لحاله و تآثر من مصيره و وعده التوسط عند جوهر لتخفيف العقوبه عنه و حرم ابن عليان من المكافاه و خاطب رجاله مستنكرا عليهم بقوله: " غدرتم بالرجل " ثم صرفهم عنه بدون مال، و أرسل الشريف و بعض " الأحداث " إلى مصر، أما الباقون و معهم إسحاق بن عصودا، فقد قتلوا و صلبوا و احتزت رءوسهم و علقت على أبواب المدينة، و فى الميادين الكبرى، و كان فشل هذه الثوره عاملا هاما فى

تشريد عنصر الأشراف و الحد من تطرف الأحداث، و شغب السكان فى دمشق التى استقرت أوضاعها مؤقتا، و عادت الدعوة الفاطمية إليها، كما كانت من قبل.

و عند ما بدا لجعفر بن فلاح أنه سيطر على الوضع الداخلى بتحطيم عناصر المقاومه، بدأ يرسى قواعد السيطره الفاطميه و يطبق مظاهر التحول الجديد، فى الدعوه، و فى الآذان و الإقامه. و تصرف على نحو يشعر بأنه اطمأن على الوضع فانتقل من معسكره بحى الشماسيه إلى الدكه فوق نهر يزيد، بظهر سور دمشق، و أشرف على حركه التعمير و البناء، فاتخذ لنفسه قصرا عجيبا بناه بالحجاره و تفنن فى بنائه حتى جعله " شاهقا فى الهواء غريب البناء " و حوله بنى الجند مساكنهم و معسكراتهم و نشطت حركه البيع و الشراء فى أسواقهم و اتسعت خطتهم و انبثت الحياه بين أظهرهم حتى صارت خطتهم " شبه المدينه "، و عنى بالجبهه الشماليه، و بمنطقه الثغور، فأرسل بعوثا عسكريه بقياده بعض مساعديه ضد الروم البيزنطيين فى الاسكندرونه و أنطاكيه التى احتلوا منذ فتره سابقه (محرم ٣٥٩هـ / نوفمبر [نوامبر] ٩٦٩ م).

و بدءوا يضغطون بشده على مدن شمال الشام و حلب خاصه، استضعافا للحمدانيين، بعد وفاه سيف الدوله (٣٢٢) سنه ٣٥٦ هـ - ٩٦٧ م، و كان قد أرسل من قبل داعيا هو أبو طالب التنوخى إلى أبى تغلب ناصر الدوله بن حمدان فى الموصل يعرفه بأنه فى طريقه لاعلان الدعوه الفاطميه فى بلاده، فرفض بشده على أساس قرب المنطقه من بغداد، و من ضغط القوات العباسيه، و لخص رأيه فى قوله: " هذا ما لا- يتم، لأننا فى دهليز بغداد و العساكر قريه منا و لكن إذا قربت عساكركم من هذه الديار أمكن ما ذكرتم ".

و رغم أن بلاد الشام حسب مظاهر السلطه الماديه و التغييرات المذهبيه، التى فرضت فى عهد جعفر بن فلاح، قد أصبحت ولايه تابعه لنظام الفاطميين، فإنها لم تبق عضوا صالحا و لم تحظ بميزه الاستقرار بل غدت منطقه اضطراب، و نقطه ضعف بارزه. و انصرف الخلفاء إلى معالجه مشاكلها، و صرف طاقتهم الكبرى فى ميادينها، أثر على نفوذهم فى بلاد المغرب خاصه، التى انحط شأنها و أصبحت نسيا منسيا، و مجالا حرا لتصرفات الزيريين.

و كان يمكن أن تتحطم جميع مشاريع المخالفين و يتغلب جعفر بن فلاح على المشاكل الداخليه و الخارجيه لو استعد و نسق مع نائب المعز لدين الله و راقب الوضع الداخلى و لم يثر خلافا مع بنى حمدان غير أنه أخطأ التقدير و أثار خلافات جانبيه و لذلك انهار بنيانه و لقي مصيره عند أول اصطدام بعناصر المعارضه للحكم الفاطمى التى أغراها الانتصار السريع فى بلاد الشام بمتابعه نشاطها لتصفيه ما للفاطميين من نفوذ فى مصر.

كانت أخطر المشاكل التي واجهتهم في بدايه اتصالحهم بهذه البلاد. وقد تحولت إلى حركة صراع مرير، لم يقتصر على بلاد الشام وإنما تجاوزها إلى مصر، و كان ذلك في عصر أبي على الحسن بن أحمد بن أبي سعيد بن بهرام، المعروف بالأعصم الذي ولى الاماره بعد وفاه أبيه سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩ - ٩٧٠ م وقد بنى سياسته الخارجيه على أسس منها:

التحرر تدريجيا من التبعية للفاطميين، و تأكيداً لهذا الاتجاه، أبعده الحسن بن أحمد العناصر المواليه للفاطميين من أسره أبي طاهر و جمعهم في جزيره (أوال) حتى لا يعتمد الفاطميون على ولائهم في التمهيد لاحداث الشقاق الداخلى، كما لم يعترض أثناء وجوده في مكه (٣٥٩هـ) على إقامة الدعوه باسم الخليفه المطيع العباسى، مع أن أشراف مكه كانوا يدعون للمعز لدين الله و يتقلدون الحكم باسمه منذ أن تدخل لفض خلافاتهم و دفع ديوات قتلاهم، و لا يفسر موقف الحسن بن أحمد، إلا على أساس أنه محاوله للتقرب من العباسيين و بنى بويه، على حساب الفاطميين، و عند ما بدأ المعز لدين الله في التحرك ضد الحسن بن أحمد بتشجيع أسره سابور أبي طاهر رد عليه بحذف اسمه من الخطبه و الدعوه للمطيع و إعلان الولاء للعباسيين نكايه في الفاطميين.

الاحتفاظ بالمركز السياسى للقرامطه في بلاد الشام كان ركنا سياسيا فى سياسه الحسن الأعصم، تمسكا بحق الفتح على أساس أن ذلك يتيح لهم مجالا للتوسع، و ميزات اقتصاديه هامه تمون خزينتهم بمبالغ ماليه ضخمه.

و هذا الاتجاه جعل الحسن الأعصم يقف موقفا معارضا لمد النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام.

و لكى يبرر نشاطه ضد النفوذ الفاطمى، و يمهده للاصطدام الذى أعد له، طلب من جعفر بن فلاح(١) الاستمرار فى دفع الأموال إلى القرامطه اعتبارا بان البلاد ما زالت تابعه لهم فى إطار سياسه الصلح التى قررها أحمد بن أبى سعيد، و الحسن بن عبيد الله بن طنج، و يعنى هذا الطلب المثير أن يصبح جعفر بن فلاح، معترفا بنفوذهم و متحملا لنتائج ترتبت عن توسعه باسم الفاطميين، فى أرض ارتبطت مع القرامطه برباط الصلح نظير دفع الأموال،(٢) و على هذا الاعتبار يصير القرامطه برباط الصلح للفاطميين فى بلاد الشام أتباعا لهم فى الإحساء، و لأن الطلب غريب و انبنى على تجاهل متعمد للوضع الجديد فى بلاد الشام فقد رفضه جعفر و اعتبره غير معقول و ترتب على الإلحاح من ناحيه القرامطه و الرفض الحاسم من جهه جعفر الاصطدام المباشر فى ميدان الشام و يبدو أن جعفرا لم يتصور تدخلهم العسكرى بسرعه، و لذلك لم يستعد لمواجهة حتى فاجئوه و هو فى قله من أنصاره.

و قد مهد القرامطه للتدخل فى شئون الشام بترحيبهم بالزعماء الفارين منها، عقب فشل ثورتهم فى دمشق، و من هؤلاء محمد بن عسودا، و ظالم ابن موهوب، اللذان بسطا للقرامطه حقيقه الوضع السياسى و موقف السكان من الفاطميين و حثا الحسن بن أحمد على سرعه التدخل لنجده سكان البلاد من بطش المغاربه. و فرار هؤلاء الزعماء إلى الإحساء، كان يعلم به القائد الكتامى لكنه لم يدرس عواقبه و يحذر نتائجه، أما الحسن الأعصم فقد اهتبل الفرصه، و تظاهر بأنه منقذ لسكان الشام و منفذ لرغبات زعمائهم، و لم يكن فى الواقع حريصا على غير تحقيق أهدافه فى البلاد على نحو يبقياها تحت دائره نفوذه السياسى و الاقتصادى و لو بالتحالف المؤقت مع العباسيين.

و فى الوقت الذى التام فيه شمل الأحداث بقياده الحسن الأعصم، الذى أصبح فى حاله تعبئه كامله من الناحيتين الماديه و المعنويه و صار يتظاهر بأنه يتصرف بوحى من الإراده الشعبيه فى بلاد الشام و فى إطار الشرعيه لتصحيح الأوضاع المنحرفه،

حيث اتخذ الأعلام السود شعارا و عليها اسم الخليفه المطيع، و تحته شعار القرامطه الجديد "الساده الراجعون إلى الحق" و زحف إلى دمشق.

و لم تكن قوات جعفر بن فلاح مجتمعه في دمشق، بل أغلبها كان في النواحي أو في منطقه الإسكندريه لحرب الروم، و من ثم لم يتم له استرجاعها إلى دمشق و حشدها ضد الأحلاف المعاديه على الوجه الذى أراد، و هكذا فوجئ بقوات ضخمه لم يكن يتوقعها و هو في قله من الأعوان. "فلم يكن إلا كرجع الطرف أو دونه حتى انهزمت المغاربه".

و يلاحظ أن جعفرا لم ينظم قواته و لم يختبر الحاله السائده بينهم كما لم يقدر قوه أعدائه، لأنه لم يرتب طلائع لتقصي أخبارهم و حركاتهم و ذلك بدافع الاستهان بهم، و من ثم "لم يشعر بهم حتى كبسوه بظاهر دمشق". (٣)

و قد أخذ جعفر برأى بعض أعوانه، ففارق مركزه الحصين في مدينه دمشق و لقي قوات الأحلاف خارج المدينه "بطرف البريه"، (٤) و هذا جعل جانبه ضعيفا بسبب كثره أعدائه، و ربما لو أنه ترك الأمر لأحد مساعديه، و بقى في المدينه يمدده بالنجادات، و لم يخرج بنفسه على حالتي الاستعجال، و الارتجال، و ربما كان مريضا، (٥) لأمكن الصمود، و تدبير الدفاع عن المدينه من داخل الأبواب. و لو لفته يسيره، و لما وقع الانهيار السريع لخطوط دفاعه، عند أول لقاء بالقوات المهاجمه في قريه الدكه على نهر يزيد حيث هزمت قواته و تفرق رجاله و أصبحوا بين قتيل، و أسير، و فار، كما قتل - هو - في ظروف غامضه، و احتز رأسه محمد بن عسودا، و صلب جثته على حائط داره، انتقاما منه لقتله أخاه إسحاق بن عسودا أثناء فشل ثوره الشريف أبى يعلى. (٦) ٨.

ص: ١٠٤

١- ابن الجوزى و يشير إلى مكاتبه الحسن بن أحمد للقائد الكتامى و تضمنت قوله يهدده: الكتب معذره و الرسل مخبرهو الحق متبع و الخير موجود و الحد ساكنه و الخيل صافنهو السلم مبتدل و الظل ممدود و أن أنبتم فمقبول إنابتمو إن أبيتتم فهذا الكور مشدود على ظهور المطايا أو يردن بنادمشق و الباب مهدوم و مردود.

٢- و كان مقدارها سنويا ثلاثمائة ألف دينار و قدرها الذهبى بمائه ألف و عشرين ألفا (تاريخ الإسلام ٣، ورقه ١٨٩).

٣- بيبس الدوادار: زبده الفكره ٦ ورقه ١١٦، المقريزى: اتعاظ الحنفا ١، ١٨٧ س ٦-٧ وهنا يصور الوضع بقوله "تفرق الناس عن جعفر إلى مواضعهم، و لم يفكروا بالموكلين على الطرق" ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق ١.

٤- المقريزى: اتعاظ الحنفا ١، ١٨٧-١٨٨، ابن ظافر: المصدر السابق ورقه ٤٨ و فيه عن مسرح المعركه قوله: لقيه جعفر دونها "

٥- ابن الجوزى: المصدر السابق ج ١١ ورفات ١٥، ١٨، النویری: نهايه الإرب ٢٦ ورقه ٤١-٤٢.

٦- ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق ٢ هامش ١، و تعرف الدكه بالدواسه أيضا، و قد اعتبرت من عجائب دمشق، ابن ظافر أخبار المنقطعه ورقه ٤٨، عمر كمال توفيق: المرجع السابق ٧٨.

و أصبحت دمشق منذ ٦ ذى القعدة ٣٦٠ هـ/أغسطس ٩٧٠ م، منطقته نفوذ للحسن بن أحمد القرمطى الذى باشر جبايه المال من سكان المزه، و منح الأمان لهم و لسكان دمشق، كما أعلن الدعوه للمطيع العباسى، و تظاهر بأنه أمير مفوض من طرفه و أعاد شعار السواد، و الخطبه فى كل المدن التى استرجعها من ولاة الفاطميين، و أهمها الرمله التى فارقها سعادة بن حيان و تحصن فى يافا و لما انصرف عنها الحسن بن أحمد ترك لحصارها ظالما بن موهوب العقيلى و أبا الهيجاء بن المنجا القرمطى، و يظهر أن الأمر لم يطل بسعادة بن حيان، حيث تركها إلى مصر، (١) التى أصبحت هدفا مباشرا للقرامطه بعد سقوط بلاد الشام. (انتهى).

و إذا كان المقصود فى هذا المقال هو الحديث عن جعفر بن فلاح، فاننا نرى تماما للفائده مواصله الكلام عما آل عليه أمر القرامطه فى صراعهم مع الفاطميين بعد مقتل جعفر بن فلاح:

و قد استخلص جوهر الصقلى، العبره من قتل جعفر بن فلاح على يد القرامطه و تحاشى سعادة بن حيان الاصطدام بهم، بسبب تفوقهم العددي و بذل جهودا جباره من أجل تقويه مركزه فى القاهره، فاحتفر خندقا فى الجبهه الشاميه ليمنع نفاذ القرامطه إلى المدينه، و نصب عليه بايين من حديد، و بنى القنطره على الخليج و فرق السلاح على المغاربه و المتطوعين المصريين، و تحفظ على ابن الفرات و وكل به من يلازمه حتى فى داره، و يصاحبه حيثما سار. ثم أجبره على البقاء فى القاهره. كما راقب بقايا الكافوريه و الإخشيديه فى مصر، و كان هدفه من هذه الاجراءات، و من التحصين بمدينه القاهره " أن تصير - هذه - حصنا فيما بين القرامطه و مدينه مصر ليقاتلهم من دونها".

و كانت هذه الاجراءات ضروريه، لأن ضغط القرامطه على حدود مصر هيا لعناصر المعارضه فى الداخل فرصه التحرك، و فى الوقت الذى ثار سكان تينس ضد واليهم و استغلوا فرصه سيطره القرامطه على القلزم (ذى الحجه ٣٦٠ هـ)، و على الفرما (محرم ٣٦١ هـ) فخلعوا طاعه جوهر و أظهروا الدعوه للمطيع العباسى، و شعار السواد، و زعت مناشير وجد شىء منها فى الجامع العتيق، و تضمنت التشهير بجوهر و تحذير السكان منه، و ظهرت ثوره عباسيه فى الصعيد. و تحرك سواد الرعيه لترديد بعض الشعارات المعاديه، كما مال الجند المصريون إلى العصيان.

و قد واجه جوهر هذه التحركات المعاديه بحزم و بحكمه فادب ثوار تينس، و الصعيد، و وبخ السكان على ترويجهم للدعايات السيئه، و أثارتهم للعنف استغلالا للظروف الدقيقه، و قد اعتذر السكان، و رجع الهدوء إلى مدينه الفسطاط و استقر الوضع الداخلى حتى مستهل ربيع الأول ٣٦١ هـ حيث بدأت المعركه الحاسمه مع القرامطه حول الخندق، و بعد قتال عنيف استمر عدّه أيام انتهت المعركه لصالح جوهر، و انهزم الحسن الأعصم و أحلافه من بنى عقيل و طى، و بقايا الكافوريه، و انسحب ليلا عن طريق القلزم إلى بلاد الشام، و منها إلى الإحساء، بعد أن ترك أبا الهيجاء عبد الله بن المنجا فى دمشق يساعده ظالم بن موهوب العقيلى، و مهمتهما المحافظه على ولاء بلاد الشام و جبايه خراجها، و كان الحسن يقرب أبا الهيجاء، و يعتمده، و ذلك ما أغضب ظالما و جعله ينسحب من الحلف و يبقى فى بعلبك بعيدا عن نفوذ القرامطه و الفاطميين إلى حين.

و إذا كانت جهود جوهر قد كللت بالنجاح فان رغبته فى قتل الحسن الأعصم أو أسره حيا، لم تتحقق رغم أنه رصد لمن ينجح فى ذلك، ثلاثمائة ألف درهم و خمسين خلعه و خمسين سرجا بحلى على دوابها.

و معنى ذلك أن المشكله لم تجد حلها النهائى بعد، ذلك أن الحسن الأعصم الذى انسحب مؤقتا، لمزيد من الأعداد، دبر خطه

جديده أساسها الضغط على مصر بحرا، و برا، و شعورا جوهر بحده المشكله دفعه إلى مكاتبه المعز لدين الله يستحثه على القدوم إلى مصر، فاستجاب و أسرع " و هو يظن أنها ستخرج من يده قبل وصوله إليها". كما أمد جوهرًا بنجدات بريه هامه.

و بفضل إخلاص جند كتابه و شجاعتهم و بأس ابن عمار تحطمت مشاريع القرامطه، ففشل الغزو البحري لمصر عن طريق تنيس و غيرها من سواحل مصر، و أنزلت بهم هزيمه في (الحواف). و أسر كثير من رجالهم و احتجزت سفنهم و أعلامهم و عدتهم.

و يبدو أن المعز لدين الله لم يكن يتصور مدى خطوره الحركه و هو في بلاد المغرب، لأن تفاصيلها لم تبلغه كما وقعت فعلا، فلما استقر في القاهره و عرف تأثير الحركه و أبعادها، حاول أن يعالج مشكله العلاقه مع القرامطه، بالطرق السلميه، فأرسل بيانا سياسيا مطولا إلى الحسن بن أحمد، ينكر عليه الاتجاه التخريبي، الذي تبناه على غير سبب معقول أو أساس مقبول، إلا سفك دماء الأبرياء تعطشا إلى السلطه.(٢)

و لما كان رد الحسن الأعصم على بادره المعز لدين الله جافا و معبرا عن الاستمرار في السياسه العدائيه و متضمنا للسخرية منه، لأطابه في الحديث دون فائده و نصه "وصل إلينا كتابك الذي كثر تفصيله و قل تحصيله، و نحن سائرون إليك على أثره و السلام، لم يبق غير المواجهه الحقيقه في ميدان الحرب.

و قد جرت المعركه هذه المره منذ شهر رجب ٣٦٣ هـ/ آذار ٩٧٤ - في ظروف تختلف عن ظروف الحرب الأولى، فالجبهه الداخليه في مصر أصبحت أكثر تماسكا بسبب إشراف المعز لدين الله بنفسه على المعركه و قد أراد الحسن الأعصم أن تكون الثوره شامله للصعيد و للدلتا، و اعتمد خاصه على تفجير الوضع الداخلي، و النيل من الجبهه، باستماله عناصر المعارضه، و قد نجح في جذب فريق من الأشراف يتزعمهم عبد الله بن عبيد الله أخو مسلم، الذي أعلن ثوره في الصعيد، و جبي الأموال و نكل بجند كتابه، و استقر في أخميم، و لم يبرحها إلى الشام، ثم إلى الإحساء، حيث لقي مصيره قرب البصره، (٣) إلا بعد أن سمع خبر هزيمه القرامطه أمام خندق القاهره، ثم انسحاب الحسن بن أحمد، على حاله سيئه، إلى الإحساء عبر بلاد الشام، بعد أن تفرق عنه رجاله و تامر عليه بنو طيئ و زعيمهم حسان بن مفرج لقاء أموال كثيره و عدوا بها من طرف المعز لدين الله الذين.

ص: ١٠٥

١- و لم يفارق سعادته بن حيان مصر حتى توفي لعشر بقين من محرم ٣٦٢ هـ، أي قبل وصول المعز لدين الله، و لذلك لم يقدر له أن يشترك إلى جانب جوهر و المغاربه في الدفاع عن القاهره ضد القرامطه أثناء حملتهم الثانيه.

٢- ابن أبيك الدواداري: الدرر المضيئه ٦، ١٤٩-١٥٦، بيبس الدوادار: زبده الفكره ٦ ورقه ١١٤-١١٥، و قد تضمن قول المعز يخاطب الحسن " فاما أت أيها الغادر البائن.. الخارج عن الجماعه و السنه".

٣- نفسه ١، ٢٠٢-٢٠٥ في مكان سمي النصيريه. و قد سمه القرامطه لاختلافهم معه في الرأي حول التعبئه للحرب ضد الفاطميين.

هالته قوه الأحلاف، و لم يجد وسيله للنجاه غير تفريق كلمتهم و تخذيل بعضهم عن بعض.(1)

و لم يبق أمام المعز لدين الله - وقد نجح فى حمايه القاهره من السقوط إلا تصفيه آثار القرامطه و نفوذهم فى بلاد الشام و إعادتها ولايه فاطميه كما كانت، و قد تولى تنفيذ هذه المهمه، أبو محمود إبراهيم بن جعفر بن فلاح بمعيه قوه من كتامه، و بمساعدته ظالم بن موهوب العقيلي، الذى مال إلى التعاون مع الفاطميين، و بالتنسيق بين هذين القائدين بناء على رغبه المعز لدين الله ألقى القبض على أبي الهيجاء و بقايا القرامطه و أعوانهم من بين الأحداث، و فيهم محمد بن أحمد النابلسى الفقيه المالكي و أرسل الجميع إلى القاهره حيث طيف بهم على الإبل بالبرانس و القيود(2) و بينما اكتفى المعز لدين الله باعتقال القرامطه فتره، ثم أطلق سراحهم و خلع عليهم قتل النابلسى.

و كانت هذه الحركه مقصوده، للتأثير على القرامطه حتى يراجعوا سياستهم تجاه الفاطميين، و فى هذا المعنى أنفذ رسولا إلى الإحساء منذ شهر شوال ٣٦٤ هـ (٣٦٧) و قد تلقى جوابا منهم فى منتصف ذى القعدة ٣٦٤ هـ/يوليه. " فخلع على الرسول، و على جماعه معه و حملوا"، و قد أكده الحسن الأعصم برساله إلى المعز فى ربيع الآخر ٣٦٥ هـ/ديسمبر - ٩٧٥ م و تضمنت الرجوع إلى الطاعه. و استمر الوضع على هذا النحو حتى توفى المعز لدين الله. و رغم أن القرامطه لم يقطعوا صلتهم ببلاد الشام بسبب مكاتبتهم للمغامر أفتكين يعدونه بالعوده إلى الميدان، فى أخريات حياه المعز لدين الله، و هو الأمر الذى لم يخف عليه، فان وفاته كانت حدا فاصلا، جعلهم أحرارا فى الحركه إلى بلاد الشام، نصره للعناصر المعارضه للحكم الفاطمى فيها، و توالى النجيدات، بقياده إسحاق و كسرى، و جعفر من قاده القرامطه ثم انضم الحسن الأعصم إليهم فى نهايه الأمر، و كان ظهوره، بدايه لانقلاب بالوضع فى بلاد الشام لغير صالح الفاطميين، و قائدهم جوهر الصقلى.

و عند ما نجح العزيز بالله فى إزالة خطر المغامر أفتكين و ضمه إلى صنائعه و أدخله إلى مصر، لم يستجب الحسن الأعصم لنداء الخليفه بالاجتماع به و لم يستغل القرامطه بعد وفاه الحسن الأعصم مشاكل الفاطميين فى بلاد الشام، و استمر الأمر حتى عصر الحاكم بامر الله إذ تشير بعض النصوص إلى توتر العلاقه بين القرامطه و الفاطميين فى عصره و قد كان عنوان التوتر، رساله أرسلها زعيم القرامطه إلى الحاكم بامر الله يهدده، و يتوعده شرا، و يطلب منه الاستسلام، " لتكون آمننا على النفس و المال و الأهل و الولد " فأجابه الحاكم مسفها رأيه و مستهينا بقوته و مهددا له بسوء العاقبه بقوله " فيجب أن تعلم أن قد أحاط بك البلاء و نزل بك الفناء، فما أنت جئت بل الله جاء بك " و عند هذا الحد، لا تشير النصوص بعد ذلك إلى حركات أو زخوف قرمطيه ضد مصر أو الشام بسبب انصرافهم إلى مشاكلهم الداخليه، و إلى معالجه الأخطار الخارجيه التى تعرضوا لها منذ زمن طويل، من جهه بنى بويه(3) و بعض المغامرين و من ثم لم تشر إلى نتيجة توتر العلاقه بينهم و بين الحاكم بامر الله.

و لم يستطع القرامطه الوصول إلى أهدافهم بإرجاع السيطره على بلاد الشام، و الضغط منها لإسقاط نظام الخلافه الفاطميه فى مصر و أصبحت القاهره حصنا حصينا يقى السلطه الشرعيه من أيه حركه انفصاليه.

و هزائمهم المتواليه أمامها أصابت هيبتهم و حطمت كبرياءهم و وضعت حدا لتوسعهم و كانت بدايه لمتاعبهم الداخليه (راجع: جوهر الصقلى).

ولد سنة ١٣٢٣ و توفي سنة ١٣٩٩.

نال (الدكتوراه) من كلية الإلهيات في جامعه طهران [طهران]، ثم اختير مدرسا فيها. كان من البارزين في مجال التحقيق، و قد قام بتحقيق ٣٠ كتابا خلال أربعين سنة من نشاطه العلمى. و كان مسئولا عن المخطوطات في المكتبة الوطنيه مده طويله.(٤)

جلال همایى

ولد عام ١٣٠٧ و توفي عام ١٣٩٩.

العالم المتتبع الخبير المتصلع فى الأدب و العرفان و الحكمة و الهيئه و النجوم و الشعر. يعد أحد كبار المثقفين الجامعيين فى القرن الأخير درس العلوم الإسلاميه ثم صار معلما فى مدارس طهران و أصفهان و تبريز ثم صار أستاذا فى جامعه طهران.

أجازه كثير من العلماء الكبار كالشيخ مرتضى الآشتياني و غيره. له أكثر من ٣٠ مؤلفا و عشرات المقالات فى المجالات الاختصاصيه الإيرانيه.(٥)

السيد جواد المصطفى

أستاذ علم الحديث و الدرايه بجامعه خراسان ولد عام ١٣٤٠ بأحد ضواحي مدينه مشهد. درس المقدمات عند أبيه الذى كان إمام القرية ثم هاجر مع عائلته إلى مشهد و درس هناك فى حوزتها ثم سافر إلى طهران و أكمل دراساته فى جامعه طهران و حاز على درجه الدكتوراه من كلية الإلهيات و الشريعة كان عالما فاضلا خلوقا محبا للعلم و العلماء - له مؤلفات عديده.

توفى عام ١٤٠٩ هـ و دفن بخراسان.(٦)

ص: ١٠٦

١- المقرئى: اتعاظ الحنفا ١، ٢٠٢-٢٠٦، ٢٣٠، ابن أيبك الدوادارى: الدرہ المضيه ١٥٩.٦-١٦٠ بيبرس الدوادار: زبده الفكره ٦، ورقه ٢١٥-٢١٦، ابن القلانسى ذيل تاريخ دمشق ٤. و جهود المعز فى ميدان الحرب ضد القرامطه التى اشترك فيها ابنه و حجته عبد الله، و جند كتامه و عنصر الأشراف و المتطوعون المصريون و بذله الأموال بسخاء و توزيعه السلاح على الرجال كانت من بين العوامل الأساسيه فى الهزيمة التى منى بها الحسن الأعصم و ذلك قبل انسحاب بنى طيى من الميدان.

٢- نفسه ١، ٢٠٦، ٢٠٨، و قد اتصل النابلسى بجعفر بن فلاح فى الرمله، و نهاه عن أمور له، ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق ١ س ١١، ابن الجوزى: المصدر السابق ج ١١ ورقه ١٧. و قد نقل عن النابلسى قوله: "لو أن معى عشره أسهم، لرميت تسعه فى المغاربه و واحدا فى الروم" و قد اعترف بذلك أمام المعز لدين الله.

٣- ابن الأثير: الكامل ٩، ١٥-٢١ و قد أشير فى النصوص إلى محاوله غزو بويهى للإحساء فى عهد عضد الدوله بن بويه كما وقع صدام بين القرامطه و البويهيين حول الكوفه، و تعرضت الإحساء لغزو خارجى تزعمه بنو المنتفق، بقياده الأصفه و قد انهزم القرامطه فانكسرت شوكتهم "و زال من حينئذ بأسهم".

٤- الشيخ محمد رضا الأنصاري.

٥- الشيخ محمد رضا الأنصاري.

٦- الشيخ محمد رضا الأنصاري.

(١) قال الدكتور موسى لقبال:

جوهر القائد الذي أشرف على فتح مصر و بناء مدينة القاهرة و مسجدها، هو من مسلمى جزيره صقلية، لذلك عرف بالصقلي، كما وصف بالرومي، لأن جزءا من الجزيره كان بايدى الروم، و بالصقلي أيضا، كان من بين موالى الخليفة الفاطمي المنصور المقربين إليه.

لم يظهر لجوهر دور هام و لم يلقب فيما يبدو، قبل عصر المعز [المعز] لدين الله الذي عينه كاتبا في بدء خلافته و من ثم عرف بلقب الكاتب. و بالقائد أو قائد أبي تميم، و عبد المعز و مولى أمير المؤمنين مثل جوذر الصقلي الذي ظفر بهذا اللقب بعد موقعه كنايه، و علت قيمته قبيل إرساله على رأس حمله ضد الثوار في أرجاء بلاد المغرب حتى قيل إنه رقى إلى رتبة الوزاره تشريفا له، لكنه لم يلقب بلقب الوزير و لا- بالإشراف على الدواوين و إنما كان بمثابة الواسطه بين الخليفة المعز لدين الله و كبار رجال الدوله حتى أن القاضي النعمان لما استطلع رأى المعز عما يقرأه يوم الجمعة من علوم أهل البيت على جماعه المؤمنين رد عليه بقوله: "أخرجنا لك ما تقرأه اليوم و اجتمع بجوهر يكتبه لك".

و قد عاده المعز دين الله أثناء مرضه الخطير مبالغه في العناية به كما أسند إليه قياده أضخم حمله لفتح مصر و فوض إليه التصرف في شئونها بعد الفتح و الاشراف على حركه التوسع منها، في بلاد الشام.

و قد أمر المعز لدين الله، جميع رجال الدوله بما فيهم أولاده و إخوته و حجتة عبد الله، بان يترجلوا له، و كان ذلك حدثا لم تجربه الرسوم. و قد ألزم بذلك سائر الولاة، و الحكام، و قد أمر حجاب جوهر جميع الوفود لاستقباله في الجيزه بالترجل له باستثناء الوزير ابن الفرات، و الشريف أبي مسلم. كذلك ترجل له سعادته بن حيان عند ما قدم على رأس نجده من بلاد المغرب.

و عرف قبل انتقال المعز لدين الله بلقب النائب و خليفه المعز و كان إلى جانب الخليفه المعز على المنبر أثناء خطبه أول عيد فطر يقام بعد انتقاله إلى مصر.

و عند ما منع المعز لدين الله من النداء عن زياده منسوب النيل حتى يصل إلى مستواه العادى و هو ستة عشر ذراعا أمر بان لا يكتب بذلك إلا إليه أو إلى القائد الجوهر.

و يبدو أن بروز أهميه عسلوج بن الحسن الصنهاجى، و يعقوب بن كلس، في سياسه الدواوين و الأشراف على الأموال كان يعنى الحد من صلاحيات جوهر القائد الذي احتفظ بنفوذه خاصه في الميدان العسكرى.

و كانت هزيمته أمام القرامطه في بلاد الشام، أثناء حركه أفتكين بمثابة شاره على تراجع أمره، و ضعف سلطانه و قد اعتمد العزيز بالله على ابن كلس في تدبير شئون الدوله و أبعده جوهر عنه لكنه كان يستشير به باطنا. (٢)

و لعل أوضح دليل على انصراف العزيز عنه أنه أمر كغيره من القاده بالترجل لمنجوتكين الذي قرب به العزيز بالله. و قد شعر جوهر بما لحقه من مهانه فكان يدعو الله على نفسه بالموت: "و ها أنا اليوم أمشى راجلا بين يدي منجوتكين، اغزونا و أغزوا بنا غيرنا،

و بعد هذا فأقول: اللهم قرب أجلى و مدتى فقد أنفت على الثمانين أو أنا فيها". و قد استجاب الله دعاءه فتوفى سنة ٣٨١ هـ (٩٩١ - ٩٩٢ م).

و لما كان أعظم حدث فى حياه (جوهر) هو فتحه لمصر، فاننا نذكر فيما يلى المحاولات الأولى لهذا الفتح، تلك المحاولات التى لم تنجح، ثم نجحت على يد جوهر، مكتوبا ذلك بقلم الدكتور موسى لقبال:

لم يكن للدعوه الفاطميه التى انتشرت من دار الهجره فى سلميه إلى الآفاق البعيده فى المشرق، و فى المغرب، هدف مباشر و نهائى فى دار الإسلام، غير إسقاط نظام الخلافه العباسيه و إحلال الخلافه العلويه محلها، إحياء لمجد العلويين فى المشرق، و إنصافا لهم من الغاصبين.(٣)

و لما كان هذا الهدف لا يتحقق إلا فى ظل نظام سياسى علوى قار، يكون فى منطقه ما من بلاد المشرق، أو فى إقليم وثيق الصله به مثل مصر، فقد اتجهت العناية فى المرحله الأولى من التوسع على حساب العباسيين لتحقيق الهدف نحو تأسيس أنظمه سياسيه فى الأطراف، حيث تكون هذه بعيده عن مركز الثقل العباسى، و حيث توفر الأمن، و يوجد استعداد من السكان الذين كانوا يميلون إلى تأييد دعوى العلويين بدافع حبهم لآل البيت و كانت هذه الخطه متقنه و حكيمة، لأن الفاطميين استغلوا الأوضاع المختلفه فى المناطق البعيده فى التمكين لأنفسهم و لحركتهم و فى الأعداد و فى التهيئه المعنويه و الماديه، قصد التسرب إلى المناطق الأخرى المجاوره، تدريجيا كل ذلك فى إطار الاحتراز من الاحتمالات السيئه و المفاجئات غير الساره.

و من ثم لم يكن رجال الدعوه الفاطميه منذ البدء راغبين فى استقرار الدوله الفاطميه باليمن، لفقرها و تطرفها حتى لو حصلت هجره عبد الله المهدي إليها، و أعلن منها الدوله العلويه، كما لم يفكر أى خليفه من خلفاء الفاطميين فى الاستقرار نهائيا فى بلاد المغرب رغم أهميه موقعه و غناه و سعه مجالاته و تفتح أراضيه على عالم البحر المتوسط و إفريقيا، و الأرض الكبيره.

و إنما كان الفاطميون يعدون ليوم العوده إلى بيئتهم الشرقيه التى غادروها مضطرين. و فى المشرق أنصارهم و مؤيدوهم و دعواتهم المنتشرون فى الجزائر المختلفه و منها مصر، و باقى أراضى الخلافه العباسيه.

و من ثم لم يكن للفاطميين خطه أخرى، ثم حملهم عداء المالكيه و ثورات زناته و بعدهم عن المشرق، على تغييرها لأن الوجهه المشرقيه للحركه الفاطميه، ظهرت منذ عصر مبكر، على لسان عبد الله المهدي قبل دخوله أرض مصر أثناء فراره إلى بلاد المغرب. فقد خاطب أحد ولاه الرمله المتشيعين الذى خشى عليه من رقباء العباسيين فى الطريق، بقوله: "طب نفسا، و قر عينا، فو الذى نفسى بيده، لا وصلوا إلى أبدا، و لنملكن أنا و ولدى نواصى ولد العباس، و لتدوسن خيولى بطونهم".(٤) و مثل هذا القول، لا يدل إلا على وجود خطه ثابتة ضد العباسيين فى المشرق، كان من المفروض لها فيما يبدو أن تنفذ من سلميه لو لا انكشاف أمر الحركه

ص: ١٠٧

الأصل من ذكره لبعض كبار رجال الشيعة من الزيديين و الفاطميين (ح).

٢- كان ابن كلس من الناقلين على جوهر.

٣- المقرئ: اتعاظ ٢، ٥٣ ص ط ١٩٦١.

٤- اليماني: سيره جعفر ١١٢.

للعباسيين، و كانت "هجرة المهدي إلى المغرب، مفاجاه مذهله لأخلص رجاله، و أكبر دعائه لأنهم كانوا على علم بالخطه الأصليه و باهداف الحركه الفاطميه، و لم يكن من بينها فيما يبدو، إعلان الخلفه العلويه فى أقصى دار الإسلام أى فى بلاد المغرب.

و تصرفات المهدي بعد إعلان الخلفه الفاطميه فى رقادہ و إرساله الحملات ضد برقه، و مصر أكثر من مره و مجازفته بحياه ابنه أبى القاسم فى ميادين بعيده عنه كانت التزاما بالخطه الأصليه. (١)

و كان رد المهدي على ابنه الذى تردد و خاطب أباه " يا أمير المؤمنين قد خولك الله، و ملكك و أعطاك من الدنيا ما فيه سعه و كفايه فعلا م تغم نفسك، و تشغل صدرك، دع هذا حتى ياتى الله به عفوا " ردا حازما و عمليا فقد قبض يده اليسرى و قال: " نعم هذا المغرب فى قبضتى هذه، و بسط اليمين و قال: و لكن كفى هذه من المشرق صفر، إن ثقل عليك ما أمرتك به، خرجت له بنفسى ". (٢)

و مثل هذا الرد لا يدل على غير الإصرار على مضايقه العباسيين و الرغبه فى تعبيد طريق المشرق لمن ياتى بعده، رغم أنه كان يعلم أنه ينطلق من قواعد غير مستقره، إلى مناطق يسودها الأمن و الاستقرار فى ظل ولاه مصر العباسيين، و أن الخلفه العباسيه فى هذه الفتره على جانب كبير من القوه تمكنها من الاحتفاظ باراضيها و رد الأخطار عنها، (٣) لم يشأ ابنه أن يشذ عن الاتجاه العام، فاستجاب لرغبه أبيه، رغم اقتناعه بعدم جدوى العمل فى هذا الوقت و ناضل ضد ولاه العباسيين فى مصر بالقلم و السيف و لقى الهزائم المنكره و قوبل بالسخرية، (٤) و غير من طرف السكان، (٥) و كان المهدي يقابل كل ذلك بعدم الاكتراث، لأنه مقيد بخطه قديمه بانته ملامحها فى بلاد المغرب فى أول صلاه جمعه دعى له بامرہ المؤمنين " اللهم فانصره على أعدائك المارقين، و افتح له مشارق الأرض، و مغاربها كما وعدته، و أيدہ على العصاه الضالين ". (٦)

و اهتمام المهدي و خلفائه باقليم برقه يدخل فى إطار السياسه الشرقيه للخلفه الفاطميه. و من برقه، انطلقت البعوث الاستطلاعيه ضد حدود مصر، و الحملات العسكريه البريه و البحريه لضم أراضيها فى الجنوب، و فى الشمال، و إليها التجأت العناصر المواليه للفاطميين، و الثائره ضد ولاه العباسيين فى مصر.

و أهميه قاعده برقه، باب مصر فى الاستراتيجيه الفاطميه للنضال ضد العباسيين فى المشرق، تماثلها أهميه قاعدتى فاس و طنجه، باب الأندلس، للنيل من الأمويين، ثم صقلية، و قلوريه باب أروبا، للنشاط الثغرى ضد البيزنطيين.

و لم يرث القائم بامر الله عن أبيه، لقب الخلفه فقط بل أصبح ملتزما بنفس سياسته و اتجاهاته الشرقيه، و باقلاق راحه العباسيين من مركزهم فى مصر، غير أنه - بعد أن خبر ميدان الحرب فى الجبهه المصريه - كان يميل أيضا لاستخدام أساليب السياسه و الدعوه الهادئه لكسب ولاء مصر، (٧) و جلب ولايتها الإخشيديين للاعتراف بالسياده الفاطميه، و التعاون مع الفاطميين جيرانهم فى المغرب، و لذلك أرسل إلى محمد بن طنجج الإخشيد الذى أنزل هزيمه منكره من قبل برجاله، يطلب منه الاعتراف بالولاء للفاطميين، بوصفه تابعا و حليفا، أو جارا صديقا، إثارا لجانب السلم بين الجيران و إشاعه لروح الموده و الألفه، و التعاون بينهم ضد الأخطار، و لم ينس أن يهون عليه مسأله الانفصال عن العباسيين، باعتبار أن الولاء لهم أصبح عاده تقليديه قديمه، فضلا عن كونهم لا يقدرون قيمه المخلصين من رجالهم.

و لقد تضمنت الرقعه التي كتبها القائم بامر الله بخطه و لم يطلع عليها أحدا قوله: يخاطب الإخشيد: "قد خاطبتك أعز الله، في كتابي المشتمل على هذه الرقعه بما لم يجز لي في عقد الدين، و ما جرى به الرسم من سياسه أنصار يستجلبون، و ضمن رقعتي ما لم يطلع عليه أحد من كتابي، و ذوى المكانه عندي. و أرجو أن تردك صحه عزيمتك و حسن رأيك إلى ما أدعوك إليه، فقد شهد الله على ميلي و إثاري لك و رغبتى فى مشاطرتك ما حوته يمينى و احتوى عليه ملكى، و ليس يتوجه لك بالعدر فى التخلف عن إجابتي، لأنك قد استفرغت مجهودك فى مناصحه قوم لا- يرون إحسانك و لا- يشكرون إخلاصك، يخلفون وعدك و يخفرون ذمتك، لم يعتقد منهم أحد حسن المكافاه، و لا جميل المجازاه، و ليس ينبغى لك أن تعدل عن منهج من نصحك و إثار من آثرك إلى من يجهل موضعك، و يضيع حسن سعيك، و أنا أعلم أن طول العاده فى طاعتهم قد كره إليك العدول عنهم فان لم تجد من نفسك معونه على اتباع الحق و لزوم الصدق فاننى أَرْضَى منك بالموده و الأمر و الطاعه حتى تقيمنى مقام رئيس من أهللك تسكن إليه فى أمرك و تعول بمثل ذلك، و إذا تدبرت هذا الأمر علمت أن الذى يحملنى على التواطؤ لك و قبول الميسور منك، إنما هو الرغبه فيك، و أنت حقيق بحسن مجازاتى على ما بذلته و الله يريك حسن الاختيار، فى جميع أمرك و هو حسنا و نعم الوكيل". (٨).

و رغم أن الإخشيد، تاثر بمضمون الرساله إلا أنه كان بعيد النظر، عند ما لم يسارع بالاجابه عنها، و اعتذر بأنه أمى، و من الصعب عليه نظرا لعلاقاته الخاصه بالعباسيين، أن ييوح بسر خطير، لأى كاتب من كتابه،(٩) قد يستغله عليه. و ترك نفسه حر التصرف، يتأمل أبعاد المشروع الجديد و مكاسبه، و يبدو أنه مال فى فتره ما من صفاء ذهنه، إلى البقاء على موقف التحفظ، لأن ارتباطه بالعباسيين يتيح له قدرا كبيرا من الاستقلال بالتدبير، أما عند ما طلع نجم محمد بن رائق الخزرى، و قلده ٩٠.

ص: ١٠٨

- ١- و قد عبر بعض الباحثين عن بعض أهداف الفاطميين بقوله: إن فتح مصر كان هدفا رئيسيا. (Objectif principale) انظر: Huart op,cit TI,p.٣٤٠.
- ٢- النعمان: المجالس و المسائرات، ١، ورقه ١٩-٢٠، و قد كان رد أبى القاسم على أبيه "بل أنفذ لما أمرت به يا أمير المؤمنين و أسارع إليه".
- ٣- نفسه، و قد عبر المعز لدين الله عن نشاط المهدي ضد مصر بقوله: "علم المهدي أنه لا يصل إلى ذلك لكنه أحب الا يضيع الحزم".
- ٤- المقرئى: اتعاظ الحنفا ١، ٦٩، و من فرط تأثره نهجو الصولى و تجريحه له قال: و الله لا- أزال حتى أملكك صدر الطائر و رأسه أن قدرت و إلا أهلك دونه" و من هذا القول تتضح الأهداف البعيده للدعوه الفاطميه.
- ٥- ابن عذارى: البيان ١، ٢٦ ص ١٨.
- ٦- ابن أبى الضياف: إتحاف أهل الزمان ١، ١٢٢.
- ٧- و قد شغله عن مصر، اضطراب وضع بلاد المغرب و دسائس الأمويين: انظر، عبد المنعم ماجد، ظهور خلافة الفاطميين ٩٨-١٠٠.
- ٨- ابن سعيد، المغرب فى حلى المغرب ١، ١٧٥ و ما بعدها، و عن قصائد القائم و مكاتباته لأهل مصر ليخذلهم عن التبعية

للعباسيين، وانظر عريب بن سعد، صله تاريخ الطبرى، ٤١-٤٣، و من ضمنها ما ورد به الصولى على القائم بامر الله.
٩- نفسه، ١، ١٧٦، عاشور، مصر فى العصور الوسطى ١٨٩.

الخليفه العباسى ولايه الشام التى تعتبر امتدادا لنفوذ الإخشيديين و مجالا حيويا لتوسعهم، فإنه هم بقطع الصله مع الخلافه العباسيه و إعلان الخطبه للقائم بامر الله الفاطمى، (١) لو لا أن رجاله نصحوه بالعدول عن تنفيذ هذا الاتجاه الخطير، الذى سيزيد بدون شك - من غضب العباسيين، و يعلى شان خصمه ابن رائق، الذى قد ينقلب إلى بطل إنقاذ، و يرمى به فى ميدان مصر الثائر ضد السلطه الشرعيه فى بغداد. (٢)

و إذا كان الإخشيد قد استجاب لرأى المخلصين من نصائحه، فأبقى على الرباط الشكلى، مع العباسيين، و احتفظ باستقلاله عن الفاطميين، فإنه استجاب إلى حد ما، للعرض الثانى الذى تضمنته رساله الخليفه الفاطمى، حيث اقترح فى رده على القائم، أن يقبل الأخير زواج ابنه، و حجته ولى عهد المسلمين أبى الطاهر إسماعيل بابتته، فاستجاب القائم بامر الله و حبذا لفكره على أساس أنها تتيح فرصه لربط المغرب بمصر، عن طريق المصاهره، التى تتضمن الحلف و التبعية فى نظره، و لذلك نلاحظ أنه عند ما انطلق بالفكره، إلى أبعادها السياسيه و أرسل إلى الإخشيد يقول له: " وصل كتابك، و قد قبلنا ما بذلت، و هى وديعه لنا عندك، و قد نحلناها من بيت مالنا قبلك مائه ألف دينار فوصل ذلك إليها". (٣) لم يرتح لمضمون الرد، الذى انبنى على أساس تبعيته للفاطميين، و كان ينتظر من الخليفه القائم أن يقبل مشروع الزواج، تشريفا له، و طريقا للمصافاه بين البلدين، و أن يهاديه بأموال، و أطفاف كثيره، نظير هذا العرض السخى، ليفاخر بها، و يزايد أمام بعض خصومه و ليشعر الخليفه العباسى باهميه مركزه، و عظمته، و قوته فلا يبالغ فى إضفاء كل الأهميه على خصمه محمد بن رائق.

و ما دام الأمر لم يتم مع القائم بامر الله، كما توقعه الإخشيد، مكسبا ماديا و أدبيا، فإنه بقى على تحفظه، و وضعه القديم واليا مستكفيا من طرف العباسيين. (٤)

و كان يمكن للخليفه المنصور أن يواصل العمل فى نفس الخط الذى رسمه أبوه، و جده، نضالا بالقلم، و بالسيف، فى سبيل نشر الدعوه، و تنفيذ مشاريع الدوله، و إعلاء كلمتها فى المشرق العباسى، لو لا "التيث أمر بلاد المغرب، (٥) بسبب ثوره أبى يزيد، و ابنه فضل، و انتقاض محمد بن خزر، و اضطراب أوضاع صقلية، و عند ما تغلب على معظم هذه المشاكل (٦) لم يمتد به أجله، و مع ذلك فان اهتمامه بإرجاع الحجر الأسود إلى مكانه، أكسب خلفاء الفاطميين سمعه فى المشرق، فتعاطف معهم جمهور غفير من سكانه، و كان خير وسيله للابانه عن أهميتهم للإبقاء على سلامه المقدسات الإسلاميه، بعيدا عن أيدي المغامرين، و قد أوصى ابنه و حجته المعز لدين الله، بالاهتمام بامر مصر، و الشرق، تنفيذًا لوصيه جده القائم (٧) و باشراف المعز لدين الله، ثم تنفيذ الخطه الأصلية للحركه الفاطميه ضد العباسيين فى المشرق.

و قد كان هذا الخليفه أوفر خلفاء الفاطميين نشاطا فى العمل ضد العباسيين، فلم يقتصر على ميدان الدعوه و إرسال الدعاه لتخذيل رعاياهم و استفساد ولائهم، و تمهيد نفوسهم لقبول التشيع أو الولاء للخلافه الفاطميه، بل أرسل الجيوش لنجده سكان أقریطش التابعين لهم، كى يظهرهم على حقيقتهم عاجزين عن حمايه الإسلام أو عن فرض هيمنتهم على بعض ولائهم فى مصر الذين تباطؤوا فى نجده سكان الجزيره، و عند ما استقبل رسول ملك الروم، فى المنصوريه، أو عز إليه بسر خطير " لتدخلن على و أنا بمصر مالكا لها". (٨)

و تركزت خطته لتحقيق هذه الغايه، على التمهيد الكامل لذلك، فى بيئه المغرب، بحشد القوى و تربيته جيل جديد من كتامه، يكون جديرا بان يمثل رجاله الدور الايجابى فى المشرق، نظير ما فعله أسلافهم فى بيئه المغرب، أما التمهيد لذلك فى بيئه

المشرق، فيكون بمتابعه نشاط الدعاه، و تسقط أخبارهم، و الاعتماد على الماهرين منهم في اكتساب ثقه و لاه مصرالإخشيديين، و من هؤلاء أبو جعفر بن نصر الذى أثر على أحمد بن على بن طغج، و حوله إلى المذهب الشيعى، و حمله على مكاتبه المعز لدين الله بعد أن صوره أمامه بمثابه والد رحيم، سوف يخفف عنه مشقات الحكم، و عبث الجند،(٩) و بواسطه هذا الداعى و غيره كان يعرف المعز لدين الله، سير الأوضاع فى مصر. و عن بعض مكاتباتهم، و ردوده عنهم، تحدث إلى شيوخ كتابه بقوله " و إننى مشغول بكتب ترد على من المشرق و المغرب أجب عليها بخطى ".(١٠)

و فى أكثر من مره كان يشرح أمام شيوخ كتابه ما يعلقه من آمال فى ميدان مصر و المشرق، بعد ان تحقق الشىء الكثير على أيدي أسلافهم فى المغرب " و اعلموا أنكم إذا لزمتم ما أمركم به رجوت أن يقرب الله علينا أمر المشرق، كما قرب أمر المغرب بكم ".(١١)

و لشعوره بان التعبئه الماديه، و المعنويه لم تكتملا بعد، لم يستجب لرغبه دعائه فى المشرق، بان ينتقل بسرعته إلى مصر لتطور الأوضاع فى صالح الحركه الفاطميه، " إننا لم نتخلف عن ذلك إلا انتظارا للمده التى وعدنا الله الظهور فيها، و لو حضرت ما تخلفنا " و كى يوضح أمامهم أن التأخر لحكمه، و أن الانتقال إلى مصر هدف أساسى للحركه الفاطميه، ذكرهم بالسابقه التاريخيه التى ارتبطت بالمهدى جد الخلفاء الفاطميين، تعبيرا عن وجوده السياسى، بأنه و إن لم ينجح - هو صاحب حق شرعى فى هذه البلاد،٢.

ص: ١٠٩

١- نفسه، س ٤ و قد عبر عن موقفه بقوله "قد تأذيت بالراضى، و بهذا الصبى ابن رائق، و قد أمرت الخطيب أن يدعوا لأبى القاسم صاحب المغرب".

٢- ابن سعيد، ١، ١٧٧ س ١٦-١٧ و قد قالوا للأخشيدي "لأنك إذا عملت هذا كاتبه من مصر، من يكره هذا، و كتب بذلك إلى العراق فان كان الراضى لم يقلده قلده و أنفذ إليه الأموال و العساكر و صيرت له شيعه و خاصه و لكن دع هذا إلى وقت آخر".
٣- نفسه، المغرب فى حلى المغرب ١، ١٧٧.

٤- و بموت الخليفه الراضى ٣٢٩هـ، و موت محمد بن رائق، صفا الجو السياسى للأخشيدي و خلصت له ولايتا مصر و بلاد الشام. انظر ابن سعيد: المصدر السابق ١، ١٧٩.

٥- عبد المنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين و سقوطها، ٩٨-١٠٠.

٦- المقرئى: اتعاظ الحنفا ١، ٩١، و يشير إلى أن المنصور الفاطمى، يشبه فى الحزم و تصفيه المشاكل، سميه أبا جعفر المنصور العباسى.

٧- نفسه ١، ٦٩.

٨- نفسه ١، ٢٦٦، ابن الأثير: المصدر السابق ٨، ٢٣٩-٢٤٠.

٩- سبط ابن الحوزى [الجوزى]: مرأه الزمان ج ١١ ورقه ٢٤٠، خ دار الكتب رقم ٥٥١، أبو المحاسن، النجوم الزاهره ٤، ٧٣٠. كامل حسين: فى أدب مصر الفاطميه ١٦، المقرئى: اتعاظ، ١، ١٣٩، و قد أصبح أبو جعفر، من بين المقرئين إلى المعز لدين الله، و من مرافقيه.

١٠- المقریزی: اتعاظ، ١، ٩٥.

١١- المقریزی: اتعاظ، ١، ٩٢.

و ذلك ما أصبح تقليدا متبعا بالنسبة لخلفائه و أمانه موروثه عنه. (١)

و عند ما شعر المعز لدين الله بأنه أصبح فى مركز قوه، بعد اكتمال الاستعدادات الماديه، و المعنويه، افتعل حادثه الجاريه التى قيل أن أم الأمراء، و جهتها من المغرب لتباع فى مصر، فاشترتها امرأه مثلها هى بنت الإخشيد، لتتمتع بها. و قد كانت هذه الحادثه محورا لحديث دعائى قوى شنع فيه على و لاه مصر، و نظام العباسيين، و على المجتمع المصرى، أمام جمع من شيوخ كتامه، و قادتها، و قد ختمه بقوله يا إخواننا انهضوا إليهم، فلن يحول بينكم و بينهم شىء، و إذا كان قد بلغ بهم الترف إلى أن صارت امرأه من بنات ملوكهم تخرج و تشتري لنفسها جاريه تتمتع بها فقد ضعفت نفوس رجالهم، و ذهبت الغيره منهم". (٢) و هذا الأسلوب الدعائى الملتهب، كان جزءا من خطه كامله، غايتها التمهيد لغزو مصر و لانتقال الخلافه الفاطميه إليها، أما الوسيله، فكانت التشهير بالمجتمع، و الاساءه إلى عناصر السلطه الداخليه، و الخارجيه، حتى كان المعز لدين الله فى مجالسه يصف العباسيين بالملاعين، و يحرص على أن يتحف رجاله بما يحط من قيمتهم كخلفاء، و من ذلك ما لاحظته من أن كتب التاريخ، و الأخبار، التى سجلت عن العباسيين و اطلع عليها، تذكر ميل بعض الخلفاء إلى اللهو و الشرب و التمتع بالغلمان، و عقب على ذلك بقوله "هذه محاسن القوم فكيف بمساوئهم و هذا قول من قصد بقوله مدحهم، فكيف بمن قصد ذمهم". (٣)

و لم يتورع عن الطعن فى مشروعيه خلافتهم، أو عن الإشاره إلى أن هدف الخطه الفاطميه منذ عصر المهدي، كان القضاء عليهم " لو أراد الله بنى العباس خيرا لقطع أمرهم يومئذ على يديه و هم فى عنقوان أمرهم، و تمام سلطانهم و عزهم". (٤)

و تدل بعض التوقعات التى أصدرها المعز لدين الله إلى النعمان بن محمد، يمينه بالخير الكثير، و البناء الرفيع فى مصر، ردا على طلبه الحصول على أرض للبناء ليجمع شمل أسرته بالمنصوريه، على أنه كان يعتبر نفسه مؤقتا فى بلاد المغرب، و أن ساعه الانتقال إلى مصر قريبا، " فالله يهبك السلامه حتى تبتنى فى أيامنا، و معنا، حيث يختاره الله و يرضاه له من أرض المشرق الأرض الواسعه" (٥) و من هذا القبيل قوله أمام جمع من رجاله و جدهم عند جوهر متاثرين لمرضه الشديد، " لا تغتموا، فإنه يبرأ، و يفتح مصر بمشيئه الله". (٦)

و يرتبط بالخطه الأصليه للحركه الفاطميه، فى عصر المعز لدين الله، التدخل فى شئون الحجاز، تمهيدا لفرص الحمايه على الحرمين الشريفين، و اكتساب موده الأشراف، إذ تشير بعض النصوص إلى توسط المعز لدين الله لتحقيق الصلح بين فرعى بنى الحسن، و بنى جعفر بن أبى طالب، الذين اقتتلوا فيما بينهم، و قد انفذ أموالا و رجالا و تحمل ديات القتلى و كان أكثرهم من بنى الحسن، " فصار ذلك جميلا عند بنى الحسن للمعز" قابله بالدعاء له فى مكه عقب فتح مصر، و تولى ذلك منهم حسن بن جعفر الحسنى، الذى أرسل إليه المعز لدين الله " بتقليد الحرم و أعماله". (٧)

و كانت مكاتبات الدعاه، و بعض عناصر المجتمع فى مصر، لا تنقطع عن المعز لدين الله و من هؤلاء الوزير، أبو الفضل جعفر بن الفرات، المعروف بابن حنزابه، الذى حثه على فتح مصر، نكايه فى الأمير الإخشيدى: الحسن بن عبيد الله بن طنج أمير الرمله و الشام، الذى ضيق عليه، و آذاه، و قصد به شرا. (٨) و تضمنت بعض المكاتبات تعبيرا عن سهوله فتح مصر و طواعيه سكانها للفاطميين، بعد اختفاء كافور الإخشيدى، قولا نصه "إذا زال الحجر الأسود، ملك مولانا المعز لدين الله مصر"، (٩) و كان هذا الخادم المتغلب الذى عرف بالأستاذ، و كنى بأبى المسك و قلد مصر نهائيا من طرف الخليفه العباسى، بعد وفاه ابنى الإخشيد، من الدهاء و الحكمه بحيث أدرك قوه تأثير الحركه الفاطميه فى مصر (١٠) و أحس بثقل الفاطميين المجاورين له فى برقه، فلم

يظهر العداء، لكنه لم يتعاون مع المعز لدين الله لنجده مسلمى أقریطش خوفا من غضب العباسيين، واحتفظ بتوازنه أمام القوتين المتصارعتين، فكان يهادى المعز صاحب المغرب، و يظهر ميله إليه، و كذا يدعن بالطاعة لبني العباس، و يدارى، و يخدع هؤلاء و هؤلاء.^(١١) و ما كان من أمر بقى خافيا فى مصر و يريد المعز لدين الله أن يعرفه، قبل إرسال حمله جوهر الضاربه، فقد استفاده أخيرا من يعقوب بن كلس، الذى فر من مصر ناجيا بنفسه، من فتك الوزير ابن الفرات، إلى بلاط المعز لدين الله فى المنصوريه.^(١٢) و لم يرجع إلى مصر إلا فى ركابه.

و قد ظهر التعبير العملى عن أهداف الخطه الفاطميه فى المشرق، فى الأعمال العسكريه التى و جهت ضد مصر، منذ عصر المهدي و استمرت حتى أواخر عصر المعز لدين الله و كانت مصر فى نظر الحركه هى الطريق الطبيعى للنفوذ إلى قلب الخلافه العباسيه فى بغداد، بعد التهام أطرافها فى الحجاز و الشام.

و لم تكن حمله جوهر، فى عصر المعز لدين الله، غير الحلقه الأخيره فى سلسله طويله من الجهود العسكريه استهلها المهدي بإرسال حملتين قادهما ابنه أبو القاسم، و كان صاحب مقدمته فى الحمله الأولى و مساعدته فى القيادة، أبا داود حباسه بن يوسف الملوسى، و اشترك إلى جانبه كثير من قبيله ملوزه و ظهر من بين قادة كتامه أبو فردين، و كانت هذه الحمله بريه، كما ظهر .

ص: ١١٠

١- النعمان: المجالس و المسائرات ٢، ورقه ٤٧٤ و ما بعدها، أما النعمان فقد عبر عن الوضع قبيل فتح مصر بقوله " ما يمنع أمير المؤمنين من المشرق،.. إلا أنه لم ير العزم فى أمره، فاما لو عزم على ذلك لما حال دونه حائل.

٢- المقريزى: اتعاظ، ١، ١٠٠.

٣- النعمان: المجالس و المسائرات ١ ورقه ١٧٠-١٧١.

٤- نفسه، ٢، ٤٧٨ و ما بعدها.

٥- نفسه، ٢، ٦٣٤-٦٣٥.

٦- لمعه فى سيره المعز ورقه ٣، مخطوط مكتبه جامعه القاهره رقم ٢٢٠٢٤.

٧- المقريزى: اتعاظ الحنفا، ١، ١٠١.

٨- ابن أبيك الدوادارى: الدرر المضيئه ٦، ١٢٠-١٢١، العينى، عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ج ١٩، القسم ٢ ورقات ٢٢١-٢٢٢. ٥٠٧-٥٠٨ من القسم ٣.

٩- العينى: المصدر السابق ج ١٩ (ق ٢) ورقه ٢٦٦-٢٦٧، سبط ابن الجوزى: المصدر السابق ج ١١، ٢٣ و فيه "الدنيا كلها" ،المقريزى: اتعاظ ١، ١٠٢، نقلا عن ابن زولاق، و فيه "الأرض كلها" .

١٠- و كان من جلسائه أنشط دعاه الفاطميين و هو أبو جعفر بن نصر الذى أثر عنه قوله: "كافور الأسود غدا يؤخذ باذنه إنما بنيت هذه الدار لصاحب المغرب تؤخذ فيها البيعه على كل تابع و متبوع، و ذيل مرفوع تغير فيها الأحوال و تحمل إليها الأموال" .انظر كامل حسين: أدب مصر الفاطميه ١٦.

١١- أبو المحاسن: النجوم الزاهره ٤، ٦.

١٢- ابن الجوزى: المصدر السابق ج ١١ ورقه ١٥٢-١٥٣، العينى: المصدر السابق، ١٩ (ق ٣) -٥٠٨.٣٤٣.t.p.cit,Op.Huart

نشاط الأسطول الفاطمي في السيطرة على موانئ برقه، والإسكندريه، و من ثم وصفت في بعض النصوص، بأنها: بريه بحريه.(١)

و كانت القوه الفاطميه ضخمه(٢)، و من سهل عليها تحطيم المقاومه في برقه، و هزيمه ولاه الإقليم المعتمدين من طرف أبي منصور تكين الخاصه والى مصر، فانسحب أبو النمر أحمد بن صالح، لأنه عزل عن الولايه، و لحق به خلفه خير المنصوري، ثم خصمه عبد العزيز بن كليب، اللذان تحاسدا، و خذل كل منهما الآخر، كما واصلت الحمله سيرها نحو الإسكندريه و اقتحمتها في محرم ٣٠٢ هـ/يوليه ٩١٤ م بدون مقاومه، لأن أغلب أهلها تركوها إلى جهات مختلفه بما خف من أموالهم و أمتعتهم، و لم يجد أبو منصور تكين، أسلوب التخذيّل الذي اصطنعه مع رجال الحمله، عند ما أرسل إلى حباسه باسم الخليفه العباسي المقتدر بالله، يدعوه إلى الطاعه كما لم يغن عنه ما بذله من جهد لرد القوه المهاجمه التي ضيق جزء منها على الفسطاط، من مركز مشتل،(٣) و سار الجزء الآخر بقياده أبي القاسم و معه أبو فريدن نحو الفيوم،(٤) و كانت الحرب سجالا بين الفريقين، لم ترجح كفه أحدهما حتى وصل مؤنس الخادم في رمضان ٣٠٢ هـ،(٥) بعد انسحاب حباسه مغاضبا لأبي القاسم،(٦) الذي أيس من النصر، و بانت له استحاله بقاءه في الفيوم بعد النكبات التي حلت به و برجاله في الوقت الذي تدعم فيه موقف والى مصر، بنجده مؤنس الخادم، و لم يجد مفرا من التستر على فشله و ذلك باتهام حباسه، ثم بانسحابه يجر أذيال الخيبه إلى رقادته التي وصلها في ذى القعدة ٣٠٢ هـ(٧)/مايو ٩١٤ م.

و أثر هذه الحمله الفاشله، انتدب لولايه مصر ذكا الأعور منذ صفر ٣٠٣ هـ/أغسطس ٩١٥ م خلفا لأبي منصور تكين الخاصه، فاهتم بمدينه الإسكندريه و ترك فيها ابنه مظفرا، عاملا- مقيما مع قوه كبيره، و فى الفسطاط نكل بكل العناصر المتشيعه، أو المشبوهه، التي يشك في أن لها اتصالا بالحركه الفاطميه فى المغرب.(٨)

و أما المهدي، فقد أرسل إلى برقه، أبا مدينى بن فروخ اللهيصى، الذى أمن الإقليم، و ضمه إلى الفاطميين و انطلق منه نحو النشاط على حدود مصر، و تشير بعض النصوص إلى أن سكان لوبيه، و مراقيه تركوا المنطقه، و دخلوا مدينه الإسكندريه القريبه منهم منذ شوال ٣٠٤ هـ/مارس ٩١٦ م - بدافع الخوف من والى برقه الذى كان دائب النشاط و الحركه و يضغط على حدود مصر، و على مدينه الإسكندريه التي هى باب مصر، و أول ميناء هام يتصل بالمغرب(٩) و قد بدا لذكا الأعور، و لابنه مظفر عامل الثغر، أن المهدي لن يبقى مكتوف الأيدى ما بقيت عنده قوه، و أنه هو الذى أوحى إلى و إليه فى برقه، بمواصله نشاطه على حدود مصر، تمهيدا للحمله الثانيه التي انطلقت من رقادته منذ شهر ذى القعدة ٣٠٦ هـ/إبريل ٩١٨ م و اشتركت فيها حشود من كتامه، مع عرب إفريقيه، و بربرها، و بعض القاده المشهورين، مثل خليل بن إسحاق، و أبى غانم الكاتب و من ابن الحسن بن أبى خنزير، و جوذر الصقلبي،(١٠) و كانت حمله بريه، بحريه، و تولى قياده المقدمه و مساعدته أبى القاسم، سليمان بن كافي الخادم،(١١) الذى كان له أيضا الاشراف على الاسطول الذى باشر قيادته يعقوب الكتامى.(١٢)

و قد تمكنت قوات الفاطميين من دخول الإسكندريه بدون مقاومه، لأن معظم سكانها القادرين على الدفاع غادروها إلى جهات مختلفه مثل المره الأولى كما غادرها مظفر بن ذكا، إلى وجهه غير معروفه، و بينما تقدم سليمان بن كافي نحو مدينه الفيوم و اقتحمها عنوه، بقى أبو القاسم فى الإسكندريه فتره استقبال أثناءها نجدات كبرى، حتى "اجتمع إليه عدد يجمل عن الإحصاء" و بهم سار نحو الفيوم، و الأشمونين التي وصلها فى رجب ٣٠٧ هـ(١٣)/نوفمبر ٩١٩ م و يبدو أنه أحس بحاجه الإسكندريه إلى قائد كفء يحافظ عليها، و يراقب حركات العباسيين و يتولى العنايه بالاسطول، لذلك بقى وحده فى الأشمونين و أرسل ابن كافي

إلى الإسكندرية لينضم إلى يعقوب الكتامي.

و رغم سوء حاله ذكا الأعور، لخلافه مع الرعبه بسبب تصرفات الجند، و شغب هؤلاء عليه بسبب تأخر الأرزاق، فإنه وجد سندا قويا من القوه الشعبيه التي شجعتة على المقاومه و التحصن في الجيزه، و بناء استحكامات حول معسكره، و بقى في وضع المتأهب للقتال، يساعده محمد بن طاهر، و الماذرائي، حتى توفي في ربيع الآخر ٣٠٧هـ/أغسطس ٩١٩ م فخلفه أبو منصور تكين في الولايه بتقليد من المقتدر بالله العباسي، و أشرف على تقويه جانب الدفاع بناء على خطه سلفه، و تولى الماذرائي إيهاهم أبي القاسم، بأنه على الطاعه، و أن مصر خاليه من الجند و أن الاستيلاء عليها هين و لا يخشى الخطر إلا من جانب " العوام " و كان قصده أن يتيح لنفسه فرصه واسعه لكي تكتمل استعدادات مصر بوصول مؤنس الخادم على رأس القوات العباسيه، (١٤) و بوصوله فعلا بدأ الهجوم ضد مراكز القوه ٥.

ص: ١١١

- ١- الذهبي: تاريخ الإسلام ج ٣، ورقه ٥-٦ (أحداث سنه ٣٠١ هـ) خ دار الكتب رقم ٣٩٦ تاريخ.
- ٢- الكندي: الولاه و القضاء ٢٦٨ و ما بعدها و قد قدر قوه حباسه بمائه ألف و زياده، و لم يشر إلى أبي القاسم في هذه الحمله، الذهبي: نفس المصدر السابق، و قد قدر القوه الفاطميه بأربعين ألفا، و أشار إلى أبي القاسم و وصف حباسه بصاحب مقدمته ابن عذارى: المصدر السابق ١، ٢٣٥ و ما بعدها، ٢٣٨ و ما بعدها. و يلاحظ إمداد المهدي لحباسه بالجيش باستمرار، و أنه خرج قبل أبي القاسم، و التقيا معا في الإسكندريه، المقريزي: اتعاظ ١، ٦٨، ٦٩، و يجعل خروج أبي القاسم سابقا على خروج حباسه، الذي قاد الحمله البحريه منذ ٣٠٢ هـ، الطبري: المصدر السابق ١١، ٤٠٨-٤٠٩، و وصف حباسه بقائد ابن البصري، عريب سعد: المصدر السابق ٢٧-٣٦.
- ٣- الكندي: المصدر السابق ٢٦٩-٢٧٠ و قد لاحظ هزيمة قوه حباسه أولا ثم انتقامها من أهل مصر ثانيا.
- ٤- ابن عذارى، ١، ٢٣ س ١، ٤.
- ٥- نفسه ١، ٢٣٩ س ١١.
- ٦- نفسه، س ٥، ٧-٨، و عن حملات المهدي ضد مصر انظر أيضا: سعيد عاشور: مصر في العصور الوسطى ١٨٧ و ماريوس كثار في مقال: EI.ArtFatimidesT.٢٠٨٧٣٢ Edition.
- ٧- ابن عذارى: البيان ١، ٢٣٩ س ١٠، ١٢ و انظر ص ٢٤٠ س ١٧-١٨، و عن بعض مظاهر التخريب التي تسبب فيها جند كتامه انظر البكري: المغرب ٢.
- ٨- الكندي: الولاه و القضاء ٢٧٣-٢٧٤.
- ٩- نفسه. والدي يلاحظ أن اسم القائد الكتامي (أبي مديني) جاء مصحفا في المتن و الهامش أيضا، انظر ٢٧٤ هامش ١ منه، و عن كوره لوبيه و مراقبه و من منازلها الرماده، انظر اليعقوبي: البلدان ٩٥، عمر بن محمد الكندي: فضائل مصر ٤٧-٤٨ (ط ١٩٧١): تحقيق إبراهيم العدوي.
- ١٠- ابن عذارى: المصدر السابق ١، ٢٥٣، العزيزي الجوزري: المصدر السابق ٤٣، تعليق ٣٥، عبد المنعم ماجد: ظهور خلافه الفاطميين ٩٦ و ما بعدها.

- ١١- نفسه ١، ٢٥٤. عريب بن سعد: صله تاريخ الطبرى ٤١-٤٢. وابن كافي من عنصر الصقالبه، العزيز: المصدر السابق ٣٥ تعليق ١٠.
- ١٢- الكندى: المصدر السابق ٢٧٦ و ما بعدها، المقرئى: اتعاظ الحنفا ١، ٧١.
- ١٣- ابن عذارى: المصدر السابق ١، ٢٥٥.
- ١٤- نفسه، ابن سعيد: المصدر السابق ١، ١٧٥.

الفاطمية فى الأشمونين، و الفيوم، و الإسكندريه أيضا، غير أن القاده الذين كلفوا بالقتال فى الفيوم، و الأشمونين لم ينجحوا فى مهمتهم لأن قوات أبى القاسم كانت ضاربه و مسيطره على المنطقه.(١) بينما، نجح ثمل الفتى صاحب مراكب طرسوس فى الحاق هزيمه بحريه بقاده الاسطول الفاطمى فى رشيد و الإسكندريه و تحطمت معظم قطع الاسطول التى عبثت بها الرياح، و ألفتها قرب البر، فأسر من فيها باليد، و سلم قاده الاسطول أنفسهم إلى ثمل الفتى الذى صحبهم إلى الفسطاط و دخلوا المقس أواخر شوال ٣٠٧هـ، فمن والى مصر على أهل القيروان و طرابلس، و برقه و صقلية، لأنهم أرغموا على الاشتراك و عرفوا بمقتهم للحكم الفاطمى، بينما أمر بقتل عناصر كتامه و المشتيعين مثلهم، و اكتفى بتشهير قاده الاسطول فى شوارع مدينه الفسطاط قبل إيداعهم السجن.(٢)

و يبدو أن هذا الانتصار البحرى، يضاف إليه صيروره أبى القاسم فى شبه عزله فى الفيوم و الأشمونين و قد طال مقامه و انتشرت الأمراض و الأوبئه بين رجاله و سادت بينهم روح الملل، و التذمر، يبدو أن هذه العوامل التى شجعت مؤنس الفتى، و تكين الخاصه، و جنى الصفوانى على مهاجمه القوات الفاطميه فى الفيوم و الأشمونين، أثرت أيضا على معنويات أبى القاسم، فتحاشى الاصطدام بالقوه المهاجمه و فضل الانسحاب إلى إفريقيه عبر برقه، فأدرك المهديه فى شهر رجب ٣٠٩ هـ/نوفمبر ٩٢١ م بعد غيبه استمرت نحو سنتين و ثمانيه أشهر.(٣)

و تلاه مؤنس الفتى، و تكين الذى عزل عن الولايه، فانسحبوا جميعا عن مصر، التى وليها لفته قصيره، هلال بن بدر حتى سنه ٣١١ هـ/٩٢٣ - ٩٢٤ م، ثم خلفه لمدته سنه، أحمد بن كيغلى، و أثرها عاد أبو منصور(٤) تكين الخاصه إلى ولايه مصر و بقى فيها حتى توفى سنه ٣٢١ هـ/٩٣٣، فولياها بتقليد من القاهر العباسى محمد بن تكين، الذى لم يتم له الأمر طويلا بسبب معارضه الماذرائى، و تأييد عنصر المغاربه فى الجيش، و كان رئيسهم هو أبو مالك حبشى بن أحمد، الذى بان تطرفه أيضا أثناء ولايه محمد بن طغج الإخشيد، فكره الخضوع له، و انسحب مع جنده، و المؤيدى لهم من الأتراك و استقروا فى الإسكندريه، و سرعان ما فارقوها إلى برقه بعد فشل محاولتهم لغزو الفسطاط، و من إقليم برقه، الموالى للفاطميين، اتصلوا بالقائم بامر الله، و زينوا له العوده إلى العمل العسكرى على مصر، بمساعدتهم "لأنهم يعلمون وجوه الحرب! و كيفية الوصول إليها".(٥)

و بقاء القوه المعارضه لوالى مصر فى برقه كان منسجما مع الاستراتيجيه الفاطميه الجديده التى ظهرت بعد انسحاب القائم بامر الله من مصر، إذ غدت هذه القاعده هى التى تشرف على النشاط العسكرى و توجهه على أراضى مصر، و قد أشارت بعض النصوص إلى حركه عسكريه قادها فى بدايه ٣١٠ هـ/٩٢٢ - ٩٢٣ م، فلاح بن قمون الكتامى، ضد حدود مصر فاصطدم بجندها، بذات الحمام و نال منهم و كانت من الأهميه بحيث قرئت أخبارها فى جامع القيروان،(٦) تلتها حركه أخرى ضد منطقته الواحات فى صعيد مصر، منذ بدايه ٣١١ هـ/٩٢٣ - ٩٢٤ م و قادها، مسرور بن سليمان بن كافى، الذى استولى على الحصون القريبه، و هزم عامل المنطقه و هو الكرمازى و أسر ابنه، و ابن أخيه و سيطر على المنطقه و كان فى نيته فيما يبدو توسيع نشاطه فى أرض صعيد مصر، لولا ظهور الأوبئه فى جنده، و هو الذى حملته على الانسحاب إلى قاعده انطلاقه فى برقه، إنما بعد أن خرب الاستحكامات العسكريه، و بعض مظاهر العمران.(٧) و قد وقعت الإشاده فى القيروان و أعمالها بما أنجزه مسرور بن سليمان، من أعمال هامه، فى أراضى مصر، انتقاما لهزيمه الحمله الفاطميه الثانيه.(٨) و ربما تلتها حركات أخرى ضد مدن و حصون مصر، و هى التى جذبت بعض المغامرين الذين عارضوا ولايه ابن طغج و أرادوا النيل منه تحت ستار مساعدته الفاطميين، و لم يشأ القائم بامر الله أن يرفض هذه الفرصه، لأنها تحقق بعض أهدافه، و لا تتنافى مع الخطه الأصلية للحركه الفاطميه، و لذلك جهز قوه

كبيره من كتامه أشرف عليها مولاه زيدان، الذى انضم إليه فى برقه عامر المجنون، و أبو زراره، و يعيش مع قوات حاميه برقه الكتاميه، و يبدو أن القيادة أصبحت ليعيش الكتامى الذى سار مع القوات المعارضه لحكم ابن طغج يتقدمهم بجكم و استولوا على الإسكندريه بدون صعوبه.(٩)

و قد خيل للقوات المتحالفه أن ابن طغج سوف يستسلم بسهولة و يترك الولايه إلى الشام أو إلى العراق خاصه و أن عناصر من المشاركه و المتشيعين كانوا ضده، بيد أن ذلك كان حلما بددته عزيمه هذا الوالى الشجاع الذى أسرع بإرسال قوات كبيره إلى الإسكندريه قادها أخوه الحسن بن طغج، بمساعدته صالح بن نافع، و فى اللقاء الذى تم بين هذه القوه و بين قوات الحلف قرب قروجه، انهزم هؤلاء و قتل يعيش أمير الجيش، و بعض مساعديه، و أسر منهم كثيرون من بينهم عامر المجنون، أما بجكم و بعض رجاله فقد تركوا ميدان القتال فرارا بأنفسهم إلى برقه حيث استقروا فى منزل الرماده، الموالى للفاطميين، (١٠) فتره، ثم دخلوا مصر بأمان ابن طغج(١١) سنه ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ - كما أن قاده كتامه الذين أسروا أثناء الحمله، أطلق ابن طغج سراحهم سنه ٣٢٧ هـ / ٩٣٨-٩٣٩ م لثقتة بنفسه و بقوه مركزه فى مصر.(١٢)٧.

ص: ١١٢

- ١- الكندى: المصدر السابق ٢٧٦-٢٧٧، الذهبى: المصدر السابق ٣، ورقه ١٤، المقريزى: اتعاض الحنفا ١، ٧١.
- ٢- الكندى: المصدر السابق ٢٧٧، ابن عذارى: البيان ١، ٢٥٥، الذهبى: المصدر السابق ٣ ورقه ١٦، المقريزى: المصدر السابق ١، ٧١. و بينما مات سليمان ابن كافى فى السجن، فر يعقوب الكتامى من سجن بغداد، إلى إفريقيه، عبد المنعم ماجد: ظهور خلافه ٩٨، و لقب مؤنس بالمظفر.
- ٣- نفسه، ٢٧٨، ابن عذارى ١، ٢٦٠، الذهبى: المصدر السابق ٣، ورقتا ١٥، ١٦ و يلاحظ الذهبى أن ابن المدينى القاضى قتل لأنه كان يدعو إلى المهدي مع جماعه آخرين.
- ٤- نفسه ٢٧٨-٢٧٩، السيوطى، حسن المحاضره فى أخبار مصر و القاهره ٣، ١١، الذهبى: المصدر السابق ج ٣ ورقه ١٦.
- ٥- نفسه، ٢٨٠-٢٨٧، السيوطى: المصدر السابق ٢، ١٣.
- ٦- ابن عذارى: المصدر السابق ١، ٢٦٣ و يبدو أن القائد هو أبو جعفر بن فلاح الذى ازدهر فى عصر المعز لدين الله و سحب جوهر إلى مصر.
- ٧- نفسه ١، ٢٦٥، و بذلك انتقم مسرور لهزيمة أبيه و أسره و يبدو أن هدف حركته هو الضغط على والى مصر الذى بقى محتفظا بوالده فى السجن.
- ٨- نفسه ١، ٢٦٧، العزيرى: المصدر السابق ١٥٢، تعليق ١٠.
- ٩- يشير الكندى إلى وفاه حبشى بن أحمد بالرماده قبل وصول حملته القائم بامر الله، النويرى: المصدر السابق ٢٦ ورقه ١٦.
- ١٠- ابن عذارى ١، ٢٩٦، الكندى: المصدر السابق ٢٨٦-٢٨٨، حسن إبراهيم: عبيد الله المهدي ١٨١ و ما بعدها، و هنا يشير إلى أن قائد الحمله كان هو حبشى بن أحمد على خلاف ما ورد فى الكندى و ابن عذارى.
- ١١- الكندى: المصدر السابق ٢٨٩.
- ١٢- نفسه، ٢٨٧.

و على هذه الصورة المحزنه، انتهت آخر محاوله فاطميه، للاستيلاء على مصر، بالاعتماد على قوه المعارضه الداخليه و على اضطراب أوضاع مصر بسبب نزاع الجند و على حاميه برقه القويه و كان فشل هذه المحاوله بسبب تنافر العناصر المهاجمه و اختلاف أغراضهم، و حزم ابن طغج، و إخلاص أعوانه مدعاه للانصراف عن شئون مصر إلى المغرب و صقلية، لتهدئه أرضهما، و حشد إمكانياتهما الماديه و البشريه لتوجيهها حسب خطه منظمه نحو خدمه أهداف الدوله فى بلاد المشرق.

و لئن كان البناء الداخلى فى مصر بقى متماسكا طيله حياه محمد بن طغج الإخشيد، فان وفاته سنه ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ - ٩٤٦ م فى نفس الوقت الذى قام فيه نظام شيعى فى بغداد هو نظام بنى بويه الذى استبد أمراؤه بالخلفاء العباسيين كان بدايه لتصدع ما اجتهد من قبل فى تفويته و أساء إلى أعماله فى مصر، سوء المعامله التى تعرض لها أبناء أبو القاسم أنوجور (ت ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ - ٩٥٩ م) و أبو الحسن على (ت ٣٥٥ هـ / ٩٦٥ - ٩٦٦) من طرف خادمه أبى المسك كافور، و ما قابله به هذان الأميران من استهانه بشأنه و احتقار له حتى توفى كل منهما و فى نفسه ألم و حزن للحجر عليهما و حرمانهما من التمتع بمباهج السلطه،^(١) كانت له أصداء قويه فى صفوف أنصار أبيهما، و هم الإخشيديه، الذين احتفظوا بكراهيتهم لأنصار أبى المسك، و هم الكافوريه.

و عرفت مصر، فصولا- من صراع هؤلاء، سواء فى حياه كافور، أو بعد وفاته فى جمادى الأولى ٣٥٧ هـ / مايو ٩٦٧ م،^(٢) و قد صيرهم النزاع الداخلى عاجزين عن صد الاخطار الخارجيه سواء منها التى ظهرت من جهه النوبه،^(٣) أو من جهه برقه، و قد رجحت كفه الإخشيديه بعد رجوع الأمر إلى أبى الفوارس أحمد بن على بن طغج الذى ضيق عليهم، فتركوا مصر إلى الرمله، يشكون إلى الحسن بن عبيد الله بن طغج كبير الاسره، فلم يلتفت إليهم و لم يستسلم لآرائهم فى وجوب قتال أبى الفوارس و ذلك لقربته منه،^(٤) و وصايته عليه،^(٥) و يبدو أن ابن الفرات الذى كان مستبدا بشئون الاداره المدينه و شمول الإخشيدى الذى كان مشرفا على النواحي العسكريه هما اللذان كانا سببا فيما حل بزعماء الكافوريه من اضطهاد و نكال.

و صراع الجند و شغبهم ضد السلطه و ظهور الأزمات الاقتصاديه و انتشار الأوبئه، و المجاعات، و غلبه ظاهره الجفاف بسبب انخفاض ماء النيل و شيوع ظاهره السلب و النهب، و اختلال الأمن فى العاصمه، و فى الأقاليم و نجاح دعاه الشيعة الفاطميين فى التمكين لأنفسهم، و فى بث آرائهم و رجالهم فى عده جهات من البلاد خاصه الإسكندريه، التى اكتسبت بهم، و بالعناصر المغربيه التى استقرت فيها، تحت ستار التجاره، و الروايه و طلب العلم، أو التعليم طابعا مغربيا واضحا، هذه كلها بعض أعراض الضعف فى البناء الداخلى التى سهلت على الفاطميين مهمتهم، منذ سنه ٣٥٨ هـ / ٨٦٨ - ٩٦٩ م.^(٦)

وفد استخلص الفاطميون دروسا من فشل الحملات السابقه و اتضح لهم أنها، و إن فشلت فى فتح مصر و ضمها نهائيا إلى بلاد المغرب، إلا أنها كانت خير تمهيد لارساء قواعد الفتح على أسس متينه، و بسببها غدت المسالك معروفه، و البلاد معهوده، و أصبح بين سكانها عناصر متشيعه، أو مواليه للنفوذ الشيعى بسبب بطولات قاده الحملات الفاطميه، و جرأتهم المنقطع النظير، و قد ضم هؤلاء جهودهم إلى دعاه الشيعة و رجالهم القدامى فى مصر، من أجل تهيئه التربه للبذر الحقيقى، و إلى هؤلاء أرسل المعز لدين الله بنودا تحمل شعارات الخلافه الفاطميه، كى يظهرها فى الأماكن الهامه و فى الوقت المناسب، و لتكون أيضا شاره على الولاء للدعوه الفاطميه،^(٧) و لعل أوضح دليل على استعداد النفوس فى مصر لتقبل التحول الجديد، الذى كان يبشر به الدعاه الفاطميون، و أشار إليه القائم بامر الله من قبل فى قصائده و مراسلاته مع سكان مصر و الشرق العربى، هو اتفاق أهل الرأى، و المشوره، و كبار رجال الدوله، و الأشراف و زعماء الجند على إعلان الولاء للخلافه الفاطميه، و طلب الأمان من قائد

و مع أن المعز لدين الله كان يعلم ظروف مصر السيئه، و أنها غنيمه سهله، فإنه بدا استعداداته لتوجيه الحمله الكبرى، منذ وقت مبكر، و كان قد كلف جوهر أثناء تجواله فى بلاد المغرب ٣٤٧ هـ / ٣٥٨ - ٩٥٩ م بحشد الرجال الأكفاء. (٨) كما أمر عماله فى مدن قابس، و طرابلس و برقه بان يتعاون كل منهم مع الآخر فى إطار إقليمه من أجل حفر الينابيع و الآبار، و بناء استراحه فى كل منزل. (٩) و رصد أموالا- كثيره، بلغ مجموعها حوالى أربعه و عشرين مليون دينار، وضعها فى صناديق خاصه، و ختم عليها بخاتمها، و كلف بها ابن مهذب صاحب بيت المال، و بلغ مجموع ما حشده من جند كتامه، و عبيد زويله، و طبقه الفتيان نحو مائه ألف (١٠)، هذا عدا النجدات التى تقاطرت على مصر بعد مسير الحمله، و قادها كل من ٩.

ص: ١١٣

- ١- المقریزی: الخطط ١، ٣٢٩.
- ٢- أبو المحاسن: النجوم الزاهره ٤، ١٠، المقریزی: اتعاظ الحنفا، ١، ٩٦.
- ٣- و يلاحظ أن المعز لدين الله واجه الخطر النوبى، بالطرق السلميه، فأرسل بعد استقراره فى مصر سفاره إلى جورج ملك النوبه، يدعوه إلى الإسلام. و قد تولى رئاسه الوفد عبد الله بن أحمد بن سليم الأسوانى. انظر: زاهر رياض، اتجاهات مصر الافريقيه فى العصور الوسطى ٧١، المجله التاريخيه، مجلد ٢٠، مايو ١٩٥٨.
- ٤- الذهبى: المصدر السابق ٣ ورقه ١٨٦ (حوادث ٣٥٧ هـ).
- ٥- العينى: عقد الجمان ج ١٩ (ق ٢) ورقه ٢١٩-٢٢٠ (حوادث ٣٥٧ هـ).
- ٦- سيده إسماعيل كاشف: مصر فى عصر الإخشيديين ٣٦٠-٣٧٠، المقریزی، الخطط ١، ٣٣٠، عبد الله الشرقاوى: تحفه الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة و السلاطين ورقه ٥٨ (ص ١٠١ ط العثمانيه ١٣٠٤ هـ). و هى على هامش كتاب لطائف أخبار الأول للاسحاقى المتوفى، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ٥٢ هامش ١، (القسم الثالث منه ط الدار البيضاء ١٩٦٤. تحقيق مختار العبادى و الكنانى) يحيى بن سعيد الأنطاكى: تاريخ الذيل ٨١٢ ط كراتشوفسكى و فازلييف، ابن أبيك الدوادارى: الدرہ المضيئه ١٢٠-١٢١، الاسحاقى: لطائف أخبار الأول، ١١٤ ط العثمانيه ١٣٠٤ هـ، المقریزی: إغاثه الأعمه لكشف الغمه ١٢-١٣ ط حمص ١٩٥٦ جمال الدين الشيبان: الصلات الثقافيه بين المغرب و مدينه الإسكندريه ١٤٥-١٥٤. مجله كليه الآداب، جامعه الإسكندريه، مجلد ١٥ سنه ١٩٦١.
- ٧- المقریزی: اتعاظ الحنفا، ١، ١٠٢.
- ٨- ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعه ورقه ٤٧. مخطوط دار الكتب، بيبس الدوادار: المصدر السابق ٦، ورقه ٢٠.
- ٩- المقریزی: اتعاظ ١، ٩٦. على إبراهيم حسن تاريخ جوهر الصقلی ٢٧، جمال سرور، الدوله الفاطميه فى مصر ٦٦.
- ١٠- نفسه، ١، ٩٧، لمعه (لمجهول) ورقه ٣. على إبراهيم حسن: المرجع السابق ٢٧، و عند ما سئل الشريف أبو جعفر مسلم من طرف المؤرخ ابن زولاق عن عدد الجيش الذى رآه مع جوهر، أجاب "هم مثل جمع عرفات كثره و عدہ. انظر المقریزی: اتعاظ ١، ١٠٧، س ٢٣-٢٤، الشرقاوى: المصدر السابق ورقه ٥٩.

سعاده بن حيان من جهه و الحسن بن عمار من جهه أخرى.

و لم يغفل شان الجند، فشحنهمهم، و جباهم بالطاقه، و احتفل بلقائهم أكثر من مره، قبل توجههم إلى مصر، أما قائد الحمله، جوهر الصقلي، فقد بالغ في إضفاء الأهميه على شخصه، و على عظمه دوره في مصر، كى يخلص الجند في طاعته، و يترفق به زعماء كتامه، و قادتها، و كان أظهرهم شخصيه هو جعفر بن فلاح الذى رافقه أبناؤه و بقيه المشاركين في الحمله.

و يبدو أن قول المعز لدين الله أمام جند كتامه " و الله لو خرج هذا وحده لفتح مصر، و ليدخلن بالاراده من غير حرب، و لينزلن في خرابات ابن طولون، و بينى مدينه تسمى القاهره تقهر الدنيا" (١) يتجاوز المبالغه في المدح، و تهدئه ثائره قاده كتامه الذين طمحت أنفسهم إلى القياده إلى بيان ملامح الخطه السياسيه التى سيسير عليها جوهر بعد الفتح، و تضمنت أمرا، لبناء دار الهجره الجديده أو عاصمه الخلافه الفاطميه التى اقترح اسمها الجديد، و حدد مكانها نسييا و هذا مما يبعد الروايات الاسطوريه عن سبب التسميه و القول بان المعز لدين الله كره موقع مدينه القاهره عند ما حضر إلى مصر، كما لم يقر التسميه التى اختارها قائده مجامله له باحياء ذكرى المنصور. (٢)

و فى القول دليل واضح على مدى معرفه المعز لدين الله لأوضاع الجبهه المصريه، فضلا عن كونه كان يريد تهوين المشروع على رجاله، و تطمين أنفسهم من الأخطار الداخليه و الخارجيه.

و قد كان تصور المعز لدين الله صحيحا، و فى محله، إذ أن الحمله الكبرى، لم تصادف أية صعوبه فى نفاذها من برقه إلى مصر، بسبب هدوء الوضع، و نجاعه حاميه برقه التى كان رجالها أعرف بالحرب و بالمسالك فى أطراف مصر و فى دواخلها من غيرهم.

و كانت الرحله إلى مصر أشبه بنزعه عسكريه طويله الأمد، تخللتها الإقامه المتقطعه على طول الطريق.

و أمام مدينه الإسكندريه التى تكرر سقوطها فى أيدي رجال الحملات السابقه دون مقاومه ارتاح السكان لظهور الحمله و فتحوا أبواب المدينه للجند و لم تبدر منهم أية بادره مقاومه، و لقد كان جوهر بعيد النظر عند ما سيطر على الوضع، و منع الجند الكتاميين الميالين إلى السلب و النهب من مد أيديهم إلى أرزاق الناس أو الاحتكاك بهم. (٣)

أما صدى وصول الحمله إلى الإسكندريه بين سكان الفسطاط فقد عبر عنه تحرك الوزير ابن الفرات، بسرعه لمواجهتها، بالطرق السلميه و كان هذا أيضا رأى من استشارهم من زعماء المجتمع فى مصر الذين كلفوه بالاتصال بقائد الحمله للحصول على الأمان العام، فأتاب عنه وفدا ترعمه الشريف أبو جعفر مسلم العلوى، و انضم إليه بعض كبار الدعاه الفاطميين و منهم أبو جعفر أحمد بن نصر.

و بعد أن تلقى الوفد التفويض من سائر طبقات المجتمع بحيث لم يتأخر عن تشييعهم قائد، و لا كاتب، و لا عالم، و لا شاهد، و لا تاجر (٤) عرضوا على القائد جوهر فى قريه تروجه رغبات السكان و ما يشترطونه نظير إعلان الولاء و الطاعه للخليفه الفاطمى، فاستجاب لجميع ما اقترح عليه و كتب نص الأمان العام، (٥) باسم أمير المؤمنين المعز لدين الله، و أشهد على نفسه جميع الحاضرين، و فى الأمان تأكيد لما طلبه السكان، مع توضيح بعض أهداف الحمله الفاطميه، و منها الدفاع عن دار الإسلام التى

نال منها الروم و المغامرين بسبب استخذاء العباسيين و ضعفهم.

و عند ما عرف زعماء الكافوريه، و الإخشيديه ما تضمنه عهد الأمان، و لم يكن فيه ما يرضى جشعهم إلى الأموال و إلى الاقطاعات،(٤) عارضوه، و ردوا على الشريف، ردا جافا، خفف من وطاته ابن الفرات الذى ذكرهم بأنهم هم سبب التفاوض لطلب الأمان، و تلتف مع الشريف، و ناجاه، بينما مال المعارضون إلى الصخب و الضجيج و تمسكوا بشعار واحد، هو " ما بيننا و بين جوهر إلا السيف ".(٧) و انصرفوا عن الوزير، و عن أبى الفوارس أحمد بن على، و بدءوا بزعامه تحرير شويزان يهيئون لمقاومه حمله جوهر، (٨) نفسه ١، ١٠٩ أس ١-٣.

الذى تصرف بحكمه عند ما عرف هذه التطورات، فطلب إرجاع نسخه الأمان و التمس من القاضى أبى الطاهر الدهلى، رأيه فى مشروعيه قتالهم فأفتاه بحليه قتال من يمنع المسلمين من الدفاع عن حدود أرضهم ضد الروم، و عندئذ اقتنع جوهر بتأييد وجوه المجتمع لمبدأ الولاء للخلافه الفاطميه. و بدأ يعد لتأديب هؤلاء القوم الذين أضلهم الغرور و أعماهم التعصب و رفعوا رايه الثوره و ضللوها جانبا من السكان، و ذلك من مركزه الحصين فى منيه شلقان - شرقى القناطر الخيرييه - التى أراد منها العبور إلى الفسطاط، و فيها تحفظ على كل المراكب التى وصلت من دمياط و الوجه البحرى، و جزيره تيس و وجهتها الفسطاط، و كلف مساعده فى قياده الحمله، جعفر بن فلاح بالعبور إلى الجانب الآخر من النيل، بقوله: "لهذا اليوم أرادك المعز لدين الله"(٨) و ذلك للقاء القوه المعاديه و بعد أن تمكن جعفر مع جمع من رجال كتامه المغامرين من عبور النيل سباحه و هم عراه ليس عليهم الا" سراويل"(٩)٤.

ص: ١١٤

١- لمعه (لمجهول) ورقه ٣-٤، ابن ظهيره: الفضائل الباهره فى محاسن مصر و القايره ورقه ٧٣-٧٤ ص ٤١-٤٢ ط ١٩٦٩. و يلاحظ أن المعز لم يخرج بنفسه لفتح مصر خوفا من آثار هزيمته على وضعه فى بلاد المغرب" و خاف أن يغزو بنفسه و يخيب سعيه فيفوته المغرب و لا تحصل له مصر".

٢- المقرئى: اتعاظ الحنفا ١، ١١١-١١٣، الخطط ١، ٣٦١، أبو المحاسن: النجوم الزاهره ٤، ٤١-٤٢. لمعه (لمجهول) ورقه ٤. ابن ظهيره: المصدر السابق ورقه ٧٥، عبد الرحمن زكى: القايره تاريخها و آثارها ١٠-١١.

٣- يحيى بن سعيد الأنطاكى: المصدر السابق ٨١٨ و ما بعدها.

٤- المقرئى: اتعاظ الحنفا، ١، ١٠٢، ١٠٣.

٥- نفسه، ١، ١٠٣-١٠٧، بيبرس الدودار: زبده الفكره ٦، ورقه ٢٠١-٢٠٢ ابن مسكويه: تجارب الأمم ٦، ٢٥٧، ابن حماد: أخبار ملوك بنى عبيد ٤١-٤٤. النويرى: نهايه الإرب ٢٦ ورقه ٣٨ و ما بعدها.

٦- بيبرس الدودار: المصدر السابق ٦، ورقه ٢٠٠-٢٠١ و يلاحظ هنا أن تحرير اشترط ألا- يجتمع بجوهر، و تكون الأشمونين إقطاعا خاصا به، و يقلد مكه و المدينه و أعمالها و يقيم هناك.

٧- المقرئى: اتعاظ الحنفا ١، ١٠٨ س ٢٣، و انظر بيبرس الدودار: المصدر السابق ٦، ٢٠٠ - عن بعض أعداء المذهب الفاطمى الذى حث الناس على الفتك بابن الفرات، و شنع على جوهر الصقلى و خاطب الناس بقوله "أيها الناس قد أظلكم من أخرج فاسا، و سبى أهلها، فألقوا هذا الرجل المغرور" ابن الفرات فإنه شرع فى إتلاف بلدكم و سفك دمائكم بمراسله هذا الرجل".

٨- أبو المحاسن: المصدر السابق ٤، ٣١.

٩- المقریزی: اتعاظ الحنفا ١، ١٠٩ س ٥-٦.

بدد شمل قوات الثورة و قتل بعض زعمائها و منهم نحرير الأرعلى و مشير الإخشيدى، و يمن الطويل، و انسحب بعضهم دون قتال تاركين جماعه من "المصريين" يلقون مصيرهم و أخلى الجميع قواعد تمرکزهم فى الجزيره لأنهم عرفوا أن الأمر فى غير صالحهم، و تفرقوا فى الأنحاء و منهم من التجأ إلى الشام.

و هكذا عاد السكان إلى الشريف أبى جعفر مسلم الذى توسط عند جوهر الذى أكد سياسه الأمان، بشرط التحفظ على أموال و ممتلكات زعماء الثورة الفارين حتى يعلنوا الولاء للخلافه الفاطميه، و يرضوا بما رضى به عامه السكان.(١) و تلا- ذلك دخوله المدينه يوم السبت ١٧ شعبان ٣٥٨ هـ على رأس قواته، وفق ترتيب خاص، حيث تمرکز فى موضع المناخ و وضع هنا أساس العاصمه الجديده و قصر مولاه المعز لدين الله، مباشره. و أثر ذلك تقبل تهانى السكان، لكنه رفض الهدايا و الضيافه إلا من طرف الشريف أبى جعفر مسلم (٢) نفسه ١، ١١١. الذى اتخذت داره مركزا لتجميع الفقراء المعوزين بواسطه النداء حيث فرقت عليهم أموال كثيره فى الجامع العتيق، احتفاء بمناسبه الفتح(٣) الذى أرسلت البشائر به إلى المعز لدين الله فى المنصوريه.(٤)

أما الاجراءات التى عبرت عن وضع مصر الجديد كولايه فاطميه فاهمها:

- إزاله شعار العباسيين و قطع الخطبه للمطيع العباسى و الدعوه للمعز لدين الله، و لآبائه ابتداء من عشرين شعبان ٣٥٨ هـ فى المسجد العتيق و كان ذلك بحضور جوهر الصقلى كما دعى له فى جامع ابن طولون و سائر منابر مصر.

- استهلت دار الضرب نشاطها بعد فتحها بامر من القائد جوهر بسك دنانير جيده العيار سجل عليها تاريخ الفتح و اسم المعز لدين الله، و الدعاء له، و شعار العلويين و هو: "على أفضل الوصيين، و وزير خير المرسلين".

- و قد انتدب جوهر، عمالا- للخراج، و الضياع، و الحسبه، و الشرطه، أما المظالم فتولاها بنفسه فتره حيث كان يجلس لسماع الشكوى كل يوم سبت، ثم تركها إلى أبى عيسى مرشد تحت نظره، كما استعان بجهود ابن الفرات الذى أقره على خطته السابقه.

و قد أرسى تقاليد الشيعه فى الدعاء لأصحاب الكساء، قبل الدعاء للخليفه الفاطمى، و فى عدم التكبير بعد صلاه الجمعة، و فى الأذان و الإقامه و غير ذلك.

و لما فتحت مصر قال محمد بن هانى الأندلسى من قصيده:

يقول بنو العباس هل فتحت مصر فقل لبنى العباس قد قضى الأمر

و قد جاوز الإسكندريه جوهر تطالعه البشرى و يقدمه النصر

و قد أوفدت مصر إليه وفودها و زيد إلى المعقود من جسرهما جسر

فما جاء هذا البرم إلا و قد غدت و أيديكم منها و من غيرها صفر

فلا تكثروا ذكر الزمان الذى خلا فذلك عصر قد تقضى و ذا عصر

و قد أشرفت خيل الإله طوالعا على الدين و الدنيا كما طلع الفجر

لقد دالت الدنيا لآل محمد و قد جررت أذيالها الدوله البكر

و رد حقوق الطالبين من زكت صنائعه فى آله و زكا الذخر

فكل إمامى يجىء كأنما على خده الشعرى و فى وجهه البدر

(راجع: جعفر بن فلاح)

حاجى آل محمد

توفى سنه ١٢٣٤.

هو من بلده (امروهه) فى الهند، أنهى دراسته الأولى فى بلده ثم سافر إلى لكهنؤ للدراسه ثم غادرها إلى النجف و كربلاء للغرض نفسه، ثم عاد إلى بلده.

كان أديبا فى اللغات الثلاث الأردويه و الفارسيه و العربيه و له من المؤلفات: ١ - سبحة الجواهر و هو فى أحوال العلماء ٢ - دافع الشكوك فى الامامه ٣ - مثنوى نان خشك (عربى و فارسى) و غير ذلك.

حبيب يغمائى.

ولد سنه ١٣٢١ فى قريه (خور) إحدى قرى صحراء (جندق) و (بيبانك) بايران. و توفى سنه ١٤٠٤ و دفن فى قريته فى الأرض التى اشتراها و جعلها مقبره.

عند ما بلغ الخامسة عشره من عمره ذهب إلى دامغان و شاهرود لدراسه العلوم القديمه. و بعد خمسه أعوام ذهب إلى طهران للدراسه فى مدرسه (الأيانس) ثم دخل دار المعلمين و أثناء ذلك صار عضوا فى الاتحاد الأدبى الايرانى.

و فى العام ١٣٤٤ ساهم مع الشاعر فرخى يزدى فى العمل فى جريده (طوفان)، ثم درس الحقوق و العلوم السياسيه. و عين بعد ذلك رئيسا للأوقاف و المعارف فى مدينه سمنان.

و فى العام ١٣٥٠ أصبح مدرسا للغه الفارسيه فى مدرسه دار الفنون و مدارس أخرى فى طهران، ثم أصبح مديرا لمجله التربيه و التعليم. ثم أصدر مجله (كرانستگ نعيما [يغما]) التى استمرت فى الصدور ٣١ عاما، كما تولى التدريس فى كليات طهران و معاهدها. و قد منحه جامعه طهران الدكتوراه الفخريه فى الآداب و العلوم الإنسانيه.

له من المؤلفات: (١) جغرافيه منطقه جندق و بيبانك، (٢) سيره نعيما الجندقى، (٣) تصحيح كرشاسب نامه أسدى طوسى، (٤)

نموذج النظم و النشر الفارسي، (٤) فردوسي و الشاهنامه و غير ذلك. (٥)

حسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني.

اشاره

ولد سنة ٢٨٠ و توفي سنة ٣٤٠ (٨٩٤ - ٩٥٢ م) مرت ترجمته في الصفحه ١٧ من المجلد الخامس من (الأعيان)،

ص: ١١٥

-
- ١- نفسه ١، ١١٠. و يلاحظ أن البنود التي تحمل اسم المعز كانت قد فرقت على أنصار الدعوه لذلك "نشر كل من عنده بند بنده في درب حارته" انظر س ٢-٣، أبو المحاسن: المصدر السابق ٤، ٨ و ما بعدها، عبد المنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين ١٠٣-١٠٤، عطيه مشرفه: نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين، ٦٠، عمر كمال توفيق: مقدمات العدوان الصليبي ٦٦ و ما بعدها.
 - ٢- نفسه ١، ١١٤.
 - ٣- القضاء: المصدر السابق ورقه ١٧٩.
 - ٤- فاضل بهزاديان.

و ذكر هناك أن بعض المعاصرين ذكره في علماء الشيعة و قال انه سجن لأجل تشييعه.

ثم يقول في الأعيان و هو بذكر [يذكر] ما أصابه من السجن: أنه هاجى شعراء صعده فنسبوه إلى أنه هجا النبي (ص) فسجن. يقول في الأعيان: "إن الهجو المزعوم لا يمكن أن يصدر ممن يتظاهر بالإسلام، و لكن المظنون أنهم التمسوا لحبسه عذرا من هذا النوع كما هي العاده في التحامل على شيعة أهل البيت و ربما يؤيد ذلك وصف الخزرجي له بالاحاطه بالمناقب و المثالب، فان المثالب يغلب استعمالها في مثالب أعداء أهل البيت و المناقب في مناقبهم".

و في الدراسة التاليه التي كتبها الكاتب اليماني الزيدى الأستاذ أحمد الشامي يثبت تشييعه.

قال الأستاذ الشامي:

كان الهمداني مؤرخا شاعرا نسابه فيلسوفا نحويا محدثا رحاله، و هو إلى ذلك سياسي، و ما بين أيدينا من آثاره شعرا و نثرا يعرب عن علم جم، و معارف واسع، و تبحر في الروايه، و بصيره في الدرايه، و ما ضاع منها أو ما لا يزال مفقودا - و هو الكثير بينها ديوان شعره في سته مجلدات يخول لنا القول بأنها لو وصلت إلينا - أو لو اكتشفناها - لازدادت معارف الناس عن اليمن و تاريخها و آدابها [آدابها]، و أزددنا إجلالا- لذلك العلم الشامخ لذي أطلق عليه الأوائل و الأواخر بجداره لا تمارى "لسان اليمن".

و قد ذاع صيت الهمداني و انتشر ذكره في أنحاء العالم الإسلامي أيام حياته و بعد وفاته، لأنه كان ذا نشاط جاد، يواصل و يرأس علماء و أدباء الحجاز و الشام و العراق، و كان كثير الأسفار و التجوال، و كان بمزاجه العلمي، و ذوقه الأدبي، و حسه الشاعر يسجل كلما يراه أو يقرؤه أو يسمعه و لذلك ظهرت كتبه و كأنه يؤلفها للمسلمين في كل زمان و مكان، و ليس لأبناء قومه من اليمنيين فقط، و إن كان قد وهب قلبه، و حسه، و علمه لوطنه و قومه و إلى حد يراه بعض النقاد و المؤرخين من القدامى و المحدثين أنه قد أفضى به إلى التعصب الأعمى، و العنصريه المشينه!

نشاته و مذهبه

يكاد المحققون من المؤرخين أن يجمعوا على أنه قد ولد في أوائل عام (٢٨٠ هـ) (٨٩٤ م) و هي من الفترات الرهيبه في تاريخ اليمن و الجزيره العربيه حين بدأ الحكم العباسي يتضعضع، و تشعبت الملل و النحل،! و إنها لصدفه عجيبه لا يغفلها "الفلكيون" القدامى - و قد كان الهمداني منهم - أن تكون ولادته في نفس السنه التي خرج فيها الامام الهادي يحيى بن الحسين خرجته الأولى إلى اليمن، ثم انقلب راجعا إلى الحجاز و اكتسحت الفتن اليمن، و غادرها والى صنعاء من قبل العباسيين، و ظلت نهبا بين "القرامطه" و "الدعام" و "بنى يعفر" و غيرهم حتى عاد الهادي من جديد و كتب إليه صاحب صنعاء "أبو العتاهيه" ليستقدمه، و دخلها سنه (٢٨٨ هـ).

و "الهمداني" يشاهد كل ذلك بعقله الواعي، و شبابه المتحفز و فطرته السليمه. و تهيب من الأقدار شخصا سيلعب دورا كبيرا في احداث فترته و تاريخها و يتحمل من بؤسها و نعيمها، و خيرها و شرها، ما لا يتحملة إلا المحظوظون من نوابغ البشر.

وقد ثابر الشاب الهمداني في "صنعاء" على دراسته العلم وكسب المعارف لم يشغله عن ذلك شاغل وكان ذا لاقظه حافظه، وذاكره واعيه، سجلت معظم ما شاهده أو سمعه من أحداث صباه، ومنها كارثة القحط التي حلت باليمن سنة: (٢٩٠هـ) (٩٠٣م) وهو لا يزال في العاشرة فقد ذكرها في الكتاب العاشر من "الإكليل" فقال وهو يتحدث عن أنساب آل أبي حبش: "فنوا جميعا في حطمه التسعين ومائتين باليمن وذلك أن ما لهم فني، و رقت وجوههم من المسأله فاعتقدوا، وأوصدوا عليهم وعلى أهاليهم و عيالهم أبوابهم فماتوا رحمهم الله، فلم يبق منهم أحد سوى طفله درجت من خلل بين حجرين فأخذها بعض بني الأزهر بن عبد الرحمن فرشحت عندهم وزوجت فيهم، و سوى رجل كان نازحا عنهم". ص ٢٠٠-٢٠١:١٠ - تحقيق الخطيب و قال يحيى بن الحسين في "غايه الأمانى" ص ١٩٠: "و فى هذه السنه (٢٩٠هـ) اشتد القحط فى اليمن حتى أكل الناس بعضهم بعضا و مات خلق كثير و خرجت عدّه قري" ثم ذكر حادثه اعتفاد آل أبي حبش (أو جيش) و أسندها إلى "الهمداني" و نحن نعلم أن الإكليل من آخر تأليف لسان اليمن بعد عام (٣٣١هـ) فهو قد ألفه بعد الحادثه بأكثر من أربعين عاما و لو لا أنه قد سجلها لما علمها و لا أشار إليها أحد من المؤرخين. فيما عدا مؤلف سيره الهادى.

و توفى الهادى عام (٢٩٨هـ) و الهمداني فى عنفوان شبابه يزحف إلى العشرين و لا شك لدى أنه قد حضر مجالسه و أخذ عنه و عرف طبيعه الصراع بينه و بين بقيه المشايخ و السلاطين و ميز بين الخير و الشر، و الحق و الباطل، (١) و فى أيامه سنه (٣٠٦هـ) ذهب إلى مكه المكرمه للحج و جاور فيها مده و كتب صدرا من الحديث و الفقه و تعرف على الكثير من علماء الحجاز و الشام و العراق و لما عاد إلى "صعده" ظل يكاتبهم... و يرأسلهم و ذكر القفطى و غيره أنه قد رحل إلى "بغداد" و "الكوفه" (و هذا بعيد)، و أنه قد اختلف مرارا بين "صعده" و "مكه" و قد اختار "صعده" له سكنا و ظل فيها كما يقول عشرين حولا لأن حكامها أمثال "الهادى" و "المرتضى" و "الناصر" كانوا أقرب إلى روحه و طبيعته اليمنيه المستقله، و إلى مذهبه من "القرامطه" و "آل زياد" أتباع بنى "العباس" بل و من آل يعفر الذين كانوا كما قال الأستاذ حمد الجاسر "يميلون مع هؤلاء آونه و مع أولئك أخرى، و ينضمون إلى غير الفئتين فى بعض الأحيان"؟ (مقدمه صفه جزيره العرب) و الهمداني الفيلسوف لا يستطيع أن يطمئن إلى أمثال هؤلاء، و لذلك استقر فى "صعده" و لا شك أن علاقته و د كانت تربط بينه و بين الناصر و قد أشار فى كتبه إلى مدائح الشاعر "ابن الحدوبه" فيه و فى أبيه الهادى و ذكر أشعار غيره و لو أن كتب الهمداني قد وصلت إلينا دون تحريف، أ و لو ظفرنا بديوان شعره كاملا لوجدنا فيها الكثير مما يجحد التخرصات و الاختلافات و يقر الحقائق التى تتلاءم و تنسجم مع أخلاق الهمداني الأصيله و طبيعه مثله فى مثل تلك الفتره المضطربه التى نتحدث عن آدابها و رجالها.

و لا بد من القول: أن خيرا كثيرا قد حجب عنا عمدا، و أن كثيرا من المؤرخين قد أعماهم التعصب، أو التحيز لفئه ما، أو مذهب ما، و لذلك فعلى من يريد أن يدرس تاريخ اليمن و آدابها أن لا يقتصر على كتب فئه من الفئات، أو مؤرخى دوله من الدول، بل عليه أن يتحرى، و يتتبع آثار كل فئه من كتب مؤرخيها و أدبائها، و أنه لمن دواعى الأسف أن نذكر أن أغلبه مؤرخينا - قدامى و محدثين - هم من المتعصبين و المتحيزين، و معظمهم تأثروا بما يحيط بهم، و تضحج به مجتمعاتهم من تعصبات مذهبيه، أو دعوات

سلاطيه، و قل أن تجد فيهم من يستطيع أن يتحرر من قيود بيئته، أو ينصف غير أبناء طائفته، و يتفاوتون، بين مغرق يتعسف، و خائف يتعثر، و عالم يتجاهل، و جاهل يتعالم، و قد يبلغ بالبعض التطاول إلى التكفير و التفسيق، و بآخرين الانسياق وراء الخرافات و السخافات، و يقوم الهبوط إلى مهاوى التضليل و الدجل و يستوى في ذلك المحدثون و الأقدمون.

العمود الفقري لحياه الهمداني

لقد اترست الآراء و الألسن، و اختلفت و تضاربت و تجادلت بالكلام عن "الهمداني" ثناء و مدحا، و تجريحا و قدحا، شأنها في كل زمان و مكان مع الأفضاذ، و قد ترجمه من القدامى صاعد الأندلسي، و القفطي. و يحيى بن الحسين، و اهتم به و بكتبه المستشرقون، و أثنى عليه ناقدًا محب الدين الخطيب و حمد الجاسر و مجده و قدسه محمد بن علي الأكوخ، و تحدثت عنه أولاً في كتابي "قصه لأدب في اليمن" و ثانياً في كتابي "دامغه الدوامغ" ثم ثالثاً في كتابي "جنايه الأكوخ على ذخائر الهمداني" و فيه زيفت بعض ما ينسب إليه من قبل من لم يعرفوا قدره، و فندت من يزعم أنه كان منحرفاً عن آل الرسول (ص)، و أنه كان من أصحاب الهادي و أولاده "المرتضى" و "الناصر"، و أن تشييعه لم يتأثر بعصبيته لقومه "قحطان" ضد "العديانيين"، و لا بسوء التفاهم الذي حدث بينه و بين الناصر في أواخر أيامه بصعده بسعايه و وشايه خصومه القوميين و السياسيين.

على أن جل ما قيل عن الهمداني قبل اكتشاف بعض مقالات كتابه "سرائر الحكمة" كان لا يخلو من العاطفه و الهوى، و التأثير بما قاله محبوه أو خصومه، و لا سيما في معرفه مولده و نشأته الأولى و قضيه سجنه، أما بعد العثور على "سرائر الحكمة" فان حياه الهمداني لم تعد محاطه بالغموض لأنه قد تحدث بنفسه عن نفسه، و سجل كتاب سيره بأسلوب روائي بديع نستطيع مما جاء فيه... أن نستجلي صورته الهمداني و نحدد معالمها فيما يلي:

١ - ولد بصنعاء في يوم الأربعاء ١٩ / صفر سنة (٢٨٠ هـ) و هو العام الذي خرج فيه الهادي يحيى بن الحسين إلى اليمن للمره الأولى.

٢ - حدثت به عله ليست بشديده و هو في الخامسة من عمره، و لم يكد يبلغ السابعة إلا و هو يحدث نفسه بالأسفار.

٣ - كان أبوه رحاله دخل الكوفه و البصره و بغداد و عمان و مصر و كان لأسرته بصر بالإبل منذ كانوا في "مشرق اليمن" و لما انتقلوا إلى صنعاء اشتغلوا بالجماله و التجاره و نقل الحاج بين جنوب الجزيرة و شمالها.

٤ - انتقل من "صنعاء" و هو في الخامسة عشره، أي عام (٢٩٥ هـ) إلى صعده قبل وفاه الامام الهادي ببضع سنوات و في صعده شارك أهله في عملهم و هو نقل الحجيج و التجار ما بين صعده و مكه. و في صعده بلغ سن الرشد و جنح إلى متع الحياه و طبياتها و شغف بمخالطه الناس و مجالسه الغرباء خاصه و اكتسب من ذلك معارف و تجارب.

٥ - بعد عشره أعوام من استقراره في صعده أي حوالي سنة (٣٠٥ هـ) و هو في الخامسة و العشرين و قد أمر أمره، و كثر أصدقاؤه و حاسدوه و أشقاه الكد، و أضناه الترحال و اكتسب حده الطباع، و حب الجدل و النقاش فنال من مخالطه المنافسين و معارضه الخلطاء و عداواتهم ما زين له "السفر الكبير" فارتحل إلى مكه طالباً للعلم و مجاوراً للبيت الحرام... و نعلم أنه أثناء رحلته هذه قد أصابه مرض شديد أشرف به على الموت و لكنه واصل الرحله حتى وصل "مكه".

٦ - جاور في مكة حوالي سبع سنوات أي إلى عام (٣١١هـ)، وفي مكة تفتحت له آفاق المعرفة، و اتسعت بسطته في العلم، و عرف الكثير من علماء الحجاز و العراق و الشام و مصر و الأندلس و تلقى العلم عن بعضهم و أخذ شيئاً من علم الأخبار و المنطق و الحديث و الفقه و اقتنى بعض كتب السيره و دواوين الشعر، و رغم أنه فقد في مكة رفاهيه "صعده" و لذاتها، و تعرض لأذى حرها و هجيرها، كما يقول في مقاله العاشره عن نفسه ألا أن فتره إقامته بها كانت من أخصب سنى التحصيل العلمى و النضوج الثقافى.

٧ - فى عام (٣١١هـ) أو العام الذى يليه رجع إلى اليمن و نزل صعده و هى يومئذ قاعده الامام الناصر بن الهادى(١) الذى كان أثناء غياب الهمدانى فى مكة - قد قضى على سطوه القرامطه، و اجتث شوكتهم فى وقعه "نغاش"، و أصبحت "صعده" أكبر مراكز العلم و الأدب فى اليمن، و تكتظ بالافئاذ من العلماء و الشعراء و الفقهاء، كما أنها أصبحت أهم المحطات التجاريه، و أكبر مراكزها ما بين مختلف الجهات اليمنيه، بل و طريق قوافل الحجاج و التجار من جنوب الجزيره إلى شمالها، و قد رحبت صعده بالهمدانى من جديد،" و عمر بها داراً، و امتلك عقارا"، و طاب له العيش و المقام بها وراق، و ساهم فى إحياء الحركه العلميه و الثقافيه، و شارك فى الأمور السياسيه و التجاريه، و كان له حظ لدى الناصر، و مكانه بين العلماء و الشعراء، و وجاهه لدى زعماء القبائل، و أخذ عن العلماء و أخذوا عنه، و أرفدهم بما تعلمه و هو بمكة، و بما أورده معه من كتب تاريخيه و فقهيه و لغويه و دواوين شعر، و ارتفع قدره و عرض جاهه، و كانت "صنعاء" و ما صاقبها تحت حكم أسعد بن يعقوب "زيد" يحكمها "ابن زياد"، و هناك عدد من المشايخ و السلاطين يحكمون قبائلهم بتقاليد عشائريه، و أسلوب جاهلى يولون هذا تاره و ذلك أخرى، و الجميع يتصارعون على حطام الحكم و السلطه، و مدنهم و قراهم تتعرض للفتن و النهب و الدمار، بينما كانت "صعده" عند ما عاد الهمدانى تتمتع بشىء من الرخاء و الاستقرار السياسى و تزدهر بنشاط ثقافى حى، و حاكمها إمام مبرز فى علوم المعقول و المنقول.

و لذلك كله اطمأن الهمدانى إلى الاستقرار بها كما هاجر إليها استاذة أبو نصر الحنبصى فرارا من "القرامطه" و "الحواليين". و هناك قرءا معا "سجل بن أبان" و أخذ عن شيخه الطاعن فى السن ما أخذ فى علم الأنساب.

٨ - ما بين عام (٣١١هـ) و سنه (٣١٥هـ) و بعد أن شب أولاد الامام الناصر، و برز إلى الساحه مجموعه من الوزراء و القواد و المشايخ بدأت تنجم قرون الصراع و الخلاف بين المتطلعين إلى "وراثه السلطه" إذا ما انتقل "الامام الناصر" إلى جوار ربه، كما أن الخلافات القديمه بين قبائل منطقته صعده و التى كانت سببا من أسباب ذهاب وفود تلك القبائل إلى "الرس" و تنصيب الهادى إماما لهم سنه (٢٨٤هـ) بدأت أيضا تثار من جديد، و نشأت معارك كلاميه نشب بسببها صراع بيانى مرير بين شعراء التعصبات العريقيه، و الدعوات الجاهليه و التفاخير بين "القحطانيه" التى ينتسب إليها عرب جنوب الجزيره، و "العدنانيه" التى يعتزى إليها عرب شمالها، إلى جدل كلامى و فقهى بين أصحاب المذاهب و النحل، و شبت المعارك اللسانيه

ص: ١١٧

بالحجج و "الدوامغ الشعريه". و ما كان للهمداني أن يسكت أو يظل محايدا، و أنا له ذلك و هو يعتبر نفسه بل و يعتبره الآخرون "لسان اليمن"! و ليس ذلك فحسب بل و قد نالت ألسنه الشعراء من قومه، و ربما أن بعض حاسديه و منافسيه قد نالوا منه شخصا و نزوه بألقاب "الجمال" و "الحائك" و "ابن؟! الدمينه" فما كان منه إلا أن نضا شبا اليراع، و جرد سيف لسانه الصقيل و خاض المعركه البيانيه شعرا و نثرا و كان لهم الصاع صاعين، و لعل بعض شعراء "اليرسميين" و "الهشميين" و "العدويين" و "التمميمين" قد لفقوا ضده ما أوغر قلب "الإمام الناصر" الذي كان قد أرهقته الحروب مع "القرامطه" و "اليعافره" و الموالي و المشايخ، و غيرهم، و ضاق ذرعا بالجدل البيزنطي "السخيف بين الشعراء حول من هو الإكرام أ عرب "قحطان" أو عرب "عدنان"؟ و كان مثل الصدر بهموم "الامامه الزيديه" و مصيرها، و يخشى على "اليمن" من التمزق و الضياع، و الفتن و الأطماع تتربص بها الدوائر، و ربما أنه قد خشى أيضا أن يكون بين هؤلاء الشعراء المتفاخرين "بقحطان" و "عدنان" و "مذحج" و "جرهم" من غرضه الفتنة و المكر، و هدفه تمزيق العرب و المسلمين و لذلك فقد انفع "الناصر" أمر بوقف تلك المفاخرات و المشاحنات العريه و العصبيه، و التي تجانف روح الدين الحنيف، بل و أمر بسجن بعض الشعراء منهم "الهمداني" في يوم الثلاثاء ١١ / رجب سنه (٣١٥هـ) و لكنه سرعان ما أفرج عنه، و لم يمكث في السجن غير عشره أيام،(١) و ربما أن الناصر قد توعدده، لو عاد إلى إثارة المعارك اللسانيه بين "قحطان" و "عدنان" و ربما أنه قد تخوف على مستقبله و ليس من شراسه خصومه السياسيين و منافسيه من الأدباء و العلماء بل و مما قد تتعرض له صعده بعد موت "الناصر"، و هو يرى الأطماع، و الأهواء و الخلافات و التعصبات تتربص. بل و تعمل لمصير مرعب مجهول. و لذلك قرر التزوح إلى "صنعاء" مسقط رأسه و كان يحكمها - واليا من قبل السلطان أسعد بن أبي يعفر - ابن أخيه أبو الفتوح الخطاب اليعفري، و ظن الهمداني أنه سينعم عند "آل يعفر" الحواليين، الحميريين بالجاه و حمايه لأنهم من قحطان و الهمداني لسانها، و ما لجا من صعده إليهم إلا بعد الملاحاه العنيفه، و تحت وعيد الناصر بالعقاب إذا ما عاد إلى إثارة تلك المشاحنات السلاليه، و المفاخرات التي ضمنها قصيدته "الدامغه" و لكنه ما إن وصل صنعاء حتى اشتغل خلال العامين (و ٣١٧هـ) بشرح قصيدته الدامغه في كتاب حافل بشتى فضائل قحطان. غير هيب و لا وجل لأنه في حمى سلطان حميرى قحطاني.

٩ - لكن سرعان ما خاب أمل الهمداني في آل يعفر الحواليين و كان معهم كالمستجير من الرمضاء بالنار، إذ كان يظن أنه بنجاته من "صعده" حيث الشعراء و العلماء و الفقهاء الذين يتعصبون لعدنان و التحاقه بصنعاء حيث الحاكم فيها "تبعي" "قحطاني" سيبعده عن أى احتمال لمكروه يحل به، أو شر يراد له، غير أن الذى حدث كان عكس ما ظن و تصور، فقد أمر السلطان أسعد بن أبي يعفر ابن أخيه أميره على صنعاء في يوم الاثنين ٢٤ / شوال سنه (٣١٩هـ) بإلقاء القبض على الهمداني و تكييله بالقيود و الزج به في أعماق سجن رهيب، و قد وصف الهمداني سجنه في مقاله العاشره من "سرائر الحكمه" فقال أن السلطان غضب عليه في صنعاء في التاريخ المذكور آنفا و أنه "كثرت المطالبه من الأشراف و ذوى النجده، بالحسنى و بالشده، لإخراجه من السجن فكان أن سمح له في ابتناء مسكن يتسع فيه، و فسح له في زياره الإخوان، و قضاء الحوائج و ذلك بعد مضى سبعة أشهر و أربعة أيام - أى أنه ظل تلك الفتره في سجن انفرادى" - قال:

"ثم أطلق من القيد الخفيف بعد أربعة و عشرين يوما و نقل من السجن العظيم إلى ما هو في عداد المنزل" ثم بدا للسلطان "الحوالى" ما بدا فعاد إلى التشديد عليه و التنكيل به قال الهمداني: "ثم تبدلت به الحال الرضيه إلى حال ضيق، فنقل من بلد إلى بلد و طيف به مصفدا إلى مواضع غربه، فلقى من ذلك الأمرين، و كان ذلك بعد ستة عشر شهرا و ثمانيه عشر يوما من

مدخله السجن، ثم أدخل عليه بعض الراحة بعد سبعة عشر شهرا و ثمانية عشر يوما، و احترك في الطلب فيه العظماء من الناس فنفذت فيه الشفاعة و أذن باطلاقه و أخرج "، ثم رد إلى السجن ثانيه، ثم أطلق من "الموضع" و بعث به مغربا مع حفظه أينما وصلوا من قريه سجنوه فأقام على ذلك ثمانية أيام، ثم فلت من النهج الذى قصد له به، و ملك نفسه (كأنه يعنى أنه تمكن من الفرار من الحفظه الذى يطوفون به مكبلا فى مملكة الحوالى) و ذلك بعد ستمائه و ٢٢ يوما تكون شهورا تامه - ٢١ شهرا و ١٩ - يوما "قال: " ثم كان وقوعه فى مأمنه و خلوده للراحه بعد فلتته شهرين و يومين "، أمضاها فى تشرد و تخفى و خوف. (٢).

و إشاره الهمدانى إلى فراره من السجن تفسر بعض الروايات القائله بان سلطان "زبيد" قد ساعده على الخلاص من ذلك السجن و التنكيل!.

و بمتابعه قيودات الهمدانى التاريخيه نعرف أنه قد فلت من سجن "اليعافره" فى أواخر شعبان سنه (٣٢١، ٩٣٤ هـ) و لكنه ظل هاربا خائفا يتربح حتى شهر ذى القعدة عام (٣٢١ هـ) و لجا إلى مأمنه فى "ريده" جوار سيد "حاشد" يومها أبو جعفر أحمد بن الضحاك. و لا- تفسير يعقل لما ذا لم يهبط على السلطان ابن زياد فى "زبيد" إذا كان حقا قد ساعده على الفرار من سجن اليعفرى إلا إذا كان قد أدرك أن "آل زياد" على وشك الاضمحلال و الاستسلام لمواليهم من الأحباش و هو ما لا تطيقه نفسه الهمدانى".

شهاده "قصيده الجار"

تلك هى فقرات عمود حياه "الهمدانى" و سيرته منذ طفولته و حتى بلغ قمه هرم الحياه، و جاوز الأربعين، و خلد إلى كتابه "الإكليل" فى أسفاره العشره و مؤلفه الذى لم يصل إلينا كاملا أيضا "صفه جزيره العرب"، و فى جوار ابن الضحاك "بريده".

و بهذا نعرف أن الهمدانى قد سجن مرتين الأولى فى "صعده" و لم يمكث فيه غير عشره أيام، و السجن الرهيب الثانى مع التنكيل كان فى "صنعاء" على يد السلطان أسعد بن أبى يعفر، و تتلاشى التخرصات و الدعاوى التى تريد أن تلقى تبعه ما قاساه و عاناه فى ذلك السجن على الامام الناصر بن الهادى. (٣).

و أما ما ورد فى الجزء الأول من "الإكليل" مما يوحى أن الهمدانى نفسه

ص: ١١٨

١- لقائل أن يقول أن سجنه كان لعدم إقراره الامامه المتمثله بالناصر (ح).

٢- كل هذا يدل على أن اضطهاده سواء كان على يد الناصر أو يد أسعد بن أبى يعفر إنما كان لتشييع بعيد الغور أبعد مما يراه الكاتب (ح).

٣- لا يبلغ ما يقوله الكاتب حد اليقين (ح).

قد ذكر أن "أسعد بن أبي يعفر" قد ذكر أنه إنما سجنه بامر "الناصر" فلا شك عندى أن تلك العبارات لم يزرها قلم الهمداني، و إنما من كلام مختصر الإكليل محمد بن نشوان(1) الذى أقر أنه قد تصرف فى الكتاب، و حذف و غير و بدل لأسباب فصلتها فى كتابى "جنايه الأكوخ على ذخائر الهمداني" و قلت "أن تشدد الحوالبين فى تعذيبه كما ذكر فى مقاله العاشره من "سرائر الحكمة" لا يمكن أن يقوم به الا ذو حقد شخصى نحو عدو لدود، و لا يمكن أن يكون ذلك مجامله لعدو قديم - و هو الناصر - الذى زعموا أنه أصبح صديقا!!" و فى نفس الوقت قد يجوز أن "أمراء آل يعفر" الذين تولوا حبس الهمداني و تعذيبه قد حاولوا بعد إطلاق سراحه، أو على الأصح فراره من سجنهم أن يقولوا له إنهم إنما عملوا ما عملوا عن أمر الناصر، أو بإشارته دسا و كيدا! و زعم "الحوالى" ما زعم تنصلا و تبريرا! على أن كل ذلك من باب الافتراضات و الجدل، و إلا فقد بين الهمداني نفسه أن سجنه كان على يد السلطان اليعفرى فى كتابه سرائر الحكمة، بل و سجل ذلك شعرا فى قصيدته الطويله التى سماها "الجار" و أثبتها المحقق "الأكوخ" فى مقدمه الجزء الأول من الإكليل و أولها:

خيلى إنى مخبر فتخبرا بذله كهلان، و حيره حميرا

، إلى أن يقول بعد ذكر ما قاساه من ويلات و ما نزل على أهله و "بنياته" من كرب و بلاء، و مذكرا لقحطان مناضلته عنهم و عن أمجادهم:

كان لم تقولوا يوم ناضلت دونكم لئن ثارت "عدنان" منك لثارا

أ "مسلم" لا تلحق "معدا" ملامه، فانى أراهم من قبيلى أعذرا

و كأنه يفند العذر السخيف الذى زعمه "اليعفرى" بان "الناصر" قد طلب منه حبسه! و يشير أيضا إلى قصيدته "الدامغه" التى تعصب فيها لقحطان و هاجم "الأمويين" و "العباسيين" بما كانوا يصنعونه بال الرسول (ص)، ثم وجه اللوم و العتاب إلى السلطان بن أبي يعفر فقال:

فليس بمنجيهم من الخزى موتهم إذا كان حر الشعر فيهم معمرا

و يسقط ضعفى ذاك فى حى حمير و سيدها المنظور فيها "ابن يعفرا

أنخت به خوف العداه و غدرهم فألفيته فيهم على الأمن أغدرا!

فملكهم منى مناط قلاذتى و أسلمنى فيهم باذنى، فيعذرا!

و لكنه أغضى على الذل عينه و فرط فى حق الجوار، و قصرا!

و أصلح بى ما كان من قبل بينه و بين "قريش" الأكرمين تغيرا!

و قد ذل من جارى بدمه جاره و أسلمه فيما يخاف، فاخفرا!

و هو يعنى بقریش هنا "العباسيين" و أتباعهم فى اليمن و قد كان لهم "اليغريون" عمالا- على صنعاء قبل أن ينقلب عليهم السلطان أسعد و يتحالف مع على بن الفضل كما هو مذكور فى كتب التاريخ.

و قصيده الجار حوالى مائه بيت و هى من الشعر القصصى البديع و لكنهم كما نشرها الأكوخ - مفعمه بالأخطاء، و تحريفات النساخ و لم يبذل المحقق أى جهد فى تصحيحها.

أهم أسباب حبس الهمدانى

و يحق لأى منا أن يتساءل: لما ذا ترى ذلك السخط الوحشى الذى استبد بقلوب أمراء "آل يعفر" على "لسان اليمن" الهمدانى؟ و ما ذا كان بين السلطان أسعد و بين أبى محمد من تراث؟ و ما هى الدوافع التى جعلته يعامله بذلك التنكيل الشديد، و القسوة التى لا- ترحم و لا تلين؟ صحيح أن الظلمه فى الغالب لا يسألون فى الدنيا عما يقتربون، أو على الأصح عن أسباب و دوافع ما يجتريحون، قد عودنا أسعد بن أبى يعفر و آباؤه و أولاده على إتيان ما لا يرضى به ضمير إنسانى، أو خلق دينى، أو وزع عقلى، و موافقهم فى الغدر و الفتك مع "التراخم" و "الدعام" بل و مع أهلهم و ذويهم لم يرو أبشع منها فى تاريخ الظلمه من حكام اليمن عبر العصور.

و لكننا لم نسمع أن أبا محمد الهمدانى قد زاحمهم على جاه أو سلطان فقد كان عالما مؤرخا يشتغل بالتجاره و نقل قوافل الحجاج و المسافرين بين مدن "اليمن"، و بينها و بين "مكه" المكرمه،! و إذا فلا بد من افتراض سبب جوهرى دخيل متوارث تغذى حزازته ضروع "النكث" و "المروق" على مر العصور.

و يخيل إلى، و أظن - و قد يبلغ هذا الظن درجه اليقين -، أن التحاق الهمدانى بصعده، و اعتناقه للمذهب الزيدى، و مناصرته للهادى و الناصر، قد أوغر عليه قلوب بنى يعفر "الحواليين" جميعا، و يكفيننا أن نلقى نظره واحده فاحصه على قصيده الهمدانى "الدامغه" و التى نافح فيها عن "قحطان" و سجل فضائلها، و مفاخرها، و هتك بها حرمت القبائل "العدنانيه"، و التى سببت له العداوات و أثارت ضده بعض علماء و شعراء "صعده"، و أوجدت سوء التفاهم بينه و بين "الامام الناصر" لما أسلفنا ذكره من أسباب و سوف نستشف سر ذلك السبب الأصيل!.

نعم: نظره إلى ما ورد فى "الدامغه" من تشيع و ولاء لأمير المؤمنين "على" بن أبى طالب (ع)، و تفيده لما عمله "الأمويون" و "العباسيون" بأولاده و بنيه، و وصفه لعلى بالوصى، و نبزه لمن حاربوه و ناصبوه العدا "بالناكثين" و "المارقين" و "الخوارج"، (٢) لأن ذلك أو بعضه يكفى لا يغار قلوب "آل يعفر" عليه، إذ أنهم كانوا مع "الأمويين بنى زياد" و "العباسيين" و كان على صاحبنا الهمدانى أن يقدر ذلك قبل أن يهاجر من "صعده" إلى "صنعاء" و يترك قاعده "الناصر" العلوى، إلى حمى "جوار" السلطان "الحوالى"، و إن كان قد أشار إلى ذلك فى قصيدته "الجار" إذ قال:

و أصلح بى ما كان من قبل بينه و بين قریش الأكرمين تغيرا

و لكنه لم يفتن لذلك إلا بعد المأساه، و سبق السيف للعدل.

يقول الهمداني في قصيدته الدامغه:

و كان "المصطفى" بأبي و أمي بأفخر مفخر للآدمينا،

و لم يك في "معد" له نظير و لا "قحطان"، غير مجممينا

و آويناه إذ أخرجتموه و كنا فيه منكم ثائرينا،

ص: ١١٩

١- إذا كان الشك عند الكاتب قد زال، فهو لم يستطع أن يزيله عند غيره، و الأمر - كما قدمنا - لم يبلغ حد اليقين، بل لا يزال الشك شكا (ح).

٢- هذا يدل على تشيع بعيد الغور، أبعد مما يرى الكاتب (ح).

و أسلمتم بحد سيوف قومي على جدع المعاطس صاغرنا
و كنتم حين أرمس في ثراه له في "الأهل" بئس الخالفينا؟

غدرتم بابنه فقتلتموه، و فتيانا من "المتهشمينا"

و أعليتم بجثته سنانا إلى الآفاق ما إن ترعوونا

و كنتم لابنه كي تنظروه أ أنبت تقتلوه كاشفينا؟

و أشخصتم كرائمه اعتداء على الأقتاب غير مساترينا

و ها أنتم إلى ذا اليوم عما يسوء المصطفى ما تقلعوننا

فطورا تطبخون" بنيه "طبخا بزيت، ثم طورا تسمرونا

فهم في النجل للأخيار دأبا و أنتم غير شك تحصدونا

كان الله صيرهم هدايا لمنسككم و أنتم تنسكونا!

و قد أراد بهذه الأبيات و أمثالها أن يستثنى الرسول (ص) و أهل بيته الكرام مما سيقوله، أو قد قاله في "قريش" و هو يفاخر
بقومه، و يفضلهم عليهم، و أن يستل المصطفى و آله من بينهم، كما أنه في الشرح قد فصل ما قاساه "الطالبيون" على يد
القرشيين من "امويين" و "عباسيين" حتى يومه الذي ألف فيه الدماغه في مطلع القرن الرابع الهجري و بأسلوب لا- يقوله إلا
"الشيعة" المخلصون و ليس ذلك فحسب، بل أنه يعود فيجعل من مؤازره "اليمنيين" "الأمير المؤمنين على (ع) شعار فخر، و
يستعمل عبارات "الشيعة" التي يطلقونها على من خرج على على أيام "الجمل" و "صفين" و "النهروان" فيقول:

و وازرنا" أبا حسن" عليا على "المراق" بعد "الناكثينا"

و سار إلى "العراق" بنا فسرنا كمثل السيل نحطم ما لقينا

علينا اللام، ليس بين منا بها غير العيون لناظرينا!

فارخصنا الجماجم يوم ذاكم و ما كنا لهن مثمانينا!

و أجحفنا "بضبه" يوم صلنا فصاروا من أقل "الخندفينا"

و طائرنا الأكف على خطام فما شبهتها إلا القلينا!

و ينتقل من واقعه " الجمل " إلى معارك " صفين " فيقول:

و عبانا الخيول إلى " ابن هند " نطالب نفسه، أو أن يدينا

و ظلنا نقتل الزندين حتى أطارا ضرمه للمضرمينا...

و نادينا " معاويه " اقتربنا بجمعك إننا لك موفدونا،

و أمت دونه جمرات قومي و من دون " الوصي " محافظينا

و يوم " النهروان " فأى يوم فللنا فيه ناب " المارقينا "

و قومنا " أميه " فاستقامت و كانوا قبلها متاودينا...!

و قلنا " الهاشمون " أحق منكم و نحن لهم عليكم ما يلونا

فقام بنصرهم منا " جديع " و كان لحزبهم حصنا حصينا

إلى آخر ما قال مما يبرز شخصيه الهمداني في إطارها الصحيح و يثبت أنه كما قلنا في " الجنايه " رغم اعتزازه باليمن و قوميته " القحطانيه " كان من الذين يعترفون بمحبه علي و بنيه، و إنه قد سلك في مناقضته لثونيه " الكميته، العدناني الشيعي " مسلك " دعبل " " القحطاني " الشيعي، و السيد " الحميري " القحطاني " الشيعي، من قبل " الهمداني " و مسلك من جاء بعده من شعراء قحطان أمثال " الأسلمي " و " ابن العليف " و " الهبل " و المئات غيرهم. و هذا الإطار لشخصيه " الهمداني " سينصفه و ينفذ عن اسمه غبار الدعاوى التي ظل يراكمها عليه من لم يعرفوا تاريخ ذلك العلامة التحرير و الأديب الفذ، و لا تعمقوا في دراسه أشعاره و أخباره، و لا فهموا طبيعه عصره و بيئته سواء ممن نقده قادحا، أو بالغ و أغرق في تمجيده مادحا. أو انفعل بتحريفات محمد بن نشوان.

جواره لابن الضحاك في ريده

قلنا أن الوشايات قد أفسدت بين " الهمداني " و " الناصر " و إن ذلك و مع ضيقه بمنافسه الحاسدين من العلماء و الفقهاء و الأدباء بصعده، إلى تخوفه مما عسى أن يحدث بعد وفاه الناصر، قد دفعه إلى النزوح إلى " صنعاء " و مجاوره " الحواليين "، و أنه قد كان كالمستجير من الرمضاء بالنار للأسباب التي ذكرناها و لأخرى لم نطلع عليها بعد، و لقد مات الناصر بعد ذلك و اختلف أولاده على السلطه، و عادت الفتن كما كانت هائج مائج بين قبائل " صعده "، و بدأ ملك بنى زياد يتلاشى في زييد و يمتلك الأمر جواريههم و مواليهم من " الأحباش " و كان قد صنع أسعد بن أبي يعفر و ذووه بالهمداني ما وصفه نفسه في " سرائر الحكمة " و هنا لم يجد ظللا وارفلا يلجا إليه غير ابن الضحاك أحمد بن محمد الذي كانت " ريده " مركز سلطنته القبليه، و قد انتزع " صنعاء " من أيدي الحواليين، و هو هو [] الذي لجا إليه العالم الزيدي الكبير أحمد بن موسى الطبري بعد وفاه " الناصر "، و قال عنه: إنه بين سلاطين و زعماء عصره كان كالأسد بين الذئاب و الثعالب و النعاج، و لعل الكثير من نبغاء و أفذاذ ذلك العهد

و الذين لم يستسيغوا تصلب " ورثه النظرية الهدويه " و اختلافاتهم و صراعاتهم و ظنونهم بان الأمر تركه يتقسمونها بمجرد النسب، و لا- اطمأنوا إلى موالى " بنى زياد "، و لا إلى مكر " الحوالمين " و تفاهه و ارتزاق المشايخ الآخرين قد لجئوا أيضا إلى ظل " ابن الضحاك " مع " الطبرى " و " الهمدانى " و ربما شيخه " أبى نصر الحنبسى ". و الطبريون منهم عادوا إلى طبرستان و لقد خلد لسان اليمن إلى التأليف و الكتابه فى " ريده " حيث ألف " الإكليل " و " صفه جزيره العرب " و الكثير من الأشعار حتى توفى بها سنه (٣٣٤ هـ) (٩٤٦ م) و قيل بل عاش إلى ما بعد سنه (٣٤٤ هـ) (٩٥٦ م) و انظر مقدمه حمد الجاسر لكتاب " صفه جزيره العرب " و الذى اطمأن إليه أنه توفى حوالى " (٣٤٠ هـ) .

إبراز صورته الحقيقيه

و على كل فقد اضطربت الأقوال و التخمينات فى تحديد سنه وفاته و سواء كانت عام (٣٣٤ هـ) أو بعد عام (٣٤٠ هـ) أو فى وقت بين بين، فذلك ليس من أهدافنا تحقيقه الآن لأننا لن نستطيع أن نقطع برأى جازم بل نرجح أنه و السلطان أحمد قد توفيا عام (٣٤٠ هـ) قبل أن يضعف سلطان آل الضحاك و هدفنا الآن هو إبراز صورته " الهمدانى " فى إطارها الحقيقى، و أن ننفذ عنها غبار القادحين و المادحين المغالين، و تشنجات دعاوى المتعصبين، من كل الفئات. عرفنا أنه قد ولد بصنعاء و لكنه هاجر شابا إلى " صعده " و عاش فى كنف " الامام الهادى "، ثم كان من أصحاب " المرتضى " و " الناصر " حتى هاجر إلى " مكه " لطلب العلم و حين عاد بعد بضع سنوات لم يقصد " صنعاء " و لا " زبيد " بل فضل البقاء فى " صعده " مقام الناصر و أن العيش قد طاب له و راق حين ذاك " و عمر دارا و امتلك عقارا " و نظم قصيدته التى رد بها على نونيه الكميت و سماها " الدامغه " ،

و التي أغضبت عليه شعراء "عدنان" فهجوه و هجاهم، فاختلفوا وشايات أوغروا بها عليه قلب الناصر، لأن الدماغه نفسها لا يمكن أن تكون هي التي أوغرت عليه قلب الناصر، و غيرت ما بينهما من ود و تقدير، لأنها و إن كانت تعبر عن تعصبه الشديد للقحطانيه ضد العدنانيه إلا أنها تنم بل تصرخ بصوت جهير بتشيعه و إخلاصه في محبه آل الرسول (ص)، و قد أوردنا أبياتا منها آنفا، و لا نستطيع أن نتصور "الناصر" و هو "ابن الهادي"، و من نسل الحسن بن علي ع غير راض عن موقف الهمداني هذا، و أن لا يسعده أن الهمداني لسان اليمن قد أثبت "الوصايه" للإمام علي، و ذكر مشنعا باعمال "الأمويين" و خلفاء بني العباس الذين كانوا لا يزالون يحكمون من "بغداد" معظم العالم الإسلامي، و يعدد ما صنعوه بالطالبيين، بل و يفاخر بان اليمن و قفت مع "الامام علي" في حروب "الجمل" و "صفين" و "النهران" و ينبز الخارجين عليه بالناكثين و المارقين، لا نستطيع أن نتصور ذلك، و مجرد افتراضه لا ينسجم مع منطق و لا ذوق و لا تفكير سليم! و إذا كان قد ورد شيء يوحى بذلك في الجزء الأول أو الثاني من الإكليل فهو من وضع محمد بن نشوان الذي اختصر الإكليل و حذف منه ما يهوى و زاد ما يريد.

إعادة النظر في كتبه

إن كتب "الهمداني" أو الموجود منها تفتقر إلى عناية جديده و إعادة نظر، و تحقيق علمي، و ضبط دقيق، و تجريدها من الهوامش و الحواشي و الفضول الذي أسرف بها من قام بطبعها، و بدلا عن كل ذلك توضع لها الفهارس، و يترجم للمجهولين من رجالها و تخرج إخراجا جديدا يليق بما فيها من علم كثير و أدب جم.

هذا و من أراد أن يعرف ما لم نفضله، أو نتحدث عنه، مما يتعلق بأسره الهمداني، و حياته في مكه و من لقي فيها من العلماء و من أخذ عنه من المشايخ، و الهمداني الجغرافي، و النسابه و الأثرى، و اللغوي، و أسماء مؤلفاته فليراجع مقدمه الأستاذ حمد الجاسر لكتاب صفه جزيره العرب، و مقدمه محب الدين الخطيب للكتاب العاشر من "الإكليل" و بكل إخلاص، و لوجه العلم أحذر من الاعتماد على معظم تعليقات و هوامش محمد بن علي الأكوخ التي أثقل بها ما تولى نشره من أجزاء الإكليل و كتاب "شرح الدماغه" فإنه ممن يلقون الكلام على عواهنه، و يدفعهم التعصب إلى الإغراق، و لا ننكر حبه للهمداني لكي يكفر به سيئات تنكيل جده "الحوالي" بلسان اليمن، و الحب يعمى و يصم و من الحب ما قتل!.

مختارات من شعر الهمداني

للهمداني ديوان شعر في سته أجزاء نقل ذلك السيوطي عن المؤرخ الخزرجي، و قال القفطي: "و لما دخل الحسين بن خالويه الهمداني النحوي إلى اليمن" توفي ابن خالويه سنة (٣٧٠هـ)، و أقام بها في ذمار جمع ديون شعره و عربيه و أعربه و هذا الديوان بهذا الشرح و هذا الاعراب موجود عند أهل اليمن و هم به بخلاء". و لو وجد ديوان الهمداني سواء ما ذكره "الخزرجي" أو بشرح و إعراب "ابن خالويه" لعرفنا عن حياه ذلك العلم الشامخ ما حاول "الغلاه" أو "المتحاملون"، و "العنصريون" أو "المتعصبون" طمسه و تحريفه من مؤلفات الهمداني و الأحداث التي مارسها و ما ساهم به في حركات عصره. و قد أوردنا أبياتا من قصيدته "الدماغه" التي هي في مخطوطتنا ستمائه و سبعة و أربعون بيتا و التي مطلعها:

ألا يا دار لو لا تنطقينا فانا سائلوك، فخبيرنا

و قد سجل المؤرخ علي بن الحسن الخزرجي في كتابه "طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان الزمن" نقلا عن المؤرخ الشاعر

محمد بن الحسن الكلاعي (ت ٤٠٤هـ) أبياتا مما دار بين الهمداني و شعراء صعده من ملاحاه و مشاجره.

قال: و كان بها - أي بصعده - عدّه من الشعراء المنتسبين إلى عدنان منهم أبو العساف الحسين بن علي بن الحسن بن القاسم الرسي، و أبو أيوب بن أبي الأسد السلمي، و أيوب بن محمد بن محمد اليرسمى، و كان ينسب إلى الفرس فبلغ الحسن بن أحمد الهمداني أثناء إقامته في صعده أن هؤلاء يتعصبون على قبائل اليمن و يتناولون أعراضهم بالأذى فقال لأبي العساف:

أبا العساف غرك فضل قومي و إنك من رؤوس الهاشمينا

و إنك لا تخاف و لا تجارى و لا تلقى بما قدمت هونا...

إليك، إليك عرضك عن شداتي لكي لا أطبع الحسب المصونا

و أقسم إن رملت إليك بيتا لتغتمز قناتك، أو تلينا

أما الشاعر "السلمي" فقد أرسل إليه الهمداني أبياتا منها:

ألا أصحابوا بني عدنان من سكراتكم و إلا علمتم من أجن و أسكرا

بني أختنا لا تقطعوا ثدى أمكم فشر ثدى القوم ما كان أبترا

و أما أيوب بن محمد اليرسمى و هو فارسي النسب فقد رد عليه بقوله:

أجبت نزارا على ذمها بدم يسد سمام النفس

فلم يملك القوم رجح الجواب إلينا و ما بهم من خرس

مخافه نكس إلى دائهم و شر السقام سقام نكس

و أضحى شياطين من فارس تهمهم حولي كمثل البسس

فكم من ذباب هوى ميتا بنهم الهزبر إذا ما عطس

و لم أك معتمدا فارسا بفخر يجد لها ما درس

و قد ساله سائل من أبوك فقال من اللؤم: خالى الفرس

و من مختار شعره قوله في "اليمن":

أرض تخيرها سام و أوطنها، و أس غمدان فيها بعد ما احتفرا

أم العيون فلا عين تقدمها و لا علا حجر من قبلها حجرا...

لا القيظ يكمل فيها فصل ساعته و لا الشتاء يمسيها إذا قصرا!

و قال فى "صنعاء" و قصرها "غمدان":

ما زال سام يرود الأرض مطلباً للطيب خير بقاع الأرض بينها

حتى تبوأ "غمدانا" و شيدها عشرين سقفا يناغى النجم عاليها

فان تكن جنه الفردوس عاليه فوق السماء فغمدان يحاذيها

و إن تكن فوق وجه الأرض قد خلقت فذاك بالقرب منها أو يصالها

و له فى رثاء سلم بن صعصعه:

ص: ١٢١

دعاه دعا من رأس "تلقم" ناعيا: إلا رحم الرحمن سلم بن صعصعا!

و جاوبه من رأس "ناعط" هاتف فرن له الطودان صوتا و رجعا

و له:

عمرتم بمهدى على الأمن سرقة و بيتهم همدان، و ابن حزام

ثلاثه أبطال تريك و جوههم إذ أسفرت ما تحت كل ظلام!

و له يمدح المسلم بن عباد بن عبد الله الخولاني الأكيلى:

إلى امرئ نصبت قحطان رايتها بالكف منه و رأس العز منكوس،

فقام فيها مقاما لا يقوم به عمرو بن هند، و لا هند و قابوس

مكلم بخماشات الحروب له، كأنه زلم بالعجم مضروس

مبرا ليس فيه للعيوب إذا ما عيب عيب، و لا فى العرض تدنيس

ينمى به فوق "خولان" و يرفعه عليهم حسب فى الدهر قدموس

و كل ساع إذا يسعى لهتمته فقد يساعده فى سعيه البوس

و لم يزل فى "أكيل" من أبوته نافي المذله عن خولان عتريس

حجر، و حجر، و عمرو، كلهم رأسوا حبي قضاعه ما فى القوم مرموس

تلقاك منهم و جوه إن نزلت بهم مثل الأهله ما فيهن تعبيس

سجيه لا يزال العسر بنبتها و الطبع قبل اكتساب العقل ماسوس

يوصى أكابره من أباغرههم بسوره المجده، أن المجده محروس

حماهم، و حماه عند دعوته من "مغرق" صنوه و الفتية الشوس

و كل تلعاء تعلقو كف ملجمها و مخطف، خطوه دقق و تكديس

مشرف الهاد يرتاح الندى له فبالأكف له مسح و تحسيس

و له يستغيث من السجن يزيد بن أبي العباس:

يا زيد زيد الخير يا ابن محمد ما كنت لاسمك إذ عرفت بناسي

بل كنت أول من هتفت به إلى إحياء نفسى ساعه الإبلاس

فابدر إلى نقذ الغريق فإنه أ لا تحث يعوم عوم الغاسي

و ليلحقتى منك بعده مالك في جاره المزني، أو جساس

و اطلب بطائلتى طلاب مهلهل، و زهير عبس ثاره في شاس

و قال من مرثيه طويله في زيد هذا:

لا رمت يعرب بسهم شديد بعد زيد أخى الفعال الحميد

خير "خولان" بل "قضاعه"، بل "حمير" بل "قحطن" الشريف بن "هود"

فانعياه بكل ملك عظيم يرحم الله خير ميت و مودى

عقمت بعد هلكه رحم الأرض فليست لمثله بولود

من أقوال العلماء فيه

إشاره

يقول "ابن فهد" في الدر الكمين! "لم يولد في اليمن مثله علما و فهما و لسانا و شعرا، و روايه و ذكرا، و إحاطه بعلوم العرب من النحو و اللغه و الغريب و الشعر و الأيام و الأنساب و السير و الأخبار، و المناقب و المثالب، مع علوم العجم من النجوم و المساحه و الهندسه و الاستنباطات الفلسفيه و الأحكام الفلكيه".

و قال القفطى في "أنباء الرواه":

"الأديب النحوى الطيب المنجم الاخبارى اللغوى، نادره زمانه، و فاضل أوانه، الكبير القدر، الرفيع الذكر، صاحب الكتب الجليله، و المؤلفات الجميله، لو قال قائل: أنه لم يخرج اليمن مثله لم يزل، لأن المنجم من أهلها لا خطر له في الطب، و الطيب لا يدلّه في الفقه، و الفقيه لا يدلّه في علم العرييه، و أيام العرب و أنسابها و أشعارها و هو قد جمع هذه الأنواع.

و قال صاعد الأندلسى في كتاب "طبقات الأعمم" عن العرب: "و أما علم الفلسفه فلم يمنحهم الله منه شيئا، و لا هيا طباعهم للعنايه به، و لا أعلم أحدا من صميم العرب شهر به إلا أبا يوسف يعقوب بن إسحاق الكندى، و أبا محمد الحسن بن أحمد

الهمداني و خط المسند

هل كان يعرف الكتابه الحميريه، و خط المسند؟ أما القدماء فلا يشكون في ذلك " و له - كما قال الأستاذ حمد الجاسر - أهميه عظيمه عند علماء اللغات و المنقسين عن الآثار القديمه لذكره في كتبه الكتابات العتيقه بالخط المسند الحميري، و نقوش الأحجار كما يفعل علماء أوروبا الباحثون عن الآثار القديمه ". " و قراءه النصوص التي أوردها في "الإكليل" تدل على معرفته التامه ". (مقدمه صفه جزيره العرب).

و قد كان يقرأ الخط المسند قراءه عربيه فصيحه و لا تربكه المصطلحات من علامات التعريف و التنكير و التأنيث و التذكير و الأفراد و الجمع و هي حروف يلصقونها بالكلمات فيظن من لا خبره له و لا معرفه بقواعد خط المسند أن تلك العلامات تنطق، أو أن حذف بعض الحروف من بعض الكلمات يستلزم عدم نطقها، فيذهب بهم الجهل و الوهم إلى أن لغه اليمن قديما لم تكن عربيه فصيحه، و إنها تختلف اختلافا كبيرا عن لغه شمال الجزيره و نجد و الحجاز و ذلك ما وقع فيه بعض "المستشرقين" و جر الدكتور طه حسين إلى القول بان اللغه التي كان اليمنيون قبل الإسلام يتكلمون بها لم تكن العربيه، و قد ناقشت هذا الموضوع باسهاب في كتابي "قصه الأدب في اليمن"، و أثبت بما لا يقبل الشك أن لغه اليمنيين كانت هي العربيه التي نزل بها القرآن الكريم، و إن رسم الخط الذي يسمونه "المسند" هو الذي يسبب الإرباك لمن لا يدري تلك القواعد و إنهم كانوا يكتبون ما لا ينطقون من حروف، و يحذفون ما لا يهملون النطق به، كما نقرأ نحن "الم" ألف لام ميم، و نكتب "الرحمن" و ننطقها الرحمن " و نحو ذلك و قد نبه الهمداني نفسه إلى ذلك في أكثر من مكان من كتابه "الإكليل".

و يقول إغناطوس كراتشوفسكي، في كتابه "تاريخ الأدب الجغرافي العربي": " و مما يدعو إلى الدهشه حقا أن الهمداني استطاع فك رموز الكتابه العربيه القديمه في جنوب الجزيره " و للدكتور جواد علي رأى في الموضوع.

يقول الدكتور جواد علي (ص: ٩١):

طريقه قراءه الكتابات لاستنباط التواريخ منها، فقد سبقه غيره فى هذه القراءات، و كانوا مثله ييغون الوقوف على ما جاء فيها، و معرفه تواريخها.

و قد أشار (الهمدانى) نفسه إليهم و ذكرهم بأسمائهم، مثل (أحمد بن الأغر الشهابى من كنده) و (محمد ابن أحمد الأوسانى) و (مسلمه بن يوسف بن مسلمه الخيوانى) و غيرهم. فهم مثله يستحقون الثناء و التقدير أيضا، و هم بطريقتهم هذه فى جمع ماده التاريخ يكونون على شاكلة الآثاريين المحدثين فى إدراك أهميه دراسات الآثار و الكتابات بالنسبه إلى اكتشاف تواريخ العاديات، و هم بطريقتهم هذه يكونون قد فاقوا غيرهم من المؤرخين العرب فى الأمكنه الأخرى بهذه الطريقه، فقلما نجد مؤرخين فى الأماكن الأخرى لجئوا إلى دراسه الآثار و دراسه الكتابات و وصف الأمكنه الآثاريه لاستنباط التواريخ منها كما يفعل الآثاريون فى الزمن الحاضر.

و بعد أن أورد ثناء الهمدانى على شيخه و استاذه "أبى نصر الحنبسى"، و ذكر أن الأسماء اليمانيه القديمه كانت ثقلت على ألسنه الناس فى أيامه و قبلها و إن فى ذلك دلالة على حدوث تغير فى عقليه أهل اليمن بعد الميلاد و على حصول تقارب بين لهجتهم و بقيه لهجات العرب فى الشمال قال: (ص):

(٩٦): عن أبى نصر هذا:

أما علمه بالمساند و مدى وقوفه عليها، فانا اعتقد أن علمه بها لا يختلف عن علم غيره من أهل اليمن: وقوف على الحروف، و تمكن من قراءه الكلمات، و إحاطه عامه بالمسند. أما فهم النصوص و استنباط معانيها بوجه صحيح دقيق، فأرى أنه لم يكن ذا قدره فى ذلك، و هو عندى فى هذا الباب مثل غيره من قراء الخط الحميرى. و دليل على ذلك أن القراءات المنسوبه إليهم هى قراءات لا- يمكن أن تكون قراءات لنصوص جاهليه، و إن تضمنت بعض أسماء يمانيه قديمه، لسبب بسيط، هو أن أساليبها و معانيها و نسقها لا تتفق أبدا مع الأساليب و المعانى المألوفه فى الكتابات الجاهليه، فقراءات أبى نصر و أمثاله قراءات بعيده جدا عن النصوص المعهوده، هى قراءات إسلاميه فيها زهد و تصوف و توحيد و حض على الابتعاد عن الدنيا. أما نصوص المسند التى عثر عليها حتى الآن، فإنها نصوص و ثنيه لا تعرف هذه المعانى، و أسلوبها فى الكتابه لا يتفق مع ذلك الأسلوب. و هى فى أمور أخرى شخصيه أو حكوميه لا صلها لها بمثل هذه الآراء و المعتقدات.

ثم قال (ص: ٩٧-٩٨):

و لكننى لا أريد هنا أن أكتفى بتقديم التقدير إلى الهمدانى و إلى الباقين من علماء اليمن الذين سبقوه أو جاءوا من بعده و الثناء على طريقتهم المذكوره، بل لا بد لى من التحدث عن درجه علم هؤلاء العلماء بالمسند، و بقراءه الكتابات و بعلمهم بمعانيها، أى علمهم بقواعد و أصول اللهجات التى كتبت بها مثل اللهجه المعينيه أو السبئيه أو القتبانيه أو الحضرميه و غيرها من بقيه اللهجات، و ذلك ليكون كلامنا كلاما علميا صادرا عن درس و نقد و فهم بعلم أولئك العلماء بتاريخ اليمن القديم.

و لن يكون مثل هذا الحكم ممكنا إلا بالرجوع إلى مؤلفات (الهمدانى) و غيره من علماء اليمن لدراستها دراسه نقد عميقه. و مقابله ما ورد فيها من قراءات للنصوص مع قراءات العلماء المحدثين المتخصصين بالعربيات الجنوبيه لتلك النصوص إن كانت

أصولها أو صورها موجوده محفوظه، و عندئذ يمكن الحكم حكما علميا سليما على مقدار علم أولئك العلماء بلغات اليمن القديمه و بتاريخها المندرس. و لكننا و يا للأسف لا نملك كل أجزاء كتاب (الإكليل) و لا كل مؤلفات الهمداني أو غيره من علماء اليمن، فالجزء السابع من الإكليل مثلا و هو جزء خصص بأمثال حمير و بحكمها باللسان الحميري و بحروف المسند، هو جزء ما زال مختفيا، فلم نر وجهه، و هو كما يظهر من وصف محتوياته مهم بالنسبه إلينا، و قد يكون دليلا و مرشدا لنا فى إصدار حكم على علم الهمداني بلغه حمير. و لكن ما ذا نصنع و نفعّل، و قد حررنا رؤيه هذا الجزء، و ليس فى مقدورنا نشره و بعثه، فهل نسكت و نجلس انتظارا للمستقبل، عسى أن يبعث إلى عالم الوجود؟ هذا، و قد طبع الجزء الثامن من الإكليل و كذلك الجزء العاشر منه، فاستفاد منهما المولعون بتاريخ اليمن القديم و بتاريخ بقيه أجزاء العرييه الجنوبيه، و طبع الجزء الأول من هذا الكتاب حديثا بروايه (محمد بن نشوان بن سعيد الحميري)، و قد ذكر أنه اختصر شيئا فى مواضع الاختلاف و فى النسب مما ليس له شان فى نظره دون أن يؤثر على الكتاب.

و طبع الجزء الثانى من الإكليل أيضا، أخرجه ناشر الجزء الأول:

"محمد بن على الأكوخ الحوالى" من عهد غير بعيد، و ليس لنا الآن إلا أن نرجو نشر الأجزاء الباقية من هذا الكتاب، ليكون فى وسعنا الحكم على ما جاء فيه من أخبار عن أهل اليمن الجاهليين.

إن أقصى ما نستطيع فى الزمن الحاضر فعله و عمله لتكوين رأى تقريبي تخمينى من علم الهمداني و علم بقيه علماء اليمن بلهجات أهل اليمن القديمه و بتاريخهم القديم، هو أن نرجع إلى المتيسر المطبوع من مؤلفاتهم، لدراسته دراسه نقد علميه عميقه، لاستخراج هذا الرأى منها. و هو و إن كان أقل من الضائع بكثير، و لكن ما لا يدرك كله لا يترك جله، و الموجود خير من المعدوم، و فى استطاعته تقديم هذا الرأى التخمينى التقريبي.

فلنبحث إذن فى هذا المطبوع لنرى ما جاء فيه.

أما بخصوص الخط المسند، فقد ذكر "الهمداني" أن جماعه من العلماء فى أيامه كانت تقرأ المسند، غير أن أولئك العلماء كانوا يختلفون فيما بينهم فى القراءه، و كان سبب ذلك - على رأيه - اختلاف صور الحروف، (لأنه ربما كان للحرف أربع صور و خمس، و يكون الذى يقرأ لا يعرف إلا صورته واحده)، و قد عرف (الهمداني) أن كتاب المسند كانوا يفصلون بين كل كلمه و كلمه فى السطر بخط قائم، و ذكر أنهم كانوا يقرءون كل سطر بخط.

غير أنه لم يذكر عدد الحروف. و صرح أنهم "كانوا يطرحون الألف إذا كانت بوسط الحرف، مثل ألف همدان و ألف رثام، فيكتبون رثم و همدن، و يثبتون ضمه آخر الحرف و واو عليهمو". و هى ملاحظات تدل على إحاطه عامه بالمسند، سوى ما ذكره من أنه ربما كان للحرف أربع صور و خمس، و يظهر أنه و غيره قد توصلوا إلى هذا الرأى من اختلاف أيدى الكتاب فى رسم الحروف و نقرها على الحجر، كالذى يحدث عندنا من تباين الخطوط باختلاف خطوط كتبه، فادى تباين الخط هذا إلى اختلافهم فى القراءه، و إلى ذهابهم إلى هذا الرأى، أو أنهم اختلفوا فيها من جراء تشابه بعض الحروف مثل حرف الهاء و الحاء، فان هذين الحرفين متشابهان فى الشكل، فكلاهما على هيئه كاس يرتكز على رجل، و الفرق بينهما، هو فى وجود خط عمودى فى وسط الكأس هو امتداد لرجل الكأس، و ذلك فى حرف (الحاء)، أما الهاء، فلا يوجد فيه هذا الخط الذى يقسم باطن الكأس

إلى نصفين. و يشبه

ص: ١٢٣

حرف (الحاء) حرف (الهاء) في رسم رأس الكأس، ولكنه يختلف عنه في القاعده، إذ يرتكز هذا الرأس على قاعده ليست خطا مستقيما، بل على قاعده تشبه كرسى الجلوس ذى الظهر. ومثل التشابه بين حرفي الصاد و السين، فكلاهما على هيئه كاس وضعت وضعا مقلوبا، بحيث صارت القاعده التي ترتكز الكأس عليها إلى أعلى. أما الرأس، وهو باطن الكأس، فقد وضع في اتجاه الأرض. ولكن قاعده (الصاد) هي على هيئه رقم خمسة في عربيتنا، أى على هيئه دائره أو كره بينما قاعده حرف السين هي خط مستقيم، أما باطن كاس حرف (الصاد)، ففيه خط يقسمه إلى قسمين وذلك في الغالب، وقد يهمل هذا الخط المقسم، أما حرف السين، فلا يوجد فيه هذا الخط. "ص: ٩٩".

ثم قال في ص: ١٠٠ ما يلي:

و مما يؤسف عليه كثيرا إننا لا نملك النسخ الأصلية التي كتبها أولئك العلماء بخط أيديهم، حتى نرى رسمهم لحروف المسند. فان الصور المرسومة في المخطوطات الموجوده و في النسخ المطبوعه، ليست من خط المؤلفين، بل من خط النساخ، فلا استبعد وقوع المسخ في صور حروف المسند في أثناء النقل، ولا سيما إذا تعددت أيدي النساخ بنسخ أحدهم عن ناسخ آخر. وهكذا، فليس للنساخ علم بالمسند، ولذا لا استبعد وقوعهم في الخطأ. و من هنا فان من غير الممكن إصدار رأى في مقدار إتقان الهمداني و بقيه العلماء لرسم حروف الخط المسند.

وقد أشار "الدكتور كرنكو" إلى هذه الحقيقه، إذ ذكر أن صور الحروف الحميريه في "الإكليل" تختلف باختلاف النسخ اختلافًا كبيرًا، فقد صور كل ناسخ تلك الحروف على رغبته و على قدرته على محاكاة النقوش، و من هنا تباينت و تعددت، فاضاعت علينا الصور الأصلية التي رسمها الهمداني لتلك الحروف.

و تابع كلامه قائلا (ص ١٠١-١٠٢):

و خلاصه ما توصلت إليه من دراستي الاجماليه للاجزاء المطبوعه من مؤلفات "الهمداني" أن الهمداني، و إن كان يحسن قراءه حروف المسند، و يعرف القواعد المتعلقة بالخط الحميرى، إلا أنه لم يكن ملما بالسنة المسند.

و لم يتمكن من ترجمه النصوص التي نقلها ترجمه صحيحه، و لم يعرف على ما يتبين منها كذلك ما كان قد ورد فيها و ما قصد منها، فجعل (تألبا)، و هو اسم آله من آل اليمن المشهوره، و معبود قبيله (همدان) الرئيس، اسم رجل من رجال الأسره المالكة لهمدان. و جعل (رياما)، و هو اسم مكان من الأمكنه المشهوره، و كان به معبد معروف للآله (تالب)، ابنا من أبناء (نهفان)، و من أبناء (تالب). و لم يبخل الهمداني عليه، فوهب له أما قال لها: (ترعه بنت بازل بن شرحيل بن سار بن أبى شرح يحضب بن الصوار).

و يظهر على كل حال أن قراء المسند (و قد قلت إنهم يحسنون في أيام الهمداني قراءه حروف المسند) لم يكونوا على اطلاع بقواعد الحميريه، و لا- باللسان الحميرى، أو الألسنه العربيه الجنوبيه الأخرى. خذ مثلا- على ذلك: (بن) و هي حرف جر عند العرب الجنوبيين، و تعنى (من) و (عن) بلغتنا قد أوقعتهم هذه الكلمه في مشكلات خطيره. فقد تصور القوم عند قراءتهم لها، أنها تعنى أبدا (ابنا) على نحو ما يفهم من هذه الكلمه في لغتنا. و فسروها بهذا التفسير. ففسروا (بن بتع) أو (بن همدان) و ما شابه

ذلك (ابن يتع) أو (ابن همدان)، و المقصود من الجملتين هو (من يتع) و (من همدان)، و بذلك تغير المعنى تماما، و من هنا وقع القوم - على ما أعتقد - فى أغلاط حين حسبوا أسماء القبائل و أسماء الأماكن الواردة قبل (بن) و بعده، أسماء أشخاص و أعيان، و أدخلوها فى مشجرات الأنساب. فاقصر علمهم على الأبيديه و جهلهم باللغه، أوقعهم فى مشكلات كثيره، و سبب ظهور هذا الخلط.

و جاء الهمدانى بنصوص آخر ذكر أنها كانت مكتوبه بالحميريه، مثل النص الذى زعم أن مسلمه بن يوسف بن مسلمه الخيوانى قرأه على حجر فى مسجد خيوان، و هذا نصه: (شرح ما، و أخوه ما، و بنوه ما، يقول شهر ان بنو هجر، هم معته بدار القلعه). و أمثال ذلك من النصوص. و لا أعتقد أنك ستقول: إن هذا نص حميرى، و لا يسع امرأ له إلمام بالحميريه أن يوافق على وجود مثل هذه العائله عائله ما، أو يسلم بان هذه قراءه صحيحه لنص حميرى. بل لا بد من وجود أخطاء فى القراءه و فى التفسير.

و لا- أريد أن أتجاوز على رجل مشى إلى ربه، فلعله كان يحسن قراءه بعض الحروف و الكلمات، و يتصور أنه أحسن قراءه النص كله و فهمه، فجاء بهذه العبارة، و على كل، إن كل الذى جاء فى النصوص التى وقفت عليها فى كتب الهمدانى لا يمكن أن يعطى غير هذا الانطباع، و لعلنا سنغير رأينا فى المستقبل إذا تهيأت لنا نصوص من شأنها أن تغيره.

ثم يقول ناقدا (ص ١٠٣-١٠٤-١٠٥):

و ياتى (الهمدانى) أحيانا بأبيات شعر زاعما أنها من المسند. ففى أثناء كلامه مثلا على قصر (شحرار) قال: و فى بعض مساند هذا البنيان بحرف المسند:

شحرار قصر العلا المنيف أسسه تبع ينوف

يسكنه القيل ذى معاهر تخر قدامه الأنوف

أما نحن، فلم نعر حتى اليوم على أية كتابه بالمسند، ورد فيها شعر، لا- بيت واحد و لا- أكثر من بيت. و أما متن البيتين المذكورين، فليس حميريا و لا- سبثيا و لا معينيا و ليس هو بآيه لهجه يمانيه أخرى قديمه، و إنما هو بعربيتنا هذه، أى بالعربيه التى نزل بها القرآن الكريم، نظمه من نظمه من المحدثين بهذه اللغه البعيده عن لغات أهل اليمن.

أما الباب الذى عقده فى الجزء الثامن بعنوان: (باب القبوريات)، فقد استمد مادته من روايات و أخبار (هشام بن محمد بن السائب الكلبي)، و (ابن لهيعه) و (موهبة بن الدعام) من همدان و (أبى نصر) و (وهب بن منبه) و (كعب الأحبار) و (عبد الله بن سلام). و قد أورد فيه نصوصا زعم أنها ترجمات لنصوص المسند، عثر عليها فى القبور عند الأحداث.

و أورد بعضها شعرا، زعم أنه مما وجد فى تلك القبور، كالذى ذكره عند حديثه عن قبر (مرشد بن شداد)، و عن قبرين جاهليين عثر عليها ب (الجند) و قد نص على أن الشعر المذكور كان مكتوبا بالمسند و قد دونه.

و هو وكل الأشعار الأخرى و منها المراثى منظوم بعربيه القرآن. و أما النثر، فإنه بهذه العربيه أيضا، و هو فى الزهد و المواعظه و الندم و الحث على ترك الدنيا، فكان أصحاب القبور، من الوعاظ المتصوفين الزهاد، ماتوا ليعظوا

الأحياء من خلال القبور، و لم يكونوا من الجاهليين من عبده الأصنام و الأوثان.

و هو قسم بارد سخيف، يدل على ضعف أحلام رواته، و على ضعف ملكه النقد عند (الهمداني) و على نزوله إلى مستوى القصاص و السمار و الأخباريين الذين يروون اخبارا و يثبتونها و إن كانت مخالفه للعقل. إذ أنه لا يختلف عنهم هنا باى شىء كان.

و مجمل رأيي في (الهمداني) أنه قد أفادنا و لا- شك بوصفه للعاديات التي رآها بنصه على ذكر أسمائها، و أفادنا أيضا في إيراده ألفاظا يمانية كانت مستعمله في أيامه استعمال الجاهليين لها: و قد وردت في نصوص المسند، فترجمها علماء العرييات الجنوبيه ترجمه غير صحيحه، فمن الممكن تصحيحها الآن على ضوء استعمالها في مؤلفات الهمداني و في مؤلفات غيره من علماء اليمن. أما من حيث علمه بتاريخ اليمن القديم، فإنه و أن عرف بعض الأسماء إلا أنه خلط فيها في الغالب، فجعل اسم الرجل الواحد اسمين، و صير الأماكن آباء و أجدادا، و جعل أسماء القبائل أسماء رجال، ثم هو لا يختلف عن غيره في جهله بتاريخ اليمن القديم، فملا الفراغ بإيراده الأساطير و الخرافات و المبالغات. و أما علمه بالمسند فقد ذكرت أنه ربما قرأ الكلمات، و لكنه لم يكن يفقه المعاني، و لم يكن ملما بقواعد اللهجات اليمنية القديمه، و قد حاولت العثور على ترجمه واحده تشير إلى أنها ترجمه صحيحه لنص من نصوص المسند، فلم أتمكن من ذلك و با [يا] للأسف.

و يختتم حديثه عن الهمداني قائلا:

" و علم (الهمداني) بجغرافيه اليمن و العرييه الجنوبيه، يفوق كثيرا علمه بتاريخ هذه الأرض القديم، فقد خبر أكثرها بنفسه و سافر فيها، فاكسب علمه بالتجربه. أما علمه بجغرافيه الأقسام الشماليه من جزيره العرب، فإنه دون هذا العلم".

و هذا قبل أن يطلع على ملاحظات الأستاذ محمد عبد القادر بالمطرف عن معارف الهمداني الجغرافيه و يعرف أنها بنيت على السماع، و استندت إلى ما يدور على ألسنه الناس و ليس إلى المشاهده و العيان، و لم يخبر أكثرها بنفسه، و لا سافر فيها فاكسب علمه بالتجربه.

أما أنا فلا يسعني إلا أن أتذكر ما سبق أن قلته قبل ربع قرن في كتابي قصه الأدب في اليمن و أنا أتحدث عن الهمداني:

" و لكنه على كل أحواله، منصفاً كان أو متحيزاً، مخلصاً أم مغرضاً كان يمثل العبقرية و الكمال، أحب بلده و قومه، و تعمق في دراسته تاريخ وطنه و أهله، و ورث علومهم و آدابهم و أعطى من نفسه كثيرا باحثا متجولا و كاتباً ساهراً، و مجادلاً- صائلاً، و مناوياً و ثائراً، و لا تزال كتبه مصدراً كريماً للباحثين و العلماء، و ينبوعاً ثراً يستقى منه رواد المعرفة و المؤرخون و النقاد".

و كان بحق و جداره "لسان اليمن".

كتابه الإكليل

من أعظم الكتب العربية القديمه، و هو في أنساب حمير و أيام ملوكها، و هو في الحقيقه عنوان لعشره أجزاء في الكلام على ماضى اليمن من جميع الوجوه مفصله كالاتى: الأول: مختصر من المبتدأ و أصول الأنساب.

الثانى: فى نسب ولد الهميسع بن حمير.

الثالث: فى فضائل قحطان.

الرابع: فى السيره القديمه إلى عهد أسعد تبع أبى كرب.

الخامس: فى السيره الوسطى من أول أيام أسعد تبع إلى ذى نواس.

السادس: فى السيره الأخيره إلى ظهور الإسلام.

السابع: فى التنبيه على الأخبار الباطله و الحكايات المستحيله.

الثامن: فى ذكر ملوك حمير و محافظها و مدنها و دفاتها، و هنا حفظ من شعر علقمه بن ذى جدن.

التاسع: فى أمثال حمير و حكمها و اللسان الحميرى و حروف المسند.

العاشر: فى معارك همدان و أنسابها و عيون أخبارها.

و المطبوع من هذه الأجزاء أربعه فقط، هى الأول و الثانى و الثامن و العاشر، و تعتبر الأجزاء الأخرى بحكم المفقوده.

على أن نسخه كامله من الإكليل باجزائه العشره كانت موجوده فى مكتبه الامام يحيى حميد الدين، و الله أعلم أين انتهى أمرها بعد اضطرابات اليمن و حروبه الأخيره.

السيد حسن الامامى

ولد بطهران و كان من عائله إمام الجمعه المعروفه حيث كان آباؤه من علماء طهران و تقلدوا منصب إمام جمعه العاصمه منذ قرن و أصلهم من مدينه خوى بآذربيجان. ولد المترجم له بطهران و كان جده زوج ابنه الشاه ناصر الدين القاجارى ملك إيران. درس الحقوق فى طهران و باريس و تزوج فرنسيه ثم دخل سلك القضاء و صار أستاذًا فى كليه الحقوق و صار إماما لجمعه العاصمه بعد وفاه أبيه و دخل معترك السياسه و صار نائبا فى البرلمان و كان رئيسا له مده من الزمن و كان يعد من أعوان الشاه و من المؤيدين للنظام الإمبراطورى و بعد الثوره الإسلاميه هرب إلى خارج إيران و توفى فى سويسرا عام ١٣٩٩ هـ.

له كتاب قيم فى عشر مجلدات و هو شرح للقانون المدنى الايرانى و يعد مرجعا فى بابيه لا يستغنى عنه. (١)

حسن على الحاجى

توفى بعد سنه ١٢٤١.

هو من سكان لكهنو بالهند.

كان فاضلا محدثا فقيها اخبارى المسلك. و قبل سنه ١٢٤١ سافر إلى الحجاز و العراق و إيران للحج و الزياره فلقى هناك العلماء. كان شاعرا باللغتين الفارسيه و الأردويه متخلصا باسم (الجعفرى).

من مالفاته [مؤلفاته]: تحفه العوام فى الفقه و أعمال الشهور و الزيارات و الأخلاق و العقائد. و لا يخلو بيت فى الهند و الباكستان منه. و له كتاب أحكام الأئمه و كتاب التحفه الجعفرية.

الدكتور السيد حسن السادات الناصرى

ولد سنه ١٣٤٦ فى طهران و توفى سنه ١٤١٠.

كانت ولادته من أب معلم و أم معلمه فأصبح هو أيضا حاذقا، محبا

ص: ١٢٥

١- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

للعلم و المعرفة. و قد حاز شهادات الليسانس و الماجستير و الدكتوراه من جامعه طهران فى الأدب. و كان عنوان رساله الدكتوراه (الترابط بين أفكار حافظ و مولانا) باشراف الأستاذ بديع الزمان فزوزانفر. و كان من أساتذته: أحمد بهمنيار و جلال همایی، و الدكتور محمد معين.

و خلال عمله فى التدريس فى مدينه قم كان يتملذ فى حلقاتها العلميه مما أكسبه مزيدا من العلم فى العلوم الإسلاميه و قد عين بعد ذلك أستاذا فى جامعه طهران بكلية الآداب [الأداب] و العلوم الإنسانيه.

كان شاعرا، ناثرا، أدبيا كبيرا. و كان بيته ملقى للعلماء و الشعراء. و فى يوم من أيام سنه ١٤١٠ عين رئيسا لهيئه علميه تسافر إلى أفغانستان للاطلاع على المراكز الثقافيه و الأدبيه هناك، و فى احتفال أقيم فى كابل لتكريمه فى المراكز الثقافى الايرانى و بحضور وزير الثقافه الأفغانى توفى فجاء بنوبه قلبيه أمام الحاضرين، و قد نقلت جثته إلى طهران و دفنت فى مزار ابن بابويه.

ترك من المؤلفات: ١ - البديع و القافيه، ٢ - كتب مدرسيه فى قواعد اللغه الفارسيه للسنيين المتوسطه ٣ - تحقيق و تحشيه كتاب (آتشكده آذر) ٤ - تحقيق ديوان الواعظ القزوينى، و ديوان على أصغر حكمت، و ديوان لطف على بيگك آذر بيگك دلى و ديوان صائب تبريزى، و قصص الخاقانى.

و له أيضا كتاب: هزار سال تفسير فارسى.

الشيخ حسن بن الشيخ عبد الله بن الشيخ على بن أحمد آل عيثن الأحسائى القارى.

(١) ولد فى قريه (القاره) من قرى الأحساء عام ١٢٧٦ و توفى سنه ١٣٤٨ و بها نشأ و ترعرع، فدخل الكتاتيب و قرأ القرآن، و تعلم مبادئ القراءه و الكتابه.

و أخذ هو و أخوه الشيخ على - و كان يكبره سنا - على يد ابن عمهما الشيخ على ابن أحمد آل عيثن، فقرأ عنده مبادئ العلوم من نحو و صرف و غيرهما، ثم بعد عوده أخيهما الأ-كبر الشيخ محمد - و كان من أهل الفضل - حضرا عنده فى الفقه و الأصول.

و عرف المترجم بعد ذلك بفضيلته العلميه و الأدبيه، و كان يزاول الخطابه الحسينيه.

كما كان شاعرا نظم الشعر فى أكثر من مناسبه، إلا أن أغلب شعره قد فقد و لم يبق منه إلا النزر اليسير.

فمن شعره قوله يرثى الحسين (ع):

تذكرت المعاهد و الربوعا ففارقت المسره و الهجوعا

منازل أفقرت من ساكنيها فما ترجو لساكنها رجوعا

وقفت بها فما وقفت دموعى أسائلها كان بها سميعا

و ما ذا تنكر العرصات منى و قد رويت ساحتها دموعا

سقى الله الديار ملث وبل سحابا مغدقا خضلا هموعا

و ما برحت بروق المزن تهيمى إلى الأطلال بارقه لموعا

و ركب من سراه بنى على عن الأوطان قد رحلوا جميعا

يؤمهم فتى العليا حسين قد اتخذ الحسام له ضجيجا

بدور أشرقت و النقع ليل و قد جعلوا القلوب لهم دروعا

تخالهم على الجرد العوادى كواكب حلت الفلك الرفيعا

متى انقضت لرجم بنى زياد تكاد تطير أنفسهم نزوعا

و مما أكل الدنيا و أجرى مدامعها دما قان نجيعا

تسامهم سجال الحرب حتى تهاووا فى ثرى الرمضا وقوعا

و رب مروعه برزت و لما تجد غير السياط حمى منيعا

و تهتف بالسراه بنى نزار فما وجدت لدعوتها سميعا

عناها ما تعانى من أيامى و أيتام كسرب قطا أريعا

و قال يمدح السيد ناصر الأحسائى عند عودته من العراق إلى الأحساء من قصيده:

أبا حسن يهنيك فى جنه الخلد قدوم ابنك العلامة العلم الفرد

به (هجر) خفت بأسعد طائر من اللطف و التأيد و الطالع السعد

و بات يباهى النيران ترابها و تختال فى ثوب من الشكر و الحمد

لكم فى العلى بيت رفيع عماده إلى الحشر باق لم يزل كعبه الوفد

إذا أمه السارى و مطلبه القرى بأنواره لا بالكواكب يستهدى

و قال من قصيده يرثى بها السيد ناصر الأحسائى الممدوح بالقصيده السابقه:

عقدت عليك المكرمات لواءها و كستك من حلل الكمال رداءها

يا سيدا مذ غاب عن أبصارنا قذيت و مذ شهدته كان دواءها

إن القلوب مريضه فالطف بها و ابعث لها تيک القلوب شفاءها

كادت تذوب من الفراق صبابه و لها عليك فما تبارح داءها

هذى يتامى آل بيت محمد تشكو إليك من الزمان بلاءها

مرفوعه الأیدی تكرر فى الدعاء لك بالبقاء لأن فيه بقاءها

لله من قمر بدا فى وجهه نور النبوه قد محا ظلماءها

إن المعالى تصطفى أربابها دون الأنام و تنتقى أبناءها

يا يوم طلعه نور بهجه هاشم نشرت عليك النيرات ضياءها

فيك الملائك هللت و تهللت ديم السحاب و أمطرت أنواءها

هذى البلاد و أهلها فى موكب ملا الفجاج مطبقا أرجاءها

كادت لرؤيته تغيب عقولها و تميط ربات الخدور حياءها

أهلا بطلعه سيد من ساده تمشى الملائك و الملوک و راءها

عم البلاد من الجهاله غاسق حلكت غياهبه فكان جلاءها

و لكم على التقوى بيوت أسست فعلت إلى أن جاوزت جوزاءها

أذن الإله بان ينوه باسمنه فيها فعلى فى البيوت بناءها

عرفت بركن المستجار و سميت أمن النزيل إذا يحل فناءها

(٢)

الحاج الميرزا حسن عظيم آبادى

توفى سنه ١٢٦٠ فى الله آباد بالهند.

كان فقيها فاضلا زاهدا. درس أولا في الهند، ثم سافر إلى كربلاء فأقام فيها و ذلك على عهد الشيخ أحمد الأحسائي و السيد
كاظم الرشتي فدرس

ص: ١٢٦

-
- ١- آل عيتان [عيتان] من الأسر المعروفة في الإحساء اشتهر كثير من أفرادها بالفقه و الأدب
 - ٢- الشيخ جعفر الهلالي.

عليهما، ثم عاد سنة ١٢٥٢ إلى لكهنو. و يقول صاحب كتاب (مطلع أنوار) أنه نتيجة لبعض الأحداث في لكهنو سافر إلى الله آباد و استقر فيها حتى وفاته.

و لم يشر صاحب (المطلع) إلى حقيقه تلك الأحداث، و ربما كانت منبعثه عن تأثره بآراء الأحسائي و الرشتي.

له من المؤلفات: رساله في صلاه الجمعه و رساله في الصوم.

السيد حسن المعروف ب باخدا ابن السيد علي حسين

ولد سنة ١٢٥٦ في الهند و توفي سنة ١٣١٦.

تعتبر بلده (كهجوه) التابعه لقضاء (سارن) في محافظه (بهار) من قواعد الشيعة العريقه في الهند، و فيها الكثير من الأسر المنحدره من السلالة النبويه، و الكثير من العلماء، كما أن فيها الكثير من الأسر الاقطاعيه.

و من أكبر الأسر القاطنه في (مرشدآباد) و (عظيم آباد) من انتشروا منها إلى مختلف البلدان: مثل السند و لكهنو و غيرهما. و كان من كبار الاقطاعيين في (كهجوه) السيد علي حسين الذي ولد له ابنه (حسن)، ثم مات عنه يتيما فترى برعايه والدته و جده فنشأ نقياً ورعاً و لذلك عرف ب (باخدا)، أي (مع الله)، و واصل الدراسه، فذهب من أجل ذلك إلى (كان بور). ثم إلى لكهنو و كان من أبرز أساتذته فيها السيد أحمد علي و ممتاز العلماء و السيد حامد حسين. و في سنة ١٢٨٤ عاد إلى وطنه لمرض زوجته فتعطل عن الدراسه سنه و نصف السنه عاد بعدها إلى لكهنو حيث أتم دراسته و عاد إلى وطنه نهائياً. و في سنة ١٢٩٥ ذهب إلى الحج و سنة ١٢٧٥ سافر إلى العراق و إيران لزياره العتبات المقدسه. و في سنة ١٣٠٢ عاد إلى لكهنو.

و من آثاره تأسيس بعض المدارس و الحسينيات و المكتبات العامه، و إقامه مجالس تعزیه خاصه للنساء. و كان على غناه و مكانته الاجتماعيه يعيش عيش الزهد و الهدايه و الإرشاد.

الحسن بن علي الكلبى

(١) قال الدكتور موسى لقبال:

جزيره صقلية من المناطق التي آلت إلى الخلافة الفاطميه بمجرد فرار آخر الأمراء الأغالبه في رقاده.

و غداه دخول الداعي رقاده أقر عامل الجزيره عليا بن أبي الفوارس و أمره بالغزو في البر و البحر و خص جزيره صقلية في كتاب الأمان الذى منح لأهل إفريقيه باشاره هامه تضمنت الوعد بإصلاح شئونها و تحصينها و شحنها بالمجاهدين، لتستمر الحرب المقدسه، و الجهاد و حركه نشر الإسلام ضد مراكز نفوذ الروم في جنوب إيطاليا.

و عند ما استقر المهدي في رقاده، أرسل الحسن بن أحمد بن علي بن كليب، المعروف بابن خنزير، ليكون واليا عليها و كان في معيته أخوه علي و حاميه كتاميه كبيره، و قاضى الجزيره الجديد إسحاق بن أبي المنهال.

و بينما استقر الحسن منذ عاشر ذى الحجه ٢٩٧ هـ/يوليو ٩١٠ م فى مازر على الساحل الغربى من الجزيره، عين أخاه على مدينه جرجنت التى وقعت جنوبها. و بدون شك استقر قاضى الجزيره إلى جانب عاملها فى مازر.

أما الحاميه الكتاميه، فقد وزعت على المدينتين.

و يلاحظ أن دخول عناصر السلطه الجديده إلى الجزيره لم يقترن بأدنى مقاومه، لا من طرف السكان و لا من جهه بقايا الأغالبه و مواليهم و جنودهم. و هذا الوضع الهادئ استغله والى الجزيره فى التوسع ضد دمنش و غيرها.

و لهذه الاعترابات ظهرت مقاومه عنيفه لحكم بنى خنزير، و كان طابعها سياسيا مذهبيا.

و هكذا أثمرت حركه المقاومه، فأسر ابنا خنزير و حبسا ثم طردا خارج الجزيره غير أن الثوار خشوا عاقبه الثوره و حلول النقمه بهم، فشرحوا وضعيتهم للمهدى و أوضحوا له أن حركتهم الاحتجاجيه لا تحمل طابع العصيان أو الثوره السياسيه أو المذهبيه ضد سلطان الفاطميين و إنما هى لفت نظر للسلطه الجديده تجاه نوع الولاه الذين يسيئون إلى نفوذها، و قد طلب السكان العفو فاستجاب لهم المهدى، و عين على بلادهم عليا بن عمر البلوى، و كان شيخا عربيا طاعنا فى السن يميل إلى السلم و يكره العنف، و فى طبعه لين، فوصل مازر آخر ذى الحجه ٢٩٩ هـ/٩١١ - ٩١٢ م.

و فى عهد هذا والى، الذى ترقى بالسكان و صانعهم، بدأت اتجاهات الثوره الانفصاليه تظهر فى مدن الجزيره يدفع سكانها إلى ذلك، رغبه بقايا أسره بنى الأغلب فى الثار لسقوط الاماره و انفصال إفريقيه عن سلطان الخلافه العباسيه السنيه فى بغداد، من جهه أخرى، هذا إلى جانب استضعاف السكان لوالى المهدى، الذى لم يكن من رجال الحرب، و من ثم أطاحوا به بسهولة و قدموا من تلقاء أنفسهم، و حسب خطه موضوعه رجلا من بقايا بنى الأغلب، هو أحمد بن زياده الله بن قرهب سنه ٣٠٠ هـ/٩١٢ - ٩١٣ م، و فى عهده صار الانفصال السياسى و المذهبى لجزيره صقليه، حقيقه ملموسه، و أمرا واقعا، إذ بعد فتره أعداد نفسى، و تهيئه ماديه، تأكد أثناءها من ثقه الناس فيه، و إجماعهم حوله، و على ما يتخذ من خطوات سياسيه فى الجزيره أعلن الثوره ضد الفاطميين.

و من مركزه الحصين فى جزيره صقليه. مارس نشاطا ثغريا، فى أرض قلوريه، و ضد طبرمين على الساحل الشرقى من الجزيره منذ سنه ٣٠٠ هـ.

كما قام باعمال كبرى ضد سواحل بلاد المغرب، ترضيه للعباسيين، و إذا كان لم يقدر لابنه على - الذى أرسل لفتح طبرمين، و حاصرها ثلاثه أشهر، أن ينجح فى مهمته لحصانه المدينه و اختلاف الجند عليه، و رغبه بعضهم فى التخلص منه، فان ابن قرهب نجح فى ميدان بلاد المغرب، حيث أحرق رجاله، أسطول الفاطميين فى مرسى لمطه، (٢) و أسروا كثيرا من بحارته، و قتل أمير الأسطول و هو عامل صقليه القديم، الحسن بن أحمد بن أبى خنزير، و حملوا رأسه نكايه فيه إلى ابن قرهب فى صقليه، و هذا الانتصار أغرى ابن قرهب، بتوسيع مجال عمله التخريبي ضد سواحل بلاد المغرب،

١- راجع الحاشيه فى ترجمه جوهر الصقلى.

٢- تقع لمطه قرب محرس المنستير، و هو أجل محارس إفريقيه و أربطتها و قصورها. و قد أشار البكرى إليها باسم ملاحه لمطه، و اعتبر ملحها أجود من غيره، و كان سلعه للتصدير: انظر المغرب ٨٤. يقول حسن الأمين: تجاهل هؤلاء الانفصاليون المذهبيون الخطر الفرنجى الجاثم حولهم و تركوا أساطيله [أساطيله] سالمه مطمئنه و شفوا حقدهم المذهبى بإحراق أسطول المسلمين و تخريب موانئهم و القرصنه فى سواحلهم، ثم أكملوا مخازيهم بالاستنجد بالبيزنطيين.

إرهابا للفاطميين الذين كانت قوتهم البحرية في هذه الفترة ضعيفة و موزعه، خاصة بعد الخسائر الأخيره.

و هكذا حرب أسطوله ميناء صفاقس، و نفذ إلى طرابلس لنفس المهمه ثم انصرف عنها لأسباب خاصه، لكنه بقى يمارس نشاطا بحريا واسعا، و حركة قرصنه ضد سواحل الفاطميين حتى حلت به الهزيمه، و أخذت معظم قطعه غنيمه خالصه للفاطميين، و عندئذ بدا نجم ابن قرهب فى الأفول، و أمره فى التراجع و الخمول، و تنكر له سكان الجزيره قبل غيرهم، لأنهم إذا كانوا قد خشوا بأسه لظفره فى الحرب فى قلوريه، و ضد إفريقيه فإنهم الآن بعد انكساره، و ضياع أسطوله أصبحوا يفكرون فى وسيله للتقرب من المهدي، و التخلص منه، و تحميله مسئوليه ما حصل فى الجزيره و تصدرت مدينه جرجنت، و هى التى سوف تبقى قلعه ثوريه ضد الولاة - حركة العصيان ضده، و ربطت صلاتها بالمهدي، و أعلنت ولاءها و اقتدى بها سائر سكان المدن الأخرى، خوفا من عاقبه الاستمرار فى الانفصال و الثوره ضد الفاطميين.

و فى غمره الفتن بين أنصار ابن قرهب، الذى رغب فى مغادره الجزيره و معارضيه، تغلب الأخيرون و تحفظوا عليه و على ابنه على و قاضيه ابن الخامى، و على بعض خاصته، و أرسلوهم مقيدين إلى سوسه، رجاء فى العفو، و طلبوا عاملا و قاضيا و رفضوا استقبال الجند، و تظاهروا بالاستغناء عن المعونات الماليه من الدوله.

و كان رد المهدي - على سكان صقلية، كفتا لتقلب أهوائهم و شغبهم و استعدادهم للعصيان فى كل حين، حيث رماهم بحشد من كتامه و شيوخها و بقائد حازم هو أبو سعيد موسى بن أحمد الضيف.

و بوصول هذا القائد، إلى صقلية اشتعلت نار الثوره فى طرابنش و جرجنتى، و بالرم، و سائر مدن صقلية، و أصبح الموقف خطيرا، إذ استعصى السكان و تمنعوا عليه، بعد حصار عده أشهر اضطر الثوار للاستسلام و لم يضعفوا حتى اشتدت الضغوط عليهم من كل جانب، و كثرت حشود كتامه، و تقاطرت نجدات المهدي على قائد الحصار، فرجع موسى بن أحمد الضيف إلى رقادته بعد أن ترك حاميه كتامه و مستخلفا عنه فى الجزيره، و هو سالم بن أبى راشد، الذى عين أثر ذلك عاملا رسميا من طرف المهدي.

و أهميه سالم بن أبى راشد، فى صقلية تظهر فيما مارسه من نشاط ثغرى فى جنوب إيطاليا، و فى مساعدته للبعوث البحريه التى ألحت على هذا الإقليم منذ سنه ٣٠٥/٩١٧ - ٩١٨ م فقد تمكن مسعود الفتى سنه ٣١٠/٩٢٢ - ٩٢٣ م من القيام بغزو بحرى ناجح افتتح أثناءه مدينه أغاى **SantaAFati** و غنم منها غنائم ثم انصرف إلى المهديه (٢٢٠)، و تلاه جعفر بن عبيد الحاجب ففتح مدينه وارى (**Aria**) بعد معركة حاسمه جرت سنه ٣١٣/٩٢٣ - ٩٢٤ م و قتل أثناءها خلق كثيره، كما غنم غنائم، و أخذ سبايا، و أسر بطريق المدينه، الذى افتدى نفسه، بخمسه آلاف مثقال.

و يبدو أن الهدوء النسبى الذى عرفته الجزيره حتى سنه ٣١٣ هـ، و التوفيق الذى حصل عليه قاده الحملات الثغريه هو الذى دفعه إلى القيام بحركه توسعيه كبرى فى إقليم أنكربد (١) و خليج تارتو، تمكن أثناءها من فتح عده مراكز و قلاع، و من إقرار الوضع فى قلوريه **Calabria** التى أصبحت مركزا للراحه إلى ما يليها من مراكز الروم فى جنوب إيطاليا، و أكمل مهمته بعد انسحابه إلى بالرم، صابر الفتى الذى ابتداء منذ سنه ٣١٥/٩٢٧ - ٩٢٨ م، سلسله من الحملات البحريه، ضد مراكز الروم، فغنم غنائم كثيره، و فتح مدنا، و قلاعا، و شدد الحصار على سليير (سالونر) و على نابل (نابلى) و لم ينصرف عنهما ٣١٤/٩٢٨ - ٩٢٩

م إلا بعد صلح طلبه سكانهما مقابل أموال و أمتعه نفيسه، و بعد أن استراح الجند، قام بفتح مدينه ترموله ٣١٧ هـ ٩٢٩ - ٩٣٠ م بعد هزيمه أنزلها بالسردغوس Serguis قائد البحريه المعاديه، و أثر ذلك رجع إلى المهديه. فواصل النشاط الثغرى بعده، سالم بن أبى راشد، ثم يعقوب بن إسحاق، الذى كلف فى بدايه عصر القائم بأمر الله بمواصله النشاط الثغرى ضد الروم حيث يرتبط باسمه فتح كبرى مدن جنوب إيطاليا و هى جنوه، كما أوقع رجاله بسكان جزيره سردينيه، و أحرقوا مراكبهم و مراكب كورسيكه و عادوا ظافرين.

و فى ظل اضطراب أوضاع صقلية، بسبب قسوه الولاة، أو ضعفهم و انقسام سكانها، إلى جنسيات مختلفه، و نحل متعدده تهيأت الظروف المناسبه لظهور قوى سياسيه جديده، و انبعث النشاط فى جانب الروم الذى استنجد بهم ثوار جرجنتى من قبل.

و قد انضاف إلى ذلك، الفراغ السياسى الهائل الذى تركه خليل بن إسحاق بعد انسحابه سنه ٣٢٩ هـ لأن عطافا الأزدي بعده، عجز عن كبح جماح الأسر الاقطاعيه، و الزعامات المحليه، التى عطلت نفوذه، كما أن سكان قلوريه استغلالات هذه الظروف، أوقفوا أموال الهدنه التى قررت عليهم من قبل. و بدأ جانب المسلمين أثناء هذه الفتره ضعيفا، لأن الغزو الثغرى توقف، و انشغل السكان بالفتن و بتأييد الزعامات المحليه التى اشتهر من بينها: أسره بنى الطبرى، و بنى ماضوض، و بنى أخيه، و الذين لم يكتفوا بالتحجير على عطافا الأزدي و اغتصاب سلطانه بل ثاروا ضده و ألجئوه إلى قلعه الخالصه و استولوا على ذخائره و أموال الولايه، و بقى حتى عزله المنصور و عين على الجزيره واليا عربيا، هو الحسن بن على بن أبى الحسين الكلبي ابتداء من سنه ٣٣٦ هـ/ ٩٤٧ - ٩٤٨ م مكافاه له على إخلاصه للدوله و دوره فى إنهاء ثوره أبى يزيد و هو الذى أصبح رأس أسره عربيه جديده فى صقلية هى أسره الكليبين.

و بمهارته و إخلاص جند كتامه له، تمكن من فرض سلطانه على سكان الجزيره، فامنهم من الأخطار الخارجيه و استأنف سكان قلوريه إرسال أموال الجزيره إليه كما تتبع عناصر الشغب و زعماء الفتنه، و شرد كثيرا منهم، و قتل آخرين، بعد أن استرجع منهم ما أخذوه من أموال، فى عهد سلفه عطافا الأزدي. (٢)، العزيزى: المصدر السابق ٧١-٧٢ و ضمن وصيه المنصور للحسن استعمال الصرامه و الشده لاسترجاع هيبه الدوله لأنه "فى بلد قد أسكرت أهله النعمه و أبطروهم الإحسان، و اعتادوا مع خليل أشياء لا يخرجها من رءوسهم إلا السيوف"، ابن الأثير:

الكامل، ٨، ١٦٩-١٧٠ (٤٧١ ط. بيروت، ريزيتانو، ٥٤، أبو الفداء ٢، ١٠١-١٠٢).

و بعد أن اطمأن على الوضع الداخلى استأنف النشاط الثغرى فى جنوب ايطاليا الذى أسفر عن عده نتائج هامه فى مقدمتها: ٤٣:

ص: ١٢٨

١- اسم لجنوب إيطاليا ابتداء من نابلى حتى أقصى الساحل الجنوبي.

٢- أمارى: المصدر السابق ٢٥٧-٢٥٨ (نقلا عن ابن الأثير)، ابن خلدون: العبر، ٤، ٤٤٣ و ما بعدها، عبد المنعم ماجد: العلاقات،

١٠٨، المدنى: ١٤٢-١٤٣

اتخذ الحسن الكلبى منذ ٣٤٠هـ / ٩٥١ - ٩٥٢ م مسينا مركزا هاما للانطلاقه و الراحه، فى فصل الشتاء، و منها عبر البحر إلى ريو Reggio فانساح المسلمون فى قلوريه، و الجاوا "جراجه" لدفع الجزيه مقابل فك الحصار عنها، كما تبعوا البيزنطيين حتى اضطروهم إلى الاتجاء إلى قاعدتهم فى بارى - على بحر البنادقه (الأدرياتيكي) دون أن يجرءوا على مواجهه قوه المسلمين.

و عند ما عاد الروم، واجههم الحسن الكلبى بجوار جراجه، فهزم السرغوس، و أعيد حصار المدينه و لم ينصرف المسلمون عنها إلا- بعد أن طلب الامبراطور قسطنطين ٧ بروفر وجنتيوس الهدنه الحسن الكلبى [الكلبى] الذى وافق و رجع إلى ريو، التى أصبحت خالصه للمسلمين، فبنى فيها مسجدا بمئذنه، و اشترط لبقاء الهدنه، احترام عقائد المسلمين فيها، و على أن يكون لهم الحرية فى ممارسه عقائدهم و توسيع مسجدهم إذا أرادوا، و إلا يدخله نصرانى، و من دخله من أسرى المسلمين، و لو كان مرتدا، تكون له الحصانه، ثم أن بقاء كنائس الروم فى صقلية و إفريقيه رهن بقاء هذا المسجد. و قد بقى الروم أوفياء لهذه الشروط طيله ولايته التى انتهت بعد وفاه المنصور. ٣٤١هـ / ٩٥٢ - ٩٥٣ م.

و عند ما نقض الروم الهدنه أثناء ولايه ابنه أحمد، و استولوا على عدّه مراكز، و حاصروا نابولى المحالفه للمسلمين و هدموا مسجد ريو، عاد الحسن من جديد سنه ٣٤٥هـ / ٣٥٦ [٩٥٦] - ٣٥٦ [٩٥٧] م فارجع الوضع إلى سالف عهده، و ألجأ الروم إلى طلب الهدنه، على أن يستمر دفع الجزيه، كما كان من طرف سكان قلوريه الذين احتفظوا بدينهم.

و قد استغل أحمد قوه مركز المسلمين، و هدوء الوضعيه، فى القيام بحركه توسع كبرى فى شرق الجزيره، على حساب الروم ففتحت طبرمين بعد حصار طويل فى ذى القعدّه ٣٥١هـ / ديسمبر ٩٦٢ م - و أخرج سكانها منها، فالتجئوا إلى رمطه القريه منها ثم عمرت بجاليات إسلاميه و سميت المعزيه.

و حول رمطه التى استعصت على المسلمين منذ أن بدءوا حصارها فى رجب ٣٥٢هـ / يوليه ٩٦٣ م بقياده الحسن بن عمار، بسبب مناعتها و عناد سكانها، و من انضم إليهم من طبرمين و الروم، تحول الصراع من أجل افتتاحها، أو تحريرها من قبضه المسلمين، إلى مواجهه كبرى، بين قوه الجناح الغربى من دار الإسلام، و قوه دار الحرب التى كانت تمثلها الامبراطوريه البيزنطيه، التى خيل لامبراطورها، نفقور فوكاس، من الاسره المقدونيه أن الفرصه مؤاتيه لضرب دار الإسلام فى الغرب، كما سبق أن ضربها بنجاح فى الجبهه الشرقيه، فأرسل مانويل على رأس قوات ضخمه كما أسندت قياده الأسطول الإسلامى إلى الحسن الكلبى، الذى تمركز فى بالرمو، و أنجد قائد صار رمطه بقوات كافيه لكنها كانت دون قوه الروم الذين خيل إليهم أنهم يستطيعون تحطم قوه ابن عمار، بعد تبديد شمل قواته، و بالتالى يحررون رمطه التى قويت مقاومتها بوصولهم غير أن إدراك ابن عمار لوضعه الدقيق جعله يقاتل فى جبهتين، لأحكام حصار رمطه، ثم لدحر الروم، و قد تمكن ببراعته من هزيمة الروم و قتل قائدهم، و تبديد شمل قواتهم فى معركة عرفت باسم معركة رمطه، و الحفره أيضا، و انهزم الروم أقبح هزيمه، فأكثر المسلمون فيهم القتل، كما أنهى حصار رمطه، و اقتحمها بقواته و أدب سكانها و صبغها بصبغه إسلاميه.

أما فلول الروم و بقايا السيوف من سكان رمطه الذين غادروا ريو بحرا فى طريقهم إلى بارى أو إلى بيزنطه، فقد اقتفى أثرهم والى الجزيره أحمد بن الحسن، و غامر بقواته و دخل البحر و اشتبك معهم، و أنزل بهم هزيمه عند مضيق مسينا، سنه ٣٥٤هـ / ٩٥٦ م عرفت بموقعه المجاز. (١)

و هكذا كانت النتائج عظيمه و تمثلت فى:

ظهور قوه المسلمين و الإسلام فى الجزيره و فيما جاورها.

تأكيد مبدأ تبعيه قلوبيه مع مراكز أخرى فى إطار دفع الجزيره لولاها الفاطميين فى الجزيره. و يلاحظ أن مركز المسلمين فى الجزيره لم يتأثر بوفاه الحسن الكلبى عقب الانتصار، لأن ابنه أحمد، بقى محافظا على المكاسب الإسلاميه فى الجزيره حتى استقدمه المعز لدين الله سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٨ - ٩٦٩ م لنفس السبب الذى استقدم به أباه من قبل، و هو أن يشرف على رئاسه الاسطول الفاطمى، و عين على الجزيره مولى من موالى أبيه يسمى يعيش. و قد أدى الأمر إلى حاله من الفوضى و الاضطراب و انعدام الأمن بسبب ثوره السكان ضد يعيش الذى عجز عن التوفيق بين جند الدوله و موالىها من جهة، و بين الثائرين فى مدن بالرمو و سرقوسه، و غيرها من قلاع صقلية.

و أمام هذه الوضعيه السيئه، سلك الخليفه مسلكا وسطا، فابعد يعيش عن الولايه لاستضعاف السكان له و أقر من حيث المبدأ، ولايه أحمد بن الحسن على الجزيره سنة ٣٥٩ هـ / ٩٦٩ - ٩٧٠ م، لكنه احتفظ به إلى جانبه، للقيام بالمهمه التى أسندت إليه من قبل، و أرسله إلى مصر، حيث توفى فى طرابلس و أرسل إلى الجزيره مستخلفا عنه، أخاه أبا القاسم بن الحسن، الذى تجلى عند ظهوره فى الجزيره، صدى ما يكتنه سكانها من حب و تقدير لأسرته، فمالوا إلى السلم، و الهدوء فى إطار التبعيه له حتى توفى فى سنة ٣٧٢ هـ / ٩٨٢ - ٩٨٣، فولىها ابنه جابر، ثم قريبه جعفر بتقليد من العزيز بالله منذ ٣٧٣ هـ / ٩٨٣ - ٩٨٤ م. و استقر الحكم فى الاسره الكلبيه وراثه، إنما فى إطار التبعيه السياسيه و المذهبيه للخلفاء الفاطميين فى مصر. (٢). به

ص: ١٢٩

١- و فى هذه الوقعه يقول ابن هانى الأندلسى: يوم عريض فى الفخار طويللا تنقضى غرر له و حجول مسحت ثغور الشام أدمعها بهو لقد تبل الترب و هى همول قل للدمستق مورد الجمع الذيما أوردته له قنا و نصول سل رهط (منويل) و أنت غررت هفى أى معركه ثوى (منويل) منع الجنود من القفول رواجعاتا له بالمنديات قفول و بعثت بالأسطول يحمل عدهفائنا بالعهده الأسطول أدى إلينا ما جمعت موفراثم انثنى باليم و هو جفول و مضى يخف على الجنائب حملهو لقد يرى بالجيش و هو ثقيل لم يتركوا فيها بجعجاج الرديالا النجيع على النجيع يسيل نحرب بها العرب الأعاجم أنهارمح أمق و صارم مصقول.

٢- ابن عذارى: البيان، ١، ٣٤٠، أبو الفداء، ٢، ١٠٢-١٠٣، و بعد جعفر ٣٧٥ هـ وليها عبد الله بن محمد (ت ٣٧٩ هـ) ثم ابنه أبو الفتوح يوسف بن عبد الله الذى أدرك شطرا من خلافة الحاكم، و وساطه قريبه الحسن بن عمار، و بعد وفاته عين ابنه جعفر بسجل من الحاكم و لقب بتاج الدوله و أثر عصيان السكان له، وليها أخوه تأييد الدوله أحمد الأكل منذ ٤١٠ هـ و عند ما قتل ٤٢٧ هـ و ولى أخوه صمصام الدوله الحسن، اضطربت أمورها حتى آلت إلى النورمان، و قد واجه معظمهم محاولات الروم للعوده إلى الجزيره، و نشاط البابويه، و الامبراطوريه، و حركات النورمان المخربه

الشيخ أبو علي الحسن بن علي بن محمد بن إبراهيم بن أحمد القطان البخاري الأصل المروزي

ولد في مدينة مرو سنة (٤٦٥هـ) واستشهد على يد التركمان خنقا في فتنه الغز في رجب سنة (٥٤٨هـ) و دفن في مرو.

من علماء الشيعة في مرو و فحول أطباء عصره كان عالما باللغه و النحو و الأدب و الحكمة و الهندسه. ذكره السيوطي في كتابه (البعية) نقلا- عن ياقوت الحموي و وصفه بقوله: (... كان فاضلا عالما باللغه و الأدب و الطب و علوم الأوائل المهجوره و كان ينصر مذهبهم و يميل إليهم شيئا كبيرا محترما يأخذ بأطراف من العلوم و غلب عليه اسم الطب و له في كل نوع تصنيف مأثور و تأليف بين أهل مرو مشهور و كان يقعد للتطبيب و يؤذى الناس و يشتمهم إذا سئل عن شيء من المداواه و كان اشتغل بالفقه و الحديث في ابتداء عمره ثم أعرض عن ذلك و كان يسمع الحديث على كبر سنه و يشتغل به تسترا و إظهارا للربغه في العلوم الشرعيه و الله تعالى أعلم بالعقيده الباطنه و له تصانيف منها العروض مشجر نسب أبي طالب. و غير ذلك...)(١).

و ذهب شيخنا الأستاذ الامام الطهراني إلى تشييعه و ذكره في كتابه طبقات أعلام الشيعة و علق على كلام ياقوت و السيوطي الذين قالوا: (... و كان يميل إلى علوم الأوائل و ينصر مذهبهم و يتستر بسماع الحديث بقوله: أقول:

تصنيفه في نسب أبي طالب و تستره كاشفان عن حسن حاله...)(٢).

ذكره صاحب تاريخ حكماء الإسلام في صفحه ١٥٦ و نقل عنه الزركلي في الأعلام قال: (... عين الزمان المروزي: طيب له علم بالحكمه و الهندسه و الأدب أصله من بخاري و مولده و وفاته بمرو قبض عليه الغز لما تغلبوا على مرو فجعل يشتمهم و هم يلقون التراب في فمه حتى مات...)(٣).

أقول: استشهد على يد التركمان عند ما هاجموا مدينة مرو فدمروها و كان يحرض الناس على قتال التركمان فقبضوا عليه و حشوا فمه بالتراب حتى مات. و له مؤلفات منها كتاب الدوحه في الأنساب، و كتاب مشجر آل أبي طالب، و رسائل في الطب، و كتاب كيهان سياحت ألفه بالفارسيه في الهيئه و النجوم، و كتاب العروض بالعربيه، و غيرها من المؤلفات...)(٤).

الحسن بن علي بن ورسند النحلي.

هكذا ورد اسمه في المجلد الخامس من (الأعيان). و ذكر في الأعيان أن اسمه ورد في نسخه لسان الميزان المطبوعه (ابن وصيد البجلي)، و قال أنه تصحيف.

و قد أوردت هذا الاسم دائره المعارف الإسلاميه في النسخه المعربه ملقبا بالبجلي، و جعلت جده ورسند بدلا من ورسند، و لا شك أن هذا ناتج بسبب النقل عن الحروف اللاتينيه التي ليس فيها حرف (ص). و قالت عنه دائره المعارف ما يلي: مؤسس فرقه البجليه الموجوده بين البربر في مراکش، و ذكر البكري أن البجلي ابتداء حياته تلك قبل وصول أبي عبد الله الشيعي، و كان البجلي من أهل نطفه، و التف حوله أتباع كثيرون من بني لماس. أما مذهبه فهو مذهب الروافض، إلا- أنه يقول إن الامامه لا تكون إلا- في نسل الحسن. و هذا ما يذكره البكري و ابن حزم، و هو يناقض ما ذكره ابن حوقل الذي يؤكد أن البجلي كان

موسوى المذهب، أعنى أنه كان يقول بامامه موسى بن جعفر من نسل الحسين.

و قد حارب عبد الله بن ياسين (مؤسس دوله المرابطين) فيما بعد البجليه (انتهى).

و من الطبيعى أن نقول: أن فى هذا الكلام الكثير من التخليط و الجهل، فراجع ما ورد عنه فى المجلد السادس من (الأعيان).

و لكن الملفت للنظر فى قول دائره المعارف هو أن عبد الله بن ياسين حارب فيما بعد البجليه و قضى عليهم.

حسن بن على بن جابر الهبل

اشاره

ولد بصنعاء سنه ١٠٤٨ (١٦٣٩ م) و نشا فيها و بها توفى سنه ١٠٧٩ (١٦٦٨ م).

ذكره المؤرخ أحمد بن صالح بن أبى الرجال - و هو من معاصريه - فى الجزء الثالث من كتابه (مطلع البدور) (ص ١٢٥ مخطوطه زباره) أثناء ترجمته للقاضى على بن سعيد الهبل فقال: "و رثاه الفقيه الفاضل بديع الزمان الحسن بن على بن جابر الهبل رحمه الله بمرثيه فاضله و هى:

أ تدرى من تخرمت المنون و من أرقت لمصرعه العيون

و بعد أن أورد المرثاه قال: و ناظم هذه القصيده هو الناظم لكل فريده بديع الزمان و قريع الأوان من لا عيب فيه الأقرب بلاده و قرب ميلاده، فالمندل الرطب فى أوطانه خشب، إلا- عند قوم ميزوا ما خلص مما اتشب، و فرقوا بين النفيس و المخشلب، غير معولين على البلاد و لا ناظرين إلى الميلاد. أما الصغر فله أبو الطيب حيث يقول:

ليس الحدائه من حلم بمانعه قد يوجد الحلم فى الشبان و الشيب

و أما بعد البلاد فأمر لا يعتبره الحذاق، و إن قالوا القرب المفرط مانع لادراك الأهداف. و قال بعض الناس:

عذيرى من عصبه بالعراق قلوبهم بالجفا قلب

يرون العجيب كلام الغريب و أما القريب فلا يعجب

و عذرهم عند توبيخهم مغنيه الحى لا تطرب

ثم قال: نشا رحمه الله على العباده و الزهاده و على موده آل محمد (ص)، لا يلويه عن ذلك لاو، و اشتغل بالعلوم و الآداب حتى برع عن المشيخه القرح فضلا عن الأتراب. و له ديوان شعر فائق و سحر حلال رائق فى كل معنى ملىح، نهج مناهج الأدباء و جارايم فى رقيقهم و زجلهم وجدهم و هزلهم، و هو مع ذلك السابق المجلى، و لقد رأيت له مقاطع و قصائد ياهره [باهره]، و

نفسه أشبه بشعر الأديب الحسين بن حجاج غير أنه مصون عن الأفداع، وإنما الفصاحة و النصاعه و جوده الصناعه، و لقد كان يقال أن ابن حجاج نفسه نفس امرئ القيس بن حجراه.

ص: ١٣٠

-
- ١- جلال الدين عبد الرحمن السيوطى: بغيه الوعاه: ص ٢٢٤: بيروت دار المعرفه.
 - ٢- الشيخ آقا بزرك الطهرانى: الثقات العيون فى سادس القرون ص ٦٥ بيروت دار الكتاب العربى.
 - ٣- خير الدين الزركلى: الأعلام ج ٢ ص ٢٠٢ بيروت دار العلم للملايين الطبعة السادسة عام (١٩٨٤ م).
 - ٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

ثم اختار من شعره عدة قصائد.

أما الشوكاني في (البدر للطالع [الطالع]) ج ١-١٩٩ فقال: الحسن بن علي بن جابر الهبل اليماني الشاعر المفلق الفائق المكثّر المجيد، ولد سنة ١٠٤٨، وله شعر يكاد يسيل رقه و لطفه و جوده سبك و حسن معاني، و غالبه الجوده، و له ديوان شعر موجود بايدي الناس.

و بعد أن اختار قطعاً منه قال: و له القصيده الطنانه التي مطلعها:

لو كان يعلم أنها الأحداق يوم النقا ما خاطر المشتاق

و كلها غرر لو لا ما كدرها من ثلب الأعراض المصونه، أعراض خير القرون. و لما ارتفعت درجته عند الامام المهدي أحمد بن الحسن، و كان كالوزير له قبل الخلافه و تصدى للقعود في دستها توفي سنة ١٠٧٩ هـ فيكون عمره إحدى و ثلاثين سنة، و لو طال عمر هذا الشاب الظريف، و لو لم يشب صافي شعره بذلك المشرب السخيف لكان أشعر شعراء اليمن بعد الألف على الإطلاق، و أصله من قربه بني (الهبل) و هي هجره من هجر خولان، و محله و محلي (يقصد شوكان)، واحد ليس بينهما مسافه، بل بينهما من القرب بحيث يسمع كل واحد من فيها كلام الآخر.

و ختم الشوكاني كلامه قائلاً:

و قد بالغ صاحب (نسمه السحر) في حقه فقال: إنه لم يوجد باليمن أشعر منه من أول الإسلام.

و(١) قد علق الباحث المعاصر أحمد الشامي على كلام الشوكاني قائلاً فيما قال:...

و نحن نعلم أن مثل هذا التعريض البياني لا يخطر ببال من لا يتعصبون لغرض، أو ينفعلون لهوى عند ما يؤرخون أو ينتقدون أو يحكمون.

و يقول الأستاذ الشامي أيضاً: فقصاص ديوانه (الهبل) كلها غرر و إن شابها ما شابها مما لا يرضى الشوكاني من الناحية المذهبيه.

و رغم هذه النظره المذهبيه سيظل الهبل أشعر شعراء اليمن كما قال الشاعر الناقد يوسف بن يحيى في كتابه القيم (نسمه السحر) و هو الأقرب إلى الإنصاف و الصواب عند دارسي آداب اليمن.

ثم يوالى الأستاذ الشامي الكلام قائلاً:

و موضوعاً آخر أود أن أناقشه مع الشوكاني، و ذلك ما قاله من أن الهبل لما ارتفعت درجته عند الامام المهدي أحمد بن الحسن و كان كالوزير له قبل الخلافه و تصدى للقعود في دستها توفي! و أنا لا أدري كيف يصدر مثل هذا القول من مثل الشوكاني؟! و لا أدري من أين استقى هذا الخبر؟! فاستاذ الهبل و معاصره و الذي كان يخاطبه في شعره مخاطبه الوالد لولده القاضي العالم المؤرخ الشاعر أحمد بن صالح ابن أبي الرجال قد حكى لنا في كتابه "مطلع البدور" عن سوء حظه و محاربه

الدهر له ما سبق أن سجلناه، و صديقه الحميم فى الشعر و الرأى و المذهب أحمد بن ناصر المخلافى جامع ديوانه، قد وصف لنا ما كان يعانى من هموم الفقر، و الديوان، حتى اخترمته المنيه شهيد الغم و القهر و الوشايات، و كل ذلك صريح واضح فى مقدمه الديوان، و فى تقديماته لبعض قصائده، بل و الشاعر نفسه قد أعرب عن كل ما يؤكد هذا. فقال فى طويلته الداليه التى بعث بها إلى صديقه و جامع ديوانه فى شوال سنه ١٠٧٨ هـ أى قبل وفاته بحوالى عام.

و دهر رمانى بالمصائب صرفه و أضنى فؤادى خطبه المتمادى

أطال حروبى بالمضرات و الأذى و لا طول حرب الحارث بن عباد

يحاول إهمالى و إسقاط رتبى و يسعى حثيثا فى خمود زنادى

و ثقل ديون للورى يا بن "ناصر" يراوحنى همى بها و يغادى

ملأن فؤادى بالأسى، و سلبنى رقادى، و ملكن الرجال قيادى

فأصبحت رهنا فى "أزال" لأجلها و غير "أزال" بغيتى و مرادى،

و إن كان فيها منشئى و ولادتى و مسقط رأسى، فهى غيلا بلادى!

و هى صرخه يأس مدويه لا يمكن أن تصدر من شخص تحسنت حالته، أو ارتفعت مكانته، و تصدى للقعود على دست الوزاره كما يقول الشوكانى و يمضى فيقول:

و ما بلدى إلا الذى فيه أعتدى و عرضى مصون عن مقال أعادى

بلاد بها لا أختشى الذل أن غدت على لأحداث الزمان عوادى

أ أقعد فى قوم أرى الشعر بينهم يباع ببخس ظاهر و كساد

لنبهتهم بالمدح للجود و الندى فتحسبى حركت صخره وادى

و حركتهم بالشعر فى كل ساعه و قد ملئت أجفانهم برقاد

إلى آخرها، و لو ذهبت أدلل و أستكثر بالشواهد لأوردت ثلث الديوان. غير أنه لا بد من التنويه بقصيدته الهمزيه التى كتبها إلى صديقه الشاعر العالم السيد أحمد بن محمد الإنسى و لكنه آخرها و لم يطلع عليها الإنسى إلا بعد وفاه الهبل و مطلعها:

أذن الندى عن نداء الشعر صماء فليس يجديك إنشاد و إنشاء

و فيها سخره لاذعه، و نقد قارس للحكام البخلاء، و تحسر و أسى مثل قوله:

و يا مرجى نوالا، أنت فى زمن فىه المكارم و العلياء أسماء

إياك إياك، أن تدلى بسابقه فان ذلك إن حققته الداء

و لا تقل إن أردت النجاح قد قتلت أمامكم لى أجداد و آباء

يقصى المحب و يدنى من عقيدته: نصب، و جبر، و تشبيه، و إرجاء إلى آخرها و هى طويله و ذات مغاز بعيده و لو تأملها الشوكانى لعرف ما كان يكابده صاحبنا، بل لو تذكر أن ابن أحمد الأنسى هذا الذى أراد الشاعر أن يبعث بهذه الهمزيه إليه، قد كان مصيره السجن ثم الفرار إلى مكه حيث حاز قصبه السبق فى مباراه شعريه، مع شعراء من سائر الأقطار العربيه، و لما عاد إلى وطنه "جرت له خطوب كثيره مع المهدي صاحب المواهب" ثم نفاه إلى جزيره "زيلع" حيث مات هناك سنه ١١١٩ هـ. (و انظر البدر الطالع ص ٣٦-٣٧ ج ١ للشوكانى نفسه).

و الذى سيتامل ما ورد فى الديوان سيعرف أن مثل الهبل لا يمكن أن ينجح بمبادئه فى مثل زمنه، و إن مصيره كان سيزداد سوءا لو عاش، و لا سيما و قد كبرت الانحرافات التى كان يتحسبها، و يحذر منها، و يدعو إليها.

ص: ١٣١

١- مقدمه الديوان للشامى.

محاربتها، على أن موقف الشوكاني من الهبل لن يكون واضحاً ما لم نشر إلى قضيه غريبه أشار إليها في ترجمته للسيد [السيد] يحيى بن الحسين بن المؤيد في الجزء الثاني من البدر الطالع و لم أجد لها في سواه قال: "وله تلامذه نبلاء، منهم القاضي أحمد بن ناصر بن عبد الحق المخلافي و الأديب أحمد بن محمد الإنسي المتقدم ذكره، و كذلك الشاعر المشهور الحسن بن علي بن جابر الهبل، و كان يعنى السيد يحيى بن الحسين) متظاهراً بالرفض، و ثلث الأعراض المصونه من أكابر الصحابه و مشى على طريقته تلامذته و رأيت بخط السيد يحيى بن الحسين بن الامام القاسم المذكور قبله، أن صاحب الترجمة توطأ هو و تلامذته على حذف أبواب من مجموع زيد بن علي و هو ما فيه ذكر الرفع و الضم و التأمين، و نحو ذلك ثم جعلوا نسخاً و بثوها في الناس، و هذا أمر عظيم و جنايه كبيره، و في ذلك دلالة على مزيد الجهل، و فرط التعصب، و هذه النسخ التي بثوها في الناس موجوده الآن، فلا حول و لا قوة إلا بالله" انتهى - . كلام الشوكاني ص ٣٣٠ - البدر الطالع ج ٢ و لا أريد أن أشكك في كلام الشوكاني من أن السيد يحيى بن الحسين بن المؤيد أستاذ الثالث المذكور كان يتظاهر بالرفض، و لا أجادله في ذلك، إذ لا علم لي به، كما أنه قد ورد فيما نقل إلينا من أشعار الهبل، و المخلافي، بعض ما أشار إليه الشوكاني، و نقل إلينا أيضاً أن المخلافي نفسه اعتدل و رجع عن "جاروديته". و لكن الشوكاني، لم يذكر اين قرأ الكلام الذي نسبه إلى العلامة يحيى بن الحسين بن القاسم و هو كلام خطير، و تهمه تشكك في أهم مرجع للزيدية، و هو "مجموع زيد بن علي" (ع)، و مخطوطاته المتداوله كثيره، و قد طبع مرتين أحدثها طبعه "المؤيد" في خمس مجلدات و عليها شرح القاضي الحسين بن أحمد السياغي (١١٨٠ - ١٢٢١هـ) و الذي سماه "الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير، و قد ترجم الشوكاني للسياغي في البدر الطالع: ج ١ ص ٢١٤ و قال: "هو رفيقي في بعض مسموعاتي على شيوخى" ثم قال: "و قرأ مجموع الامام زيد بن علي على القاضي العلامة يحيى السحولي، و على آخرين و برع في هذه المعارف كلها و فاق و صار من أعيان علماء العصر المفيدين في عده فنون" مع ذهن قوى، و فهم صحيح، و إدراك جيد، و سمت حسن، و رصانه عقل، و متانه دين". ثم قال: "و هو الآن يشرح مجموع الامام زيد بن علي شرحاً حافلاً و بينى و بينه مكاتبات و مشاعرات و مباحثات في عده مسائل" ثم يستأنف الأستاذ الشامي كلامه قائلاً:

لقد كنت أشعر - مثل سائر زملائي - نحو عائلته "الهبل" المتواضعه الحال، بكثير من الإجلال و التقدير، لأنهم كما قيل لنا، أسره شاعر "أهل البيت"، و كانت قصائده يترنم بها في الاحتفالات، و مناسبات "العرس" أو "العزاء".

و الهبل كما قال شيخه أحمد بن صالح بن أبي الرجال: "نشا على موده آل محمد (ص) لا يلويه عن ذلك لاو"، فالتشيع مفتاح شخصيته، فيه يوالى، و به يعادى، و يحب و يكره، و يسخط و يرضى، و يخطئ و يصيب، و هو زيدى الرأى و الأصول، و لكنه - و ذلك ما ينطق به شعره - كان متطرفاً ينهج نهج "الجاروديين"، و لأنه نشأ في بيئه فروسيه و زهد و في ظلال أسره و جماعه يلتفون مع قبيلتهم حول "الامام القاسم بن محمد المنصور"، و كان لأبيه و عمه و غيرهم من أفراد أسرته الحظ الوافر من الجهاد و النضال ضد الأتراك و السلاطين و "الاقطاعيين" و "العملاء"، الذين كانوا يوالونهم في بعض الأصقاع اليمنيه، و العمل باللسان و السنان لتكوين الدوله "القاسميه" التي ما إن توفى مؤسسها "القاسم" حتى تمكن أولاده "الحسين" و "الحسن" و "المؤيد" و "المتوكل"، و حفيده "أحمد بن الحسن" ممدوح "الهبل"، و الذي أصبح إماماً بعد وفاه شاعره و تلقب بالمهدى.. من رفع رايه "اليمن الكبرى" على كل أقطارها، و أحاط البحر بدولتها من الشرق و الغرب و الجنوب. بل إن الشاعر نفسه قد شارك أميره أحمد بن الحسن "سيل الليل"، في بعض الحروب التي خاضها، و رافقه في قمع التمردات القبليه هنا و هناك، و حضر بعض المعارك، و وصفها وصفاً بديعاً كما فعل شاعر العربيه الأول أبو الطيب المتنبى مع أميره سيف الدوله، و كان

"الهبيل" قد كتب على سيفه البتار هذين البيتين:

أنا السيف لا تختشى نبوتى إذا خشيت نبوه القاضب

إلى "ذى الفقار" اعترائى كما إلى "حيدر" يعتزى صاحبى

و كأنه لتفانيه فى حب "على" سيد الفرسان لم يكتف بذلك، بل جعل سيفه "شيعيا" لسيف "على" "ذى الفقار" و أنطقه بهذين البيتين الرائعين.

لقد ظلم الشاعر الهبل حيا و ميتا، فإنه، و هو العالم الذى قال "ابن أبى الرجال" إنه "اشتغل بالعلوم و الآداب حتى برع على المشيخه القرخ، فضلا عن الاتراب"، قد اعتنق مذهب "الثوره" و الخروج على الظلمه و المنحرفين، و ألزم نفسه محاربه الفساد بلسانه و سنانه كما جهر بنقده المنحرفين و الفاسدين، فكرا، أو عقيده، أو سلوكا - نقدا لاذعا مريرا، و عند ما رأهم يحاولون جرحه القائمين بالأمر إلى ما يخشاه على جوهر الحكم لم يصمت، و لم يجامل بل نصح و حذر، ثم حرض من يحسبه قادرا على الإصلاح و التغيير شانه شان المصلحين، و أصحاب المبادئ فى كل زمان و مكان.

و كل ذلك قد جر عليه الويل، فحاربه - بل و حارب ديوان شعره - من لا يقول برأيه من الفقهاء و ذوى السلطه حتى و لو كانوا من أبناء و أتباع فرقته و طائفته.

لقد التقى المتنافرون رأيا، و مذهباً، و مزاجاً، عن وعى، و عن غير وعى، و بقصد، و بدون قصد، على غمط الهبل، و تحاشى ذكره أو الاستشهاد بشيء من شعره، جمعهم على ذلك قاسم مشترك، و حد بين المتنافرين رأيا و مذهباً، و المختلفين هوى و شعورا، و المتباينين ثقافه و تفكيراً، على مدى الأيام و العصور، و حل بذلك على شاعر اليمن "الهبيل" ظلم كبير.

ثم يمضى الأستاذ الشامى فى كلامه متحدثا عن الديوان المخطوط الذى جمعه أحمد بن ناصر الخلافى صديق الشاعر:

أين شعر الهبل؟

ص: ١٣٢

إلى نظيره "و إذا فما بين أيدينا الآن إنما هو النزر اليسير من شعر الهبل، و كان الهبل نفسه قد مزق الكثير من أشعاره المتقدمه - أى التى أنشأها و هو فى عنفوان شبابه الشعري، كما أعدم بعض ما قاله فى أخريات أيامه، و لا شك أن فيها ما يؤسف عليه من شعره السياسى و الاجتماعى، و أن الذى دفعه إلى إعدامها ليس الاستهجان، و لكنه الحذر، أو الندم، أو الخوف، غير أن قول جامع الديوان بأنه سيلحق ما يظفر به من شعره بنظيره فى الديوان يجعلنا نتساءل هل أضاف إلى ما جمعه بعد وفاه صاحبه شيئاً جديداً و لا سيما و قد عاش بعده و فيا لذكره ثمانيه و ثلاثين عاماً؟؟ و إذا كان قد ظل مع تتابع السنين يضيف ما يظفر به إلى نظيره، فهل هناك نسخ تختلف مع اختلاف السنين و تتابع الإضافات؟ و إذا كان "المخلافى" قد شغلته ظروفه، و قد ابتلى و سجن، فأين ما كان يطمع أنه سيظفر به، و وعد بأنه سيلحقه بنظيره؟ أسئلة ليس عندي جوابها الآن. كل ما أستطيع أن أقوله: إنه من الحرام أن يظل للهبل شعر موءود، و إن من سيساهم فى إخراجه من قبور الإهمال سيقدم يداً للأدب اليمنى، و ها قد نشرت الموجود، فليفضل أدباء اليمن بالبحث عن المفقود، إما فى النسخ المتعدده إذا كان يوجد فيها ما ليس فى النسختين اللتين اعتمدت عليهما، أو فى "السفن"، و المجاميع المخطوطه فى الخزائن العامه و الخاصه داخل اليمن و خارجها.

هذا بالنسبه للشعر الحكيمى المعرب الذى قاله الهبل على طريقه امرئ القيس، و البحترى، و الشريف الرضى، و بقى أن أتساءل هل كان للهبل شعر "حمينى" بلغه صنعاء الدارجة؟ إننى لا أشك فى أن "الهبل" ابن صنعا "الرقيق الطبع، الخفيف الروح، العاشق المزاج، قد قال شعراً حمينياً كثيراً و رائعاً.

أ يكون من شعراء العصر الذى عاش فيه "الهندي" و "شعبان سليم" و "حيدر آغا" و "الرقيجى" و جاء بعد "ابن شرف الدين" ثم لا ينظم شعراً غنائياً حمينياً؟؟ إن هذا فى نظرى من المستحيل...؟؟ نعم لقد نسب الدكتور محمد عبده غانم فى كتابه "شعر الغناء الصناعى" قصيده:

"يا قلبى المضى عيش ترتاب ثق بالذى للمشكلات حلا

إلى الهبل، لكن من يعرف نفس "الهبل" لا يستطيع أن يطمئن إلى أنها حقاً من شعر الهبل الذى يتميز بنفس عال لا ترقى القصيده المذكوره إلى مستواه الفنى و الشعري، و لا سيما و قد ذكر الدكتور غانم نفسه أن مخطوطه الحوثى قد نسبت القصيده إلى محمد بن أحمد حميد الدين المتوفى سنة ١٢١٧ هـ (١٨٠٢ م) أى بعد الهبل بحوالى مائه و خمسين عاماً، و قال إن مخطوطه القاضى محمد العمرى تنسب هذه القصيده إلى قاسم عبد الرب المتوفى سنة ١٢١٦ هـ (١٨٠١ م).

و إذن: فأين ديوان الهبل الحمينى؟ و إذا ظلت الأسئلة تتوافد فان السؤال الكبير هو: هل يمكن أن يقول "الهبل" هذا الشعر "دو بيت".

كم أكرم لوعتى، و كم أخفيها؟ و الدمع إذا جرى دما يديها!

يا مالك مهجتى رويدا بشحها مهجته لديك فانظر فيها

فيبدع و يحسن جهد الإبداع و الإحسان، ثم لا يكون له فى هذا الفن "الدوبيت" إلا هذه المقطوعه النادره؟ أما أنا فلا أستطيع أن أصدق أن مثل ذلك يكون! و إذن... فأين شعر "الهبل" الدوبيت؟ أين ما لا يزال موءوداً من شعره الحكيمى؟ و أين ديوانه

الحميني؟ و أين "الدوييت" يا أدباء اليمن؟ و مما ينبغي الإشارة إليه ما ورد في تقديم جامع الديوان للقصيد "البائيه" و ذلك في النسخه "ف" فقد قال أنها أولى قصائد الهبل العلويه، و أنه قد أنشدها في غره شهر رمضان سنه ١٠٧٥ هـ و نحن نعلم أنه توفي سنه ١٠٧٩ هـ فتكون كل قصائده العلويه و الزيديه قد نظمها بعد أن جاوز السادسة و العشرين، و في بحر ثلاث سنوات و بضعه أشهر، و ربما فرارا من المديح الذى لم يربح منه شيئا... أو تذكيرا للحكام بصفات من عليهم أن يتخذوا منهم قدوه فى الحكم و السلوك.

و بعد فان الشاعر إنما هو شعره و هذا هو الهبل فى شعره الذى لم يشغل اليمنيين شعر أى شاعر فى تاريخهم الأدبى كما شغلهم، ثم يواصل الأستاذ الشامى كلامه قائلا:

و لن يفوتنى - و قد فاتنى الكثير مما كان على أن أذكره - أن أشير إلى أن أول ما شاع الحديث فى صنعاء عن طبع ديوان الهبل كان سنه ١٣٥٧ هـ (١٩٣٩ م) و أن الامام يحيى و رئيس وزرائه عبد الله العمري قد كلفا السيد الشاعر محمد عبد الرحمن كوكبان أن يرتبه و ينقحه و يحذف منه ما يدل على "جاروديته" هكذا سمعت يومها، و لا أدرى ما صنع السيد محمد كوكبان بالديوان؟ و لا أين نسخته؟ التى اشتغل بها زمنا. و اعلم أيضا أن زميلي الشاعر محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الشامى كان قد كلف من قبل الامام أحمد سنه ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م) أن يقوم بنفس العمل، و كان قد راجعنى فى مسائل لا أذكرها الآن عند ما كنا نلتقى فى "صنعاء" أو "القاهره"، و لا شك فى أنه قد قطع شوطا فى عمله، و لو أن ما عمله هذان الأديبان الكبيران قد وصل إلى يدي لأغنانى عن التعب المضنى الذى قاسيته خلال تنقيحى لهذا الديوان، و رغم حرصى على معرفه ما عملاه لم أوفق، و لا أدرى أين ذلك الجهد الذى صرفا فيه سواد و بياض سنوات.

نسخه الديوان المعتمده

و يقول الأستاذ الشامى: كنت قد نسخت ديوان الهبل فى سنه ١٣٦٠ هـ (١٩٤٢ م) على إحدى النسخ القديمه المضبوطه المصححه ثم قرأتها مع زميلي الأخ الأديب الشاعر عبد الرحمن عبد الصمد و قابلتها على نسخته قديمه كانت فى حوزته، و قد ضاعت مع ما ضاع من كتبى عند ما انتهبت القبائل "صنعاء" فى شهر جمادى الأولى سنه ١٣٦٧ هـ (آذار ١٩٤٨ م) و أثر فشل ثوره الدستور.

و طال أمد الفراق بينى و بين ديوان الهبل حوالى سبعة عشر عاما لا ألتقى بصاحبه إلا عند ما أسمع شعره يتلى أو ينشد، أو أقرؤه فى المجاميع و المخطوطات اليمنيه، أو حين أترنم بما أحفظه منه إذا ألم بي هم، أو طفح كيل الأسى.

ص: ١٣٣

مخطوطات أخرى - من إحدى خرائن الكتب فى "صعده" قبل أن يلتهمها الحريق أثناء الغارات الجوية خلال الحرب المصريه
اليمنيه و لقد كان سرورى به سرور من يلتقى بصديق عزيز بعد طول فراق.

و قررت أن أنسخه، و أن أرتب قصائده و مقاطعه ترتيبا أبجديا، مستغنيا عن مقدمات جامعه، و أن أجعل لكل قصيده أو مقطع
عنوانا مناسباً، و أفسر ألفاظه الغريبه، أو التى تفتقر إلى تفسير.

شعره

قال فى ذكر قتل أبى عبد الله الحسين السبط و حفيده أبى الحسين زيد بن على:

لو كان يعلم أنها الأحداق يوم النقا ما خاطر المشتاق

جهل الهوى حتى غدا فى أسره و الحب ما لأسيره إطلاق

يا صاحبي، و ما الرفيق بصاحب إن لم يكن من دأبه الإشفاق

هذا النقا حيث النفوس تباح و الألباب تسلب، و الدماء تراق

حيث الطباء لهن سوق فى الهوى فيها لألباب الرجال نفاق

فخذنا يمينا عن مضاربه، فمن دون المضارب.. تضرب الأعناق

و حذار من تلك الطباء، فما لها فى الحب، لا عهد، و لا ميثاق

و بمهجتي من شاركتنى لومى وجدا عليه، فكنا عشاق

كالبدر، إلا أنه فى تمه، لا يخشى أن يعتريه محاق

كالغصن، لكن حسنه فى ذاته و الغصن زانت قده الأوراق

مهما شكوت له الجفاء، يقول لى ما الحب إلا جفوه و فراق

أو اشتكى سهرى عليه، يقل: متى نامت لمن حمل الهوى آماق

أو قلت: قد أشرقتنى بمدامعى قال: الأهله شأنها الإشراق

ما كنت أدري قبله أن الهوى مهج تصدع، أو دم مهراق

كنت الخلى فعرضتنى للهوى يوم النقا الوجنات و الأحداق

و من التدله فى الغرام و هكذا سكر الصبا به ما له إفراف

إنى أعبى بالنقا عن غيره و أقول: "شام" و المراد "عراق"

ما للنقا قصدى، و لا بمحجر و جدى، و لا أنا للحمى مشتاق

برح الخفا، "نعمان" أقصى مطلبى لو ساعدتنى صحبه و رفاق

يا برق "نعمان" أفق، حتى متى؟ و إلى متى الإرعاد و الابراق

قل لى عن الأحباب، هل عهدى على عهدى؟ و هل ميثاقى الميثاق

يا ليت شعرى، أن لى و أختها لسمير من لعبت به الأشواق

أ يعود لى بعد الصدود تواصل و يعاد لى بعد البعاد عناق

إنى أقول لعصبه "زيديه" و خدت بهم نحو "العراق" نياق

بأبى و بى، و بطارفى و بتالدى من يمموه و من إليه ساقوا

هل منه فى حمل جسم حل فى أرض "الغرى" فؤاده الخفاق

أسمعتهم ذكر "الغرى" و قد سرت بعقولهم خمر السرى فافاقوا

حبا لمن يسقى الأنام غدا، و من تشفى بترب نعاله الأحداق

لمن استقامت مله البارى به و علت و قامت للعلى أسواق

و لمن إليه حديث كل فضيله من بعد خير المرسلين يساق

لمحطم الردن الرماح و قد غدا للنقع من فوق الرماح رواق

لفتى، تحيته لعظم جلاله من زائريه الصمت و الاطراق

صهر النبى و صنوه، يا حبذا صنوان قد وشجتهم الأعراف

و أبو الأولى فاقوا و راقوا، و الالى بمديحهم تترين الأوراف

انظر إلى غايات كل سياده.. أسواه كان جوادها السباق

و امدحه لا متحرجا فى مدحه إذ لا مبالغه، و لا إغراق

ولاه أحمد فى "الغدير" و لايه أضحت مطوقه بها الأعناق

حتى إذا أجرى إليها طرفه حادوه عن سنن الطريق و عاقوا

ما كان أسرع ما تناسوا عهده ظلما، و حلت تلکم الأطواق؟

شهدوا بها يوم "الغدير" لحيدر إذ عم من أنوارها الإشراف

.....

حتى إذا قبض المذل سطاهم و غدت عليه من الثرى أطباق

.....

يا ليت سعري [شعري]، ما يكون جوابهم حين الخلائق للحساب تساق

حين الخصيم "محمد" و شهوده أهل السماء، و الحاكم الخلاق

قد قيدت إذ ذاك ألسنهم بما نكثوا العهود.. فما لها إطلاق

و تظل تذرف بالدماء آماقهم للكرب، لا رقأت لهم آماق

راموا شفاعه أحمد من بعد ما سفكوا دما أبناءه، و أراقوا

فهناك يدعو، كيف كانت فيكم تلك العهود و ذلك الميثاق

الآن؟ حين نكثتم عهدي و ذاق أقاربي من ظلمكم ما ذاقوا

و "أخي" غدت تسعى له من نكثكم حيات غدر سمهن زعاق

و أصاب "بنتي" من دفائن غدركم و جفائكم دهياء ليس تطاق

و سننتم من ظلم أهلى سنه بكم اقتدى فى فعلها الفساق

و بسعيكم رمى "الحسين" و أهله بكتائب غصت بها الآفاق

فغدت تنوشهم هناك ذوابل سمر و مرهفه المتون رفاق

و كذاك "زيد" أحرقتة معاشر ما إن لهم يوم الحساب خلاق

من ذلك الحطب الذى جمعتم يوم (الفعيله) ذلك الإحراق

و لكم دم (شركتم) فى وزره لبنى فى الحرم الشريف يراق

و لكم أسير منهم، و أسيره تدعو: الأمن؟ إلا إعتاق

أجزاء نصحى أن ينال أقاربي من بعدى الإبعاد و الإزهاق

فالآن. جئتم تطلبون شفاعتى لما علا كرب، و ضاق خناق

أ ترون بعد صنيعكم يرجى لكم أبدا خلاص، أو يحل وثاق

يا رب جرعههم بعدلكك غب ما قد جرعه أقاربي، و أذاقوا

و قال فى أمير المؤمنين (ع) و يتجرم عليه من أعدائه و يفتخر بما له من الخئولة فى بنى هاشم، و بنسبه الحميرى، و شعره، و

افتتحها بالتجرم من زمانه:

غير مستنكر من الأيام ما أرى من إهانتى و اهتضامى

هكذا لم تزل تحط الكرام الصيد عن رتبه الخسار اللثام

أخرتنى على نباه قدرى عن أناس عن المعالى نيام

و تحملت على نباه قدرى عن أناس عن المعالى نيام

و تحملت - فى الحدائه - من أحداثها ما يهد ركنى شمام

غير أنى حملت نفسا أرتنى ليس يدرى غناى من إعدامى

لست أرجو من الأنام نوالا، أننى فى غنى برب الأنام

كيف ترضى بان ترى باذلا ماء محياك فى يسير حطام

ليس فقر الكريم ينقص شيئا من فخار الأحوال و الأعمام

أيها السائلون عنى مهلا أنا من نبعه المليك الهمام

"أسعد الكامل" الذى كان فى الشرق و فى الغرب نافذ الأحكام

ذاك جدى إذا افتخرت و أخوالى " بنو هاشم " نجوم الظلام

من ترى مثل " أسعد " كان، أو من مثل قومى تراه فى الأقوام

أنا من معشر أتاحهم الله.. لنصر النبى و الإسلام

من أناس كانوا ملوك البرايا كل كهل منهم، و كل غلام

ناصروا سيد الأنام، و أفنوا دونه كل ذابل و حسام

حين لا تنكر الأنجم الزهر إذا قلت: فوقهن مقامى

و أبى، فلو رأيت الدنيا فى منامى، إذا هجرت منامى

و كريم بما وجدت على فقرى و كم باخل برد السلام

و لعوب بالشعر، يستنزل العصم من الشاهق الأشم كلامى

تتوقى نوافتى عصب النصب كانى أرميهم بسهام

و كفانى حب الوصى فخارا فهو إن أظلم السبيل امامى

لا تلمنى، إذا مدحت " عليا إن أولى من لامنى بالملام

أنا فى حبه لعمر ك "عمار"، فلم لا أبنى بيوت نظامى

هات، قل لى بالله: من كأبى " السبطين " أن أدبر الهزبر المحامى

بدر أفق الوغى، إذا ما استهلته برءوس من العداة، و هام

ضارب الهام فى الكريهه، ثبت يتحاماه كل جيش لهام

بمزيد الجلال دون البرايا خصه ذو الجلال و الإكرام

لست أحصى لذى الجلال ثناء إذ هدانا بال خير الأنام

أذهب الله عنهم الرجس حتى طهروا من بواطن الآثام

فهم الساده المطاعيم، و القاده و الصيد و البحور الطوامى

إن دعوا، خلتهم غيوث نوال، أو دعوا، خلتهم ليوث صدام

أخذوا دين ربهم عن أبيهم لم يشيبوا حلاله بحرام

من يكن ضل فى الغرام، فانى ليس إلا لهم جعلت غرامى

فعليهم منى التحيه تبقى ببقاء الشهور و الأعوام

.....

آه من غصه، تردد فى الحلق، و جرح بين الجوانح دامى

للذى جاءت "..." من غدر شنيع أو هى قوى الإسلام

غدره أقدمت عليها الأذلون الأقلون ساعه الاقدام

.....

يا لها سبه مدى الدهر شعاء أتت من أولئك الأغنام

قال و قد بلغه أن بعض "الناصبه". قال فيه لما لزمه دين فى المكارم:

"ما ربح إلا الفقر من حب على".!

قالوا: إلام تحب آل "محمد" و تظل مشغوفاً بهم و تبيت؟

فأجبتهم: كفوا الملام فانى أرشدت نهج و دادهم، فهديت

قالوا: فان الفقر حظ محبهم أ رضيت؟ قلت: نعم، رضيت، رضيت

إنى ملكت ذخائراً أحرزتها من "كيمياء" و دادهم.. فغنيت!

فدعوا الملام، فقد أهاب بمهجتي داعى الهدى، فأجبت حين دعيت.

و قال يمدح أمير المؤمنين علياً (ع):

حدثانى عن "على" حدثانى و دعانى عن فلان و فلان!

و انظرا هل تريا ما عشتما غيره للمصطفى المختار ثاني؟

كيف أخفى حبه: و هو الذى قرن البارى تعالى بالقران؟

إن دينى و اعتقادى حبه، و نجاتى يوم حشرى، و أمانى،

أيها السائل عنى، جاهلا أنا من قد علم الناس مكانى،

قسما لو لم يكن لى مفخر غير حبى لعلى.. لكفانى،

مع أننى فى أعالى ذروه كل عن غاياتها مرمى العيان،

أنا من أخواله من "هاشم" ضمير الحلبه فى يوم الرهان،

أنجبتة ساده من "حمير" ينثنى عن فخرهم كل مدانى،

أهل بيت المصطفى، ودى لكم دون أهل الأرض من قاص و دانى

لامنى قوم على مدحى لكم، و به أحوى فراديس الجنان..!

إن يكن مدح "على" منكرا، فمن الأولى بابكار المعانى؟

سوف أرى ما استطال العمر من حبه، ما أبواى استودعانى،!

سأوالى مدحى فيه، و فى آله، ما ملك النطق لسانى

و قال و هما من أول شعره:

مدحى لكم، يا آل "طه" مذهبى و به أفوز لدى الإله، و أفلح

و أود - من حبى لكم - لو أن لى فى كل جارحه لسانا يمدح

و قال:

لكم آل الرسول جعلت ودى و ذاك أجل أسباب السعاده

و لو أنى استطعت لزدت حبا و لكن، لا سبيل إلى الزيادة

أعيش، و جبكم فرضى و نفلى و أحشر، و هو فى عنقى قلاده

أناضل عن مكارمكم لأنى كريم الأصل ميمون الولاده!

أظل مجاهدا لحليف " نصب " ، أضل ببغضكم أبدا رشاده،

فان أسلم، فاجر لم يفتنى، و أن أقتل، فتهنئى الشهاده!

و قال:

خذوا بيدي فى الحشر، يا آل " أحمد " فانى لكم ما طال عمرى خادم

و عندى لسان مرهف إن سللته غدت تتحاماه السيوف الصوارم

تقلدت منه مرهف الحد صارما أذب به عن مجدكم، و أصارم

و قال، و هى من أول ما قاله فى أمير المؤمنين (ع):

من ترى غير " على " كان صنوا للنبي

من ترى، من بعد خير الأنبياء... خير وصى

من ترى، فاز " بخم " بالفخار الأبدى

من ترى و لاه خير الرسل عن أمر العلى

من ترى، كان إمام الخلق بالنص الجلى

من ترى، السابق فى دين القديم الأزلى

من ترى قاتل عمرو، (١) ذى الثبات العامرى

من ترى أسر عمرو، (٢) عند إجمام الكمى

من ترى ردت له الشمس فتى... غير على

من تراه.. حاط دين " المصطفى " بالمشرفى (٣)

أ به المله (٤) حيطت؟ أم " بيتيم " و " عدى " ن.

١- عمرو بن ود العامري.

٢- عمرو بن معديكرب.

٣- المشرفي: السيف المنسوب إلى "مشارف" قرية باليمن.

٤- المله: الدين.

قل لنا، فالامر إن أنصفتنا.. غير خفى

و قال جوابا على أبيات جاءت من أحد أصدقائه:

ألمت، فهاجت لوعه بفؤادى و زادت غراما أدمعى و سهادى

بيوت بها أقوت بيوت تجلدى و قام اصطبارى بالرحيل ينادى

هى السحر أو كالسحر فعلا، فمذ أتت أفض لشوقى مضجعى و وسادى

تذكرنى عهدا لنا و منازل سقاها من الوسمى صوب عهد

أدام إله العرش فىنا ظلالة و أبقاه للإسلام خير عماد

و قد بعث العبد الجواب تجاريا و إن كان يكبو عن مداك جوادى

فخذ من جوابى النزر ما كان حاضرا و أنت إذا أندى، لأنك بادى،

و عذرا، فقد قابلت درك بالحصى و ساجلت بحرا زاخرا بشماد

فاغض و سامح منعما عن قبيح ما بدا لك من عيب به و فساد

فأنت الذى قدت القوافى طوائعا و غيرك لم تنقد له بمقاد

و أنت الذى جليت فى حلبة العلى على كل جحجاج طويل نجاد

لدهر رمانى بالمصائب صرفه و أضنى فؤادى خطبه المتمادى

أطال حروبى بالمضرات و الأذى و لا طول حرب "الحارث بن عباد"!

يحاول إهمالى و إسقاط رتبتي و يسعى حثيثا فى خمود زنادى

و ثقل ديون للورى "يا بن ناصر"، يراوحنى همى بها، و يغادى

ملان فؤادى بالاسى، و سلبننى رقادى، و ملكن الرجال قيادى

فأصبحت رهنا فى "أزال" لأجلها و غير أزال(1) بغيتى و مرادى

و إن كان فيها منشئى و ولادتي و مسقط رأسى، فهى غير بلادى

و ما بلدى إلا الذى فيه أعتدى و عرضى مصون عن مقال أعادى

بلاد بها لا أختشى الذل إن غدت على لأحداث الزمان عوادى

أ أقعد فى قوم أرى الشعر بينهم يباع ببخس ظاهر و كساد!؟

لنبتهم بالمدح للجود و الندى و قد ملئت أجفانهم برقادا!

على أننى قد صرت بعدك أعجما و إن كنت أزرى لهجه بزياد

فاحللتها من ناظرى و مهجتى سويداء قلبى، أو سواد سوادى

فيا باعنا لى الوجد فى طى مهرق رويدك ما قلبى الشجى بجمادا!

و يا مالكا رقى بنعماه دائما فكم نعم عندى له و أيادى!

أياد لعمرى أهملت ذكر "حاتم" و "كعب" الندى فى طيى و "أياد"!

و يا ماجدا أعطيته عهد صحبتى و اصفيته الغيب محض ودادى

أ تحسب أنى بعد بعدك ساليا يطيب معاشى، أو يلذ رقادى؟

أبى البين إلا أن أرى فيك لابسا ليالى أحزانى ثياب حداد

فغاد من الدمع الهتون و رائح و خاف من الشوق الشديد و بادى

و لو أننى سافرت شرقا و مغربا لما كان إلا طيب ذكرك زادى

فراقك أشجانى و هد قواى، لا تغنى هزار، أو ترنم حادى

و لا الغاده الهيفا لها بين شبهها من المائسات الناعمات تهادى

و لا الأهيف الفتان يعبث قده و ناظره الساجى بكل فؤاد

و لا القرقف الصهباء حثت كنوسها أكف مهى هيف الخصور خراد

أخى، و نصيرى فى النوائب و الذى أناديه للأحداث حين أنادى

فدى لك أهلى الأقربون و معشرى و ما بيدى من طارف و تلاد

أتنتى من تلقاء سوحك قطعه بنفسى سوح قد حلت و نادى
هى الروض بل أبهى من الروض بهجه إذا جاده ربا أكف غوادى
بعثت بها من سوح نعمه خالقى على حاضر فى العالمين و بادى
عماد الهدى، رب العلى، هادى الورى إلى خير منهاج، و قول سداد
و حرکتهم بالشعر فى كل ساعه فتحسبى حرکت صخر وادى
فلم ألق من نظم القريض سوى عنا و شغله أوقات، و طول سهاد
فلا كانت الأمداح من شافع، و لا جرى قلم فى كتبها بمداد
أروم بها نيل السعاده و الغنى، و قد أشبهت نحسا لىالى "عاد"
و أورد فکرى كل بحر غطمطم فيصدر حران الجوانح صادى
لعل اللىالى أن تمن برحله إلى أصيد رحب الفناء جواد
من البدو تذكى للملمين ناره ترى حوله منها جبال رماد
يفيض على العافين نائل كفه فمن إبل مزوموه و جیاد
و ما المرء إلا من يؤمله الورى لقتل عداه، أو لبذل عتاد
و عش ما دعا لله داع من الورى و ناداه للكرب العظيم منادى
و أساله من فضله جمع شملنا.. و أن لا قضى ما بيننا ببعاد
و قال:

رما الفخار فلنا منه ما شينا لما مشى فى طريق المجد ماشينا
نحن الكرام و أبناء الكرام فان تجهل مكارمنا، فاسال أعادينا
و أسال لسان المعالى، ما تلا فينا و قل للاحقنا: ما أنت لافينا(٢)

فرب مجد تلافينا بناه و قد و هى، فمن ذا تلافاه تلافينا(٣)

الشمس و البدر أدنى من مراتبنا، و الأنجم الشهب غارت من مساعينا

سعى إلى غايه العليا واضحه يسير رائحنا فيها و غاديننا

يسير فى طرق العلياء سائرنا فيهدى بنجوم من أياديننا

و كم بخيل تراه فى الأنام، و لا و الله لا كان لا منا، و لا فينا

هل يعرف المجد إلا فى منازلنا، و هل يحل الندى إلا بناديننا

ما إن سئلنا مدى الأيام بذل قري إلا وجدنا بما تحويه أيديننا

لا نسأم الضيف إن طالت إقامته، و لا نخيب فينا ظن راجينا

نمشى إلى الموت فى يوم الوغى قدما، و هاتف النصر بالبشرى ينادينا

لنا عزائم تدنى ما نروم فما أدنى "خراسان" إن رمناه و "الصينا"!

لا يستميل الهوى منا النفوس، و لا حب البقاء عن سبيل المجد يثينا!

ما ذا يعيب العدا منا سوى حسب ضخم، به ساد قاصينا و دانينا؟

و إننا لو دعونا الدهر نأمره لقام طوعا يلبي صوت داعينا،

ما ناب جارا لنا فى الدهر نائبه إلا و كنا إذن عنه المحامين!

يا من يسائل عن قومى، رويدك ما جهلت إلا العلى و المجد و الدنيا!

قومى الألى ما انتصوا أسياهم لوغى، إلا و عادوا لآى النصر تالينا،

قوم إذا لبسوا ثوب القتام غدت أعداؤهم، فى ثياب النصر عاريننا!

إن تلقهم تلق أحبارا جهابذه، أو طاعنين العدا شزرا، و رامينا!

و حب آل رسول الله شيمتنا، و فخر حاضرنا دوما و بادينا،

سل "الائمه" عنا أى ملحمه لسنا بارواحننا فيها مواسينا؟

مضت على حب "أهل البيت" أسرتنا: و نحن نمشى على آثار ماضينا، اظ

-
- ١- أزال: من أسماء صنعاء.
 - ٢- " ما تلا- فينا": ما قرا من أخبار المجد و الرفعه فى تاريخنا و "لافينا" فى ما أنت "لافينا" من لفى يلفى: لغه صنعانيه بمعنى أدرك، أى لن تدركنا.
 - ٣- تلافى الأمر: تداركه، و التلافى: الإدراك و قد تلاعب فى البيتين بالألفاظ

فمن يفاخرنا؟ أم من يساجلنا؟ أم من يطاولنا؟ أم من يدانينا؟

يكفيك أن لنا الفخر الطويل على كل الوري ما عدى "الآل" الميامينا!

عليهم بعد خير الرسل جدهم أزكى و أفضل ما صلى المصلونا..

و قال يمدح أمير المؤمنين عليا (ع) و يتجرم لأهل البيت:

ملكتم فؤادا ليس يدخله العدل فذكر سواكم كلما مر لا يحلوا!

يؤنبنى فى حبكم كل فارغ و لى بهواكم عن ملامتهم شغل

و ما ذا عسى تجدى الملامه فى الهوى لمن لا له فى الحب لب و لا عقل؟

لئن فرضوا منى السلو جهاله فحبكم عندى، هو الفرض و النفل

أ أسلو و لا صبغ المشيب بعارضى يلوح، و لا صبغ الشيبه منحل؟

و لو فى سواكم أهل بيت محمد غرامى لكان العدل عندى هو العدل

حملت هواكم فى زمان شيبتي و قد كنت طفلا و الغرام بكم طفل

فيا عاذلى فى حب آل محمد رويدك إنى عنهم قط لا أسلو

أ أسلو هوى قوم قضى باجتائهم، و تفضيلهم بين الورى العقل و النقل

أولئك أبناء النبى محمد، فقل ما تشا فيهم، فانك لا تغلو

فروع تسامت، أصلها سيد الورى، و "حيدره"، يا حبذا الفرع و الأصل

تفانوا على إظهار دين أبيهم كراما، و لا جبن لديهم و لا بخل

إلى الله أشكو عصبه قد تحاملوا عليهم، و دانوا بالأباطيل و اعتلوا

يرومون إطفاء لأنوار فضلهم و ما برحت أنوار فضلهم تغلو

و هم أنكروا فى شأنه بعد "أحمد" من النص أمرا ليس ينكره العقل

و قد نوه "المختار" طه" بذكره و قال لهم: هذا الخليفه و الأهل

و ولاه فى يوم "الغدیر" و لایه على الخلق طرا ما له أبدا عزل

و نص علیه بالإمامه دونهم و لو لم یکن نصا لقدمه الفضل

أ لیس أخاه، و المواسى بنفسه إذا ما التقى يوم الوغى الخیل و الرجل

أ ما كان أدناهم إلیه قرابه و أكثرهم علما، إذا عظم الجهل

أ ما كان أوفاهم إذا قال ذمه و أعظمهم حلما إذا زلت النعل

و أفصحهم عند التلاحى، و خیرهم نوالا إذا ما شیم نائله الجزل

یحجون "أنصار" الاله: باننا قرابته، منا به اتصل الجبل

و هل كانت "الأصحاب" أدنى قرابه، و أقرب رحما لو عقلتم أم الأهل

و هم أخذوا بعد النبى محمد من "ابنته" ما كان أنحلها قبل

تمالوا علیها غاصبین لحقها و قالوا: معاذ الله إن ثورت الرسل

و حکمهم لا شك فى ذاك باطل، و کیف یصح الفرع و الأصل مختل

أ لیس أمير المؤمنین هو الذى له دونهم فى ذلك العقد و الحل؟

و هم قتلوا من آل أحمد ساده كراما بهم یستدفع الضر و الأزل!

سقوا كل أرض من دماء رقابهم و شیعتهم، حتى ارتوى الحزن و السهل

فصبوا "بنى المختار"، إن أمامنا لموقف عدل عنده یقع الفصل

و عندى لمن عادا کم نصل مقول إذا ما انبرى يوما یحاذره النصل

حسن نراقى

من أسره نراقى المشهوره فى كاشان ولد عام ۱۳۱۰ فى كاشان و درس المقدمات و العلوم الإسلامیه فى مدارسها ثم رحل إلى طهران و زاوّل نشاطا فى المجالات الثقافیه التعليمیه. له عدده مؤلفات منها: الآثار التاريخیه لمدينتى كاشان و نطنز، تاریخ أسره نراقى، قام بتحقیق عدده كتب تراثیه منها:

نخبه البيان، قره العيون، اللمهه الالاهبه [الإلهیه]، الكلمات الوجیزه، كتاب مشكلات العلوم و غیرها من الكتب - كما أن له

مقالات عديدة في مجال الآثار و الأبنية التاريخيه.

و كان له اختصاص في الآثار و الأبنية و كان من مؤسسى (لجنه إحياء آثار مدينه كاشان) و قد سعى في تأسيس متحف مدينه كاشان توفى عام ١٤٠٩ بطهران و دفن في مدرسه آغا بزرگ بكاشان.(١)

السيد ركن الدين الحسن بن محمد بن يحيى بن هبه الله بن أبى الحسن على بن أبى جعفر محمد الحسينى الزبارى البيهقى

من أحفاد أبى جعفر أحمد بن محمد الزباره بن عبد الله المفقود بن الحسن المكفوف بن الحسن الأفتس بن على الأصغر بن الامام زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب ع.

توفى يوم الاثنين ٢١ ربيع الأول سنه (٥٤٣هـ).

من أكابر العلماء أخذ العلم و الفنون الإسلاميه على رجال أسرته و أفاضل بيهق حتى انتهت إليه الرئاسة الدينيه و الاجتماعيه و كان نقيب النقباء الطالبين فى بيهق و هو من أعلام أسرته البارزين آل الزباره و هم من أشرف البيوت العلويه و أعرق الأسر العلميه اشتهر هذا البيت الجليل فى بيهق من القرن الخامس للهجره و نبغ منه علماء أعلام و شعراء مجيدون.

منهم النقباء و زعماء العلويين و منهم شقيق المترجم له السيد أبو الحسن على الحسينى الزبارى البيهقى نقيب الطالبين فى بيهق الذى أهدى إليه ابن الفندق البيهقى شرحه على النهج البلاغه الآتى ذكره و منهم السيد الامام الرئيس ضياء الدين على الشاعر الأديب و منهم الشاعر الكبير السيد كمال الدين أبو الحسن الحسينى الزبارى البيهقى المتوفى بعد سنه (٥٤٣هـ).

و تخلف المترجم له بولدين عالمين فاضلين هما السيد جلال الدين محمد المتوفى سنه (٥٥٣هـ) و جمال الدين الحسين.(٢)

أبو سعد الحسن بن محمد بن على بن حمدون البغدادى.

توفى فى يوم السبت ١٠ جمادى الأول سنه (٥٤٦هـ).

من شيوخ الشيعة فى بغداد عالم فاضل أديب محقق كاتب محاسب أخذ العلم و الأدب من أفاضل عصره فى بغداد ثم تزعم ديوان محاسبات الدوله العباسيه و كان من شيوخ الكتاب فى البلاط العباسى.

و هو رأس آل ابن حمدون فى بغداد و هم من الأسر الشيعيه المعروفه التى بزغ بدرها فى أواخر القرن الخامس و مطلع القرن السادس للهجره نبغ منها علماء و شعراء و أول من اشتهر و نبه و عرف من رجالها هو المترجم له و هو والد العالمين العلمين الشيخ الرئيس أبو المعالى بهاء الدين محمد الملقب بكافى الكفاه و المتوفى فى سجن المستنجد بالله العباسى مظلوما فى سنه (٥٦٢هـ) لتشييعه صاحب كتاب التذكرة الحمدونيه و الشيخ أبى نصر محمد الملقب غرس الدوله المتوفى سنه (٥٤٢ [٥٤٥] هـ) ذكره ابن خلكان فى ترجمه ولده الشيخ أبو المعالى بهاء الدين محمد كافى الكفاه، قال: (و كان والدهما من شيوخ الكتاب

١- الشفخ محمد رضا الأنصارى.

٢- الشفخ عبد الحسين الصالحى.

و العارفين بقواعد التصرف و الحساب و له تصنيف فى معرفه الأعمال و عمر طويلا و توفى يوم السبت عشر جمادى الأولى سنه ست و أربعين و خمسمائه رحمهم الله تعالى أجمعين). (١)

و لم يذكر ابن خلكان محل دفن المترجم له و أما ولداه المذكوران فقد دفنا فى الكاظمين عند الإمامين محمد الجواد و موسى الكاظم ع و لا يستبعد أن يكون المترجم له دفن أيضا فى مقابر قريش عند ولده المتوفى سنه (٥٤٥هـ) غرس الدوله الذى صرح ابن خلكان بأنه دفن فى مقابر قريش و كانت وفاه المترجم له بعد وفاه ولده غرس الدوله بسنه واحده. (٢)

حسن بن محمود الكاشانى الأملى

المعروف بحسن كاشى.

من شعراء القرن الثامن الهجرى. كان منصرفا إلى مدح الأئمه ع لا سيما أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع). و قدم [قد] لقب فى كتاب (مؤنس الأحرار) بجمال الدين، و فى كتاب (الأقاليم السبعه) بكمال الدين، و لكنه اشتهر فى جميع المصادر بكاشى، و يتخلص أيضا فى شعره بكاشى.

جده و أبوه من كاشان، أما هو فقد ولد فى آمل و نشأ فيها، و هو يشير إلى ذلك فى أشعاره. و قال دولت شاه السمرقندى بأنه كان معاصرا للسلطان محمد خدابنده (٧٠٣ - ٧١٦)، و على هذا يكون قد عاش فتره من حياته فى القرن السابع، و لعدم وجود تاريخ دقيق لوفاته، فاننا لا نعرف مقدار السنين التى عاشها فى القرن الثامن.

و مع كونه شاعرا كبيرا فإنه لم يتكسب بشعره و لم يجعله طريقا إلى الارتزاق أو سيلا إلى البروز و الظهور، بل كان مؤمنا متقيا قانعا يعيش [بعيش] بسيط.

سافر إلى مكه و المدينه و النجف. و له قصيده من سبعة أبيات مشهوره كتبها القاضى نور الله فى مجالس المؤمنين و قال عنها: "هناك درر من الشعر فى مدح الامام، و لكن السباعيه الكاشيه أجمل و ألطف ما قيل فى هذا المضمون".

و أشعاره معروفه عند علماء الشيعة، و عند الشعراء من قديم الأيام حتى هذا اليوم.

لا تعرف تاريخ وفاته، أما مدفنه فى مدينه (السلطانيه). و ذكر المؤرخون أن الشاه إسماعيل الصفوى أمر ببناء مرقده و إقامه حديقته بجانبه و كان قبره مقصد الزياره.

و بالرغم من خراب مدينه السلطانيه و صيرورتها قريه بسيطه، فان قبره لا يزال قائما فى جانب من السهل الواسع الذى كانت تقوم عليه السلطانيه أيام عمرانها.

السيد حسن مير خانى.

ولد فى طهران سنه (١٣٣٢هـ) و توفى سنه (١٤١١هـ).

كبير أساتذته الخط في إيران في هذا العصر، لقب بسراج الكتاب، و هو من أسره مشهوره رجالها بفنون الخط و الرسم و العرفان، تتلمذ على يد الميرزا محمد رضا كلهر و تعلم الخط و هو في صغر سنه عند أبيه في حين كان يتابع دراسته المنتظمه في المدارس الحديثه، و قد ترك ثلاثه و عشرين أثرا خطيا جميلا و طيله خمسين سنه ظل منشغلا بكتابه دواوين شعرية و كتب نثرية.

أسس معاهد لتعلم الخط، و كان عضوا بارزا في مؤسسه الخطاطين في طهران و هو من أوائل مؤسسيها و قد خلف تلاميذ كبارا في الخط، و من آثاره الخطية المهمه:

ديوان سعدي، مثنوى المولوي، خمسه النظامي، ديوان حافظ، زبده الأسرار، ديوان موافق ميرزا علي أكبر الملقب ب توافق على شاه، رساله النصائح لسعدي، أشعار بابا طاهر، نماذج الخط، الأئمه الاثنا عشر لخواجه نصير الدين الطوسي - المجموعه الفنيه للخط، منتخب اللغه، خلاصه شرح أحوال مولانا.

الشيخ أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن إبراهيم البصري.

كان حيا في حدود سنه (٤٢٣ هـ).

من أكابر العلماء أخذ الفقه و الحديث على أفاضل علماء عصره و في سنه (٣٨٠ هـ) التقى في المدينه أبا الحسين يحيى بن محمد الحقيني و أخذ عنه و روى عنه و ذكره النسابة السيد فخار بن معد الموسوي الحائري في كتابه الحججه على الذاهب إلى تكفير أبي طالب. و تولى المترجم له كرسى التدريس في البصره و تخرج عليه جماعه أشهرهم النسابة السيد الشريف نجم الدين أبي الحسن علي بن محمد العمري المعروف بابن الصوفي صاحب كتاب (المجدي في أنساب الطالبين) كما صرح في كتابه و قال: (فحدثني شيخنا أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن إبراهيم الفقيه الامامى البصرى رحمه الله و كان لا يسأل إذا أرسل ثقه و اضطلاعا...)(٣).

كان المترجم له عالما و عارفا بقصص العرب و أخبارهم و أشعارهم نقل عنه تلميذه العمري أشعار السيد أبي القاسم أحمد بن الحسين بن علي السكران الأفضسى الحسيني الشاعر الأديب قال: (أنشدني شيخنا أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن إبراهيم الفقيه البصرى رحمه الله له)(٤) ذكره شيخنا في طبقات أعلام الشيعة مره عن ابن عنبه(٥) في ترجمه مستقلة باسم الحسن بن أحمد(٦) و هو من خطا الناسخ و مره عن النسابة السيد فخار بن معد الموسوي الحائري المتوفى سنه (٦٣٠ هـ) عن كتابه الحججه على الذاهب إلى تكفير أبي طالب تحت عنوان الحسين بن أحمد(٧) و هو الصحيح حيث جاء في غير موضع من مواضع كتاب المجدي لتلميذ العمري في الطبعة المحققه باسم الحسين بن أحمد و ذكر المترجم له السيد المرعشى النجفي في مقدمه كتاب المجدي مع مشايخ العمري باسم الحسين بن أحمد و لم ينتبه إلى النسخه المطبوعه من كتاب عمده الطالب الذي ذكر فيها باسم الحسن بن أحمد الذي

ص: ١٣٨

- ٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٣- أبى الحسن على بن محمد العمرى: المجدى فى أنساب الطالبين تحقيق الدكتور أحمد المهدوى ص ١٣٦ قم منشورات المكتبة المرعشيه.
- ٤- نفس المصدر ص ٢١٤.
- ٥- جمال الدين أحمد المعروف بابن عنبه: عمده الطالب تحقيق السيد محمد حسن الطالقانى ص ٣٤٥ النجف منشورات الحيدريه.
- ٦- الشيخ آغا بزرك الطهرانى: النابس فى القرن الخامس ص ٤٨ بيروت دار الكتاب العربى.
- ٧- نفس المصدر ص ٥٧.

أدى إلى التباس على شيخنا الطهراني و ذكره في ترجمتين مستقلتين في طبقات أعلام الشيعة. (١)

الشيخ أبو علي الحسين بن أحمد البيهقي الحاكم النيسابوري.

توفي بعد سنة (٣٥٢ هـ). مر ذكره في أعيان الشيعة ج ٥ ص ٤١٨ و نزيد على ذلك ما يلي:

من فحول المحدثين و أكابر فقهاء الشيعة و حاكم مدينه بيهق. أخذ العلم من أفاضل عصره و كان يروى عن محمد بن يحيى الصولى المتوفى سنة (٣٣٥ هـ).

و المترجم له من مشايخ الصدوق كما جاء فى رياض العلماء ج ٢ ص ١٠ و فى المجلس ٩٤ من كتاب (الأمالي) و أكثر الصدوق من الروايه عنه فى كتابه (عيون أخبار الرضا) قال (حدثنا الحاكم أبو علي الحسين بن أحمد البيهقي نيسابور فى سنة (٣٥٢ هـ) قال حدثنى محمد بن يحيى الصولى الذى توفى سنة (٣٣٥ هـ) و ذكره شيخنا فى طبقات أعلام الشيعة. (٢)

حسين إسلاميان

يعد من أكبر الفنانين فى فن التذهيب منذ عهد الصفويين إلى الآن ولد فى أصفهان عام ١٣٣٤ و كان أبوه و جده من الفنانين فى هذه المهنة درس و تعلم مهنته عند خيره أساتذه فن التذهيب فى أصفهان حتى فاق أساتذته.

له أعمال كثيرة بيعت أكثرها فى المعارض و المزادات العالميه خارج إيران أو أعطيت هدايا للزعماء و رؤساء الدول الذين زاروا إيران توفى سنة ١٤٠٠. (٣)

السيد حسين بلگرامى الملقب عماد الملك

ولد سنه [سنه] ١٢٦٠ فى الهند و توفى سنة ١٣٤٠.

كان عالما فاضلا يتقن اللغات: العربيه و الفارسيه و الإنكليزيه، أديبا باللغه الأردويه. ترجم القرآن إلى اللغه الإنكليزيه.

الدكتور حسين الحاتمي

أستاذ كليه الحقوق فى جامعه إستانبول، و الشائع صيته فى الأوساط العلميه التركيه و المعروف بتحقيقاته و تأليفاته، و الذى يضرب به المثل فى قوه التحقيق و جوده التأليف، و حسن السلوك و شده التقيد بالأحكام الدينيه له تأليف منها:

١ - الحكومه الإسلاميه: دراسه بعيده الجذور فى مواضيع الحكومه الإسلاميه، فى كل أبعادها على ضوء الكتاب و السنه، و هو أحسن كتاب رأته فى موضوع الحكومه الإسلاميه، انتشر فى إستانبول قبل عشرين سنة.

٢ - الأحوال الشخصيه، بحث مقارنة بين الفقه الشيعى و القانون العثمانى و القانون الأوروبى، نشرته كليه الحقوق فى جامعه إستانبول.

٣ - أدب الطباعة، كتاب مبتكر فى فنه، لم يسبقه كتاب فيما أعلم، بحث مقارن بين الأخلاق الساميه الإسلاميه و القوانين الأورويه و العثمانيه، فى شتى المجالات المتعلقة بعالم المطبوعات. ٤ - المجتمع فى نظر الإسلام، بحث اجتماعى قيم على ضوء الكتاب و السنه حول المجتمع:

٥ - حقوق المرأه فى الكتاب و السنه، و هو مبسوط محاضره قيمه.

ألقاها فى مؤتمر ثقافى حافل، انعقد فى إستانبول، و اشترك فيه جم غفير من الشخصيات الإسلاميه و الرجال العلميه، قبل عشره أعوام. و له آثار مطبوعه آخر لا تحضرنى أسماؤها:

و قد نقل إلى التركى كتبا كثيرا، منها:

٦ - الحكومه الإسلاميه لقائد الثوره الإسلاميه.

٧ - الدستور الايرانى.

٨ - كراسات عديده لراقم السطور.

و له مقالات دينيه و أخرى علميه انتشرت فى الجرائد و المجلات، كما أن له محاضرات قيمه ألقاها فى إيران و ألمانيا الغربيه و تركيا.

انتهى ما كتبه لنا الشيخ على أكبر مهدي پور عن المترجم. و لم يذكر تاريخ ولادته و لا ما إذا كان لا يزال حيا أم لا. و ما كتبه لنا كان سنه ١٤٠٨ و نحن الآن فى سنه ١٤١١ و نحن مع رجائنا للمترجم طول العمر، و أن يكون حيا حين كتابه هذه الكلمه، نشرنا هذه الترجمة مع من ننشر تراجمهم من غير الأحياء لأننا لا نترجم للأحياء - حفظا لذكر المترجم من الضياع إذا لم ننشر ترجمته الآن. و كلنا فى النهايه للموت.

الحسين بن الحكم بن مسلم الحبرى، أبى عبد الله الكوفى،

توفى سنه ٢٨٦.

ترجم له ابن شهر آشوب - المتوفى سنه ٥٨٨ هـ - فى معالم العلماء و قال: "له كتاب: ما نزل من القرآن فى أهل البيت (ع)". كما ذكر له كتاب "المسند" أو "المستند".

ضبطه ابن مأكولا فى الإكمال ٤١/٣: فقال: "أما الحبرى، بكسر الحاء المهمله و فتح ألباء المعجمه بواحد و بالراء فهو "الحسين بن الحكم بن مسلم الحبرى الكوفى، يروى عن إسماعيل بن أبان و أبى حفص الأعشى...".

و فى أنساب السمعاني ٤٤/٤ نحوه.

و هو ثقه، وثقه الدارقطنى فى "سؤالات الحاكم النيسابورى عنه" ص ١١٤ فقال: "الحسين بن الحكم بن مسلم الحبرى، ثقه.

له كتاب ما نزل من القرآن فى حق على منه:

١ - مخطوطه فى طشقند بالاتحاد السوفيتى، سميت بالتنزيل أو تنزيل الآيات، جاء فى نهايتها: "آخر التنزيل جمع الحبرى،... هذه النسخه نقلت من الخزانة الشريفه المستنصرية من نسخه بخط ابن هلال الكاتب المعروف بابن البواب رحمه الله.

فرغ من نسخها العبد الفقير إلى الله محمد بن الحسن ابن النعائم، يوم السادس من شوال سنه ٦٦١هـ.

و عليها ختم فيها رقم الكتاب ٣٢١٦، و كتب فيه: "بوخارا دولت كوتوبخانه سننك انباريدن تالندى" أى أخذ من مخزن مكتبه بخارى الحكوميه.

ص: ١٣٩

-
- ١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
 - ٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
 - ٣- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

و هي من وقف خواجه بارسا محمد بن محمد بن محمود الحافظ البخارى، المتوفى سنة ٨٦٥هـ، و عليها ختمه، و قد ظفر بها الدكتور حسين على محفوظ عند سفره إلى الاتحاد السوفيتى، و جدها فى المجمع العلمى الأورزبكى فى طشقند، ضمن المجموعه رقم ٢٩٨٨، فصورها بالميكروفيلم و هي بخط نسخ و ثلث جيد خشن.

٢ - نسخه بخط ياقوت بخط نسخ جميل رائع، جاء فى نهايتها:

"آخر ما نزل من القرآن فى أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع)، جمع الحبرى، كتبه الفقير إلى رحمه ربه الغنى ياقوت المستعصمى بالخزانه المستنصرية... فى تاسع شهر رمضان سنه ست و ... عمائه [سبعمائمه]".

و هذه النسخه فى مكتبه مجلس الأعيان الايرانى السابق (سنا) برقم ٤٠١، ذكرت فى فهرستها.

و قد نشره لأول مره السيد أحمد الحسينى الاشكورى، فطبعه فى قمسنه ١٣٩٥. باسم "ما نزل من القرآن فى أهل البيت (ع)".

و نشر مره ثانيه فى بيروت بتحقيق السيد محمد رضا الحسينى الجلالى.

و صدر من منشورات مؤسسه آل البيت - (ع) - لإحياء التراث/فرع بيروتسنه ١٤٠٨ ١٩٨٧ باسم "تفسير الحبرى"! مع مقدمه إضافيه و دراسه شامله عن الكتاب و مؤلفه و استدراقات و تخريجات و فهارس فنيه.

حسين الخالص الأصفهاني

توفى سنه ١١٢٢.

كان عالما فاضلا، إیرانى الأصل، ثم اختار السكن فى دلهى و أكره فى الهند. كان شاعرا يتخلص باسم (خالص) فاشتهر به.

السيد حسين بن نور الدين الجزائرى

توفى حدود سنه ١١٨٠.

هو أخو السيد نعمه الله الجزائرى. كان عالما فاضلا شاعرا باللغه الفارسيه. سكن دلهى ثم جاء إلى البنغال ثم انتقل إلى النجف. أمضى حياته فى العباده و المطالعه و التحقيق.

حسين خديو جم

ولد فى مشهد (خراسان) و توفى بها عام ١٤٠٦ درس العلوم الإسلاميه فى حوزة خراسان ثم عمل مده فى المكتبه الوطنيه بطهران و قام بكتابه مقالات عديده حول الأدب و التاريخ و التراث فى مجلات أدبيه و اختير أخيرا مستشارا ثقافيا فى السفاره الإیرانيه بكابل.

كان يعد مترجما بارعا فقد ترجم عده كتب من العربيه إلى الفارسيه منها فيلسوف المعره لعمر فروخ و إحياء علوم الدين للغزالي

و حقائق الأخبار للخور هو جى. كما ترجم بعض مؤلفات طه حسين منها كتابه الأيام حيث يعد نص ترجمته من روائع الأدب الفارسی فی ایران، كما قام بتحقيق مجموعه من الكتب التراثية مثل (كيمياء سعادته للغزالي) وغيره. (1)

ابن سينا الحسين بن عبد الله بن علي

مرت ترجمته في الصفحة ٦٩ من المجلد السادس من (الأعيان) ثم مر بحث عنه في الجزء الأول من (المستدرجات) ثم بحث في المجلد الثاني منها.

و نشر هنا دراسه عن مرض الميلانخوليا (السوداويه) بين قانون ابن سينا و الرؤيه الطبيه الحديثه بقلم الدكتور محمد أحمد النابلسي:

الميلانخوليا في قانون ابن سينا

إن الترام ابن سينا بنظريه طبيه فلسفيه كان يدفعه إلى إيراد تطبيقاتها على فصول قانونه و مواضيعه. و بالرغم من أن نظريته في الأخلاط لا تزال موضع احترام فاننا لن نتطرق إليها لأن هدفنا هو تحديد مفهومه للميلانخوليا و تصنيفه لها و التمييز بين دلالات المصطلحات لديه و بين دلالاتها الحاليه و على هذا الأساس نعود إلى قانون ابن سينا فنجد أنه يتناول موضوع الميلانخوليا على النحو التالي:

تعريف الميلانخوليا

هي تغير الظنون و الفكر عن المجرى الطبيعي إلى الفساد و إلى الخوف و رداءه المزاج... و إذا تركت مالنخوليا مع ضجر و توثب و شراره انتقل فسمى مانيا (هوس)... و منها ما يسمى مالنخوليا مراقبه... و المراق إذا استحکم فالتفزع و سوء الظنون و الغم و الوحشه و الكرب و هنيان كلام و شيق لكثرة الربح و أصناف من الخوف مما لا يكون أو يكون و أكثر خوفه مما لا يخاف في العاده. و تكون هذه الأصناف غير محدوده و بعضهم يخاف سقوط الشيء عليه و بعضهم يخاف ابتلاع الأرض إياه و بعضهم يخاف الجن و بعضهم يخاف السلطان و بعضهم يخاف اللصوص و بعضهم يتقى ألاما- يدخل عليه سبع. و قد يكون للأمور الماضيه في ذلك تأثير.

ثم منهم من يضحك... لأنه يتخيل ما يلذه و يسره و منهم من يبكي خصوصا الذي مالنخولياه سوداوى محض و منهم من يحب الموت و منهم من يبغضه و علاقته ما كان خاص بالدماع إفراط في الفكره و دوام الوسواس و نظر دائم إلى الشيء الواحد و إلى الأرض.

تصنيف الميلانخوليا

لدى مراجعتنا لتصنيف ابن سينا للميلانخوليا نجد ارتباكا يعود في أساسه إلى نظريته في الأخلاط فهو يصر على تصنيف أنواع الميلانخوليا وفق هذه النظرية و باختصار يمكننا إنجاز تصنيف الميلانخوليا لدى ابن سينا على النحو التالي:

١ - الميلائنخوليا السؤءاوية. المفضه (و هي ءعادل ما نسميه اليوم بالكآبه).

٢ - الميلائنخوليا السؤءاوية، الدمويه: مع فرح و ضحك (و هي ءعادل الهوس الانهيارى).

٣ - الميلائنخوليا السؤءاوية. البلغميه مع قله حركة و كسل و سكون (و ءعادل الانهيار).

٤ - الميلائنخوليا السؤءاوية. الصفراويه: و هي أءنى جنونا (و ءعادل

ص: ١٤٠

١- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

الفصام المزاجي).

٥ - الميلانخوليا المراقبه (و يصفها ابن سينا بنفس أوصاف الخوف من فقدان التوازن العقلي لدى المصابين بالوساوس المرضيه).

و هذا التصنيف كما نلاحظ يكاد يتطابق مع التصنيفات الحديثه للطب النفسى فإذا ما أردنا نقده فى ضوء المعاصره فلا بد أن يراعى النقد مجموعه من النقاط أهمها:

إن مرض الفصام لم يعرف و لم يحدد إلا فى بدايات القرن العشرين و قبل هذا التاريخ كان العلماء يخلطون بين الفصام و الكابه خصوصا فى الحالات التى يكون فيها الفصام من النوع المزاجى حتى أن هذا الخلط لا يزال واردا، فى بدايات المرض، لغايه اليوم ذلك أن حالات فصاميه عده تبدأ بصوره تدريجيه و تتخفى خلف الوسواس أو خلف اضطراب المزاج. و هكذا كان من الطبيعى أن نجد ابن سينا و هو يخلط بين الفصام و الميلانخوليا.

ب - إن أى اكتشاف علمى يجب أن يستند إلى فكر متعال قادر على تشكيل الفكره الإبداعيه و إن كانت هذه الفكره لا تظهر إلى حيز الوجود، محققه الإبداع إلا بعد حصول عمليه الاستبصار و من الأفكار الابداعيه لابن سينا فى الميلانخوليا تذكر: ربطه بين القامه و لون الجلد و مرض الميلانخوليا:

فهو يرى أن الميلانخوليا الصفراويه تقل لدى البيض السمان و تكثر لدى الأدم القضاة...، و هذا ما تشير إليه الأبحاث الحديثه التى تؤكد زياده نسبة الفصام بين المتطاولين و انخفاضها لدى المربوعين كما تشير إلى ارتفاع هذه النسبه كلما اتجهنا من الغرب نحو الشرق.

اعتماده مبدأ الاضطراب المزاجى الفصلى: يسجل ابن سينا ملاحظات عده تربط بين الميلانخوليا و بين فصول السنه و من ذلك قوله أن البلغميين (المنهارين) هم أصحاب عله تقل فى الشتاء و تكثر فى الصيف و الخريف و قد تهيج فى الربيع...

و معلوم أن مبدأ الانهيار الفصلى بات يناقش جديا فى الأبحاث النفسيه، و إن كانت هذه الأبحاث تشير إلى احتمالات زياده الانهيار فى فصل الشتاء (و تقترح له علاجا بتعريض المريض للضوء) و هنا لا بد من أن تأخذ فى عين الاعتبار الاختلاف بين صقيع الشتاء و غياب الشمس (فى البلاد التى تجرى فيها هذه الأبحاث) و بين الشتاء الدافئ و شمس الساطعه فى البلدان التى عاش فيها ابن سينا و مرضاه.

علاج الميلانخوليا عند ابن سينا

يعتمد علاج ابن سينا لحالات الميلانخوليا على طب الأعشاب و تحديدا على بعض و صفات كانت معروفه قبله و أضاف هو بعضها. و لكننا، قبل مناقشه الاقتراحات العلاجيه - الدوائيه، نود مناقشه منهجيه العلاج الذى يقترحه ابن سينا و التى تتلخص فى أقواله:

١ - " يجب أن يبادر بعلاجه قبل أن يستحكم فإنه سهل الابتداء صعب عند الاستحكام. و يجب على كل حال أن يفرح صاحبه و

يطرب و يجلس فى المواضع المعتدله و يرطب هواء مسكنه... إلخ".

٢- " و لا أضر له من الفراغ و الخلوه.. فان نفس إعراضهم عن الفكر (بمعنى إلهائهم عنه) علاج لهم أصيل.. إلخ "٣- " يتغير العلاج باختلاف نوع الميلانخوليا... إلخ".

٤- " ...فالنوم أفضل علاجات الميلانخوليا و يتدارك بما يفيد من الصلاح... إلخ".

و تجدر الإشارة هنا إلى أن عددا من الباحثين المعاصرين يميل لاعتبار اضطراب النوم سببا رئيسيا فى تعقيد حاله الميلانخوليا و تطورها نحو الأسوأ.

و على هذا الأساس ينصح هؤلاء باخضاع المريض لدورات نوم (بحيث يتم تنويمه ٢٠/٢٤ ساعه لمده لا تقل عن أسبوعين). و لقد تدعمت هذه الآراء من خلال الدراسات التى تناولت " النوم".

أما عن العلاج الدوائى الذى يقترحه ابن سينا لعلاج الميلانخوليا (و هى أدويه عشبيه بحتة) فإنه يركز على النارينج (فاليريانا). و هذا العلاج أثبت فاعليه جعلته يفرض نفسه فى العياده الحديثه. و هو، و أن كان أقل مفعولا من الأدويه الحديثه التى عرفناها منذ مطلع الخمسينات فقط يمتاز عنها لجبهه عدم تسببه بالآثار الجانبيه التى تسببها الأدويه الحديثه و بخاصه التأثير على القلب أن يلعب النارينج مفعولا علاجيا على عكس العديد من الأدويه الحديثه. كما نذكر نصيحه ابن سينا باستعمال الخشخاش و لكن مع التنبه إلى مضاره.

و بلغ اهتمامه ابن سينا بالغذاء. و استخداماته فى علاج الميلانخوليا، ما دفعه إلى تحديد أصناف المأكولات التى تنفع و تلك الواجب تجنبها من قبل المريض. و صفاته فى هذا المجال تشبه إلى حد بعيد و صفات الطب التجانسى المعاصر، و من أمثله اهتمامه باستخدام الغذاء فى العلاج تلك الحيله التى استخدمها فى علاج مريض الميلانخوليا الضعيف الذى كان يظن أنه بقره.

إذ عمد ابن سينا إلى الإيحاء بقناعته بضروره ذبح المريض - البقره - و لكنه أجل ذبحه بسبب هزاله و اشترط تسمينه حتى يذبحه، فإذا ما أكل المريض و استعاد عافيته الجسديه تمكن من تخطى أزمته النفسيه و شفى.

حاله عياديه

معالج هذه الحاله هو " أوحد الزمان أبو البركات هبه الله بن على " الذى عاصر الخليفه العباسى المستنجد بالله و عمل فى خدمته، و الحاله تتعلق بابن أحد الأثرياء البغداديين. إذ أصيب بالميلانخوليا و كان يعتقد أن على رأسه جره لا تفارقه، فإذا سار فإنه يتحايد المواضع التى سقوفها واطئه و يمشى برفق و لا- يترك أحدا يدنو منه حتى لا- تقع الجره عن رأسه. و قد بقى فى هذا المرض مده و اهله فى شدة منه.

و بعد عرضه على مجموعه من الأطباء نصح أهل الفتى بالاستعانه بالطبيب "أوحد الزمان"، فقصدوه راجين معالجه ابنهم و باذلين له المال الكثير. و بعد معاينته للمريض قال للأب: "ما أرى لابنك إلا علاجا واحدا أرجو أن ينفعه. سأتيكم فى الغد و قد هيات أمرا فإذا دخلت عليك فائتنى بابنك برفق و أنه للسلام على و سترى ما أفعل و على الله الاتكال".

فوق رأسه قائلا: أ رأيت لم يبق شىء؟ و عندها صاح الفتى: "أى و الله لقد زالت الجره عن رأسى" و قام يدوس قطعها المتناثره على الأرض تشفيا.

التعليق على الحاله

فى حينه صنفت هذه الحاله على أنها ميلانخوليا. و لكننا إذ نقرأها اليوم فان الخطوه الأولى هى العمل على فهم الحاله و تشخيصها وفق التصنيفات الحديثه. فإذا ما رجعنا للمعطيات القليله الوارده فيها أمكننا تصنيف الحاله فى خانة "الانهيار الذهاني" إذ تتمازج فيها مظاهر اضطراب بالمزاج مع الأفكار غير المنطقيه.

و هذا التصنيف يطرح السؤال: كيف أمكن شفاء هذه الحانه عن طريق العلاج الايحائي لوحده؟ هذا علما بان هذا النوع من الانهيار يستجيب للعلاج الدوائى فقط و الجواب فى رأينا هو إن هذا الانهيار كان من النوع الدورى (بمعنى أنه يتكرر كل فتره) و عند ما قبل "أوحد الزمان" هذا المريض كان هذا الأخير اجتاز المرحله الانهياريه و لكنه كان يواجه إشكاليه تبرير مظاهره غير المنطقيه. بمعنى أنه كان يريد العوده إلى عالم الأصحاء من دون أن يدين نفسه بنفسه، لأن هذه الادانه تعنى اعترافه بجنونه فى مقاييس تلك الأيام (و ربما فى بعض المقاييس الحاضره).

و لكننا لا- نستطيع تدعيم فرضيتنا هذه لأننا لا- نملك المعطيات الكافيه لتأكيدنا خصوصا لجهه معرفه ما إذا عاد المريض و تعرض لنوبات انهياريه أخرى إلا أننا نستطيع أن تؤكد أن الاشكاليه التى طرحها هذا المريض كانت و ستظل مطروحه فى العياده النفسيه. إذ أن جميع المعانين من وطاه أفكار لا منطقيه يعانون أزمه لدى وعيهم لهذه الأفكار. و من مظاهر هذه الأزمه "الحزن على الذات" و التى بات الآخرون ينظرون إليها على أنها مجنونه حتى أن بعض هؤلاء المرضى ينتحرو فى هذه المرحله فى حين يفضل بعضهم العوده إلى احضان المرض و اللامنطق و يبقى قسم ثالث منهم بانتظار الفرص لمنطقه لا- منطقهم و لإيجاد التبريرات له. و الحاله الأخيره هى حاله مريض "أوحد الزمان".

الميلانخوليا فى أدبيات التراث العربى

لدى متابعتنا قراءه قانون ابن سينا نلاحظ أنه يضيف إلى أنواع الميلانخوليا الخمسه المذكوره أعلاه نوعين آخرين هما:

١ - القطرب (كآبه شديده مع رغبه فى الموت و زياره المقابر).

٢ - العشق (و يعتبره ابن سينا مرضا وسواسيا موازيا للميلانخوليا).

و بهذه الزيادة يكون ابن سينا أطلق تعبير (البيسيكياتريه) و نلاحظ أنه يدرج فى هذه الخانه علائم الأمراض العقليه التاليه: ١ - الفصام بأنواعه. ٢ - الانهيار بأنواعه، ٣ - الكابه. ٤ - الهوس الانهيارى. ٥ - الهوس الدورى. الهذيان الهذائى.

و انطلاقا من هذا التعميم يمكننا اعتبار الميلانخوليا بمنزله "الموجز فى الطب النفسى لدى ابن سينا". و بما أن الشيخ الرئيس أثر فى علماء عصره و العصور التى تلت، و لغايه اليوم، فان نظرتيه هذه امتدت لتطال أطباء عديدين فى تراثنا. و هذا ما يحدونا للدعوه إلى عدم إهمال تحقيق مخطوطات مهمه مثل مخطوطه "فى الميلانخوليا" لأحمد بن أبى الأشعث و "مقال فى معرض

المرقية "السعيد بن أبي بشر... إلخ، و ذلك فى ضوء المعطيات البسيكياتريه المعاصره.

الشيخ جمال الدين الحسين بن على البيهقى

كان حيا فى جمادى الأولى سنة ٥٥٢.

من علماء الشيعة فى بيهق و مشاهيرهم فى عصره أخذ العلم و المعارف الإسلاميه عن جماعه من أفاضل علماء عصره و هو من أحفاد على بن حمزه بن عبد الله الكسائى النحوى الكوفى أحد القراء السبعة المتوفى فى قريه زنبوريه فى نواحي مدينه الرى سنة ١٨٩ (١) و بنت المترجم له المعروفه بام العزيز كانت زوجه السيد عماد الدين على بن محمد بن يحيى بن هبه الله البيهقى (٢) الذى ألف أبو الحسن على بن زيد البيهقى المعروف بابن الفندق شرح نهج البلاغه باسمها. (٣)

حسين على رزم آرا بن محمد

ولد فى طهران سنة ١٣١١.

درس فى إيران و تخرج من المدارس العسكريه، ثم سافر للدراسه فى فرنسا و تخصص بالجغرافيا و الخرائط، ثم عاد إلى إيران. صدر له من المؤلفات: معجم إيران الجغرافى فى عشره مجلدات، و جعبه رزم آرا، و طريقه رزم آرا. و هى لتعليم عمليات التخطيط و عمل الخرائط، إلى غير ذلك.

و من ابتكاراته: بوصله القبله، المعروفه ب (قبله نامه رزم آرا) التى تحدد القبله لجميع البلاد.

الشيخ حسين بن الشيخ على بن الشيخ الحسن بن الشيخ على بن الشيخ سليمان بن الشيخ أحمد آل حاجى البلادى البحرانى القطيفى

المعروف بالقديحى.

ولد فى النجف الأشرف ١٨ شوال سنة ١٣٠٢ و توفى فى القديح ٢ ذى القعدة الحرام سنة ١٣٨٧ من أئمه الدين و أفاضل العلماء فى القديح. أديب شاعر مؤلف.

قرأ المقدمات و فنون الأدب على علماء عصره و تخرج على أبيه صاحب أنوار البدرين المتوفى سنة ١٣٤٠ و غيره من أعلام القطيف ثم هاجر مع والده إلى القديح و أولع بالتأليف و التصنيف و انتهت إليه الرئاسة بعد وفاه أبيه.

ترك المترجم له آثارا و ماثر منها بناء حسينيه ضخمه فى مدينه القديح و أسس لها مكتبه عامه و تقام فيها حفلات دينيه فى مناسبات مختلفه، كما و طبع له كثير من مؤلفاته المختلفه نظما و نثرا منها كتاب رياض المدح و الرثاء للسادات النجباء، كنز الفوائد و مجمع الزوائد فى المواعظ و الخطب، كنز المناقب و المصائب، إظهار الحزن المتراكم فى وفاه الامام موسى بن جعفر (ع)، التحفه الحسينيه فى المواعظ و المناقب، كنز الدرر و مجمع الغرر نظير الكشكول، منجى العباد فى يوم المعاد أدعيه و

أذكار، نزهه الناظر، تفريح القلوب، سعادة الدارين، نعم المتجر، روح الجنان، سفينة المسكين، مهيج الأشجان، منظومه في الامامه، منظومه في أصول الدين، منظومه في آداب الأكل و الشرب، و له مقاتل لسيدنا العباس (ع) و على الأكبر

ص: ١٤٢

-
- ١- أبو الحسن على بن زيد البيهقي تاريخ بيهق تحقيق أحمد بهمنيار ص ٥٨.
 - ٢- نفس المصدر ص ٥٨.
 - ٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

و القاسم، ديوان شعر فى مرأى الأئمه ع فى مجلدات عديده.

الشيخ حسين على راشد

ولد فى مدينه تربت حيدريره من مدن شرق خراسان سنه ١٣٢٤ و توفى بطهران عام ١٣٩٩.

درس العلوم الإسلاميه فى مسقط رأسه ثم فى مشهد خراسان ثم فى النجف و بعد أن عاد من العراق زاول الوعظ و الإرشاد و الخطابه و بعد تأسيس الاذاعه الإيرانيه صار خطيبها الرسمى فى ليالى الجمعه و المناسبات الدينيه و استمر على ذلك مده ٤٠ سنه حيث كسب شهره واسعده داخل إيران لحسن بيانه و جمال حديثه و تناسب المواضيع التى كان يطرحها و طيله هذه العقود الأربعه لم يسمع منه خلال حديثه مدح أو ذم لأحد و يروى أن ملكك أفغانستان(ظاهر شاه) كان من المستمعين له و كان يقوم من مجلس وزرائه ليستمع إلى وعظه من إذاعه طهران.

كان أستاذًا فى كليه الإلهيات بجامعة طهران سنين طويله. كف بصره فى أواخر حياته و قد طبع قسم من أحاديثه الاذاعيه فى خمس مجلدات باسم (سخنرانى هاى راشد در راديو طهران). (١)

باد شاه حسين بن فدا حسين

توفى سنه ١٣٥٦ فى سيتابور (الهند).

من فضلاء الهند كان يجيد الأردويه و العربيه و الفارسيه و الإنكليزيه و السنسكريتيه.

قام بتفسير القرآن باللغه الإنكليزيه و مات قبل أن يتمه، و قد طبع بعض ما أتمه فى عده مجلدات و بقى الباقي مخطوطا فى مكتبه مدرسه الواعظين. و بعد وفاته أكمل افتخار حسين بتكليف من السيد نجم الحسن تفسير الباقي و لكنه لم يطبع.

كمال الدين حسين بن محمد ضميرى.

توفى سنه ٩٧٣ على ما ذكره إسماعيل باشا فى (إيضاح المكنون) أو سنه ١٠٠٠ على ما فى تذكره الغنى و لكن هذا الرأى مستبعد. هو من مشهورى شعراء الفرس فى القرن العاشر الهجرى. على أن هناك ضميريا آخر معاصر له، هو من مدينه همذان.

قال سام ميرزا عن المترجم: فاضل لا نظير له فى علم النجوم، دقيق فى الحديث، ذو طبع عال، اشتهر منذ أوائل شبابه بالعلم و الأدب. تتلمذ عليه مير غياث الدين و منصور دشتكى الشيرازى فى الطب و الرياضيات و النجوم.

و بمواهبه العلميه الأديبه اتصل بالشاه طهماسب و بالعائله المالكه حتى آخر حياته، و كان صديقا لشعراء وقته سواء منهم الذين انتموا للقصر الصفوى أو الذين لم ينتموا إليه، مثل شرف، و محتشم، و حسابى.

كان متفوقا فى القصيده و فى المثنوى و فى الغزل، يشبهونه بأمر خسرو الدهلوى، لذلك لقب بخسرو الثانى. دون أمين الرازى لضميرى مائه ألف بيت من الشعر: سبعون ألفا فى الغزل، و اثنى عشر ألف قصيده فى مدح أئمه أهل البيت ع، و ثمانيه عشر

ألف في المثنوى.

له عدة دواوين و لكل واحد منها اسم، كان في بعضها على طريقه غيره من الشعراء، و في بعضها الآخر غير متبع طريقه أحد. و تقى الدين كاشى الذى سافر إلى أصفهان ليجمع أشعار ضميرى هناك و حل ضيفا عليه، رأى جميع دواوينه و اختار منها ألف بيت، نقلها في كتابه (خلاصه الأشعار) و عدد أسماء بعض دواوينه، فمن الغزل و المثنوى: سفينه الإقبال، و صوره الحال، و كنز الأقوال، و صيقل الحلال، و عشق اللازوال، و مقال العذر، و خصال القدس، و مجموعه الإجلال، و في جواب شعر سعدى الشيرازى، و الطاهرات، و الصنائع، و بدايه الشعر، و نهايه السحر، و عيون الزلال في جواب حافظ الشيرازى، و مرآه الجهل في جواب بابا فغانى، و معراج الآمال في جواب الجامى، و أنيس الليالى في جواب الشاعر لسانى، و السحر الحلال في جواب الشاعر شاهى، و فراغ البال في جواب بنائى، و مثال الدرر في جواب مير صالح، و سحاب الحلال في جواب الشاعر آصفى، و الفال الممتاز في جواب شهيدى، و لوامع الخيال في جواب مير همايون، و موسيقى الوصال في جواب ميرزا شرف، و إحياء الكمال في جواب الشيخ كمال، و آخر في جواب أمير خسرو، و حسن المال في جواب حسن. و دواوين أخرى مثل: ليلى و المجنون، حيه الأخبار، و الربيع و الهواء الجميل، و رسائل الإسكندر.

و له ديوانان في مدح أئمه أهل البيت ع اسماهما:

(صحائف الأعمال) و (صدف الآل).

و لكن لم يصل إلينا أى واحد من دواوينه. و كتب إسماعيل باشا في فصل الدواوين عن ضميرى: "هو كمال الدين حسين بن محمد الاصبهانى المتوفى سنة ٩٧٣ له سفينه إقبال".

و الظاهر أنه لم ير إلا (سفينه الإقبال)، أو ربما لم يسمع إلا بها، أو لم يعجبه سوى هذا الديوان.

و مهما كان الأمر فان المائة ألف بيت التى نظمها ضميرى لم يبق منها إلا أبيات قليلة. و السبب فى ذلك - كما يقول تقى الدين الأحدى البليانى - أن ابن ضميرى ملا ميرك الاصفهانى قد ترك مسودات أبيه الشعريه عند البقال و بائع الحلوى عربونا لشراء كميته من الأفيون...

الشيخ حسين مع ناصر.

ولد فى قريه من قرى مدينه كربلاء فى العراق اسمها الدوبهيه و استشهد سنة ١٣٩٩ على أيدى نظام الطغيان التكريتى فى العراق. بعد إتمامه دراسته الابتدائيه انتمى إلى الحوزه العلميه فى كربلاء ثم فى النجف فكان من أساتذته فيها السيد أبو القاسم الخوئى و السيد محمد باقر الصدر، كما درس عليه بعض الطلاب. ثم أرسله السيد الصدر و كيلا عنه إلى مدينه الحله.

و بدأت مطارده السلطات له فاضطر للتوارى حوالى ست سنوات متنقلا من مكان إلى مكان. و لما خفت حده المطارده عاد يتابع الدراسه فى

١- الشيخ محمد رضا الأنصاري.

النجف باسم غير اسمه هو فاروق محمد. و لكن السلطات قبضت عليه و هو منتحل لهذا الاسم فحوكم على اعتبار أنه المعلم فاروق محمد، و بعد تعذيب طويل حكم عليه بالسجن المؤبد، و نقل إلى سجن أبي غريب و بعد قضائه سبعين يوما هناك تم التعرف عليه من قبل أحد السجناء فحوكم هذه المره باسمه الحقيقي فحكم عليه بالموت و دفن في النجف الأشرف.

ترك عده بحوث و دراسات بقى بعضها مخطوطا. منها: الحريه في الإسلام، و العلاقه الفقهيه في الاقتصاد الإسلامي، و بحث في نظريه المعرفه.

و قد طبع من آثاره: نظرات في الأعداد الروحي.

و مما قيل فيه:

بينك الآن يا شهيد و بيني شبح الموت أو مغاور سجنى

ربما كنت لا أراك و لكنك تسمى ما بين عيني و جفنى

ربما كنت شاعرا ضائع الوجه فاعطيتنى هويه فنى

فحملت الرؤى على ظهري الخاوى و لملت ما تناثر منى

أنت توجت جبهتى بالأزاهير و أسكرت بالتلاحين أذنى

أنت علمتنى الحياه أو الموت و أفعمت بالحقيقه ظنى

و سألت التاريخ كيف يراه فتواري و قال لى: لا تسلى

غرس البذر الحسین و أضحت ترتوى من دماء ألف حسین

القاضى كمال الدين مير حسين بن معين الدين الحسينى الميبدى اليزدى.

توفى سنه ٩٠٩.

من كبار علماء القرن التاسع، له مؤلفات كثيره فى شتى المواضيع لا سيما: الحكمة، و المنطق، و الخطابه و قد بقيت جل مؤلفاته مخطوطه لم تنشر.

كان أبوه الخواجه معين الدين على يشغل منصب وزير دار العباده فى (نيرد). و بعد ما أنهى المترجم دراسته الأولى فى ميبد سافر إلى شيراز لمتابعه الدراسه فيها، و هناك تلمذ على كبار علمائها لا سيما جلال الدين الدوانى (٨٣٠ - ٩٠٨). و عند ما سافر

استاذة الدوانى إلى العاصمة تبريز تلبيه لدعوه سلطان (آق قويونلو) ذهب المترجم معه، و فى خلال إقامته هناك جرى بحث علمى بحضور السلطان بين كل من جلال الدوانى و الشيخ إسحاق التبريزى، ثم أتم المترجم البحث مكان الدوانى فنال إعجاب السلطان و الحاضرين. و أثر ذلك و بطلب من الدوانى عين السلطان المترجم قاضيا لمدينه نيرد و توابعها، و أضاف إلى منصب القضاء الأشراف على الأوقاف.

و هكذا أمضى المترجم بقيه حياته فى نيرد.

نذكر من مؤلفاته: "١" شرح باللغه الفارسيه على الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع) مع مقدمه مفصله و أبحاث موجزه فى العقائد و العرفان و الأخلاق، مضافا إلى ذلك فقد ترجم إلى اللغه الفارسيه أشعار الديوان بشكل رباعيات. و قد أتم تأليفه سنه (٨٩٠).

"٢" شرح الشمسيه فى المنطق، "٣" شرح الطواع فى علم البلاغه، "٤" شرح الهدايه الأثيريه فى الحكمه، "٥" شرح كافيه ابن الحاجب فى علم النحو، "٦" شرح خطب الامام الحسن العسكرى (ع)، "٧" شرح آداب البحث، "٨" ديوان الألغاز، "٩" المنشآت، و هى مجموعه رسائله، "١٠" مرآه الكون. و هى رساله موجزه باللغه الفارسيه فى موضوع الحكمه و الفلسفه تتحدث عن الإلهيات و الطبيعيات. و قد ترجم إلى اللغه الفرنسيه.

السيد حشمت على بن الحاج جماعت على

و قد عمر والده ما يقرب من ١٢٥ سنه ولد المترجم سنه ١٢٧٥ فى بلده خيرالله پور فى الباكستان و توفى فيها سنه ١٣٥٣.

عرفت أسرتهم باسم (شيرازيا) لانتمائها إلى السيد نوروز الشيرازى الذى صحب (همايون) حين ذهب بعد انكساره فى الهند إلى إيران مستنجدا بالشاه طهماسب الذى أنجده فعاد إلى الهند و نجح فى تشييد ملكه.

و كان فيمن جاء معه من إيران السيد نوروز الشيرازى الذى كان تقيا عابدا ورعا، فكان همايون يتبرك به، و بعد نجاح همايون و استقرار سلطته فى الهند، ترك للسيد نوروز اختيار المكان الذى يود الإقامة فيه، مع تكفله بأمور حياته، فاختر بلده (رسول پور) القريبه من قضاء سيالكوت (فى الباكستان اليوم). و تكاثر أولاده هناك و قامت خمس قرى متقاربه، منها خير الله پور سيدان، و فيها ولد المترجم و لحق به لقب (شيرازبا).

تلقى دراسته الأولى فى بلدته فى مدرسه مولانا عبد الرشيد، ثم عزم والده على توجهه إلى الدراره الإسلاميه، و كان فى (لاهور) مدرسه دينيه فى مسجد نواب صاحب يتولى أمرها أبو القاسم الحائرى فقصدتها المترجم للدراره.

و قد أعجب به النواب نوازش على خان قزلباش فتولى رعايه أموره.

و انتمى فى الوقت نفسه إلى معهد (أورنثيل كالج) فى لاهور حيث حصل على شهاده (مولوى فاضل). كما درس على أبى القاسم الحائرى التفسير و الحديث و الفقه، و ذهب بعد ذلك إلى (لكهنو) حيث تابع عند علمائها دراره الأصول و الفقه. ثم ذهب إلى (ديوبند) و فيها معاهد تدريس المذاهب الأربعة فدرس على علمائها ثم عاد إلى وطنه.

و أخيراً قصد العراق لاستكمال دراسته، فمضى على طريق كراتشيفالبصره، و منها إلى كربلاء و النجف، فكان من أساتذته هناك كل من السيد مهدي القزويني و الشيخ محمد حسن المامقاني و السيد محمد حسين الشهرستاني.

و كان ذلك في عصر المرجع الأعلى السيد محمد حسن الشيرازي الذي كان يقيم في سامراء، فتقرب به و تولى أمر مراسلاته إلى الخارج.

و بعد أن قضى في العراق ست سنوات عاد إلى وطنه حيث قضى فيه سنه عاد بعدها إلى العراق و تابع دراسته فيه ست سنوات أخرى. و سائر إلى اسطنبول فأقام فيها سنه دارسا مستطعاً. و هكذا بعد انقضاء ثلاث عشره سنه في الاغتراب عاد إلى وطنه مرجعاً دينياً في منطقته. و يبدو أنه - لظروف حساسه - كما يقول صاحب (مطلع أنوار) لم يعترفوا هناك بعلمه، فلم يشتهر هناك فقيهاً، بل اشتهر بما يسمى بعلم (المعقول) لا سيما في دراسته لفلسفه (ملا صدرا). على أنه لم يستقر في مكان واحد، بل كان دائم التنقل من بلد إلى بلد. ثم كان عضواً في المجلس الشيعي في مدينه (امروهه) في قضاء مرادآباد.

ص: ١٤٤

فى جامعته (على كرى) نشاطات ثقافيه، و فى سنه ١٣٤٤ سافر إلى العراق للزياره، و بعد رجوعه كان ميدان نشاطه فى النجاب لا سيما فى قضاء سيالكوت، و بالأخص بلده (ناردوال).

من مؤلفاته: ١ - المعراجيه. ٢ - الحاجه إلى الامام. ٣ - شرح حديث الطينه. ٤ - رساله العرشيه. ٥ - أصول الدين فى خمس مجلدات. (١)

السيد حمايت حسين

توفى حدود سنه ١٢٨٠ فى الهند.

كان عالما فاضلا و جيها فى (كنتور) بالهند، أديا باللغه العربيه نثرا و نظما، حتى إنهم كانوا يلقبونه هناك: امرأ القيس، كما كان له إمام بعلم الطب.

ترجم كتاب (أساس الأصول) لغفران مآب و هو فى أصول الفقه - ترجمه من العربيه إلى الأردويه، فكان أول من حول علم الأصول من العربيه إلى الأردويه.

حمد الله الملقب بفضل الله خان بن الحكيم شكر الله بن الشيخ دانيال

توفى سنه ١١٦٠ فى الهند.

كان من سكان (سنديله) قرب (لكهنو) بالهند و كان من تلاميذ ملا نظام سهالوى.

هو من مشاهير علماء الفلسفه و المنطق، و من المتأثرين بالسيد باقر الداماد، و قد شرح كتاب (سلم العلوم) فى المنطق و اشتهر بهذا الشرح، و كتب حاشيه على (شرح حكمه العين) لملا صدرا، و شرح كتاب (زبد الأصول) باللغه العربيه. كما أنه أسس مدرسه كبيره فى سنديله.

السيد جمال الدين حمزه بن أبى منصور ظفر بن محمد بن أبى على أحمد بن أبى الحسن الزاهد الغازى پلاس پوش ابن محمد بن أبى منصور ظفر بن محمد بن أبى جعفر أحمد زباره الحسينى البيهقى.

توفى قبل عام ٥٦٣ فى بيهق.

من أعلام أسرته و أفاضل علماء عصره فى القرن السادس للهجره أخذ العلم و فنون الأدب على رجال أسرته بنى زباره الذى نبغ منهم علماء أعلام و انتهت إليه الرئاسة و لم أفق على تاريخ ولادته و وفاته إلا أنه ذكره ابن الفندق المتوفى سنه ٥٦٥ فى كتابه تاريخ بيهق الذى ألفه فى سنه ٥٦٣ و قال أنه أى المترجم له هو البطن الثامن إلى أحمد زباره الحسينى و هو أقرب نسبا إلى النبى (ص) من غيره من أهل بيته و يقصد بنى زباره فى بيهق. (٢)

و المترجم له ابن أخت طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعى.

و بنو زياره البيهقيون من الأسر العلميه العلويه المعروفه فى خراسان و نيشابور و بيهق نبغ منهم علماء أعلام و شعراء مجيدون و نقباء أشرف عم صيتهم الآفاق و طار ذكرهم و قد هربوا من مدينه جدهم رسول الله (ص) خوفا من ظلم بنى أميه و بنى العباس و سكنوا خراسان آخر حدود الدوله الإسلاميه آنذاك و سادوا هناك و سوف نذكر كلا منهم فى محله إن شاء الله، كما ذكر بعضهم فى أعيان الشيعه منهم السيد عز الدين شرف شاه بن محمد الحسينى الأفضسى النيسابورى المعروف بزياره المدفون بالغرى و ذلك فى المجلد السابع ص ٣٣٧.(٣)

الحاج حيدر بن حبيب الله الموسوى النيشابورى الكنتورى

ولد سنه ١٢٥٥ فى الهند و توفى سنه ١٣٠٤.

هو من أسره المفتى محمد قلى و قد درس العلوم الإسلاميه متقنا لها إلى جانب كونه من كبار الاقطاعيين فى (كنتور) بالهند، كما كان يلقى الدروس على الطلاب فى تلك العلوم.

له من المؤلفات: القديره، تحقيق حول الشهيد على الأكبر، شرح زياره الناحيه الكبرى، رساله العطش، بيان الايمان، المعانى و الاحتمالات النحويه.

حيدر حسين نكته

ولد حدود سنه ١٣١٥ و توفى حدود سنه ١٣٩٠ فى لكهنو بالهند كان عالما فاضلا خطيبا أدبيا شاعرا بالاردويه و العربيه و الفارسيه. تولى التدريس فتره فى المدرسه الناظميه و فى سلطان المدارس، و كان يمضى للتبليغ و الوعظ إلى بمبئى.

حيدر خان جراغ برقى أو "بمبئى"

المعروف ب "حيدر خان عمو أوغلى"، و اسم أسرته الأصلى "تارى ويرديوف".

كان "حيدر خان" المذكور من رؤساء المناضلين الأجانب المعتمدين الذين تطوعوا بالقدوم إلى إيران فى أوائل تأسيس النظام البرلمانى (المشروطه) للمشاركة فى مكافحه من كان يطلق عليهم فى تلك الأيام اسم "المستبدين". و كان من هؤلاء المتطوعين القفقاسيون و الكرجيون و الأرمن. و قد قتلوا كثيرا من أولئك الجماعه المستبدين.

و يرى كثيرون أن "حيدر خان عمو أوغلى" إيرانى الأصل، و أبوه هو "مشهدى ميرزا على أكبر" الأرومى، أو السلماسى. و جده لأبيه اسمه "حاجى ملا على تارى ويرديوف". كان يقيم فى مدينه "الكساندروبل" الأرمنيه. و فيها اشتهرت أسرتهم باسم "تارى ويرديوف".(٤)

أما سبب تسميه المترجم له ب "عمو أوغلى" فيقال إن أصدقاء "مشهدى على أكبر" و معارفه كانوا ينادونه "عمو" (أى: العم).

فأصبحوا يسمون ابنه حيدر خان "عمو أوغلى" أى "ابن العم".

كان "حيدر خان عمو أوغلي" يسكن في القفقاس التابعه لروسيا القيصريه. و في القفقاس أتم دراسته حتى أصبح مهندس كهرباء، و عين

ص: ١٤٥

١- مطلع أنوار.

٢- انظر تاريخ بيهق لابن الفندق ص ٥٥ تحقيق أحمد بهمنيار طهران الطبعة الأولى.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحي.

٤- يرى بعضهم أن "الحاج ملا- علي تاري ويرديوف" هو أبو "مشهدى علي أكبر"، و يرى بعضهم أنه أخوه. و مدينه "الكساندروبل" من مدن أرمينيا السوفياتيه الصناعيه. سكانها ثلاثه آلاف و مائه ألف. و يوم كانت في يد العثمانيين كانوا يسمونها "كمرى". ثم احتلها الروس. و حين حكم البلاشفه سموها "لنينا كان".

موظفا في أحد مصانع "بادكوبا".

و كان الموظفون القيصريون يظلمون مسلمي القفقاس و يعتدون عليهم و يعاملونهم بالاذلال، فدفعه ذلك هو و جماعه آخرون من أباه المسلمين إلى تشكيل حزب سياسي لمكافحة المستبدين المحليين و الأجانب.

فانشأوا سنه (١٣١٧ هـ) (١٩٠٠ م) هيئه باسم "اللجنه الاجتماعيه الشعبيه" برعايه "ناريمان ناريمان بكف"، و أنشأوا لها فروعاً في كل مدن القفقاس، و منها فرع في "بادكوبا". و كان "حيدر خان عمو أوغلي" عضواً في هذا الفرع. ثم اتصل جماعه من أحرار إيران، خصوصاً آذربيجان، بهذه اللجنه سرا، و أنشأوا لها فرعاً في تبريز.

في سنه (١٣١٨ هـ)، عند رجوع "مظفر الدين شاه" و الصدر الأعظم "الميرزا علي أصغر خان" من سفر الشاه الأول إلى أوروبا، عرفهما بعضهم بحيدر خان، بما هو مهندس كهرباء في "بادكوبا"، فاستخدماه و بعثا به في تلك السنه إلى مشهد لإداره مصنع كهرباء الاضاءه فيها.

و بعد أن أقام فيها بضع سنوات غادرها إلى طهران فقضى فيها خمس أشهر بلا عمل، ثم استخدم في مصلحه سكه حديد شاه عبد العظيم، ثم في مؤسسه النقلات التجاريه الروسيه، ثم في إداره كهرباء الحاج حسين آقا أمين الضرب.

و كان لا-يفتا في أثناء ذلك يتحرى عن أناس يهيئهم للثوره على النظام الملكى الاستبدادى و التامر لقتل رؤساء الاستبداد. و اشترك بالفعل في تهيئه محاولات اغتيال بعض الرؤساء العسكريين و السياسيين و حوادث اغتيال بعض آخر. فهو الذى وضع خطه مقتل الميرزا "علي أصغر خان" (١) و محاوله اغتيال محمد علي شاه و محاوله اغتيال "علاء الدوله". و بالإجمال شارك "حيدر عمو أوغلي" في جميع الحركات الثوريه التى وقعت أيام الانقلاب البرلمانى (المشروطه)، و لم يكن يداخله أقل خوف أو تردد في الاقدام على قتل كل من خالف حركات التحرر من الاستبداد.

كان "حيدر خان" يتقن اللغه الكرجيه و الأرمنيه و الروسيه كاتقانه لغته الأم. و تعلم أيضاً اللغه التركيه و الفارسيه، فأصبح يتقن خمس سنه.

و كان له نفوذ روحى خارق يجذب إليه كل من حادثه فياتمر بامرّه. حتى إن الزعيم الشعبى البطل المشهور "ستار خان" (٢) تأثر به فكان لا يفتا يردد:

القول ما يقوله عمو أوغلي! بعد أن ضرب محمد علي شاه المجلس النيابى بالمدافع في ٢٣ جمادى الأولى سنه (١٣٢٦ هـ) ذهب "حيدر خان" إلى "بادكوبا". و هناك أخذ يكتب مقالات باللسان الكرجى و ينشرها في الصحف داعياً إلى تأييد النظام البرلمانى في إيران و محاربه معارضيه، فاستنفر بذلك كثيراً من المتطوعين و الفدائيين قدم بهم إلى إيران لمقاومه محمد علي شاه و مساعده المجاهدين و المحصورين في تبريز. ثم لم يلبث أن أصبح من أركان الثوره في آذربيجان.

و كان أعظم عمل قام به في هذه الأيام هو تدبير مقتل "شكر الله خان" الملقب ب "شجاع نظام" (شجاع العسكر) المرندى. و كان هذا من كبار القواد العسكريين و أشد المعارضين للنظام الديمقراتى البرلمانى و من أخلص الموالين لمحمد علي شاه.

فقتله "حيدر خان" بإرسال طرد بريدى إليه وضع فى داخله متفجرات، فلما فتحه انفجرت فقتلته و قتلت أحد أبنائه.

و لما قدمت القوى الشعبيه الثائره من الشمال و الجنوب تهاجم العاصمه طهران و احتلتها كان لحيدر خان مشاركه فى هذه الوقائع. و هو من مؤسسى "الحزب الديمقراطى الايرانى" و رئيس "منظمه الإرهاب"، و قد وضعت مقدماتها من قبيل إعداد البرنامج و أمثال ذلك، فى تبريز ثم تشكلت فى طهران.

و لما قتل السيد عبد الله البهبهانى(٣) زعيم "المعتدلين" فى التاسع من رجب سنه (١٣٢٨ هـ) اتهم "حيدر عمو أوغلى" بأنه أحد القتل، فاعتقل و هو يحاول الفرار من طهران متنكرا، فأوقف مده شهر ثم أفرج عنه.

و بعد قليل أرسله الحزب الديمقراطى بمهمه سرية إلى قبيله بختيار.

و عاد منها إلى طهران فى ربيع الأول سنه (١٣٢٩ هـ)، و اضطر إلى الاختفاء.

و أرسل رئيس شرطه طهران بالسرى فى إحدى الليالى - و كان هواه مع الحزب الديمقراطى - إلى أحد أصدقاء "حيدر خان"، و كان هذا مختبئا فى بيته، يشير عليه بخروج "حيدر خان" سريعا من إيران لأن المراجع الحكوميه المختصه وصلتها أخبار عن مكان اختبائه. فخرج متنكرا من طهران إلى مشهد و منها إلى روسيا و منها إلى فرنسا و سويسرا. و فى أوروبا اتصل بأعوان "لينين".

فى الثامن من ربيع الأول سنه (١٣٢٨ هـ) اضطرت أسباب سياسيه الزعيم الشعبى "ستار خان" الذى مر ذكره إلى الحضور إلى طهران مع رجاله فاستقبل فيها استقبالا حافلا و أنزل فى محله "بارك أتابك". و كان "ستار خان" هذا يميل إلى جماعه "المعتدلين"، و الحكومه يومئذ بيد الحزب الديمقراطى الذى ينتمى إليه "حيدر عمو أوغلى".

و قد سبق أن رد المعتدلون على قتل زعيمهم السيد عبد الله البهبهانى بقتل اثنين من كبار الديمقراطيين. و كان هذان الحادتان سببا فى وقوع نزاع مسلح بين رجال الشرطه، شرطه الديمقراطيين الحاكمين، و المجاهدين النازلين فى "بارك أتابك" رجال "ستار خان". و قد شارك "حيدر عمو أوغلى" فى هذه الحرب مع جيش الحكومه. و هكذا أقدم على محاربه "ستار خان" مع كل ما كان بينها من صداقه قديمه و موده سابقه.

ص: ١٤٦

١- رئيس الوزاره فى عهد محمد على شاه، و من أصحاب الألقاب الكبيره. كان له دور سياسى و إدارى كبير فى عهد ناصر الدين شاه و من بعده.

٢- فتى من عامه الشعب من أهالى تبريز. لما عطل محمد على شاه الحياه النيابيه و ضرب المجلس النيابى بالمدافع بعث بجيش عدته تقرب من أربعين ألف جندى إلى تبريز لاختضاع طلاب النظام البرلمانى و اعتقال رؤسائهم. فكان أول من هب إلى مقاومتهم "ستار خان" هذا. فجند التبارزه و قادهم إلى المقاومه أحسن قياده. و حاصر الجيش الحكومى المدينه و ثبت "ستار خان" فى المقاومه أحد عشر شهرا لم يستطع الجيش الحكومى فيها احتلال المدينه و لا رجع الجيش الشعبى عن المقاومه. و

عمت شهره "ستار خان" العالم و تردد اسمه كثيرا فى الصفحات الأولى من صحف أوروبا و أميركا.
٣- من رجال الدين. كان من طلاب النظام البرلماني، و من كبار العاملين فى حركة الانقلاب البرلمانيه "المشروطه" فى إيران. و
قد انقسم هؤلاء إلى فريقين متخصصين، أحدهما "الحزب الديمقراطى"، و منهم "حيدر عمو أوغلى" و الآخر أطلق على رجاله
اسم "المعتدلون".

ثم سقطت حكومه الديمقراطيين و تولى الحكم بعدها فى ١٠ ربيع الأول سنه (١٣٢٩ هـ) حكومه تخاصمهم. فتقوى بها المعتدلون و أجبروها على قمع رؤساء الديمقراطيين من أمثال "حيدر عمو أوغلى". فصدر أمر بنفيه من إيران، فذهب إلى القفقاس و منها إلى روسيا و منها إلى أوروبا.

فى سنه (١٣٢٩ هـ)، بعد سنتين تقريبا من استعفاء محمد على شاه القاجارى من المنصب الشاهانى، كان هذا الشاه فى "أوديسا"، و الروس يسعون إلى إعادته إلى عرش إيران. و كان "حيدر خان" يومئذ وسيا [فى روسيا]، و معه صديق له من أهل اللهو و المجون محدث عذب الحديث اسمه "محمد تقى صادقوف". و كان فى أكثر أيامه مفلسا بسبب حياه الاستهتار التى يحياها. و من أجل أن يحصل على المال من محمد على شاه أفنع "حيدر عمو أوغلى" بزياره الشاه فصحبه إليه و أفنع الشاه بأنه يستطيع إعادته حيدر إلى إيران ليساعد فى المساعى القائمه لإعادته إلى عرش إيران. و حصلا كلاهما من الشاه على مبلغ كبير من المال. و قد أقر "حيدر عمو أوغلى" بذلك مره لبعض معارفه، و لكنه استدرك بان قبوله المال من محمد على شاه لم يكن قصده منه القيام بخدمه له بل قبله ليتقص مال هذا الشاه و اقتداره، إذ هو جرثومه الفساد.

و بعد استقرار النظام البرلمانى فى إيران ظل "حيدر عمو أوغلى" مده طويله فى باريس. و فى أوائل الحرب العالميه الأولى ذهب إلى برلين فأقام فيها سنتين أو ثلاثا. و ترك برلين فى إبان تلك الحرب إلى إسلامبول فتطوع فى الجيش التركى برتبه ضابط و ذهب إلى الجبهه يحارب ضد روسيا القيصرية.

و بلغ فى رحلاته الحربيه إلى بغداد و كرمانشاه. ثم عاد إلى ألمانيا و أقام فى برلين. و فى أثناء إقامته هذه شاعت أخبار الثوره الروسيه، ثوره اكتوبر. و إذ سبق أن كان قد التقى لينين فى سويسرا و كانت بينهما معرفه كامله، فقد بادر إلى السفر إلى روسيا، و هناك شارك فى ثوره اكتوبر سنه (١٩١٧ م) إلى جانب لينين إذ كان من أقرب المقربين إليه. و كان يثير الفقراء المحرومين بخطب حماسيه فى مختلف المدن الروسيه.

كان "حيدر خان عمو أوغلى" فائق الشجاعه مغامرا ثابت الجأش لا يخشى المخاطر، بل كان يتحرى المخاطر ليلقى بنفسه فيها. و فى سنه (١٣٤٠ هـ) جاء إلى جيلان مرسلا من قبل أتراك "بادكوبا" الثوريين و بلشفيكها. و اختلط باتباع "الميرزا كوشك خان" الجنكلى. و قد ارتاب به هؤلاء الأتباع فقتلوه فى أوائل سنه (١٣٤٠ هـ). (١)

حيدر على سند يلوى بن حمد الله

توفى حدود سنه ١٢٢٥ فى سنديله (الهند) كان عالما مشهورا فى (سنديله) بعد أبيه، و هو من أساتذه العالم الشهير دلدار على غفران مآب.

و كان له و لأبيه من قبله منزله كبيره فى مجتمع لكهنو و أوساطها العلميه.

له من المؤلفات: ١ - تكمله شرح سلم العلوم ٢ - حاشيه شرح السلم و بعض الحواشى الأخرى.

حيدر على لكهنوى بن محمد على

ولد سنة ١٢٥٠ و توفي سنة ١٣٠٢ فى لكهنؤ (الهند).

كان والده من كبار العلماء فدرس عليه و على غيره من أمثال تراب على حنفى و أحمد على محمد آبادى و المفتى محمد عباس و السيد محمد تقى ممتاز العلماء.

تولى التدريس فى المدرسه الايمانيه التى أنشأها غلام حسين كنتورى.

و كان يقسم سنته بين (تبه) فيبقى فيها ستة أشهر يقيم هناك الجمعة و الجماعه. و ستة أشهر فى لكهنؤ.

ترك من المؤلفات: شرح زبده الأصول، حاشيه على شرح اللمعه، ديوان شعر باللغه العربيه و غير ذلك.

حيدر يغمای نيشابورى

ولد عام ١٣٤٧ فى قريه من قري نيسابور - كان شاعرا ينظم القصائد و المقطوعات الشعريه ارتجالا و كان له حافظه قويه و كان يستتكف عن أن يرتزق بشعره و لم يسمع له مديح لأحد و قد عاش طوال حياته فقيرا معدما يعمل بكده و لم يطلب معونه أحد من الناس. توفي عام ١٤٠٦ هـ (٢).

خادم حسين فيض آبادى بن السيد عالم حسين

ولد حدود سنه ١٣٢٨ فى فيض آباد بالهند و توفي حدود سنه ١٣٨٠ كان فقيها أديبا شاعرا يجيد العربيه و الفارسيه. درس فى مدرسه سلطان المدارس و فى جامعه لكهنؤ. و تولى التدريس فى (سلطان المدارس). و هاجر مده إلى إفريقيا الشرقيه فمارس فيها التوجيه الدينى.

السيد خاقان حسين بن مظفر حسين الرضى

ولد سنه ١٢٩٣ فى الهند و توفي حوالى سنه ١٣٧٤ درس الفقه و المنطق و الأدب و اللغه العربيه و الفارسيه على آقا أحمد آذربايجانى، كما كان يحسن اللغه الإنكليزيه.

عرف من مؤلفاته: الجانب العملى لمذهب الشيعه، معدن الأسرار، العلم و العمل، الحكمه اللدنيه.

خان بايامشار

المفهرس الكبير ولد بطهران و بعد إكمال الدراسه عمل فى وزاره المالىه مده ٢١ سنه ثم استقال و عمل فى الزراعه. و كان أثناء عمله فى وزاره المالىه يدرس العلوم الإسلاميه اشتهر اسمه فى إيران بكتابه (فهرست كتابهاى چاپى فارسى) و (فهرست كتابهاى چاپى عربى در إيران) حيث قام بفهرسه جميع الكتب باللغه الفارسيه و العربيه المطبوعه فى إيران مع شرح موجز عن مؤلفيها. (٣)

الخليل بن أحمد الفراهيدى

مرت ترجمته فى المجلد السادس، من (الأعيان) كما مرت دراسه عن

ص: ١٤٧

١- مهدي بامداد.

٢- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

٣- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

مختصر كتابه (العين) فى المجلد الثامن من المستدركات و دراسه عن كتاب العين نفسه فى المجلد الثالث و نشر هنا هذه الدراسة المكتوبه بقلم ميشال زكريا:

قال الزجاجى فى كتاب "إيضاح علل النحو".

"ذكر بعض شيوخنا أن الخليل بن أحمد، رحمه الله سئل عن العلل التى يعتل بها فى النحو، فقييل له عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك، فقال: إن العرب نطقت على سجيته و طباعها و عرفت مواقع كلامها و قام فى عقولها علله و إن لم ينقل ذلك عنها. و اعتلت أنا بما عندى إنه عله لما علته منه. فان أكن أصبت فهو الذى التمسست و إن تكن هناك عله له فمثلى فى ذلك مثل رجل حكيم دخل دارا محكمه البناء عجيبه النظم و الأقسام، و قد صحت عنده حكمه يأتيها بالخبر الصادق و بالبراهين الواضحه و الحجج اللائحه فكلما وقف هذا الرجل فى الدار على شىء منها قال: إنما فعل هذا هكذا لعله كذا و كذا و لسبب كذا و كذا و سنحت له و خطرت بباله محتمله لذلك. فجائز أن يكون الحكيم البانى للدار فعل ذلك للعله التى ذكرها هذا الذى دخل الدار، و جائز أن يكون فعله لغير تلك العله، إلا أن ذلك مما ذكره الرحل محتمل أن يكون عله لذلك. فان سنح لغيرى عله لما علته من النحو هى أليق بالمعلول فليأت بها".

يتبين لنا من خلال إعادة قراءه هذا النص قراءه معاصره فى ضوء التطور الحاصل فى مجال الألسنيه أو علم اللغه الحديث أن الخليل نظر إلى اللغه نظره متطوره جدا، و اعتمد فى تحاليله اللغويه منهجيه علميه دقيقه و يكون هذا النص فى الواقع جوابا قد يكون أراده الخليل و افيا لسؤال طرح عليه فى ما يتعلق باستقراء القواعد العربيه و تفسيرها. و ما يجدر لفت الانتباه إليه هو أن هذا النص الموجز يقدم أحوبه [أجوبه] دقيقه لمسائل مهمه هى فى صميم الاهتمامات الألسنيه الحاليه، و بخاصه فى إطار النظرية التوليديه و التحوليه لمؤسسها الألسنى نعوم تشومسكى. و بإمكاننا بالاستناد إلى هذا النص التطرق إلى خمس مسائل ألسنيه هى حاليا من أهم هذه المسائل: الملكة اللسانيه و قواعد اللغه، اللغه بنيه منتظمه، عمل اللغوى، اعتماد المنهجيه التفسيريه فى التحليل اللغوى، تعدد القواعد للمسأله الواحده و مسأله تقييم القواعد.

الملكة اللغويه

يقول الخليل "إن العرب نطقت على سجيته و طباعها، السجيه عباره عن ملكه ثابتة فى النفس، و الطباع عباره عما طبع عليه الإنسان، فىكون معنى كلام الخليل هذا أن العربى حين يتكلم إنما يصدر كلامه عن سجيته أى عن ملكه ثابتة قد طبع عليها، و هذه الملكة مقدره كلاميه جبل بها العربى فهى قائمه لديه بشكل طبيعى. و هذا ما يفسر إمام العرب بشكل طبيعى بلغتهم. و العرب عرفت مواقع كلامها "فالعربى الذى يتكلم لغته على سجيته يعرف مواقع الكلام أى قواعد اللغه و المقدره على التكلم عند العربى، أو الملكة اللغويه كما تمكن تسميتها، هى المعرفه بقواعد اللغه. و ذلك لأن العرب يضيف الخليل "قام فى عقولها عللها" (الهاء عائده إلى الكلام).

فالملكة إذا هى فى عقل العربى، و بالتالى، مقدره عقليه قائمه فى عقل المتكلم و فى رأى الخليل تفسر بقدره العربى على التكلم فالمتكلم من العرب امتلك، و الحال هذه، ملكه لغويه قائمه فى عقله هى كناية عن معرفه بمواقع الكلام أو بقواعد اللغه. و يؤكد الخليل وجود هذه المعرفه بقواعد اللغه عن العرب "و إن لم ينقل ذلك عنها". و الخليل يرى هنا، أن هذه المعرفه معرفه ضمنيه

قائمه فى عقل المتكلم و ليست، فى الواقع، معرفه مباشره بالإمكان نقلها عن صاحبها.

فالملكه اللغويه كما بمقدورنا الاستنتاج من قول الخليل هنا، معرفه ضمنيه قائمه فى عقل المتكلم من العرب و هى بالذات معرفه بقواعد الكلام.

و عمليه التكلم عند العربى إنما تتم على السجيه و الطباع أى بواسطه هذه الملكه اللغويه التى - هى كما توضح لنا - كنايه عن المعرفه الضمنيه بقواعد اللغه.

نصل هنا إلى تحديد لعمليه التكلم مشابه، عند الخليل، لتحديد هذه العمليه عند تشومسكى مؤسس النظرية الألسنيه التوليديه و التحويليه، أحدث نظريه السنيه و أعمقها معمول بها حاليا.

يسمى تشومسكى المقدره على التكلم بالملكه اللغويه فيقول: "يشير مصطلح الملكه اللغويه إلى قدره المتكلم - المستمع المثالى على أن يجمع بين الأصوات اللغويه و بين المعانى، فى تناسق و ثيق مع قواعد لغته".^(١) و هذه الملكه اللغويه ينطبع عليها الإنسان منذ طفولته و خلال مراحل اكتسابه اللغه و ترتبط بصوره و ثيقه بقواعد اللغه كما يقول تشومسكى: "فمن الواضح جدا أن للجمل معنى خاصا تحددده القاعده اللغويه و أن كل من يمتلك لغه معينه اكتسب فى ذاته و بصوره ما، تنظيم قواعد تحدد الشكل الصوتى للجمله و محتواها الدلالى الخاص، فهذا الإنسان قد طور فى ذاته ما نسميه بالملكه اللغويه الخاصه".^(٢)

اللغه بنيه منتظمه

يشبه الخليل بن أحمد الفراهيدى اللغه "بدار محكمه البناء عجيبه النظم و الأقسام"، ففى نظره تكون اللغه بنيه قائمه على أصول ثابتة و متينه و تماسك عناصرها و تتسق. و اللغه "عجيبه النظم و الأقسام" فانتظام العناصر فى هذه البنيه عجيبة بمعنى أنه يتم على نحو أقل ما يقال عنه أنه غير بسيط و نفهم هنا كلمه عجيبة بمعنى غير عادى، فالبنيه اللغويه إذا غنيه جدا و معقده و أقسامها أيضا "عجيبه" فهى بنيه قائمه على عناصر منتظمه و على أقسام أو مستويات. و عجيبة من حيث انتظام العناصر و تماسك المستويات.

و ما لا شك فيه أنه ينبغى لمن يحاول دراستها القيام بمجهود قوى.

ينظر الخليل فى هذا النص إلى اللغه من حيث أنها ملكه بشريه رائعه و خارقه يمتلكها الإنسان و يمتاز بها عن سائر المخلوقات، و بالتالى تشكل موضوع دراسته علميه ينبغى على العالم اللغوى أن يقوم بها لاكتشاف قوانينها و تفسيرها.

و بالإمكان ملاحظه هذه النظرة إلى اللغه فى النظرية الألسنيه التوليديه و التحويليه. يقول تشومسكى فى هذا الصدد: "واضح أن اللغه التى يكتسبها كل إنسان هى بنيه غنيه و معقده و لا يمكن تحديدها عبر المظاهر اللغويه المتوافره و المجزأه. لذلك يبدو البحث العلمى فى طبيعه اللغه صعبا و محددته نتائجه".^(٣)

٢٦ -١ LA Linguistique Cartesienne (١٩٦٩) Paris Sevil Noam Chomsky

١٢٥ -٢ المرجع السابق صفحه

١٩٧٥ -٣ .Reflexions on Language New York. Noam Chomsky

" و اعتلت أنا بما عندى أنه عله لما علته " فعمل الخليل و الحال هذه تحليل اللغه من خلال ماده الكلاميه التى ينتجها العربى الذى " ينطق على سجيته و طباعه " فالعربى يتكلم بالعوده إلى ملكته اللغويه أو معرفته الضمنيه بالقواعد، فياتى بعد ذلك دور اللغوى الذى يحاول من خلال هذه ماده المتوافره لديه و التى هى كلام العرب الموثوق بهم بطبيعه الحال، أن يتوصل إلى أصول قواعد اللغه العربيه، فالخليل إذا يعتل أى يبين عله المسائل اللغويه فيذكر الأوجه من الإعلال و هو فى ذلك يقوم بتفسير اللغه. و ما يجدر لفت الانتباه إليه أنه لا يجزم بان العله التى يتبينها هى التفسير الوحيد إنما التفسير الذى توصل إليه من خلال تحليل ماده التى يتناولها.

اعتماد المنهجيه التفسيريه فى التحليل اللغوى

" و قد صحت عنده (الرجل الحكيم) حكمه بانها بالخبر الصادق بالبراهين الواضحه و الحجج اللائحه. فكلما وقف هذا الرجل فى الدار على شىء منها قال: إنما فعل هذا هكذا لعله كذا و كذا و لسبب كذا و كذا سنحت له و خطرت بباله ".

يتبين لنا من قول الخليل هذا أنه يعتمد منهجيه تفسيريه فى مجال التحليل اللغوى. فاللغوى حين يقف على مسائل اللغه إنما يحاول أن يحللها و يفسرها، و يستند فى عمله هذا على الخبر الصادق و البراهين الواضحه و الحجج اللائحه.

تقوم منهجيه الخليل التفسيريه بالذات على اعتماد الأدله المتنوعه، و هى منهجيه علميه دقيقه تركز على كل مسأله و تفسرها و تستخرج العله و السبب و يتم إقرار المسائل من خلال تقديم البراهين و الحجج التى بإمكانها إثباتها.

فالخليل لا- يكتفى بوصف المعطيات اللغويه إنما يحاول تفسيرها. و القواعد التى يستنبطها قواعد تفسيريه تضع الفرضيات التفسيريه لقضايا اللغه.

إذا تأملنا عمليه التحليل الألسنى، فى ظل النظرية الألسنيه التوليديه و التحويلييه، وجدنا أن هذه العمليه قائمه على منهجيه اعتماد الأدله و الحجج المتنوعه لدراسه اللغه. الباحث فى هذا الإطار ينطلق من وصف المعطيات اللغويه فيحاول وضع فرضيات تفسيريه لتفسير هذه المعطيات و يسعى إلى الإتيان بأكبر عدد ممكن من الأدله لإقرار هذه الفرضيات و إخضاعها من ثم للتجربه ليتحقق منها و يعدل فيها إلى أن يصل إلى اعتماد الفرضيات التى بإمكانها تفسير المعطيات اللغويه، التحليل الألسنى هذا يستند إلى الحجج و الأدله لإقرار التحليل. و من النادر جدا أن يكتفى التحليل بإيراد الحجه الواحده بل غالبا ما يقوم على تراكم الأدله و تلاقبها. فالحجه إنما تكتسب قدرتها الإقناعيه حين تندرج ضمن مجموعه من الحجج تبرهن مجتمعه ملاءمه التحليل للقضايا اللغويه. جمله القول أن التحليل الألسنى فى ظل النظرية التوليديه و التحويلييه يتخذ شكل إقرار المعطيات استنادا إلى البراهين و الحجج المتنوعه بهدف تفسير قضايا اللغه، و نلاحظ أن الخليل بن أحمد فى نصه هذا يعتمد منهجيه تفسيريه فى مجال التحليل اللغوى لا تبتعد كثيرا عن المنهجيه المعتمده فى إطار الألسنيه التوليديه و التحويلييه.

تعدد القواعد للمسأله الواحده و مسأله تقييم القواعد.

"سنحت له (العله) و خطرت بباله محتمله لذلك". واضح هنا أن الخليل لا يجزم بان تفسيره للمسائل اللغويه هو التفسير الوحيد. و ما يتطلبه من التفسير الذى ياتى به للقضايا اللغويه هو أن يكون محتملا لهذه القضايا بكلام آخر ينبغى أن يكون هذا التفسير قابلا لأن يعتبر تفسيراً مقنعاً للمسائل التى يحللها، و ليس بالتالى التفسير الوحيد إذ بالإمكان أن يكون للمسألة الواحده أكثر من تفسير واحد. يقول الخليل "فجائز أن يكون الحكيم البانى للدار فعل ذلك للعله التى ذكرها هذا الذى دخل الدار، و جائز أن يكون فعله لغير تلك العله، إلا- أن ذلك مما ذكره الرجل محتمل أن يكون عله لذلك". فالمسألة الأساسيه فى عمليه استنباط القواعد ليست فى اكتشاف القواعد الوحيداه التى تفسر مقدره التكلم عند العرب إنما فى اكتشاف قواعد متماسكه بالإمكان القول عند التحقق منها أنها صالحه لأن تكون قواعد للقضايا اللغويه التى أخضعت للبحث و التحليل، فالخليل و عى إمكان الإتيان بأكثر من قاعده تفسر المسألة الواحده، كما و عى أن تعدد القواعد التى تفسر المسألة الواحده لا يسيء إلى البحث اللغوى. إلا أنه ينبغى فى هذه الحال اعتماد معايير ثابتة لإتمام عمليه الاختيار بين هذه القواعد.

نلاحظ أن الخليل يعتمد معياراً ثابتاً لاختيار القواعد الأنسب.

يقول: "فان سنح لغيرى عله لما علته من النحو هى أليق بالمعلول فليأت بها" فالمعيار المعتمد هو مدى التصاق القاعده بالقضايا اللغويه و مناسبتها لها.

القاعده ينبغى أن تكون أليق أى أكثر التصاقاً بالمعلول (لاق بالشىء بمعنى لاذ به و لصق به و علق به) لكى يتبناها اللغوى.

وعى الخليل هذه المسألة التى ترتدى حالياً أهميه بالغه فى التحليل الألسنى. أكثر من ذلك اعتمد معياراً ثابتاً لتفضيل قاعده على أخرى، و هو معيار اللياقه أو الملاءمه، إذ ينبغى على القاعده للأخذ بها أن تكون "أليق بالمعلول" أى ملاءمه على نحو أفضل للمعلول، و المعلول هنا كلام العرب الصادر عن الملكه اللغويه و المناسب للقواعد المضنيه القائمه فى عقل المتكلم و ضمن ملكته اللغويه.

تهتم النظرية التوليدية و التحويلية بموضوع تقييم القواعد و التأكد من صحتها. و يعود الفضل إلى هذه النظرية فى وضع معايير و مبادئ عامه و دقيقه بالإمكان - وفقها - اعتماد القواعد الملائمه التى بإمكانها وصف المعطيات اللغويه. و السؤال المطروح فى هذا المجال هو التالى: كيف بإمكان الباحث أن يختار بين قواعد عده صالحه لتفسير المعطيات اللغويه؟ و الجواب على هذا السؤال يكمن فى اختيار القواعد الأكثر ملاءمه للمعطيات اللغويه.

تميز النظرية فى هذا المجال بين الملاءمه الخارجيه و الملاءمه الذاتيه.

و يقصد بالملاءمه الخارجيه ملاءمه القواعد للماده اللغويه التى تحللها هذه القواعد. و فى هذا الصدد يقول تشومسكى: "يمكن اعتبار القواعد بمثابة نظريه اللغه. تكون ملاءمه من الناحيه الوصفيه حين تصف بشكل صحيح الملكه اللغويه الضمنيه العائده إلى متكلم اللغه المثالى" (١) و لاحظنا أن الخليل يعتمد بالذات هذا المعيار. كما يقصد فى المقابل بالملاءمه الذاتيه تناسب القواعد مع بعض المعايير المنهجيه و أهمها البساطه و التعميم الألسنى و الشمول و سهوله التطبيق. إلا- أننا لن نتطرق هنا إلى هذه

Aspects of the Theory of Syntax (١٩٦٥) Noam Chomsky Cambridge ,Mass - ١

٢٤ صفحه . The.M.I.T.Press

بقى القول أخيراً أن إعادته قراءة التراث اللغوي العربي في ضوء التطور الحاصل في الفكر اللغوي العالمي، و المتمثل حالياً بالألسنيه، ينبغي أن يتم بهدف إحياء التراث من خلال التركيز على المساهمات اللغويه المتطورة و المتعمقه التي أتى بها اللغويون العرب القدامى في مجال تحليل اللغه العربيه و النهوض بها إلى واجهه اهتماماتنا الحديثه بتطوير ألسنيه عربيه ذاتيه تهتم بدراسه قضايا لغتنا العربيه و بحل مسائلها.

السيد خورشيد حسن

ولد سنه ١٣١١ في لكهنو (الهند) و توفي سنه ١٣٤٠ في أمروهه.

هو ابن شقيق المرجع الكبير السيد نجم الحسن. كان عالماً خطيباً، درس في المدرسه النظاميه، ثم أكمل دراسته في العراق و عاد إلى لكهنو فتولى إداره مدرسه (نور المدارس) في أمروهه، ثم صار إمام الجمععه و الجماعه في (گيا) من محافظه بهار فأقام فيها أربعين سنه، ثم رجع إلى امروهه فبقى فيها حتى وفاته.

له من المؤلفات: تنبيه الغافلين، شرح نهج البلاغه، نجم الزائر.

خير الدين اله آبادي

توفي سنه ١٢٥٠ و يبدو أن وفاته كانت في العراق في هجره له إليه كان معروفا باسم خير الدين جون بوري و لكنه اشتهر بلقب إله آبادي كان عالماً في التفسير و الحديث و الفقه و الأدب و التاريخ.

له من المؤلفات: تاريخ بنارس، تذكرة العلماء، نقد البلاغه في شرح تلخيص المعالي للقزويني، و قد ألفه في جون پور سنه ١٢١٥ على قول أو سنه ١٢٢٥ على قول آخر.

ميرزا داراب بيك،

المشهور بجويا ابن ملا سامري.

من شعراء أواخر القرن الحادى عشر و أوائل القرن الثانى عشر الهجريين في الهند. أصل أسرته من تبريز، و منها ذهبت إلى الهند و سكنت كشمير و ولد هو فيها.

و هو تلميذ الشعراء الايرانيين في الهند، و من ملازمته لهم تعلم الأدب، و كان من مشوقيه إليه ميرزا إبراهيم خان حاكم كشمير، و هو الذى رباه و رعاه و اهتم به.

له: كليات جويا تتضمن قصائد في توحيد الله و مدح الائمة ع. (١).

الشيخ الميرزا داود بن الشيخ أسد الله بن عبد الله البروجردى.

توفي حدود سنه (١٢٩٨ هـ).

من مراجع التقليد و أكابر الفقهاء و أساتذته العلم و الأدب المبرزين النابيين. درس المقدمات على جماعه من أفاضل علماء عصره ثم حضر فى الفقه و الأصول على والده ثم توجه إلى العراق قاصدا الحوزه العلميه الكبرى فى العتبات المقدسه فسكن كربلاء و التحق بحوزه السيد محمد المجاهد المتوفى سنه (١٢٤٢ هـ) و عند ما أصدر استاذه المذكور فتواه بالجهاد فى الحرب الإيرانيه الروسيه عام (١٢٤٠ - ١٢٤٢ هـ) شارك مع استاذه فى الجهاد و عند رجوعه من ساحات القتال سكن قزوین و حضر فى الفقه و الأصول و التفسير على الشيخ محمد صالح البرغانى الحائرى المتوفى سنه (١٢٧١ هـ) و شقيقه الشهيد البرغانى المستشهد سنه (١٢٦٣ هـ) و أخذ الحكمة و الفلسفه و العرفان عن حوزه الملا- آغا الحكيمى القزوينى و الميرزا عبد الوهاب البرغانى آل الصالحى ثم شغل كرسى التدريس و الفتوى و انتهت إليه الرئاسه الروحيه ذكره الميرزا محمد حسن خان اعتماد السلطنه فى كتابه المآثر و الآثار معتبرا إياه من أكابر علماء عصر السلطان ناصر الدين شاه القاجارى و قال ما هو تعريبه (الشيخ الميرزا داود و هو أرشد أولاد الشيخ أسد الله البروجردى المعروف بحجه الإسلام و كان المترجم له من مشاهير العلماء و وحيد عصره من الأعلام المروجين لأحكام الدين و نال شرف مصاهره بنت المرحوم السيد محمد مهدى بحر العلوم). (٢)

يقول عبد الحسين الصالحى: لم يخلف السيد مهدى بحر العلوم سوى بنت واحده تزوجها السيد محمد المجاهد بن السيد على الطباطبائى الحائرى المتوفى سنه (١٢٤٢ هـ) و أما زوجه المترجم له فهى بنت السيد محمد رضا بن السيد مهدى بحر العلوم المتوفى سنه (١٢٥٣ هـ) كما ضبطه السيد محمد صادق آل بحر العلوم فى مقدمه رجال السيد بحر العلوم.

أشار فى أعيان الشيعة إلى والد المترجم له الشيخ الملا أسد الله البروجردى فى المجلد الثالث صفحه ٢٨٦ و قال و تزوج ابنه صاحب القوانينو خلف ثلاثه أولاد ذكور من ابنه الميرزا القمى صاحب القوانين و هم المحمدون الثلاثه الميرزا فخر الدين محمد و جمال الدين محمد و نور الدين محمد أجازهم أبوهم باجازه واحده و صرح باجتهدهم أ. ه.

يقول عبد الحسين الصالحى: و قد خلف الشيخ ملا أسد الله البروجردى والد المترجم له سته أولاد ذكور أكبرهم المترجم له و هو من زوجته الأولى غير ابنه المحقق القمى صاحب القوانين و كذا أخوه الميرزا الشيخ ضياء الدين و الباقون كلهم من ابنه الميرزا أبو القاسم القمى صاحب القوانين. (٣)

ميرزا دبیر سلامت علی بن غلام حسین

ولد سنه ١٢١٨ فى دلهى و توفى سنه ١٢٩٢ فى لكهنو.

هو من أولاد أهلى الشيرازى. جاء من شيراز إلى دلهى أحد أجداده الملا رفيع شاه. درس المترجم على غلام ضامن و الميرزا كاظم على المتوفى سنه ١٢٤٩ و الملا مهدى المازندرانى المتوفى سنه ١٢٥٩ و المولى كاظم على الأخبارى.

كان يجيد العربيه و الفارسيه و اشتهر بمراثيه فى أهل البيت. و يقال أنه كان أخباريا.

له من المؤلفات: المراثى و القصائد، المثنويات و الرباعيات و المقطعات باللغه العربيه و الفارسيه و الأردويه.

١- تاريخ أدبيات إيران.

٢- انظر مقدمه رجال السيد بحر العلوم ج ١ ص ١٢٩ بيروت دار الزهراء.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

ذاكر حسين بهرپلوى

ولد سنه ١٣١٥ و توفى سنه ١٣٧٢ فى الهند.

من سادات (بهرپله)، كان يتقن اللغه العربيه و اللغه الفارسيه و ترجم منهما إلى اللغه الأردويه عدده كتب. و اشتهرت ترجمته لكتاب نهج البلاغه، و صارت هذه الترجمة هى المعول عليها فى جميع الأوساط.

السيد ذاكر حسين زيدى البارھوى ابن گوهر على خان

ولد سنه ١٢٨٤ و توفى سنه ١٣٤٩ فى لكهنو كان عالما فاضلا مبلغا تقيا ورعا. و كان يرتجل الشعر باللغتين العربيه و الفارسيه. له تعليقات و تصنيفات فقدت.

ذاكر على جون بورى

توفى سنه ١٢١١ فى الهند.

هو من الأسره العريقه أسره المفتى أبو البقاء فى قضاء جون پور فى الهند.

كان عالما فاضلا يجيد الأدب العربى و الأدب الفارسى. و أقام فتره فى مدينه لكهنو ثم عاد إلى جون پور. من مؤلفاته: دريعة [ذريعه] المغفره، ترجمه شرائع الإسلام.

ذبيح الله المنصورى

الكاتب المترجم و الصحفى الايرانى الشهير ولد فى رشت و درس بفرنسا - يعد أشهر مترجم إیرانى حيث نالت ترجماته برغم عدم دقته فى التقيد بالنص الأصيلى للكتاب و إضافه مواد إليه. نالت ترجماته التى تجاوزت ١٥٠ كتابا و ١٠٠٠ مقاله عن اللغات العربيه و الفرنسيه و الإنكليزيه شهره واسع فى إيران.

كان أسلوبه قصصيا أخاذا يشد القارئ إليه - و كانت مؤلفاته و ترجماته تطبع عشرات المرات. عاش حياه صعبه حيث كان يكابد الجوع و الفقر طوال حياته و قد ربح آخرون من ترجماته و مؤلفاته الملايين و لكنه لم يستفد من تعب شينا و لم يتزوج إلى آخر حياته. و توفى عام ١٤٠٦ هـ عن عمر يناهز ٧٧. (١)

الشيخ ذو الفقار خان بن على أكبر البسطامى.

توفى حدود سنه (١٢٩٥ هـ).

من أعيان العلماء و أعلام الدين، حكيم فيلسوف أديب شاعر. أصله من مدينه بسطام و نرح إلى خراسان لطلب العلم و منها هاجر إلى قزوین فاخذ الفقه و الأصول عن الشيخ محمد صالح البرغانى الحائرى المتوفى سنه (١٢٧١ هـ) و شقيقه الشهيد البرغانى ثم

حضر في الفلسفه و العرفان على الشيخ آغا الحكمی القزوينی و الميرزا عبد الوهاب البرغانی آل الصالحی ثم هاجر إلى العتبات المقدسه في العراق و تجول في كربلاء، و النجف الأشرف و الكاظمين ثم توجه إلى حج بيت الله الحرام و من هناك رجع إلى إيران.

شاهدت له بعض الرسائل في العلوم العقليه منها رساله سال فيها الفيلسوف الشهير ملا هادی السبزواری صاحب المنظومه المتوفى سنه (١٢٨٩ هـ) أن يشرح له الحديث المعروف بالنورانيه المروي عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب ع في المجلد السابع من البحار للمجلسي في الباب الرابع و الثمانين فكتب له سؤاله في رساله مفصله ثم ذكر فيها موارد إشكالاته على الحديث مبسوطا و أورد فيها الحديث بتمامه و ختمه بقصيده فارسيه في مدح السبزواری مطلعها:

أى مرغ دل پير سوى گلزار سبزواری نظاره کن نصارت أزهار سبزواری

إلى قوله:

(هادی) که از هدایت او بر صراط عدل جار الله است هر که شود جار سبزواری

(أسرار) (٢) کردگار چه در وی شد آشکار یار حق است هر که بود پار [یار] کردگار

ترجم له شيخنا الطهراني في كتابه طبقات أعلام الشيعة و علق على الرساله المذكور و قال (و من الرساله و البيان تظهر براهه المترجم له و مكانته...) (٣) و له بعض الرسائل الأخرى و رساله أرسلها إلى استاذه ملا آغا الحكمی. (٤)

السيد راحت حسين الرضوي بن محمد إبراهيم

ولد سنه ١٣٠٦ في الهند و توفي في سنه ١٣٧٨.

توفى والده و عمره ثلاث سنوات فتولاه السيد بشارت على حيث درس عليه الأوليات، ثم اللغه العربيه على خاله السيد محمد مهدي بهيك بوري، ثم ذهب إلى (تبنه) فدخل المدرسه السلیمانيه، ثم انتمى إلى مدرسه (سلطان المدارس) و حصل على الإجازة سنه ١٣٣٤. و أصبح مديرا ل (مؤسسه الشيعة في الهند)، ثم تابع الدرسة في (رام پور). و في سنه ١٣٣٦ تولى إداره جريده (أخبار شيعه اثنا عشرى) في دلهي. و في سنه ١٣٤٠ عاد إلى بلده ثم ذهب إلى إفريقيا الشرقيه للإرشاد و التبليغ.

رتن سگوه بن بالك رام بريلوي

ولد سنه ١١٩٠ في الهند و توفي فيها سنه ١٢٦٧.

هو هندوسى الأصل كما كان كذلك أستاذه الميرزا قتيل فأسلم أستاذه و تبعه التلميذ.

كان المترجم عالما لا سيما في الرياضيات و الفلك، و الفلسفه، أدبيا باللغه الفارسيه محسنا للعريه و التركي، معدودا في علماء الشيعة البارزين.

له من المؤلفات: سلطان التواريخ باللغه الفارسيه بقى مخطوطا و منه نسخه فى مكتبه جامعه البنجاب بلاهور، و نسخه فى جامعه لكهنو. و كتاب (حدائق النجوم) باللغه الفارسيه (مخطوط)، و كان تاليفه لهذا الكتاب سنه ١٢٥٣ بتكليف من أمير أود محمد على. و هو فى ٥٦ جزءا. و له ديوان شعر باللغه الفارسيه طبع فى لكهنو سنه ١٢٥٣.

رستم حيدر

ولد فى بعلبك سنه ١٨٨٩ م و اغتيل سنه ١٩٤٠ فى بغداد.

اسمه فى الأصل (محمد) و اسم أبيه رستم و كان يدعى محمد رستم

ص: ١٥١

١- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

٢- أسرار: هو تخلص ملا هادى السبزوارى فى شعره الفارسى.

٣- انظر الكرام البرهه ج ٢ ص ٥٢٤.

٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

و لما كانت الأسماء المركبه المقرونه ب (محمد) شائعه مثل: محمد علي، محمد صادق و أمثالها، فقد عرف في أول الأمر باسم محمد رستم علي اعتبار أن رستم جزء من اسم مركب فصار رفاقه يدعونه به اختصارا حتى غلب عليه هذا الاسم و اشتهر به.

بدأ دراسته الأولى في بعلبك و أكمل الدراسه الثانويه في دمشق و الدراسه العليا في اسطنبول بالمدرسه الملكيه التي كانت تعد خريجها للوظائف الاداريه و تخرج منها سنه ١٩١٠ فذهب في بعثه إلى باريس لمتابعه الدراسه فيها، فكان يتابع دراسه التاريخ في (السوربون)، و دراسه الماليه و السياسه في معهد العلوم السياسيه.

و فيما يلي دراسه عن هذه الشخصيه العرييه الفريده مكتوبه بقلم نجده فتحى صفوه: محمد رستم حيدر شخصيه فذه في تاريخ النهضه العرييه و تاريخ العراق الحديث، اجتمعت فيه صفات جعلته نسيج وحده بين رجالات العرب و ساسه العراق. فقد كان دوره المبكر في الحركه العرييه بتأسيس جمعيه (العرييه الفتاه)، ثم التحاقه بفيصل الأول في حملته العسكريه على سوريه، و دوره في مؤتمر الصلح في باريس، و خلال قيام الحكومه العرييه السوريه في عهد فيصل، ثم في دوله العراق الحديثه، دورا أساسيا و إيجابيا في كل فتره من هذه الفترات الثلاث من تاريخ البلاد العرييه القريب.

و على الرغم من أن حياه رستم حيدر انتهت بصوره مفاجئه و مؤلمه برصاصه معتال أثيم و هو في منصب من أرفع مناصبه، فإنه لم يكن رجل الدوله الوحيد الذي لقي مثل هذه النهايه المحزنه و هو في أوج نشاطه و قمه نضجه.

كان رستم حيدر يوم مقتله في الحاديه و الخمسين من عمره، أعزب لا زوج له و لا ولد، يعيش بمفرده. و شيع جثمانه باحتفال مهيب و دفن [دفن] في المقبره الملكيه إلى جانب فيصل الأول و غازى. و كان كل ما تركه من مال دارا صغيره مرهونه و مبلغ ٣٢٠ دينارا كانت كل ما يملك هذا الرجل الذى قضى ما يقرب من ربع قرن من الزمان في معيه فيصل الأول، ثم ابنه غازى، و شغل طيله تلك الفتره أعلى المناصب: رئيسا للديوان الملكى و وزيرا خطيرا في عدّه وزارات، و عضوا في مجلس النواب، ثم في مجلس الأعيان. و كان من أهم موجهى سياسه الدوله العراقيه منذ بدايه نشوئها، و المستشار الرئيسى للملك فيصل الأول، و كاتب خطبه، و كاتم أسراره.

بدايه النضال

في اسطنبول أيام الدراسه التقى محمد رستم حيدر البعلبكي بشابين عرييين آخرين يدرسان فيها أيضا، هما عونى عبد الهادى، و هو فلسطينى من نابلس كان يدرس الحقوق، و أحمد قدرى، و هو سورى من دمشق كان يدرس الطب. فكان ذلك بدايه صداقه طويله و زماله في العمل السياسى و القومى استمرنا حتى نهايه حياتهم.

و في ذلك الوقت كان حزب "الاتحاد و الترقى" قد تولى مقاليد الحكم في الدوله العثمانيه، و أعلن الدستور العثماني في سنه ١٩٠٨ و هم في إسطنبول.

و تخرج رستم حيدر في "المدرسه الملكيه الشاهانيه" في سنه ١٩١٠ فذهب في بعثه لإكمال دراسته العليا في باريس، و سافر صحبه زميل عربى آخر له هو "رفيق التميمى" - و هو فلسطينى من نابلس - و لحق بهما هناك عونى عبد الهادى الذى ذهب لإكمال دراسته في الحقوق، ثم أحمد قدرى للتخصص في بعض فروع الطب.

و أخذ رستم حيدر يحضر دروس التاريخ فى السوربون، و المالىه و السياسه فى مدرسه العلوم السياسيه. و لم تنقطع صلته خلال وجوده فى باريس بزميليه عونى عبد الهادى و أحمد قدرى، كما أنه كان على صله وثيقه بغيرهما من العرب المقيمين فى باريس من طلاب و غيرهم، و إضافه إلى "جمعيه العربيه الفتاه" فإنه اشترك فى باريس بتأسيس جمعيه اخرى هى "جمعيه التهذييات العربيه" و شارك فى نشاطها مساهمه فعاله.

و قد ذكر الدكتور محمود عزمى فى مقاله كتبها فى جريده "الاهرام" بمناسه [بمناسبه] اغتيال رستم حيدر تضمنت بعض ذكرياته عنه حينما كان الاثنان يطلبان العلم فى باريس، ان الطلبة الشرقيين كانت تتقاسمهم جمعيات يتميز بعضها بالحصريه الجنسيه، كالجمعيه المصريه، و الجمعيه الإيرانيه، و جمعيه الصينيين، و يكتف بعضها الآخر الشمول الدينى كجمعيه الإخاء الإسلامى. و كان من المصريين من لا ينتمون إلى تلك الجمعيات و لكنهم يتوقون إلى أن تضمهم وحده و تؤويهم جماعه مع إخوانهم العرب، فاسسوا جمعيه ثقافيه أسموها "جمعيه التهذييات العربيه" - و لم تكن كلمه "الثقافه" شائعه فى ذلك الوقت - و اتخذوا لها مقرا فى قاعه خاصه من قاعات أحد مقاهى الحى اللاتينى، و أنها ضمت بين من ضمت رستم حيدر، و سيد كامل، و توفيق الصاوى، و منصور فهمى، و أحمد ضيف، و أحمد قدرى، و عونى عبد الهادى، و توفيق الناطور، و محمود عزمى.

و قال الدكتور محمود عزمى:

"أشهد أن الفضل كله فى تأسيس تلك الجمعيه، و فيما تجلى خلال اجتماعاتها من حياه، و ماجد من بحوث - و قد استمرت تكفل العرب و العروبه علما و اجتماعا و سياسه إلى اليوم - إنما يرجع لمثابره فذين اثنين:

أحدهما رستم حيدر، و ثانيهما سيد كامل.^(١)

أما "جمعيه العربيه الفتاه" التى كان رستم أحد مؤسسيها الثلاثه الأوائل، فقد كانت جمعيه سياسيه سريه، و هى غير "جمعيه التهذييات" التى كانت جمعيه ثقافيه و ليست سياسيه.

جمعيه العربيه الفتاه

كان العرب فى الدوله العثمانيه يعيشون فى ظل الرابطة الإسلاميه، شركاء متساوين فى دوله واحده، يجمعهم الولاء للخلافه. فلما تولى حزب "الاتحاد و الترقى" مقاليد الحكم، أخذ الاتحاديون يتحولون تدريجيا من تلك الرابطة التى انتظمت القوميات العديده التى تتالف منها الدوله العثمانيه، و خاصه القوميتين الرئيسيتين التركيه و العربيه، إلى فكره التمييز بين العنصر التركى و غيره، و بذلك تغيرت الدوله من كيان إسلامى ذى قوميات متعدده، متساويه فى الحقوق و الواجبات، إلى دوله تركيه تضم رعايا من قوميات أخرى.٠.

ص: ١٥٢

١- محمود عزمى، مقاله بعنوان "ذكريات عن رستم حيدر - المجاهد الصابر"، "الاهرام"، القايره، ٢٦ كانون الثانى (يناير)

و عندئذ تساءل العربي عن مكانه في هذه الدوله أين يكون، و عن حالته ما هي؟ أ هو أشبه بالألماني أو الفرنسي أو الايطالي في الدوله السويسريه، أم هي أقرب إلى حاله الهندي في الامبراطوريه البريطانيه؟ و لم يقتصر هذا الشعور و التساؤل على العرب بين رعايا الدوله العثمانيه و حدهم، بل ساد أبناء القوميات الأخرى التي كانت تضمها تلك الدوله، كالأكراد مثلا. و يقول الوزير المؤرخ الكردي محمد أمين زكي الذي كان ضابطا لامعا في الجيش العثماني:

"لما زالت كلمه (العثماني) من الوجود في تركيه، و حلت محلها كلمتا التركي و الطوراني، شعرت أنا أيضا بطبيعته الحال - كسائر أفراد العناصر العثمانيه غير التركي - شعورا قويا بقوميتي المستقله عن الترك". (١)

و كان في الدوله العثمانيه، و بين رجال عبد الحميد المقربين شخصيات عربيه ارتقت مراتب الدوله و تدرجت في مناصبها. بينها - مثلا - عزت باشا العابد، و أبو الهدى الصيادي، و غيرهما. فلما خلع الاتحاديون عبد الحميد و أخذوا يهاجمون حكمه و يشهرون بمظالمه، كان من الطبيعي أن يتناول الهجوم رجال "عهده البائد" المقربين إليه، و الذين كان يستعين بهم في تدوير أموره و يستخدمهم في توطيد حكمه، أو قمع معارضيه. و لما كان بعض رجال عبد الحميد المهمين من العرب، فقد أخذ غلاه الاتحاديين من قومه أولئك الرجال سبه، و من عروبتهم مطعنا. و يروي الدكتور أحمد قدرى مثلا أنه سمع في اسطنبول، مع زميله عوني عبد الهادي، عقيب إعلان الدستور، ضابطا تركيا يلقي في جمهور غفير من الناس خطابا يتغنى فيه بالدستور و حسناته، ثم لا يلبث أن يتحامل على رجال عبد الحميد السابقين من العرب بقوله: الخائن "عرب عزت"، و الخائن "عرب أبو الهدى"، بينما لم يندد بالأتراك الذين كانوا يخدمون عبد الحميد و هم، بطبيعته الحال، أكثر عددا، و إذا فعل فلا يذكر قوميتهم أو يطعن فيها. و تساءل الشاب العثماني العربي السوري أحمد قدرى: إذا كان الخطيب يندد بالرجلين لشخصيهما فلما ذا يذكر اسميهما مقرونا بقوميتيهما؟ (٢)

و لم تكن هذه الحادثه الوحيده من نوعها طبعاً، بل أنها كانت أنموذجاً لتفكير الاتحاديين في ذلك الوقت، و كان هذا الطراز من التفكير يظهر بوضوح في خطب رجال ذلك العهد، و أقوال صحافته. و لا شك أن تمسك الأتراك بقوميتهم و تعصبهم لها، و حصرهم سياستهم في إعلاء شأنها، و تفضيلها على غيرها، و الاعتماد على أبنائهم و حدهم، كان سبباً طبيعياً لاستفزاز أبناء القوميات الأخرى التي كانت حتى ذلك الوقت تعيش متاخيه مع الأتراك في ظل الخلافه العثمانيه، تجمعهم الرابطة الإسلاميه. و قد أدى ذلك إلى إذكاء الشعور القومي بين رعايا الدوله من غير الأتراك، و لما كان العرب يؤلفون أكبر نسبة بين رعايا الدوله العثمانيه، كان من الطبيعي أن تكون ردود الفعل للنعره التي أثارها الاتحاديون أقوى بينهم منها بين غيرهم من القوميات. و قد روى الشبان العريبيان أحمد قدرى و عوني عبد الهادي ما شاهدها لزميلهما الثالث رستم حيدر، و زادهم الحادث شعوراً بالمراره نحو الاتحاديين و سياستهم العنصريه، و غيره على أمتهم العريبيه و حالتها، و تحدثوا بما يمكنهم القيام به لاعطاء عنصرهم العربي شخصيته في هذا المعترك، ففقدوا العزم على العمل من أجل بعث روح النهوض القومي في أمتهم، و فكروا في تأليف جمعيه عريبيه سياسيه سريه يكون اسمها "جمعيه العريبيه الفتاه" - مقابل جمعيه "تركيه الفتاه" - و كان ذلك بعد إعلان الدستور العثماني باربعه أيام فقط، كما يروي أحدهم - أحمد قدرى - في مذكراته. (٣)

و لما عاد أحمد قدرى إلى دمشق فاتح "عارف الشهابي" الذي كان معاوناً لوالى سوريه، بفكره الجمعيه، فوافق عليها و استحسناها، و شجع على المضي في تحقيقها. (٤)

كانت "العربية الفتاه" من أوائل الجمعيات العربية السريه التي تألفت بعد إعلان الدستور العثماني، و كان رستم حيدر أحد مؤسسيها الثلاثة الأوائل، و بذلك كان من رواد الحركة العربية في العصر الحديث.

و كان شعار الجمعيه في بدايه تاليفها "العمل للنهوض بالأمة العربية إلى مصاف الأمم الحيه، و اغتنام الفرص لتحقيق هذه الأمنيه، و عدم الانفصال عن الترك". على أن هذا الشعار أو البرنامج تعدل بعد إعلان الحرب فاتجهت النيه إلى العمل من أجل استقلال بلاد العرب و تحريرها من الحكم العثماني.(٥)

و هنالك شىء من الاختلاف في تاريخ تأسيس "العربية الفتاه". فبينما يذكر أحمد قدرى أنها تأسست في اسطنبول بعد إعلان الدستور العثماني باربعه أيام فقط(٦)، تروى الدكتور خيرييه قاسميه أن عونى عبد الهادى أكد لها في مقابله خاصه أن فكره الجمعيه لم تتحقق إلا في باريس عام ١٩١١.

و من المحتمل أن تكون فكره الجمعيه ولدت في اسطنبول، و نواتها تكونت فيها، و لكنها "تحققت" بصوره رسميه في باريس. و قد ضمت الجمعيه في البدايه، إلى جانب مؤسسيها الثلاثة، كلا من رفيق التيمى، و محمد المحمصانى، و عبد الغنى العريسي، و صبرى الخوجه، و توفيق الناطور. و من بين هؤلاء تألفت أول هيئه إداريه للجمعيه في باريس سنه ١٩١١، انضم إليهم فيما بعد جميل مردم بك، و صبحى الحسيبى، و الأمير مصطفى الشهابى، و توفيق فائد. و لم يزد عدد الأعضاء حتى نهايه الحرب عن ٦٠ عضوا كان أكثرهم من أبناء سوريه الطبيعيه.

و في رساله بعث بها عبد الغنى العريسي من باريس إلى محب الدين الخطيب مؤرخه في ٢ كانون الثانى (يناير) ١٩١٣ وصف لمبادئ الجمعيه بأنها "تحرير الأمة العربية حسب الأحوال و الظروف فخطوه بكل الوسائل الشرعيه و غير الشرعيه".(٧)

و كان من الخطط الداخليه للجمعيه أن لا يعرف الداخل فيها سوى الذى أدخله، كما كانت لها كلمات رمزيه اصطلحت عليها للمكاتبات و الاتصالات، و سجلات منظمه باداره سكرتيرها العام محمد محمصانى.٣.

ص: ١٥٣

١- محمد أمين زكى، خلاصه تاريخ الكرد و كردستان، تعريب محمد على عونى، القايره، ١٩٣٦ (المقدمه).

٢- الدكتور أحمد قدرى، مذكراتى عن الثورة العربية الكبرى، دمشق، ١٩٥٦، ص ٦ -

٣- أحمد قدرى، المرجع السابق، ص ٦-٧.

٤- أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى، القايره، المجلد الأول، ص ٩.

٥- أحمد قدرى، المرجع سالف الذكر، ص ٦-٧.

٦- خيرييه قاسميه، الحكومه العربية في دمشق، القايره، ١٩٧١، ص ٢٠.

٧- نقلا عن سليمان موسى، الحركة العربية، بيروت، ١٩٧٠، ص ٣٣.

و كان تجتمع أسبوعيا بانتظام، و تدون قراراتها في سجل خاص.

و قد انتقل مركز الجمعيه إلى سوريا بعد عوده مؤسسيتها إلى بلادهم في سنة ١٩١٣ و اتخذت بيروت مقرا رئيسيا لها. و تولى الدكتور أحمد قدرى إداره فرعها في دمشق، فاتسع نطاقها و كثر عدد أعضائها، و تضاعف نشاطها بعد إعلان الحرب العالميه الأولى، و خصوصا مع انتقال مقرها العام من بيروت إلى دمشق بسبب الهجره، إذ انتقل معظم رجالها إلى دمشق.

و من الذين دخلوا فيها بعد انتقالها إلى سوريه قبل إعلان الحرب:

نسيب البكرى، الأمير عارف الشهابى، توفيق الناطور، محمد الشريقى، عمر حمد، توفيق البساط، رفيق رزق سلوم، سيف الدين الخطيب، صالح حيدر، الشيخ كامل القصاب. و انتمى إليها بعد إعلان الحرب الأمير فيصل بن الحسين، و على رضا الركابى، و ياسين الهاشمى، كما انتمى إليها بعد انتهاء الحرب كثيرون غيرهم. و كان من جملة قواعدها أن توغز إلى أعضائها بالاتصال بالجمعيات العربيه الأخرى و الدخول فيها لتكون على معرفه بكل حركة تحدث. (١)

و كانت الجمعيه تدقق أشد التدقيق فى اختيار أعضائها لكى يظل سرها مصونا فلا يبلغ مسامع الحكومه. و مما يدل على حسن تنظيمها أن الأتراك لم يعلموا بأمرها حتى نهايه الحرب، و قد حافظ أعضاؤها على السرفلم ببوحوا به، و لم يش أحد منهم برفيق له على الرغم من المحاكمات العسكريه، و الإرهاب، و التعذيب، و أحكام الاعدام. (٢) و قد شتق جمال باشا من أعضائها: عبد الغنى العريسي، و محمد المحمصانى، و سيف الدين الخطيب، و رفيق رزق سلوم، و توفيق البساط، و عارف الشهابى، و عمر حمد، و صالح حيدر.

و قد ساهمت "العربيه الفتاه" فى كثير من الحركات القوميه و الأعمال التى استهدفت نهضه الأمه العربيه، و قام رستم حيدر و زملاؤه بأكبر نصيب فى تحقيق هذه الغايات متصلين بالوطنيين فى البلاد العربيه و العواصم الأوروبيه، و المهاجر الأمريكيه، و كانوا بحق من رواد الفكره العربيه الأوائل.

فى الوطن

أكمل رستم حيدر دراسته فى باريس سنة ١٩١٢ بعد أن قدم أطروحه باللغه الفرنسيه موضوعها "محمد على باشا الكبير فى سوريه"، و هى مطبوعه، و عاد إلى وطنه، فعين مديرا للمدرسه السلطانيه فى "خربوط".

و كانت قد قامت فى سوريه بعد الحرب البلقانيه حركه إصلاحيه كان من جملة أعمالها إنشاء مدرسه "سلطانيه" فى دمشق باسم "مدرسه التجهيز العربيه" تدرس فيها العلوم باللغه العربيه. و قد اختير رستم حيدر مديرا لهذه المدرسه، لأنه كان من الشبان العرب القلائل الذين درسوا فى أوروبا دراسه عاليه، فأظهر فى عمله كفاءه مشهوده، (٣) و كان بنفس الوقت يعمل سرا مع إخوانه فى سوريه الداخليه و الساحليه على تنفيذ البرنامج الواسع الذى رسموه و هم على مقاعد الدراسه فى اسطنبول و باريس للنهوض العربى، ففتحت فروع عديده لجمعيه "العربيه الفتاه" فى سوريه و لبنان و فلسطين، و قوى اتصالها بالجمعيات العربيه الاستقلاليه الأخرى فى الشام و العراق و مصر. (٤)

على أن نشوب الحرب العظمى و تجنيد المعلمين و المتعلمين من طلاب الصفوف العليا حال دون مواصلة التدريس فى مدرسه التجهيز العربيه فى دمشق، و أدى إلى غلق هذا المعهد.

و فى أواخر سنه ١٩١٤ وردت الأوامر من الاستانه بنفى أسره حيدر من بعلبك لموقفهم المعادى من الاتحاديين، و تخوف الحكومه من نفوذهم. و كان رستم حيدر الوحيد الذى استثنى من أبناء العائله من ذلك النفى بسبب دراسته العاليه و مؤهلاته التى كانت نادره بين رجال سوريه فى ذلك الوقت، و لرغبه السلطات فى الاستفادة من خدماته.(٥)

و قد سار الاتحاديون أثناء الحرب العامه على سياسه اجتذاب قلوب العالم الإسلامى، و الحصول على أوسع تأييد ممكن. و على الرغم من سياستهم العنصريه، فإنهم حاولوا أيضا استغلال الشعور الدينى، فاعلنوا الجهاد المقدس على دول الحلفاء، و أخذوا يبتون الدعايه الإسلاميه بقصد استماله المسلمين إليهم فى كل مكان.

و قد حسن الشيخ عبد العزيز شوايش (٤) لجمال باشا أن يؤسس مدرسه دينيه فى القدس لتخريج أناس لهم القدره الكافيه على بث الروح الإسلاميه و تقويه الشعور الدينى ترسيخا لكيان الدوله العثمانيه و مقام السلطنه، فلقبت الفكره إعجابا من جمال باشا و قرر تنفيذها. و كانت فى القدس مدرسه قديمه باسم "مدرسه أتباع الامام الشافعى" غير أن معالمها و أحوالها تغيرت مع الزمن. فأعاد جمال باشا هذه المدرسه باسم "الكلية الصلاحيه" - نسبة إلى صلاح الدين - و جعلها مرتبطه مباشرة بمقام شيخ الإسلام و بوزاره الأوقاف، فأصبحت أشبه بكلية دينيه عصريه تدرس فيها العلوم الدينيه و اللغات، و يتخرج فيها علماء فى الشريعه الإسلاميه، و خطباء فى الجوامع، و قضاة فى المحاكم الشرعيه.(٧)

و قد أعار جمال باشا هذه الكلية اهتمامه الشخصى، و اختار لها مديرا هو جميل بك النبال الحلبي، أستاذ القانون الدولى العام فى كلية الحقوق ٦.

ص: ١٥٤

١- أمين سعيد، المرجع سالف الذكر، المجلد الأول، ص ١٠.

٢- سليمان موسى، المرجع سالف الذكر، ص ٢٠.

٣- أمين سعيد، مقاله بعنوان "اتحاد سوريه و العراق - من أحاديث معالى رستم بك حيدر"، جريده "صدى العهد"، بغداد، السنه الثانيه، العدد ٣٥٥، ١٥ تشرين الأول ١٩٣٠.

٤- رفائيل بطى، مقاله فى جريده "البلاد" رستم حيدر - كاتم سر الملك فيصل الأول - أحد رواد النهضه العربيه " فى عدديها الصادرين فى ١٨ و ١٩ كانون الثانى ١٩٤٢ بمناسبة الذكرى الثانيه لوفاته.

٥- من المعلومات التى أدلى بها إلينا الأستاذ جودت حيدر فى بيروت بتاريخ ٢٥ آب ١٩٧٤.

٦- الشيخ عبد العزيز شوايش (١٨٧٦ - ١٩٢٩) تونسى الأصل ولد بالاسكندريه و تعلم فى الأزهر و دار العلوم و اختير أستاذا للأدب العربى فى جامعه كمبرج، ثم عاد إلى مصر فاشتغل بالتعليم و اتصل بمصطفى كامل و تولى تحرير جريده "اللواء" سنه ١٩٠٨، فحوكم و سجن مرارا. و رحل إلى الآستانه فاصدر فيها جريده "الهلال" فمجله "الهدايه" ثم مجله "العالم الإسلامى"، و أرسلته الحكومه العثمانيه خلال الحرب العالميه الأولى إلى برلين للدعايه. و دخل مصر خلسه بعد الحرب، ثم أظهر نفسه، فعين

مراقبا عاما للتعليم الثانوى و توفى بالقاهره.

٧- أحمد عزت الأعظمى، القضية العرييه - أسبابها، مقدماتها، تطوراتها، نتائجها، بغداد، الجزء السادس، ص ١٥-١٦.

بالأستانه، كما عين لها مجموعه من الأساتذه و الموظفين، كان بينهم رستم حيدر الذى أصبح معاوننا للمدير. ولما عاد مدير الكليه إلى الاستانه، أوصى الشيخ عبد العزيز شاوليش بتعيين رستم حيدر مديرا لما أظهره فى الكليه من مقدره و ذكاء، فعين لهذا المنصب، على الرغم من انتمائه إلى أسرہ "حيدر" التى كان الاتحاديون يرتابون فى أفرادها كل الارتياب.

و كان رستم حيدر خلال توليه إداره المدرسه يقوم إلى جانب الاداره بإلقاء دروس فى التاريخ. و قد جمع دروسه فى كتب سماها "التاريخ القديم"، و "تاريخ الإسلام و القرون الوسطى"، و "فجر التاريخ الحديث"، و هى غير مطبوعه.

الالتحاق بفيصل

كان التحاق رستم حيدر بالأمير فيصل نقطه تحول خطيره فى حياته، و بدايه عهد جديد فى سيرته، تبدل رستم فيه من طالب العلم المجد، و عضو جمعيه العربيه الفتاه السريه، و المعلم الهادئ، إلى سياسى ناضج، و رجل دوله من الطراز الأول.

و قد بقى رستم مديرا "لللكيه الصلاحيه" حتى سنه ١٩١٧، و فى تلك السنه أصبح القدس مهددا بالسقوط بيد الإنكليز، فغادره و عاد إلى دمشق، و قضى فيها أسابيع كان خلالها على اتصال بمن كان موجودا فيها من أعضاء "العربيه الفتاه". و هناك قرر الالتحاق بفيصل مع عدد من رفاقه.

و كان (الأمير) فيصل قد وصل من الحجاز إلى "أبى اللسن" على رأس "الجيش الشمالى"، و احتل مرتفعات "سمنه" التى تشرف على "معان"، و بذلك أصبح الاتصال بين سوريه و الأمير فيصل أسهل من ذى قبل. و فى تلك الأثناء نقلت القطعه التركيه التى يقودها ياسين الهاشمى إلى جبهه فلسطين قرب عمان. فتم الاتصال به بواسطة الملازم سليم عبد الرحمن(١) لاستشارته فيما يمكن عمله، فأبدى ياسين تحفظا شديدا كعادته، و أبدى أن الأمر أصبح بيد فيصل. فقررت زمره من أعضاء "العربيه الفتاه" الموجودين الاتصال بالأمير فيصل و استشارته فى أمر الالتحاق به. فجاء الرد بأنه إذا لم يعد بالإمكان القيام باى عمل إيجابى فى دمشق فليلتحقوا به فى "أبى اللسن".

و بدأت الاستعدادات لتهيئه الحمله للالتحاق بمقر الأمير فيصل على طريق الصحراء و عبر جبل الدروز. و كان فى الحمله الدكتور أحمد قدرى، و أخوه تحسين قدرى الذى كان ضابطا فى جبهه فلسطين فعاد إلى دمشق متنكرا. و كان رستم أحد أعضائها. أما الآخرون فهم: رفيق التميمى، و سليم عبد الرحمن، و الملازم الأول محمود المغربى، و المعلم خليل السكاكيني (الأديب الفلسطينى المعروف) و سعيد البانى، و لطفى العسلى و أخواه.

و استعانت الحمله بسليم بن يوسف عبيد من "جرمانا" لتهيئه الخيل و السلاح و العتاد للمتطوعين، و بلغت التكاليف حدا باهظا.

و فى ١٠ آب ١٩١٨ قصدوا، متفرقين، بستان "اليونسيه"، أحد بساتين جرمانا بغوطه دمشق، فاجمعوا أمرهم و غيروا زيهم، و غادروا تحت جناح الليل متجهين إلى قريه "خلخله".(٢) و على الرغم من إحاطه أمر الحمله بالكتمان الشديد، فقد بلغ أمر مغادره هؤلاء الفتيان السلطه العسكريه فى دمشق، فجدت فى ملاحظتهم، و وضعت جائزه قدرها خمسمائه ليره ذهيبه لكل من ياتى برأس واحد منهم، حيا أو ميتا.

و تبدأ مذكرات رستم حيدر - أو ما بأيدينا منها - منذ يوم مغادره الحمله بستان اليونسيه في ١٠ آب ١٩١٨، فقد دون ذكرياته و انطباعاته يوما بعد يوم خلال السفره الطويله التي قطعوا خلالها الصحراء على ظهور الإبل مارين بجبل الدروز، حيث حلوا ضيوفا على سلطان الأطرش أياما. و يصف رستم حيدر كثيرا من عادات الدروز و يقدم صوره ناطقه عن حياتهم و يسجل عنهم ملاحظات طريفه، كما يصف الأهوال و المصاعب التي مروا بها في الطريق.

و خلال هذه الأيام نظم السكاكيني نشيده المشهور: "أيها المولى العظيم" لينشد أمام فيصل عند وصول البعثه إلى مقره.

و واصلت الحمله بعد ذلك سيرها حتى بلغت مقدمه الجيش العربى التي كانت مخيمه في "وهيده" مقابل معان في ٣٠ آب، بعد حل و ترحال استمر عشرين يوما، شهد أعضاؤها خلالها عناء عظيمًا، و مشقات بالغه. و قد استقبلهم قائد المفوزه الشماليه على جودت. (٣) و بعد أن استراحوا لديه قليلا أرسلهم إلى مقر الأمير فيصل في "سمنه" ذكر نوري السعيد - الذى كان مع الأمير فيصل - وصولهم قائلا:

".. و قبيل زحف الجحفل وصلنا بعض المتطوعين عن طريق الصحراء من جبل الدروز، و هم رستم حيدر، و رفيق التميمي، و أحمد قدرى، و تحسين قدرى الذى عينته مرافقا لى". (٤)

الدخول إلى دمشق

و يواصل رستم حيدر تدوين يومياته فيصف المسيره نحو درعافدمشق، و ما رافقها من أحداث، حتى دخول دمشق في ٣ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩١٨. و على أثر وصول فيصل إلى دمشق عين أمير اللواء على رضا (باشا) الركابى حاكما عسكريا عاما لسوريه، و أوفد أمير اللواء شكرى (باشا) الايوبى و رستم حيدر إلى بيروت لاعلان قيام الحكومه العربيه فيها.

و قد دون رستم حيدر تفاصيل هذه المهمه في يومياته، إذ وصلا إلى بيروت يوم ٦ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٨، و تم إعلان انضمام لبنان إلى الحكومه العربيه، و عين حبيب باشا السعد حاكما مدنيا، كما أعلن ذلك في المدن الأخرى. ففي صيدا ألف الأهلون إداره عربيه موقته و رفعوا العلم العربى، ثم وصل مندوب الحكومه العربيه قادما من دمشق، و حدث الأمر ذاته في اللاذقيه و فى طرابلس و صور و بقيه المدن الساحليه.

و لكن السلطات الفرنسيه التي كانت متمسكه بنود معاهده سايكس - بيكو احتجت على هذه الاجراءات، و أيدت بريطانيه موقف حليفاتها، فاصدر الجنرال اللنبى أمرا بتعيين الكولونيل بياباب الفرنسي حاكما عسكريا للمنطقه الغرييه، و طلب إلى الأيوبى أن ينزل العلم العربى و ينسحب، فلما..

ص: ١٥٥

١- سليم عبد الرحمن: من المناضلين الفلسطينيين.

٢- أحمد قدرى، المرجع سالف الذكر، ص ٦٤-٦٥.

٣- رئيس وزراء العراق فيما بعد.

٤- نوري السعيد، محاضرات عن الحركات العسكريه للجيش العربي في الحجاز و سوريه، ألقيت على طلبه كليه الأركان ببغداد
في مايس سنه ١٩٤٧، مطبعه الجيش بغداد، ص ٥٧.

رفض الأيوبي ذلك، أمر النبي بانزال الأعلام العربيه فى بيروت و المدن الساحليه الأخرى عنوه، و أرسل فيصل بقره احتجاج طويله إلى النبي، و عاد شكرى الأيوبي و رستم حيدر إلى دمشق.

فى مؤتمر الصلح

و لما عقدت الهدنه العامه بين ألمانيا و الحلفاء، و بدأت الاستعدادات لعقد مؤتمر الصلح فى باريس، استفسرت وزاره الخارجيه البريطانيه من النبي فى دمشق، و وينغيت فى القاهره، عن رأيهما فى توجيه الدعوه إلى الملك حسين، ملك الحجاز، للمشاركة فى مؤتمر الصلح، باعتباره مساهما فى المجهود الحربى للحلفاء، على أن يمثله ابنه الأمير فيصل، فلما أيدا الفكره أبرق الملك حسين إلى فيصل طالبا إليه حضور المؤتمر مندوبا عنه، فتوجه فيصل إلى فرنسا فى يوم ٢٢ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٨ على ظهر الطراد " غلوستر " قاصدا فرنسا و كان يرافقه نوري السعيد و رستم حيدر و الدكتور أحمد قدرى و فائز الغصين.

و قد وصل الطراد إلى مارسيلىا يوم ٢٦ تشرين الثانى [١٩١٨]، و كان فى استقبال فيصل لورنس موفدا من الحكومه البريطانيه، و المسيو برتران عن الحكومه الفرنسيه. و لما وصل فيصل مدينه ليون أبلغه الكولونيل بريمون - المندوب الفرنسى الثانى - أنه ليست لدى فرنسا أيه معلومات عن المهمه الرسميه التى أنيطت به فى فرساي " و لذلك فليس من المرغوب فيه أن تواصل سفرى إلى باريس " (١) و كان ذلك صدمه كبيره لفيصل.

و بعد أن قضى فيصل فى فرنسا عشره أيام زار خلالها بعض المدن الفرنسيه، و ميادين الحرب، و جهت إليه الدعوه أخيرا لزياره باريس بنتيجه ضغط شديد من بريطانيا، فسافر إليها و استقبله رئيس الجمهوريه بوانكاريه و فى مساء يوم ٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٨ غادر فيصل و حاشيته فرنسا إلى انكلترا، فوصل لندن فى اليوم التالى.

و يستأنف رستم حيدر تدوين مذكراته فى لندن ابتداء من يوم ١٥ كانون الأول ١٩١٨ بعد أن انقطعت منذ ٩ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩١٨ فى دمشق، فيصف مدينه لندن، كما بدت فى ذلك الوقت، و يدون تفاصيل اجتماعات فيصل باللورد كرزى فى وزاره الخارجيه، و عاد فيصل إلى باريس فى ٧ كانون الثانى (يناير) ١٩١٩ لحضور مؤتمر الصلح مندوبا عن الحجاز، و كان رستم حيدر المندوب الثانى.

و افتتح المؤتمر فى ١٨ كانون الثانى، و فى ٦ شباط (فبراير) ألقى فيصل فى المؤتمر كلمته التى عرض فيها وجهه النظر العربيه أمام " مجلس العشره " بحضور الرئيس الأمريكى وودرو ويلسن، و رئيس وزراء بريطانيا لويد جورج، و رئيس وزراء فرنسا كليمانصو، و رئيس وزراء إيطاليا أورلاندو الذين كان يشار إليهم باسم (الأربعه الكبار).

و فى ٢٣ نيسان (أبريل) ١٩١٩ غادر فيصل باريس عائدا إلى سوريا، بعد أن قضى فى أوروبا خمسه أشهر تقريبا، و تختلف رستم حيدر فى باريس و أصبح مندوبا للحجاز فى المؤتمر، كما أصبح عونى عبد الهادى المندوب الثانى.

و خلال هذه المده كانت الأحداث فى سوريا تتوالى، و السياسه الدوليه تجاهها تمر بتقلبات مؤلمه، و دارت حولها مساومات لا تمت إلى مصالحها بسبب، بل كانت صراعا بين الدول الكبرى على اقتسام غنائم الحرب.

و وجدت بريطانيا إزاء تعنت فرنسا، أنها لا تستطيع أن تضحى بحليفاتها من أجل العرب مهما كانت تعهداتها لهم فى ساعه الشده. و اقترح الرئيس الأمريكى و يلسن إرسال لجنة تحقيق لمعرفة رغبات سكان المنطقه، فرفضت فرنسا الاشتراك فى اللجنه، أما بريطانيا فإنها بعد أن وافقت على الفكره مبدئيا، عادت فتخلفت عن إرسال ممثليها. و سافرت لجنه التحقيق التى اشتهرت باسم عضويها الرئيسيين "كينغ و كراين" بعد الملابس التى رافقت تأسيسها و ايفادها.

و بعد عوده اللجنه و تقديمها تقريرها الذى وضع على الرف، دعت الحكومه البريطانىه الأمير فيصل لزياره أوروبا مره اخرى للتداول مع لويد جورج و اللنبى و كليمانصو حول القضيه السوريه، و إبلاغه بموضوع انسحاب القوات البريطانىه من سوريه و ترك المجال لفرنسا كليا. فوصل فيصل إلى لندن فى ١٩ أيلول (سبتمبر) و عقد سلسله من المباحثات مع الحكومه البريطانىه استمرت حتى ١٤ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩١٩، و اشترك فى المباحثات من الجانب البريطانى رئيس الوزراء لويد جورج، و وزير الخارجيه اللورد كرزى الذى خلف بلفور فى منصبه حديثا، و اللنبى، و ستورز، و كورنواليس. أما الوفد العربى فكان مؤلفا من فيصل، و الجنرال حداد (باشا)، و فؤاد الخطيب، و رستم حيدر، و عونى عبد الهادى.

و يروى رستم حيدر فى يومياته تفاصيل اجتماعات فيصل بالمسئولين البريطانيين و كيفيه قضائه أوقاته فى لندن يوما بيوم، و يدون ملاحظاته و انطباعاته عنها.

و من لندن سافر فيصل إلى باريس بناء على نصيحه كرزى لمفاوضه كليمانصو للحصول على أفضل الشروط الممكنه. و دارت المفاوضات باشراف كليمانصو، و كان يقوم بها مسيو "غو" مدير الشؤون الشرقيه فى وزاره الخارجيه، و برتلو المدير العام لوزاره الخارجيه، و رويير دو كيه الذى دبر حمله الصحافه لدعم الادعاءات الفرنسيه فى سوريا. كما كان رستم حيدر و عونى عبد الهادى يفاوضان باشراف فيصل و توجيهه. و كانت مفاوضات صعبه وجه فيها الفرنسيون اهتمامهم الأول إلى حمل فيصل على الاعتراف بان سوريا يجب أن تقع ضمن منطقه النفوذ الفرنسى.

و مرت هذه المفاوضات بمراحل عديده، و استغرقت عدّه شهور، و غادر فيصل باريس فى ٧ كانون الأول (يناير) ١٩٢٠ على ظهر سفينه حريه فرنسيه أيضا، و بقى رستم حيدر و نورى السعيد فى باريس يواصلان الاتصالات و المباحثات، ثم عاد نورى السعيد أيضا إلى دمشق بعد مده قصيره.

و على أثر وصول فيصل إلى دمشق اجتمع "المؤتمر السورى" فى ٨ آذار (مارس) و أعلن استقلال سوريه و مبايعه فيصل ملكا. و فى الوقت نفسه اجتمع، فى دمشق أيضا، "مؤتمر عراقى" قرر فيه العراقيون -الذين كان فى سوريا عدد غير يسير منهم - إعلان استقلال العراق و ملكيه الأمير عبد الله بن ٩٧

ص: ١٥٦

الحسين عليه، على أن يكون متحدا سياسيا و اقتصاديا مع سوريا، متطابقا في ذلك مع ما قرره "المؤتمر السوري" بالنسبة للعراق. وقد أذيع هذا القرار في اليوم نفسه و أعلن فيصل تأييده له. و لكن الحكومتين الفرنسيه و البريطانيه رفضتا الاعتراف بشرعيه قرارات المؤتمر في دمشق، و أصرتا على اعتبار فيصل أميرا هاشميا يدير البلاد بصفته قائدا لأحد جيوش الحلفاء.

و حدد موعد للاجتماع الثانى لمؤتمر الصلح (مجلس الحلفاء الأعلى) في "سان ريمو" في ١٨ نيسان (أبريل) ١٩٢٠، و دعى فيصل لحضوره، و لكنه رفض الذهاب و أوفد رستم حيدر و نوري السعيد و نجيب شقير ممثلين له، فوصلوا سان ريمو في ٢٣ نيسان، و أجروا اتصالات كثيره، و حثوا من تمكنوا من الاتصال بهم على ضروره أخذ رغبات السكان في البلاد التي ستوضع تحت الانتداب بعين الاعتبار، و لكن حججهم لم تجد أذنا صاغيه، بل رفض أعضاء المؤتمر أن يعترفوا للمندوبين العرب بآيه صفه رسميه و لم يسمحوا لهم بعرض و جهات نظرهم. و انتهى المؤتمر بتوزيع الانتدابات بين فرنسا و بريطانيا على النحو المعروف، بانتداب فرنسا على سوريا و لبنان، و بريطانيا على العراق و فلسطين، و بذلك تم ترسيخ الاتفاقات السريه التي عقدت إبان الحرب، و لم يكن نظام الانتداب الجديد سوى "بديل عن الاستعمار القديم" حسب اعتراف لويد جورج نفسه،(١) و كان ذلك، كما قال اللورد بيرد وود: "مكافاه غريبه تأتي من دول الحلفاء التي تجاهلت تعهداتها السابقه لمن ساعدوهم في تحقيق النصر".(٢)

و أعقب ذلك ما أعقبه من أزمه إنذار غورو، و موقعه ميسلون، و خروج فيصل في ٢٤ تموز من دمشق التي دخلها دخول الفاتحين قبل اثنين و عشرين شهرا.

و كان الفرنسيون يريدون ليفصل، بعد خروجه من دمشق، أن يتوجه إلى الحجاز، و يلتحق بوالده فيه، فيكون بعيدا عن الأنظار، و ينسأه الرأى العام العالمى، ليبقى المجال مفتوحا أمامهم لتنفيذ مخططاتهم الاستعماريه فى سوريا، و توطيد أقدامهم فيها تحت ستار الانتداب بدون آيه مشاكل.

و لذلك أعدوا له قطارا يقبله، مع عائلته و حاشيته، نحو الجنوب، فغادر دمشق إلى درعا، و بقى فيها ثلاثه أيام مترددا بين السفر غربا إلى حيفا و أوروبا، أو جنوبا إلى عمان فالحجاز. و لكنه قرر أخيرا أن يسافر إلى سويسرا للاتصال بمجلس السلم و بعصبه الأمم. و لما كان سفره إلى سويسرا عن طريق فرنسا متعذرا، نظرا لما حدث بينه و بين الفرنسيين، فارتأى أن يسافر إليها عن طريق ايطاليا، فغادر درعا إلى حيفا، ثم إلى بور سعيد، حيث استقل باخره تجاريه مسافره إلى ايطاليا. و لم يستصحب فيصل معه فى هذه السفره سوى عدد قليل من رجاله و هم نوري السعيد و إحسان الجابرى و ساطع الحصرى، كما كان معه أخوه الأمير زيد، و مرافقا أخيه، صبيح نجيب و راسم سردست.

و نزل فيصل و حاشيته فى ميناء "البندقية"، ثم سافروا إلى روما، فميلانو، و منها استقلوا القطار متجهين إلى سويسرا. و قبل وصولهم إلى الحدود السويسريه، استقبلهم فى الطريق حداد باشا الذى كان فيصل قد أوفده إلى لندن معتمدا موقتا له، و أبلغهم رساله شفويه من الجنرال كلايتن تتضمن أن "رئيس وزراء بريطانيا مشغول الآن فى سويسرا باجتماعات و مذاكرات هامه، و إن وصل الملك فيصل إلى هناك فى هذه الآونه، يربك هذه الاجتماعات و المذاكرات، و يؤدي إلى مشاكل كثيره ليس من مصلحه أحد اثارها فى الأحوال الحاضره. و لهذا السبب يرجو لويد جورج من الملك فيصل أن يعدل عن السفر إلى سويسرا. و أن يترث فى ايطاليا الشماليه بعض الوقت...". و على أثر ذلك قرر فيصل البقاء فى ايطاليا، و اختار مدينه "جرونوبيو" الواقعه

على بحيره "كومو" قرب الحدود الايطاليه - السويسريه مقاما له بانتظار تطور الأحداث. و كان رستم حيدر قد سافر من باريس إلى لوسرن، فميلاانو، و كان في استقبال فيصل فيها، ثم ذهب معه إلى جنوبيو.

و في هذه الآونه كانت الحكومه البريطانيه تدرس موضوع تأسيس حكومه عربيه في العراق، و اختيار مرشح مناسب لعرشه. و كان الرأي العام البريطاني قد ضج من عبء النفقات التي تتحملها بريطانيا في العراق، كما أن الثوره العراقيه (ثوره العشرين) كانت تكبد البريطانيين خسائر كبيره في الأموال و الأرواح. و كان المرشحون الذين يمكن اختيارهم لعرش العراق أو الذين يطمحون إليه، عديدين. و إلى جانب مزايا كل واحد منهم، كانت له عيوبه، و عليه مأخذه من وجهه نظر بريطانيا، أو الشعب العراقي أو الاعتبارات العمليه أو الشخصيه الأخرى.

و قد أظهر إخراج الفرنسيين للملك فيصل من سوريا إلى الميدان مرشحا جديدا لم يكن في الحسبان، لو لم تتخذ الأوضاع في سوريا المجري الذي اتخذته، أو تنته إلى النتيجة التي انتهت إليها.

على أن فكره نصب أحد أبناء الملك حسين على عرش العراق لم تكن جديده، فمنذ أن كان فيصل يحضر مؤتمر الصلح في باريس سنه ١٩١٩، أرسل إليه بعض العراقيين عددا من المضابط لكي يعرضها على المؤتمر، و فيها طالبوا " باستقلال العراق تحت ملوكيه أحد أنجال الحسين". غير أن وزاره الهند، التي كانت تتولى إداره العراق، لم تكن راغبه في التخلي عن حكم العراق المباشر، و لذلك قاومت تلك الفكره في بدايه ظهورها أشد المقاومه، و بقيت على موقفها هذا حتى قيام الثوره العراقيه التي أجبرت الحكومه البريطانيه على إعاده النظر في سياستها العراقيه.

و من الغريب أن يكون أول من اقترح ترشيح فيصل ملكا للعراق هو السر آرنولد ويلسن الحاكم المدني العام في العراق بالوكاله، و الذي كان في السابق من دعاه الحكم البريطاني المباشر، و أدت أساليبه الاستعماريه إلى قيام الثوره العراقيه. و قد جاء اقتراحه هذا في برقيه بعث بها إلى وزاره الهند على أثر إخراج الفرنسيين فيصلا من دمشق. (٣) و قد تقبل وزير شئون الهند، مونتاغيو، هذا الاقتراح تقبلا حسنا، و لكن لم يكن بالإمكان اتخاذ أى إجراء عملي بشأنه لأن وزير الخارجيه، اللورد كرز، كان معارضا للفكره، و أنه ٠٦.

ص: ١٥٧

١- P. ٦٢٢. Lloyd George.David,The Truth about the peace Treaties, Vol.I London .

٢- P. ١١٠. Lord Birdwood.Nure As Said:A Study in Arab Leadership, London, .

٣- Wilson.Sir Aronld.Loyalites, Meswpotamia ,Vol.II.١٩١٧,(A Clsh of .Loyalties),London,١٩٣٦,P.٣٠٥-٣٠٦.

على الرغم من شجبه بشده قرار المؤتمرين العراقيين في دمشق بانتخاب الأمير عبد الله ملكا على العراق، كان لا يزال يعد عبد الله أميراً منتظرا للعراق.

و لذلك تلكا في قبول مقترحات ويلسن التي ضمنها برقيته. و لكن كرزن أخذ في الشهور التاليه يتحول عن موقفه القديم تدريجيا، و يميل إلى تفضيل فيصل.

و كانت العقبه الكداء دون هذا الاختيار تتمثل في الموقف الذي ينتظر أن تتخذه فرنسا، لأنها كانت تعد فيصلا عدوا لدودا لها. و لما فاتح كرزن (في ٨ آب ١٩٢٠) الحكومه الفرنسيه في موضوع نصب فيصل ملكا على العراق جسا لنبضها كان ردها "أنها تعترض على ذلك كل الاعتراض....

ان تنصيب الأمير فيصل في العراق بعد إخراجه من سوريا مباشره، هو في نظر الفرنسيين عمل غير ودي...". (١).

و ما لبثت الحكومه البريطانيه أن كررت المحاوله، ففاتحت فرنسا بشأن فيصل مره أخرى، مبديه أنها ترى مجيئه إلى انكلترا أفضل من بقائه في ايطاليا حيث يخشى أن يجرى اتصالات مع الأتراك أو الطليان تعود بالضرر على المصالح البريطانيه و الفرنسيه، (٢) فاعترضت فرنسا على زياره فيصل إلى انكلترا بحجه أنها ستخلق سوء تفاهم بين البلدين، (٣) و لكن الحكومه البريطانيه قررت أخيرا المضي في دعوه فيصل إلى انكلترا على الرغم من كل اعتراضات الفرنسيين، فتسلم فيصل الدعوه في ١١ تشرين الثاني، بعد انتظار في ايطاليا دام أكثر من ثلاثه أشهر، و لما استعد للسفر علم أن الحكومه السويسريه لن تسمح له بالسفر عبر أراضيها، و كان ذلك نزولا- عند طلب من الحكومه الفرنسيه التي كانت لا ترغب في مرور فيصل من سويسرا في الوقت الذي كانت فيه عصبه الأمم تعقد اجتماعاتها في جنيف، و خوفا من ظهوره أمام العصبه و مهاجمته فرنسا على ما قامت به في سوريا، أو على الأقل إدلائه للصحف بتصريحات تخرج موقفها خلال اجتماعات العصبه. و لذلك لم يبق أمام فيصل إلا أن يسافر إلى انكلترا بطريق أخرى، أطول بكثير، مارا بالمانيا و بلجيكا، لتفادي المرور بالأراضي السويسريه و الفرنسيه.

و أوفدت وزاره الخارجيه الألمانيه موظفا شابا، له معرفه بالشئون الشرقيه، و سبقت له الخدمه في سوريا خلال الحرب، لمرافقه فيصل و حاشيته خلال مرورهم بالأراضي الألمانيه. و هذا الموظف هو الدكتور فريتز غروبا، الذي كان سيقدر له بعد ذلك بسنوات أن يقدم أوراق اعتماده إلى فيصل الأول "ملك العراق" بصفه أول وزير مفوض لألمانيه في بغداد. (٤) و وصل فيصل - معه رستم حيدر و مرافقوه الآخرون - إلى انكلترا في ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٠، و كان في استقباله في "دوفر" كورنواليس، و حداد باشا، و فهمي المدرس، و منها استقل القطار إلى لندن. و قد قابل فيصل الملك جورج الخامس في زياره مجامله، و قضى في لندن أسبوعا كاملا قابل خلاله عددا من الشخصيات البريطانيه.

و في يوم ٦ كانون الثاني (يناير) دون رستم حيدر في يومياته أن لويد جورج أرسل إلى فيصل من يستفهم منه عن رأيه في موضوع العراق، و قد ظهر أن الإنكليز يريدون فيصلا للعراق، ثم اجتمع فيصل بهيوبرت يونغ، و قد أرسله كرزن لاستجلاء رأيه في الأمر، فقال فيصل أنه لا يستطيع ترشيح نفسه لعرش العراق بعد أن انتخب له أخوه. أما إذا قرر أهل العراق انتخابه فعندها ينظر في القضيه. و علق رستم قائلا: "...و كان المسأله دخلت الآن في طورها الحقيقي".

و كانت المسأله قد دخلت "طورها الحقيقي" فعلا. ففي اليوم التالي، أى فى ٧ كانون الثانى ١٩٢١، حضر كورنواليس إلى فندق "كلاريج" مساء لمقابله فيصل بدون موعد سابق. و كان فيصل خارج الفندق يشهد تمثليه فى أحد المسارح، فجلس كورنواليس ينتظر عودته حتى منتصف الليل، فلما حضر جلس معه و امتد الحديث بينهما حتى الساعه الثالثه صباحا. و قال كورنواليس لفيصل إنه جاء لاستطلاع رأيه فى الوضع، و إن الحكومه ليس لها علم بذلك. و لكن الوثائق البريطانیه التى فتحت مؤخرا أظهرت أن الحكومه البريطانیه هى التى أوعزت إلى كورنواليس بالذهاب لمقابله فيصل، بل أنها زودته بتعليمات "تحريريه" مفصله صادرة عن اللورد كرزى - وزير الخارجيه - حول كيفيه مفاتحه فيصل فى موضوع عرش العراق، و جس نبضه بشأنه، و أكدت عليه فيها بان لا يتحدث إليه بصوره رسميه.

بل كصديق شخصى. و فى صباح اليوم التالي قدم كورنواليس إلى وزير الخارجيه كرزى تقريرا مفصلا عن مقابله.

و بعد هذا الاجتماع المبدئى مع كورنواليس غادر فيصل لندن فى اليوم التالي إلى ضاحيه تبعد عنها بخمسين ميلا بدعوه من صديقه القديم اللورد و نترين لقضاء عطله نهايه الأسبوع فى منزله الريفى. و أغلب الظن أن هذه الدعوه كانت بايعاز من اللورد كرزى أيضا، لمفاتحه فيصل فى الموضوع نفسه. و قد ذهب معه حداد باشا - الذى كان يجيد الإنكليزيه - و تخلف رستم حيدر فى لندن. و وجد فيصل هناك لورنس، و اورمبى غور (وكيل وزاره الهند، و والتر غينيس (اللورد موين فيما بعد)،" و بعد ساعات طويله من البحث وافق فيصل على أن يصبح ملكا على العراق...".

أما اللورد كرزى نفسه فإنه لم يستقبل فيصل إلا بعد هذا الاتفاق المبدئى، و التعرف على موقفه بدرجه لا بأس بها. فقد عاد فيصل إلى لندن يوم الاثنين ١٠ كانون الثانى (ديسمبر) مسرورا، و حدد كرزى موعدا لمقابله بعد ذلك بثلاثه أيام. و بعد هذه المقابله مع كرزى أجرى فيصل محادثات عديده أخرى، رسميه و غير رسميه، مع لورنس، و ستورز، و وكيل وزاره الخارجيه لندسى، حضرها رستم جميعا و دون انطباعاته عنها فى يومياته.

مؤتمر القاهره

بينما كان فيصل منهمكا فى محادثاته و اتصالاته فى لندن، كانت الحكومه البريطانیه تدرس بصوره جديده إحداث تعديلات إداريه أساسيه فى جهازها٣.

ص: ١٥٨

١- برقيه وزاره الهند المرقمه ١٥٣٩ إلى السر برسى كوكس بواسطه نائب الملك فى الهند(سميلا) بتاريخ ١٠ أيلول ١٩٢٠، محفوظه فى وثاق وزاره الخارجيه رقم: ٣٧١٥٠٤٠. (D. F (١١٢٥٢ E).

٢- محضر مقابله بين اللورد هاردنغ و السفير الفرنسى فى لندن بتاريخ ٢٣ أيلول ١٩٢٠ فى: Documents on British Foreign Policy Vol.XIII.p.٣٤٨.

٣- مذكره من القائم بالأعمال الفرنسى فى لندن إلى اللورد كرزى بتاريخ ٩ تشرين الأول ١٩٢٠: Ibid.pp.٣٥٥-٣٥٦.

٤- سرد غروبا ذكرياته عن هذه السفره المثيره و عن رستم حيدر فى مذكراته التى نشرت سنه ١٩٦٧: Grobba, Frits

.,Manner und Machi im Orint, Frakfurt.1967,p.173

المسئول عن سياستها في الشرق الأوسط. و كانت السيطرة على الشرق الأوسط و توجيه سياسته بريطانيا فيه حتى ذلك الوقت موزعه بين وزارات "الخارجيه" و "الهند" و "الحرب"، مما كان يؤدي إلى كثير من الارتباك و التضارب في وجهات النظر. و قد أدى ازدياد الاضطرابات و تفاقم المشكلات في أنحاء العالم العربي إلى ضروره التخلي عن هذا الأسلوب، و إناطه مسئولي المنطقه بوزاره واحده و باشراف وزير واحد، و قد وجد أن هذه المسئوليه أقرب إلى مهام وزاره المستعمرات من غيرها من الوزارات، فتقررت إناطتها بها، و احداث دائره جديده فيها تختص بشئون المناطق التي هي تحت الانتداب. و تقرر أيضا نقل وزير الحرب "ونستن تشرشل" وزيرا للمستعمرات، خلفا ل "اللورد ميلنر" الذي كان يعتزم اعتزال منصبه.

و قد تسلم تشرشل مسئولياته الجديده في إعادة تنظيم السياسه البريطانيه في الشرق الأوسط بحماسه و نشاط، و أحاط نفسه بمجموعه من أكفاء الموظفين و الخبراء في شئون المنطقه، و تمكن أيضا من اقناع "لورانس" بان يكون مستشارا له في الشئون العربيه.

و قرر تشرشل فور تسلمه منصبه الجديده أن يجتمع بمثلي بريطانيه و قادتها العسكريين في الشرق الأوسط، و استطلاع آرائهم في موقف بريطانيا و سياستها الجديده، و مباحثتهم في الترتيبات الماليه و العسكريه للمناطق التي أصبحت تحت الانتداب البريطاني، فعقد المؤتمر الذي عرف بمؤتمر الشرق الأوسط أو مؤتمر القاهره، في القاهره أولا (في ٢ آب آذار ١٩٢١)، و استمر اثني عشر يوما، ثم انتقل إلى القدس في ٢٣ منه، حيث بحث موضوع فلسطين و شرق الأردن بصوره خاصه، و دعى (الأمير) عبد الله لحضور بعض اجتماعاته.

و كان الغرض الرئيسي لمؤتمر القاهره، كما وصفه تشرشل فيما بعد، هو الحفاظ على سيطره بريطانيه قويه، و بأقل ما يمكن من النفقات. و فيما يتعلق بالعراق وضعت في المؤتمر الخطط اللازمه لنقل مسئولي الدفاع عنه من الجيش إلى القوه الجويه، كما رسمت الخطوط الرئيسيه للمعاهده التي سيجري التفاوض بشأنها مع حكومه العراق المقبله. أما في موضوع رئاسه الدوله الجديده التي ستقام في العراق، فقد وجد المؤتمر من الضروري أن تصدر عن بريطانيه مبادره تعين الاتجاه الذي تفضله. و على الرغم من أن ترشيح فيصل لرئاسه الدوله الجديده كان قد أصبح أمرا مقروا تقريبا، فقد تم الاتفاق في المؤتمر على أسلوب الاتصالات الشكليه التاليه التي يجب إجراؤها مع فيصل، و كيفيه مفاتحه عبد الله بنيه الحكومه البريطانيه في تأييد ترشيح فيصل، لأن الأمير عبد الله، الذي سبق أن رشح في "المؤتمر العراقي" في دمشق لعرش العراق كان يتوقع إسناد بريطانيه لهذا الترشيح. (١)

و لما انتهت مباحثات فيصل في لندن، و اجتماعات مؤتمر القاهره، و تقرر مبدئيا أن يرشح فيصل نفسه لعرش العراق، طلب إليه أن يذهب إلى الحجاز، و يبعث بترشيحه من هناك، ثم يذهب إلى العراق. فسافر إلى القاهره أولا و منها إلى الحجاز، و أحاط والده علما بنتائج مباحثاته في لندن، ثم توجه إلى العراق عن طريق الخليج فالبصره. و قد عاد معه رستم حيدر من لندن و رافقه إلى الحجاز فالعراق.

و لكن مذكرات رستم حيدر - أو ما بأيدينا منها - تنقطع في آخر يوميه كتبها في ٢٥ آذار ١٩٢١، أي قبل مغادرته لندن بمعيه فيصل ببضعه أيام.

رستم حيدر في العراق

وصل رستم حيدر إلى العراق يوم ٢٣ حزيران ١٩٢١، على الباخرة "نورث بروك" التي كانت تقل الأمير فيصل من الحجاز. و كان رستم حيدر سكرتيره الخاص. و كان يرافق فيصلا عدد من زعماء الثورة العراقيه الذي فروا من وجه الإنكليز.

و كانت هذه هي المره الأولى التي يظأ فيها رستم حيدر أرض البلد الذي قدر له أن يعمل فيه، و يصبح مواطنا من مواطنيه، و يتسلم فيه أعلى المناصب، ثم يلقي حتفه مقتولا بيد أحد أبنائه، و يدفن في ثراه، بعد ذلك بعشرين عاما.

و بقى رستم حيدر سكرتيرا خاصا لفیصل بعد تتويجه ملكا، ثم أصبح رئيسا للديوان الملكي إضافة إلى سكرتير الملك.

و قضى رستم حيدر في منصبه الخطير الحساس تسع سنوات كان خلالها أقرب مستشارى فيصل إليه، و أكثرهم تمتعا بثقته، و كاتب خطبه و تصريحاته، و كاتم أسراره. فكان بهذه الصفة من أقوى موجهى سياسه الدوله العراقيه الفتية.

و يروى أن أحد أقطاب المعارضه سال الملك فيصل الأول: كيف تسنى له أن يقف على كل صغيره و كبيره من سلوك السياسيين في البلد - كما يبدو من أحاديثه مع نخبتهم - فأجاب الملك: إن واجب الراعى هو أن يسهر على أمانته، و إذا فاتنى شىء فعندى حيدر، فما شعرت أنه أغفل أمرا مما يضطرم في تيار السياسه، و لا توانى لحظه في اطلاعى عليه. (٢).

و يظهر مدى النفوذ الذي كان رستم يتمتع به من عباره قالها الملك فيصل الأول في أحد الأيام للسفير البريطانى في مقابله خاصه بينهما جرت في ١٧ آذار ١٩٣٣، كانا يبحثان خلالها الوضع السياسى في العراق، و نقل السفير ما دار فيها بتقرير بعث به إلى وزاره الخارجيه. قال فيصل للسفير:

"إنه يود أن يرى فيما إذا كان رجال البلد يستطيعون أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم حقا. فقد كانت الحكومه خلال السنوات الأخيره عباره عن دكتاتوريه ثلاثه أشخاص: نوري، و رستم، و هو نفسه. و هذا الوضع لا يمكن أن يستمر إلى ما لا نهايه..." (٣).

رستم حيدر وزيرا

ألف نوري السعيد وزارته الأولى في ٢٣ آذار ١٩٣٠، و كان وزير).

ص: ١٥٩

١- محاضر اجتماعات مؤتمر الشرق الأوسط في القاهره و القدس محفوظه مع وثائق وزاره الخارجيه البريطانيه - الإضبارة رقم

٦٣٤٣ (٣٧١) F.O.

٢- رفائيل بطى، "في ذكرى رستم حيدر"، مقاله في جريده (البلاد)، العدد ٤٥٥٣، السنه ٢٧، بغداد ٢٢ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٥٦.

٣- تقرير سرى من السر فرانسيس همفريز إلى السرجون سايمون، مؤرخ في ٢٢ آذار ١٩٣٣ - وثائق وزاره الخارجيه البريطانيه

(الوثيقه رقم ١٧٢٤ E فى الملف رقم ٣٧١ (١٦٩٠٣ F.O).

الماليه فى تكك الوزاره هو على جودت الأيوبى. و على الرغم من أن على جودت كان صديقا شخصيا قديما لنورى السعيد، و رفيق سلاح له فى الثوره العربيه، فإنه ما لبث أن استقال من منصبه احتجاجا على توقيع رئيس الوزراء على الاتفاقية الماليه مع الحكومه البريطانيه فى لندن، فتولى وزاره الماليه بالوكاله وزير العدليه جمال بابان، ثم جميل المدفعى.

و كان الملك فيصل الأول قد بدأ يشعر أن رستم قضى فى رئاسه الديوان الملكى مده طويله جدا. فاقترح أن تعهد إليه وزاره الماليه، و ذلك تدعيما للوزاره بعنصر قوى تتوافر فيه الناحيه العلميه و الكفايه الشخصيه. و يكون بنفس الوقت موضع ثقته التامه. و من جهه أخرى، كان الملك فيصل يرى أن نورى السعيد قد أصبح أقوى مما ينبغى، و أنه إذا أطلق له العنان قد يتحكم فى الأمور و ميل إلى الطغيان، فادخل رستم حيدر فى الوزاره، و هو يده اليمنى و عينه الساهره، ليحد بشخصيته القويه، و كفاءته العاليه، من طغيان نورى.

و هكذا أصبح رستم وزيرا للمره الأولى فى أول تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٣٠، فى وزاره نورى السعيد الأولى، و كانت وزاره الماليه التى تولاه شاعره منذ استقاله على جودت فى ٣٠ حزيران (يونيه) من السنه نفسها، و تدار بالوكاله.

و خلال السنوات العشر التاليه، و حتى مقتله فى كانون الأول (ديسمبر) سنه ١٩٤٠، اشترك رستم حيدر وزيرا فى سبع وزارات. و كان فى أربع منها وزيرا للماليه، و فى ثلاث وزيرا للاقتصاد و المواصلات. أربع منها فى وزارات ترأسها نورى السعيد، و اثنتين ترأسهما رشيد على الكيلانى، و واحده برئاسه جميل المدفعى. (١)

و على الرغم من عدد المرات التى تسلم فيها رستم حيدر منصب الوزاره فى العراق، فان المده التى قضاها وزيرا لم تزد فى مجموعها عن أربع سنوات تقريبا، و ذلك بسبب قصر أعمار الوزارات فى العهد الملكى.

كان رستم حيدر يضطلع باعباء الوزاره فى كل مره بجداره و توافر عظيمين، و لم يكن هنا لك ما يؤخذ على كفاءته، و لا شائبه تشوب نزاهته. و مع ذلك فإنه تعرض لكثير من الهجمات من جانب خصومه أو خصوم الوزارات التى اشترك فيها، و لم يسلم من التحامل و الطعن فى إخلاصه، و ذلك أمر لم يسلم منه سياسى تسنم مناصب رفيعه، و خاصه فى الشرق.

ففى المره الأولى التى أصبح فيها رستم وزيرا للماليه. و هى وزاره نورى السعيد الأولى، كانت المعارضه تلمس أيه وسيله للهجوم على تلك الوزاره التى أبرمت معاهده سنه ١٩٣٠ مع بريطانيا، و كان اشتراك رستم حيدر فيها فرصه ذهبية فى يدها لشن حملات جديده عليها فى شخص الوزير الجديد. و إن كان قد دخلها بعد التوقيع على المعاهده، و استقاله وزير الماليه على جودت. و كانت ذريعتها فى هجماتها كونه سورى الأصل.

و فى اليوم التالى لاستيزار رستم حيدر كتبت جريده (صدى الاستقلال) لسان حال الحزب الوطنى (و هى جريده شهرت نفسها بنزعتها القوميه العربيه!) كلمه اعترضت فيها على تعيين رستم حيدر لأنه "حديث عهد بالجنسيه العراقيه" - فى حين أنه لم يكن أحدث عهدا بها من الملك فيصل نفسه - و قالت الجريده:

"و نحن مع احترامنا لرستم بك لم نكن من المرشحين بوزارته، لأنه لم يختلط بجميع طبقات الشعب العراقى، و لأنه حديث عهد بالجنسيه العراقيه. هذا من جهه، و من جهه أخرى فاننا نرغب فى أن نكون مع إخواننا السوريين على وئام، و أن وجود سورى

مثل سعادته في منصب عراقي ذي مسؤوليه مما يجر العراقيين إلى أن ينقدوه، و ربما يتعداه الانتقاد إلى كل سوري، لأننا لا نعتقد بان أحرار سوريا يقبلون بمعاهده مثل المعاهده الجديده التي سيظهر سعادته عما قريب مدافعا عنها في مجلس جامعه آل البيت.(٢)

و طبيعي أن يكون ظهوره هذا عاملا للاستياء و الاشتباه في نوايا أخواننا السوريين".(٣)

كلمه حق أريد بها باطل!

و لما دافع بعض الصحف الحكوميه عن استيزار رستم حيدر، و نشرت مقالات في الرد على كلمه "صدى الاستقلال"، و نشرت هذه الجريده مقاله شديده بقلم المحامي (على محمود الشيخ على) مدير تحرير الجريده، بعنوان "تملق لا- أثر للكرامه فيه" (٤) توسع بها فيما سبق أن كتبتة الجريده عن استيزار رستم حيدر قائلا:

" لم ترحب هذه الجريده بتوزير رستم بك حيدر رئيس الديوان الملكي لأنها رأّت في توزيره ضررا بليغا في الوحده العربيه التي ينشدها أبناء القطرين الشقيقين العراق و سوريا، ذلك لأنه تقلد منصبا يعرض صاحبه للنقد السياسي، و لربما يفسر النقد الذي سيوجه ضده أي غير قصده الحقيقي في سوريا، فيكون هذا التفسير معولا لهدم فكره الوحده العربيه التي بدأت ثمارها تينع في البلدين".٥.

ص: ١٦٠

١- و ذلك على النحو التالي: ١- وزير الماليه من ١٩٣٠/١٠/١ إلى ١٩٣٠/١٠/١٩ (في وزاره نوري السعيد الأولى). ٢- وزير الماليه من ١٩٣٠/١٠/١٩ إلى ١٩٣٢/١١/٢٧ (في وزاره نوري السعيد الثانيه). ٣- وزير الاقتصاد و المواصلات من ١٩٣٣/٣/٢٠ إلى ١٩٣٣/٩/٩ (في وزاره رشيد عالي الكيلاني الثانيه). ٤- وزير الاقتصاد و المواصلات من ١٩٣٣/٩/٩ إلى ١٩٣٣/٤/١٣ (في وزاره جميل المدفعي الأولى) (رئيس الديوان الملكي للمره الثانيه في ١٩٣٤/٤/٢٥). ٥- وزير الماليه من ١٩٣٨/١٢/٢٥ إلى ١٣٩/٤/٦ (في وزاره نوري السعيد الثالثه). ٦- وزير الماليه من ١٩٣٩/٤/٦ إلى حين اغتياله و وفاته في ١٩٤٠/١/٢٢ (في وزاره نوري السعيد الرابعه). ٧- كان مجلس النواب قد انتقل من بنياته في الكرخ إلى البنايه التي كانت تشغلها جامعه آل البيت الملغاه، و كانت بعض صحف المعارضه قد دأبت على تسميته "مجلس جامعه آل البيت" بدلا من "مجلس النواب" أو "مجلس الأعمه" على سبيل الازدراء و التهكم.

٣- صدى الاستقلال (بغداد) العدد ٣٩، السنه الأولى، ٤ تشرين الثاني ١٩٣٠.

٤- صدى الاستقلال، العدد ٤٢، السنه الأولى، ٢٢ تشرين الثاني ١٩٣٠.

ثم قال إن انتقاد العراقيين للوزراء العراقيين لا يؤثر في الوحدة العربية، و لكن خصام العراقيين مع أخ سوري لهم، وجدوه جديرا بالنقد، و حريا بالمخاصمه قد يؤثر تأثيرا كبيرا في القطر الشقيق. فليس إذن من مصلحة البلدين الشقيقين، و لا من مصلحة رستم بك نفسه أن يتولى منصبا خطيرا ذا مسئوليه في العراق".

و لم يكن لهذه الحملات أثر كبير في أضعاف مكانه رستم حيدر (سوى ما لا بد أن كانت تسببه له من ألم نفسى). فقد كان الملك وراه، و كانت كفاءته العاليه، و ثقافته التي كانت نادره بين زملائه العراقيين في ذلك الوقت، و نزاهته، و استقامته، تجعله في موقف صلب منيع. بدليل أنه اشترك في ست وزارات أخرى خلال السنوات العشر التاليه، كما أنه شغل منصب رئيس الوزراء بالوكالة مرتين خلال غياب الرئيس عن العراق.

و مع ذلك، فان رستم حيدر خلال عمله في العراق - مده عشرين عاما تقريبا - عانى من نقطتى ضعف في شخصيته التي كانت مستكملة صفات رجل الدوله من نزاهه و كفاءه و خبره و ذكاء و إخلاص. الأولى أصله السورى، و الثانى اتهامه بالطائفية.

قال توفيق السويدى - و هو من أبرز رجال السياسه في العراق في العهد الملكى، و قد عاصر أحداثها منذ تأسيس الدوله العراقيه حتى انهيار النظام الملكى في سنه ١٩٥٨، و كان رئيسا للوزراء ثلاث مرات - في كتاب مخطوط له بعنوان "وجوه عراقيه" عن رستم حيدر أنه:

"لم ينفك عن التفكير بكونه رجلا- غير عراقى، جاء إلى العراق و هو لا يعرف عنه شيئا. و لما أخذ في استقصاء أموره وجدته متأخرا، جاهلا، و وجد نفسه منساقا إلى مجاراه السياسه الطائفية لاعتقاده أن الأكثرية، و هم الجعفريه، بعيدون عن الحكم. و لا أعتقد أن تأييده لهذه السياسه منبعث من شيعيته، بل سببه أنه جاء من الخارج، و اعتقد لا بد من حساب الأغلبيه، و لكنه تسرع في أعداد العناصر اللازمه لتطبيق هذه السياسه، فاخذ ياتى بشبان من الشيعه من المقاهى و الحوانيت، و هم متعلمون تعليما بسيطا لإدخالهم في خدمه الدوله...". (١)

و في كتاب مخطوط آخر، هو مذكرات المرحوم خير الدين العمري، رئيس بلديه الموصل الأسبق، جاء عن رستم حيدر ما ياتى:

"..و هو السورى - اللبناى الوحيد الذى استوزر في العراق و اشترك في الهيئات التشريعيه كعين و نائب. و لم يكن دخول هذا الرجل الفذ الذى ساهم في خدمه القضيه العربيه الشامله، المعترك السياسى المباشر ثقيلًا على قلوب العراقيين لو لم ينحز إلى الشيعه، و يدخل الوزارات و المجالس التشريعيه كعضو شيعى ممثل للشيعه في تقسيم هذه الكراسى. و يحق للناس أن يحتاروا في التوفيق بين دخول رستم في صميم السياسه العراقيه استنادا على الوحده العربيه الشامله التي لا تفرق بين العراقي و السورى و الفلسطينى و غيرهم، و بين ظهوره بمظهر الممثل لطائفه من طوائف العراق. (٢) و استفسر كاتب هذه السطور من السيد محمود صبحى الدفترى عن رأيه في رستم حيدر، و هو من الشخصيات المرموقه التي رافقت الحياه السياسيه في العراق في العهد الملكى، و شغل وزارات و مناصب مهمه، و كان صديقا حميما لرستم حيدر، بل لعله كان أقرب أصدقائه و خلصائه في العراق.

قال الدفترى: "كان رستم حيدر أهم و أخلص شخصيه في البلاد العربيه".

فسأله كاتب هذه السطور: "هل كان طائفا حقا كما يقال عنه أحيانا؟".

ففكر الدفترى لحظات، ثم قال: "نعم، ولا" و مضى قائلا:

"لم يكن رستم طائفيا بالمعنى الضيق القائم على التمييز بين أبناء البلد على أساس مذاهبهم الدينيه، أو التحيز لأبناء طائفه معينه. و لم يكن ذلك ممكنا لشخص فى مثل ثقافه رستم و عقليته و خلفيته. و لكنه كان يرى أن الشيعة فى العراق حرموا من فرص التعليم خلال الحكم العثماني الطويل، و بالتالى كانوا بعيدين عن وظائف الدوله و مناصب الجيش، و اتجهوا إلى التجاره و المهن الحره الأخرى. فلما تأسست الدوله العراقيه لم يكن فى الجهاز الادارى الذى ورثته عن الدوله العثمانيه، و بين الرجال الذين يمكن الاستعانه بهم للعمل فى جهاز الدوله الجديده، من الشيعة عدد يوازي نسبتهم العدديه إلى سكان البلاد، و لذلك كان رستم حيدر يرى من الضرورى تعديل هذا الوضع بصوره تدريجيه. فإذا وجد شابا من الشيعة يتوسم فيه الخير، و رأى أن لديه الكفاءه لأن يكون فى المستقبل موظفا جيدا، أو رجل دوله صالحا، قدمه و أسنده، و بذلك يكون قد أسهم فى تصحيح الوضع من جهه، و جمع حوله عددا من الذين يدينون له بالولاء. و لكن الكثيرين اعتبروه يعين الشيعة أو يسندهم لمجرد أنهم شيعة، فاتهموه بالطائفية" (٣).

كما أعرب عن الرأى نفسه تقريبا السيد أحمد زكى الخياط (٤) الذى كان من الشبان الذين توسم فيهم رستم حيدر الخير. و قد صح تقديره، و تقدم السيد أحمد زكى الخياط من مناصب الدوله و كان من خيره موظفيها الكبار. و هنالك عدد كبير من الشبان الذين عنى رستم حيدر باسنادهم، و عينهم، أو ساعد فى تعيينهم بوظائف الدوله، فتقدموا بعد ذلك و وصلوا إلى أعلى مراكزها، مما حمل خصوم رستم على اتهامه بالطائفية، و هو أمر يبدو بعيدا عن تفكيره، غريبا على عقليته.

و لما قتل رستم حيدر فى سنه ١٩٤٠ كتب أحمد حسن الزيات مقاله فى "الرساله" يرثيه فيها. و كان الزيات قد قضى سنوات فى التعليم فى العراق، و كان على صله و ثيقه بكثير من رجالاته المهمين. و جاء فى مقاله الزيات قوله: ا.

ص: ١٦١

١- توفيق السويدي، كتاب مخطوط بعنوان "وجوه عراقية".

٢- مذكرات خير الدين العمرى، الجزء الأول، ص ٧٠ (مذكرات غير منشوره فى جزءين مطبوعه على الآله الكاتبه، تفضل باعارتنا إياها قريبه الأستاذ خيرى العمرى، و توجد نسخ منها لدى آخرين).

٣- مقابله مع محمود صبحى الدفترى فى داره بتاريخ ٥ مايس ١٩٧٦.

٤- مقابلات عديده مع أحمد زكى الخياط، و كان مهتما بموضوع نشر مذكرات رستم حيدر، متتبعا لسير العمل فى إعدادها، و قد أبدى لنا كثيرا من الملاحظات المهمه، و استقصى لنا معلومات مفيده، و لكن الله اختاره إلى جواره قبل أن يتم نشرها.

".. كان من سياسته رستم الاعتماد بعد التاميز على الفرات قبل دجله، لأن الفرات شيعي المذهب، و على ضفافه الخصيه تنزل القبائل البدويه القويه. و فى تقويه بالشيعة حيطه من نجد و موده لايران.

" و كان يشيح بوجهه عن مصر، لأن هواها فى ثوره الحسين على الترك كان مع الخلافه، و لأن اشتغال طلبتها بالسياسه كان فى رأيه محرضا لا ينبغى أن تسرى عدواه إلى العراق. و لعله كان السياسى العراقى الوحيد الذى لا يهتم بأحوال مصر، و لا يتصل برجال مصر...".^(١)

و لما وصلت (الرساله) إلى بغداد، كتب الأستاذ سلمان الصفوانى مقالتين فى الرد على ما كتبه الزيات، نشرهما فى جريده (الرأى العام) البغداديه. و جاء فى رده على الفقرتين السابقتين:

"..لا، فما كان رستم فى العراق شيعيا و لا سنيا قط، و إنما كان عربيا فحسب. و ربما كان تمسكه بعروبه المطلقه من أخطائه فى بلد لتلك النزعات فيه المقام الأول مع الأسف! و بالجملة فقد كانت سياسه رستم مشتقه من سياسه فيصل الخالد، و هى السياسه التى لا تفرق بين أبناء الأمه العربيه أينما كانت أوطانهم، و كيفما كانت عقائدهم..".

ثم قال:

" و لو كان رستم على رأى الزيات يتقوى بشيعيه الفرات لكان له غير هذا الموقف السلبي من قبائل الفرات الثائره فى عام ١٩٣٥ -....

"أما أنه كان رحمه الله يشيح بوجهه عن مصر، فذلك لأن مصر كانت يومئذ تشيح بوجهها عن العرب و تقول بالفرعونييه... مضافا إلى أن هواها كان مع الترك فى ثوره الحسين العربيه... إلخ".^(٢)

أما أصله السورى فقد سبب له كثيرا من المتاعب أيضا، بل أنه كان نقطه الضعف الرئيسيه التى عانى منها طيله حياته، و ربما قتل بسببها، على الرغم من كل ما يتمتع به من صفات جيده.

و مع ذلك فلم يكن لمشاغبات المشاغبين و الحاسدين، و تعليقات "الاقليميين"، أثر فى زعزعه مركز رستم حيدر كما ذكرنا، لأنه كان يتمتع بثقه الملك الكامله، و كانت تربطه صلات قويه من الزمالة و الصداقه بمعظم رجال الحكم الذين شاركهم السراء و الضراء تحت لواء فيصل قبل دخول الشام، إضافة إلى ما كان يتمتع به من مؤهلات شخصيه عاليه، و نضج سياسى و فكرى. و لم يتعد الأمر أنه كانت تند عن بعضهم أحيانا عبارات أو تلميحات لا ريب فى أنها كانت تؤثر فيه نفسيا، و لكن أثرها يبقى دфина، و يتحملها بصبر و حكمه.

روى لنا الأستاذ محمود شويليه، سكرتير مجلس الأعيان العراقى السابق أنه صادف أن اجتمع فى غرفته بالمجلس جميل المدفعى - الذى كان فى ذلك الوقت رئيسا لمجلس الأعيان - و رستم حيدر الذى كان وزيرا للماليه و عضوا فى مجلس الأعيان. و كان بعض النواب قد تقدموا إلى المجلس باقتراح بتمديد مده قانون يتعلق بالحقوق التقاعديه للموظفين العراقيين الذين ظلوا فى تركيه و لم يعودوا إلى العراق بعد قيام الحكومه العراقيه. و كان قانون التقاعد قد حدد مده معينه لعودتهم إلى العراق و اكتسابهم

الجنسيه العراقيه، إذا أرادوا التمتع بحقوقهم التقاعديه عن خدماتهم فى العهد العثماني. فلما تأخر بعضهم عن العوده تقرر تمديد مدته القانون فتره أخرى، ثم تكرر التمديد عدة مرات. و كان رستم حيدر، بصفته وزيراً للماليه، معارضا فى التمديد مره أخرى، لمضى مدته كافيه على تأسيس الحكومه العراقيه، و كان من رأيه أن من كان يرغب فى العوده إلى وطنه خلال هذه المده كان بوسعهم أن يفعل ذلك، و لا يصح تعديل القانون كلما ظهر شخص أو بضعه أشخاص ممن لهم أصدقاء أو أقارب فى الحكومه و رغبوا فى العوده. فالح عليه جميل المدفعى بالموافقه على التمديد الجديد بدافع العطف على بعض العراقيين الذين تأخروا طيله هذه المده، ثم ندموا و قرروا العوده لغرض الحصول على رواتب تقاعديه من الحكومه العراقيه. فلما رأى تصلب رستم حيدر قال له:

"إنك سورى و لا تشعر بتألم العراقيين أو بالعطف على مصالحهم!" فتأثر رستم لهذا القول، و أجابه: "يا جميل بك، أننا حينما التحقنا بالثوره العربيه لم نلتحق بها كسوريين أو عراقيين، و إنما جمعنا فكره عربيه واحده، و لم نفكر بكوننا سوريين و عراقيين، و يؤسفنى أن أسمع منك هذا، و أنت أحد الرجال الذين أسهموا فى تلك الثوره و أبلوا فيها بلاء حسنا. فخجل جميل المدفعى مما بدر منه من قول، و اعتذر لرستم بحراره" (٣).

و روى الأستاذ عبد الكريم الأزرى عن رستم حيدر - فى مقاله كتبها بمناسبة الذكرى الثانيه لمقتله - كلمه تعبر تعبيراً صادقاً عن حقيقه شعور رستم حيدر فى العراق:

"..قال لى مره خلال حديثه قولاً لا أنساه:

"يا مكان العراقيين المولودين فى العراق أن يتدللوا. أما أنا فليس لى ذلك، لأننى أشعر بانى يجب أن أبرر كل يوم، بل كل ساعه، بل كل دقيقه من وجودى فى العراق بخدمه صادقاً أسديها له..." (٤).

و يقول مراقب محايد، لم يكن طرفاً. فى أى موقف، و هو الدكتور فريتز غروبا، وزير ألمانيا المفوض فى العراق [العراق] فى عهدى فيصل و غازى فى مذكراته، و هو يتحدث عن رستم حيدر الذى كان يعرفه منذ مدته طويله:

"كان رستم حيدر على قدر عظيم من الذكاء و الثقافه، و من أحسن الأدمغه فى البلاد، و لكن (الذنب) الذى كان يلصق به دائماً هو أنه غير عراقى، لأنه كان مولوداً فى سوريه" (٥).

جنسيه رستم حيدر من الناحيه القانونيه

على الرغم من اللغظ الذى كان يثيره خصوم رستم حيدر متخذين من أصله السورى مأخذاً عليه، و ما هو بمأخذ على عربى فى قطر عربى، فان رستم حيدر كان بموجب قوانين الجنسيه العراقيه، عراقياً أصيلاً، و ليس "متجنساً" ٥.

ص: ١٦٢

- ٢- سلمان الصفواني، "رستم حيدر كما عرفته"، جريده (الرأى العام)، بغداد، العددان ٣٤٣ و ٣٤٤، شباط ١٩٤٠.
- ٣- لقاء مع الأستاذ محمود شويليه فى دار كاتب هذه السطور بتاريخ ١٩٧٧/١/١.
- ٤- عبد الكريم الأزرى، "رستم حيدر" مقاله فى جريده (البلاد) بغداد العدد ١٧٢٤ الصادر ٢٣ كانون الثانى ١٩٤٢.
- ٥- الدكتور فريتز غروبا، المرجع سالف الذكر ص ١٧٥.

فقد نصت المادة الثالثة من قانون الجنسية العراقي الصادر سنة ١٩٢٤ على أن "كل من كان في اليوم السادس من آب سنة ١٩٢٤ من الجنسية العثمانية، و ساكنا عاده في العراق، تزول عنه الجنسية العثمانية و يعد حائزا على الجنسية العراقية ابتداء من التاريخ المذكور". و لم تفرق هذه المادة بين من كان مولودا في العراق أو خارجه.

أما شرط "السكنى المعتاده" في العراق فيتوافر إذا كان محل إقامه الشخص في العراق منذ اليوم الثالث و العشرين من شهر آب ١٩٢١ (و هو يوم تأسيس دوله العراق الحديثه) و استمر في هذه الإقامة حتى يوم ٦ آب ١٩٢٤ (و هو اليوم الذي وضعت فيه معاهده لوزان موضع التنفيذ) و ذلك بموجب الفقرة (ه) من قانون الجنسية العراقي التي تنص على "أن الساكن في العراق عاده، تعبير يشمل كل من كان محل إقامته المعتاده في العراق منذ اليوم الثالث و العشرين من آب ١٩٢١...".

و جاء في البند الثالث من تعليمات وزاره الداخليه أن "كل عثمانى التبعه كان محل إقامته المعتاده في العراق من يوم ٢٣ آب ١٩٢١ إلى يوم ٦ آب ١٩٢٤ يعتبر مكتسبا الجنسية العراقيه في ٦ آب ١٩٢١ بمقتضى المادة الثالثه من قانون الجنسية "التي ورد نصها أعلاه.

إضافه إلى ذلك، فقد نص قانون تعديل قانون الجنسية العراقي رقم (٦٦) لسنة ١٩٣٢ على أنه يعتبر عراقيا "كل من كان في اليوم السادس من شهر آب ١٩٢٤ من الجنسية العثمانية و ساكنا في العراق إذا كان مستخدما في الحكومه كموظف عراقي في ذلك التاريخ أو قبله، و إن لم تكن قد بلغت المده الوارده في الفقرة (ه)..."

و كان رستم حيدر:

١ - عثمانى الجنسية قبل اكتسابه الجنسية العراقيه.

٢ - وصل إلى العراق (مع الملك فيصل) يوم ٢٣ حزيران (أى قبل ٢٣ آب ١٩٢١ المنصوص عنها في الفقرة "ه").

٣ - بقى مقيما فيه إقامة اعتيادية إلى ما بعد ٦ آب ١٩٢٤.

٤ - كان موظفا في الحكومه العراقيه منذ وصوله إلى العراق.

و لذلك كله فإنه، بموجب نصوص قانون الجنسية العراقي و التعليمات الصادره بموجبه، يعد عراقيا أصيلا، و ليس "متجنسا" أو مكتسبا للجنسية العراقيه بعد أن كان في السابق يحمل جنسيه دوله أخرى.

أما إذا كان رستم حيدر قد اكتسب خلال الفتره التي أعقبت التحاقه بالأمير فيصل خلال الثوره، جنسيه أخرى، كالجنسيه الحجازيه أو الجنسيه السوريه، فليست بأيدينا وثائق تلقى أى ضوء على ذلك. على أن تمتعه بالجنسيه العثمانية منذ ولادته أمر لا شك فيه، كما أن الدولتين الحجازيه و العربيه السوريه قد زالتا من الوجود بعد ذلك، و لما كان رستم غير مقيم في إحداهما عند زوالهما، و لم يكن هنالك ما يدل على سقوط الجنسيه العثمانية عنه، فإنه يعتبر مستمرا في حمل تلك الجنسيه عند قدومه إلى العراق للمره الأولى، و بالتالى حائزا للجنسية العراقيه، كاي عراقي كان في السابق عثمانى الجنسية و مقيما في العراق قبل التاريخ الذي اشترطه قانون الجنسية العراقي.

و الحقيقة أن بواعث المحتجين على استيزار رستم حيدر، و الطاعنين في "عراقيته"، لم يكن في جوهرها مستنده إلى هذه النواحي القانونيه. فكم من عراقي كان في يوم ٦ آب ١٩٢٤ في سوريا فأصبح سوري الجنسية، أو في تركيه، فأصبح تركي الجنسية، و حين عاد إلى العراق بعد التاريخ المحدد أصبح "عراقيا بالتجنس". و إنما كانت تلك الحملات تستند إلى حجج أخرى من التظاهر بالحرص على الوفاق بين العراقيين و السوريين، و تحاشي ما قد يجرح شعور السوريين في حاله توجيه النقد إلى وزير مسئول سوري الأصل، أو إلى حجج مماثله أخرى.

و مما يلاحظ أن فيصل الأول حينما كان ملكا في سوريا، كان معظم المقربين منه، من العراقيين فعلا، مثل ياسين الهاشمي، و جعفر العسكري. و نوري السعيد، و مولود مخلص، و جميل المدفعي، و طه الهاشمي و غيرهم من الضباط العراقيين الذين التحقوا بالثوره العربيه، في حين أنه لما أصبح ملكا على العراق كان معظم حاشيته من السوريين. فإلى جانب سكرتيره الخاص و رئيس ديوانه رستم حيدر، كان مرافقه الشخصي ثم رئيس تشريفاته تحسين قدرى، و ناظر الخزينه الملكيه الخاصه صفوه (باشا) العوا، و معاون رئيس الديوان الملكي أمين كسباني و عبد الله الحاج، و طبيبه الخاص أمين (باشا) المعلوف، و قبله أحمد قدرى، و قد اختار له مدرسا يدرسه اللغه الإنكليزيه هو إبراهيم الدباس.

أسلوبه في العمل و منجزاته

كان رستم حيدر خلال وزاراته يعمل بطريقه عصريه و علميه تعد متطوره جدا بالنسبه لزمانها، و تختلف اختلافا كبيرا عن طريقه غيره من الوزراء الذين نشاوا في العهد العثماني. و لا- شك أن دراسته المبكره في باريس كان لها أثرها في طراز تفكيره و أسلوب علمه و معالجته للأهمور. و لعله في ذلك الوقت كان الوزير الوحيد الذي تلقى دراسته العاليه في جامعه أوروبيه مهمه كجامعه باريس، باستثناء توفيق السويدي.

و يروى عنه أنه كان لا- يميل إلى حصر جميع السلطات و الصلاحيات في يديه كما كان سائر الوزراء يفعلون، بل كان ينيط بالمديرين العامين المسئوليه بحسب اختصاصهم، و في نطاق عملهم و صلاحياتهم، فلا يعرض عليه للارتياح أو البت إلا القضايا الجوهريه، أو ذات الخطوره الاداريه، أو الماسه بالمبادئ الأساسيه لسياسه الدوله.

و كان من عادته. و هو وزير للماليه، أن يجمع المديرين العامين التابعين لوزارته مساء كل أربعاء بشكل مؤتمر ليتداولوا في الشؤون المتعلقة بوزاره الماليه و أعمالها، فيتناقش الحاضرون في آراء و ملاحظات و مشروعات قانونيه أو في قضايا يعرضها الوزير أو أى من المديرين، و يصلوا في مناقشاتهم إلى نتيجة مدروسه يعمل بها الوزير. و هذا أسلوب قد يبدو اعتياديا أو مألوفيا في الوقت الحاضر، و لكنه كان على وجه التأكيد غير معروف في الوزارات الأخرى في ذلك العهد المبكر من حياه الدوله حين كان معظم الوزراء يجدون غضاضه في استشاره مرءوسيههم.

و كان رستم حيدر، على أدبه الجرم، قويا في مواقفه، واثقا من نفسه، لا يتساهل فيما يمس المصلحه العامه، و لا يخشى في الحق لومه لائم.

كتب عنه رفائيل بطي مره:

خصوصاً عنفوا في خصومته، إلا أن الأيام برهنت للجميع على أن تمسكه بالقانون، و اليد القويه في الحكم كانت في مصلحه البلد
".(١)

و من الأمثله الكثيره على شجاعه رستم حيدر و صلابته خلال خدمته الطويله في العراق، ايعازه بحجز أموال الملك فيصل الأول
حينما كان وزيراً للماليه.

و قصه ذلك أن رستم حيدر كان قد أصدر قانوناً جديداً لتحصيل الديون المتأخره للحكومه، و كان معظم الذين تأخر تحصيل
الديون منهم من ذوى النفوذ: من الخزينه (الملكيه) الخاصه، إلى الوزراء، و شيوخ العشائر و غيرهم. و بدأ رستم أول ما بدأ
بتطبيق القانون على الخزينه الملكيه الخاصه، فانذرها بدفع المتخلف عليها، و كان يبلغ حوالى عشره آلاف روبيه. فاعترض ناظر
الخزينه الخاصه، صفوه العوا مستنكراً إنذار الخزينه الملكيه الخاصه بسداد دين متأخر. و عندها طلب رستم وضع الحجز على
أملاك الملك في الحارثيه، و أنذر ناظر الخزينه الخاصه بالتنفيذ، فهرع الناظر إلى الملك فيصل و شكى الأمر إليه.

و كان عبد الله الحاج، من رجال الملك فيصل في العراق في ذلك الوقت، مساعداً لرئيس الديوان الملكى، و مدرسا في دار
المعلمين. و قد روى هذه الحادته التي شهدها بنفسه في حديث أدلى به في بغداد إلى صحيفه عراقيه، مع طرف من ذكرياته عن
فيصل و العراق، خلال زياره قام بها إلى العراق بعد ذلك بأكثر من عشرين عاماً، فقال إن ناظر الخزينه الخاصه ربما صور
المسأله للملك بشكل مشير، مما أثر في نفس الملك، و لكنه فيما يبدو لم يرغب في مفاتحه رستم بالأمر بنفسه، فكلف عبد الله
الحاج بذلك. قال عبد الله الحاج:

" قال رستم عند ما كلمته بالأمر: إننى أنفذ إرادته جلالته، فهو الذى وقع القانون بيده، و أنا أعمل على تشريف توقيع جلالته
بالحجز على الحارثيه. فإذا سمح جلالته بذلك فإنه يكون قد وضع الحجر الأساسى لاحترام القانون فى الدوله. فعدت و عرضت
ذلك حرفياً على جلاله الملك فيصل فارتاح للأمر و زال أكثر الأثر الذى تركه لديه الشكل الذى وضع به القضييه ناظر الخزينه
الخاصه. و عندها أصدر جلالته تعليماته للناظر بوجوب الدفع و احترام القانون ".(٢)

و حدث بعد انقلاب بكر صدقى في العراق أن بدأت تكتلات جديده في الجيش، و أخذ رجال السياسه يحاولون اجتذاب عدد
من ضباطه إلى جانبهم، و استغلت في هذا المجال صلات القربى و الصداقه و الجوار، بعد أن وجد أولئك الساسه أن المناورات
السياسيه تنهار أمام القوه العسكريه، كما حدث في ذلك الانقلاب. و قد أدرك هذا الوضع، و شهد الحالات النفسيه التي
ترافقه، رجل ذكى كرستم حيدر، و كان بعد سقوط حكومه الانقلاب قد أصبح في سنه ١٩٣٨ رئيساً للجنه الماليه في مجلس
النواب، فادخل في تقريرها حول ميزانيه تلك السنه فصلاً شديداً الديباچه في وجوب الحيلولة دون تدخل الجيش في السياسه،
مما أثار غضب بعض رجال الجيش في ذلك العهد، و كانوا لا يزالون مسيطرين على الوضع السياسى إلى حد بعيد، فلم يبال
رستم بشيء من ذلك.(٣)

و من غريب الصدف أن يفاجأ رستم نفسه بزياده ضابط برتبه (نقيب) في وزاره الماليه، بملابسه العسكريه، بعد أن أصبح رستم
وزيراً لها في وزاره نوري السعيد (الثالثه) فيطلب أن يمنح أقاربه أراضى، فيسأله رستم بآيه صفه يكلمه، فيجيبه: بصفه ضابط في
الجيش، و أن له فضلاً في مجيء رستم و غيره إلى وزاره. فيجيبه رستم إن هذا الضابط لا يجهل أن له أمراء في الجيش أعلى

منه رتبه، و أنه إذا قدر لرستم أن يوزع الأراضي بالأوامر العسكريه فالأحرى أن تأتي هذه الأوامر على الأقل من كبار أمراء الجيش الذين يآتمر هذا الضابط باوامرهم.

و قد نقل رستم هذا الحديث إلى أحد أركان الكتله العسكريه، فثارت ثائرتة على هذا الضابط، و أفهمه أنهم ليسوا عصابه جاءت لابتزاز الأموال و انتهاب الأراضي، فسخط الضابط و انقلب ولاؤه إلى عداء شديد، و اشترك في المؤامرات التاليه ضد أولئك الضباط.

مشروع العمله الوطنيه

و من منجزات رستم حيدر في وزاره الماليه هو قانون العمله العراقيه الذي تبنى مشروعه و نفذه، فحقق بذلك للعراق استقلاله النقدي.

و كانت العمله المتداوله في العراق منذ الاحتلال البريطاني هي " الروبييه " الهنديه و توابعها، التي فرضتها حكومه الاحتلال، و بقيت عمله رسميه في العراق. و قد شعر رستم حيدر أن من الضروري إحداث عمله خاصه بالعراق بعد أن أصبح دوله مستقله، كما أن القانون الأساسي (الدستور) كان قد نص على وجوب سك عمله وطنيه للدوله. و قد تمكنت وزاره نوري السعيد الأولى، بمبادره من وزير الماليه رستم حيدر، من تحقيق هذه الأمنيه الوطنيه، فسنت " قانون العمله العراقيه " الذي أصبح بموجبه الدينار، العراقي و توابعه من قطع النقد الوطني، عمله رسميه للعراق اعتباراً من أول نيسان ١٩٣٢، و كان رستم حيدر هو الذي وضع هذا المشروع و دافع عنه في البرلمان. و قد عارض المشروع بعض رجال السياسه، و كان منهم من يعارضه لمجرد أن صاحبه هو رستم حيدر. (٤)

مشروع الغراف و الخلاف عليه

كان مشروع الغراف من أهم المشروعات التي حاولت الحكومات المتعاقبه على الحكم في العراق تحقيقه، كما أنه من أهم الأعمال التي تبنها رستم حيدر، و كان لهذا المشروع أثر حاسم في حياته السياسيه، و علاقته بنوري السعيد.

و " الغراف " نهر قديم أحدثت فيه الفيضانات المتعاقبه ترسبات أدت إلى ارتفاع قعره، و انخفاض مياهه، و جفاف معظم الأراضي الزراعيه التي ٧.

ص: ١٦٤

١- رفائيل بطي، المرجع سالف الذكر.

٢- حديث للأستاذ عبد الله الحاج، النائب اللبناني السابق، و عضو الجبهه الاشتراكيه في لبنان، إلى جريده (الشعب)، بغداد، السنه ٩، العدد ٢٥١٥ الصادر في ٢ مايس ١٩٥٣.

٣- رفائيل بطي، "رستم حيدر" - مقاله في جريده (البلاد) السنه ٢٧، العدد ٤٥٥٣ الصادر في ١٩٥٦/١/٢٢، بمناسبة الذكرى السادسه عشره لوفاه رستم حيدر.

٤- ساطع الحصرى، مذكراتى فى العراق، الجزء الثانى، دار الطليعه، بيروت، ١٩٦٨ ص ٥٧٦-٥٧٧.

كان يرويها، مما حمل معظم القبائل التي استوطنت ضفتيه على الهجره.

و لذلك ظهرت فكره إقامه ناظم على صدره، و بناء سد أمام فتحته، لتأمين جريان المياه فيه صيفا و شتاء، و إحياء الأراضي المحيطة به و الإفاده منها.

و قد تم التفاهم على تنفيذ هذا المشروع قبل تأليف وزاره جميل المدافعي الأولى في ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٣، فلما تألفت هذه الوزاره أنيط منصب وزير الاقتصاد و المواصلات برستم حيدر ليضطلع بتنفيذه. و حينما وضع المشروع في المناقصه الدوليه، احتج وزير الماليه، نصرت الفارسي، لأنه كان يرى من الواجب الاتصال به قبل الإعلان، للتأكد من وجود المخصصات التي يتطلبها المشروع. كما ذهب أيضا إلى أن تسليح الجيش العراقي أهم من مشروع الغراف بنظره، و أيده في هذا الرأي وزير الداخليه ناجي شوكت.

و يقول ناجي شوكت في مذكراته إن وزير الماليه فوجئ بالإعلان الذي نشرته الصحف المحليه عن مناقصه المشروع، و أن ذلك قد تم قبل التأكد من وجود الاعتمادات اللازمه في الخزينه، و دون الحصول على موافقه وزير الماليه مسبقا " فلما عرض الخلاف على المجلس طلبت الكلام و أيدت وزير الماليه... و اعترضت على المشروع من حيث الأساس، موضحا. أنه لا يجوز الشروع باى عمل على دجله في جنوبي بغداد ما لم يوضع مشروع متكامل للسدود التي يجب أن تقوم على هذا النهر الكبير ابتداء من شمال العاصمه لوقايه بغداد من الغرق الذي تتعرض له في كل سنه أو سنتين "

" و قد رد على رستم حيدر، وزير الاقتصاد و المواصلات، مذكرا إياى بقول يؤثر عن الملك فيصل، إذ قال في إحدى خطبه (لا مشروع قبل الغراف). فأجبتة أنى لا- أظن أن الملك فيصل قال مثل هذا القول، و لنفرض أنه قاله لسبب أو باعتبار زمني، فان أقوال الملوك لا- ترتفع في قدسيتهما إلى نصوص القرآن أو الأحاديث النبويه واجبه الاتباع. إن هذا المشروع الجبار سوف لا يحقق إلا أهدافا إقطاعيه ينتفع منها أربعه أشخاص أو خمسه " (١).

و أيد نوري السعيد، الذي كان وزيرا للخارجيه، هذا الرأي أيضا، في حين أن صالح جبر، وزير المعارف، و بقيه الوزراء أيدوا رستم حيدر.

و قد اتخذ الخلاف أبعادا طائفيه مؤسفه.

و على أثر هذا الانشقاق في الوزاره قدم رئيس الوزراء جميل المدفعي استقالته في شباط (فبراير) ١٩٣٤، فحاول الملك غازي أن يوفق بين آراء المتخاصمين، و لكنه لم ينجح في ذلك، فاضطر الملك إلى قبول استقاله المدفعي، و لكنه عهد إليه بتأليف الوزاره مره أخرى. و قد ارتأى المدفعي أن يحل ناجي السويدي، و هو رئيس وزراء سابق، محل رستم حيدر في الوزاره الجديده، و لكن السويدي اشترط على المدفعي أن يستبعد من وزارته جميع الوزراء الذين كانوا طرفا في الأزمه، لكي لا يتهم بان غرضه من الاستقاله كان التخلص من رستم حيدر فقط، فاقنع المدفعي بهذا الرأي، و تخلى عن وزرائه السابقين كافه، باستثناء جمال بابان، وزير العدليه (٢). و هنا بدأت فتره من العلاقات السيئه بين نوري السعيد و رستم حيدر و لعلها كانت المره الأولى التي يختلف فيها الرجلان أو تقوم بينهما خصومه قويه. و في وثائق وزاره الطيران البريطانيه برقيه كتبها ضابط استخبارات

القوه الجويه البريطانيه فى بغداد حول هذه الأزمه الوزاريه جاء فيها:

إن الخلافات التى نشبت فى وزاره السابقه أخذت الآن شكلا خطرا.

"نورى باشا هاجم رستم حيدر بصوره مستمره و خاصه فى جريده (العقاب) بواسطه صاحبها يونس بحرى الذى هو صنيعته.^(٣)

و تلقى رستم زيارات من عدده شخصيات شيعيه بارزه عرضت عليه تأييدها. و قد تقبل رستم ذلك و لكنه لم يشجعهم على القيام باى عمل فى الوقت الحاضر.

"إن الأمر الذى كان فى بدايته غيره شخصيه و تطور إلى خصومه سياسيه، قد ينتهى بان يصبح نزاعا طائفيا.

"حاول جميل المدفعى إدخال نورى و رستم فى وزارته الجديده و لكن نورى رفض الدخول إذا أدخل فيها رستم..."^(٤)

و بقى رستم حيدر بعد استقاله هذه الوزاره بدون منصب رسمى حتى أواخر تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٣٤، حين عين رئيسا للديوان الملكى للمره الثانيه.

رستم حيدر و الملك غازى

توفى الملك فيصل الأول فى ٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٣٣ فى العاصمه السويسريه برن، و كان قد قصد لها للمعالجه و الاستجمام. و على الرغم من أن رستم حيدر كان يستمد قوته من ثقته الملك فيصل الذى كان سنده الرئيسى، فإنه احتفظ بمركزه المرموق فى الدوله بعد وفاه فيصل بسبب ما حققه لنفسه من مكانه بين رجالات البلد، و ما كونه من علاقات وثيقه بمعظم زعمائه.

و كان رستم حيدر قد بقى بدون منصب منذ استقاله وزاره جميل المدفعى بسبب الخلاف الذى نشب بين أعضائها على مشروع الغراف. فلما استقالت وزاره جميل المدفعى الثانيه فى ٢٥ آب عهد الملك غازى بتأليفه.

ص: ١٦٥

١- عبد الرزاق الحسنى، المرجع سالف الذكر، الجزء الرابع، ص ١٥.

٢- ناجى شوكت، سيره و ذكريات، الطبعة الثالثه، مطبعه دار الكتب، بيروت، ١٩٧٧، ص ٢٤٩-٢٥٠.

٣- نشرت جريده (العقاب) خلال أزمه مشروع الغراف عدده مقالات و تعليقات عرضت فيها بمن أسمتهم "الدخلاء" أو "الغرباء"، كما أنها تضمنت إشارات إلى "الحيه الرقطاء" و كان المقصود بهذه الإشاره رستم حيدر. ففى ٧ شباط ١٩٣٤ نشرت تعليقا جاء فيه: "روى لى فضولى بان هناك اجتماعات نهاريه و سهرات ليليه يقيمها نفر من المرتزقه تحت قياده (الحيه الرقطاء) لتدبير الخطط و المناهج للهدس و الفتنه و الدجل و التفریق متسترين بالاقداس الوطنيه." أما نحن العرب الخالص و إن آلتنا على أنفسنا كشف الغطاء من أعمال (الحيه الرقطاء) و شرذمتها من جماعه (عبي بحبيك) فان هذا لا يمنعنا من الترحيب بالمجاهدين الأبرار من أبناء الأقطار العربيه و الذين يضطهدهم الاستعمار الغاشم".

٤- وثائق وزاره الطيران البريطانيه - من ضابط الارتباط الجوى ببغداد إلى استخبارات أركان الطيران، مقر القوه الجويه - هنيدى.

التقرير المرقم ٩٥ و المؤرخ فى ٢٠ تشرين الأول ١٩٣٤ (الملف رقم ٨٠٦ AIR ٢٣) ص ٢٨.

الوزاره الجديده إلى رئيس الديوان الملكي على جودت، فألفها بتاريخ ٢٧ آب، و قد اشترك فيها نوري السعيد وزيرا للخارجيه، و جميل المدفعي، رئيس الوزراء المستقبل، وزيرا للدفاع. و قد شغرت رئاسه الديوان الملكي بإسناد رئاسه الوزاره إلى على جودت. و قد تردد في حينه أن على جودت اشترط إبقاء هذا المنصب شاغرا ليعود إلى أشغاله إذا استقالت وزارته، كما أن نوري السعيد كان يرشح له صهره جعفر العسكري. و لم يكن من الممكن إبقاء رئاسه الديوان الملكي شاغره لمدته طويله، فاتجهت إليه إلى تعيين رستم حيدر الذي سبق له أن شغل هذا المنصب نحو عشر سنوات بكفاءه اعترف بها الجميع. فصدرت الإراداه الملكيه بذلك في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٣٤.

و جاء في تقرير سرى لاستخبارات القوه الجويه البريطانيه في العراق عن السياسه الداخليه ما يأتي:

"١ - كان تعيين رستم حيدر في منصب رئيس الديوان الملكي و سكرتير جلاله الملك سببا في خلاف آخر في الوزاره.

٢ - كان رستم حيدر شخصا مناسباً للمنصب بصورة واضحه إذ كان من الضروري ملء هذا المنصب. و لكن تعيينه المفاجيء، بدون استشاره مجلس الوزراء حسب العاده الجاريه، كان قد أساء إلى كرامه المجلس، و خاصه نوري السعيد الذي كان يحاول الاحتفاظ بالمنصب شاغرا لصهره جعفر". (١)

و كان الملك غازي، منذ ارتقائه العرش، يعير الجيش اهتماما خاصا، و أصبحت له علاقات شخصيه مع ضباطه. و قد أثار هذا التوجه الجديد من جانب الملك قلق السفاره البريطانيه، خاصه و أن الملك غازي، في رأيها على الأقل، لم يكن يعير شئون البلد الأخرى مثل ذلك الاهتمام، فأخذت ترصيد تركيزه على تفتيش وحدات الجيش، و انتهازه كل مناسبه للالتقاء بضباطه. و كتب السفير البريطاني في بغداد في تقريره السنوي عن أحداث العراق خلال عام ١٩٣٥ ما يأتي:

"الفقره ١١٠ - أظهر الملك خلال سنه ١٩٣٥ اهتماما كبيرا بالجيش.

و في نهايه العمليات التي قام بها الجيش في منطقه الفرات، قام بتفتيش الوحدات التي اشتركت فيها، و أثنى عليها بحراره. و بمناسبة ذكرى اعتلائه العرش أقيم تحت رعايته عرض كبير اشتركت فيه جميع وحدات الجيش.

و كان اهتمام الملك محل تقدير كبير من الجيش، و ذلك على النقيض من قله اهتمام الملك الراحل فيصل به.

"الفقره ١١١ - و مع ذلك فإنه، لسوء الحظ، لا- يبدى اهتماما مماثلا بشئون البلاد الأخرى. و على الرغم من أنه - بمساعدته سكرتيره الخاص الرئيسي رستم بك حيدر - نجح في معالجه أزميتين سياسيتين حدثتا في الربيع، فإنه لم يظهر خلال السنه دلائل كثيره على أنه ورث صفات أبيه كزعيم و رجل دوله". (٢)

و من الجدير بالذكر أن من جمله أسباب اهتمام الملك غازي بالجيش و علاقاته الشخصيه مع ضباطه، و خاصه الشبان منهم، هو أن الملك غازي نفسه قد درس في الكليه العسكريه و تخرج فيها، و كان له بين الضباط زملاء ربطته بهم علاقات الصداقه و الزمالة المدرسيه، و ذلك أمر طبيعي يبدو أنه فات السفاره البريطانيه، أو أنها تجاهلته. و كان مبعث قلق الإنكليز الحقيقي من هذا الاتجاه - كما لاحظ مراقب إنكليزي ذكي - شعورهم بان "الملك غازي نفسه أصبح رمزا لحماسه ضباط الجيش الذين كان

معظمهم مؤمنين إيماناً قوياً بالفكر القومي و بوجود اخوه تجمع العرب كلهم" (٣) و لكن الإنكليز، في الوقت نفسه، ظلموا يأملون أن يكون لوجود رستم حيدر في رئاسه الديوان الملكي أثر مفيد للملك غازي و توجيه اهتمامه إلى شئون البلاد الأخرى، و إلى الأخذ بنصائحه، بدلا من الأخذ بآراء ضباط الجيش المحيطين به.

و لكن السفارة البريطانية وجدت أن رستم حيدر غير قادر على ممارسه ذلك النفوذ لأن رئيس الوزراء، ياسين الهاشمي، لا يحبه و لا يثق به.

فتدخلت السفارة و أقنعت ياسين، في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٥، بان رستم حيدر يمكن أن يمارس خير تأثير على الملك لو وجد المجال لذلك، و لكن تأثيره في الواقع كان ضعيفا. و كان السبب في ذلك هو أن الملك لم يول رستم حيدر ثقته مثلما فعل مع رئيس ديوانه السابق على جودت.

و لما استقالت وزاره على جودت تحت ضغط الأحداث، ألفت الوزاره الجديده جميل المدفعي مره أخرى، و لكنه اضطر إلى الاستقاله بعد اثني عشر يوما من تاليفها. و انتهى الأمر بانتصار الجبهه المعارضه التي كان يتزعمها ياسين الهاشمي، فاضطر الملك غازي إلى أن يعهد إليه بتأليف الوزاره الجديده، فألفها في ١٧ آذار ١٩٣٥.

و يروي الأستاذ عبد الكريم الأزرى في مذكراته - و كان في ذلك الوقت معاوناً لرئيس الديوان الملكي - أنه أخذ يلاحظ "ازديادا في التقارب و التعاون بين الهاشمي و رستم حيدر. و أن الهاشمي كان ياتي كل يوم تقريبا إلى مكتب حيدر في البلاط الملكي، و بعد أن يقضى فيه بعض الوقت يذهب الاثنان معا إلى مكتب الملك غازي و يقضيان وقتا غير قليل هناك".

ثم يقول:

"و لكن أكثر ما كان يزعج ياسين الهاشمي و رستم حيدر و بقيه الساسه حسب ما اعتقد اتصال الضباط العسكريين بالملك مباشره و اختلاطهم به، ذلك لأن هذا الاختلاط، بالاضافه إلى تأثيره السيئ في حياه الملك الخاصه، و إلى إمكان استغلال سلطته و مقامه الملكي استغلالا غير مشروع، فإنه كان مخلا بالانضباط العسكري، و ينطوي على مخاطر و مضاعفات سياسيه..." (٤).

رستم حيدر و انقلاب بكر صدقي

بقيت وزاره ياسين الهاشمس [الهاشمي] في الحكم تسعه عشر شهرا، و هي مده طويله بالنسبه لأعمار الوزارات في ذلك العهد، فلما وقع الانقلاب العسكري ٨.

ص: ١٦٦

١- وثائق وزاره الطيران البريطانيه - من ضابط الارتباط الجوي ببغداد إلى استخبارات أركان الطيران، مقر القوه الجويه، هنيدي. التقرير المرقم ١٨٢ و المؤرخ في ٢٨ تشرين الأول ١٩٣٤ (الملف رقم AIR ٢٣٨٠٦) ص ٢٩.

Annual Report.British Embassy.Baghdad:F.O.٣٧١٢٠٠١٠(E٨٥١).P January ١٩٣٦ ٣٣.٣١. -٢

. P ١٩٥٩ James Morris.The Hashimite Kings(Faber and Faber).London. ١٥٠. -٣

٤- عبد الكريم الأزرى، تاريخ و ذكريات - العراق: ١٩٣٠ - ١٩٥٨، الجزء الأول، بيروت ١٩٨٢، ص ٧٨.

بقيادة بكر صدقي في ٢٩ تشرين الأول ١٩٣٦، كان رستم حيدر لا يزال رئيسا للديوان الملكي. ولكنه وجد أن بقاءه في هذا المنصب أصبح مستحيلا، فاستقال منه بعد مده قصيره لعدم ارتياحه لتصرفات بكر صدقي، وعين إبراهيم كمال(١) رئيسا للديوان الملكي، وأخذت بعض الصحف المؤيده للانقلاب تهاجم رستم حيدر. و تطعن في إخلاصه، و كان بعضها يشير إليه بعبارة "فتى بعلبك".

و قد أشار السفير البريطاني في بغداد إلى استقاله رستم حيدر في رساله بعث بها إلى مدير الدائره الشرقيه في وزاره الخارجيه بلندن، جاء فيها:

"استقال رستم حيدر من منصب رئيس الديوان الملكي و خلفه فيه إبراهيم كمال، مدير الكمارك و المكوس العام.

"و من الطبيعي أن (الثوره) أظهرت مسأله بقاء حيدر في البلاط، و لكن نوري في حديثه معي، قد سماه (الحيه) و اتهمه بالاشتراك في مؤامره حكمت - بكر، و كان هذا إشاره إلى أنه قد يبقى في منصبه و يعمل مع الحكومه الجديده. و مع ذلك فقد أخبرني تحسين قدرى مؤخرا أن حكمت لا يثق بتأييد حيدر له، و أنه هو الذي طلب إلى الملك إقصاءه.

"و روايه أخرى تصف الملك بأنه المسئول الوحيد عن سقوط حيدر.

و قد قيل إن جلالته كان منزعا لأنه لم ينه إلى قوه الشعور العام الذي تصاعد ضد الحكومه السابقه، و أن رستم قد ارتكب خطأ جسيما في الحكم بان نصحه بالاستمرار في منح ياسين ثقته.

"إن الاستنتاج الذي أميل إليه هو أن حيدر في الواقع ربما حاول جهده إعطاء الملك نصيحه خاليه من الغرض، و كنتيجة لذلك فإنه يجد نفسه الآن بدون أصدقاء.

"و قد عرض عليه منصب وزير العراق المفوض في باريس، و لكنه رفضه. و هو الآن (قاعد في بيته) و هو تعبير محلي معناه مراقبه الأحداث، و التشفى لمشاعره المجروحه، مستعرضا الصعوبات التي يواجهها أولئك الذين أقصوه، و الأخطاء التي يرتكبونها... إلخ". (٢)

و شعر رستم حيدر بعد استقالته بضغط كبير يوجه إليه لمغادره العراق، فقاوم فتره من الزمن، و لكنه اضطر إلى مغادره العراق أخيرا، فسافر إلى لبنان، و بقي فيه حتى مقتل بكر صدقي، ثم عاد مع عاد من السياسيين الذين غادروا العراق بعد الانقلاب.

و على أثر استقاله وزاره حكمت سليمان بعد مقتل بكر صدقي، أُلّف الوزاره الجديده جميل المدفعي في ١٧ آب ١٩٣٧، و استمرت هذه الوزاره في الحكم حتى ٢٤ كانون الأول ١٩٣٨، فلما استقال جميل المدفعي عهد بتأليف الوزاره إلى نوري السعيد، فأُلّف وزارته الثالثه في ٢٥ كانون الأول ١٩٣٨، و اشترك فيها رستم حيدر وزيرا للماليه، و كانت علاقته بنوري السعيد قد عادت إلى الصفاء بعد انقلاب بكر صدقي.

و في عهد هذه الوزاره قتل الملك غازي في حادث السياره المعروف، في ٤ نيسان ١٩٣٩، فانتقل العرش إلى الملك فيصل الثاني الذي كان طفلا-صغيرا، و اختير خاله الأمير عبد الإله وصيا على العرش. فاستقالت وزاره نوري السعيد عملا بالتقاليد

الدستوريه التي تقضى بانسحاب الوزاره عند انتقال العرش إلى ملك جديد. فعهد إلى نوري السعيد بتشكيل الوزاره مره أخرى، و هي وزارته الرابعه. و قد احتفظ فيها رستم حيدر بوزاره الماليه، و بقي فيها حتى وفاته.

شخصيه رستم حيدر

روى محمود صبحى الدفترى لكاتب هذه السطور أن نوري السعيد قال له مره - و هو يعلم بعلاقه الصداقه القويه التي تربطه برستم حيدر :-

" آن رستم حيدر، و هو وزير برئاستى، يتصرف معى تصرف رئيس وزراء مع أحد وزرائه، بلباقته، و مهارته، و علمه، و شخصيته المؤثره." (٣)

كذلك قال نجيب الراوى، و قد كان من أصدقاء رستم حيدر أيضا: " أنه كان أنزه و أكفا سياسى عراقى." (٤)

و قال الأستاذ عبد الكريم الأزرى الذى عرف رستم حيدر معرفه شخصيه و عمل معه، إن أكثر ما كان يمتاز به رستم حيدر هو " اتصافه بالفضيله السياسيه التي جعلته طيله حياته يترفع عن المناورات الدينئه.

و عند ما يذكر رفاقه و خصومه فى السياسه فلا يذكر إلا فضائلهم. و فى خلال المده التي خالطته فيها، و هي مده قصيره، لا أتذكر فى يوم من الأيام أنه ذكر رجلا- من الرجال إلا و عدد فضائله قبل أن يعدد نقاط ضعفه... قال لى مره: يجب أن نحكم على الشخص بمجموع أوصافه و بمجموع أعماله. لا- أن نركز أبصارنا و تفكيرنا على هفوه من هفواته أو نقص من نواقصه... (٥)

و لعل من أدق الأوصاف التي كتبت عن شخصيه رستم حيدر، ما كتبه أحمد حسن الزيات الذى كان منتدبا للتدريس فى العراق، و أصبحت له صله وثيقه بعدد من رجالاته، و منهم رستم حيدر، قال الزيات:

" كان رستم حيدر ظاهر الوقار، دائم الانقباض، كثير الصمت، خافض الصوت، هادئ الحركه. و لكن هدوءه كان كهدير الماء العميق، تضرب فى جوانبه الأفكار و الأسرار، و هو ساكن السطح، بارد الأديم." (٦)

و كان الصحفى و الكاتب العراقى الكبير رفائيل بطى من المعجبين برستم حيدر و شخصيته، و كتب عنه الكثير فى جريدته (البلاد) بمناسبة مقتله، و كلما حلت ذكرى وفاته، و مما كتبه عن شخصيه رستم حيدر قوله:

" ..و عند تحليلنا عناصر شخصيه حيدر، نجد أنه فوق مواهبه الفياضه و دراساته العليا فى اسطنبول و باريس، كان يؤمن بان العلم عدهر.

ص: ١٦٧

٢- السر آجيبولڊ كلارك كير إلى المسٲر جورج رنڊل (E٧٤٨٣)ber F.O.٣٧١٢٠٠١٤

٣- محمود صبحى الڊفٲرى فى مقابله الأستاز معه بتاريخ ٥ مايس ١٩٧٦.

٤- الأستاز نجيب الراوى نقيب المحامين و وزير المعارف، و العڊل و سفير العراق فى مصر و فرنسا و تركيا فى أعاڊيٲ عڊيه معه.

٥- الأستاز عبد الكريم الأزرى، مقاله بعنوان "رستم حيدر" فى جريده (البلاد) البغڊايه، العڊد ١٧٢٤ الصاڊر فى ١/٢٣.١٩٤٤.

٦- أحمد حسن الزيٲاٲ، المرجع سالف الڊكر.

رجل الدوله، فلم يكتف بما تعلمه فى الجامعات، بل ما فتى يتابع القراءه و الدرس فى المراجع الوثيقه، فى كتب التاريخ و السياسه و المجالات الأوروييه و الأمريكيه المختصه بالسياسه و الاقتصاد إلى يوم مصرعه... إلخ". (١)

و كان رستم شخصا قليل الكلام، قليل الاتصال بالناس، و كان له عدد محدود من الأصدقاء الشخصيين الذين يلتقى بهم فى حياته الخاصه.

و هو لم يتزوج، و كان يقيم بمفرده فى دار صغيره فى منطقه (الصالحيه) ببغداد، و يمارس رياضه السير على الأقدام بمفرده يوميا.

مقتل رستم حيدر

علم الشعب العراقى بمقتل رستم حيدر فى مكتبه الرسمى بوزاره المالىه من بيان رسمى أصدرته "مديره الدعايه العامه" فى يوم ١٨ كانون الثانى ١٩٤٠.

و احتار الناس فى تفسير هذه الحادثه الغريبه، و ذهبت بهم الظنون كل مذهب، و شاعت بينهم شتى التاويلات، و فسرتها كل فئه حسب أهوائها و ظنونها. و كان الرجل بصوره عامه مسالما، و لم تكن له خصومات قويه، و ان كان هنالك من لا يرتاحون إليه لصلابته و جديته، أو لما يتهمونه به من نزع طائفيه، كما قد يكون له بعض الحاسدين.

و قد ذكر ناجى شوكت، رئيس وزاره العراق الأسبق، لكاتب هذه السطور، أنه حينما كان وزيرا للدخليه فى وزاره نورى السعيد الثالثه التى كان رستم حيدر وزيرا للماليه فيها، علم من تقارير الشرطه أن رستم حيدر اعتاد السير على قدميه بعد مساء كل يوم بين داره فى الصالحيه قرب الجسر، و محطه قطار بغداد - البصره، و أنه حذره مما قد يصيبه من ضرر ممن يصابونه الكراهيه أو العداء أو لا يرتاحون إليه. فأجابه رستم حيدر أنه لم يسىء إلى أحد فى حياته، و لا يعتقد أنه له أعداء، و لو أراد أحد الاعتداء عليه لاستطاع أن يفعل ذلك أينما كان، و مهما كانت الحراسه عليه قويه. قال المرحوم ناجى شوكت أنه أمر بان تدبر له الشرطه حراسه غير منظوره بدون علمه و خلافا لرغبته، فكان هنالك خفر على الدار، و آخر يسير وراءه عن بعد، أثناء خروجه للسير.

و قد صح ما ذهب إليه رستم حيدر، فقد جرى الاعتداء عليه، ليس بين بساتين الصالحيه، و شوارعها الخاليه، و لكن فى مكتبه الرسمى بوزاره المالىه.

و توفى يوم ٢٢ كانون الثانى ١٩٤٠ بعد أن قضى فى المستشفى أربعه أيام.

رشيد ترابى بن شرف حسين

ولد سنه ١٣٢٦ فى حيدرآباد بالهند و توفى سنه ١٣٩٣ فى لاهور بالباكستان.

من أشهر خطباء الهند و الباكستان الحسينيين. شغل فى أول أمره منصبا نيابيا و بعض الأعمال الحكوميه، ثم تغلبت عليه نزعه الخطابه الحسينيه، فبدأ ذلك فى حى (شاه خراسان) من أحياء بمبئى المشهوره و هو حى ذو أغلبه شيعيه و ظل كذلك من سنه

١٩٣٩ م حتى ١٩٤٨ سنة انفصال باكستان عن الهند فانتقل إلى باكستان، و بدأ تفوقه الخطابي بالبروز حتى بلغ الأمر إلى أنهم كانوا يختارون لمجالسه الحسينيه ساحه واسعه متشعبه الشوارع لا- سيما في أيام عاشوراء فتكتظ بالناس، فضلا عن مواكبه المستمعين في البيوت لخطبه في الاذاعه و التلفزيون حتى خارج باكستان.

و في آخر سفر له إلى لاهور سنة ١٩٧٢ م تحدث عن حياته فقال إنه درس على السيد أبو بكر بن شهاب في حيدرآباد، و على حيدر نظم طباطبائي، و ضامن الكتوري، و سبط الحسن اللكهنوي، و محمد هادي رسوا.

أما في النجف فقد درس على الشيخ محمد حسين النائيني و الميرزا علي الشيرازي و الآقا الإصطهباناتي و آقا بزرك الطهراني و السيد هبه الدين الشهرستاني و كان على معرفه بالتفسير و الحديث و علم الرجال و التاريخ الإسلامي.

له من المؤلفات باللغه الأردويه: كنز نجفي، طب معصومين، صحارى حيدرآباد، دستور علمي أخلاقي و غير ذلك.

رضا شاه بهلوي، بن عباس قلي خان سوادكوهي المشهور بداداش بيك

اشاره

(٢) ولد سنة ١٢٩٥ هـ ق (١٢٥٦ هـ ش) في قصبه "الاشت" من توابع "سوادكوه" مازندران.

بدأ أمره جنديا في فوج "سوادكوه". و في الثانيه و العشرين من عمره دخل في كتيبه "القوزاق" (٣) و ظل يترقى في مناصبها مؤديا بعض المهام في بعض المدن إلى أن أصبح في سنة ١٢٩٤ هـ. ش رئيسا لفوج قوزاقهمدان.

و في الثالث من شهر إسفند (٤) سنة ١٢٩٩ هـ. قام هو و الصحفى السيد "ضياء الدين الطباطبائي" بانقلاب عسكري تاريخي أصبح بعده قائدا للجيش و رئيسا لكل كتيبه القوزاق.

ثم صار وزيرا للحريه في أول وزاره تشكلت بعد الانقلاب. و ظل في هذا المنصب في ثلاث وزارات جاءت بعدها، إلى ٢٦ خرداد (٥) سنة ١٣٠٢ هـ. ش.

و في ١٦ آبان (٦) سنة ١٣٠٢ هـ. ش. أصبح رئيسا للوزراء و ظلت بيده وزاره الحريه. و بقي في هذا المنصب إلى ١٧ مرداد (٧) سنة ١٣٠٤ هـ. ش.

و في ٥ آذر (٨) من تلك السنه استطاع أن يحمل الجمعيه التأسيسيه على

ص: ١٦٨

١- رفايل بطي، مقاله في جريده البلاد.

٢- "داداش" معناه "أخ". و سبب التسميه أنه كانت له أخوات ينادينه بهذا الاسم فاشتهر في الأسره ثم اشتهر به بين الناس. و كلمه "بيك" للتعظيم.

- ٣- كتيبه القوزاق أنشأها "ناصر الدين شاه" سنه ١٢٢٩ [١٢٩٩] هـ. ق. (١٨٨٢ م) على طراز القوزاق الروسى فى اللباس و التنظيم.
- ٤- اسم الشهر الثانى عشر من السنه الهجرية الشمسيه الإيرانيه.
- ٥- اسم الشهر الثالث من الهجرية الشمسيه الإيرانيه.
- ٦- اسم الشهر الثامن من السنه الهجرية الشمسيه الإيرانيه و يقابله أيلول و تشرين الأول.
- ٧- اسم الشهر الخامس من السنه الهجرية الشمسيه الإيرانيه و يقابله تموز و آب.
- ٨- اسم الشهر التاسع من السنه الهجرية الشمسيه الإيرانيه.

اختياره ملكا على إيران و خلع "أحمد شاه قاجار". و بذلك انتهى عهد الأسره القاجاريه الملكى و بدأ عهد الأسره [الأسره] البهلويه. و فى ٢٥ آذر سنه ١٣٠٤ هـ. ش تولى مهام العرش. و فى ٤ أرديهشت (١) سنه ١٣٠٥ هـ. ش. توج.

و فى أوائل الحرب الكونيه الثانيه اتفقت انكلترا و روسيا على احتلال إيران نظرا لأهميتها الاستراتيجيه. فدخلت إليها روسيا من الشمال و انكلترا من الجنوب فى الثالث من شهريور (٢) سنه ١٣٢٠ هـ. ش. و أقالوا "رضا شاه" من منصبه، إذ كان هوامع أعدائهم النازيين الألمان. و ذلك فى ٢٥ أرديهشت سنه ١٣٢٠. و أحلوا ابنه ولى عهده "محمد رضا" فى محله. و غادر طهران فى نفس ذلك اليوم.

و فى الخامس من شهر مهر (٣) سنه ١٣٢٠ هـ. ش. أبحر من مرفا "بندر عباس" على باخره انكليزيه مع أبنائه و زوجته إلى منفاه فى جزيره موريشس. ثم نقل منها إلى مدينه "يوهانسبورغ" فى إفريقيا الجنوبيه. و فيها توفى فى الرابع من شهر مرداد سنه ١٣٢٣ هـ. ش. (١٩٤٤ م). و نقل جثمانه منها إلى القاهره فدفن فى مسجد الرفاعى. ثم نقل من القاهره إلى طهران فوصلها فى ١٧ أرديهشت سنه ١٣٣٢ هـ. ش. سنه (١٩٥٠ م) و دفن عند مقام عبد العظيم الحسنى (رض) فى ضاحيه طهران. و كانت مده ملكه ستة عشر عاما.

كان الانقلاب الذى قام به الضابط القوزاقى "رضا خان" الذى أصبح فيما بعد ملكا على إيران باسم "رضا شاه بهلوى" حدثا على جانب عظيم من الأهميه فى تاريخ إيران. و هذا ملخص عن ملابساته و وقائعه:

معاهده سنه ١٩١٩ م

فى غره ذى القعدة سنه ١٣٣٦ هـ. ق. الموافق مطلع صيف سنه ١٢٩٧ هـ. ش. عهد ملك إيران "أحمد شاه قاجار" إلى أحد رؤساء الوزاره السابقين "الميرزا حسن خان" الملقب بـ "و ثوق الدوله" بتشكيل الوزاره. فشكلها بين ظروف صعبه و أوضاع عالميه جديده كان لها أثر بعيد فى إيران.

كان ذلك فى أواخر الحرب الكونيه الأولى. و ألمانيا على وشك التسليم. و روسيا انفصلت عن الحلفاء و صالحت الألمان بعد أن وقع فيها الانقلاب البلشفي، و انقلاب أكتوبر سنه ١٩١٧ م، و خرجت من مسرح السياسه الإيرانيه، و خلا- الجو للانكليز و حدهم فى إيران. و كانت عساكرهم تحتل أهم النواحي منها. فالأمر و النهى لهم و حدهم. و الأمن مختل فى طول البلاء و عرضها، بين قطاع الطرق و القائمين بثورات مسلحه فى أذربيجان و جيلان و غيرهما، ثوران [ثورات] انقلابيه و انفصاليه، و منظمات سريه تمارس الاغتيال و تنشر الرعب و الإرهاب، و مندسين فى تلك الحركات من اليساريين المتأثرين بانتصار الثوره البلشفيه فى روسيا، و مستغلين لنفور الناس من الفساد يحولونه إلى شغب و فتنه. و الضرائب لا تصل إلى خزانه الدوله.

و هى خاليه تحتاج إلى مد خارجى. و قد قابل "و ثوق الدوله" هذه الصعوبات بشده و حزم، و وفق إلى حد لا بأس به إلى إقرار الأمن الداخلى. و استطاع حل أزمة الخبز فى طهران، و قد وقعت هذه الأزمه فى عهد سلفه.

و الظاهر أن نجاح "و ثوق الدوله" و وضوح كفاءته للحكم حمل الإنكليز على ترشيحه لمعاونتهم فى إقرار وضعهم فى إيران على ما يرغبون فيه. فبادروا إلى مسانده و تشجيعه برساله أرسلتها إليه سفارتهم فى السادس من ربيع الأول سنه ١٣٣٧ هـ. ق

الموافق ١٣ آذر (٤) سنة ١٢٩٧ هـ. ش. تتعهد فيها إنكلترا بضمان وحده إيران و استقلالها، و إلغاء معاهده سنة ١٩٠٧ م المعقوده بينها و بين روسيا على تقاسم إيران بينهما و تعديل وضع الكتيبه المسلحه القائمه فى جنوب إيران المعروفه باسم "شرطه الجنوب". (٥) و أسعف الإنكليز أيضا "وثوق الدوله" برفع مقدار الاعانه الماليه التى كانوا يمنحونها إيران بمقتضى اتفقيه "لجنه ميكس" إلى ثلاثمائه ألف تومان فى الشهر.

فى تلك الحقبه كانت مضاربات الحكام الايرانيين بين النفوذ الروسى و النفوذ الانكليزى قد زالت، إذ شغل الانقلاب البلشفى روسيا بأمرها الداخليه. و توقفت تحرشات العثمانيين و غزواتهم لايران، إذ تقطعت أمبراطوريتهم أجزاء بيد الحلفاء. و بلغت انكلترا أوج اقتدارها بعد انتصارها على الألمان. و لا معامله بين إيران و أحد غيرها. و "وثوق الدوله" بحاجه إلى قرض ليستطيع المضى فى تحقيق خطته. و انكلترا بحاجه إلى بسط نفوذها كاملا على إيران لاقرار مصالحها العسكريه و الاقتصاديه. و من ذلك جعل إيران سدا فى وجه المد البلشفى الجديد.

و من ثم أوعز وزير الخارجيه انكلترا "اللورد كرز" إلى سفير انكلترا فى طهران أن يقوم بمفاوضه الحكومه الإيرانيه على عقد معاهده بين بلديهما.

و كان فى حكومه "وثوق الدوله" وزيران من أنصار الإنكليز، هما الأmirان القاجاريان "صارم الدوله" و "نصره الدوله".

و اقتصر تمثيل الجانب الايرانى فى المفاوضات على رئيس الوزراء "وثوق الدوله" و هذين الأمرين. و كان "وثوق الدوله" يستشير أيضا فى السر السيد ضياء الدين الطباطبائى فى مواضع المفاوضات. و كان الطباطبائى يصدر يومئذ

ص: ١٦٩

- ١- اسم الشهر الثانى من السنه الهجرية الشمسيه الإيرانيه و يقابله نيسان و أيار.
- ٢- الشهر السادس من السنه الهجرية الشمسيه الإيرانيه و يقابله آب و أيلول.
- ٣- اسم الشهر السابع من السنه الهجرية الشمسيه الإيرانيه.
- ٤- اسم الشهر التاسع من السنه الهجرية الشمسيه الإيرانيه.
- ٥- فى سنة ١٣٣٤ هـ. ق. تولى رئاسه الوزاره "محمد ولى خان التنكابنى" المعروف بلقب "السردار الأكرم" و "السبهسالار الأعظم" و فى عهد وزارته هذا أجبره الإنكليز و الروس على إمضاء اتفقيه تقضى بوضع شئون إيران الماليه و الاداريه تحت إشراف الإنكليز، و إنشاء كتيبتين مسلحتين بالبنادق، إحداهما فى جنوب إيران و ضباطها من الإنكليز، و الأخرى فى الشمال و ضباطها من الروس. و تكون الكتيبتان تابعتين لوزاره الحريه الإيرانيه. و فى مقابل ذلك تمنح إنكلترا إيران مساعده مقدارها مائتا ألف تومان فى الشهر. و تألفت لجنه للقيام بإنفاذ هذه الاتفقيه من خمسه رجال: بلجيكى، و هو الرئيس، و روسى و إنكليزى و إيرانيين اثنين. و دعيت باسم "لجنه ميكس". و لكن الكتيبه الشماليه لم تتحقق، بسبب وقوع انقلاب أكتوبر البلشفى فى روسيا و تغير نهج السياسه الروسيه. و أنشئت كتيبه الجنوب الإنكليزيه باسم "بندقيو الجنوب". و فى عهد وزاره "وثوق الدوله" غير اسمها إلى "شرطه الجنوب" و أصبحت جزءا من القوات الايرانيه العسكريه. (توضيح: لقب "سردار" و "سبهسالار" الملقب بها "محمد ولى خان التنكابنى" المذكور هما من الرتب العسكريه العاليه. و لكنهما و أمثالهما من الرتب العسكريه أصبحت تمنح

يومئذ لغير العسكريين أيضا كالقباة الشرف الةى كانت تمنح لنبلاء أوروبا فى القرون الوسطى، أو يرثها الأبناء عن آباءهم. و
رئيس الوزاره هذا لم يكن عسكريا، و ألقابه هذه لمجرد التفخيم).

جريده باسم "رعد" و كانت داعيه للانكليز.

و انتهت المفاوضات إلى عقد معاهده بين إيران و انكلترا وقع عليها فى طهران يوم ١٧ مرداد(١) سنه ١٢٩٨ هـ. ش. الموافق ١٢ ذى القعدة سنه ١٣٣٧ هـ. ق. و ٩ آب سنه ١٩١٩ م، بعد عام انتهاء الحرب الكونيه الأولى. و نال كل من "وثوق الدوله" و "صارم الدوله" و "نصره الدوله" رشوه ماليه ضخمه من الإنكليز.

و بمقتضى هذه المعاهده تصبح إيران تحت السيطره الإنكليزيه الكامله فى شئونها الاقتصاديه و العسكريه و الفنيه. و تعهدت فيها انكلترا بإعطاء إيران قرضا ترتهن انكلترا فى مقابله جمارك إيران أو غيرها من الموارد الاقتصاديه.

و تبع هذه المعاهده ملحق يقضى بمنح انكلترا إيران قرضا مقداره مليوناً ليره بفائده سبعة بالمائه. و تبعها أيضاً رسائل تبودلت بين الحكومه الإيرانيه و السفاره الإنكليزيه تعهدت فيها انكلترا بحل "شرطه الجنوب" و إلغاء المحاكم القنصليه و إعاده النظر فى المعاهدات السابقه التى بين الدولتين، و تأييد مطالب إيران فى مؤتمر الصلح و تعويض إيران الخسائر التى أصابتها بسبب الحرب، و أشياء اخرى.

و مع أن تلك المعاهده لم تكن قد أصبحت قانونيه، إذ أنها لم تكن قد عرضت على المجلس النيابى بعد، و لا وقع عليها الشاه، فقد بادرت انكلترا إلى إرسال خبرائها العسكريين و غير العسكريين إلى إيران، و أقامت لهم مكاتب و شرعت بإنفاذ المعاهده فوراً.

و لكن الرأى العام الايرانى عارض المعاهده معارضه شديده. و قامت تظاهرات عظيمه مضاده لها اشترك فيها الناس من كل الطبقات. و هب الخطباء و الشعراء و رجال الدين فى المساجد و المجمع يهاجمون "وثوق الدوله" و "صارم الدوله" و "نصره الدوله" و يرمونهم بالخيانه و مؤامره العدو على الوطن.

و كان يقود حركه المعارضه مجتهد صلب شجاع زاهد هو "السيد حسن المدرس". و عارض المعاهده أيضاً معارضه شديده كل من الولايات المتحده الأمريكيه و فرنسا، و عدتها أميركا مناقضه لاستقلال إيران، و انتقدت فى مجلس الشيوخ الأمريكى. و أذاعت السفاره الأمريكيه فى طهران فى ١٩ شهر يور [شهر يور](٢) سنه ١٢٩٨ هـ. ش. الموافق ١٥ ذى الحجه سنه ١٣٣٧ هـ. ق.

و أيلول سنه ١٩١٩ م بيانا أظهرت فيها معارضتها للمعاهده، و انتقدتها السفير الأمريكى فى حديث صحفى. و اعتبرها ساسه فرنسا مخالفه لروح مقررات عصبه الأمم. و رفضها أيضاً "أحمد شاه" نفسه و امتنع عن التوقيع عليها أو إعلان موافقته. فشجع ذلك كله المعارضين و زادهم ثباتاً فى معارضتهم.

و لكن السيد "ضياء الدين الطباطبائى" ثابر على متابعه نشر سلسله من المقالات فى جريدته يؤيد فيها المعاهده و يدافع عنها.

إلا أن "وثوق الدوله" لم يستسلم و قابل الشده بالشده فلم ينفعه ذلك و أيس من التمكن من فرض المعاهده فرضاً. و مثله آيس الإنكليز. فلم يجد بدا من الاستقاله. و كان "أحمد شاه" يومئذ فى أوروبا، سافر إليها بعد نشر المعاهده ببضعه أيام. فبات "وثوق الدوله" ينتظر عودته ليقدم إليه استقالته. فلما عاد بادر إلى الاستقاله، فى شوال سنه ١٣٣٨ هـ. ق.

الموافق ٤ تير (٣) سنة ١٢٩٩ هـ. ش. و عهد الشاه إلى "الميرزا حسن خان"، و يعرف أيضا باسم "حسن بيرنيا" و يلقب بـ "مشير الدوله"، بتشكيل الوزارة.

و يرى فريق من المؤرخين (٤) أن إقدام "وثوق الدوله" على عقد تلك المعاهده لم يكن خيانه منه بل كان امتثالا لأمر لا مفر منه، مصداق القول الحكيم "لا بد مما ليس منه بد". و من ثم يرون أن قبوله حمل المسئوليه فى تلك الظروف الصعبه كان تضحيه منه و إثارة، و أن إقدامه على عقد المعاهده كان شجاعه منه فى مواجهه المسئوليه و ثباتا فى تحمل ظروف غير مؤاتيه لانقاذ ما يمكن إنقاذه. و لا يأخذون عليه سوى قبوله الرشوه، و إن يكن قد بذلها فى شراء أملاك و هبها الدوله. بل إن السيد "حسن المدرس" زعيم المعارضه الصلب و أشد المعارضين نكيرا على المعاهده لم يقبل، يوم أصبح نائبا فى المجلس بعد ذلك، أن يرمى "وثوق الدوله" بالخيانة. و كان بعض من النواب قد رماه بهذه التهمه و اعترض على إشراكه بالوزارة. فرد عليه السيد المدرس بان ما صدر عن "وثوق الدوله" إنما كان قصورا و تقصيرا لا خيانه.

وزاره "مشير الدوله"

شكل "مشير الدوله" وزارته فى ٧ تير (٥) سنة ١٢٩٩ هـ. ش. بعد أن حصل من السفاره الإنكليزيه على وعد بوقف إجراءات إنفاذ المعاهده و تعليق إنفاذها على موافقه المجلس النيابى و وعد بامداد مالى من شركه النفط.

و كان من نتائج عجز "وثوق الدوله" عن إنفاذ المعاهده أن استدعت الحكومه الإنكليزيه سفيرها فى طهران، السفير الذى تولى عقد المعاهده و استبدلت به سفيرا آخر. و بادر "وثوق الدوله" إلى مغادره إيران إلى أوروبا.

و كان هم الوزارة الجديده الأول تسكين الخواطر الثائره. فبدأت عملها بإصدار بيان بان هذه المعاهده، ما لم يقرها المجلس النيابى، لا يمكن ان تكون نافذه، و أن السفاره البريطانيه توافق على ذلك، و هى لا تنوى إنفاذ المعاهده حتى يقرها المجلس النيابى. (٤) أى قبل خمس سنوات من عقد المعاهده. فأحدث هذا البيان الأثر المطلوب و سكنت الخواطر الثائره.

و أفرج "مشير الدوله" عن المساجين المعارضين الذين حبسهم "وثوق الدوله" و أطلق سراح المبعدين منهم. و أفرج عن الصحف التى عطلها سلفه بسبب معارضتها. و كف أكثر المستشارين العسكريين و الماليين الإنكليز الذين كانوا قد قدموا إلى إيران بمقتضى معاهده سنة ١٩١٩ م.

و أراد "مشير الدوله" تقويه مركزه و تخفيف السيطره الإنكليزيه.

فارتأى تخطيطا ذكيا جريئا هو إقامة توازن فى إيران بين تطلعات الدول

ص: ١٧٠

١- الشهر الخامس من السنه الإيرانيه الشمسيه، يقابله تموز و آب.

٢- الشهر السادس من السنه الشمسيه الإيرانيه. قابله آب و أيلول.

- ٣- الشهر الرابع من السنه الهجريه الإيرانيه.
- ٤- إبراهيم صفائي في كتابه " رهبران مشروطه " .
- ٥- الشهر الرابع من السنه الهجريه الشمسيه الإيرانيه.
- ٦- كان المجلس النيابي معطلا من سنه ١٢٩٤ هـ .ش.

الأجنبي، و ذلك باعتراف إيران بحكومته الانقلاب البلشفي و إقامة علاقات دبلوماسية بينها و بين بلاده. و بذلك يحصل على مراعاة السوفيات لحكومته بتوقفهم عن مساعده حركات التمرد القائم في نواحي من إيران(١) فيتفرغ للعمل على الخلاص منها بالقوه أو بالمصالحة. و عرض الفكره على "أحمد شاه" فوافق عليها. ثم أوعز "مشير الدوله" إلى سفير دولته في استنبول بالسفر إلى موسكو لمفاوضه المسؤولين فيها على هذا الموضوع، فسافر إليها في ٢ مرداد سنه ١٢٩٩ هـ. ش.(٢)

و وقع اقتراح "مشير الدوله" من نفوس المسؤولين السوفيات موقعا حسنا و استقبلوا المندوب الايراني استقبالا وديا فخما.

و أرسل المندوب الايراني من موسكو إلى حكومته تقريرا يفيد أنه وفق إلى الحصول على موافقه الروس البلاشفه على أساس لمعاهده تعقد بين الدولتين. و هذا الأساس كله يتفق و مصلحه إيران. و من ذلك إصدار السوفيات أمرا باسترجاع جميع القوى التي كانوا قد أرسلوها إلى شمال إيران لمساعدته الثوار.

و وقع إقدام "مشير الدوله" على اتخاذ هذا التدبير وقعا سيئا في نفوس الإنكليز، إذ رأوا أن إقامة مثل هذا التوازن بينهم و بين السوفيات قصر بهم عن التمكن من فرض معاهده سنه ١٩١٩ م أو فرض بديل لها على الايرانيين.

ثم أراد (مشير الدوله) القضاء على الثورات في نواحي إيران و كان أهمها ثوره الشيخ محمد الخياباني(٣) في تبريز و ثوره "الميرزا كوشك خان"(٤) في جيلان و كانت ثوره هذا بريئه غايتها رفع الفساد و ترسيخ الحياه الديمقراطية.

و لكن الشيوعيين المحليين و البلاشفه القادمين من "بادكوبا" اندمجوا فيها و حاولوا الانحراف بها عن غايتها.

و كل ما كان لدى إيران يومئذ من القوات المسلحه هو ثمانيه آلاف جندي من القوزاق(٥) و ثمانيه آلاف و اربعمائه جندي من الدرک. و استطاعز.

ص: ١٧١

١- في أواخر أيام رئاسه "وثوق الدوله" للوزاره، في شهر أربيهشت (الشهر الثاني من السنه الهجريه الشمسيه الايرانيه و يقابله نيسان و أيار) سنه ١٢٩٩ هـ. ش. ضربت البوارج البحريه البلشفيه مرفأى "غازيان" و "أنزلى" الايرانيين على بحر قزوين بالقنابل. و في أواسط شهر خرداد (الشهر الثالث من السنه الهجريه الشمسيه الايرانيه) من تلك السنه أنشا شيوعيو جيلان، بمساعدته عناصر غريبه مشبووه لجنه باسم "لجنه الثوره الحمراء". و حالفوا التأثير "الميرزا كوشك خان". و أعلنوا بقيام "حكومه جيلان الاشتراكيه" و شكلوا هيئه "مفوضى الشعب" (الوزاره) و أمدها بالمعونه و قد عجزت حكومه "وثوق الدوله" عن قمع هذه الثوره يومئذ. و كان عجزه عن ذلك أحد أسباب استقالته. هذا و قد انقلب "الميرزا كوشك خان" على حلفائه هؤلاء و انفصل عنهم بعد ذلك لما تبين له سوء نواياهم. و ستاتي تفاصيل اخرى عن الميرزا كوشك خان.

٢- الشهر الخامس من السنه الهجريه الشمسيه الايرانيه، يقابله تموز و آب.

٣- رجل دين و رع شجاع من خيره علماء أذربيجان و أدبائها، انتخب نائبا في المجلس النيابي الثاني الذى انتخب بعد خلع "محمد على شاه" سنه ١٣٢٧ هـ. ق. و اعتقله العثمانيون إذ احتلوا تبريز سنه ١٣٣٧ هـ. ق. و أرادوا ضم أذربيجان إلى أرضهم

فقاومهم، و حبسوه فى "أروميه". و بعد جلائهم عن تبريز أطلقوا سراحه. كان "الشيخ محمد الخيابانى" من رؤساء "الحزب الديمقراطى" فى أذربيجان. و انتهت إليه رئاسه جميع المعارضين هناك المتظلمون من جور الحكام. و حين تولى "وثوق الدوله" رئاسه الوزاره و عقد معاهده ١٩١٩ م عزم على حل هذا الحزب فى أذربيجان و قمع رؤسائه إذ كانوا هم المؤهلين للنيايه عن أذربيجان و هم معارضون يحسب حسابهم. فشاروا و هاجموا إدارات الحكومه كلها و احتلوها و طردوا الوالى "محمد حسن ميرزا"، و هو أخو الشاه و لى عهدده. و كانت ولايه أذربيجان من أول حكم القاجاويين [القاجاريين] يختص بها و لى العهد. و انضم إلى الثوار رئيس الشرطه. و أنشا الخيابانى حرسا مسلحا متحد اللباس. و ظلوا مسيطرين على تبريز سته أشهر. و غيروا اسم أذربيجان فجعلوه "آزاديستان" (أرض الحريه). بل قيل إنهم أصدروا طابعا بريديا بهذا الاسم. و فى هذه الأثناء استقال "وثوق الدوله" و شكل الوزاره "مشير الدوله" فحاول مده طويله مصالحه الخيابانى سلما فلم يفلح أصر الخيابانى على رفض تعيين وال لأذربيجان من قبل الحكومه المركزيه. فأرسل "مشير الدوله" واليا من قبله مع كتيبه مسلحه، فهاجموا مراكز فوات [قوات الخيابانى و تغلبوا عليها، و قتل الخيابانى، و قيل إنه انتحر. و اختلفت الأقوال فيه. منهم من قال إنه انفصالى، و كان هو ينكر هذه التهمه أشد الإنكار. و منهم من قال إنه يسارى متأثر بالأفكار الاشتراكيه. و منهم من جزم بأنه قاوم الدعايات الشيوعيه و الشيوعيين أشد مقاومه و أنه برىء من اليساريه. و لكن الجميع متفقون على علو مكانته فى العلم و المعرفه. مجمعون على خلوص نيته و نبل غايته. و كان لا ينفك يردد بان غايته إنما ترسيخ قواعد الحياه النيايه الدستوريه، و إعلاء شان إيران، و إنصاف الأذربيجانيين.

٤- اسمه "يونس" ابن "الميرزا بزرگ"، و اشتهر باسم "الميرزا كوشك خان". من أشهر الشخصيات الإيرانيه فى ذلك العهد و من أطيهم سمعه. ولد سنه ١٢٩٨ هـ. ق فى رشت. مثقف تلقى قسطا من التعليم الدينى. مسلم متدين راسخ الايمان. وطنى طاهر الذيل. شجاع خبير بالفنون العسكريه. ذكى سريع الخاطر حازم. شارك فى حركه المطالبه بالنظام النيابى الدستورى مشاركه فعاله و جرح فى إحدى معاركها جرحا بليغا. و فى سنه ١٣٣٣ هـ. ق. فى أوائل الحرب الكونيه الأولى، أجاب دعوه حزب إسلامى جديد اسمه "اتحاد إسلام"، و أقام فى رشت يشتغل بإنشاء فروع له. و سلح جماعه جعلهم جيشا له. حارب الإنكليز و الروس المحتلين مده طويله. و أتعبهم. و بعد الانقلاب البلشفى الذى وقع فى روسيا أراد البلاشفه استغلاله فساعدوه و حالفوه. و لكنه لم يلبث أن انقلب عليهم إذ تبين له سوء نواياهم. أنشا فى جيلان مدرسه عسكريه اجتمع فيها جماعه كبيره من الشبان يتعلمون الفنون العسكريه، و أقام فى جيلان حكومه بعنوان جمهوريه. و كان على قياده جنده ضابط ألمانى اسمه "فون باسشن" و يقوم بتدريبه عسكريون نمساويون. و صحبه أيضا عسكري ألمانى اسمه "كاويوك" أعجب به و أحبه كثيرا. استمرت حكومه "الميرزا كوشك خان" و حروبه إلى سنه ١٣٤٠ هـ. ق، أيام وزاره "قوام السلطنه" إذ أتاحت الفرصه لمصالحته مع مراعه كراميه و شعبيته الواسعه، و قد عمت إيران كلها. و لكن حدث سوء تصرف أفسد خطه المصالحه هذه. قيل إن سوء التصرف صدر عن "كوشك خان" نفسه، إذ هاجم موقعا حكوميا فى أثناء المفاوضات. و قيل إن وزير الحريه "رضا خان" (الذى أصبح بعد ذلك رضا شاه بهلوى) غدر به بعد أن أمنوه و أن للانكليز ضلعا فى ذلك. و اضطر "الميرزا كوشك خان" إلى إلقاء السلاح، فصرف رجاله. و كان فى معيته إيرانيين من كبار مساعديه. فاما أحدهما فلجا إلى الاتحاد السوفياتى، و أما الآخر فاستسلم إلى الحكومه المركزيه. و أما "الميرزا كوشك خان" فقد أبى أن يلجا إلى الاتحاد السوفياتى و أبى أن يستسلم. و ذهب فى جبال "تالش" (بلاد فى إقليم جيلان جنوبى بحر قزوين. و هى اليوم تابعه للاتحاد السوفياتى) ليلجأ إلى أحد رؤساء العشائر. و أبى صديقه الألمانى "كايك" أن يتركه فانطلق معه. و لكن زحمتها الثلوج و العواصف بين الجبال فماتا دنقا فى الثانى من ربيع الثانى سنه ١٣٤٠ هـ. ق الموافق ١١ بهمن [١٣٠٠] [الشهر الحادى عشر من السنه الهجريه الشمسيه الإيرانيه]، و عمر "كوشك خان" يومئذ ٤٢ سنه. و

احتز فرسان "تالش" رأس "الميرزا كوشك خان" و أرسلوه إلى رشت و دفنوا الجسد حيث مات. و من رشت أرسل الرأس إلى طهران. فطافوا به في شوارعها. و بعث هذا العمل الدنيء الغضب و النفرة في نفوس الناس. ثم دفنوه في إحدى المقابر العامه. و بعد مده أخرج فريق من الأحرار المعجيين به الرأس و الجسد من ممدفنيهما [مدفنيهما] و دفنوهما معا في "سليمان داراب" حسب وصيته.

٥- إنشاء كتيبه القوزاق الإيرانيه امتياز منحه "ناصر الدين شاه" لروسيا سنه ١٢٩٩ هـ. ق. و ١٨٨٢ م، على أن تكون في إمره ضباط من الروس. و قد سببت هذه الفرقة لايران متاعب كثيره، و كانت وسيله فعاله من وسائل الروس للسيطره على إيران. و لكنها في عهد "مشير الدوله" أصبحت، مع كتيبه الدرک، وسيله الحكومه الإيرانيه إلى إقرار الأمن، و انقطعت صلتها بروسيا بعد الانقلاب البلشفي. و كان على قيادتها في عهد "مشير الدوله" ضابط روسي اسمه "الكولونيل إستار ولسكى". و كانت موزعه أفواجا في طهران و قزوین و همدان و تبريز.

"مشير الدوله" إخماد تمرد تبريز. فى ٢٤ مهر (١) سنه ١٢٩٩ هـ. ش. و بدا حملته على ثوار الشمال فى شهر تير [١٢٩٩] (٢) من تلك السنه. و أرسل إلى جيلان كتيبه من القوزاق بقياده "إستار ولسكى" لاختضاع الشيوعيين الانفصاليين.

و أرسل رسولا- إلى "الميرزا كوشك خان" لمفاوضته على الصلح، فاستجاب هذا للرسول و جمع رجاله و انفصل عن الشيوعيين، و كان قد تبين خيانتهم و هالته الفجائع التى يرتكبونها حيث يحكمون.

و أما الشيوعيين فقد قاوموا ثم انهزموا. و فى شهر مرداد (٣) من تلك السنه كان القوزاق يحتلون مواقعهم موقعا موقعا. و منها مدينه رشت. و قد نهب الشيوعيون هذه المدينه قبل جلائهم عنها و أوقعوا بها جرائم فظيعة ثم أحرقوها. و تعقبهم القوزاق إلى نواحي مرفا "أنزلى" و أصبحوا على وشك النصر التام و القضاء على حكومه المتمردين فى الشمال. و كان اثنان من كبار زعماء المتمردين قد انتهى أمرهما إذ جرح أحدهما و قتل الآخر، و فيما القوزاق يخطون آخر خطواتهم إلى النصر الكامل إذا ببارجه روسيه بلشفيه تطلع عليهم و ترميهم بقذائف المدافع، و جماعه من جنود الجيش الأحمر ينزلون فى نواحي مرفا "غازيان". و كان يقابلهم فوج القوزاق الهمدانى بقياده العقيد رضا خان" الذى أصبح فيما بعد "رضا شاه بهلوى" و عدد جنوده حوالى سبعمائى، فأوقع الحمر به خسائر جسيمه. ثم أمرهم "أستار ولسكى" بالتراجع. و فى أثناء تراجعهم أمطروهم العسكر الإنكليز من أحد مواقعه بوابل من القنابل. و اعتذرت السفاره الإنكليزيه بعد ذلك بان هذا العمل كان اشتباها، إذ حسب الجيش الإنكليزى القوزاق الايرانى من عسكر البلاشفه. و قد تراجع "العقيد رضا خان" بفوجه إلى نواحي قزوین حتى استقر فى قريه اسمها "آق بابا".

و كان للانكليز جيش متمركز فى "منجيل" فتراجع عنها بلا حرب.

و عاد المتمردون الشماليون إلى مواقعهم التى أخرجوا منها، و منها مدينه رشت. و أوقعت هذه الهزيمه الرعب فى أهالى جيلان ففروا منها جماعات جماعات متفرقين فى مختلف النواحي. و اتهم الضباط الايرانيون "الكولونيل إستار ولسكى" بأنه تعمد الخطا فى التكتيك ليوقع الهزيمه بالقوزاق، و أنه واطا الإنكليز عليهم.

و هكذا منى "مشير الدوله" بالخيبه فى جيلان قبل أن يتمكن من تحقيق خطته الصائبه بإيجاد توازن بين السياسات الخارجيه فى بلاده، بعقد معاهده صداقه بين الاتحاد السوفياتى و بلاده، إذ زحمته الحوادث و مؤامرات الإنكليز فاضطر إلى الاستقاله، و سفيره فى موسكو مشغول بمفاوضته السوفيات حتى تمكن من تهيئه معاهده من ٢٦ ماده كلها فى مصلحه إيران. و لو تمكن "مشير الدوله" من توقيعها و إنفاذها لاتخذت الحوادث مجرى آخر.

كانت روسيا بعد الانقلاب البلشفي، قد خرجت من مسرح السياسه الإيرانيه. و لكنها لم تلبث أن عادت إليه بوجه آخر. خرجت بما هى دوله الإمبراطوريه الرأسماليه الاستعماريه، و عادت بما هى دوله الاتحاد السوفياتى الاشتراكي الثورى. فأخذت تثير حركات انفصاليه فى شمال إيران و تمدها بالسلاح و الرجال. و كان تدخلها هذا هو السبب فى خيبه "مشير الدوله" فى حملته على متمردي الشمال، كما كان السبب فى خيبه "وثوق الدوله" قبله.

و كانت السياسه الإنكليزيه تتوخى تشكيل حكومه قويه فى إيران تبسط سيطرتها على كل البلاد و تقطع دابر المتمردين، على أن تكون تابعه لانكلترا، و كان الإنكليز مستعدين لمساعدتها بالمال و الرجال و السلاح. و كان "وثوق الدوله" أهلا لهذه المهمه و

لكنه، مع كل شدته و حزمه، عجز عن فرض معاهده سنة ١٩١٩ م. و جاء بعده "مشير الدوله". و كان قادرا على تشكيل مثل تلك الحكومه القويه المطلوبه. و لكنه لم يكن قادرا على التبعيه للانكليز.

فناوهم فى أشياء، منها رفضه إسناد قياده الكتيبه القوزاقيه إليهم. و منها رفضه الاعتراف بشرعيه "شرطه الجنوب". و منها مسيرته لمعارضى معاهده سنة ١٩١٩ م و منها إقدامه على مفاوضه السوفيات، و أشياء اخرى.

و من ثم لم يجد الإنكليز بدا من تنحيه "مشير الدوله" عن الحكم.

فحملوا "أحمد شاه"، بالاحراج و الإكراه، على أن يوعز إليه بالاستقاله، فرفض "مشير الدوله" و علق إقدامه على الاستقاله على موافقه زملائه الوزراء، و هم لا- يوافقون عليها. و الأرجح أن هذا الطلب و الرد كانا مواطاه بين الشاه و رئيس وزرائه يتخلص به الشاه من إحراج الإنكليز، إذ كان الشاه و "مشير الدوله" فى خط سياسى واحد.

و من ثم أقدم الإنكليز على عمل حاسم يضطر "مشير الدوله" إلى التنحي من الحكم. فهددوا الشاه بأنهم سيخلون قزوين أيضا و يتركونها للشيوخيين. ثم قطعوا المعونه الماليه التى ما زالوا يمنحونها إيران من سنوات.

و لم يكن "مشير الدوله" قادرا على الاستمرار فى الحكم بغير هذه المعونه.

فاضطر إلى الاستقاله فى ١٤ صفر سنة ١٣٣٩ هـ. ق. الموافق ٥ آبان (٤) سنة ١٢٩٩ هـ. ش. و لما يمض على حكومته غير ثلاثه أشهر تقريبا.

كان الإنكليز آيسين من وزاره "مشير الدوله" من يوم تشكيلها مع كل ما أظهرته سفارتهم يومئذ من إيجابيه فى معاملتها. فان تصرفهم يوم حمله القوزاق على ثوار الشمال، و قبله تعليقاتهم الصحفيه و بعض بيانات وزير خارجيتهم "اللورد كرزن" الرسميه، كانت تدل على أنهم لا- يرجون خيرا من هذه الوزاره. فرئيسها و أعضاؤها نخبه ممتازه موثوق بها من ساسه إيران، ضنينون بشعبيتهم و سمعتهم لا يمكن أن يهدروها بالسعى إلى إنفاذ معاهده سنة ١٩١٩ م. و الشاه مصر على رفضها، مع ما أطعمه به الإنكليز من مال. و الأوضاع الراهنه توحى بان المجلس المنتظر لا يرجى أن يكون مناط أمل. و معارضه الرأى العام لا يستطاع تجاهلها.

لقد كان قيام حكومه "مشير الدوله" إيذانا بسقوط تلك المعاهده.

و من ثم صرف الإنكليز النظر إلى اتخاذ خطه اخرى تكون بديلا لها لتحقيق سيادتهم على إيران.

و فى مده حكم "مشير الدوله" دأب أنصار المعاهده، و فى مقدمتهم السيد ضياء الدين الطباطبائى، على عقد جلسات و مشاورات برعايه السفاره الإنكليزيه لزعه حكومه "مشير الدوله" و التخطيط لمشروع بديل للمعاهده. فلما قطعت انكلترا معونتها الماليه عن إيران، و اضطر "مشير الدوله" إلى الاستقاله كان المشروع الجديد جاهزا.

حكومه إيرانيه لا تستطيع فرض معاهده ١٩١٩ م. بل انكلترا نفسها.

- ١- الشهر السابع من السنه الهجريه الشمسيه الإيرانيه.
- ٢- الشهر الرابع من السنه الهجريه الشمسيه الإيرانيه.
- ٣- الشهر الخامس من السنه الهجريه الشمسيه الإيرانيه، يقابله تموز و آب.
- ٤- الشهر الثامن من السنه الهجريه الشمسيه الإيرانيه. يقابله أيلول و تشرين الأول.

أصبحت ترغب عن إنفاذ المعاهده بالإكراه لكيلا تظهر في مظهر المستعمر الغاصب، و لكنها مصممه على تحقيق مصالحها المتوخاه في إيران لا- تتراجع عنها. فلتخرج هذه المصالح بوجه آخر غير وجه المعاهده. و إخراجها بهذا الوجه لا- يكون إلا بانقلاب. انقلاب إيراني الوجه محلي العنوان تسانده و تحركه في الخفاء أيد إنكليزيه. و يعقبه حكم موال للانكليز و يحقق مصالحهم بعنوان إيراني لا بعنوان إنكليزي. و هذا هو المشروع الجديد البديل لمعاهده ١٩١٩ م. يقول الجنرال "آيرن سايد"^(١) في مذكراته: "الانقلاب خير دواء للوضع الحاضر في إيران".

وزاره "السبهدار"

و كلف "أحمد شاه" عده رجال بتشكيل الوزاره فرفضوا كلهم النهوض بهذه المهمه الصعبه. ثم قبل بها سياسى ثرى ضعيف الشخصيه متخاذل موال للانكليز هو "فتح الله أكبر" الملقب ب "السبهدار الأعظم". و ألف وزارته يوم ٢٢ آبان^(٢) سنه ١٢٩٩ هـ. ش.

و كان أول عمل قام به هو عزل "أستار ولسكى" الروسى عن قياده كتيبه القوزاق و إسناد قيادتها إلى "فاسم خان والى" المعروف باسم "السرदार همايون" استجابته منه لطلب السفاره الإنكليزيه. و كان عزل القائد الروسى عن هذا المنصب غايه قديمه تتوخاها هذه السفاره لتجعل الكتيبه فى تصرف الإنكليز. و لم يستجب لها "مشير الدوله" و لا سلفه "وثوق الدوله".

و كانت إيران لا تملك من القوات المسلحه غير هذه الكتيبه و كتيبه الدرک.

و هذه متفرقه فى نواحى مختلفه لاقرار الأمن.

و عزل القائد الايرانى الجديد للكتيبه القوزاقيه تسعه عشر ضابطا روسيا من ضباط الكتيبه و عين فى مكانهم ضباطا إيرانيين. ثم أصدر بعد ذلك "السبهدار" رئيس الوزاره قرارا بعزل جميع ضباط الكتيبه الروسيين.

و حضرت السفاره الإنكليزيه على "إستار ولسكى" الإقامه فى إيران، فغادرها فورا إلى بغداد و منها إلى باريس مقر الحكومه الروسيه القيصريه المهاجره.

و تلقى الناس الوزاره الجديده بالاعتراض و الخشيه من إقدامها على إنفاذ معاهده ١٩١٩ م، فاضربت الأسواق و عبر الناس من اعتراضهم بالتظاهر و غيره من مظاهر الاعتراض. فاضطر "السبهدار" إلى إصدار بيان بان المعاهده لا يمكن أن تكون نافذه ما لم يوافق عليها المجلس النيابى و أن خطته فى هذا الموضوع هى خطه سلفه.

و سافر "السرदार همايون" إلى قزوین حيث كان مقر قياده سلفه الروسى لتسلم منصبه الجديد. و حصل جنود الكتيبه القوزاقيه على مائه ألف تومان رواتب لهم، و كانت رواتبهم قد انقطعت بعد قطع الإنكليز المعونه الماليه عن الحكومه الإيرانيه فى عهد "مشير الدوله". و حصلوا على أعطيات من الحنطه و الشعير. و كان السيد "ضياء الدين الطباطبائى" واسطه الحصول على هذا المال و الغلال من الإنكليز. و حضر إلى قزوین أيضا الجنرال "ديكسن"^(٣) الإنكليزى. و تولى تعريف جنود الكتيبه القوزاقيه بقائدهم الجديد "السرदार همايون". و خطب فيهم. قال: "إن هذا اليوم يوم فخر للقوزاق، إذ تحرروا من مخالف ضباط البلاط

القيصري، المخالب التي ما زالت تأسرهم من أربعين عاما. و الآن ها أنتم لا يأمر عليكم روسى و لا إنكليزى بل يرئسكم ضابط إيرانى". و استقرت قوى القوزاق فى أطراف قزوین فى إمره الضابط القوزاقى "رضا خان" (الذى أصبح فيما بعد رضا شاه بهلوى).

و كان "السبهدار الأعظم" يديم استشاره السيد "ضياء الدين الطباطبائى" و السيد "محمد صادق الطباطبائى" (٤) فى جميع أعماله الحكوميه و يشاركانه فى مساعيه و تخطيطاته بصوره شخصيه، إذ لم تكن لهما صفة رسميه فى حكومته.

و نشر "السبهدار" بيانه الوزارى لا على المجلس النيابى، إذ كان هذا المجلس معطلا، بل على الرأى العام مباشره. و فيه تذكير بسوء الأحوال و تعقد المشاكل و صعوبه العمل. و فيه وعد بافتتاح المجلس النيابى فى أسرع وقت ممكن نتسلم إليه مقدرات الأمة.

و لم تلبث هذه وزاره، و هى فى زحمه الصعاب و المخاوف، إن تلتقت من الحكومه الإنكليزيه مذكره تطلب فيها وضع كتيبه القوزاق تحت إمره قياده إنكليزيه، و تذكر أن منح الحكومه الإنكليزيه إيران مساعده ماليه أصبح موضع اعتراض من مجلس العموم الانكليزى و رجال السياسيه الإنكليز. و أن الإلحاح يشتد على الحكومه الإنكليزيه بوجوب استدعاء العسكر الانكليزى من إيران. و فى المذكره إنذار بان الحكومه الإيرانيه إن كانت راغبه عن صداقه انكلترا مستغنيه عن مساعدتها فانكلترا تعد ذلك مصلحه لها تغتنمها و تتنحى من إيران.

و كان الفصل فى موضوع هذه المذكره من شان المجلس النيابى وحده.

و إذ كان المجلس معطلا- فقد ارتأى "أحمد شاه" تشكيل مجلس شورى ينوب موقتا عن المجلس النيابى للفصل فى هذا الموضوع. و هو تدبير له سابقه فى تاريخ تلك الحقبة فى إيران.

و تشكل المجلس من نخبه من الأمراء و الوزراء و رجال الدين و التجار و الأعيان و النواب. و عقد جلسه فى يوم السبت ١٦ ربيع الأول سنه ١٣٣٨ هـ. ق. و افتتح الجلسه "أحمد شاه" ببيان مختصر ثم غادرها.

و انتهت أبحاث هذا المجلس إلى الإجماع على أن لا حق لهم فى الفصل فى موضوع المذكره الإنكليزيه، و أن الحق فى ذلك هو للمجلس النيابى وحده، و من ثم أوصوا رئيس الوزراء بالاسراع بافتتاح المجلس.

فى هذه الأثناء، كانت مفاوضات مندوب "مشير الدوله" لمسئولى الحكومه البلشفيه فى موسكو قد انتهت إلى نتيجة طيبه، إذ وفق فى أوائل سنه ١٩٢١ م إلى تنظيم معاهده بين إيران و الاتحاد السوفياتى تحفظ حق إيران كاملا- فى علاقتها بالاتحاد السوفياتى. و تتالف من ٢٦ ماده. و أرسل مندوب إيران فى موسكو نسخه عنها إلى حكومته للموافقه.

و أوقع تنظيم هذه المعاهده "السبهدار" رئيس وزاره فى الحرج

- ١- قائد الجيش الانكليزي في إيران سنة ١٩٢٠ م و هو المدير الأول للانقلاب الذي حصل بعد ذلك.
- ٢- الشهر الثامن من السنه الهجرية الشمسيه الإيرانيه و يقابله أيلول و تشرين الأول.
- ٣- هو أحد العسكريين الذين حضروا إلى إيران بعد عقد معاهده ١٩١٩ في عهد وزاره " وثوق الدوله " للتحضير لانشاء الجيش الايراني و تولى الشؤون العسكريه التي نصت عليها المعاهده. و كان يومئذ في حكم المستشار في وزاره الحربيه الإيرانيه.
- ٤- نائب سابق في المجلس النيابي الذي انتخب سنة ١٣٢٧ هـ. ق. بعد خلع محمد علي شاه. ثم سفير إيران في أنقره، ثم رئيس الجمعیه التأسيسیه سنة ١٣٢٨ هـ. ش.

فالموافق عليها تغضب الإنكليز و هو حريص على إرضائهم. و رفضها يغضب الشعب الايراني و يعده خيانه له، إذ هي معاهده تقيم بين الدولتين علاقات مستقيمه طيبه تحفظ حق إيران و كرامتها.

فاخذ "السبهدار" يماطل في الجواب لعله يجد مخرجا. و ظل يماطل إلى أن أزمه المندوب الايراني في موسكو بوجوب المبادره إلى الجواب لأن المسئولين السوفيات عيل صبرهم من المماطله. فلم يجد "السبهدار" وسيله سوى أن يعهد بالفصل في أمر هذه المعاهده إلى مجلس الشورى الآنف الذكر فيتخلص من المسئوليه عند السفاره الإنكليزيه إن كانت النتيجة إيجابيه و عند الشعب إن كانت سلبيه.

أما السفاره الإنكليزيه، و قد خاب سعيها في توسيع الشقه بين دولتي روسيا و إيران، فكانت تعلم أن مجلس الشورى لا يستطيع رفض المعاهده لأن ليس فيها ما يضر بايران بل فيها منفعه كبيره لها. و من ثم عمدت إلى تدبير آخر. فدعت في أوائل سنه ١٩٢١ م الموافق للنصف الأول من شهر دى سنه ١٢٩٩ هـ. ش. الرعايا الإنكليز و سائر الأوربيين المقيمين في طهران إلى مغادرتها لاحتمال غزو البلاشفه لها. و نشر "البنك الشاهنشاهي" ^(١) بيانا دعا فيه أصحاب الودائع إلى استرداد ودايعهم منه.

و كان ذلك كله قبل يومين من عرض المعاهده الإيرانيه السوفياتيه على مجلس الشورى. و القصد منه التحويل بان الجيش الانكليزي عازم على الخروج من إيران و تركها فريسه للبلاشفه. و شيء آخر هو التلويح لمجلس الشورى بأنه إن وافق على تلك المعاهده تصبح بريطانيا في حل من عهدتها بالدفاع عن إيران، إذ أن إيران نفسها اختارت الارتباط بالبلاشفه. و من ثم يتردد المجلس في إبرامها خشيه أن تتخلى إنكلترا عن إيران و تتركها فريسه للروس.

و لكن مجلس الشورى اجتمع في الثامن من كانون الأول سنه ١٩٢١ م الموافق ١٨ دى ^(٢) سنه ١٢٩٩ هـ. ش. و وافق على المعاهده الإيرانيه السوفياتيه و آذنت الحكومه مندوبها في موسكو بذلك. ^(٣)

و شاع في طهران أن الرعايا الإنكليز عازمون على الرحيل عن إيران و أن "البنك الشاهنشاهي" قد ألغيت فروعه في بعض المحافظات تمهيدا لاغلاقه بل أخذ بعض الإنكليز يبيعون أثاث بيوتهم. و استدعت السفاره الإنكليزيه رؤساء الادارات و المتاجر الإنكليزيه فعدوا جلسه أبلغتهم فيها السفاره أن على كل إنكليزي يمكن الاستغناء عن خدماته المبادره إلى السفر من إيران.

و جاءت هذه الحوادث ضغثا على إباله الفساد المزمن و الأزمت المتلاحقه، و زادت في نقمه الناس و نفورهم، خصوصا حين شاع بينهم خبر المذكرة التي بعثت بها السفاره الإنكليزيه إلى الحكومه و شاع أن الإنكليز قطعوا مساعدتهم الماليه عن إيران. فقامت تظاهرات في طهران و غيرها من الولايات. و الأمور على هذا المنوال تسير من سيئ إلى أسوأ.

و أمر "أحمد شاه" بانعقاد مجلس الشورى للنظر في حل يرتئيه أهل الفكر و رجال السياسه و الاقتصاد. فعقد هذا المجلس ثلاث جلسات ما بين التاسع عشر و الرابع و العشرين من شهر دى سنه ١٢٩٩ هـ. ش. فلم يحصلوا على شيء. و قام زعيم كردى بثوره مسلحه في كردستان و أذربيجان.

و عجز "السبهدار" رئيس الوزراء عن مواجهه الصعوبات فلم يجد بدا من الاستقاله. فاستقال في الخامس و العشرين من شهر دى سنه ١٢٩٩ هـ. ش.

في عهد هذه الوزارة كان توقع حدوث انقلاب عام. بل أقدم بعض الساسة و الرؤساء على تهيئه مقدماته و محاولته من عهد وزاره "وثوق الدوله" ثم "مشير الدوله". و لكن الظروف لم تؤاتهم. بل حاول "أستار ولسكى" الروسى قائد فرقه القوزاق نفسه أن يقوم بانقلاب فى عهد وزاره "مشير الدوله" و يقطع طريق الإنكليز و نضجت فكره الانقلاب عند ساسه الإنكليز حتى أصبحت نيه قاطعه. بل ذكر بعض الصحف الأوربيه يومئذ أن الجنرال "إسمايلز" (٤) و الجنرال "يكسن" (٥) الإنكليزيين يقومان بنشاط يتوخى هذه الغايه، و كثر الحديث فى إيران أن السيد "ضياء الدين الطباطبائي" يشار كهما فى هذا النشاط.

سياسه بريطانيا فى إيران

كانت انكلترا قررت سنه ١٩٢٠ م تخفيض نفقات قواتها المسلحه.

و لذلك قررت استدعاء عساكرها من إيران بعد تمهيد الأمور فيها بما يكفل تحقيق مصالحها. و ضربت موعدا للجلاء أول شهر نيسان من سنه ١٩٢١ م الموافق ١٠ فروردين (٦) سنه ١٣٠٠ هـ. ش.

و لكن تطور الأوضاع فى روسيا بعد انتصار الثوره البلشفيه و تزايد قوه الاتحاد السوفياتى. يوما فيوما، و هو جار إيران، حملها على انتهاج تخطيط آخر تقتضيه التطورات الجديده. و انتهى البحث و التفكير عند ساستها إلى وجوب إحاطه الاتحاد السوفياتى بحكومات مواليه لانكلترا، معاديه للسوفيات. حكومات قويه متسلطه تحكم الدول التى تجاور الاتحاد السوفياتى و تكون سدا منيعا فى وجهه. و هذا ما أرادت فعله فى إيران قبل استدعاء عساكرها منها.

و هو يقتضى إقامه قوه عسكريه محليه متمكنه. و كانت وسيلتها إلى ذلك توحيد الكتيبتين العسكريتين اللتين لا تملك إيران غيرهما، و هما كتيبه القوزاق و كتيبه الدرك، فى كتيبه عسكريه واحده يتولى قيادتها ضباط إنكليز.

و التمهيد من ثم لانشاء جيش إيرانى برعايتهم و توجيههم. و لذلك كان الإنكليز لا ينفكون يطلبون من المسئولين الايرانيين عزل الضباط الروس عن قياده الكتيبه القوزاقيه و وضعها تحت قيادتهم، إذ أنهم لا يستطيعون السيطرة عليها ما دامت فى أيدى هؤلاء الضباط، و إن كانوا قد قطعوا صلتهم بروسيا البلشفيه. و الإنكليز لا يطمئنون أيضا إلى مواليه هذه الكتيبه لهم و لو تنحى الروس عن قيادتها، إلا- إذا نظمت وفق تخطيطهم. فعليهم إذن إبعاد قادتها الروس، و عليهم نزع سلاحها و دمجها فى القوه العسكريه الموحداه المنوى إنشاؤها. ثم تسليح هذه القوه و تدريبها وفق خططهم.

ص: ١٧٤

١- بنك إنكليزى حصل الإنكليز على امتيازاه فى زمن "ناصر الدين شاه" سنه ١٨٨٩ م و ١٣٠٦ هـ. ق. و كان يتولى إصدار النقد الورقى.

٢- الشهر العاشر من السنه الهجرية الشمسيه الايرانيه و يقابله كانون الأول و كانون الثانى.

٣- بعد عام تقريبا من هذا التاريخ عرضت هذه المعاهده على المجلس النيابى فوافق عليها بالإجماع. و قد وفى الاتحاد السوفياتى بتعهداته التى فيها فور الموافقه عليها من مجلس الشورى و قبل عرضها على المجلس النيابى.

٤- كان "إسمايلز" موظفا فى قياده كتيبه الدرك الايرانيه. و كان "ديكسن" فى وزاره الحريه. و كلاهما من بقايا الخبراء و

المستشارين الذين وفدوا إلى إيران فور عقد معاهده سنه ١٩١٩ م.

٥- كان "إسميلز" موظفا في قياده كتيبه الدرک الإيرانيه. و كان "ديكسن" في وزاره الحريه. و كلاهما من بقايا الخبراء و

المستشارين الذين وفدوا إلى إيران فور عقد معاهده سنه ١٩١٩ م.

٦- الشهر الأول من السنه الهجرية الشمسيه الإيرانيه.

و أمر آخر أهم الساسه الإنكليز هو تبيينهم ضعف عسكريهم المقيم في إيران، بعد انهزامهم من وجه البلاشفه في الشمال على ذلك النحو المعيب.

فقد ظل الجيش الانكليزي في إيران ليدفع عنها غزوا بلشيفيا محتملا. و لكن جنوده فروا سريعا بمجرد نزول الجنود الحمر في مرفا "أنزلى"، فاخلوا هذا المرفا و أخلوا بعده رشت و سلموهما إلى البلاشفه. و لذلك يمكن أن لا- يثبت هذا الجيش في وجه البلاشفه إذا اتحدوا.

المقابلة التاريخيه

و قد قضت هذه الانكسارات على معنويات الجنود الإنكليز و أفقدتهم الثقة بأنفسهم. و لذلك استدعت الحكومه الإنكليزيه في ١ تشرين الأول سنة ١٩٢٠ م قائد جيشها المقيم في إيران و أرسلت إليها بدلا منه الجنرال "السير إدموند آيرن سايد". و كانت مهمته إنعاش معنويات الجنود الإنكليز، و وقف تقدم البلاشفه من جيلان إلى الجنوب، و انتزاع قياده القوزاق من يد الروس و إنشاء قوه عسكريه محليه موحدته تسند قيادتها إلى الإنكليز و تكون دعامة حكومه إيرانيه قويه مواليه لهم تبسط سيطرتها على جميع نواحي البلاد و تقف سدا في وجه المد البلشفي. و بعد الاطمئنان إلى تمكن هذه التدابير تجلو العساكر البريطانيه عن إيران. و كان عدد الجيش الانكليزي المقيم في إيران سته آلاف جندي منتشرين فرقا في الشمال.

و قبل استقاله وزاره "مشير الدوله" ببضعه أيام ذهب "الجنرال آيرن سايد" في الثاني من تشرين الثاني سنة ١٩٢٠ م إلى "آق بابا" حيث يعسكر القوزاق، و أحاط معسكرهم بقسم من جنوده مسلحين بالرشاشات.

فعل ذلك لا- بقصد المحاربه بل من باب الاحتياط خوفا من وقوع حوادث ليست في الحسبان. ثم دخل المعسكر و معه "الكولونيل كاظم خان" أحد ضباط الدرک. و طلب مقابله كبار ضباط القوزاق لمباحثتهم في أمور مهمه.

فلما حضروا عرض عليهم على شكل اقتراح في الظاهر ما كان أمرا مقررا في الواقع. و كان "كاظم خان" يترجم كلامه إلى الفارسيه. قال:

جئت أبلغكم أننا ننوي مساعدتكم بعزل الضباط الروس المستخدمين عند الدوله و إحلال ضباط إنكليز في محلهم يقومون بإنشاء تشكيلات عسكريه منظمه، و توفير كل وسائل الراحة و القوه اللازمه لكم. و من أجل ذلك لا بد من نزع سلاح القوزاق الايراني مؤقتا ريثما يصل المدربون الإنكليز و يتسلموا مهمتهم و يعاد تشكيل القوزاق على نحو جديد.

فسكت الضباط القوزاقيون و لم يجيبوا بشيء إلا أن العقيد "رضا خان" قطع هذا السكوت و أجاب بجرأه متناهيه و نبره جمهوريه قائلا: نحن قوزاق صاحب الجلاله الشاهانيه و خدام دوله إيران. و في كل الأمور لا نطيع غير الأوامر التي تصدر إلينا من الحكومه المركزيه. و لذلك لا نستطيع الرد على اقتراحكم بالإيجاب. فان يكن عندكم اقتراح أو مطلب فاعرضوه على الحكومه المركزيه فان وافقت عليه أمرتنا به فأطعناه. أما الآن فلا نستطيع قبول شيء من أوامرکم و هي تعرض علينا بهذه الكيفيه.

و عندئذ اتخذ الجنرال "آيرن سايد" مظهرها وديا بشوشا، و أجاب بالغلغه الفارسيه - و كان ملما بها - و هو يتسم متوددا:

المعذرة! فان المترجم لم يحسن إفهامكم مرادى. فانا لم أكن أقصد ما أفاده كلامه. و كل مرادى هو أن نتعاون، يدا بيد، لانقاذ وطنكم من الفتن.

ثم ودعهم متوددا إليهم مصافحهم واحدا واحدا، و انصرف بلا نتيجته. و لكنه أعجب بجرأه "رضا خان" و ثبات جاشه و قرر أن يستفيد منه فى تحقيق خطته. و كانت هذه المقابلة مبدأ انطلاق "رضا خان" فيما بعد إلى عرش إيران! و بعد بضعة أيام من هذه الواقعة أرسلت السفاره الإنكليزيه إلى حكومه "مشير الدوله" هذه المقترحات التى عرضها "آيرن سايد" على الضباط القوزاق فى معسكرهم بقريه "آق بابا". أرسلتها على شكل اقتراح أو مذكره و طلبت المبادره فورا إلى عزل الضباط الروس عن قياده القوزاق.

فرفضها "مشير الدوله". و كان رفضه لها السبب فى مضايقه الإنكليز له حتى اضطروه إلى الاستقاله. ثم أرسلتها السفاره بصوره مذكره إلى وزاره "السبهدار" كما تقدم.

و كان القوزاق على وضع مادى و نفسى سيئ جدا. فقد انقطعت عنهم رواتبهم حين قطع الإنكليز مساعدتهم المالىه عن إيران فى أواخر عهد "مشير الدوله" و كانت رواتب القوزاق تعطى من هذه المساعده، و كذلك أسقطت هزيمتهم فى الشمال معنوياتهم. و كان "آيرن سايد" يسعى إلى كسبهم بوعدهم بتلافى هذه النقائص، و من ثم تكرر اجتماعه بالرؤساء العسكريين الايرانيين فى معسكر القوزاق فى "آق بابا".

"رضا خان" قائد الانقلاب

بدأ تحضير الإنكليز للانقلاب فى إيران من أواخر عهد وزاره "مشير الدوله". و كانت قزوين مركز نشاطهم الأول. ففيها المقر الأسمى لجيشهم. و قد بلغت سيطرتهم عليها إلى أن سموا شوارعها و أزقتها بأسماء إنكليزيه. و بعد أن قلب المخططون، من انكليز و إيرانيين، النظر كثيرا فى اختيار الأداة العسكريه للانقلاب استقر رأيهم على ترشيح كتيبه القوزاق لهذه المهمه و اختيار رئيس فوج همدان القوزاق "رضا خان" لقيادتها. و كان هذا يقيم مع فوجه فى نواحي قزوين. و فيها أيضا عمده الكتيبه القوزاقيه من ضباط و جنود. و لذلك كان مدبر و الانقلاب، و منهم السيد "ضياء الدين الطباطبائى" يترددون إلى قزوين لتهيئه وسائل الانقلاب ثم كانت هذه المدينه نقطه انطلاقه.

و استمر التحضير مده وزاره "السبهدار". و كان المدبر الأول له الجنرال "آيرن سايد". و فى هذه المده أصبح هذا قائد القوزاق الأعلى بصوره مؤقتة ربما [ربما] تحضر من إنكلترا هيئه دائمه لقيادتهم. و كان يعاونه ضابط إنكليزى اسمه "الكولونيل اسمائس". و أصبحت كل شئون القوزاق المهمه فى يد الإنكليز.

و اجتمع "آيرن سايد" أكثر من مره بالضابط القوزاقى "رضا خان" و صادقاه و استماله إليه. و كان شديد الاعجاب به، و مثله "الكولونيل إسمايس". و أبعد هذان "السرदार همايون" رئيس الكتيبه القوزاقيه عن قزوين، و فوضا أمور هذه الكتيبه إلى "رضا خان".

و ذكر "آيرن سايد" فى مذكراته أن آخر اجتماع حصل بينه و بين "رضا خان" كان فى يوم ١٢ شباط سنه ١٩٢١ م الموافق ٢٣

دی سنه ۱۲۹۹ ه. ش. (أی قبل یومین من استقاله وزاره "السبهدار" فی (گرانند اوتیل) فی قزوین. و ذکر أنه لم یر أحدا من ضباط ایران له صراحه رضا خان و استقامته و أنه أبلغه أنه ینوی إطلاق یده فی العمل بلا سیطره منه علیه. و أنه أخذ علیه تعهدا بان لا یتعمل ما بضعه الإنکلیز فی تصرفه من

ص: ۱۷۵

أسلحه و عدد لظعنهم بها غدرا من وراء ظهورهم. و تعهدا بان لا يقدم بعد حضوره إلى طهران على خلع الشاه بوجه من الوجوه. (1) و فى ختام الجلسه أمر "آيرن سايد" الكولونيل "إسمائيس" أن لا يمنع "رضا خان" من الاقدام على كل عمل يريد أن يقوم به.

و قال "آيرن سايد" أيضا فى مذاكراته:

"الحق أن ديكتاتوراً عسكرياً يحكم فى إيران يحل كل مشاكلنا الحاضره، و يفسح المجال للجيش الانكليزى أن يغادر أرض إيران بلا مشقه و لا مخاطره".

و بعد يومين من اجتماع "آيرن سايد" و "رضا خان" فى "جراند أوتيل" استدعت الحكومه الإنكليزيه "آيرن سايد" إلى مهمه فى بغداد.

فذهب قبل سفره إلى طهران ليستأذن الشاه. و يودعه. و حسن للشاه إحضاره العقيد "رضا خان" إلى طهران. و قال له: خساره أن يبقى مثل هذا الضابط الكفاء فى قزوين متعطلاً لا يستفاد من كفاءته و مواهبه فى محل مثمر.

و ذهب "آيرن سايد" إلى السفاره الإنكليزيه ليودع السفير. و هناك روى للسفير تفاصيل الخطه التى اختطها للقيام بالانقلاب. يقول "آيرن سايد" فى مذاكراته: "لما رويت للسفير ما اتفقنا عليه أنا و رضا خان ذعر السفير و قال: إذا حضر هذا الرجل إلى طهران فلا بد من أن يسقط الشاه عن عرش السلطنه.

و هكذا رأى الإنكليز، بعد سلسله من المداوولات و الاختبارات و المباحثات السريه، أن "رضا خان" أليق المرشحين لقياده الانقلاب العسكرى، لما امتاز به فى نظرهم من جرأه و رباطه جاش و ذكاء، و من مهامه فى مظهره العسكرى، فقرر إسناد هذه المهمه إليه. و تقرر أيضاً أن يكون "السيد ضياء الدين الطباطبائى" القائد المدنى للانقلاب يتولى رئاسه الوزاره بعد القيام به. و على هذا حصل الاتفاق بين العسكريين الإنكليز و رضا خان مع ما كان يكتف هذا من احتقار للطباطبائى.

و لما تم الاتفاق على ذلك أصدرت السفاره البريطانيه بياناً كذبت فيه الاشاعه التى سبق أن نشرتها هى نفسها، و هى أنها أشارت على الرعايا الإنكليز و الأوروبيين بمغادره إيران، و أن "البنك الشاهنشاهى" سيغلق.

و كانت هذه الاشاعه قد زيد فيها أيضاً أن السفاره نفسها عازمه على الانتقال من العاصمه لاحتقال وصول البلاشفه إليها و احتلالهم لها. فكذبت السفاره ذلك كله و طمانت الطهرانيين و كل الايرانيين إلى أن ليس فى النيه شىء من ذلك و أصبح القوزاق يعطون رواتبهم بانتظام، و تحسنت أحوال معيشتهم من لبس و طعام و أمثال ذلك. و تعاهد السيد "ضياء الدين الطباطبائى" و العقيد "رضا خان" و ثلاثه من الضباط الايرانيين على الاتحاد فى القيام بالانقلاب و أقسموا يمينا على ذلك و مهروا بأختامهم على ظهر القرآن.

التمهيد للعمل العسكرى

و أراد الانقلابيون أن لا يتعرضوا لمقاومه حين ورودهم طهران. و كان ورودهم بغير إذن من الحكومه المركزيه يعد غير شرعى،

و من ثم لا- بد من أن تتصدى الحكومه لمنعهم من دخول العاصمه. فان رفضوا قاومهم جند طهران من الدرک و الشرطه و القوزاق. و هم يريدون تجنب القتال و سفك الدماء.

و من أجل ذلك ارتأوا أن يوهموا "أحمد شاه" أن جماعه من السياسيين قد واطئوا جماعه من ضباط الدرک فى العاصمه على القيام بانقلاب. و من الخير له أن يستقدم خمسمائه جندى من القوزاق المقيمين فى قزوین إلى طهران يكونون بالمرصاد لمن تحدته نفسه بالسوء. فان قبل الشاه كلامهم استطاعوا أن يجعلوا الخمسمائه من القوزاق المطلوبين ألفين و خمسمائه هم القوه المهياه للقيام بالانقلاب.

و صدق "أحمد شاه" كلامهم و بادر فوراً إلى إرسال أمر إلى قزوین يأذن فيه لخمسمائه قوزاقى بالحضور إلى طهران متظاهرين بأنهم يريدون زياره عائلاتهم و قبض رواتبهم.

و حملوا الشاه أيضاً على أن يأمر بعض ضباط الدرک فى العاصمه - و كانوا من السويديين - بان لا يتعرضوا للقوزاق إذا قدموا إلى طهران. أمرهم بذلك فى السر. كما أن الانقلابيين واطئوا فريقاً آخر من ضباط الدرک كالسويديين و الايرانيين على السماح للقوزاق بدخول طهران. و استطاعوا أن ينزعوا زناد المدافع المستقره فى مركز مدفيعه الدرک.

و أرسلوا فرقه من العسكر الانكليزى المقيم فى قزوین إلى مدينه كرج بالقرب من طهران لتكون عوناً للقوزاق المهاجمين إذا اقتضى الأمر ذلك.

و قد تم تحضير كل هذا بمنتهى الاحتياط و الكتمان. و ما حل يوم ٢٥ بهمن سنه ١٢٩٩ هـ. ش. إلا كان كل شىء جاهزاً. و فى هذا اليوم سافر السيد "ضياء الدين الطباطبائى" من طهران إلى قزوین لتهيئه مقدمات العمل.

وزاره "السبهدار" الثانيه

و فى يوم ٢٨ بهمن (٢) سنه ١٢٩٩ هـ. ش أى بعد سفر الطباطبائى إلى قزوین بثلاثه أيام، شكل "السبهدار" الوزاره مره ثانيه. و قد تقدم أن وزاره "السبهدار" الأولى استقالت فى ١٤ شباط سنه ١٩٢١ من الموافق ٢٥ دى سنه ١٢٩٩ هـ. ش.

و بعد استقالتها يوم ذاك طلب "أحمد شاه" من بضعه رجال من السياسيين تشكيل الوزاره فرفضوا كلهم. و كان السبب الأول لرفضهم هو عجزهم عن التوفيق بين المطالب الإنكليزيه و الإراده الشعبيه. فطلب الشاه من نواب المجلس المعطل الحاضرين فى طهران عقد جلسه غير رسميه، و كان عددهم يحقق النصاب القانونى، و استشارهم فى أن يعهد إلى "السبهدار

ص: ١٧٦

١- ذكر "السيردنيس رايت" و هو سفير سابق لبريطانيا فى إيران، فى كتابه له بعنوان "الإنكليز بين الايرانيين" أن "رضا خان" لما تمكنت أموره فى طهران أرسل أحد خواصه إلى لندن يلتمس من الجنرال "آيرن سايد" أن يحله من هذا العهد الذى عاهده فى تلك الليله التاريخيه من ١٢ شباط سنه ١٩٢١ م. فأجابه "آيرن سايد" يثنى على هذه الاستقامه فى خلقه، و يقول: إذ أننى

علمت بنفسى من مصادر موثوق بها كل الثقه أن الأممه الإيرانيه راغبه فى تغيير الاسره الملكيه، فان العقيد "البهلوى" (رضا خان) فى حل من العهد الذى عاهد.

٢- اسم الشهر الحادى عشر من السنه الهجرية الشمسيه الإيرانيه.

الأعظم" مره ثانيه بتشكيل الوزاره فوافقوا. و هكذا كان. و طالت مشاورات "السبهدار" مده شهر تقريبا حتى شكل الوزاره.

و فى اليوم الرابع من تشكيل الوزاره أعلن "السبهدار" قيام الحكم العسكرى فى البلاد و توسيع صلاحيات الشرطه و أمثالهم من رجال الأمن باعطائهم صلاحيات قضائيه فى تعقب المطلوبين و مجازاتهم. و المشهور أن بيان "السبهدار" الذين نشره بهذا الشأن و سائر بياناته كان يكتبها له السيد "ضياء الدين الطباطبائى".

فى ذلك الحين كان توقع حدوث انقلاب عاما. انقلاب يفرض نوعا من الحكم بالقوه و السلاح. و فى ذلك الحين نشطت السفاره الإنكليزيه إلى حث الرعايا الإنكليز على مغادره إيران. و بدت مظاهر تهيتهم للرحيل واضححه، و استمر "البنك الشاهنشاهى" فى إجراءاته التى تحسب تمهيدا لاغلاقه، و رأى غير الإنكليز من الأوروبيين المقيمين فى إيران أن ما ينطبق على الإنكليز ينطبق عليهم فعليهم أن يرحلوا أيضا. و راجعوا سفاراتهم بهذا الشأن، فكان رأى بعض السفارات أن لا خوف عليهم، و أن للسفاره الإنكليزيه غايه أخرى من هذا غير وقايه رعاياها من خطر محتمل الوقوع. (١)

و تكررت مقابلات السفير الإنكليز للشاه، و قل أن مر يوم لم يزر فيه هذا السفير الشاه. و أخذ الشاه على أثر هذه الزيارات يبدو كاسف الحال مستوحشا. و فكر فى أن يترك طهران و يجعل شيراز عاصمه للمملكه، و أن يسافر إلى أوروبا أو إلى جنوب إيران. و زادت هذه الأخبار فى خوف الناس و يأسهم. ثم صرف الشاه عن عزمه جماعه من رجاله أقنعوه بالبقاء فى طهران. و لكن السفاره الإنكليزيه كانت قد حققت ما ترجوه من إخافه الشاه و الرعيه و زعزعه طمأنينتهم و معنوياتهم و خشيتهم من تسلط البلاشفه.

الزحف إلى طهران

فى منتصف الساعه السادسه من مساء اليوم التاسع و العشرين من شهر بهمن سنه ١٢٩٩ هـ. ش. الموافق ٢٢ شباط سنه ١٩٢١ م (ثانى يوم تشكيل وزاره "السبهدار") تحركت وحدات القوزاق المقيمه فى قزوین، و عدتها بين ٢٥٠٠ و ثلاثه آلاف، بقيادة العقيد "رضا خان" من قزوین قاصده إلى طهران، و معها أربع عربات مدافع و تجهيزات حربه أخرى.

و ساروا حتى وصلوا إلى محله تعرف باسم "ينجى إمام" فعسكروا فيها.

و يجدر بالذكر أن القيادة العسكريه الإنكليزيه كانت قد استقدمت إلى قزوین، قبل تحرك القوزاق منها ببضعه أيام، ثلاثه آلاف جندى من عسكرها ليشغلوا المراكز التى ستخلو من القوزاق حين زحفهم إلى طهران.

و فى اليوم الأول من شهر إسفند سنه ١٢٩٩ هـ. ش. تركوا "ينجى إمام" و ساروا متوجهين إلى العاصمه. و قبل مسيرهم قطعوا كل الأسلاك البرقيه و التلغرافيه الممتده بين طهران و قزوین.

و فى ذلك اليوم نفسه تلقت الحكومه خبر هذا الزحف. فبادرت فورا إلى إرسال رئيس الكتيبه القوزاقيه "السردار همايون" فى طريق قزوین ليمنع القوزاق القادمين من دخول طهران. فلما وصل إليهم اعتقلوه و أهانوه ثم أطلقوا سراحه. و فى اليوم الثانى من شهر إسفند سنه ١٢٩٩ هـ. ش. عقدت الوزاره اجتماعا طويلا. و بعد المذاكره و انفضاض الجلسه أصدر وزير الحربه التعليمات

اللازمه إلى موظفيه و أمر باتخاذ التدابير التي يقتضيها هذا الظرف.

و فى ذلك اليوم نفسه، أى الثانى من إسفند سنة ١٢٩٩ هـ. ش.

شاع فى طهران أن الفرقة القوزاقية المقيمة فى قزوین و يرئسها "رضا خان"، و عدد أفرادها ١٥٠٠ جندى تقريبا، قد تحركت من قزوین قاصده طهران من غير أن تتلقى أمرا بذلك من المراجع الرسميه المختصه.

و ذهب مخبرو الصحف يستطلعون الأمر و عادوا بانباء تفيد أن قدوم القوزاق سببه استيائهم من بعض التصرفات، و منها تأخير روايتهم. و أنهم لن يتعرضوا للأهالى بأذى.

و أمر رئيس الوزراء بمراعاة قوانين الحكم العسكرى فى المدينه و تطبيقها تطبيقا كاملا، و سير درويات من الحرس الفرسان و المشاه تحفظ النظام فيها و أصدر رئيس الوزراء فى ذلك اليوم أيضا بيانا أعلن فيه أنه أقال، بناء على أمر ملكى، "السرदार همايون" من رئاسه كتيبه القوزاق. و أعلن فيه أيضا أن سبب ذلك هو أن جماعه من كبار الضباط القوزاق كانوا قد استقالوا من مناصبهم على أثر اختلاف فى الرأى بينهم و بين رئيسهم. و أن رئيسهم "السرदार همايون" قبل استقالتهم من غير أن يرجع إلى من فوقه من الرؤساء. و لهذا سيعادون إلى مناصبهم التى كانوا فيها. و كان القصد من هذا البيان استرضاء القوزاق و استمالتهم.

أما الشاه فقد ظل يجهل كل شىء عن هذه المؤامره إلى أن بلغه خبر وصول القوزاق إلى "ينجى إمام" و أن عددهم حوالى ٢٥٠٠ جندى، فارتاب فى الأمر. و كانت قد بلغته أشياء عرف منها أن ما زعموه من تامر ضباط من الدرک و بعض السياسيين عليه كان كذبه أريد بها خداعه لافساح طريق القوزاق إلى طهران. و أراد أن يكلم رئيس معسكر القوزاق الذين فى "ينجى إمام" ليأمره بالعوده إلى قزوین. فاخذ سماعه التلفون بنفسه و طلبه فقبل له إن الرئيس غائب. و أراد أن يكلم غيره من الضباط فتجاهلوه و لم يصغوا إليه.

و لم يكن رئيس الوزاره "السبهدار الأعظم" يتصور أن حركه القوزاق على هذه الدرجه من الأهميه، إذ كان ظاهر أمرهم أنهم قادمون لزياره أرحامهم بعد طول الغياب، و ليرفعوا شكواهم إلى المراجع المسئوله من طول إهمالهم، و ليطالبوا بتحسين أحوالهم و إنصافهم. و فى غروب اليوم الثالث من إسفند سنة ١٢٩٩ هـ. ش. عقدت وزاره "السبهدار" جلسه استثنائيه عرف فيها "السبهدار" أن مجىء القوزاق ليس على هذا النحو من البساطه، و أن وراءه أمرا أعظم. و شاع فى المدينه أن القوزاق القادمين قد حالفوا الثوار الشيوعيين، و أنهم قادمون لاحتلال طهران و نهبها و التنكيل بأهلها. فدب الرعب فى أنحاء المدينه.

و أهم قدوم القوزاق "السبهدار" و أخافه. فارتأى، بعد انقضاء بضع ساعات من الليل، إرسال وفد من قبله إليهم لمفاوضتهم و إقناعهم بالرجوع عن طهران.

فى تلك الساعه من ذلك اليوم (٣ إسفند سنة ١٢٩٩ هـ. ش.) كان جيش القوزاق بقياده "رضا خان" قد حط رحاله و عسكر فى

مجله [مجله]

١- بعد اتفاق مخططى الانقلاب الإنكليز و "رضا خان" و السيد "ضياء الدين الطباطبائى" عادت السفاره فكذبت هذه الأمور كما تقدم.

"مهرآباد" قريبا من طهران. و كان السيد "ضياء الدين الطباطبائي" قد أعلن هناك أيضا أن الضابط "رضا خان" هو من الآن فصاعدا رئيس كتية القوزاق و هو قائدها العسكري. فتلقى ضباط القوزاق و جنودهم هذا الاعلام بالحماسه و الهتاف.

و شكل "السبهدار" وفده من ضابطين إنكليزيين و معاون في هيئه الوزاره، انطلقوا إلى "مهرآباد". و هناك تلقاهم حرس القوزاق القائم على مداخل المعسكر. و جرى حوار بين الطرفين لم يحصل منه الوفد على نتيجة و لا تمكن من مقابله المسئولين عن الجيش، فعاد إلى طهران و أطلع رئيس الوزاره على ما جرى. و وجد هذا نفسه في مازق لا مخرج منه، و أهمته نفسه حتى أنه فكر في الفرار، و قيل إنه التجأ إلى السفارة الإنكليزيه.

و في منتصف الساعه الثامنه من تلك الليله جاءت إلى معسكر القوزاق في "مهرآباد" أيضا سيارتان تحمل إحداهما مندوبين، مندوب من قبل الشاه و مندوب من قبل رئيس الوزراء، و الأخرى تحمل مندوبين من قبل السفارة الإنكليزيه جاءوا يحاولون ثني قياده القوزاق عن عزمها على دخول طهران.

و طلبوا مقابله القائد العام. (1)

و لكن السيد "ضياء الدين الطباطبائي" جعلهم ينتظرون ساعه كامله. فقد كان المقرر أن يتحرك القوزاق إلى طهران في تمام الساعه التاسعه. فأراد الطباطبائي تأخير المقابله إلى ما قبيل هذه الساعه فلا يتسع الوقت الفاصل بين بدء المذاكره و موعد الحركه لاستكمال الحوار بين الوفدين و "رضا خان"، إذ يحل الموعد و يتحرك الجيش قبل انتهاء المذاكره و الوصول إلى نتيجة، فيضع الوفدين في الأمر الواقع. بل يضع "رضا خان" نفسه أيضا في الأمر الواقع إذا حدثته نفسه بان يلين لهم. و كان قد لقن "رضا خان" ما عليه أن يقوله جوابا على خطاب الوفدين. فلما حانت الساعه التاسعه، و المذاكره لا تزال جاريه، أمر السيد "ضياء الدين الطباطبائي" حامل البوق بان يؤذن الجيش بالتحرك، ففعل. و تحرك الجيش و المذاكره لا تزال دائره لما تنته بعد، و سبق السيف العذل.. و سار الجيش القوزاقى إلى طهران.

تحرك الجيش قاصدا طهران و بقى السيد "ضياء الدين الطباطبائي" في "مهرآباد" يحتجز رجال الوفدين لا يسمح لهم بالعوده إلى طهران زاعما أنه لا- يأمن عليهم الطريق إذ هي مشغوله بالجنود و يخشى أن يتعرض لهم أحد بسوء. و أصر وفد السفاره الإنكليزيه، و هو يتالف من ضابطين كبيرين، على طلب السماح له بالعوده ليحول دون إراقه الدماء إذا أقدمت حاميه طهران على المقاومه، و لكن الطباطبائي رفض السماح له.

و فيما هم في ذلك إذا برضا خان يعود إلى "مهرآباد" و يخبر الطباطبائي بان رجالا- من حاميه طهران تلقوهم عند مدخل المدينه و أبلغوهم أنهم مأمورون بمنعهم من دخول العاصمه. و أنه عاد ليسأل ما هو تكليفه. فلم يتردد الطباطبائي و أمره فورا بالمقاومه و مقابله القوه بالقوه.

و ظل الطباطبائي يحتجز مندوبى الشاه و رئيس الوزراء و مندوبى السفاره الإنكليزيه إلى الساعه الحاديه عشره من الليل. و حينئذ أذن للانكليزيين بالعوده بعد أن أخبره رسل "رضا خان" أن جيش القوزاق احتل طهران بلا مقاومه. و استبقى لديه مندوب الشاه و مندوب رئيس الوزراء.

و فى تلك الليله، فى "مهرآباد" خلع السيد "ضياء الدين الطباطبائى" العمامه عن رأسه و اعتمر "الكلاه" و غير زيّه، زى رجال الدين. (٢)

احتلال طهران

ثم احتلال القوزاق لطهران حوالى منتصف الليل بلا-مقاومه مع أن حاميه طهران من الدرك و الشرطه كانت كافيه يومئذ لصدّهم عن العاصمه.

بل كانت قادره على حصارهم و أخذهم أسارى، إذ كانوا متعبين مكشوفين.

لكن ضباط الدرك من السويديين كانوا قد واطئوا المهاجمين على التسليم.

و كان فريق من فرسان الدرك مع القوزاق الذين زحفوا من قزوین إلى طهران.

و عند منتصف الليل ترك السيد "ضياء الدين الطباطبائى" محله "مهرآباد" قاصدا طهران ليلحق بالجيش الفاتح. فركب سياره و ركب إلى جانبه أحد ضباط القوزاق. و أركب المندوبين المحتجزين، مندوب الشاه و مندوب رئيس الوزراء، فى سيارتهما و جعلها وراء سيارته، و وراءهم مائه جندى من القوزاق و مائه جندى من الدرك و ساروا الهويناء إلى طهران.

و نحو طهران ترجل السيد "ضياء الدين الطباطبائى" من السياره و ركب حصانا و سار بموكبه إلى ثكنه القوزاق. و هناك أطلق سراح المندوبين المحتجزين بعد أن احتجزهم مده فى الثكنه. ثم اختلى ب "رضا خان" و أحد كبار ضباط القوزاق.

و بعد قليل دخل عليهم جندى قوزاقى يؤذن "رضا خان" بان الأمير "عبد الحسين ميرزا" المشهور بلقب "فرمان فرما" (٣) يطلب مقابلته، و أراد "رضا خان" أن يستقبله و لكن السيد "ضياء الدين الطباطبائى" منعه و أمر الجندى بصرفه، فانصرف خائبا. و كان هذا الأمير أراد الالتجاء إلى السفاره البريطانيه خوفا من مكروه يصيبه و لكنه وجد القوزاق على باب السفاره فمنعوه من دخولها.

و كان الشاه ساعئذ يقيم فى قصر محله "فرح آباد" خارج المدينه.

و سد المحتلون مداخل المدينه كلها و أقاموا عليها جندا أمروا بان لا يسمحوا لأحد بالخروج منها. ثم أرادوا إيدان الطهرانيين باحتلالهم العاصمه فأطلقوا

ص: ١٧٨

١- من الاعيب السياسه أن الإنكليز هم الذين هيئوا لانقلاب، و هم الآن يتظاهرون بمخالفته. و لو كان الإنكليز غير راضين عن حركه جيش القوزاق لما استطاع هذا الجيش الخروج من قزوین، و هم المسيطرون عليه، بل هم المسيطرون على كل شىء فى قزوین حتى أسماء شوارعها و أزقتها - كما قال مؤرخ فرنسى - و ليس يعقل أن يخرج هذا الجيش الضخم منها و هم غافلون. و لو كانوا على غير علم بنوايا جيش القوزاق لما استعدوا قبيل حركته لملء مراكزه التى ستخلو منه بجنودهم، فاستقدموا إلى

قزوين ثلاثه آلاف منهم لهذه الغايه (عدددهم بمقدار عدد جنود القوزاق الزاحفين)، و لا استقدموا إلى مدنيه [مدينه] كرج نجده احتياطيه من جنودهم لتكون مددا للانقلابيين حين ورودهم إلى طهران إذا اقتضى الأمر.

٢- كان أبو الطباطبائي من العلماء رجال الدين، و كان ابنه هذا معمما في سلك رجال الدين.

٣- من الأمراء القاجاريين، صهر "مظفر الدين شاه". وزير و رئيس وزاره سابق. من أصحاب الرتب العسكريه العاليه. تولى عدّه مرات منصب الولاية. و كان مدّه واليا على "كرمانشاه" و كان "رضا خان"، و هو في هذه الولاية، أحد رجال حرسه الخاص مدّه سنتين. فله به معرفه سابقه. و كان "فرمان فرما" مواليا للانكليز. فهو و الطباطبائي من هذه الجبهه في خط واحد. و قد سبق أن أثنى الطباطبائي على سياسته و وطنيته في جريدته "رعد".

القنابل من المدافع. و ارتجت المدينة بأصواتها. و هب الناس من مضاجعهم مذعورين.

و بادر رؤساء القوزاق إلى إرسال فرق من جندهم إلى مخافر الشرطة و أمرهم باحتلالها و اعتقال رجالها. فاستسلمت المخافر كلها إليهم بلا- مقاومة. إلا- أن دائره الشرطة المركزيه قاومت قليلا. و قاوم أحد المخافر أيضا مداه ساعه تقريبا. و انجلى هذه المقاومه عن عشره قتلى من رجال الشرطة و ثلاثه قتلى و جريح واحد من القوزاق.

و قيل إن "رضا خان" خاف خوفا شديدا حين نهض رجال ذلك المخفر إلى المقاومه، و قال لمن حوله: إن اقتدى مخفر أو أكثر بهذا المخفر و هب رجاله إلى المقاومه فسيطلع الصباح و نحن فى أماكننا عاجزين عن التسلط على المدينة. و عندئذ نؤسر. فخير لنا أن نفر الآن. و لكن رفاقه ثبتوه و صرفوه من هذا الرأى.

و لما احتل القوزاق إداره الشرطة فتحوا باب السجن و أطلقوا المحاييس. و توهم أحد المحاييس أن القادمين هم الثوار الشيوعيون قد احتلوا المدينة، فصاح يتملقهم "زنده باد بلشفيك" (عاش البلاشفه).

و كان ردهم على تحيته رصاصه أطلقوها عليه فأردته قتيلا! و اجتمع مدير الشرطة العام و رؤساء المهاجمين من القوزاق فطلبوا أن يأمر رجال الشرطة بموافقه القوزاق و معاونتهم، فعلق إجابتهم إلى طلبهم على حصوله على إذن من الشاه. و تعهد لهم، بناء على طلبهم، بان لا يتدخل فى مجرى الوقائع الجديده. و فى الصباح بكر مدير الشرطة إلى قصر الشاه و أطلععه على ما دار بينه و بين رؤساء القوزاق من حديث. فاذن الشاه بان يتعاون رجال الشرطة و القوزاق فى حفظ الأمن و النظام.

و يستفاد من وثائق وزاره الخارجيه البريطانيه أن السفير الانكليزى زار الشاه حين دخول القوزاق إلى العاصمه فوجده شديد الهم و تشوش الخاطر.

و استشاره الشاه فى ما يفعل فطمأنه السفير إلى حسن مقاصد قاده الانقلاب.

و أشار عليه بان يبادر إلى مسالمتهم و الارتباط بهم و الاطلاع على نواياهم و مطالبهم و إجابتهم إلى كل ما يلتمسونه منه بلا تردد، لأن وضع العاصمه الحاضر قد جعل القوزاق متسلطين على كل شىء. و ما يستطيع الشاه أن يتخذه من خطه عمليه هو هذا التصرف و لا شىء غيره. و وافق الشاه السفير على رأيه.

و فى الصباح (٤ إسفند سنه ١٢٩٩ هـ. ش) أقيمت على كل شىء بوابه من بوابات المدينة و على كل مدخل من مداخل السفارات جماعه من الحرس يمنعون الدخول و الخروج لا يسمحون به لأحد سوى موظفى السفارات بالدخول إلى سفاراتهم و الخروج منها.

و أغلقوا أبواب الوزارات و الدوائر الحكوميه و منعوا دخول الموظفين إليها. و قطعوا كل أسلاك تليفونات المدينة. و ختموا بالشمع الأحمر مراكز التليفونات التى فى خارج طهران المستعمله للاتصال بالولايات ليمنعوا وصول الخبر إلى الولايات. و تاخروا فى ختم مركز خط قم لبعده فأمكن إيصال الخبر إليها. و كان ما وصل إلى قم هو أن الثوار الشيوعيين هم الذين احتلوا العاصمه. فدب الذعر فى قم و أخلى التجار دكاكينهم مما فيها و نقلوه إلى بيوتهم. و فى ذلك الصباح استطاع جماعه أن يلجئوا إلى

السفارة الأميركية.

و استطاع "السبهدار" رئيس الوزارة أن يلجا إلى السفارة الإنكليزية. ثم بلغه أن اسمه ليس في قائمه المراد اعتقالهم، فخرج من السفارة في نفس اليوم.

و ظل الناس في بيوتهم لا يجرءون على الخروج بضع ساعات بعد طلوع النهار. ثم أخذوا، شيئاً فشيئاً، يترددون في الشوارع. و لكن الطرقات ظلت خاليه من كل وسائل النقل كالحناطير و غيرها. إذ منع المحتلون سيرها لثلا يستعملها الذين تقرر اعتقالهم للفرار. و كان إغلاق أبواب المدينه و إقامة الحرس عندها و عند مداخل السفارات من أجل هذه الغايه أيضا.

و عند العصر شاهد الناس السيد "ضياء الدين الطباطبائي" يستقل سياره رئاسه الوزاره، و قد أصلح شعر رأسه و بقيه لحيته و اعتمر "الكلاه" يتجول في شوارع طهران.

مطالب الانقلابيين من الشاه

و عند غروب ذلك اليوم (٤ إسفند سنه ١٢٩٩ هـ. ش) كان ضابط قوزاقي يستأذن على الشاه في قصر "فرح آباد" خارج طهران مندوبا عن السيد "ضياء الدين الطباطبائي" و رضا خان" ليقوم بأول اتصال بين الشاه و الانقلابيين و ليعرض على الشاه مطالب الانقلابيين.

و كانت مطالبهم:

- تعيين السيد "ضياء الدين الطباطبائي" صاحب جريده "رعد" رئيسا للوزاره.

- منح الضابط "رضا خان" رتبه قائد الجيش.

- تعيين يوم يستعرض فيه الشاه جنود القوزاق كلهم.

و قد قبل الشاه كل هذه المطالب على مضض، و لا سيما تعيين الطباطبائي لرئاسه الوزاره.

و لما دخل الطباطبائي على الشاه أول مره بعد أن تقرر تعيينه رئيسا للوزاره اقترح على الشاه أن يجعل عنوانه الرسمي في مرسوم التعيين "دكتاتور إيران" بدلا من "رئيس الوزاره". فرفض الشاه طلبه و أفهمه أن إعطاءه هذا العنوان إنما هو حط من شان المقام الملكي.

تدابير الانقلابيين

أعلن الانقلابيون الأحكام العرفيه ساعه تم استلاؤهم على طهران.

و في الصباح (٤ إسفند سنه ١٢٩٩ هـ. ش) بدءوا حمله اعتقالات، فاعتقلوا جماعه و ألقوا بهم في السجون. و في عصر ذلك اليوم

عمموا على كل الولايات إعلاما بقيام الحكم العسكري فيها، فأرسلوا إلى كل ولاية حاكما عسكريا من طهران.

و عند غروب اليوم التالي (٥ إسفند سنه ١٢٩٩ هـ.ش) نشر "رضا خان" بيانا مطبوعا على الجدران في كل نواحي طهران و فيه تعليمات يأمر الناس بالتقيد بها، و بدأ هذا البيان بكلمه "آمر بكذا" و ختم بالتوقيع عليها هكذا "رئيس كتيبه قوزاق صاحب الجلاله و القائد العام للقوات - رضا".

و في هذه التعليمات أمر بوجود التزام الطاعه لأحكام الحكم العسكري

ص: ١٧٩

وعدم الاعتراض. و أمر بمنع التجول بعد الثامنة مساء، و وقف إصدار الصحف و المطبوعات إلى ما بعد تشكيل الوزارة و وضع قانون خاص بالمطبوعات، و أمر بمنع التجمع فى المنازل و الطرقات لأكثر من ثلاثة أشخاص، و أمر باغلاق متاجر المشروبات الكحوليه و المسارح و دور السينما و محلات التصوير الفوتوغرافى و أندية القمار، و تعطيل جميع الدوائر الحكوميه من العمل، و منها دائرة البرق و البريد و التلفون، إلى أن تتشكل الوزارة الجديده. و فيها إنذار بمحاكمه المخالفين فى المحكمه العسكريه و إنزال أشد العقوبات بهم. و فيها إعلام بتعيين أحد الضباط حاكما عسكريا على المدينه.

و كان السيد " ضياء الدين الطباطبائى " قد هيا قبل الانقلاب لائحته باسمى من يريد اعتقالهم من الأعيان و الوجهاء و الأثرياء و سلمها إلى " رضا خان " لانفاذها. فلما استتب الأمر للانقلابيين أمر " رضا خان " ضباط القوزاق باعتقالهم. فبدءوا حملته الاعتقال فى صباح الرابع من إسفند سنه ١٢٩٩ هـ. ش. بعد احتلال طهران بوضع ساعات. و فى اليوم السادس من إسفند بلغ عدد المعتقلين مائتين من كبار السياسيين و العسكريين و رجال الدين و النواب. منهم الأمير القاجارى " عبد الحسين ميرزا " المعروف بلقب " فرمان فرما " و ابنه " نصرت الدوله ". و كان هذا وزيرا للخارجيه فى وزاره " وثوق الدوله " التى عقدت معاهده سنه ١٩١٩ م، المعاهده التى كان السيد " ضياء الدين الطباطبائى " لا ينفك يؤيدها و يجندها فى جريدته " رعد ". و منهم " تيمور طاش " (١) المعروف باسم " السردار المعظم الخراسانى " و كان بين كبار العلماء رجال الدين الذين اعتقلوا السيد " حسن المدرس ". و أرادوا اعتقال الحاج الخوئى إمام الجمعه ففر و تحصن فى مقام " عبد العظيم الحسنى " (رض). و طولب الأقرباء من المعتقلين بأموال. فمن أدى إليهم ما طلب منه أطلقوا سراحه، و من امتنع أبقوه فى السجن، و أغاروا على بيته فصادروا منها ما وقع فى أيديهم من مال. و كان من الممتنعين الأمير " فرمان فرما " و ابنه " نصرت الدوله "، فضلا فى السجن و أغير على منزلتهما.

و تجاوزت حملته الاعتقال لائحته السيد " ضياء الدين الطباطبائى " إلى كل من ظنوا به مخالفتهم و توقعوا أن يعارضهم فى المستقبل، فاعتقلوا عشرات، من مثقفين و أدباء و صحفيين و أصحاب نزعات ديمقراطيه و مهتمين بالشئون السياسيه. فما انقضى شهر على وزاره الطباطبائى. حتى ضاقت سجون العاصمه عن استيعاب المساجين فجعلوا يرسلون الفائض منهم إلى سجون بلدان أخرى. و ترك كثير من الأعيان من ذوى السمع الطيبه بيوتهم فاختبئوا فى أماكن خفيه خوفا من أن يعتقلوا. و ظلوا متوارين عن الأنظار فى مده تولى الطباطبائى رئاسه وزاره كلها.

وزاره الطباطبائى

صدر المرسوم الشاهانى بتعيين السيد " ضياء الدين الطباطبائى " لرئاسه وزاره يوم ٤ إسفند سنه ١٢٣٩ [١٢٩٩] هـ. ش. الموافق ١٣ جمادى الثانيه سنه ١٣٣٩ هـ. ق. (سمى بعضهم وزارته بالوزاره السوداء).

و فى الثامن من شهر إسفند من تلك السنه، نشر، قبل أن ينتهى من اختيار أعضاء وزارته، بيانا مطولا ألصقه على الجدران فى كل ناحيه من المدينه. و أمر بإبلاغه إلى المحافظات ليبلغه حكامها العسكريون إلى الأهالى. و كانت وسيله الحكام إلى ذلك دعوه الأهالى إلى المساجد و قراءه البيان على المنبر.

و كان بيانا ككل البيانات التى يصوغها حكام الشرق و حكام الأنظمه الدكتاتوريه، وعدا بكل خير و عهدا على سلوك أحسن الطرق و عزمًا على خلق إيران خلقا سويا جديدا لا عوج فيه. و فى البيان يعد بتوزيع أراضي الدوله على الفلاحين و إنصاف

الفلاحين من أصحاب الأرض.

و أراد الطباطبائي أن يظهر بمظهر البطل الوطني فاعلم الرأى العام فى بيانه هذا بالغائه المعاهده الإيرانيه الإنكليزيه التى عقدت فى آب سنه ١٩١٩ م فى عهد وزاره " وثوق الدوله ". و قال إن الظروف التى اقتضت عقدها قد تغيرت.

و لكن أهل الاطلاع كانوا يعلمون أن هذه المعاهده قد سقطت و ألغيت فى عهد وزاره " مشير الدوله ". بل كان الإنكليز أنفسهم قد صرفوا النظر عنها. فالغاء الطباطبائي لها اليوم تحصيل الحاصل. أما يوم كان فى نفوس الإنكليز و الموالين لهم من الإيرانيين أمل فى إمكان الموافقه عليها و إنفاذها فقد كان الطباطبائي أول المدافعين عنها المؤيدين لها.

ثم إن الطباطبائي و رفاقه الانقلابيين عوضوا الإنكليز عنها بما أجروه من تعديلات فى أجهزة الوزارات، و لا سيما وزاره الماليه و الحريه. تعديلات كانت تطبيقا عمليا لمقتضيات معاهده سنه ١٩١٩ م، إذ أنها وضعت هاتين الوزارتين فى تصرف الخبراء و المستشارين الإنكليز يوجهونهما كيفما شاءوا.

و هذا ما كانت تبتغيه إنكلترا من تلك المعاهده.

وكم الطباطبائي أفواه المعارضين لهذه السياسه بإلقائهم فى السجون و تعطيل الصحف. حقا انه اعتقل أيضا بعض أتباع الإنكليز ممن كانوا يؤيدون المعاهده مثل " فرمان فرما " و ابنه الأمير " نصرت الدوله ". و لكن اعتقالهم لم يكن فيه ضير على السياسه الإنكليزيه، إذ كانت قد استغنت عنهم. هذا من جهه. و من جهه أخرى كان يطمع فى ابتزازهم بان يفتدوا أنفسهم بدفع أموالهم اليه.

و أراد الطباطبائي أن يتملق " رضا خان " فالتمس من الشاه، حين ذهب إلى قصر " فرح آباد " ليتسلم مرسوم تعيينه رئيسا للوزاره، أن يسلمه أيضا مرسوم تعيين " رضا خان " قائدا للجيش و رئيسا لكتيبه القوزاق، ليحمل المرسوم بنفسه إلى " رضا خان ". فأجابه الشاه إلى طلبه. و حمل المرسوم فى نفس اليوم (٤ إسفند سنه ١٢٩٩ هـ. ش) إلى ثكنه القوزاق. و صعد إلى منبر هناك و قرأ المرسوم، ثم أمر بعزف النشيد الوطنى حين تعليق حمائل رئاسه القوزاق على كتف " رضا خان ".

و نشر " رضا خان " أيضا لهذه المناسبه بيانا ضمنه عبارات حماسيه و وعودا جذابه. و اشتهر أن السيد " ضياء الدين الطباطبائي " كتب له هذا البيان، لأن مستوى " رضا خان " الثقافى لا يمكنه من صياغه ما تضمنه من عبارات أديبه مصقوله.

و شكل السيد " ضياء الدين الطباطبائي " وزارته من تسعه وزراء.

و فى صباح ١١ إسفند سنه ١٢٩٩ هـ. ش. ذهب بهم إلى قصر " فرح آباد " ليعرف الشاه بهم. و كانوا فى غالبيتهم من الضعفاء المغمورين.

و بعد ذلك ببضعه أيام اعترف بعض الدول الأجنبيه رسميا بالحكومته

١- اسمه "عبد الحسين". من العسكريين. نائب سابق.

الجديده. و اعترفت بريطانيا بها بعد خمسه عشر يوما من تشكيل الوزاره.

و لكن السفير الانكليزي كان لا- ينفك يزور مقر رئاسه الوزاره و يجتمع بالطباطبائي من اليوم الثالث من إسفند [١٢٩٩]، يوم الانقلاب.

و كان الانقلابيون قد عطلوا عمل الوزارات و أغلقوا أبوابها من صباح الرابع من إسفند [١٢٩٩]. و بعد تشكيل الوزاره أمر رئيس الوزراء بحل أجهزه وزاره العدليه و وزاره الماليه و وزاره الحربيه. و أمر بتشكيل لجنه لكل وزاره من هذه الوزارات تتولى التخطيط لإنشاء جهاز جديد و القيام بالاصلاحات اللازمه.

و كان من جملة ذلك قرار اتخذه لجنه وزاره الحربيه بدمج حامييه طهران بكتيبه القوزاق.

و أمر بحل أجهزه حاكميه طهران و قزوين و سمنان و دامغان و قم و كاشان، و فوضت أمورها إلى حكام عسكريين. و أسند قياده الدرك إلى ضباط جدد. و شكل لجنه لتعديل أوضاع بلديه طهران.

و فصلت تلك اللجان جميع الموظفين الذين لا تطمئن إلى إخلاصهم للعهد الجديد و استبدلت بهم موظفين من أنصارها. و احتل الإنكليز، من بين الخبراء و المستشارين الفنيين الأجانب الذين تحتاج إليهم الوزارات، عمده المناصب.

و كان الطباطبائي، من يوم الانقلاب، يزور السفاره البريطانيه في كل يوم. و في ذهابه إليها و إيايه منها يرافق سيارته حرس من الفرسان المسلحين من الأرامنه الطاشناق. و تعود صلته بالطاشناق إلى سنه ١٣٢٧ هـ. ق.

سنه اقتحام أنصار البرلمان طهران و خلع "محمد علي شاه".

و في ١٢ إسفند سنه ١٢٩٩ هـ. ش. فتحت أبواب إدارات البرق و البريد و عادت إلى العمل. و آخر موعد منع التجول إلى الساعه التاسعه مساء. و كان مواعده الساعه الثامنه قبلا.

و أمر الطباطبائي بمداهمه البيوت التي يشتبه بان فيها أسلحه و تفتيشها و مصادرته ما فيها من سلاح. و عمم بيانا يدعو فيه كل من كان في حوزته أسلحه أن يسلمها إلى مخافر الشرطه. فمن خالف جوزى بعقاب شديد قد يصل إلى الاعدام، و دوهمت بيوت و صودرت أسلحه كثيره.

و استمر تعطيل الصحف سوى بضع صحف عادت إلى الصدور و لكنها أجبرت على مداومه الثناء و التحييد لأعمال الحكومه و بيانات السيد "ضياء الدين الطباطبائي". و نشرت جريده "رعد"، الداعيه الإنكليزيه، جريده الطباطبائي، بيانا بأنها توقفت عن الصدور.

و في ٢٨ جمادى الثانيه سنه ١٣٣٩ هـ. ق. الموافق ١٩ إسفند سنه ١٢٩٩ هـ. ش. وصل خبر إلى هذه الحكومه من سفير إيران في موسكو أن المسئولين السوفيات وقعوا في ١٧ جمادى الآخره سنه ١٣٣٩ هـ. ق. الموافق ٨ إسفند سنه ١٢٩٩ هـ. ش. على المعاهده الإيرانيه. الروسيه التي سبق أن وافق عليها مجلس الشورى الايراني في عهد حكومه "السبهدار" كما تقدم.

ثم عين الاتحاد السوفياتى سفيرا له فى إيران اسمه "رتشتين" وأصبح وصوله إلى إيران من طريق تركستان و مشهد وشيكا. فبادرت حكومه الطبائى إلى طرد جماعه كبيره من الروس من إيران قبل وصوله، تزلفا منها للانكليز و إظهارا للجفاء منها للسوفيات. و لكن الطهرانيين استقبلوا السفير السوفياتى حين وصوله استقبالا حسنا، لا حبا بالبلاشفه بل كرها بالانكليز.⁽¹⁾

و أحسن السوفيات اغتنام الفرصه. و أرادت بعثتهم الدبلوماسيه أن تثبت للطهرانيين أنهم أهل لما استقبلتهم به عاصمه القاجارين من بشاشه و ترحيب، فالتزموا فى حياتهم طريق الجلال و الوقار و بسطوا للناس يد التودد و الترفق و تجنبوا إحراج الحكومه بشىء من المطالب و التصرفات التى كان يمارسها أسلافهم فى العهد القيصرى. و نجحوا فى رفع ما قر فى أذهان الناس من خوف و رعب من البلاشفه. و بذلك تيسرت لهم مضايقه الإنكليز، و تيسر لهم نشر الدعايه الاشتراكيه.

و وقع سفير إيران فى موسكو فى أواخر شهر إسفند سنه ١٢٩٩ هـ. ش على معاهده سنه ١٩٢١ م، أى المعاهده الإيرانيه السوفياتيه التى تقدم ذكرها. فبادر الاتحاد السوفياتى إلى إنفاذها فوراً فجلت جنوده عما تحتله من بلاد جيلان.

و فى أواخر شهر فروردين سنه ١٣٠٠ هـ. ش. أخذ العسكر الانكليزى أيضا بجلو عما يحتله من أرض فى شمال إيران، إذ كانت إنكلترا قد اطمأنت إلى حد لا بأس به إلى أن التجهيزات العسكريه الإيرانيه الجديده يمكن الاعتماد عليها فى المحافظه على طريق الهند، و أن الاتحاد السوفياتى و قد سالم إيران لا يمكن أن يخترق حدودها بعد عقد تلك المعاهده، فأصبحت إنكلترا فى غير حاجه إلى حراستها بجيشها. هذا من جهه و من جهه أخرى كانت المعاهده الإيرانيه السوفياتيه تحوى ماده تنص على أن الاتحاد السوفياتى يحق له أن يدخل جيشه إيران إذا احتل أرضها عدو له لإخراجه منها. فأرادت إنكلترا أن لا تجعل من بقاء جيشها فى إيران ذريعه فى يد السوفيات إلى احتلال أرض إيران. و يجدر بالذكر أن هذه النتيجة الطيبه كان سببها سياسه "مشير الدوله" الرشيديه يوم أقدم على إنشاء علاقات دبلوماسيه بين إيران و الاتحاد السوفياتى لإيجاد توازن بين تطلعات الدول الأجنبيه فى إيران.

و فى ٢٧ إسفند سنه ١٢٩٩ هـ. ش. أقدمت حكومه الطبائى على عمل أخلاقى حسن. فقد أصدرت قرارا بمنع استيراد المشروبات الكحوليه من الخارج إلى إيران. و عهد إلى وزاره الماليه بإبلاغ هذا القرار إلى دوائر الجمارك مع أمر بوجوب التشدد إلى أقصى حد فى منع دخول هذه المشروبات إلى البلاد.

و بعد بضعه أيام أصدرت أمرا بتحريم شرب الخمر كلها، سواء أ كانت من صنع إيران أم أجنبيه. و أمرت باغلاق الخمارات و متاجر الخمر.

و الاقتصار على شرب المرطبات فقط فى المآدب الرسميه. و قد تلقى الناس هذا القرار باستحسان. و لكن تقريرا أرسله السفير الانكليزى إلى وزير خارجيه بلاده يذكر أن السيد "ضياء الدين الطبائى" باحثه فى هذا الأمر قبل إصدار قرار التحريم هذا. و ذكر له أن يرى لزوم إحياء شعائر الدين و تقويتها فى نفوس الناس لابعادهم عن النفوذ البلشفى. و أنه رأى أيضا أن جند القوزاق يمكن أن يفرطوا فى تعاطى المسكرات فيشغبوا على الناس و يضايقوهم. و أن السفير الانكليزى استحسّن رأيه و وافقه عليه.

و أصدرت حكومه الطبائى أيضا أمرا بوجوب تعطيل المتاجر يوم الجمعة، حتى متاجر غير المسلمين، ما عدا محلات بيع

١- وصل السفير السوفياتى إلى طهران يوم ٦ أربيهشت سنه ١٣٠٠ هـ. ش.

يرفع كل تاجر الرايه الايرانيه على متجره يوم التعطيل هذا. و أصدرت أمرا بمنع استعمال الحروف اللاتينيه فى ما يكتب على اللوحات التى ترفع فى أعلى مداخل المتاجر و الدكاكين و واجهاتها و الاقتصار على اللغه الفارسيه و حروفها.

و أصدرت أيضا أمرا بمنع الخادماى المسلمات من الخدمه فى بيوت الأورويين و غيرهم غير المسلمين.

و أصدرت أمرا حرمت فيه على الموظفین العسكريين تدخين الترياق (الأفيون) و كان استعماله شائعا مباحا فى إيران يومئذ.

و أصدرت أمرا إلى مخافر الشرطه بتوقيف كل امراه مسلمه تبدو فى خارج بيتها غير كامله الحجاب، حتى الوجه لا يجوز كشفه. بل أوجبت على المسلمات الاستمرار فى لبس "الشاقشور". و هو سروال طويل أسود يتصل طرفاه عند الكعيبين بجوربين فيكون قطعه واحده من باطن القدمين إلى الخصر. و كان بعض النسوه قد تخلين عن لبسه فى تلك الحقبه و استبدلن به الجوارب المعروفه، و القين البراقع عن وجوههن. فأمرت وزاره الطباطبائى بمنعهن عن ذلك و توقيف كل مسلمه تبدو سافره الوجه مرتديه الجورب.

و حدد الحكام العسكريون أسعار السلع فمن خالف التعرفه و باع بأكثر من السعر المحدد عوقب بخمسين جلدته فى إحدى الساحات العامه.

و ظهر وباء التيفوس فى إحدى نواحي خراسان فبادرت الحكومه إلى مكافحته بتدابير واسعه فعاله حتى طهرت النواحي المصابه منه فى بضعه أيام.

و نفعت التشكيلات الجديده فى البلديه، فانيرت شوارع طهران بالمصابيح الكهربائيه، و طهرت مجارى مياه الشرب حسب الأصول الصحيه الحديثه بكل دقه. و أنشأت البلديه دارا للأيتام تتولى تربيتهم و تعليمهم.

إلغاء معاهده ١٩١٩ م رسميا

فى الثالث من شهر فروردين سنه ١٣٠٠ هـ. ش. أرسل وزير الخارجيه فى حكومه السيد ضياء الدين الطباطبائى " رساله إلى السفاره الإنكليزيه يؤذنها بقرار الحكومه الايرانيه إلغاء المعاهده الايرانيه الإنكليزيه، معاهده سنه ١٩١٩ م، و يطلب موافقه الحكومه الإنكليزيه على هذا القرار. فجاء جواب السفاره بعد بضعه أيام بالموافق على قرار الإلغاء، مع إظهار رضا الحكومه الإنكليزيه عن تشكيلات وزاره الطباطبائى و إصلاحاتها الجديده و تصرفاتها القائمه.

فبادر الطباطبائى إلى نشر بيان فى العاصمه أرسلت منه نسخ إلى جميع الولايات يبشر فيه الايرانيين بالغاء المعاهده إلغاء رسميا من قبل الدولتين المتعاقدين. و إذا اتفق حصول هذا الإلغاء أيام عبد النيروز فقد قال الطباطبائى فى بيانه إنه يضاعف، بنشر هذا البيان، أفرح العيد.

و لكن السفير البريطانى أرسل إلى وزير خارجيه بلاده "اللورد كرزن" برقيه بشأن فرار [قرار] الإلغاء قال فيها:

"أرى أن إلغاء المعاهده لن يغير شيئا فى الوضع. فمستشارونا قائمون على العمل فى وزاره المالىه. و الضباط الإنكليز يتدخلون

فالمعاهده قد أنفذت عمليا. فلا تتأخروا فى الموافقه". و كان السفير البريطانى قبل ذلك قد أرسل أيضا إلى وزير خارجيه بلاده، يوم عهد الشاه إلى السيد "ضياء الدين الطباطبائى" بتشكيل الوزاره برقيه جاء فيها:

"قال لى السيد ضياء الدين الطباطبائى إن المعاهده قد ابتدئت. و لن تستطيع الحكومه الجديده عملا إلا بالغائها. و قال: سأبادر فورا إلى تشكيل قوه عسكريه من خمسه آلاف جندى بقياده ضباط إنكليز. و أضيف إلى رجال الشرطه خمسمائه آخرين بعنوان محافظين على السفارات فى الظاهر و تكون مهمتهم مراقبه ممثلى البلاشفه فى الواقع. و أعهد بالنظر فى الشئون الماليه إلى المستشارين الإنكليز. و يكون استخدام هؤلاء المستشارين الماليين و الضباط العسكريين بعقد اتفقيه خاصه، من غير ذكر للمعاهده الإيرانيه الإنكليزيه السابقه. و نستخدم فى الوزارات الأخرى غير المهمه مستشارين من دول أخرى مثل فرنسا و أمريكا. بل يمكن أن نستخدم فيها مستشارين من الروس أيضا. و نبقى الوزارتان المهمتان، الماليه و الحربيه، تحت نظر المستشارين و الضباط الإنكليز. و قال: إن الحكومه الجديده تنوى سد العجز المالى الحاصل بتغريم المعتقلين الأموال اللازمه".

و احتفل السيد "ضياء الدين الطباطبائى" بحدث إلغاء معاهده ١٩١٩ م باقامه مادبه عشاء فخمه فى البلاط الملكى ليله العشرين من شهر فروردين سنه ١٣٠٠ هـ. ش.

دعى إليها ممثلو الدول الأجنبيه و من بقى خارج السجن من رجال السياسه و الأعيان. و لم يجب الدعوه إليها بعض الوزراء و رؤساء الوزاره السابقين. و لم يقدم فيها من الشراب غير المخيض و المرطبات.

و كانت وزاره "مشير الدوله" قد عينت مندوبا لایران فى عصبه الأمم و أرسلته إلى جنيف. و ألقى خطابا باسم إيران فى مقر العصبه فى الخامس من ربيع الأول سنه ١٣٣٩ هـ. ق. الموافق ٢٦ آبان سنه ١٢٩٩ هـ. ش.

و ١٨ تشرين الثانى سنه ١٩٢٠ م. و أرسل تقريرا بذلك إلى طهران. و وصل التقرير بعد استقاله وزاره "مشير الدوله" و وزارتى "السبهدار" فى ٨ إسفند سنه ١٢٩٩ هـ. ش. فى عهد وزاره السيد "ضياء الدين الطباطبائى" الانقلابيه.

و استمر السيد "ضياء الدين الطباطبائى" فى حملته الاعتقالات للتخلص من الخصوم و المنافسين من كبار الساسه و الأعيان. فأضاف إلى المعتقلين السابقين "أحمد قوام" المشهور بلقب "قوام السلطنه" (١) و كان يومئذ واليا على خراسان. و اعتقل أيضا الأمير القاجارى "أكبر ميرزا" المعروف بلقب "صارم الدوله" و هو حفيد "ناصر الدين شاه". و كان وزيرا فى وزاره "وثوق الدوله" التى عقدت معاهده سنه ١٩١٩ م. و كان يوم اعتقاله حاكما على كرمانشاه. و أراد اعتقال "أمير أفشار" المشهور باسم "جهان شاه خان". أحد كبار الرؤساء فى نواحى زنجان. و لكن هذا فر إلى قزوین و أرسل منها برقيه إلى طهران إلى "رضا خان" - و كانت بينهما صداقه - يستأمنه فيها ثم حضر إلى طهران و لجأ إلى منزل "رضا خان".

و اعتقلت حكومه الطباطبائى العسكريه فى ٢٣ فروردين سنه

١- من مشاهير رجال [رجال] الحكم [الحكم] و السياسة الـايرانيين. وزير و رئيس وزاره و نائب سابق. له أثر كبير فى توجيه السياسة الايرانيه فى النصف الأول من هذا القرن الميلادى. و هو أخو " وثوق الدوله " عاقد معاهده سنه ١٩١٩ م.

١٣٠٠ هـ. ش. مدير جريده "نوروز" لنشرها مقالا انتقدت به حكومه الطباطبائى. و بعد أن أوقف فى سجن الشرطه بضعه أيام نقل إلى مستشفى الأمراض العقليه. و قالوا إنه جن.

مخالفه "رضا خان" للطباطبائى

و أراد الطباطبائى قتل بضعه عشر رجلا من المعتقلين، منهم الأمير القاجارى "فرمان فرما" و ابنه "نصرت الدوله". و أمر إداره الدرک بقتلهم فى فجر يوم عينه لهم، بلا-محاكمه. و لكن أحد الوزراء أبلغ هذا الخبر فى السر إلى رجال من ذوى المعتقلين، فبادروا فوراً إلى القصر الملكى و أبلغوه إلى الملك "أحمد شاه". فتأثر الملك و استنكر هذا العمل. و قال: باى حق يقتل الأبرياء بلا محاكمه فى دوله برلمانیه ديمقراطیه؟! ثم أمر بطلب قائد الجيش "رضا خان" بالتلفون [بالتلفون]. فلما حضر أطلعه على القضيه، و أمره بان يبادر فوراً إلى منع الدرک من إنفاذ أمر الطباطبائى بقتل أولئك المعتقلين فبادر "رضا خان" إلى إنفاذ أمر الشاه، و أمر بوقف أمر الطباطبائى و المحافظه على سلامه المعتقلين، و كانوا على وشك أن يساقوا إلى الموت.

و كان عمل "رضا خان" هذا مبدأ خلاف بينه و بين الطباطبائى. إذ ظهر منه أن "رضا خان" ينحاز إلى الشاه و الأمراء و لا يبالى بأوامر الطباطبائى. و بهذا اكتسب "رضا خان" إلى جانبه جماعه كبيره من أهل الوجاهه و النفوذ. و اكتسب أيضا رضا الشاه عنه.

كان قائد الجيش رئيس كتيبه القوزاق "رضا خان" فى أول الأمر يتبع السيد "ضياء الدين الطباطبائى" تبعه كامله. و لكنه، حين أخذ يطلع شيئا فشيئا على الأوضاع و يزداد خبره، و يتقوى مكانه شيئا ما، و يتصل شيئا فشيئا برجال البلاط و ذوى المعتقلين و الملك "أحمد شاه" اتسع مجال تفكيره و أراد ترقيه مقامه. و من ثم عزم على مخالفه رئيس الوزراء و تحدى وزير الحربيه رئيسه، و الاستقلال عنهما.

و كان "أحمد شاه"، من بادئ أمره يسىء الظن بالطباطبائى. و قد أقامه رئيسا للوزاره بالإكراه. و زاد فى نقمته عليه تجرؤه على البيت المالک باعتقاله بعض الأمراء القاجاريين و حبسهم بلا ذنب. و كان يعتمد الاستهانه بالشاه فيحضر إلى قصره بلا موعد سابق، بل دأب على الحضور فى أوقات استراحه الشاه. فلما نبهه إلى ذلك قال: لا حيله لى فى الأمر. فان انشغالى باداره أعمال الدوله لا يترك لى وقتا للحضور فى البلاط غير هذا الوقت.

و أخذ الطباطبائى يسعى إلى الإيقاع بين الشاه و أخيه "محمد حسن ميرزا" ولى العهد، لحمله على مواطاته على أخيه و خلعه عن العرش.

من ذلك إنقاصه مبلغا من راتب "أحمد شاه" و رواتب رجال البلاط بزعم الاقتصاد فى نفقات الميزانيه، و زيادته مبلغا فى راتب ولى العهد ليتقرب بهذا إلى ولى العهد. و كان إذا حضر عند الشاه لا يلتزم بالقواعد المرعيه فى احترام المقام الملكى، فإذا لقى ولى العهد عامله بكل إجلال و تعظيم. و نبه رجال البلاط الشاه إلى مقاصد الطباطبائى فازداد كرها له و حذرا منه.

و كان المتتبعون لسير الحوادث من رجال البلاط و غيرهم يرون أن الطباطبائى يسعى بإيقاع الخلاف بين الأخوين، الملك و

ولى عهده إلى غاية أبعده من خلع الشاه عن العرش، و هي إضعاف الأخوين كليهما ثم القيام بانقلاب جمهورى يكون هو رئيس الجمهوريه فيه. و كانوا لا يستبعدون أن تكون هذه الغايه متوخاه من الطباطبائى من حين التخطيط لانقلاب الثالث من إسفند سنه ١٢٩٩ هـ. ش. و لا- يستبعدون أن قائد الجيش "رضا خان" نفسه كان على علم بها، إما لأنه كان شريك الطباطبائى فى القصد إليها و التخطيط لها و إما لأن أحدا أعلمه بعد ذلك بنوايا الطباطبائى.

و من ثم أخذ "رضا خان" يسعى إلى أبعاد السيد "ضياء الدين الطباطبائى" بالاستعانه عليه بالشاه و رجال البلاط، ليقوم هو نفسه بهذا الانقلاب. و قد حاول بالفعل بعد ذلك فى سنه ١٣٠٢ هـ. ش. القيام بانقلاب جمهورى، و لكن الظروف قصرت يده و اتخذت الحوادث مجرى آخر.

و مهد الطباطبائى لانفاذ خطته بسجن جميع من يخشاهم من الأعيان و الوجهاء و طلاب الحريه فلم يبق فى الميدان أحد يستطيع مقاومته. أما "رضا خان" فكان أكثر تعقلا و أكثر تأنبا منه. فظل على تظاهره بالولاء للشاه و إطاعه أوامره.

و مع أن الشاه كان يسيء الظن بقائد الجيش و بجميع رجال الانقلاب فقد رأى أن لا وسيله لديه للوقايه من خطر الطباطبائى غير إبعاد "رضا خان" عنه. فقد كانت فى يد هذا قوه القوزاق، و لو اتحد هو و الطباطبائى و ظلا على ما كانا عليه فى أول الأمر من اتفاق لنجح الطباطبائى فى إنفاذ خطته قطعاً.

و كان رجال البلاط أيضا على هذا رأى. و من ثم أخذ الشاه يعامل "رضا خان" بعطف و عنايه. من ذلك ما فعله فى اليوم الأول من شهر فروردين سنه ١٣٠٠ هـ. ش. فى احتفال رسمى أقيم فى القصر الملكى لمناسبه عيد النيروز. فقد أثنى على "رضا خان" بمسمع و مشهد من الحضور و حمد له خدماته و اجتهاده و كفاءته و أنعم عليه بسيف مرصع القبضه. و كان هذا السيف يعد من أعظم الإنعامات الملكيه على العسكريين. و قال له، و هو يدفع إليه السيف "لقد أثبت و أوضحت أن الايرانى أهل لاداره الجيش".

و قد نجحت حاشيه الشاه فى إيقاع الخلاف بين الطباطبائى و "رضا خان". فكان تسرع الطباطبائى و شدته فى اتخاذ تدابير من جهه، و مخالفه "رضا خان" له من جهه أخرى السبب فى إحباط مسعى الطباطبائى.

و لكن الشاه، و قد نجا من مؤامره الطباطبائى، عاد بعد ذلك فوق فى حبال "رضا خان" الذى نجاه منها. فقد كان قصد هذا تنحيه الطباطبائى من طريقه ليكون هو صاحب الانقلاب على الشاه.

و بعد عشرين يوما من الإنعام على "رضا خان" بالسيف أقام فى ٢١ فروردين سنه ١٣٠٠ هـ. ش. مناوره عسكريه واسعاه فى ظاهر طهران بحضور "أحمد شاه" و رئيس الوزراء و الوزراء و ممثلى الدول الأجنبيه.

و بذلك أفهم خصمه أن زمام القوه العسكريه فى يده.

و اتسعت شقه الخلاف بين الرجلين حين علم الطباطبائى أن "رضا خان" قد أمن طلبته "جهان شاه خان" (أمير أفشار) الزنجانى و أجاره فى بيته. و سكت الطباطبائى عن هذا الأمر بضعه أيام إلى أن اجتمع بقائد الجيش "رضا خان" و بعض الوزراء فى جلسه

لبحث شئون الجيش.

و بعد انتهاء البحث سال الطباطبائي "رضا خان": هل من جديد لديك؟ فقال: نعم. تلقيت برقيه من قزوين من "جهان شاه خان" يستأمنني فيها فامنته، ثم حضر إلى طهران و هو الآن في بيتي.

ص: ١٨٣

فقال له الطباطبائي: الخير في أن تتصرف إلى ما هو من اختصاصك من الأعمال و تتجنب التدخل في الأمور السياسيّه. فأغلظ له "رضا خان" الجواب حتى أنه شتمه ثم غادر غرفه الاجتماع غاضبا.

و أخاف هذا الحادث الوزراء الحاضرين. و قال السيد "ضياء الدين الطباطبائي": من الممكن أن يقدم قائد الجيش على مقاومتنا و الانتهاء بالوزاره إلى السقوط، إذ أن كل قوى الجيش بيده. و قر رأى الوزراء. بعد المذاكره، على وجوب السعى إلى مصالحته و رفع الخلاف من بين الطرفين.

و من ثم ذهب فريق منهم إلى منزل "رضا خان" يسترضونه، و يلتمسون منه الحضور معهم إلى حيث يجتمع الوزراء لاحتلال الصفاء و الصلح فيما بينهم و إزاله أسباب الجفاء و التنافر.

و لكن "رضا خان" رفض الذهاب إلى محضر الطباطبائي. و لم يكتف بهذا بل شتمهم أيضا و هدد الطباطبائي بان يفعل و يفعل...

و لما أبلغ الوزراء إلى رئيسهم هذه النتيجة تقرر، بعد المذاكره، أن يذهب السيد "ضياء الدين الطباطبائي" إلى منزل "رضا خان" يسترضيه و يصالحه. و لكنها كانت مصالحه ظاهريه. فقد دأب الطباطبائي من ذلك اليوم على التفكير في وسيله يبعد بها "رضا خان" عن القوه التي تسنده، أى رئاسه كتيبه القوزاق.

و دأب "رضا خان" على التفكير فى وسائل تمكن مكانه و تقويه فى هذه الكتيبه ليصبح أقدر على مقاومه السيد "ضياء الدين الطباطبائي". من ذلك أن أخذ يعيد إليها ضباطا كانوا قد خرجوا منها أيام رئاسه الضباط الروس لها. و قد تركوها لاستيائهم من أوضاعها التي كانت عليها يومئذ. و من ثم تكون إعادتهم إليها يدا ل "رضا خان" عندهم فيكسبهم إلى جانبه.

و فى ١٢ فروردين سنه ١٣٠٠ هـ. ش. أمر وزير الحربيه "رضا خان" بإرسال مائه جندى لمرافقه أحد الضباط فى مهمه كلف القيام بها فى بعض الولايات. فلما وصل الأمر إليه رفض أن يرسل أكثر من ثلاثين جنديا. و بعد جدل طويل قبل أن يرفع العدد إلى خمسين جنديا.

و فى ٢٦ فروردين سنه ١٣٠٠ هـ. ش. أرسل إليه وزير الحربيه أمرا خطيا مستعجلا فخرقه، و أمر أحد الضباط باصطحاب أربعين قوزاقيا إلى وزاره الحربيه و اعتقال الوزير و جلبه إلى الثكنه مقيد اليدين و لكن جماعه من الضباط توسطوا و ما زالوا به حتى صرفوه عن إنفاذ هذا الأمر. و بعد بضعه أيام اجتمع قائد الجيش "رضا خان" و وزير الحربيه، و كان رئيس الوزاره حاضرا أيضا. فشغب "رضا خان" على الوزير و أغلظ له الكلام و أهانه.

و أخرج هذا الوضع السيد "ضياء الدين الطباطبائي" و أخذ يفكر فى وسيله يقلل بها قوه هذا الخصم. فاستشار وزير الحربيه و أحد ضباط الدرّك.

و بعد مذاكرات طويله جرت بينهم ارتأوا أن خير وسيله إلى ذلك هى تعيين "رضا خان" وزيرا للحربيه. فيتخلى عن رئاسه كتيبه القوزاق و تنقطع صلته بهذه القوه التي يعتمد عليها، و تسند رئاستها إلى رجل آخر. فإذا استحكّم مكان الرئيس الجديد أمكن

تنحيه "رضا خان" و الخلاص منه.

و فى اليوم الثانى استقال وزير الحريه من منصبه. و فى الرابع من شهر أردبهبشت سنه ١٣٠٠ هـ. ش. الموافق ١٥ شعبان سنه ١٣٣٩ هـ. ق أصبح "رضا خان" وزيرا للحريه. و لكن سعى هؤلاء الثلاثة خاب، إذ أن وزير الحريه الجديد ظل محتفظا برئاسه كتيبه القوزاق مع وزاره الحريه.

فازداد قوه على قوه، و أخذ نفوذه يزداد يوما بعد يوم.

و استمر الخلاف بين وزير الحريه "رضا خان" و رئيس الوزراء السيد "ضياء الدين الطباطبائى" فى داخل وزاره. و بلغ الخلاف إلى أن يحتاط "رضا خان" لنفسه، خوفا من أن يبيت له الطباطبائى سوءا. فقاطع جلسات وزاره لا يحضرها لثلا يقدم الطباطبائى يوما على اعتقاله و إلقاءه فى السجن. و غير حرس وزاره فاستبدل بهم حرسا آخر ممن يثق بهم من الجنود. و عجل بنقل الكتيبه القوزاقيه إلى ثكنتها الصيفيه المعتاده قبل حلول الصيف، إذ كانت هذه الثكنه أمنع. بل كان من يوم قدومه من قزوین إلى طهران يحتاط لنفسه. من ذلك أنه كان ينام فى الثكنه لا فى منزله، و أمر جماعه من ضباط القوزاق أيضا أن يكون مبيتهم ليلا فيها. و أن يكون مبيت بعضهم قريبا من غرفه نومه.

و فى كل خلاف وقع بين "رضا خان" و الطباطبائى كان هذا يسعى إلى استرضائه و مصالحته. من ذلك أن صالحه، بعد خلاف من تلك الخلافات، بان فصل كتيبه الدرک، و هى ثانى قوه بعد القوزاق، عن وزاره الداخليه و ألحقها بوزاره الحريه. و بذلك أمسك "رضا خان" بزمام القوه العسكريه كلها. و فى هذه المصالحه أقسم كلاهما يمينا، و بينهما القرآن، بان لا يخون أحدهما الآخر.

و لكن الخلاف عاد فتجدد بينهما. فقد وصلت إلى صندوق البلديه أموال بعض الضرائب. فطلبها "رضا خان" لانفاقها فى بعض شئون الجيش. فرفض رئيس البلديه دفعها إليه بغير إذن من رؤسائه فى الحكومه.

فما كان من "رضا خان" إلا أن أرسل جماعه من القوزاق إلى دار البلديه فاجبروا المسئولين فيها على دفعها إليهم بالقوه. فكان هذا العمل تمردا صريحا على الطباطبائى و إهانته له. و قد ظل هذا الخلاف بلا مصالحه إلى أن استقالت وزاره الطباطبائى.

و فى يوم ٢٨ أردبهبشت سنه ١٣٠٠ هـ. ش. قام "رضا خان" بجوله تفتيش فى ثكنه القوزاق. فرأى أن بعض التجهيزات الحريه غير كافيه. فبادر إلى طلب حاجته من هذه التجهيزات من قزوین و إرسالها مع أول وسيله نقل تغادرها إلى طهران. فبادر معسكر قزوین إلى إجابته طلبه فى الحال و أرسل التجهيزات المطلوبه على أربع من عربات الشحن.

و علم السيد "ضياء الدين الطباطبائى" بذلك. فأرسل إلى قائد فرقه قزوین يأمره باستعادة العربات. فلما علم "رضا خان" بما أمر به الطباطبائى أرسل ضابطا كبيرا من ضباطه بالسياره فاحضر العربات إلى طهران غير معتن بامر الطباطبائى.

و عندئذ أيقن الطباطبائى أن خصمه لن يسالمة: فاخذ يعد عدته لمقاومته. و شرع بإفساد ما بينه و بين كبار ضباط القوزاق الذين فى قزوین.

و نجح فى مسعاى و كادت تقع الواقعه بينهما لولا اضطرار الطباطبائى الى الاستقاله فانحسم ما بينهما اضطرارا.

و فى ٨ رمضان سنه ١٣٣٩ هـ. ق. الموافق ٢٧ أربيهشت سنه ١٣٠٠ هـ. ش. نقل "رضا خان" (وزير الحربى) الضابط الدركى "كاظم خان" من منصب حاكم طهران العسكرى الى وزاره الحربى و جعله رئيس القياده العسكرىه العليا (أركان الحرب). و "كاظم خان" هذا كان

ص: ١٨٤

سابقا مرافقا للكولونيل الانكليزى "إسمائس".

تزعزع وزاره الطبائى

عم الاستياء من دكتاتوريه السيد "ضياء الدين الطبائى".

فالعود البراقه التى وعد بها، كتوزيع الأراضى الحكوميه على الفلاحين لم يتحقق شىء منها، و معاهد سنه ١٩١٩ م خرجت من الباب لتدخل من الشباك. و حريه الكلام ممنوعه. و اعتقال الناس و سجنهم لا- يستند إلى قانون. و المجلس النيابى لا يزال معطلا. و القرارات الصالحه الأخرى، كتحریم تدخين الترياق (الأفيون) على الموظفين و تحريم شرب الخمر و المتاجره بها، و إقامه دار الأيتام و إناره الشوارع بالكهرباء و مكافحه التيفوس، فان ما فيها من إحسان لا يغطى ما يقوم إلى جانبها من إساءات ضخمه. و القرارات الديماغوجيه الأخرى، التى أريد منها تملق شعور العامه، كالتعطيل يوم الجمعة و منع استعمال الحروف اللاتينيه و التشدد فى حجاب النساء، سرعان ما خمدت الحماسه لها بالقياس إلى ما قاساه الناس من زياده الضرائب على ضروريات الحياه و جور بعض حكام الولايات و تعديهم على أموال الناس كحاكم قزوین و حاكم زنجان و غيرهما. و ما أشبه ذلك من تصرفات جائره.

و زاد فى متاعب السيد "ضياء الدين الطبائى" انصراف رفيقه القديم "رضا خان" إلى مخاصمته. فقد كان هذا العسكرى ساعده الأيمن فى تحقيق ماره. و كان الطبائى يرجو أن يكون الدماغ المسير لهذا الجندى القوى، فإذا به ينقلب عليه. و حرمة جلاء العسكر الانكليزى عن إيران من دعامه قويه من دعامات حكمه. و تكتل فى معارضته نخبه من كبار السياسيين و الأعيان و أصحاب النفوذ و رجال الدين.

و أصبحت دكتاتوريه الطبائى عبئا يشعر بثقله كل إيرانى. و قام رجال الدين و غيرهم من أهل الوجاهه و المعرفه يتحدثون إلى الناس فى المجالس و المجامع عن استبداده و خيائته. و لم يبق فى يد الطبائى من وسيله للاحتفاظ بمقامه غير القوه و الإكراه. و أما السفاره الإنكليزيه فلم يبد منها ما يدل على أنها غير راضيه عن خطته.

و الصحف التى عادت تصدر أكرهت على التزام التحسين لسياسه الحكومه: فمن أبى منها أوقف. إلا أن بعض صحف الأقاليم البعيده عن المركز تجرأ على انتقاد الوضع لقصور يد السلطه المركزيه عنها بسبب البعد.

و صودرت إحداها مره فى إداره البريد فى طهران لنشرها نقدا شديدا لسياسه الحكومه و دعوتها الناس إلى إسقاط حكومه السيد "ضياء الدين الطبائى".

و أخذ المعارضون يبتون فى السر ليلناشير يحرضون بها الناس على الحكومه و يشرحون أعمالها الاستبداديه. و انفجرت قبله عند إحدى البوابات، و عجزت الحكومه عن اكتشاف الفاعل.

و أخذ رجال الدين و غيرهم يعقدون اجتماعات سرية يتداولون فيها البحث فى طريقه إلى الخلاص. و ارتأوا مره أن يظهروا معارضتهم بالاعتصام فى مقام "عبد العظيم الحسنى" (رض) أو فى مدينه قم أو فى إحدى السفارات الأجنبيه. ثم أحجموا إذ

تبينوا أن الحكومة قادره على منعهم من إنفاذ قرارهم و اعتقالهم.

و قامت مظاهرات فى بعض الولايات. فاضربت مدينه قم و تجمع أهلها فى ساحه مقام " المعصومه " إظهارا لمعارضتهم. و تجددت الثوره فى مازندران. بل بلغ سوء الحال إلى أن اعترض السفير السوفياتى بصوره شخصيه غير رسميه، على تشوش الأوضاع، فسأل: ما هو نوع الحكم فى إيران؟ إن يكن هذا الحكم ملكيا فرديا فعلى أن أرجع فى معاملاتى الرسميه إلى الشاه. و إن يكن برلمانيا فالواجب أن تحصل أعمال الحكومه كلها على موافقه المجلس النيابى لتكون شرعيه، لا أن تنفرد الحكومه برأيها و تصنع ما يحلو لها.

و خشى "أحمد شاه" عواقب الحال، فاستدعى رئيس الوزراء و نبهه إلى سوء أحوال الدوله. فأجابه الطباطبائى بقوله: "إن مثل هذا التدخل من صاحب الجلاله فى شئون الدوله هو الذى يفسدها. و قوانين المملكه لا تسمح للشاه بان يتدخل فى شئونها، و توجب منح رئيس الوزراء الحريه فى تصريف الأمور ليستطيع إقامه مركزيه قويه، و يقصر يد المتمردين".

و أرسل "قوام السلطنه" من سجنه الذى ألقاه فيها الطباطبائى رساله إلى الشاه شرح له فيها وضع البلاد الحقيقى. فكان لهذه الرساله أثر كبير فى نفس الشاه و زادت فى نفرتة من الطباطبائى.

مساى الطباطبائى

فى الثامن و العشرين من شهر أردبهبشت سنه ١٣٠٠ هـ. ش. بعد حوالى ثلاثه أشهر من تولى السيد "ضياء الدين الطباطبائى" رئاسه الوزاره، أيس الطباطبائى من استطاعته الاستمرار فى الحكم، و قد جافاه الشاه و ناصبه "رضا خان" العدا. و استاءت منه أكثرية الناس. ففكر بالقيام بانقلاب مسلح. على الشاه و "رضا خان". و فاتح أرمن طهران الطاشناق بهذه الفكره، و اقترح عليهم أن يسلحهم لهذه الغايه. و لكن أكثريتهم رفضت الاقتراح لأن عدتهم لا تكفى لهذه المهمه.(١)

و لكن الطباطبائى عزم على المضى فى مغامرته، فأرسل برقيات رمزيه إلى رؤساء جنود الدرک المقيمين فى الولايات القريبه من طهران، كقم و قزوین و سمنان و غيرها، أمرهم فيها بان يتحركوا بجنودهم إلى أماكن عينها لهم، فيتوقفوا فيها إلى أن يأتيهم من طهران من يلقى إليهم بكلمه سر. فإذا ألقاها إليهم تبعوه و ائتمروا بامرهم. و لكن بلغهم نبا سقوط وزاره الطباطبائى قبل وصولهم إلى الأماكن المعينه، فعادوا إلى أماكنهم التى خرجوا منها.

و سعى الطباطبائى إلى مواطاه أخى الشاه ولى عهدة "محمد حسن ميرزا" على التخلص من الشاه بالاغتيال أو الخلع و توليته الملك فى مكانه.

و أخذ يفاوض ولى العهد فى السر. و لكن الحرس القوزاق الذين يرافقون ولى العهد أعلموا "رضا خان" ثم أعلموا الشاه باجتماعات السيد "ضياء الدين الطباطبائى" السريه بولى العهد. فعزم الشاه على عزل الطباطبائى و إبعاد ولى العهد.

عزل الطباطبائى

كان "أحمد شاه" يرغب فى عزل الطباطبائى قبل وقوع هذه الحوادث، و لكن السفاره الإنكليزيه كانت تكرهه على إبقائه فى

منصب رئاسه الوزراء. و أرسل إليه مره يأمره بالاستقاله فرفض، و أمتنع عن الحضور إلى البلاط مدعيا المرض. فلما ضاق الشاه ذرعا بهذا الوضع عزم على مغادره

ص: ١٨٥

١- في إيران جاليه أرمنيه كبيره جاءتها في عهد الشاه عباس الأول.

إيران و الإقامة في أوروبا. و أعلن بعزمه هذا في اليوم السابق ليوم الاحتفال بذكرى تتويجه الذي أقيم في ٢٧ شعبان سنة ١٣٣٩ هـ. ق. الموافق ١٦ أربديهشت سنة ١٣٠٠ هـ. ش.

و حاول الطباطبائي ثنى الشاه عن عزمه إذ كان في سفره هذا إحراج له، فلم يوفق، فاستنجد بالسفير الانكليزي ليقنع الشاه بالعدول عن السفر. و كان في جملة ما قاله السفير للشاه أن أوضاعهم لا تمكنهم من توفير أسباب الأمن للشاه في إنكلترا. فقال له الشاه لا أطلب منكم توفير شيء من أسباب الأمن، و لا بد من السفر. فقال له السفير: لعلك تنوى التنازل عن العرش؟ فقال الشاه: نعم! فقال السفير: و لما ذا لا تعلن بتنازلك هنا في إيران؟ فقال الشاه: هنا لا أستطيع أن أذكر أسباب إقدامي على التنازل.

أما في أوروبا فاستطيع أن أعلم الدنيا بأسبابه. و إذ ألح السفير على الشاه في طلب معرفه الأسباب قال له الشاه: السبب إنما هو تدخلاتك في شئون إيران. فاهم هذا الجواب السفير الانكليزي، و اضطر إلى الرضوخ و الموافقه على استقاله السيد "ضياء الدين الطباطبائي". و لكنه طلب من الشاه تكليف قائد الجيش "رضا خان" بتشكيل الوزارة الجديده. فرفض الشاه و قال: الأفضل أن يبقى كما هو وزيراً للحريه. و بهذا تحرر الشاه شيئاً ما من السيطره الإنكليزيه. و عزم عزمًا قاطعًا على عزل السيد "ضياء الدين الطباطبائي".

و في ١٦ رمضان سنة ١٣٣٩ هـ. ق الموافق ٣ خرداد سنة ١٣٠٠ هـ. ش كان جمهور كبير من الأهالي مجتمعين في مسجد الشاه، و هو من أكبر مساجد طهران، كعادتهم إذ يجتمعون في المساجد أيام شهر الصيام.

فاغتمت جماعه فرصه اجتماعهم ليحولوه إلى مظاهره معارضه لحكومته الطباطبائي. و صعد بعض رجال الدين و غيرهم المنبر و انتقدوا الحكومه و سياسه إنكلترا انتقاداً شديداً. و حمسوا الحاضرين، و كانوا حوالى ثلاثه آلاف فأخذوا يصيحون مكررين هذا الهتاف: نرفض السيد ضياء الدين...

كان في طباع الطباطبائي عجله و غرور و استبداد بالرأى. و كان رفاقه من الوزراء و الحاشيه ضعفاء منقادين إليه لا يحسنون نصحه. و كان بحكم ميوله السياسيه يعادى السوفيات و يصانع الإنكليز. و لكن سعيه في هذه السياسه كان بعيداً عن اللباقه و النضج و الروح الدبلوماسيه. و حمل هذا السلوك السوفيات على الحذر منه. من ذلك أن السفير السوفياتى طلب منه أن يبقى المندوب الايرانى الذى استقبله باسم الحكومه الإيرانيه عند الحدود و صحبه إلى طهران في معيته بضعه أيام أخرى. فأجابه الطباطبائي بان في سفارتكم معاونين إيرانيين أكفاء فارجع إليهم و لا حاجه بك إلى غيرهم.

و كان الطباطبائي قد واطا اثنين من هؤلاء معاونين على أن يكونا جاسوسين له على السفير ينقلان إليه أخبار السفاره.

فاستاء السفير السوفياتى من هذا التصرف. و كان قبل ذلك شكاً من التشويش الحاصل في أوضاع الحكومه، التشويش الذى حيره في معاملاته الرسميه. و نقل السفير إلى الشاه ما يلقاه من جفاء في معاملته الطباطبائي له.

و كان الشاه أيضاً يخالف مثل هذا السلوك. و أرسل السفير الايرانى في موسكو إلى الشاه ينبهه إلى خطأ هذه السياسه و يعرفه باستياء المسئولين السوفيات من تصرفات الحكومه الإيرانيه و ينصحه بتغيير وزاره. و من ثم كان لموقف السوفيات أثر في زعزعه حكومه السيد "ضياء الدين الطباطبائي" و تصميم الشاه على تنحيته.

و فى ٣٠ أربديبهشت أو أول خرداد سنة ١٣٠٠ هـ. ش. حضر السيد " ضياء الدين الطباطبائى " إلى القصر الملكى ليجتمع بالشاه. فدخل إلى غرفته و السيكاره بين شفثيه و جلس قبل أن يأذن له الشاه بالجلوس. فغضب الشاه و استدعى أحد رجال القصر و أمره قائلاً: انزع هذه السيكاره من فم هذا السيد و ألق بها بعيداً. ففعل ثم أمر الشاه الطباطبائى بالانصراف فانصرف. و كان هذا اللقاء آخر لقاء بينهما.

ثم استدعى الشاه قائد الجيش " رضا خان ". فلما حضر روى الشاه الواقعة و عقب بقوله: ليس فى الإمكان بعد اليوم مداراه هذا الرجل و مسالمته. لقد مللت. فأجابته " رضا خان " بقوله: كنا نحسب أن تصرفاته لا تخالف رغبه الملك. أما، إذ تبين الآن أنها على غير ما يهوى صاحب الجلاله، فليأمر جلالته يقطع. فما أنا إلا جندى مطيع أضع سيفى فى تصرفه كلما أمرنى. فقال له " أحمد شاه ": اذهب و هبى لوازم سفر السيد ضياء إلى خارج البلاد.

و فى يوم ١٧ رمضان سنة ١٣٣٩ هـ. ق. الموافق ٤ خرداد سنة ١٣٠٠ هـ. ش، أى ثانى يوم مظاهره مسجد الشاه، أصدر " أحمد شاه " مرسوما بعزل السيد " ضياء الدين الطباطبائى " من رئاسه الوزاره.

و فى صباح ذلك اليوم نفسه ذهب " رضا خان " و فى معيته بضعه ضباط و بضعه جنود من القوزاق، إلى بيت السيد " ضياء الدين الطباطبائى " و سيق مع بضعه رجال من رفاقه مخفورين إلى قزوین. و اعتقل فريق آخر منهم فى طهران. و ختم باب مكتب الطباطبائى فى دار الحكومه و مكاتب سائر الوزراء بالشمع الأحمر.

و من قزوین سيق الطباطبائى إلى الحدود. و من هناك تابع سفره إلى بغداد و منها إلى البصره فالمحمره فاوروبا. و تولى الإنكليز تهيئه وسائل سفره إلى أوروبا فأرسلوا من مرفا " بوشهر " الايرانى إلى المحمره سفينه حربه كانت لقنصليتهم فى " بوشهر " نقلته إلى أوروبا. و فى المحمره نزل ضيفا على القنصل الانكليزى و ندم " رضا خان " بعد سفر الطباطبائى على أنه خلى سبيله و لم يعتقله. فأرسل إلى قزوین برقيه يأمر فيها بمنعه من السفر و اعتقاله، و أرسل أحد رجاله من طهران ليعود به إليها و لكن " أحمد شاه " رفض أن يعتقل و أمر بان لا يتعرض له أحد. فأبرق " رضا خان " إلى قزوین بالغاء أمره الأول. و انتهى الأمر بالسيد " ضياء الدين الطباطبائى " إلى النفى من إيران بعد أن ظل فى رئاسه الوزاره ثلاثه أشهر.

وزاره "قوام السلطنه"

و كلف " أحمد شاه " اثنين من رؤساء الوزاره السابقين بتشكيل الوزاره فرفضوا. و رشح لها وزير البلاط الحالى فرفضته السفاره الإنكليزيه و سئل السفير السوفياتى فقال رأينا ما يرتثيه الشاه و لا اعتراض لنا على من يختاره لرئاسه الوزاره.

ثم قر الرأى على تكليف "قوام السلطنه" بتشكيلها و كان مسجوناً بامر السيد " ضياء الدين الطباطبائى ". فاستدعى الشاه أحد أمراء البيت المالک و أمره بالذهاب إلى سجن "قوام السلطنه" و إبلاغه الأمر الملكى بتكليفه بتشكيل الوزاره، مع التنبيه إلى وجوب اجتنابه الاستسلام إلى سياسه

الإنكليز و سلوك الطريقه التي يطيب لهم سلوكها. فان قبل فاصطحبه إلى قصر "فرح آباد" لاصدار مرسوم تعيينه في منصب الرئاسة.

و ذهب الأمير القاجارى في ٢١ رمضان سنة ١٣٣٩ هـ. ق الموافق ٨ خرداد سنة ١٣٠٠ هـ. ش. إلى السجن. فلما دخل على "قوام السلطنة" وجده قائما يصلى. فلما فرغ من صلاته أبلغه الرسول أمر الشاه فأجاب بالقبول. ثم امتطيا إحدى السيارات الملكيه إلى البلاط. و اطمأن الشاه إلى عزم "قوام السلطنة" على أن تكون سياسته مقاومه لسياسه الإنكليز الاستعماريه. و في ٢٢ رمضان سنة ١٣٣٩ هـ. ق. الموافق ٩ خرداد سنة ١٣٠٠ هـ. ش. صدر المرسوم الشاهانى بتعيينه رئيسا للوزاره. و هكذا خرج [خرج] "قوام السلطنة" من السجن إلى مسند الرئاسة! و في ٢٣ رمضان سنة ١٣٣٩ هـ. ق. الموافق ١٠ خرداد سنة ١٢٩٩ هـ. ش. فتح "قوام السلطنة"، بأمر من "أحمد شاه" أبواب السجون و أفرج عن كل المعتقلين الذين حبسهم السيد "ضياء الدين الطباطبائى"، و جلس الشاه فى قصر "فرح آباد" لاستقبالهم. فوفدوا عليه و هم فى حاله محزنه من الضعف و الهوان و القذاره، فلاطفهم و طيب خواطرهم.

و فى ٢٧ رمضان سنة ١٣٣٩ هـ. ق الموافق ١٤ خرداد سنة ١٣٠٠ هـ. ش انتهى "قوام السلطنة" من تشكيل وزارته، و ظل رضا خان" وزيرا للحريه فيها.

خبييه السياسه الإنكليزيه

انقلاب الثالث من إسفند سنة ١٢٩٩ هـ. ش الذى هياه الإنكليز انتهى بسياستهم فى إيران إلى الخبييه. و وصف أحد المستشارين الإنكليز الذين جاءوا إلى إيران بمقتضى معاهده سنة ١٩١٩ م فى كتاب له تلك السياسه و ما تبعها من خروج السيد "ضياء الدين الطباطبائى" من إيران بأنها أعمال تركت إنكلترا بلا صديق فى إيران، و جعلت صفوه السياسيين و المفكرين و الوطنيين الايرانيين ينحازون إلى معارضتها.

بل بدأت معارضه هذه السياسه فى أوساط الساسه الإنكليز و صحف إنكلترا من أوساط عهد وزاره الطباطبائى. بل كان فريق من السياسيين و العسكريين الإنكليز المقيمين فى إيران يعارضون فكره الانقلاب من يوم البدء فى التخطيط له، إذ كانوا يرونه مضرا بانكلترا. و وصف بعضهم خطه الجنرال "آيرن سايد" المخطط الأول للانقلاب، بأنها خيانه لانكلترا.

من أجل ذلك اضطرت الحكومه الإنكليزيه إلى استدعاء سفيرها من طهران، باعتباره أحد المسئولين عن خبييتها، و استبدلت به سفيرا آخر.

نشاط رضا خان

أما "رضا خان" فكان لا ينفك [ينفك] مثابرا على تقويه مكاتته و جميع الأنصار حوله. و قبيل سقوط وزاره الطباطبائى بيضعه عشر يوما كان قد بلغ من نشاطه مجالا بعيدا، فاتصل بجماعه من أهل النفوذ و أحكم صلاته بهم. و أمر جماعه من المختصين به من ضباط القوزاق بالاتصال بالزعماء الشعبيين و أصحاب الكلمه المسموعه من الوطنيين و السياسيين و مصافاتهم و مداراتهم و إحكام الروابط بهم. و قد وفق فى مسعاه هذا كثيرا، حتى أن أربعين نائبا من نواب المجلس المعطل نشروا بيانا بعد سقوط وزاره

الطباطبائي أزروا فيه بالطباطبائي و عابوه و وصفوه بأنه مجرم و أنه معدوم الوجدان مأجور للأجنبي و استنكروا انقلاب الثالث من إسفند سنه ١٢٩٩ هـ. ش. و لكنهم تملقوا "رضا خان" و براءوه من مؤامره الانقلاب و قالوا إنه إنما قدم بجيش القوزاق إلى طهران يومئذ لظنه أنه يستجيب لأمر الشاه، فكان مخدوعا. و وصفوه بالوطنيه و لقبوه بألقاب التعظيم.

و لما أصبح "رضا خان" وزيرا للحريه في وزاره "قوام السلطنه" حرص على أن يكون حكام الولايات الجدد من أعوانه و أنصاره و بادر فور تشكيل الوزاره الجديده إلى إرسال أحدهم حاكما على قزوین.

و أخذ يعد العده لدمج الدرک و القوزاق فيه وحده عسكريه واحده و من ثم تصبج القوه العسكريه كلها في إمرته. و وسع تشكيلات الكتيبه القوزاقيه حتى عجزت ميزانيه الدوله - و كانت في ضائقه - عن إمدادها بكل احتياجاتها من النفقات. و لكنه ألح في الطلب حتى اضطر الوزاره إلى اتخاذ قرار بجعل نفقات الادارات العسكريه مقدمه على جميع إدارات الدوله. و أوكلت إلى وزارته، وزاره الحريه، إداره مصلحه الضرائب المباشره و إداره عائدات أملاك الدوله. و كان هذا الوضع يعجز الحكومه أحيانا عن صرف رواتب الموظفين المدنيين، و لكنه زاد في تقويه الجيش إلى حد بعيد و ترسيخ قواعد "رضا خان"، حتى أصبح مستطيعا أن يفرض كلمته على الوزاره فرضا.

و يبدو "رضا خان" في تلك الحقبه، من بين كل السياسيين و الحكام الايرانيين، أكثرهم براعه في التخطيط العملي للوصول إلى غاياته. فيشتد و يعنف بلا هواده حين تمكنه الشده و العنف و يسالم و يدارى إلى أقصى حد حين تقتضى مصلحته المسالمه و المداراه.

و قد بدأت أصول دكتاتوريته التي انتهت به، فيما بعد، إلى سيطرته سيطره كامله على إيران من اليوم الذي انفصل فيه عن السيد "ضياء الدين الطباطبائي" و ناصبه و ناصب وزير حربيته العدا، حتى اضطرهما و اضطر الشاه أيضا، إلى تجنب إغضابه و معاداته، مع ما كانوا يكونونه من كراهيه له و حذر منه. من ذلك اليوم أخذ يفرض إرادته [إرادته] فرضا و يتقدم نحو غايته خطوه خطوه حتى انتهى إلى الدكتاتوريه المطلقه.

و كان من أبعده غاياته صياغه إيران في وحده متماسكه تلم البلاد من جميع أطرافها حول مركزيه قويه مسيطره. و من ثم أقدم، فيما بعد، على قمع الانفصاليين و استئصال نفوذ العشائر المتحكمه، فقام بحمله عسكريه حاسمه في خراسان و جيلان و أذربيجان و لورستان انتهت بانتصاره، و تحقيق غايته.

و لم يكن في سياسته هذه ما يضايق سياسه الإنكليز الجديده بعد تغيير سفيرهم. فقد كان يتجنب كل ما يغضبهم و يحملهم على الحذر منه. و كان على اتصال دائم بالسفير الانكليزي. بل كان توحيد إيران على هذا النحو غايه قديمه عند الإنكليز إذ يسهل ذلك عليهم ما بينهم و بين إيران من معامله. و كذلك تقويه الجيش الايراني كانت غايه لهم إذ يغنيهم ذلك عن إبقاء جيشهم في إيران لحفظ طريق الهند و صد السوفيات عن إيران. و كان ايقانهم بصدق "رضا خان" في معاداه السياسه السوفياتيه البلشفيه يحملهم على مناصرته و الاطمئنان إليه.

و لو لا ما ارتكبه، يوم انتهت إليه السلطه المطلقه، من استبداد و ظلم و غرور و سوء خلق، و ما خامر بعض تدابيره الاصلاحيه من

فجاجة و قصر نظر لأدى لايران خدمه وطنيه كبرى. و قد انتهت كل تلك المقدمات التي برع

ص: ١٨٧

فى تهيتها لاقامه الملك بهلوى ببلاده إلى حاله مؤيسه من الركود و الانحلال و فساد الحكم و سلب الحريات العامه.

بعض الأحداث

و فى ١ من شهر تير سنه ١٣٠٠ هـ. ش. الموافق ١٥ شوال سنه ١٣٣٩ هـ. ق. افتتحت حكومه "قوام السلطنه" المجلس النيابى المعطل.

و هو رابع مجلس انتخب بعد إقامه النظام البرلمانى فى عهد "مظفر الدين شاه". افتتحة "أحمد شاه" بكلمه مفصله. ثم ألغى قانون منع التجول.

و لكن الحكم العسكرى ظل قائما.

و فى ٩ تموز سنه ١٩٢١ م الموافق ١٧ تير سنه ١٣٠٠ هـ. ش. و ذى القعدة سنه ١٣٣٩ هـ. ق جلا العسكر الروسى عن مدينه رشت. ثم تمكنت الحكومه من القضاء على حركات التمرد فى مختلف الأقاليم.

أيام العزاء الحسينى

و فى مطلع شهر المحرم من سنه ١٣٤٠ هـ. ق أقيمت فى حسينيه الثكنه القوزاقيه مراسم العزاء الحسينى المعتاده. فى إيران. و وقف قائد الجيش وزير الحربيه "رضا خان" يستقبل مواكب العزاء موكبا موكبا. و كل موكب منها ينتمى إلى فئه من الأهالى. و هى مواكب تطوف فى المدينه أيام المحرم، و تؤم فى أثناء طوافها المجالس التى يعقدها الأعيان و العلماء للعزاء الحسينى، فتتوقف فيها قليلا ثم تمضى فى طوافها. فكان "رضا خان" كلما دخل موكب منها إلى الثكنه استقبله بالبشاشه و التودد، و أهدى رئيسه شالا.

و دعا إلى قراءه السيره الحسينيه فى الثكنه كل فراء [قراء] التعزیه فى طهران، و أهدى كل واحد منهم مبلغا من المال. و أقبل الناس على حضور هذا المجلس إقبالا عظيما من كل الطبقات، حتى إن الشاه نفسه حضر إليه فى اليوم الثامن من المحرم.

و فى يوم عاشوراء شكل القوزاق موكب عزاء منهم. و جعلوا فى أوله فرقه موسيقيه تعزف لحنا حزينا. و سار فى مقدمته "رضا خان" و قد حسر عن رأسه و غفره بالتراب، علامه الحزن، و وراءه الضباط و راءهم الجنود، و قد فعلوا فعله، حسروا عن رءوسهم و غفروها بالتراب، و أخذوا يطوفون فى المدينه. و كان "رضا خان" يواظب على حضور المجالس الأخرى، و أكثر حضوره كان فى مجلس أصحاب الحرف. و كان بعض الوعاظ و قراء التعزیه إذا حضر مجلسا ذكروا اسمه على المنبر و أثنوا عليه و دعوا له، فيعرف الجمهور أن وزير الحربيه حاضر فى المجلس.

و فى مساء اليوم العاشر ليله الحادى عشر من المحرم المعروفه عند الايرانيين باسم "شام غريبان" أمسيه المغربين، خرج وزير الحربيه قائد الجيش "رضا خان"، على عادته الايرانيين فى تلك الليله، حاسر الرأس حافيا و فى يده شمعته و وراءه جنود القوزاق حاسرين حفاه و فى يد كل منهم شمعته، و ساروا إلى مجلس التعزیه الذى يقام فى المسجد الجامع و المجلس الذى يقام فى مسجد الشيخ عبد الحسين، و هما من أكبر مجالس طهران، فطافوا، و هم على هذا الوضع، حول كل من المجلسين.

و قد فعلت هذه المظاهر فعلها في نفوس العامه، و اكتسب "رضا خان" شعبيه واسعه. إذ أن ولاء أهل البيت متمكن في نفوس الايرانيين، و لهم عنايه فائقه باقامه مراسم العزاء الحسيني و حرص شديد على المشاركه فيها و إدامتها. و ثبت في نفوسهم أنه ناصر للدين. و ظل مواظبا على هذه المظاهر في أشهر المحرم من كل سنه. و كانت هذه السيره إحدى وسائله لتثبيت مكانه.

أحوال العصاه

لم يكن كل المتمردين في الأقاليم في تلك الحقبه من أهل الفتنة و طلاب المنافع الشخصيه الخاصه. بل كان فريق منهم من كرام الوطنيين الأحرار، ثاروا دفاعا عن الكرامه و الحريه و نقمه على الفساد و الاستبداد و التدخل الأجنبي الاستعماري، مثل "الشيخ محمد الخياباني" (١) في أذربيجان و "الميرزا كوشك خان" في جيلان و ضابط الدرک الكولونيل "محمد تقى خان" (٢) في خراسان و "أمير مؤيد سواد كوهي" (٣) في مازندران. و سواء

ص: ١٨٨

١- قتل في عهد وزاره "مشير الدوله". و قد مرت كلمه مفضله عنه.

٢- من خير العسكريين الايرانيين في تلك الحقبه، انضباطا و شجاعه، و من أوسعهم ثقافه عسكريه. جاءته مره رساله من أحد أصدقائه و هو في الجبهه يحارب فريقا من المتمردين. فأجابه عليها برساله أديبه شجيه استشهد فيها بيت المتنبي المشهور: الخيل و الليلو البيداء "تعرفنا" و السيف "و الضيف" و القرطاس و القلم كان رئيسا لفرقه درك خراسان في زمن وزاره السيد "ضياء الدين الطباطبائي". خرج في خراسان على الحكومه المركزيه في عهد وزاره "قوام السلطنه". و كان "رضا خان" وزير الحريه يحقد عليه لأسباب شخصيه. سير إليه هذا حملة من القوزاق و ساعدهم عليه أيضا مسلحون من أكراد "قوشان". و وقعت بين الفريقين معركه عنيفه بالقرب منها. و قام الأكراد بالقسط الأكبر من الحرب. و تغلبوا عليه. و قتلوا من رجاله مائه دركي و أسروا الباقي، و لم يبق معه غير ثلاثه من رجال الدرک. و مع ذلك ظل يقاوم إلى أن قتل هؤلاء الثلاثة أيضا و بقي وحده. و انهال الرصاص عليه من كل جانب فوقع صريعا. و قطع الأكراد رأسه ضربا بالسيوف و علقوه على شجره. و حملوا جسده فألقوه في منزل أحد رؤسائهم. و ظل ملقى فيه مده يومين. و كان ذلك في غره صفر سنه ١٣٤٠ هـ. ق. و لما بلغ خبر مقتله مدينه مشهد عمها الحزن. و بادر أهلها إلى حمل الجسد و الرأس إلى مدينتهم في الخامس من صفر. و في السادس منه تعطلت كل الأعمال في مشهد. و حمل الأهالي الجثمان على عربه مدفع و خرجوا عن بكره أبيهم في تشييعه يحملون أكاليل الزهر و ساروا به على إيقاع موسيقى حزينه، و مدفع يرسل طلقات متواصله، إلى أن بلغوا به مقبره "نادر شاه" فدفنوه فيها. و بعد شهر تقريبا جاءت إلى مشهد فرقه من القوزاق فاعتقلوا جماعه من أهلها. و في ١٤ آبان سنه ١٣٠٠ هـ. ش. ذهب القوزاق ليلا- إلى مقبره نادر شاه فنبشوا قبر الكولونيل "محمد تقى خان" و أخرجوا جثمانه منه و دفنوه في المقبره العامه و عفوا أثره. و لكن الأهالي ظلوا يلتمسون مكان القبر حتى وجدوه، فظهروه و عمروه و نصبوا عليه شاهدا. و من ذلك اليوم أصبح قبره محججه الخراسانيين يزورونه أفواجا، يقرءون له الفاتحه، و تلقى عنده الخطب الوطنيه الحماسيه و تتناقلها صفحات الجرائد، إلى أن استتب الحكم الدكتاتوري لرضا خان، فأمر بتحويل تلك المقبره إلى حديقته عامه و تسويه أرضها، فضاء القبر.

٣- من زعماء مازندران و من أهل الثقافه. عصى الحكومه المركزيه فسير إليه "رضا خان" وزير الحريه حملة عسكريه في ١٦ تير سنه ١٣٠٠ هـ. ش. فهزمته و تفرق جنده و فر هو و ولدان له و بعض رفاقه إلى الغابات. و إذ كان هذا الثائر من زعماء الإقليم

راسخ الأصول فيه محبوبا وطنيا طيب السمعه و كانت الحكومه لذلك تخشى من أن يعود إلى العصيان، فقد ارتات أن تصالحه و تستقدمه إلى طهران مكرما فتأمن جانبه و تستجلب قلوب أنصاره إليها. فأرسلت إليه وفدا من كرام الوطنيين أمنوه باسم الحكومه و أقنعوه بان في مصالحتها خيرا لا-يران لأن أهم أسباب تدمره، و هى تدخل الأجانب فى شاون البلاد، قد زالت.. فروسيا السوفياتيه قد تخلت عن سياسه روسيا القيصريه السابقه و تركت إيران و شأنها. واضطرت بريطانيا أن تحذو حذوها. و الحكومه الإيرانيه بحاجه إلى مساعدته لها. و لا مانع بعد اليوم بمنعه من ذلك. فاقنع بهذا المنطق و قدم إلى طهران على هذه النيه. و زاد "رضا خان" فى تكريمه فأنزله ضيفا عليه فى بيته. و اقترح عليه إدخال ولديه فى الجيش، فقبل و عينهما "رضا خان" فى فرقه جرجان العسكريه. و لكن "رضا خان" لم يلبث، يوم أصبح رئيسا للوزاره بعد ذلك، أن غدر به. فقتل ولديه ليلا بزعم أنهما فرا من مكان خدمتهما. فلما بلغ خبرهما إلى أبيهما ضربته صدمه نفسيه أفقدته الذاكره و تولته حاله من الذهول لم يلبث بعدها إلا قليلا. و مات و صادر "رضا خان" كل أملاكه و أمواله فى مازندران. و يتصل بهذه القصة المؤلمه - كما يروى - واقعه من أغرب الوقائع. و هى أن "أمير مؤيد سوادكوهى" هذا كان يوما، قبل أحداث عصيانه بمدته طويله، راكبا مع جماعه من فرسانه يتفقد أملاكه و شئون ولايته. فسمع، و هو فى الطريق بين "سوادكوه" و مازندران صوتا من امرأه تبكى و تستغيث منبعثا من داخل غابه. فأمر رجاله بتقصى الخبر. فدخلوا الغابه ثم عادوا و معهم امرأه شريده فى هيئه محزنه من الدهشه و التألم و الخوف. فاستفسرها "أمير مؤيد" عن أمرها فأخبرته بأنها زوجه "داداش بيك" (أبى رضا خان) و زوجها غائب فأخذوا يؤذونها فى طهران. و أنها حامل و لزوجها امرأه أخرى و لها أولاد. و أن ضررتها و أولادها اغتموا فرصه غياب زوجها فأخذوا يؤذونها و يحاولون إسقاط جنينها ففرت منهم. فتالم "أمير مؤيد سوادكوهى" من ذلك. و كان يعرف زوجها معرفه تامه إذ هو من رجال قبيلته و من ماموريه. فأمر بحمل المرأه إلى منزله لتقيم بين أهله فحملت إليه. و تابع "أمير مؤيد" سفره. و بعد عودته وضعت زوجه "داداش بيك" فى بيته و بين أهله صبيها هو "رضا خان" هذا نفسه. و ظل مع أمه فى بيت "أمير مؤيد" إلى أن عاد "داداش بيك" من طهران إلى مازندران فنقلهما إلى بيته.

أ كانت الطريفة التي اختارها هؤلاء لمقاومة الفساد خاطئه أم مصيبه فقد كانوا شرفاء فى مقاصدهم، محبوبين عند الناس. و قد استعملت فى محاربتهم و التنكيل بهم وسائل دينيه، من الغدر بعد التأمين و التمثيل بالبحث. و من ثم عم الأسف عليهم. و روى الشعراء "محمد تقى خان" خاصه بقصائد شجيه. و نشر أحد الصحفيين فى هذا الموضوع مقاله أغضبت وزير الحريه "رضا خان" فأمر اثنين من جنود القوزاق إذ كان الحكم العسكرى لا يزال قائما، بالذهاب إلى إداره تلك الجريده و اعتقال صاحبها. فاعتقلوا [فاعتقلوه] و جاءوا به إلى ثكنه القوزاق. فجعل "رضا خان" يشتمه شتما قبيحا ثم أمر بجلده فجلد حتى أغمى عليه مرتين. ثم أمر بحبسه فى إصطبل الدواب. و على أثر هذه الحادثه أقدم جماعه من الصحفيين على الاعتصام فى السفاره الروسيه و المجلس النيابى مطالبين بإنفاذ القانون الأساسى.

تعديل الوزاره

و وقع الخلاف بين رئيس الوزاره "قوام السلطنه" و وزير الحريه "رضا خان"، كما كان متوقعا. و السبب الأول هو استنكاف رئيس الوزاره عن الرضوخ لمحاولات "رضا خان" فرض سيطرته المتزايد على الوزاره و إصرار هذا على أن يكون هو المهيم على كل الأمور. و كان مما يجمع بينهما مؤقتا عداوتهما المشتركه للضابط "محمد تقى خان" فلما قضى عليه انفصم ما بينهما من جامع و عادا إلى التصارع. و كان كل منهما عنيدا صعب المراس.

و زاد فى حرج رئيس الوزاره اعتراضات عليه من بعض النواب فعزم على الاستقاله فى يوم ٢٠ من شهر المحرم سنه ١٣٤٠ هـ. ق. الموافق ٣١ شهر يور سنه ١٣٠٠ هـ. ش. و لكن "أحمد شاه" تدارك الأمر لكيلا يتنحى "قوام السلطنه" عن منصبه إذ كان هو وحده من يراه أهلا لمعارضه "رضا خان" و تقصير يده. فدعاها إلى و أصلح بينهما. و سعى هذا المسعى أيضا نائب رئيس المجلس النيابى السيد حسن المدرس و نواب آخرون. و بقى "قوام السلطنه" فى رئاسه الوزاره مع تغيير بعض الوزراء.

و ثابر "رضا خان" على تقويه جيشه و زيادته حتى أصبحت عده القوزاق حوالى ثلاثين ألف جندى يأترون بامرهم. و سعى إلى السيطرة على كتيبه الشرطه فنقل بعض ضباط القوزاق إلى سلك الشرطه و نقل بعض ضباط الشرطه إلى سلك القوزاق. فكان هذا العمل مقدمه للسيطره التى يسعى إليها. و قد أفاده بعد ذلك فائده كبيره.

نهايه "الميرزا كوشك خان"

بعد تثبيت الوزاره و تعديلها تابع "رضا خان" حملاته لقمع المتمردين فى الولايات، فوفق فيها كلها. و بقى عليه القضاء على الحكومه التى أقامها "الميرزا كوشك خان" فى الشمال. و كانت الحكومه المركزيه فى عهد وزاره "مشير الدوله" و فى عهد وزاره "قوام السلطنه" هذه تفضل معامله هذا الثائر بالمفاوضه و المصالحه نظرا لمكانته و شعبيته و حسن نواياه. فاستأنفت ما بدأه "مشير الدوله" من المفاوضات و كلفت السفير السوفياتى "رتشتين" بمساعدتها على ذلك، إذ سبق أن كان "الميرزا كوشك خان" على صلته بالبلاشفه، فأجاب السفير طلبها و أرسل إليه رساله مطوله نصحه فيها بالمصالحه و تقويه الحكومه المركزيه. و أجابه "الميرزا كوشك خان" برساله استجاب فيها لطلبه و تقرر أن يوفد مندوبا عنه إلى رشت لمفاوضه وزير الحريه "رضا خان"، و كان قد حضر إلى رشت قبلا. و كذلك كان قد أرسل إليها فرقه من القوزاق. فلما حضر مندوب "الميرزا كوشك خان" أمر "رضا خان" باعتقاله و أرسله مخفورا إلى طهران. و بذلك انقطعت المفاوضات و وقعت الحرب بين الطرفين.

و فى روايه تاريخيه اخرى أن "الميرزا كوشك خان" انهزم فى معركة وقعت بينه و بين القوزاق فى نواحى رشت و وجد نفسه عاجزا عن متابعه المقاومه. فأرسل جماعه من رجاله إلى وزير الحربيه يعلمه بعزمه على التسليم و الدخول فى طاعه الحكومه. فتلقاهم "رضا خان" بالرعايه و الموده و أنه حاضر لاستقبال "الميرزا كوشك خان" بالتامين و العفو و الاحترام. بل وعد بان يمنحه رتبه عسكريه عاليه و يضع فى قيادته وحده عسكريه صغيره. و لكن بعض رجال "الميرزا كوشك خان" غرروا به فهاجم أحد مواقع القوزاق قبل أن يتم هذا الاتفاق. و بذلك انقطعت المفاوضات.

و المتفق عليه هو أن معركة وقعت يومئذ بين "الميرزا كوشك خان" و جند القوزاق فى محله اسمها "بسيخان" فى نواحى رشت. و تغلب فيها القوزاق على "الميرزا كوشك خان" و تفرق عنه رجاله. و كان بين رجاله اثنان من كبار خاصته و جندى ألمانى اسمه "كايوك" أحبه و أعجب به. فاما أحد الرجلين فلجا إلى الاتحاد السوفياتى. و أما الثانى فاستسلم إلى الحكومه. و أما "الميرزا كوشك خان" فأبى أن يلجا إلى الاتحاد السوفياتى و أبى أن يستسلم إلى الحكومه و فضل أن يلجا إلى أحد رؤساء العشائر. و أبى الجندى الألمانى أن يتخلى عنه و ظل ملازما له. و ذهبوا معا فى جبال "طالش" (بلاد فى إقليم جيلان) ليلجأ إلى رئيس العشيره. و لكن الثلوج زحمتها فماتا دنقا فى ٢ ربيع الثانى سنه ١٣٤٠ هـ. ق. الموافق ١١ بهمن سنه ١٣٠٠ هـ. ش. و عمر "الميرزا كوشك خان" يومئذ ٤٢ سنه.

و قطع فرسان "طالش" رأس "الميرزا كوشك خان" و أرسلوه إلى رشت، و دفن الجسد حيث مات. و أرسل الرأس إلى طهران و طافوا به مرفوعا فى شوارعها. ثم دفنوه فى المقبره العامه. و أسخط هذا العمل الناس و بعث فى نفوسهم الكراهيه لمن قاموا به. و بعد مده أخرج جماعه من الأحرار المعجبين بهذا الثائر العظيم جسده و رأسه من مدفيهما و دفنوهما معا فى "سليمان داراب" حسب وصيته.

سيطره الحكم العسكرى

فى ٢٢ من شهر المحرم سنه ١٣٤٠ هـ. ق. أصدر حاكم طهران

العسكري أمرا بتوقيف أكثر من خمسة عشر رجلا- من كبار الشخصيات، من سياسيين و وزراء سابقين، و منهم عالم من كبار رجال الدين هو "ظهير الإسلام" صهر " مظفر الدين شاه" فوقفوا و جلبوا إلى ثكنة القوزاق، بتهمة إنشاء جمعيه إرهابيه سريه تريد اغتيال رئيس الوزراء "قوام السلطنه" و وزير الحريه قائد الجيش "رضا خان". و تشكلت لجنه من ممثلين لوزاره العدليه و الشرطه و الكتيبه القوزاقيه لاستجوابهم و التحقيق فى أمرهم، و عينت مكان انعقادها فى ثكنه القوزاق. و نشر الحاكم العسكري بيانا عاما بذلك.

و بعد التحقيق برأت اللجنه فريقا منهم و أطلقت سراحهم. و حكمت بنفى فريق آخر إلى خارج إيران. و كان بعض الموقوفين يرد على أسئله المحققين بعنف و غلظه.

و أصدر "رضا خان" بعد ذلك بقليل بيانا عنيفا بتوقيعه أعلن فيه أنه أوقع حكم القتل رميا بالرصاص فى أربعة من العسكريين منهم اثنان من الدرك اعتديا على فتاه و اثنان من القوزاق فرا من خدمه المملكه و الوطن.

و ختم بيانه بان توعده كل من خالف رجال الجيش الذين وقفوا أنفسهم على حفظ أمن المملكه و الوطن و حمايه حدوده بمصير مثل هذا المصير.

و فى ١٤ آذر سنه ١٣٠٠ هـ. ش الموافق ٧ ربيع الثانى سنه ١٣٤٠ هـ. ق. قام "رضا خان"، على غير ما يهوى "قوام السلطنه" و الشاه، بعمل حاسم لتحقيق أمنيته القديمه فى توحيد الدرك و القوزاق فى كتيبه عسكريه واحده تكون فى إمرته. فدعا ضباط الدرك إلى ثكنه القوزاق و ألقى عليهم خطابا مفصلا قال فيه: يجب أن يكون جيش إيران متحد الزى. و على هذا يجب أن يرتدى رجال الدرك الزى القوزاقى. و أن تنحل مديره الدرك. و فى اليوم التالى صرف قائد الدرك السويدي الكولونيل "غلروب" من الخدمه و تولى هو رئاسه هذه الكتيبه مع رئاسه القوزاق.

و قد سبق هذا التدبير خلاف بين رئيس الوزراء "قوام السلطنه" و وزير الحريه "رضا خان"، إذ كان رئيس الوزراء غير موافق عليه خوفا من تعاضم قوه وزير الحريه. و جر ذلك إلى مناقشه حاميه بينهما. و اضطر الشاه، مع تأييده ل "قوام السلطنه" و معارضته ل "رضا خان"، إلى استدعائها و مصالحتها. و مع ذلك فان وزير الحريه أغلظ الكلام لرئيس الوزراء، و هو يمتطى سيارته، بعد خروجهما من حضره الشاه، و رد الرئيس له جوابا مماثلا. ثم أقدم "رضا خان" على إنفاذ قراره بتوحيد الكتيبتين مستبدا برأيه لا يبالى بمعارضه "قوام السلطنه".

و على هذا النحو كانت قدره "رضا خان" تتعاضم يوما فيوما حتى عاد قوه تصعب معارضتها.

سفر الشاه إلى أوروبا

و مع تعاضم قوه "رضا خان" و اتساع مجال نفوذه كان مجال التصرف يضيق يوما فيوما على "أحمد شاه" و "قوام السلطنه". و أصبح الشاه على يقين من سوء نوايا "رضا خان" و مطامعه و تطلعاته. و ضاق به الأمر فلم يجد مخرجا إلا أن يعتزل هذا الجو الذى يحيط به مؤقتا فى انتظار ما تأتى به الأيام.

و من ثم قرر فى ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٤٠ هـ. ق. أن يسافر إلى أوروبا.

و لما انتشر نبا عزمه على السفر تلقاه الناس من كل الأوساط بالخشييه و التخوف لاحتمالهم أن يكون سفره مقدمه للتخلى عن العرش. و رجوا أن يعدل الشاه عن عزمه فقاموا بمساعى كثيره متواصله لحمله على العدول و لكنه ظل مصرا على عزمه. و بذل السفير السوفياتى خاصه جهودا كثيره لاقتاعه بالعدول عن السفر فلم يحصل على نتيجة. و لعل حرص السفير على بقاء الشاه فى ميدان السياسه كان الدافع إليه هو إيقانه بمناقضه الشاه للانكليز.

و سعى هذا المسعى أيضا جماعه كبيره من النواب من رجال البلاط و أقارب الشاه. و أرسل إليه جماعه العلماء رجال الدين يطلبون عدوله عن السفر، و لكن الشاه ظل مصرا على عزمه.

أما "رضا خان" فكان وحده، من بين أولئك جميعا، مرتاحا إلى سفر الشاه. حتى إنه أرسل إلى جماعه العلماء رسولا خاصا من قبله يأمرهم بان يمتنعوا عن معارضه السفر. فأجابوه بقولهم: نحن لم نعارض سفر الشاه و إنما نقلنا إليه إرادته الأمه. و لما صدر مرسوم قرار السفر نشرت إحدى الصحف مقالا عنيفا عارضت به هذا السفر. فغضب "رضا خان" و أمر بتعطيل تلك الجريده.

و فى ١٥ جمادى الأولى ١٣٤٠ هـ. ق. صدر مرسوم ملكى بقرار سفر الشاه إلى أوروبا لأسباب صحيه و تعيين يوم ٢٦ جمادى الأولى سنة ١٣٤٠ هـ. ق. موعدا له.

استقاله الوزاره

و فى يوم ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣٤٠ هـ. ق. استقالت وزاره "قوام السلطنه" على أثر مشاده وقعت فى المجلس النيابى بين فريق من النواب و أحد الوزراء، و بسبب مخالفه النواب لسفر الشاه. و كلف الشاه "حسن بيرنيا" الملقب ب "مشير الدوله" بتشكيل الوزاره. و انتهى من تشكيلها فى ٥ بهمن سنة ١٣٠٠ هـ. ش الموافق ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٣٤٠ هـ. ق.

و ظل "رضا خان" وزيرا للحريه فيها.

و بعد استقاله وزاره "قوام السلطنه" و قبل تشكيل الوزاره الجديده أمر "رضا خان" أحد ضباط القوزاق بتسلم مستودع الغلال الحكومى الذى فى جملة مهامه توزيع الدقيق على الأفران، و جعله فى إداره "رضا خان" لا يتصرف به أحد إلا بأمر منه. و بذلك أضاف إلى سلطاته سلطه جديده يرتبط بها مرفق من أهم مرافق الحياه العامه اليوميه.

و فى الموعد المعين، يوم ٢٦ جمادى الأولى سنة ١٣٤٠ هـ. ق. تحرك ركب "أحمد شاه" مرتحلا إلى أوروبا، و خرج "رضا خان" يشيعه بمظاهر التملق يرجو بها أن يبعده عن سوء الظن. من ذلك أن سياره الشاه كانت تعلق عجالاتها أحيانا فى طين الطريق و حفرها فيترجل "رضا خان" من سيارته و يباشر بيده عمل تخليصها مما علقته به. فلما بلغ فى تشييعه إلى "قصر شيرين" و أراد العوده إلى طهران ودع الشاه بان أكب على قدميه فقبلهما، ثم أقسم له على أن يبقى أمينا مخلصا لعرشه.

المطالبه برفع الحكم العسكرى

بعد سفر الشاه أخذ أكثر صحف طهران يخوض في حديث انقلاب الثالث من إسفند سنه ١٢٩٩ هـ. ش. و يحمل على مسيبيه بمقالات عنيفه.

و لكن وزير الحربيه "رضا خان" أراد حسم الموضوع و قطع الكلام فيه فنشر بلاغا رسميا في الثالث من إسفند سنه ١٣٠٠ هـ. ش. الموافق ٢٤ جمادى الآخره سنه ١٣٤٠ هـ. ق. و أعلن فيه بأنه هو سبب الانقلاب الحقيقي،

ص: ١٩٠

و أن الدافع إليه كان إرادته القضاء على الفساد الداخلى و الظلم الخارجى و التدخل الأجنبى. و ذكر أن ماضيه كان كفاحا و تضحيه و إثارا و صبرا على المشقات و المخاطر فى سبيل إيران. و أندر فى آخر البيان الصحف بوجوب الكف عن البحث فى موضوع الانقلاب. و كل صحيفه تخالف هذا الأمر تعطل و يعاقب صاحبها و الكاتب فيها. و من كان عنده اعتراض أو كانت فى نفسه شبهه فى موضوع الانقلاب فليرجع إليه شخصا.

هذا ما جاء فى بلاغ "رضا خان" وزير الحربيه. و لكن الجنرال "آيرن سايد" يقول فى مذكراته إن المسبب الحقيقى للانقلاب إنما هو الحكومه الإنكليزيه، و أن المخطط الأسمى له إنما هو "آيرن سايد" نفسه! و علق أحد النواب و اسمه "ضياء الواعظين" على بلاغ وزير الحربيه بمقال فى إحدى الجرائد خاطب فيه "رضا خان" قائلا: فى بيانات إسفند الماضى (شهر الانقلاب) مواعيد و عدت بها الأمة الإيرانيه. و إذ عرف اليوم المسبب الحقيقى للانقلاب فيحسن أن تفى بتلك المواعيد فيحمدك الناس.

و نشر آخر فى جريده أخرى مقالا خاطب فيه "رضا خان" بقوله:

"لست أنت من صنع الانقلاب. و إنما صنعه الإنكليز و نصرت الدوله. و لو لم تقدم أنت على ما أقدمت عليه لجاؤوا بضابط آخر غيرك. و إذ كنت أعلم أنك ستعتقلنى فانا أتوارى و أنت افعل ما شئت". فاصدر "رضا خان" أمرا باعتقال كاتب مقاله و وضع جائزه ماليه لمن يدل عليه.

و تابعت صحف أخرى نشر مقالات تنتقد أعمال وزير الحربيه و سلوكه و أفعاله غير القانونيه. و اشتدت الحكومه العسكريه بأخذ هؤلاء المخالفين بالتهديد و التوقيف و الضرب و الشتم. و نشرت فى الثامن من رجب سنه ١٣٤٠ هـ. ق. الموافق ١٧ إسفند سنه ١٣٠٠ هـ. ش. بيانا شديد اللهجه توعدت فيه بكسر أقلام المخالفين و قطع ألسنتهم.

و فى اليوم التالى نشر صحفى فى جريدته مقالا عنيفا فى انتقاد وزير الحربيه و ذكر ما ارتكبه من مخالفات للقانون. و فى عصر ذلك اليوم أرسل الحاكم العسكري بضعه جنود من القوزاق لاعتقال الكاتب و إحضاره إلى الثكنه. و إذ علم هذا بالأمر التجأ مع جماعه من رفاقه إلى السفاره السوفياتيه. و بعد بضعه أيام نشر صحفى آخر فى جريدته مقالا من هذا القبيل و نقل معه المقال الآنف الذكر. ثم ذهب مع آخرين من أصحابه إلى مقام "عبد العظيم الحسنى" (رض) فتحصنوا فيه. و هناك تحدثوا علنا بخطابات عنيفه هاجموا فيها "رضا خان" و الحكومه. ثم انسلوا فى السر من المقام، إذ خافوا أن تطالهم هناك يد الحكم العسكري، و لجئوا إلى السفاره السوفياتيه. و هكذا اجتمع فى هذه السفاره جماعه كبيره من الصحفيين و طلاب الحربيه و معارضى "رضا خان". و شرعوا فى العمل على تحقيق مطالبهم و هى: رفع الحكم العسكري و عزل "رضا خان" و إنفاذ القانون الأساسى.

و الظاهر أن "رضا خان" خشى أن يعلق فى الأذهان شىء من هذه الصيحه فأراد أن يبرئ نفسه. فدعا إلى منزله جماعه من العلماء رجال الدين و من الوعاظ و الخطباء فى ٢١ رجب سنه ١٣٤٠ هـ. ق. الموافق ٢٩ إسفند سنه ١٣٠٠ هـ. ش. و شرح لهم فى حديث مطول ما قام به من خدمات لبلاده. و ختم حديثه بقوله: و الآن، إذ أرى جماعه من المفسدين يحولون بينى و بين القيام بعمل لخدمه البلاد، فقد عزمت على الاستقاله. و فى اليوم التالى اجتمع السفير السوفياتى بوزير الحربيه فباحته فى شئون الوضع الراهن و حرضه على إلغاء الحكم العسكري و الكف عن حجز الحريات. فوعده باجابه طلبه و عدا قاطعا. (١)

و لكن "رضا خان" لم يلبث أن وجد عذرا للتفقت من وعده و مسوغا لادامه الحكم العسكري. فقد وقعت فتنه بين المسلمين و اليهود فى طهران و عجز الحراس المعتادون عن قمعها حتى تدخل القوزاق بإرسال مائتين من جندهم فقتلوا على الفتنه. فكان هذا الحادث حجه بيد وزير الحربيه، فلو أنه ألغى الحكم العسكري لاختل حبل الأمن و عجز الحكم المدني عن ضبط الأمور كما يجب.

و فى ١٦ شعبان سنه ١٣٤٠ هـ. ق الموافق ٢٤ فروردين سنه ١٣٠١ هـ. ش. أرسل "رضا خان" وزير العدليه "عبد الحسين تيمور طاش" الملقب ب "السردار المعظم" الخراسانى إلى السفاره الروسيه ليقنع المتحصنين فيها بالحسنى بمغادره السفاره. و لكن المتحصنين رفضوا مغادرتها.

و فى ١٩ شعبان ذهب "رضا خان" نفسه إلى السفاره الروسيه و فاضهم و قطع لهم عهدا بان يحقق لهم مطالبهم. و تم الاتفاق على أن يكتبوا تلك المطالب و يرسلوها إليه. و لكن "رضا خان" أبلغهم فى ٢١ شعبان برساله خطيه أن البحث فى مطالبهم يجرى بعد مغادرتهم السفاره.

فرفض المتحصنون هذا العرض. إلا أن نزاعا نشب بينهم بعد ذلك و غادر السفاره جماعه منهم.د.

ص: ١٩١

١- يحسن هنا أن نأخذ ما كتبه الشاعر الايرانى أبو القاسم لاهوتى الذى انضم إلى الشيوعيين فتره طويله ثم خرج منهم و كتب مذكراته عن فترته الشيوعيه التى صادفت بدء وصول رضا خان إلى السلطه من وزاره الحربيه حتى العرش الايرانى. و قد ترجمت هذه المذاكرات إلى اللغه العربيه و ما نأخذها هو عن النص العربى المطبوع فى بغداد سنه ١٩٥٦. قال لاهوتى فى الصفحه ٢٧ عن منظمه (كى. بى. أو) التى يقول أن مركزها كان فى مدينه (رشت) و أنه كان لها مراكز سريره فى طهران و قزوین. " كانت مهمه هذه المنظمات تنفيذ المقررات التى اتخذها الحزب ضد أشخاص معينين. ففى أوائل عهد (رضا خان) أيقن الحزب بان مجيء هذا الشخص إلى الحكم بمثابة تمهيد لحكومته اشتراكيه، لذلك أوعز الحزب إلى جميع المنظمات بان تتخذ الاجراءات الصارمه ضد جميع الأشخاص من البارريين [البارزين] الذين يعارضون رضا خان سواء أ كانوا سباسبين [سياسيين] أو غير سياسيين. و هكذا نظمت قوائم و أضاير لهؤلاء الأشخاص فهددوا بالقتل إذا اقتضى الأمر و كان (أحمد قوام السلطنه) رئيس الوزراء حين ذاك أحد أولئك الذين وقعوا فى فخ هذه المنظمات التى اتخذت تدابير صارمه ضد الأحرار و المعلمين الذين أبوا الانضمام إلى الحزب و القيام بالأعمال التى يراها الحرب ضروريه. اما الأسلوب الذى سارت عليه هذه المنظمات فهو تدبير مؤامره للشخص و توجيه تهمة التمرد على "رضا خان" إليه ثم إيداع آثار الجريمه المفتعله إلى الشرطه السريه للقبض عليه و النيل منه، و قد ذهب (ميرزا عشقى) الشاعر المعروف ضحيه من ضحايا هذه المؤامرات. لقد كان ميرزا عشقى يتعاون مع عباس إسكندر يوم كان هذا الأخير يحرق جريده (سباست [سياست]) إلا أن عشقى لم يكن ليرضخ للدعايات الشيوعيه و استمر فى مقاومتها. لذلك اتخذت شرطه رضا خان السريه المؤامره المدبره على عشقى حقيقه واقعه و قتلته ". ثم قال فى الصفحه ٤٠ " كان الزعماء السوفيات ينظرون إلى حكومه رضا خان فى أول الأمر نظره حسنه و ذلك ما بين سنه ١٩٢٢ - أى فى أوائل أيام ارتقائه العرش، و كانت الكتب الماديه و الديالكيتيكيه نادره جدا فى عهد الحكومه القاجاريه كما كانت إيران فى ذلك العهد نصف مستعمره،

و ما حصل فيها من تحولات كان لتغيير الحاله من ملوك الطوائف إلى رأسماليه المركزه، و لهذا السبب كانت روسيا تنوى إحداث انقلاب فى إيران باى شكل كان للحيلوله دون تحقيق هذا التغيير، إلا أن روسيا كما تقدم نبا القول رأأت أن الوضع فى إيران لم يكن ليساعد على الانقلاب ". و لأبى القاسم لاهوتى آراء أخرى سنوردها فيما بعد.

إبعاد المومسات عن العاصمة

فى ليله التاسع من رجب سنه ١٣٤٠ هـ. ق. الموافق ١٨ إسفند سنه ١٣٠٠ هـ. ش. وقعت حادثه غريبه فى طهران. فقد حضر اثنان من موظفى السفاره الإنكليزيه إلى مجلس هيأته لهما اثنان من مومسات طهران فى منزلهما و عرف بذلك الحراس الليليون القريبون من المنزل. و كان دخول الأفرنج إلى بيت امرأه إيرانيه ممنوعا. فكبس الحراس المنزل. و لما عرفوا هويه الرجلين أطلقوهما، و أحضروا المومسين إلى دائر الشرطه فوقفوهما. و ما حل الصباح حتى كان الخبر قد عم طهران، و ثارت ضجه استنكار شديد و قامت مظاهرات. و ذهب جماعه من الأهالى إلى منزل أحد المراجع الدينين النافذين و طلبوا إقامه الحد الشرعى على المومسين. فكتب المرجع إلى "رضا خان" يطلب إقامه الحد الشرعى عليهما. فبادر "رضا خان" إلى إجابته طلبه و أمر بإقامه الحد. فاحضرتا إلى إحدى الساحات العامه و جلدتهما ضابط قوزاقى جلدا شديدا. ثم أبعدا إلى خارج طهران، و صودر أثاث منزلهما، و كاتتا متمولتين، و نقل إلى ثكنه القوزاق. ثم أصدر "رضا خان" أمرا بإبعاد جميع المومسات إلى خارج طهران.

و ظل هذا الحادث حديث الطهرانيين مده طويله. و اكسب "رضا خان" شعبيه و حمدا بين الناس. و بادرت الحكومه الإنكليزيه إلى استدعاء الموظفين المذكورين من إيران.

استقاله "مشير الدوله"

أعقبت هذه الوقائع حركه مدبره ترمى إلى زعزعه الوزاره و تشويه سمعه "أحمد شاه". فقد انتشرت شائعه بان الشاه حمل معه إلى أوروبا قدرا كبيرا من الجواهر الملكيه. و استجوب بعض النواب رئيس الوزاره فى هذا الموضوع و قالوا إن ثبت هذا الأمر فرئيس الوزاره مسئول عنه. فأجاب هذا بان الاستجواب يقتضى تشكيل لجنة للتحقيق. و شكل المجلس لجنه من خمس نواب و مندوب عن وزاره المالىه. و قد تبينت هذه اللجنه بطلان الشائعه و فى ١٨ شعبان سنه ١٣٤٠ هـ. ق. خطب النائب "صياء [صياء] الواعظين" فى أحد نوادى طهران فهاجم الحكومه و المجلس النيابى و الشاه، و دعا الناس إلى الثوره على الحكومه. و انتشرت شائعات بان الشاه قد خلع نفسه من العرش. و نشرت جريده تناصر "رضا خان" خبرا نقلته عن جريده إنكليزيه بان "أحمد شاه" ينوى الاستقاله من منصبه.

و قبل ذلك، فى الخامس عشر من رجب سنه ١٣٤٠ هـ. ق. وقعت مشاده بين أحد النواب و رئيس الوزاره ثم بين رئيس المجلس و رئيس الوزاره، و غادر هذا المجلس النيابى غاضبا و ذهب إلى بيته و قد عزم على الاستقاله. و لكن جماعه من النواب، و معهم "رضا خان" ذهبوا إلى منزله و اقنعوه بالانصراف عن عزمه.

و أراد "رضا خان" وزير الحربيه أن يدعم مكانه و يرد على ما سبق أن رماه به معارضوه من نقد و تشهير فى الصحف و ما اتهمه به المتحصنون من مخالفات للقانون، و أن يثبت للمراقبين قوته و شعبيته فأوعز إلى رجال من خاصته بالسعى إلى جمع تواقيع من كل الطبقات على بيان بتأييده و تم له ما أراد و حصل على عشرات من التواقيع أشاد أصحابها بخدماته و إخلاصه فى سبيل الوطن و دين الإسلام. و طبع البيان و وزع فى ١ شعبان سنه ١٣٤٠ هـ. ق. الموافق ٩ فروردين سنه ١٣٠١ هـ. ش. و نشرته بنصه الكامل جرائد تؤيد "رضا خان".

و فى ٢٢ شعبان سنه ١٣٤٠ هـ. ق. الموافق ٣٠ فروردين سنه ١٣٠١ هـ. ش. تجمع الناس بتحريض من أنصار "رضا خان" فى ساحه

وزاره العدليه على رجل صعده شجره و أخذ يندد برئيس الوزاره "مشير الدوله" و أعمال الحكومه على نحو تهريجي تمثيلي استجلب خواطر الناس، فتكاثروا حوله و ثارت ضجه واسعه و عجز الحرس عن إسكاته و تفريق المجتمعين و قام مؤيدوا "رضا خان" فى نواحى أخرى من المدينه بمظاهرات معارضه لرئيس الوزاره. و كان ذلك كله أماره على أن "رضا خان" يمهد الطريق للوصول إلى رئاسه الوزاره. و من جهه ثانيه تابع خطته فى قمع الحريات و إسكات الصحف المعارضه له بالتهديد و الوعيد.

و كان "مشير الدوله" رئيس الوزاره غير راض عن تفاقم نفوذ "رضا خان" و تعاضم قوته. و مثله كثيرون من رجال السياسه و الصحفيين و غيرهم. و لكنهم كانوا عاجزين عن مقاومته، إذ كانت كل الظروف الخارجيه و الداخليه مؤاتيه له، و فى مقدمتها سيطرته التامه على الجيش.

و فى ٢٠ شعبان سنه ١٣٤٠ هـ. ق. الموافق ٢٩ فروردين سنه ١٣٠١ هـ. ش. ذهب جماعه من رجال السياسه و الصحفيين المعارضين لوزير الحريه إلى المجلس النيابى، و عقدوا فيه اجتماعا و ألقوا خطبا عنيفه طالبوا فيها بالغاء الحكم العسكرى و إنفاذ القانون الأساسى و عزل "رضا خان" من مناصبه، و أعلنوا بعزمهم على التحصن فى دار المجلس النيابى حتى يجابوا إلى مطالبهم و شجعهم رئيس الوزاره "مشير الدوله" و رئيس المجلس. و أمر هذا موظفى المجلس بتعهدهم بتهيئه كل لوازمهم من طعام و غيره على نفقه المجلس فى مده تحصنهم كلها.

و أهم تحصنهم "رضا خان" فأرسل إليهم رسولا يقنعهم بمغادره المجلس. و تردد الرسول بينه و بينهم أكثر من مره. و توسل إلى إقناعهم بالوعد و الوعيد، حتى انه توعدهم مره بالقتل فلم يذعنوا. و ثبتهم "مشير الدوله" و أفهمهم أنه مقدم على الاستقاله و أن المرشح لخلافته فى رئاسه الوزاره هو "قوام السلطنه" و أن هذا سيامر حين توليه المنصب بالغاء الحكم العسكرى و إنفاذ القانون الأساسى، و حينئذ يغادرون المجلس و كرامتهم محفوظه. و قد وفى "قوام السلطنه" حين تولى رئاسه الوزاره بهذا الوعد و أرسل إلى المتحصنين رساله رسميه تتضمن عزمه على إجابته طلبهم. و لكن "رضا خان" عارضه فلم يستطع إنفاذ أمره. و فى ٢٦ شعبان سنه ١٣٤٠ هـ. ق. الموافق ١٥ أربيهشت سنه ١٣٠١ هـ. ش. خطب النائب "ضياء الواعظين" فى أحد نوادى طهران فانتقد "مشير الدوله" و مدح "رضا خان". فرد عليه خطيب آخر فدافع عن "مشير الدوله" و ندب "رضا خان" و جر الكلام إلى مشاجره بين الحاضرين. ثم اندفع نحو من مائه رجل خارجين من النادى و قصدوا إلى المجلس النيابى. فأغلق الحرس أبوابه فى وجوههم. و لكنهم هددوا بان يلجئوا إلى السفاره الروسيه أو تفتح أبواب المجلس. فاضطر الحرس إلى فتحها. و دخل المتظاهرون إلى ساحه المجلس، فأطلقوا هتافات و ألقوا خطبا معارضين بها وزاره "مشير الدوله" ثم خرجوا.

و تتابعت المصاعب على "مشير الدوله" فاضرب حراس طهران الليليون و تركوا مواقع حراستهم اعتراضا على تأخير روايتهم. و تشكل وفد من مائه رجل تقريبا من أصحاب الصناعات و التجار و الأعيان و اجتمعوا برئيس الوزاره و باحثوه فى موضوع المتحصنين فى مقام "عبد العظيم الحسنى" (رض) و فى المجلس النيابى و فى السفاره السوفياتيه، و سألوه عما فعلته الحكومه للخلاص من مثل هذه الأحداث. و انفرد به بضعه رجال منهم، و شكوا إليه، فى السر، ما يلقاه الناس من تحكم وزير الحريه و تعدياته على الحريات. فلم يستطع رئيس الوزاره أن يجيب بقول حاسم سوى الوعد ببذل كل الجهود الممكنه لاصلاح الوضع.

و فى أواخر شهر شعبان سنه ١٣٤٠ هـ. ق. استدعى "رضا خان" أحد كبار الواعظين، و كان له منبر للوعظ فى المسجد الجامع، و طلب منه أن بثى عليه و يدعو له فى مواعظه التى يلقاها فى شهر رمضان [١٣٤٠]، و أعطاه مبلغا من المال. فرفض الواعظ المال و قال له: أنا لا أتدخل فى شئون السياسه.

و فى أوائل رمضان [١٣٤٠] أرسل إليه "رضا خان"، و هو يعظ على المنبر، و رقه يأمره فيها بالتوقف عن صعود المنبر. فكتب الواعظ على حاشيه الورقه "سمعا و طاعه"، و أعادها إليه و نزل عن المنبر.

و فى أوائل شهر رمضان [١٣٤٠] من تلك السنه أخذ الناس يتجمعون كل يوم فى "مسجد الشاه" و "مسجد سبهسالار" و هما من أكبر مساجد طهران، على عاداتهم فى هذا الشهر. فأراد بعض أنصار "رضا خان" استغلال هذه التجمعات فوقفوا يخطبون الناس فى "مسجد الشاه" منددين برئيس الوزاره. و لكن الشرطه أسكتتهم و ساقطتهم إلى المخفر. و وقف آخرون منهم يخطبون فى "مسجد سبهسالار" بالثناء على "رضا خان" و تمجيده، و لكن الحاضرين أخذوا يرفعون أصواتهم متواصله بالصلوات على النبى (ص) فحجبوا أصوات الخطباء عن الأسماع.

و ذكرت إحدى الصحف أن رئيس دار السلاح ارتكب اختلاسات.

و استنكرت قيام بعض الضباط باستغلال مناصبهم لمنافعهم الشخصيه.

و كان كلام الصحيفه ينال "رضا خان" بشىء من الشبهه. فطلب هذا من رئيس الوزاره تعطيل تلك الجريده التى نشرت الخبر فرفض طلبه. فأرسل إليه مع أحد كبار الضباط ثم مع حاكم طهران العسكري يندره: إما أن تعطل الجريده و إما أن أقطع عليك الطريق إلى السراى.

فلم يجد "مشير الدوله" بدا من الاستقاله. فاستقال فى العاشر من شهر رمضان سنه ١٣٤٠ هـ. ق. الموافق ١٨ أربيهشت سنه ١٣٠١ هـ. ش. و أرسل باستقالته برقيا إلى أوروبا إلى الشاه.

و لكن "رضا خان" ذهب ليله الرابع عشر من رمضان [١٣٤٠] إلى المجلس النيابى. و اجتمع بأعضاء لجنه كان "مشير الدوله" قد طلب قبل استقالته، تشكيلها من النواب لمشاركه الوزاره فى النظر فى إيجاد حلول للمشاكل القائمه. و ذكر "رضا خان" لهم أن فى الأمر سوء تفاهم. و أن رسالته لم تكن على النحو المذكور. و أن الذى قاله فى رسالته هو أن الجريده إذا لم تعطل و ظل الصحفيون يكتبون بهذا الأسلوب فسيقطعون علينا الطريق إلى السراى. و أعلنهم بأنه لا يمكن أن يخالف إرادته المجلس النيابى و طريقته هى إطاعه كل أمر يقرره هذا المجلس. ذهب وفد من النواب إلى منزل "مشير الدوله" و أبلغوه هذا التوضيح فقبله. و

طلبوا منه العدول عن الاستقالة فرفض.

و بعد مداوالات طويله و إصرار من المجلس النيابى و من الشاه على "مشير الدوله" بان يعيد تشكيل الوزاره أذعن لهم و بدأ مشاورته. و فى أثناء هذه المشاورات اجتمع ب "رضا خان" مساء الخامس و العشرين من رمضان سنه ١٣٤٠ هـ. ق. الموافق ١ خرداد سنه ١٣٠١ هـ. ش. و دام اجتماعهما إلى ما بعد منتصف الليل. و فى اليوم التالى عاد "مشير الدوله" فاستقال مره ثانيه. و قيل إن سبب استقالته هو أن "رضا خان" أراد أن يفرض عليه توليه بعض القرارات لمن يختارهم "رضا خان". و كان "مشير الدوله" غير قادر على قبول هذا الطلب لأن ذلك يجعله مقيدا باراده وزير الحربيه. و كان غير قادر على الرفض إذ لا قبل له بمخالفه "رضا خان"، فاستقال فى السادس و العشرين من رمضان سنه ١٣٤٠ هـ. ق. الموافق ٢ خرداد سنه ١٣٠١ هـ. ش.

وزاره قوام السلطنه

و قر الرأى، بعد مداوالات طويله معقده، على تكليف "قوام السلطنه" بتشكيل الوزاره. فشكلها فى ١٨ رمضان سنه ١٣٤٠ هـ. ق.

الموافق ٢٦ خرداد سنه ١٣٠١ هـ. ش. و ظل "رضا خان" وزيرا للحربيه فيها.

و فى ٣٠ خرداد من تلك السنه سير "رضا خان" جيشا إلى إقليم "لورستان" لاختضاع قبائله. و دامت محاربتهم لهم إلى سنه ١٣٠٧ هـ. ش. إذ تم إخضاعهم و تجريدهم من السلاح.

و سير جيشا إلى أذربيجان لاختضاع الأكراد المتمردين. فتغلب عليهم و فتح فى ٢٠ مرداد سنه ١٣٠١ هـ. ش. قلعه "جهريق" الجبكيه أمنع حصونهم. و كان الأكراد يعدونها دائما حصنا لا يقهر. كان لهذا الفتح دوى عظيم فى كل نواحي إيران. فتواترت برقيات التهنته على رئيس الوزاره و وزير الحربيه من كل الولايات، و أقيمت مظاهر الزينه و الاحتفال فى أكثر المدن.

و احتفل "رضا خان" بهذا النصر باقامه عرض عسكري فخم فى ٢٨ مرداد [١٣٠١] من تلك السنه فى العاصمه و اشترك فيه جميع الضباط و ألقى "رضا خان" خطابا منمقا مطولا.

و ظهرت فى عهد وزاره "قوام السلطنه" الجديده تعليقات و انتقادات فى بعض الصحف منبعثه من تحريكات أجنبيه و داخلية مشبوهه، منها تعليقات متناقضه على موافقه المجلس، فى عهد وزاره "قوام السلطنه" السابقه، على منح شركه أميركيه امتياز استخراج نפט الشمال، و منها طعن فى الاسره القاجاريه و "أحمد شاه"، و وصفه بأنه رجل لعب و لهو تافه. (١)

و أمثال ذلك مما يراد به التشويش على وزاره "قوام السلطنه" و الشاه. و لهذا أنذر رئيس الوزاره أصحاب الصحف بيان رسمى بان يمتنعوا عن تجاوز

ص: ١٩٣

١- كان "أحمد شاه قاجار" من خيره الملوك الذين حكموا إيران. كان رجل جد و ثقافه و مطالعه. تنزه عن كل المعائب و المظالم التى ارتكبها كثير من أسلافه. لم يشرب خمرا و لا انصرف إلى النساء و لا امتدت كفه إلى تناول رشوه و لا تلطخت يده

بدم برىء دمقراطى عف اليدىن. و يكره مظاهر الفخفخه و الغطرسه. حريص على ترسيخ النظام الدستورى النيابى. مسلم ثابت
الايمان.

الحدود المشروعه من تعرض للمراجع العليا و غيرها من الطبقات بالطعن و التشهير، و نصحهم بالانصراف إلى تاديه واجيهم الوطنى فى التوجيه و الإرشاد، و هددهم بتعطيل صحفهم فى حاله المخالفه. و طالب المجلس النيابى بالاسراع بالموافقه على قانون المطبوعات و تشكيل محكمه خاصه يحال إليها المخالفون من أصحاب الصحف و الناشرين.

هديه من العباس ع

و أعلن يوما أن العباس بن على (ع) أهدى سيفا إلى قائد الجيش الايرانى "رضا خان" - و للعباس (ع) فى نفوس الايرانيين مكانه عاليه - و أن اثنين من كبار موظفى الأوقاف الإيرانيه هما "ناظر التوليه" و "معاون التوليه" حملا السيف من عتبات العراق إلى إيران. ثم دخلا به إلى طهران محاطا بتنظيمات خاصه من التشريف و التعظيم.

و فى التاسع من ذى القعدة سنه ١٣٤٠ هـ. ش. نطق "رضا خان" بالسيف فى منزله، و ألبس خلعه أنعم عليه بها تفضلا من العباس، و وسط مظاهر من التعظيم قامت بها جماعه من العسكر و ظل الناس مده يومين يتوافدون إلى منزله من جميع الطبقات للتهنئه. و اكتسب محبه و صيتا طيبا عند العامه.

استقاله رضا خان

بعد أن حل "رضا خان" كتيبه الدرک فى عهد وزاره "قوام السلطنه" السابقه حاول أيضا أن يفصل الشرطه عن وزاره الداخليه و يلحقها بوزارته وزاره الحريه ليجرد الحكومه من كل القوى العسكريه و يصبح وحده المسيطر على كل المؤسسات العسكريه. و لكن "قوام السلطنه" صده عن ذلك.

و أعاد المحاوله فى عهد وزاره "مشير الدوله" فلم يوفق. و فى عهد وزاره "قوام السلطنه" الثانيه وقعت بين "رضا خان" و رئيس الشرطه - و هو سويدى - مشاده كلاميه فى دائره الشرطه. و خرج "رضا خان" غاضبا.

و كرر محاولته عند "قوام السلطنه" فرفض هذا الإذعان لطلبه. و زاد ذلك فى ما بين الرجلين من خلاف.

و على أثر ذلك وجد رجل مقتولا بالقرب من إحدى الحدائق العامه.

ثم تكررت حوادث القتل فى نواحي أخرى من العاصمه. و أدى ذلك إلى انتشار الخوف بين الناس. و قيل إن "رضا خان" هو الذى دبر هذه الحوادث ليظهر الشرطه بمظهر العاجز عن حفظ الأمن. و سواء أصح هذا الظن أم لم يصح فان النتيجة التى ترتبت عليه هى ازدياد الخوف و التدمر من نوايا "رضا خان" و تصرفاته و اتساع سيطرته.

أصبح وزير الحريه يتدخل فى كل شئون الدوله العسكريه و الاداريه و الماليه. فعائدات الضرائب المباشره و عائدات الممتلكات الحكوميه لا تدخل الخزانه العامه بل تودع مباشره فى صندوق مخصصات وزاره الحريه. و مخازن تموين العاصمه فى يده و لم يكتف "رضا خان" بمنع "قوام السلطنه" من إنجاز وعده للمتحصنين فى المجلس النيابى بالغاء الحكم العسكري و إنفاذ القانون الأساسى، بل أمر باقامه الحكم العسكري فى بعض مدن أذربيجان و غيرها أيضا. و تكررت حوادث تعطيل الصحف المعارضه له و توقيف أصحابها و ضربهم و توقيف غيرهم من المواطنين على نحو مخالف للقانون.

و كان النواب المعارضون لوزير الحريه لا يجرون على استجوابه فى المجلس النيابى، إذ كان له أنصار من النواب من جهه. و من جهه أخرى كانت أكثره النواب، و رئيسها السيد حسن المدرس، تحرص على استمرار حكومه "قوام السلطنه"، فهى، من ثم، مضطره إلى غض النظر عن تصرفات وزير الحريه لثلاثه تحرج الحكومه. و من ثم سكت المعارضون عن استجواب "رضا خان". إلى أن عيل صبر أحد نواب أذربيجان فالقى من على منبر المجلس النيابى يوم الثانى عشر من شهر مهر سنه ١٣٠١ هـ. ش.

كلمه شامله مفصله مؤثره اتهم فيها المجلس بالتقصير عن القيام بواجبه و نعى عليه سكوتة عن الأوضاع الراهنه، و منها استمرار الحكم العسكرى و عجز رئيس الوزاره عن إنجاز وعده للمتحصنين فى المجلس برفع الحكم العسكرى و إنفاذ القانون الاساسى.

و رد زعيم الأكثره السيد حسن المدرس على هذا النائب بكلمه دافع فيها عن المجلس. و قال عن "رضا خان" ما محصله: علينا أن نقيس أعماله بمقياس القانون فان كان مقصرا فلا شىء يمنع المجلس من محاسبته و إن كان غير مقصر فلا سبيل للمجلس عليه.

و كان لهذه الجلسه دوى بعيد فى المجلس و فى نواحي المجتمع العام.

اما وزير الحريه "رضا خان" فاستدعى كل الضباط العسكرين إلى الحضور فى وزاره الحريه صباح الخامس عشر من شهر مهر سنه ١٣٠١ هـ. ش.

الموافق ١٦ صفر سنه ١٣٤٠ هـ. ق. و هناك خطب فيهم شارحا خدماته فى إقرار الأمن و النظام و قمع الفتن التى كانت ناشبه فى أطراف المملكه، و استخلاص فرقتى القوزاق و الدررك من يد القيادات الأجنبيه و وضعها فى يد قياده إيرانيه تابعه لوزاره الحريه، و غير ذلك. و اتهم معارضيه بأنهم مأجورون للأجانب يحركونهم عليه لأن سياسته الوطنيه تناقض أطماع الأجانب و تمنعهم من فرض سيطرتهم على إيران. ثم أعلن الحاضرين بأنه يستقيل اليوم من مناصبه، و أنه سيرفع استقالته إلى الشاه بما هو قائد الجيش الأعلى.

فأجابته كبار الضباط على خطابه بالتفديه و إعلانه بولائهم المطلق و تبعيتهم التامه له حتى الموت. و قال أحدهم له فى جملة جوابه: إن استقلت أحرقتا المدينه بالنار! و لكن "رضا خان" أسكتهم، و أوصاهم بان يكون قيامهم بواجبهم الوطنى المقدس مقدما عندهم على كل اعتبار شخصى. ثم كرر إعلانهم باصراره على الاستقاله، و انصرف إلى منزله. و فى أثناء ذلك كان حاكم طهران العسكرى قد استقال من منصبه أيضا.

و فى نفس ذلك الصباح من ذلك اليوم صدر أمر عسكرى إلى جنود المخافر القائمه فى أطراف المدينه باخلاء مخافهم و التمرکز فى الثكنه العسكريه. و كذلك صدر أمر إلى حرس الدوائر الحكومه بترك مراكزهم و التمرکز فى الثكنه. و قامت فرق مسلحه من العسكر الفرسان و المشاه و المدفيعيين مع فرقه الموسيقى العسكريه تطوف فى شوارع المدينه، و مرت أمام المجلس النيابى. و فى الليل وقعت حوادث قتل و سرقات فى طهران و ما حولها من الضواحي، و استمرت متتابعه بضع ليال بعد ذلك، و عم الخوف المدينه. و قيل إن التحقيق أثبت أن حوادث القتل قام بها جنود ارتدوا الملابس المدينه.

و توالى هذا النشاط العسكرى، فأرسلت فور استقاله "رضا خان" برقيات من الثكنه المركزيه إلى ضباط الجيش و القوزاق

المقيمين في الولايات

ص: ١٩٤

بخبر الاستقاله و توصيات بتنظيم تظاهرات تأييد له و اعتراض على استقالته.

و على أثر ذلك عم الاضراب بعض هذه الولايات و المدن مثل "جیلان" و "لورستان" و "أنزلی" و "بروجرد" و "كلبايكان" و (قزوین) و غيرها.

و توالى برقيات من مختلف نواحي إيران على المجلس النيابي و رئاسه الوزاره و ولى العهد تطلب رفض استقاله "رضا خان".

و نشرت الصحف المؤيده لوزير الحربيه "رضا خان" مقالات عنيفه هددت بها المجلس باوخم العواقب إن قبلت استقالته، إلا أن الصحف المعارضه له هاجمته هجوما عنيفا وردت على التهديد بمثله.

المصالحة

و على هذا النحو أثبت "رضا خان" أن له قوه و سيطره لا تقاوم.

و وجد المجلس النيابي نفسه يواجه مشكله صعبه. فرأت أكثرية النواب أن أفضل طريقه لانهاء الخلاف هي معاملة "رضا خان" بالحسنى و مفاوضته على أساس المصالحة.

و استدعى ولى العهد "محمد حسن ميرزا" رئيس الوزاره "قوام السلطنه" و وزير الحربيه "رضا خان" و عقد ثلاثتهم اجتماعا يوم السادس عشر من مهر سنه ۱۳۰۱ هـ. ش. الموافق ۱۷ صفر سنه ۱۳۴۰ هـ. ق.

تقرر فيه أن يذهب "رضا خان" إلى المجلس النيابي و يعلن من على منبره أنه سيتقيد من الآن فصاعدا بمقتضيات القانون الأساسی، و يلغى الحكم العسكري، و يلحق بوزاره المالىه ما هو ملحق بوزاره الحربيه من الادارات المالىه. و فى يوم ۲۴ مهر سنه ۱۳۰۱ هـ. ش. حضر "رضا خان" جلسه المجلس النيابي و خطب على منبره و أعلن بعزمه على التقيد بهذه القرارات.

و استقبله رئيس المجلس و النواب بمظاهر التملق و التأييد و التعظيم و أعلن رئيس المجلس فى ختام الجلسه أن الأموال التى تخصص للجيش ستبقى كما كانت فى السابق لا تنقص، و إن تكن عائدات الممتلكات الحكوميه و عائدات بعض الضرائب التى كانت تحول إلى صندوق وزاره الحربيه قد أصبحت تحول إلى صندوق وزاره المالىه.

و عاد "أحمد شاه" من أوروبا و وصل إلى طهران يوم ۲۵ آذر سنه ۱۳۰۱ هـ. ش. الموافق ۲۷ ربيع الثانى سنه ۱۳۴۱ هـ. ق. و احتفلت إيران كلها بمقدمه احتفالا- عظيما بين مظاهر الزينه و الأضواء و تلقى من جميع الولايات برقيات بتهنئته و الترحيب به و إظهار الإخلاص و الحب له.

و كأنما أحس "رضا خان" أن فى هذا الترحيب الفائق إشاره إلى أن خطه الشاه فى رعايه الدستور و الحكم النيابي الديمقراطي هي الطريق إلى كسب قلوب الناس، لا- العنف و الإ-كراه. و من ثم غير سلوكه و تخلى عن الأساليب التى كان يتبعها فى عهد وزاره "مشير الدوله"، و حرص على أن يسعى إلى غاياته مراعيًا المظهر القانوني التام. و تقرب إلى حزب كان يعرف باسم "الحزب الاشتراكي" و صادق بعض رؤسائه.

و هكذا مضى "رضا خان" فى تحقيق خطته للوصول إلى غاياته بعزم ثابت و إرادته راسخه، يحسن المناوره و اغتنام الفرصه، و يزداد قوه يوما فيوما. أما علاقته بالانكليز فيدل عليها تقرير سرى مطول أرسله السفير الانكليزى فى طهران فى ٥ كانون الثانى سنه ١٩٢٣ م الموافق ٩ أدى سنه ١٣٠١ هـ. ش، و ٢٢ جمادى الأولى سنه ١٣٤١ هـ. ق. إلى نائب الملك فى الهند و فيه يشير السفير على نائب الملك بالاعتماد كليا على "رضا خان"، إذ أنه مطمئن إلى صدقه فى معاملتهم. و أن تقويتهم له تخفف عنهم عبء كثير من المسئوليات، و تمكينه من توحيد إيران حول مركزيه قويه يغنيهم عن معامله رؤساء العشائر المتعددى الأماكن و المشارب، إذ تصبح صلتهم مقتصره على جهاز واحد و مكان واحد فيسهل التعامل.

و فى تقرير آخر أرسله السفير الانكليزى إلى وزير خارجيه إنكلترا فى ٢١ أيار سنه ١٩٢٣ م الموافق ٣١ أربيهشت سنه ١٣٠٢ هـ. ش. يكرر السفير رأيه هذا. و يقول أيضا: إن "رضا خان" قد أصبح قادرا على ترؤس الوزارة و تعطيل المجلس النيابى و أن يحكم حكما ديكتاتوريا. بل أصبح قادرا على أن يخلع الأسره القاجاريه عن عرش إيران.

و فى ٢٧ دى سنه ١٣٠١ هـ. ش. الموافق آخر سنه ١٣٤١ هـ. ق. أقام وزير الحربيه "رضا خان" عرضا عسكريا فخما حضره الشاه و ولى العهد و سفراء الدول الأجنبية و جمهور غفير من الأهلين. فزاد هذا العرض فى مقامه.

استقاله قوام السلطنه

فى الخامس من شهر بهمن سنه ١٣٠١ هـ. ش. الموافق ٧ جمادى الثانيه سنه ١٣٤١ هـ. ق. استقالت وزاره "قوام السلطنه" الثانيه بسبب نزاع طويل كان لا ينفك ناشبا بينه و بين نواب الأقلية، و لا سيما النواب الاشتراكيون نزاع أتعبه حتى حمله على الاستقاله.

و رشح المجلس النيابى لخلافته "الميرزا حسن خان" الملقب بـ "مستوفى الممالك" (١)، فكلفه الشاه بتشكيل الوزارة. و انتهى من تشكيلها فى ٢٥ بهمن سنه ١٣٠١ هـ. ش. الموافق ٢٧ جمادى الثانيه سنه ١٣٤١ هـ. ق. و ظل "رضا خان" وزيرا للحربيه فيها.

و لكن "مستوفى الممالك" لم يلبث أن اضطر إلى الاستقاله فى ٢١ خرداد سنه ١٣٠٢ هـ. ش. مع أن أكثره المجلس كانت تؤيده. غير أن أقلية دأبت على مهاجمته و التشويش عليه. بل أن السيد "حسن المدرس" زعيم الأ-كثريه انحاز إلى الأقلية فعارضه. و ما زالوا به حتى ضجر، و أعلن استقالته فى إحدى الجلسات و خرج من المجلس غاضبا و تبعه سائر الوزراء إلا وزير الحربيه "رضا خان" فإنه ظل جالسا فى مقعده، مقعد الوزراء.

وزاره مشير الدوله

و فى ٢٤ خرداد سنه ١٣٠٢ هـ. ش. الموافق أواخر ذى الحجه سنه ١٣٤١ هـ. ق. كلف الشاه "الميرزا حسن خان بيرنيا مشير الدوله" بتشكيل الوزارة فشكلها فى ٢٦ خرداد سنه ١٣٠٢ هـ. ش. الموافق ١ ذى القعده سنه ١٣٤١ هـ. ق. و ظل "رضا خان" وزيرا للحربيه فيها. و لكنه تخلف عن مرافقه الوزراء حين حضروا عند الشاه بعد تأليف الوزارة كما هى التقاليد المتبعه. و تخلف أيضا عن الحضور إلى مكتب الوزارة مده يومين معذرا عن ذلك بالمرض.

١- من الوزراء و رؤساء الوزراء السابقين. و كلمه "مستوفى الممالك" كانت تعنى ما تعنيه كلمه "وزير المالىه" اليوم. و كان "الميرزا حسن خان" فى هذا المنصب فى زمن "ناصر الدين شاه". و ظل هذا اللقب ملازما له.

ذروه الصراع

تولى "مشير الدوله" رئاسه الوزاره و المجلس النيابى، المجلس الرابع، فى آخر أيام مدته. و لم يحضر "مشير الدوله" جلسه واحده هى آخر جلساته، عقدت فى ٧ ذى القعدة سنه ١٣٤١ هـ. ق. الموافق ١ تير سنه ١٣٠٢ هـ. ش.

و المجلس الجديد، المجلس الخامس، لم يجتمع بعد، و الانتخابات لم تكتمل فى بعض الولايات. و ما انتهى منها كان لتدخل العسكريين أثر فى تعيين نتائجه. و من ثم لم تكن انتخابات حره. و إن كان المجلس المنتهى قد منح ثقته للوزاره الجديده فان المجلس المقبل غير معلوم رأيه.

و فى تلك الحقبه كان "رضا خان" قد بلغ غايه بعيده من القوه و الاقتدار. فالشاه و المجلس و رئيس الوزاره مضطرون إلى مداراته و تحمله و الرضوخ لأوامره مع أنهم جميعا كارهون له موقنون بأنه لا يضمهم خيرا.

و كان "رضا خان" يتغيب أحيانا عن اجتماع الوزراء و ينوب أحد رجاله عنه. و حضر نائبه هذا يوما جلسه وزاريه. و فى أثناء البحث أغلظ الكلام ل "مشير الدوله" و لوح له بوجوب تنحيه عن رئاسه الوزاره.

و كان من عاده الملوك القاجاريين أن يعهدوا بولايه أذربيجان إلى ولى العهد و تكون إقامته فى عاصمتها تبريز كل مده ولايه عهده. و لكن "محمد حسن ميرزا" أخوا "أحمد شاه" و ولى عهده لم يتيسر له السفر إلى أذربيجان و الاستقرار فيها حسب السنه المتبعه بسبب غيبته فى أوروبا بعد انقلاب سنه ١٢٩٩ هـ. ش. ثم اضطاره بعد ذلك إلى البقاء فى طهران نائبا عن الشاه بعد سفر هذا إلى أوروبا. و فى عهد وزاره "مشير الدوله" هذه تقرر أن يسافر ولى العهد إلى أذربيجان حسب السنه المتبعه. و صدر مرسوم ملكى بذلك.

و هيئت وسائل السفر و عينت الحاشيه التى ترافقه، و عين موعد السفر رسميا. و فى الموعد المعين خرج الشاه لوداع ولى عهده، و خرج رئيس الوزاره و غيره لوداعه أيضا، و إذا بوزير الحريه "رضا خان" يبلغ الشاه و الوزراء بلهجه تهديد أنه غير موافق على سفر ولى العهد و يضطروهم إلى إيقاف سفره. و عاد ولى العهد إلى بيته. و بعدئذ عاتب الشاه "رضا خان" على هذا العمل، فأجابته بان صاحب الجلاله لم يستشرنى فى موضوع تعيين ولى العهد لولايه أذربيجان. و لو أنه استشارنى لما وافقت عليه لأنى لا أرى فيه صلاحا.

اعتقال قوام السلطنه

كان "رضا خان" يطوى طريقه إلى غايته خطوه خطوه بعزم راسخ و بصيره نافذه و ذكاء خارق و جرأه نادره. و فى ٢٧ صفر سنه ١٣٤٢ هـ. ق. الموافق ١٦ صفر سنه ١٣٠٢ هـ. ش. أقدم على عمل جرىء جدا كان خطوه حاسمه فى تقرير مصيره. فقد أمر بجلب رئيس الوزاره الأسبق "قوام السلطنه" إلى وزاره الحريه ثم أمر بتوقيفه فى السجن. و حجته فى ذلك اكتشاف جمعيه إرهابيه سريه أنشأها "قوام السلطنه" غايتها اغتيال "رضا خان". و نظم المحققون فى هذه القضيه محضرا مطولا مفصلا ذكروا فيه أن تحقيقهم فى بعض حوادث الإخلال بالأمن أدى بهم إلى اكتشاف هذه الجمعيه. و يحلل بعض المؤرخين (١) هذه الوقاعه على هذا النحو:

كان "قوام السلطنة" خصما قويا لـ "رضا خان" فأراد إبعاده عن ميدان السياسة الإيرانية. فيتخلص منه من جهة، و يربع خصومه الآخرين من جهة أخرى. و لم يكن "رضا خان" يخشى معارضة السوفيات و الإنكليز لابعاده، بل كان يعلم أن إبعاده يرضيهم. فالسوفيات غير راضين عنه و يعدونه خصما لهم. و لهم على ذلك أدله، منها قطعه، يوم كان رئيسا للوزارة، مفاوضات كانت جارية بينهم و بين إيران لعقد اتفاقية تجاريه كانت ضروريه للاتحاد السوفياتي و أمور أخرى ياخذونها عليه. و كانت إذاعه موسكو تنتقد سياسه "قوام السلطنة" و تعدها مضره بالاتحاد السوفياتي.

و الإنكليز أيضا غير راضين عن "قوام السلطنة" لأنه سعى سعيا مشمرا إلى تحقيق التوازن بين تطلعات السياسه الأجنبيه في إيران، فادخل في ميدان السياسه الإيرانيه منافسا جديدا للإنكليز هو أميركا. فقد منح امتياز استخراج نפט الشمال لشركة أميركيه و استقدم خبراء أميركيين للعمل في بعض الوزارات.

و كان "رضا خان" مرضيا عنه عند الإنكليز و السوفيات كليهما. أما الإنكليز فيظهر رأيهم فيه من تقريرى السفير الإنكليزى اللذين أرسلهما إلى نائب الملك في الهند و وزير خارجيه بريطانيا. و قد مر ذكرهما. و أما السوفيات فان مقاومه "رضا خان" لـ "قوام السلطنة" قد قربت "رضا خان" إليهم إذ عدوه خصما لخصمهم. و كان "رضا خان" قد أحكم صلته بزعماء اليسار من الايرانيين، و منهم النائبان "سليمان ميرزا" و السيد "محمد صادق الطباطبائي". و هؤلاء كانوا على صله دائمه بالسفاره السوفياتيه. و قد أقنعوا السفير بحسن نوايا "رضا خان" (٢).

بل يذهب هذا المؤرخ إلى أبعد من ذلك. فيؤكد أن "رضا خان" عرض في السر على السفاره السوفياتيه موضوع اعتقال "قوام السلطنة" فوافقوه، و شجعوه على اعتقاله. و يذكر أن السفير السوفياتي زار عند غروب اليوم الذى سبق يوم اعتقال "قوام السلطنة" الزعيم الاشتراكي النائب السيد "محمد صادق الطباطبائي"، و هو من أشد خصوم "قوام السلطنة"

ص: ١٩٦

١- حسين مكى فى كتابه "تاريخ بيست ساله إيران" (عشرون سنه من تاريخ إيران).
٢- ذكرنا فيما تقدم بعض ما كتبه أبو القاسم لاهوتى الذى كان فى تلك الأيام شيوعيا عريقا فى شيوعيته ثم ارتد بعد ذلك بزمن عن الشيوعيه - ذكرنا بعض ما كتبه فى مذكراته عن أحداث تلك العهود، و نشر هنا شيئا آخر مما كتبه. قال لاهوتى فى الصفحه ٤١: "إن تولى رضا خان الحكم قد غير فى الواقع هذه الحاله تغييرا تاما بحيث يمكن من الجبهه الواحده اعتبار مجيئه للحكم كرد فعل قوى أمام ملوك الطوائف. و منه الجبهه الثانيه كحركه تحريره للأحرار ضد الاستعمار. و على كل فقد استقر الرأى النهائى على أنه لما كان جهاز الحكم الفاجارى الفاسد لا بد من انهياره فان هذا التحول يعتمد فى حد ذاته خطوه نحو هدف الاشتراكيه. و كنا فى الوقت نفسه نغذى الروح العدائيه للإنكليز نسعى لنشرها بين الناس و كان موظفونا فى إيران يشيعون بين الشعب أن المعارضين لرضا خان هم خدمه الاستعمار البريطانى. و صدرت الايعازات إلى الحزب الشيوعى الايرانى بوجوب تأييد رضا خان كما أوعز إلى أحس موظفينا فى إيران سليمان ميرزا اسكندرى و كان يومئذ نائبا فى البرلمان أن يتخذ التدابير اللازمه فى هذا الشأن و قد تسلم اسكندرى بواسطه أخيه عباس اسكندرى مبالغ طائله من منظمه (كى. بى. أو) و كان يدفع قسما منها إلى النواب الذين يتعاونون معه. لم يكن سليمان ميرزا اسكندرى على وفاق مع رضا خان و لهذا كان ينفذ الأوامر الصادره

إليه مكرها و علي كل فقد صوت و خمسة عشر نائبا لرضا خان فتم بذلك انتخاب رضا خان ملكا علي إيران".

مخاصمه له، فى منزله و بادره السفير بقوله: "البشاره! غدا يعتقل قوام السلطنه". ثم ذهبا كلاهما، السفير و الطباطبائى و معهما ترجمان السفاره إلى منزل الزعيم الاشتراكى الآخر النائب "سليمان ميرزا" و مكثوا عنده مده.

و يذكر المؤرخ أيضا أنه سال بنفسه السيد "محمد صادق الطباطبائى" عن هذا اللقاء فأثبتته و لم يكذبه. سوى أن استدرک بقوله: لقد آلمنى هذا الخبر ساعه سمعته من السفير. و قلت فى نفسى: إنى، و إن كنا نخالف قوام السلطنه، لا أرى مناسبه تحمل الأجانب على أن يعدوا اعتقاله سببا إلى سرورنا يقتضى تهنئتنا!

نفى قوام السلطنه

قرر "رضا خان" إبعاد "قوام السلطنه" عن إيران. و اضطر رئيس الوزراء "مشير الدوله" و اضطر الشاه إلى موافقته. و أصدر "مشير الدوله" بلاغا بان "قوام السلطنه" التمس أن يؤذن له بالسفر إلى أوروبا للاستشفاء، و أن الشاه أمر وزير الحريه بالسماح له بالسفر، و أمره أيضا بان يصرف النظر عن حقه فى متابعه التحقيق، و أن وزير الحريه امتثل للأمر الهمايونى.

و الحق "رضا خان" وزير الحريه بهذا البلاغ بيانا بأنه امتثل لأمر جلاله الملك، و أنه نزل عند طلب الهيئه الوزاريه منه أن يتنازل عن حقه فى معاقبه "قوام السلطنه"، و أن أمر دائره الشرطه بنشر المحضر المدونه فيه نتائج التحقيق فى هذه القضيه ليكون الناس على بينه منها و ينتقى من الأذهان كل ما يمكن أن ينشأ من أوهام عنه مما يشيعه أصحاب الأغراض الخاصه.

ثم أطلق سراح "قوام السلطنه" بعد أن أوقف فى السجن بضعه أيام، و أمر بالتهيؤ للسفر. و فى ٣١ مهر سنه ١٣٠٢ هـ. ش. سافر من طهران إلى بغداد و منها إلى أوروبا.

استقاله مشير الدوله

أصبح تحدى "رضا خان" للوزاره صريحا. من ذلك إقدام بعض ضباط العسكر على إنذار "مشير الدوله" و غيره من الوزراء بان يستقيلوا و إلا فعلوا و فعلوا! و فى يوم ٢٩ مهر سنه ١٣٠٢ هـ. ش. الموافق ١١ ربيع الأول سنه ١٣٤٢ هـ. ق. و ٢٢ تشرين الأول سنه ١٩٢٩ م رفع "مشير الدوله" استقالته إلى الشاه. و فى اليوم التالى تبعه سائر الوزراء.

إبعاد علماء العراق

و فى عهد وزاره "مشير الدوله" هذه نفى الإنكليز حوالى ثلاثين عالما من رجال الدين من العراق إلى إيران لمقاومتهم احتلال الإنكليز للعراق.

و منهم أكبر مراجع الشيعه يومئذ: السيد أبو الحسن الأصفهانى و الميرزا حسين النائينى. و وصلوا كرمانشاه فى ١٥ تير سنه ١٣٠٢ هـ. ش. الموافق ٢٢ ذى القعدى سنه ١٣٤١ هـ. ق. و منها إلى طهران. و قد تلقاهم الشاه و الحكومه و الشعب من ساعه وصولهم إلى الحدود حتى دخولهم العاصمه، باستقبال فى منتهى الحفاوه و الإكرام و التعظيم.

وزاره رضا خان

حاول الشاه إقناع مشير الدوله باعاده تشكيل الوزاره فرفض. و كلف غيره من رؤساء الوزاره السابقين المعتمدين فلم يقبل التكليف أحد منهم. إذ كان قبول أحدهم تشكيل الوزاره يعنى تحدى "رضا خان". و ليس لأحد منهم قبل بتحديه، فقد بلغت قوته العسكريه مبلغا مكنه من فرض إرادته على الشاه، فمنعه من نصب ولى عهده واليا على أذربيجان و أجبر ولى العهد على التزام بيته، و مكنه من نفى "قوام السلطنه" من إيران، و مكنه من فرض إرادته على "مشير الدوله" و إرغامه على الاستقاله. و لم يبق أحد يجرؤ على تولى رئاسه الوزاره غير "رضا خان" فاضطر "أحمد شاه" إلى تكليفه بتشكيل الوزاره، و هو كاره.

و صدر مرسوم الشاه بتعيين "رضا خان" رئيسا للوزاره فى ٣ آبان سنه ١٣٠٢ هـ. ش. الموافق ١٦ ربيع الأول سنه ١٣٤٢ هـ. ق. و ٢٧ تشرين الأول سنه ١٩٢٣ م.

سفر الشاه إلى أوروبا

و فى نفس ذلك اليوم نشر رئيس الوزاره الجديد بلاغا أعلن فيه أن الشاه قرر السفر إلى أوروبا للاستشفاء. و نشر مع هذا البلاغ بلاغ الشاه بعزمه على السفر و تعيين يوم ٢٤ ربيع الأول سنه ١٣٤٢ هـ. ق. الموافق ١١ آبان سنه ١٣٠٢ هـ. ش. موعدا له. و بعد يومين انتهى "رضا خان" من تشكيل وزارته.

و فى ٢١ ربيع الأول سنه ١٣٤٢ هـ. ق الموافق ٨ آبان سنه ١٣٠٢ هـ. ش. ذهب "أحمد شاه" إلى مدينه قم لوداع مراجع الدين قبل سفره إلى أوروبا. فقام أولا- بزياره مقام السيده "معصومه". ثم استقبل العلماء المراجع فى ساحه المقام. ثم عاد فى نفس اليوم إلى طهران. و كان "رضا خان" فى معيته.

و فى ٢٢ ربيع الأول سنه ١٣٤٢ هـ. ق الموافق ٩ آبان سنه ١٣٠٢ هـ. ش. أقامت وزاره الحربيه عرضا عسكريا فى أحد ميادين طهران اشتركت فيه كل الفرق العسكريه و حضره "أحمد شاه" و سفراء الدول الأجنبيه و كبار موظفى الدوله.

و فى ٢٤ ربيع الأول سنه ١٣٤٢ هـ. ق. الموافق ١١ آبان سنه ١٣٠٢ هـ. ش. سافر "أحمد شاه" إلى أوروبا، و رافقه رئيس الوزاره "رضا خان" إلى الحدود.

و نشر "رضا خان" حين صدور المرسوم الملكى بتعيينه رئيسا للوزاره بيانا لخص فيه برنامجه بأمرين اثنين: المحافظه على حقوق المملكه و إنفاذ القانون.

توسع سيطره رضا خان

كان تحضير العشائر إحدى غايات "رضا خان". و لكنه سلك إلى هذه الغايه المحموده طرقا منكره، كالاغاره على خيام العشائر بالقنابل و تقتيلهم و تشريدهم و شتى زعمائهم و سجنهم و نهب أموالهم كما فعل فى "لورستان" و غيرها. على حين كان ميسورا له الوصول إلى غايته بالعمل السلمى و استغلال شجاعه رجال العشائر و مروءتهم لخير الوطن. فوجودهم فى مجتمع بدوى ولدوا و نشاوا فيه على غير إرادته منهم لم يكن ذنبا يؤاخذون عليه. و المضار المترتبه على هذا المجتمع يجيب أن تتلافى بالإرشاد و التوجيه و التأنى و المداراه و تهيتها أسباب الحضاره لهم. و حركات العصيان التى كانوا يقومون بها انسياقا مع طبيعتهم البدويه

يجب أن تقابل بالمسامحه و التفاهم

ص: ١٩٧

و العذر و فوق هذا كانت لهؤلاء العشائر سوابق حميده فى حفظ الثغور و الحدود.

و حين تولى "رضا خان" رئاسه الوزاره كانت الحرب التى شنها على قبائل اللور سنه ١٣٠١ هـ. ش. و ١٣٤٠ هـ. ق، يوم كان وزيراً للحريه فى وزاره "قوام السلطنه"، لا تزال قائمه على أشد ما تكون.

و من تلك العشائر التى أراد "رضا خان" إخضاعها قبيله كرديه اسمها "شكاك". كانت تسكن فى ناحيه "ماكو" على الحدود بين إيران و تركيا و روسيا و عرف رجالها بالشجاعه و من هذه العشيره أسره من الخانات ما زالت تتولى رئاستها من عهد الملوك الصفويين، و فى عهدتها حمايه الحدود. و لها سوابق فى محاربه الروس و الأتراك و حفظ ثغور تلك الناحيه. و لما عقدت معاهده الصلح المعروفه بمعاهده "گلستان" بين إيران و روسيا اتفقت كل من إيران و روسيا و تركيا على ترك الخيار لخانات "ماكو" يلتحقون بمن شاءوا من الدول الثلاث. و قد اختار هؤلاء الخانات الانضمام إلى إيران.

و كانت إنعامات الملوك تتوالى على هؤلاء الخانات فى عهد الصفويين فكنزوا ثروه ضخمه من النقد و التحف و الجواهر يتوارثونها خلفا عن سلف.

و اشتهر أمر هذه الثروه حتى ضرب بها المثل و بلغ الحديث عنها إلى أن قيلت فيها الأساطير. و كانوا أهل عمران جعلوا من قصبه "ماكو"، و هى عاصمه إقليمهم، بلده زاهيه بالعمارات الجميله المزخره، و حشدوا لذلك مجموعه من الصناع المهرة جلبوهم من روسيا. و استعملوا الاسمنت قبل أن تعرفه طهران نفسها. و مدوا إلى أبنيتهم أنابيب المياه و زودوها بالمداغى الحديدية. و احتكروا نوعاً ممتازاً من الغنم لا يسمحون لغيرهم أن تتسل غنمه منها. لقد كانوا، فى الواقع، شبه دوله مستقله يرتبطون بإيران بالاسم.

و لكن علاقتهم بالحكومه الإيرانيه كانت، بوجه الإجمال، حسنه دائماً.

و كانت كذلك يوم تولى "رضا خان" الوزاره ثم رئاسه الوزاره.

و اتفق أن عزم "رضا خان" على التنكيل بالاسره الحاكمه فى "ماكو" وقت كلف بتشكيل الوزاره. و كان الخان الحاكم يومئذ فى ذلك الإقليم اسمه "مرتضى قلى خان" إقبال السلطنه. و كان رجلاً لبقاً حسن المعشر متخلقاً بأخلاق مدنيه. فأوعز "رضا خان" فى السر، إلى "عبد الله خان طهماسبى" والى أذربيجان العسكرى باستدراجه بالخديعه إلى تبريز و اعتقاله. و كانت بين الوالى و "إقبال السلطنه" معرفه و صداقه. فدعاه الوالى إلى تبريز لمباحثته فى أمر خاص. فأجاب دعوته غافلاً عما يراد به. فلما وصل بادر الوالى إلى اعتقاله و ألقاه فى السجن. و بعد مده قليله مات مسموماً فى السجن.

و أغار الجند على خزائنه فنقلوها كلها إلى طهران. و لم يعلم مصيرها بعد ذلك. و أراد النائب السيد "حسن المدرس" مره أن يستجوب وزاره "رضا خان" عن مصير خزائن "إقبال السلطنه" هذه فأثيرت ضجه مصطنعه فى داخل المجلس و خارجه طمست استجوابه. و لم يجرؤ بعدها أحد على إعاده الكره. و قيل إن الإنكليز صادروها من يد "رضا خان" و نقلوها إلى إنكلترا يوم خلعوه عن العرش و نفوه إلى جزيره "موريشس" فى أوائل الحرب الكونيه الثانيه. و نشر رئيس الوزاره "رضا خان" بياناً عنف فيه من سبقه من الحكام المنقادين لسياسه الأجنبي و أزرى بالمتوسلين بالأجانب المؤتمرين بأمرهم من أجل حفظ منافعهم

الخاصه. و أن هذه السياسه أدخلت الفساد فى خلق الأمه الإيرانيه و الضعف فى شعورها الوطنى.

ثم نشر بلاغا آخر أنذر به المتظلمين بان كل شكوى و كل تظلم ينشر بواسطه الجرائد و المطبوعات لن يسمع و لن يعتنى به، و على كل شاك و كل متظلم أن يرفع ظلامته بمعامله رسميه قانونيه إلى مراجعها الحكوميه المسئوله. و حظر على موظفى الدوله أن يعرضوا شكواهم و تظلماتهم بواسطه النشر فى الجرائد أو بوسيله أخرى غير الوسائل المقرره قانونيا لهذه الأمور.

فمن خالف حوكم و عوقب بشده.

ثم حقق حلمه القديم بالسيطره على إداره الشرطه فعزل رئيسها السويدي و عهد برئاستها إلى أحد أعوانه. و بذلك سيطر على جميع القوى العسكريه.

محاولة انقلاب جمهورى

قبيل افتتاح المجلس النيابى الجديد ظهرت فى بعض الصحف المواليه لرئيس الوزاره "رضا خان" كتابات تقارن بين "أحمد شاه" و غيره من ملوك العصر، و فيها انتقاد له. و أرسل "رضا خان" اثنين من رجاله إلى أوروبا و أمرهما بان يحصلوا على صورته ل "أحمد شاه" و هو معتمر القبعه الفرنجيه ليذيعها بين الناس فتسوء سمعه الشاه، إذ كان اعتمار هذه القبعه يومئذ بعد خروجها على الآداب الإسلاميه.

و قوى نشاط طلاب النظام الجمهورى من النواب و غيرهم بين الناس. و كلهم كانوا من أنصار "رضا خان" و هى قرائن تدل على أن "رضا خان" كان يمهّد لانقلاب جمهورى. يوصله إلى رئاسه الجمهوريه.

بل بلغ الأمر إلى أبعد من هذا. فقد هيا طلاب النظام الجمهورى نقدا ذهبيا و فضيا مضروبا باسم الجمهوريه ليكون عيديه رئيس الجمهوريه للمعايدين يوم النوروز، و كان هذا العيد قريبا. و حملت الأجهزه العسكريه المنتشره فى مختلف الولايات فريقا من الأهالى على إرسال برقيات إلى المجلس النيابى يعلنون بها رفضهم للأسره القاجاريه.

و استطاع "رضا خان" الحصول على موافقه أكثرية النواب له. فقد كان فريق منهم من طلاب النظام الجمهورى فى الأصل. و فريق منهم انتخب بجماعه العسكريين، و فريق استجلب بالوعد و الوعيد. و بقى المعارضون للانقلاب أقلية فى مقدمتهم النائب الجريء العالم المجتهد السيد "حسن المدرس".

و افتتح المجلس الجديد فى اليوم الخامس من رجب سنه ١٣٤٢ هـ. ق. الموافق ٢٢ بهمن سنه ١٣٠٢ هـ. ش. بخطاب من "محمد حسن ميرزا" ولى العهد و نائب الملك. و كان عرض موضوع تغيير النظام الملكى بنظام جمهورى على المجلس قد أصبح أمرا ثابتا.

و شرعت الأقلية المعارضه تأخذ الأمر بالمناوره و المداوره و تعويق مقدمات استقرار المجلس لتتاح لها زياده فى الوقت. و فى يوم ٢٧ إسفند سنه ١٣٠٢ هـ. ش. الموافق ١١ شعبان سنه ١٣٤٢ هـ. ق. عقد المجلس ماكو: ولايه فى أقصى الشمال الغربى من إيران تقع على حدود ما كان يسمى الاتحاد السوفياتى.

النيابي جلسته الخامسة. و في أثناء توقف الجلسة للاستراحة أقدم أحد النواب المؤيدين لرئيس الوزراء "رضا خان" على صفع النائب المعارض السيد "حسن المدرس". فأحدث هذا العمل استياء و استنكارا عاما في الناس، إذ كان المدرس من أوسع السياسيين شعبيه و أطيهم سمعه محبوبا موثوقا به عند الناس. و قد سئل مره: لما ذا تعارض النظام الجمهوري؟ فقال: أنا لا أخالف الجمهوريه الحقيقيه. و قد كانت الحكومه في صدر الإسلام جمهوريه. و لكن هذه الجمهوريه التي يريدون فرضها علينا لم تنبعث من إرادته الأيمه الإيرانيه بل إن الإنكليز يريدون فرضها على هذه الأيمه ليقيموا في إيران حكومه تابعه لارادتهم عامله باوامرهم. و كل ذنب أحمد شاه هو أنه رفض معاهده ١٩١٩ م و قاوم تدخلات الإنكليز في شؤون إيران. و لو كان المرشح لقياده الجمهوريه وطنيا حرا لما عارضته.

و أحدث ضرب المدرس أيضا استياء في المجلس النيابي. فتراجع بعض نواب الأكثرية عن تأييدها استنكارا للحادث و انضموا إلى الأقلية المعارضه.

و استقال نائب من أكثر النواب وجاهه هو الشاعر "محمد تقى" المعروف باسم "بهار" و الملقب ب "ملك الشعراء"، استنكارا لضرب المدرس.

و في يوم ٢٨ إسفند سنه ١٣٠٢ هـ. ش، و هو آخر شهور السنه الإيرانيه الهجريه الشمسيه أقدم "رضا خان" على إبلاغ الأسره القاجاريه نيته على خلعه عن عرش الحكم صراحه، إذ أرسل من قبله وفدا إلى ولي العهد نائب الملك "محمد حسن ميرزا" يطلب منه الاستقاله من منصبه، فرفض.

فأعاد "رضا خان" الوفد إلى ولي العهد مره ثانيه لحمله على الاستقاله بالرضا أو بالإكراه. و لكن ولي العهد ظل ثابتا على رفضه و لم يبال بتهديدهم.

و في عصر ذلك اليوم نفسه قامت جماعه من طلاب الجمهوريه و معهم جماعه من رجال "رضا خان" و جماعه من العسكر، و قد ارتدى هؤلاء فوق بزاتهم العسكريه قمصانا حمراء، بمظاهره سارت إلى مبنى المجلس النيابي و رفعوا أصواتهم بطلب النظام الجمهوري، و خطب فيهم بعض معاريف السياسه خطبا مهيجه مظهرين نفورهم من ملك القاجاريين مطالبين بإقرار النظام الجمهوري.

و في ذلك اليوم اجتمع كل رؤساء الدوائر الوزاريه و مدير و الوزارات العامون و ذهبوا إلى "رضا خان" و أعلنوه برفضهم لملك العائله القاجاريه و مطالبتهم بالنظام الجمهوري. و نظم سجل في كل مكتب من مكاتب الوزارات، و طلب من موظفيه تسجيل أسمائهم فيه على أنهم من طلاب النظام الجمهوري. بل ذهب بعض موظفي البلاط نفسه إلى منزل رئيس الوزراء "رضا خان" و أعلنوه بتأييدهم للنظام الجمهوري.

و في ذلك اليوم أيضا (٢٨ إسفند سنه ١٣٠٢ هـ. ش) سارت مظاهره تجوب أنحاء طهران، و قد ارتدى المتظاهرون لباسا أحمر و حملوا رايات حمراء كتبوا عليها "زنده باد جمهوري" (عاشت الجمهوريه).

و سارت عده من السيارات كسيت أغشيه حمراء و رفعت عليها رايات حمراء تطوف شوارع المدينه و تنشر على الناس مناشير

بطلب النظام الجمهورى.

و صدر أمر بتعطيل كل المؤسسات الحكوميه من ظهر ذلك اليوم إلى المساء على أن يشارك موظفوها فى مظاهرات طلب الجمهوريه.

من جهه أخرى نهض المعارضون للنظام الجمهورى من كل الطبقات يعلنون برفضهم لهذا النظام. فأخذوا يفتدون جماعات جماعات إلى بيوت المراجع الدينيه صاخبين مستنكرين، و يتداولون الحديث و المذاكره فى تهيئه وسائل المقاومه. و فى عصر كل يوم يتجمعون فى مسجد الشاه حيث تلقى خطب مهيجه بالتنديد بالنظام الجمهورى و رئيس الوزاره "رضا خان" و المؤيدين له من النواب. و فى يوم ٢٨ إسفند سنه ١٣٠٢ هـ. ش. بلغ عدد المتجمهرين فى مسجد الشاه حوالى ثمانيه آلاف. و انتشر نبا ضرب السيد "حسن المدرس" فى المدينه بمثل دوى الرعد. فازدادت الخواطر هياجا و تضاعفت الكراهيه للجمهوريه و طلابها.

و فى ذلك اليوم أيضا (٢٨ إسفند سنه ١٣٠٢ هـ. ش) حاولت جماعه من الجمهوريين إكراه التجار على تعطيل الأسواق (١) لاطهارها بمظهر المؤيد للنظام الجمهورى فلم تفلح. و رد عليهم التجار بالجفاء و الرفض.

و فى اليوم التالى (٢٩ إسفند سنه ١٣٠٢ هـ. ش) عاود الجمهوريون المحاولة. و جرى نقاش عنيف بينهم و بين التجار. و جر النقاش إلى العراك. و أطلق الجمهوريون بضع عبارات ناريه. و حضر رئيس الشرطه مع جماعه من رجاله إلى السوق، و أمر بسد أبواب المساجد المهمه - و مسجد الشاه الكبير يقع بالقرب من السوق - و فى أثناء ذلك حضر إلى السوق الشيخ "محمد الخالصى"، و هو فى طريقه إلى مسجد الشاه للصلاه، و معه جماعه منهم الواعظ الشيخ "حسين اللكرانى"، و كان هذا قد دأب على الحضور إلى المسجد كل يوم يخطب منددا بالجمهوريه و الجمهوريين. و إذ وجد الخالصى باب المسجد مغلقا و شاهد الشرطه فى السوق أيقن أنه معتقل لا- محاله. فما كان منه إلا أن بسط عباءته فى وسط السوق و أمر مرافقيه برفع الأذان و وصف قدميه للصلاه. و سمع البازاريون صوت الأذان فقصدوه و اصطفوا وراء الخالصى يأتون به. و ما زالوا يقبلون و يصطفون للصلاه حتى تشكلت منهم جماعه كبيره. فما انتهت الصلاه حتى كان عدد المجتمعين حوالى ثمانيه آلاف. فخطب فيهم الخالصى و ندد بالجمهوريه و الجمهوريين و النواب المؤيدين لهم، ثم دعا هذا الجمهور إلى الذهاب إلى المجلس و إعلان مخالفتهم للنظام الجمهورى فأجابوه كلهم. و لم يتعرض لهم رجال الشرطه إذ كان تفريقهم فوق طاقتهم. و ساروا إلى المجلس. و هناك دخل الخالصى إلى غرفه رئاسه المجلس و طلب الاجتماع بالنواب لابلاغهم إرادته الجمهور. و كان النواب فى جلسه رسميه. و بلغ خبر مجيء الخالصى إلى بعضهم. فخرج بضعه نواب من الجمهوريين من جلسه و دخلوا على الخالصى و تناولوه بالضرب.

و شيئا فشيئا تسرب الخبر بان الخالصى يضرب فى داخل المجلس إلى الجمهور فى الخارج فثاروا و حاولوا اقتحام المجلس من كل منافذه. و عندئذ اضطر الضاربون إلى إطلاق الخالصى فخرج من المجلس.

و حين علم رئيس المجلس بالواقعه عرض القضيه فورا على النواب و تقرر إبلاغ الجمهور أن المجلس عين عصر يوم الثانى من شهر فروردين، سنه ١٣٠٣ هـ. ش، أى بعد ثلاثه أيام موعدا لاستقبالهم و مباحثتهم فى مطالبتهم. و رفعت جلسه.

و فى ذلك اليوم أيضا (٢٩ إسفند سنه ١٣١٢ [١٣٠٢] هـ. ش) أعاد "رضا خان" محاولته حمل ولى العهد على الاستقاله، فأرسل إليه الوفد الذى أرسله فى اليوم السابق، و مناه بالعود ليقنعه بالحضور إلى المجلس النيابى و الإعلان باستقالته من منصبه. فكان جواب ولى العهد أن قولوا لـ "رضا خان": "طريقك إلى تخت السلطان إنما يكون على جثتى! فأعاد "رضا خان" الوفد إليه فى نفس اليوم ليبلغه أن لا بد من خروجه من قصر "گلستان" (القصر الملكى).

فاستدعى ولى العهد رئيس المجلس و بعض النواب فى نفس ذلك اليوم إلى قصره و اختلى بهم. فلما خرجوا من عنده أمر رئيس المجلس بعقد المجلس النيابى، فانعقد منذ غروب الشمس و افتتح رئيس المجلس الجلسة، و قد بدت عليه مظاهر الغم و الحزن، بقوله إن صاحب السمو ولى العهد استدعانى و بعض النواب، و قال لنا: لقد طلب منى الخروج من القصر الملكى. و إذ كنت ولىا للعهد فى حكومه دستوريه نيابيه فانا أستطلع رأى المجلس النيابى فى هذا الموضوع. و عقب رئيس المجلس بقوله: و لهذا أعرض القضية على الساده النواب.

و تلقى المجلس كلمه الرئيس بالوجوم و الدهشه. ثم قطع أحد النواب السكوت بكلمه وافق بها على إقاله ولى العهد، و صاغها بأسلوب فيه سخرية منه.

و ترددت بعده مناقشات بين مؤيد و معارض. إلى أن تجرأ أحد النواب المعارضين و سال رئيس المجلس: و من ذا الذى طلب من سمو ولى العهد الخروج من القصر الملكى؟ فسكت الرئيس و لم يجاب بشىء. و لكن أحد النواب الجمهوريين رد عليه بكلمه شتم فيها الأسره القاجاريه، و هدد بقوله: إن لم يخرج القاجاريون من عمارات الحكم أخرجهم غدا الناس و طلاب الجمهوريه بالقوه و اجتثوا أصول الفساد منها. ثم تكلم آخرون من الطرفين و انفضت الجلسة بلا نتيجة.

و فى ٣٠ إسفند سنه ١٣٠٢ هـ. ش الموافق ١٤ شعبان سنه ١٣٤٢ هـ. ق. عقد المجلس النيابى جلسه تقرر فيها تعيين عصر اليوم الثانى من شهر فروردين سنه ١٣٠٣ هـ. ش. موعدا للبت فى موضوع إلغاء النظام الملكى و إقرار النظام الجمهورى.

و أخذ الناس فى ذلك اليوم يفتدون إلى ساحه المجلس من الساعه الثانيه بعد الظهر، و فى مقدمتهم العلماء رجال الدين و الرؤساء، و كان هؤلاء يقصدون إلى غرفه رئاسه المجلس فيجلسون فيها و يبقى الآخرون فى الساحه الخارجيه و ظل الناس يتوافدون حتى اكتظت الساحه بهم. و أمر الحرس باغلاق الباب الخارجى، و لكن الوافدين لم يمكنهم و أبقوا الباب مفتوحا بالقوه. و تكاثر الناس يفتدون جماعات جماعات و كل جماعه منهم ترفع علامه خاصه تدل عليها. و كان الشعور الغالب ينذر الجمهوريين بالشر. فالمظاهر كلها تدل على أن الغالبية تخالف الجمهوريه. و رفع بعض المواكب شعار "زنده باد أحمد شاه مرده باد جمهورى" (عاش أحمد شاه. تبت الجمهوريه). و انتشر الخطباء بين الجمهور ينددون بالجمهوريه و الجمهوريين و يعلنون بالتأييد للأسره القاجاريه. حتى اليهود شكلوا مظاهره و لما وصلوا إلى مكان التجمع أخذوا يهتفون "نتبع القرآن. نرفض الجمهوريه" و احتشد الناس احتشادا عظيما و امتد حشدهم فى مسافات بعيدة فى كل الشوارع و الميادين المتصله بالمجلس النيابى. فما حانت الساعه الرابعه حتى أصبح احتشاد الناس هائلا ينذر النواب الجمهوريين بعاقبه وخيمه. و استنجدوا بالتلفون بمرشحهم المنتظر لرئاسه الجمهوريه "رضا خان" و طلبوا منه الحضور إلى المجلس لتعيين تكليفهم.

و كان "رضا خان" قد استعد لهذا الحادث، إذ كان يحتمل وقوعه، و هيا فرقه مسلحه من العساكر، و فيها جماعه من الأرمن.

فأمرهم بالذهاب إلى دار المجلس النيابي. و في منتصف الساعه الخامسه كان هؤلاء العساكر يحاصرون المجلس من جميع أطرافه. و شق ٣٥٠ جنديا من القوزاق عند باب المجلس الخارجى طريقا بين الجمهور ليمر منها "رضا خان" إلى داخل المجلس. ثم وصل "رضا خان" يرافقه جماعه من ضباط القوزاق و رئيس الشرطه فمروا بين صفين من العسكر و دخلوا دار البرلمان. و حين مرورهم تعالى الهتاف من الجمهور "تبت الجمهوريه!". و رأى "رضا خان" واعظا يخطب الناس منددا بالجمهوريه فضربه بسوط كان فى يده و أمر بانزاله عن مكان الخطابه. عندئذ رمى أحدهم "رضا خان" بحجر فأصابه فى ظهره.

و أمر "رضا خان" العسكر بتفريق الناس بضربهم بالحرا، ثم مضى فى طريقه إلى داخل المجلس. و وقعت معركه داميه كان سلاح الأهالى فيها فروع الأشجار القائمه فى حديقته المجلس. و قتل فريق منهم و جرح آخرون.

و وصل الخبر إلى رئيس المجلس فخرج يستطلع فالتقى على الدرج المؤدى إلى داخل المجلس ب "رضا خان". فبادره غاضبا بقوله: أى شىء هذا! لما ذا تضرب الناس فى بيت هو بينهم بسلاح هو سلاحهم؟! فأجابه "رضا خان": أنا رئيس الحكومه و فى عهدتى حفظ النظام و قمع الفتن! فرد عليه رئيس المجلس و هو يرتجف غضبا: حفظ النظام هنا من شانى لا من شانك! فأجابه "رضا خان": و شانى أنا حفظ نظام المملكه! فازداد رئيس المجلس غضبا و أجابه: الآن أعلمك بما هو واجب عليك و ما هو من شانك. ثم نادى أحد الموظفين، و قال له: أقرع الجرس لدعوه النواب إلى الاجتماع لأبين لهذا الرجل ما هو واجبه و أفهمه أن المجلس ليس محلا لهذه الأعمال! يعنى بذلك حجب الثقه عنه و إسقاطه.

و أخاف هذا التهديد "رضا خان". فبادر إلى تلافى هذا الخلاف و توسل ببعض النواب ليتوسطوا له عند رئيس المجلس النيابى بان يسامحه و أن يقبل اعتذاره. و جاء به هؤلاء إلى رئيس المجلس فاعتذر إليه. فقال له الرئيس لا لزوم لاعتذارك إلى و عليك أن تعتذر إلى العلماء و الرؤساء الجالسين فى غرفه الرئاسة الذين يمثلون أفكار الناس. فذهب "رضا خان" إليهم و اعتذر. و قال: الآن، إذ تبين أن الأيمه الإيرانيه لا تريد الجمهوريه، فانى أصرف النظر عنها. ثم تبادلوا القبل. و طلب العلماء من "رضا خان" المبادره إلى إطلاق المعتقلين فى الشرطه من المتظاهرين، و عددهم حوالى الألف، فأجابهم بالطاعه.

و كان فريق من المتظاهرين قد فروا ساعه وقوع المعركه. فذهبوا إلى بيوتهم و تسلحوا بالعصى و السياط و عادوا إلى المجلس ليعودوا بالعلماء و الرؤساء الذين يمثلونهم إلى بيوتهم. و كانوا يهتفون و هم يسيرون إلى المجلس "تبت الجمهوريه. نريد دين النبى. نرفض الجمهوريه". ثم دخلوا إلى المجلس و عادوا بمثلهم إلى بيوتهم.

و فى مساء ذلك اليوم (٢ فروردين سنه ١٣٠٣ هـ. ش) تبين للناس

أن جماعه من المعتقلين فى أحد مخافر الشرطه ما زالوا محبوسين لم يطلقوا. و فى صباح اليوم التالى شاع الخبر فى المدينه، فاضرب البازار استنكارا لذلك و توافد الناس إلى منازل المراجع الدينيه، و أعلنوا أنهم يرفضون "رضا خان"، و يطلبون إحالته إلى المحاكمه.

بيان "رضا خان"

و ذهب "رضا خان" إلى بلده "سعدآباد" فاعتزل فيها بضعه أيام، ثم ذهب منها إلى مدينه قم فاجتمع بمن فيها من العلماء و رجال الدين، و فيهم المراجع المبعدون من العراق، و تودد إليهم. و جعل السبب الظاهر لذهابه إلى قم قيامه بواجب توديع هؤلاء المراجع، إذ كان موعد عودتهم إلى العراق قريبا. و قد التمس منهم إرسال بركيه إلى طهران تساعد على تهدئه الخواطر.

فأرسل المراجع الثلاثه: السيد أبو الحسن الاصفهاني و الميرزا محمد حسين الغروي النائيني و الشيخ عبد الكريم الحائري بركيه نشرت فى العاصمه يوم ٥ فروردين سنه ١٣٠٣ هـ. ش. موجهه إلى العلماء و الأعيان و التجار و جميع طبقات الأمه. و فيها أنهم طلبوا من "رضا خان" حين جاء إلى قم لوداعهم نقض مطلب الجمهوريه و إلغاء المظاهر التى ترتبت عليه، إذ تبين أن الرأى العام غير راض عنها. و أنها لا- تنفق و مقتضيات المملكه. و أن رئيس الوزاره استجاب لطلبهم. و رجوا أن تكون هذه النعمه موضع التقدير و أن تكون هذه العنايه موضع الشكر.

و بعد عوده "رضا خان" من قم إلى طهران نشر فى يوم ١٢ فروردين سنه ١٣٠٣ هـ. ش. بيانا قال فيه "إن حكومته الحاضره قد تجنبت حتى اليوم صد الناس عن إبراز إحساساتهم المنبعثه من كل جانب. و ذلك التزاما منها بالأصل المقرر و هو أن أولياء الأمور لا- يجوز لهم أبدا أن يخالفوا الرأى العام و يناقضوه". و قال: "و إذ كنت منذ البدء و لا أزال أبتغى غايه واحده هى أن أحفظ و أحرس عظمه الإسلام و استقلال إيران و أرى مصالح المملكه و الأمه رعايه كامله. و كل من خالف هذا النهج أعده عدوا أسعى إلى قمعه.

و إذ كنت عازما على إدامه هذا النهج، و إذ كان ما فى الأذهان العامه اليوم من تشتت و اشتباه يمكن أن يؤدى إلى نتائج مخالفه لما أكنه فى خاطرى من حرص على حفظ النظام و الأمان و استحكام أساس الدوله، و إذ كنت و كل أفراد الجيش لانزال منذ البدء نعتبر المحافظه على أبهه الإسلام و صيانتها من أعظم واجباتنا و نضع هذا الواجب نصب أعيننا، فقد كنا دائما نسعى إلى ازدياد رقى الإسلام و تعالیه يوما فيوما و مراعاة مقام الروحانيين و احترامهم مراعاة كامله. و من ثم باحثت الساده حجج الإسلام و العلماء الأعلام، حين تشرفنا بزياره السيده "المعصومه" (ع)، لتوديعهم، فى موضوع الحدث الحاضر، و تبادلنا الأفكار. و فى النهايه تم رأينا على أن أوصى عموم الناس بوقف الدعوه إلى الجمهوريه، و أن نصرف جهودنا إلى إزاله موانع إصلاح المملكه و ترقيتها و أن يعاضدوني و يساعدوني فى الوصول إلى الغايه المقدسه، و هى إحكام أساس الديانه و استقلال المملكه و الحكومه الوطنيه. فانا أنصح كل الوطنيين و محبى تلك الغايه المقدسه بصرف النظر عن المطالبه بالجمهوريه، و أن يكونوا معي يدا واحده لنيل المقصد العالى الذى نتفق عليه كلنا".

عزل رضا خان

بعد عوده "رضا خان" من قم إلى طهران أصبح قليل الأمل بالمجلس النيابي. فالأكثرية التى تناصره مزعزعه. و الأقلية التى

تخالفه قد اشتدت و عزمت على الثبات في مقاومته. و أظهر فريق من النواب سوء ظنهم به صراحة. ثم وصلت برقيه من "أحمد شاه" من باريس بعزله عن الوزارة و تفويض المجلس النيابي اختيار مرشح آخر لرئاستها. فتنحى "رضا خان" عن منصبه في يوم ١٨ فروردين سنة ١٢٠٣ هـ. ش. و سافر إلى ناحيه "رودهن" و اعتزل فيها.

و روى أحد نواب تلك الدورة، و كان من أنصار "رضا خان" في مذكراته أن "رضا خان" أصبح، بعد عزله و تضايف المعارضين و تشدهم في مقاومته، آيسا من النجاح فعزم على مغادره إيران. و حزم أمتعته و هيا سيارته للسفر و فيما هو موشك أن ينطلق جاءه جماعه من أخص أصدقائه. و فيهم كاتب المذكرات نفسه و الزعيم الاشتراكي "سليمان ميرزا" و اختلى به ساعه فلما عاد بدأ "رضا خان" مستبشرا و عدل عن السفر.

تكليف رضا خان بتشكيل الوزارة

انصرف "رضا خان" انصرافا قاطعا عن أمنيته نظام جمهوري يكون هو رئيسا له. و لكن القرائن كانت تدل على أنه لم ينصرف عن أمنيته الوصول إلى الرئاسة الدكتاتورية و إسقاط الأسره القاجاريه عن العرش.

فبعد عزله عن رئاسه الوزارة أخذت الصحف المواليه له تنشر مقالات عنيفه تندد فيها بمن خالف الجمهوريه و من خالف "رضا خان"، و تبالغ في الثناء عليه و بيان خدماته للمملكه و تطلب بقاءه في منصب رئاسه الوزارة.

و قام فريق من ضباط القوزاق بعقد اجتماعات في الساحات العامه و ألقوا خطبا عنيفه نددوا فيها بمخالفى "رضا خان" و أرسلوا رساله تهديد إلى المجلس النيابي طلبوا فيها إعادته إلى رئاسه الوزارة و إلا- فعلاوا. و كذلك أرسل أمراء العسكر و ضباط القوزاق من أغلب الولايات برقيات تهديد صريحه إلى المجلس، و أعلنوا بأنهم سيفسدون أمن البلاد إن لم يعد "رضا خان". إلى رئاسه الوزارة. و نشرت الصحف المواليه له أخبارا بان تنحيه عن منصب الحكم جرا أهل الفتنة فقاموا باعمال محله بالأمن. و نشرت إحداها خبرا بان أذربيجان أعلنت استقلالها عن إيران و أقامت حكومه جمهوريه.

و عقد المجلس النيابي جلسه خاصه لاختيار مرشح لرئاسه الوزارة.

كانت النتيجة معروفه فالأكثرية تؤيد "رضا خان" و سيطره العسكريين تمنع ترشيح غيره. فابعد أنصار "رضا خان" النائب السيد "حسن المدرس" عن الجلسه بخدعه فلم يحضرها. و كان المدرس أشد خصوم "رضا خان" و أجرأهم عليه. و هو الذى سبق أن عوق بمناوراته عرض مشروع الجمهوريه على المجلس للتصويت حتى تهيأت الأسباب لقيام مظاهره الثانى من فروردين سنة ١٣٠٣ هـ. ش. التى أسقطت المشروع و قضت على فكره الجمهوريه نهائيا. و لذلك أبعده عن تلك الجلسه ليامنوا معارضته العنيفه و أسرعوا في إقرار اختيار "رضا خان" لرئاسه الوزارة بلا مناقشه.

و تم اختيار هذا لها بأكثرية الأصوات. و أبلغت النتيجة برقيا إلى "أحمد شاه" و هو في باريس. فجاء الجواب منه بقبول اختيار المجلس و تكليف "رضا خان" بتشكيل الوزارة.

و أرسل المجلس النيابي وفدا من النواب إلى "رودهن" إلى "رضا خان" لابلاغه قرار المجلس في ٢١ فروردين سنة ١٣٠٣ هـ.

ش.

ص: ٢٠١

فامتنع فى بادئ الأمر من القبول، ثم قبل بشروط. وفى اليوم التالى عاد إلى طهران. وفى يوم ٢٤ فروردین سنه ١٣٠٣ هـ. ش. حضر المجلس النيابى مع وزرائه و عرفهم إلى المجلس، و كان أحد هؤلاء الوزراء ضابطا قوزاقيا.

بعد الوزاره الثانيه

و ارتأى فريق من النواب المخلصين أن يصلحوا ما بين البلاط و رئيس الوزاره "رضا خان" بشرط أن يتعهد هذا بالاطاعه و تجنب ما يسيء إلى البلاط. و وافقت أكثرية النواب على هذا الاقتراح، و قررت إرسال "الدكتور مصدق" إلى ولى العهد "محمد حسن ميرزا" ليعرض عليه الاقتراح. و بعد المذاكره قبل ولى العهد بالمصالحه. و فى الليله التاليه ذهب "الدكتور مصدق" و "رضا خان" إلى البلاط و اجتمعا بولى العهد. ثم تركهما "مصدق" و خرج من القصر. و لم يعرف ما دار بينهما من حديث فى تلك الليله.

و ظل "رضا خان" محافظا على رابطته بالقصر بصوره حسنه. ثم تقرر أن يعود الشاه إلى إيران و بدأ بمعامله السفر، ثم توقف. و قيل إن رسولا- أرسل إليه و أبلغه أن عودته مشروطه بشروط عليه أن يقبلها. و أن الشاه أجاب بان تنازله عن العرش خير له من قبول هذه الشروط. ثم لم يعد بعدها قط إلى إيران.

و كانت تركيا مطمئنه إلى حكم القاجاريين فى إيران راغبه فى استمراره. إذ كان عهدهم عهد صفاء و سلام بين الدولتين. و فيه توقفت الحروب التى كانت لا تنفك ناشبه بينهما فى عهود من سبقهم من الأسر المالكه. و كانت تحسن الظن بسياسه "أحمد شاه". فلما وقعت حوادث الثانى فروردین سنه ١٣٠٣ هـ. ش. و أصبح الشاه فى وضع حرج و برزت صعوبات تمنع عودته إلى إيران رأَت الحكومه التركيه أن من مصلحتها أن تساعد بتسهيل طريق عودته. فأرسل "مصطفى كمال" وزير خارجيته "رشدى آراس" إلى باريس ليعرض على "أحمد شاه" مساعده تركيا له بتجنيد حوالى ثلاثين ألفا من أكراد تركيا يرافقونه من كردستان تركيا إلى كردستان إيران و منها إلى طهران بعنوان حرس مشيع من قبل الحكومه التركيه. فشكره "أحمد شاه" ثم قال له: ليس فى استطاعتى قبول هذا العرض إذ ليس من عاده القاجاريين أن يحصلوا على التاج و العرش و يحتفظوا بهما بيد غير يدهم.

و فى يوم ١٦ فروردین سنه ١٣٠٣ هـ. ش. توفى فى باريس "محمد على شاه" ملك إيران السابق المخلوع أبو "أحمد شاه". و أبلغ نبا وفاته إلى إيران، ما قامت الحكومه مجلس فاتحه رسميا له فى مسجد الشاه يومى ٢٠ و ٢١ فروردین سنه ١٣٠٣ هـ. ش. و كان حضور الناس هذه الفاتحه يدل على أن الآثار السيئه التى تركها فى نفوسهم تصرف "رضا خان" يوم الثانى من فروردین [١٣٠٣] عند المجلس النيابى ما زالت تملؤهم حقدًا. و من ثم كانت هذه الفاتحه مظاهره ولاء ضخمه للشاه و تحدى ل "رضا خان". أقبل الناس جموعا غفيره من كل الطبقات يشاركون فيها حتى اكتظ بهم المسجد و ساحته - و هو من أكبر مساجد طهران - و امتلأت الأزقه و الأسواق المتصله به بالوافدين. و كان مظهر التحدى ل "رضا خان" واضحا فى الجمهور. فحين حضوره إلى الفاتحه لا يكثرث به أحد. بل كانوا لا يفسحون الطريق للدخول إلى المسجد فيضطر إلى سلوك الطريق محشورا بينهم، أو يصيح بهم غاضبا يطلب إفساح الطريق له. و كان خطيب الفاتحه أحد مشاهير الوعاظ فى طهران معروفًا بالجرأه و جهاره الصوت. و كان يضمن خطبته تعريضات ب "رضا خان" و تأييدا للشاه.

و بعد انقضاء مجلسى الفاتحه اقترح النواب المعارضون ل "رضا خان" على المجلس النيابى إرسال برقيه تعزيه إلى "أحمد شاه"

و لكن النواب المؤيدين ل " رضا خان " المعارضين للشاه انقصوا عدد النواب الحاضرين إلى ما دون النصاب فتعطل الاقتراح.

و فى أواخر سنه ١٣٠٣ هـ. ش. استطاع " رضا خان " أن ينتزع من الشاه منصب القيادة العليا للقوات المسلحه. و هو منصب يختص به، فى العاده، رئيس الدوله الذى هو الشاه.

و استمرت الصحف المؤيده ل " رضا خان " فى تنديدها بالقاجاريين و أنصارهم، و أطلقت لها حريه القول بما تشاء. و اشتدت المراقبه و التضيق على الصحف المعارضه. بل أن نشرات الأخبار اللاسلكيه السوفياتيه دأبت على التنديد بمعارضى " رضا خان " و صحافتهم و وصفهم بالرجعيين(١) إذ كان رجال الدين و التجار معادين له موالين للشاه. و اشتد التضيق على الصحف المعارضه حتى اضطر أصحابها إلى التحصن فى المجلس النيابى. و يومئذ أذاعت نشره الأخبار اللاسلكيه السوفياتيه هذا الخبر فى ٨ تموز سنه ١٩٢٤ م الموافق ١٧ تير سنه ١٣٠٣ هـ. ش. بعنوان " اضطرابات دينيه فى إيران " هكذا:

ص: ٢٠٢

١- بعد استيلاء " رضا خان " على عرش إيران تبينت الحكومه السوفياتيه أن تأييدها له يوم كان رئيسا للوزاره و يوم حاول القيام بالانقلاب الجمهورى كان خلاف مصلحتها. و أن مندوبيها فى طهران قد انخدعوا يومئذ به، فكانت تزكيتهم له فى تقاريرهم خطأ حوكموا عليه و حكم عليهم بالقتل عقابا لهم. و منهم " شومياتسكى " سفير الاتحاد السوفياتى فى طهران أيام وقائع الانقلاب الجمهورى. يقول أبو القاسم لاهوتى الشيعى النائب الذى مر ذكره فيما تقدم من الحواشى - يقول فى مذكراته عن تلك الأيام فى الصفحه ٤١: " على أن رضا خان بعد أن تسلّم العرش و فرض الحكم الدكتاتورى فى البلاد أى من الضرورى اعاده النظره فى سياسته مع روسيا. و قد أدى فجاه إلى نشوء اختلاف شديد بين أعضاء الكومنترن فى موسكو فيما يتعلق بسياسه الاستعمار، و بلغ هذا الاختلاف حدا لم يشهد له مثل منذ عام ١٩٢٧ و ما بعده طوال حكم ستالين. و قد عكست جريده برافدا و مجله نوى فستوك على صفحاتها آراء مختلفه فى هذا الصدد. فكان " فياسانف " يعتقد بان تسلّم رضا خان زمام الحكم قد أدى ليس إلى إحباط الانقلاب الاجتماعى المطلوب فحسب و إنما إلى بقاء العناصر التى أوجدت نظام ملوك الطوائف و استمرارها أيضا، و أن رضا خان نفسه يعتبر خادما من خدام الاستعمار البريطانى. و كان (فياسانف) يصر على أن روسيا يجب أن تقضى على هذا النظام بواسطه أحداث انقلاب بين الفلاحين باى شكل كان ثم يشير الكاتب إلى وجود معارضين كثيرين لرأى " فياسانف " و أن (رأس كل نيكف الذى كانت معلوماته بسيطه عن الجمهوريه السوفياتيه فى (كيلان) كتب مقالا فى جريده (برافدا) أشار فيه إلى أن جيش رضا خان مؤلف من رجال يفوق مستوى معلوماتهم مستوى الفلاحين و لهذا ينبغى أن نعتبر حركه رضا خان انقلابا برجوازيا موقفا من وجهه النظر الروسيه. ثم يقول لاهوتى فى الصفحه ٨١: " علمنا مؤخرا أن أحد الفروع كان قد أرسل عددا من المهندسين الفرنسيين و الألمان إلى إيران لاستطلاع حاله الشيوعيه هناك. و كانت نتيجة التحقيق الذى قام به هؤلاء أن رضا خان عدو الشيوعيه اللدود، و أنه هو نفسه الذى يحول دون منح أليه إجازة لتأسيس الجمعيات و ليس باستطاعه أليه جريده أن تنتقده. و كنا جميعا متفقين على أن رضا خان لا يكتفى باتباع الأساليب الدكتاتوريه كمن سبق من الملوك القاجاريين و إنما يفوقهم و يمتاز عليهم بتطبيقه وسائل التعذيب المتبعه فى روسيا كالانتحار الاجبارى و السجن لأجل غير مسمى و النفى و الابعاد

وما إلى ذلك".

"... و تفيد معلومات أخرى أن أصل هذه الاضطرابات هم الرجعيون يسعون، بمساعدة رجال الدين، إلى إثارة التعصب الديني عند الجماهير ليسخروهم في محاربه الحكومه. و قد تحصن كل مديري الجرائد الرجعيه المعارضه في المجلس في اليوم الثامن من هذا الشهر "اه.

و تمادى بعض الصحف المواليه فاخذ بنشر مقالات في نقد الدين و السخرية من العقائد الدينيه. و لكن "رضا خان" تنبه إلى ما في هذا الأمر من أخطار عليه، إذ هو يحمل العامه على مخالفته و النفور منه. فأوعز إلى هذه الصحف بالكف عن نشر مثل هذه المقالات. بل أمرها بتحسين إقامه الشعائر الدينيه و الدعوه إليها. و اتفق أن كان ذلك في شهر رمضان، فأمر ب نصب فسطاط كبير في ثكنه القوزاق و دعا الوعاظ و قراء السيره الحسينيه إلى الوعظ و قراءه السيره فيها. و كان هو نفسه يحضر هذه المجالس. و أوعز إلى الصحف المواليه له بالتحديث عن هذه المجالس و الإشاده بورعه و حرصه على رعايه الدين.

هديه من النجف

و كان "رضا خان" قد أرسل مع المراجع المنفيين من العراق حين عودتهم إليه أحد ضباط القوزاق يرافقهم إلى النجف. و عاد هذا من النجف في أواخر شهر شوال سنه ١٣٤٢ هـ. ق. الموافق أواسط شهر خرداد سنه ١٣٠٣ هـ. ش. و معه رساله من "الميرزا محمد حسين النائيني" إلى "رضا خان" يشكره فيها على رعايته لهم و حسن ضيافته الحكومه الإيرانيه.

و مع الرساله هديه هي صوره قديمه للإمام علي بن أبي طالب (ع) كانت محفوظه في خزانة العتبه العلويه فطلبها "النائيني" من قيم الخزانة و أرسلها هديه إلى "رضا خان". و قد وصلت هذه الهديه في وقت الحاجه إليها.

فقرر "رضا خان" أن يحسن استغلالها لتزكيه نفسه عند الصحافه و المتدينين بأنه يحترم الدين و مقدساته. فأمر بان يهيا لتسلمه الصوره مجلس يكون مهرجانا فخما. و طبع بطاقات دعوه أرسلها إلى الكبراء و سفراء الدول الإسلاميه. و نشر دعوه عامه إلى كل المسلمين و العلماء و الأعيان و رجال المملكه. و نصب في حديقته "باغشاه" فساطيط يختص كل منها بفئه من المدعويين. و أمر الصحف المواليه له بنشر خبر المهرجان بعبارات التعظيم و التشويق. و هذا نموذج من أقوال تلك الصحف نشرته إحداها في الصدر منها:

"اليوم يوم أكبر أعياد الايرانيين. ففيه يتم إعطاء أعظم جنود إيران المؤثرين على أنفسهم أعظم مكافاه و أجمل إنعام من أعظم أئمه عالم الإسلام و أشجع شجاعانه. اليوم يسطع في مركز المملكه الشيعيه نور الايمان المشعشع بعد أن ظل مستورا قرونا.

"اليوم سل ذو الفقار من غمده و حط على كتف قائد الجيش ملاطفا لا معا كالبرق، احتفاء بتعليق أعظم أوسمه التقدير على صدر أعظم مجاهدى الإسلام في العصر الحاضر.

"اليوم يحفظ أسد الله الغالب علي بن أبي طالب بصورته المباركه وجود رضا بهلوى البهى من شر شياطين الجن و الإنس".

"يا للحرز المبارك! يا للتعويذه الميمونه! هم العلماء الأعلام و المجتهدون العظام التمسوا، قلبا واحدا و قولاً واحداً، من أعتاب ملك الشجاعه هذه المرحمه العظمى لقائد الجيش، و عادوا مفتخرين رافعي الرأس بان قبل أمير المؤمنين التماسهم".

و فى الموعد المعين ذهب "رضا خان" رئيس الوزراء و الوزراء و بعض العلماء إلى مقام "عبد العظيم الحسنى" (رض) فعلقوا الصورة على صدره بين مظاهر التعظيم و الاحترام و عادوا به إلى مكان الاحتفال و قد بدا مشعا بالأنوار زاهيا بالزينات و احتشد فيه خلق كثير و جلست كل فئه فى فسطاطها المختص بها. و خطب سفير تركيا. و شكره "رضا خان" بخطبه. و كان مدار الخطبتين كليهما الإسلام و الأخوه الإسلاميه. و كان أحدهم قد أناخ بعيرا عند مدخل الحديقه. فلما انتهى الاحتفال و خرج "رضا خان" نحر الرجل ذلك البعير عند قدميه.

و أمر "رضا خان" بإنشاء منصب "ناظر الشرعيات" و مهمته مراقبه المنشورات و المطبوعات و التمثيليات و أمثال هذا و إجبار أصحابها على التقيد بالأحكام الشرعيه و التزام الآداب الإسلاميه.

و لكن كل تلك المظاهر كانت رياء لاكتساب قلوب العامه و تملق رجال الدين إذ كان مضطرا إلى مسالمتهم لأن نفوذهم كان عظيما فى نفوس الناس لا قبل له بمقاومتهم. فلما استتب له الأمر بعد ذلك و أمسك بيده زمام سلطه دكتاتوريه مطلقه لم يال جهدا فى طمس معالم الدين و التنكيل برجال الدين و المتدينين.

أول تمرد فى المجلس النيابى

و امتد التنديد بالشاه من الصحف المؤيده لرئيس الوزراء إلى المجلس النيابى ففى جلسه عقدها فى ٢٩ خرداد سنه ١٣٠٣ هـ. ش. بتر أحد النواب من اليمين القانونيه التى يجب أن يحلفها النواب عباره مفادها التعهد بالوفاء للشاه و تجنب خيانتة. و امتنع بعضهم عن حلف اليمين أصلا لأنه يتضمن هذه عباره. و لكن رئيس المجلس ألزمهم بالحلف الكامل و إلا كان امتناعهم تمردا على القانون الأساسى.

و اغتيل معارض شاب كان من أعلام الثقافه و الأدب هو الشاعر الصحافى "ميرزاده عشقى". و كان لقتله وقع مؤلم شمل طهران. و قدر [قدر] عدد مشيعيه بحوالى ثلاثين ألفا. و يجدر بالذكر أن هذا الشاب الأديب كان من أشد الناس حماسه للجمهوريه. و له مواقف وطنيه مشهوده من يوم عقد معاهده سنه ١٩١٩ م. و لكنه انقلب على الجمهوريه و طلابها إذ تبين أنها لم تكن غير ذريعه إلى إيصال "رضا خان" إلى مقام الدكتاتور المطلق، و أن النظام الملكى القائم أحفظ للدستور و الحكم النيابى من هذه الجمهوريه المزوره. و من ثم أصبح من أتباع السيد "حسن المدرس" المخلصين بعد أن كان من خصومه. و مثل هذا الشاب كثيرون.

فى يوم ١٥ ذى الحجه سنه ١٣٤٢ هـ. ق. الموافق ٢٧ تير سنه ١٣٠٣ هـ. ش. و ١٩ تموز سنه ١٩٢٤ م قتل فى طهران المأجور "إيمبرى ويس" قنصل الولايات المتحده الأميركيه. قتله الناس ضربا بالعصى و هو يلتقط صورته فتغرافيه عند سبيل ماء شاع أنه حدثت عنده معجزه شفاء، إذ كانت لهذا السبيل صفه مقدسه. و تجمع عنده جمهور غفير من الأهالى، و جاء هذا الأميركى يلتقط صورته من هذا المشهد يطرف بها الأميركيين. و جاء من اندس بين الناس و أشاع أن هذا الأميركى يريد وضع السم فى ماء السبيل.

و يعد قتل هذا القنصل من الأحداث السياسيّه المهمه في تاريخ إيران الحديث. و ظلت الدوافع الحقيقيه إلى قتله مجهوله. و اختلفت الأقوال في الحدس بها. و لكنها كلها مجمعه على أنها دوافع سياسيّه. و منها أن قتله كان دسيسه إنكليزيّه. و بعد هذا الحادث غادر إيران كل موظفي الشركه الأميركيه التي حصلت على امتياز استنباط نفض [نفض] الشمال خوفا على أنفسهم و توقفت أعمال الحفر و التنقيب.

و قد استغلت حكومه "رضا خان" هذا الحادث إذ جعلته حجه للعوده إلى فرض الحكم العسكري على طهران و توابعها. فبدأت حمله واسع من الاعتقال و النفي و التعذيب و تعطيل الصحف المعارضه.

و هكذا جمع "رضا خان" في يده قوه عظيمه. فأكثره المجلس النيابي تويده. و هو القائد الأعلى للقوات المسلحه تأتمر بامرّه وحده. و القانون عطل بحكمه العسكري. و من الغريب أن نشرات الأخبار السوفياتيه دأبت على تأييده و تزكيته و اعتبار حكمه هو الأمثل، و التنديد بمعارضيه و وصفهم بالرجعيه و التعصب الديني و أمثال ذلك. و أصبحت المعارضه في داخل المجلس النيابي و في خارجه في موقف صعب من القهر و الاختناق.

و بلغ الأمر إلى أن أقدم "رضا خان" في إحدى جلسات المجلس النيابي على محاوله ضرب النائب السيد "حسن المدرس" لو لا- أن ثناه عن المحاوله أحد أنصاره. و لكنه أشار إلى المدرس بيده مهددا و قال له "أنت محكوم عليك بالموت. و سوف أقضى عليك!".

كان ذلك على أثر منافره وقعت بينه و بين المدرس، إذ كان هذا و فريق من النواب المعارضين، منهم الشاعر "محمد تقى" المعروف باسم "بهار" و لقب "ملك الشعراء"، قد قدموا إلى رئاسه المجلس استجابا يحاسبون به الحكومه في موضوع الأحوال الراهنه.

و لما أنفضت الجلسه و خرج النواب اتفق أن سار السيد "حسن المدرس" و اثنان من النواب المعارضين الذين وقعوا على الاستجاب معاً في طريقهم إلى بيوتهم. و وصلوا إلى أحد الأزقه و إذا بجماعه من الأوباش كانوا كامنين فيه يهجمون عليهم و يوسعونهم ضربا بالأيدى و العصي. و إذ رأى الناس هذه الوقعه تقاطروا من كل الجهات لحمايه النواب، و هجموا على المعتدين و أشبعوهم ضربا و اضطروهم إلى الفرار. و رافق الجمهور النواب إلى بيوتهم بالاحترام و الإكرام.

و في الجلسه المخصصه للاستجاب عجز النواب المعارضون عن التمكن من حضورها، إذ كانت الحكومه قد حشدت في شرفه المتفرجين و نشرت حول المجلس و في ساحته جمهورا كبيرا من الأوباش يندرونهم بعاقبه و خيمه. بل كانت الظواهر تدل على أن النواب المؤيدين أنفسهم متهيئون للرد على الاستجاب بالضرب و العراك. و اقتصر المعارضون على إرسال النائب "محمد تقى" ملك الشعراء" لحضور الجلسه. و ألقى هذا فيها بيانا مطولا صريحا قال فيه "إن أقلية النواب المعارضه ما زالت، من يوم إعلان الحكم العسكري محرجه بمضائق تجعلها واقعه تحت نوع من المراقبه. هذا عدا توقيف مطبوعات من يوافق أفكارنا و حبسهم و نفيهم. و كلما دخل أحد منزل نائب من نواب الأقلية اعتقل. و إن دخل نائب من نوابها منزل أحد من الناس اعتقل صاحب المنزل و عد استقباله للنائب جريمه يحاسب عليها. ففي هذه الأوضاع و هذه الأحداث، إذ أركان القانون الأساسى لا يمكن صيانتها بوجه من الوجوه، كيف يستطيع نواب الأقلية الحضور و كيف يستطيعون الاستجاب؟!".

و كانت نتيجة هذه الجلسة أن طلب رئيس الوزراء "رضا خان" طرح موضوع الثقة بحكومته على التصويت فوافق المجلس و حصلت الحكومه على ثقه الأكتريه و تعطل الاستجواب. و على هذا النحو كانت الحياه النيايه تسير.

و بعد مده دبرت مؤامره لاغتيال النائب "محمد تقى ملك الشعراء".

و لكن القاتل أخطا فقتل صحفيا اسمه "الواعظ القزوينى" و هو يظنه "ملك الشعراء". و قد سكتت كل الصحف عن ذكر خبر مقتل هذا الزميل. أما تحقيقات الشرطه فى حوادث الاغتيال و التعدى تلك فكانت صوريه لا تؤدى إلى نتيجة إذ أن الشرطه نفسها هى التى دبرتها. و حوادث التعذيب كانت تقع فى دائره الشرطه نفسها.

و أمر أمير عسكر المشرق فى خراسان بقتل "السرदार معزز البجنوردى" حاكم "بجنورد" و اثنين من إخوته بتهمه تحريض التركمان على التمرد.

فقتلهم و قتل معهم أربعة آخرين من رؤساء العشائر فى ٣١ تير سنه ١٣٠٤ هـ. ش. بعد محاكمه صوريه. و بعد قتلهم أقدم أمير عسكر المشرق المذكور على قتل جماعه كبيره من أهل "بجنورد" و نواحيها. قتلهم بلا محاكمه و على كيفيه فظيحه جدا من غير ذنب ارتكبه، و نكب الناس بتعدييات مختلفه. و صادر "رضا خان" أموال "السرदार معزز" و إخوته و كانوا من كبار الأثرياء.

تمرد "الشيخ خزعل"

و كان "الشيخ خزعل" أمير إقليم خوزستان يعارض "رضا خان" و تطلعاته، و يؤيد "أحمد شاه" فحالف رؤساء عشائر البختياريين المتمردين، و جند عشائر خوزستان العرييه معه، و كانوا كلهم يأترون بامر، و هيا جيشا عظيما لمحاربه "رضا خان" و كسر شوكته. و أرسل من قبله رسولا- إلى باريس إلى "أحمد شاه" يبلغه أنه قادر على توفير كل أسباب الاطمئنان و الأمان اللازمه لعودته إلى إيران. و لكن الشاه رفض أن يأذن لهذا الرسول بالدخول عليه مع كثره إلحاحه بطلب الاذن. و كان الشاه يردده دائما "آذن له بعد استقرار الأمور فى خوزستان". و لو أن الشاه استجاب للشيخ خزعل لاستطاع العوده إلى إيران و التغلب على "رضا خان". غير أنه لم يستحب له إذ كان يأبى أن تكون عودته سببا فى وقوع حرب أهليه.

و كان الوطنيون المخلصون من معارضى "رضا خان" أيضا غير راضين عن حركه "الشيخ خزعل" إذ كان لماضيه و ماضى أكثر حلفائه البختياريين سمعه سيئه من الظلم و التعدى و الاستبداد، فانتصارهم و انتصار "رضا خان" سواء من حيث النتيجة. و خشى هؤلاء الوطنيون أن يتأثر الشاه بالتماس "الشيخ خزعل" فيعود إلى إيران فى حمايته فتسوء سمعته. و لذلك بعثوا من قبلهم رسولا إلى باريس إلى الشاه يستطلعون أمره و ينصحونه بان لا يستجيب للتماس "الشيخ خزعل" لأنهم يضمنون بكرامته، و هو الملك الديمقراطى الحريص على صيانه الدستور، أن يعود إلى بلاده بهذه الطريقه.

و لما دخل رسولهم على الشاه قال له الرسول: مع أن كل محبى الحريه

يرون عوده جلالته إلى إيران أمرا ضروريا فإنهم غير راضين عن التمرد الحاصل في خوزستان. و يرون أن تدخل مثل هذه الأيدي مضر بحركتهم الراميه إلى التقدم في نشر الفكر الحر.

فما كان من "أحمد شاه" إلا أن تناول محفظه من على طاولة، و أخرج منها مجموعه من البرقيات نثرها أمام الرسول. و إذا هي برقيات من "الشيخ خزعل" يكرر فيها التماسه السابق من الشاه. و قال الشاه للرسول:

"أنا امرؤ إيراني و ملكك دوله دستوريه، لا أستطيع الخروج على حكومه تحكم بمرسوم صادر عنى. إنى لأعلم أن هذا الرجل (رئيس الوزاره) عدو للحرية و أن مجلس النواب أيضا ليس مجلسا حقيقيا. و لكن علمى هذا لا يكفى. فان أنا أقدمت على قلب هذه الحكومه التى تسلمت زمام الأمور بالقهر و الدسيسه كان من حق الناس أن يعدونى متجاوزا للقانون. و يوم أقدم هذا الرجل على كسر حرمة المجلس و حكم الناس بالقهر و الإكراه أبديت رأبى فى ذلك. و التاريخ و المستقبل هو الحكم. و لن أفعل أكثر من هذا.

و قد أرسلت إلى الشيخ خزعل برقيه أن يتجنب الاقدام على كل عمل من شأنه أن يضعف المملكه".

و سير "رضا خان" إلى حرب "الشيخ خزعل" و حلفائه البختياريين جيشا قاده بنفسه و خرج به من طهران يوم ١٣ آبان سنه ١٣٠٣ هـ. ش.

الموافق ٧ ربيع الثانى سنه ١٣٤٣ هـ. ق. و بعد بضعه و عشرين يوما وصل "رضا خان" بجيشه إلى حدود خوزستان. و إذا بـ "الشيخ خزعل" يستسلم إليه بلا مقاومه، مع أنه كان قادرا على الحرب متهيئا لها مصمما عليها. و قيل إن سبب استسلامه هو أن الإنكليز - و كان "الشيخ خزعل" صنيعتهم - أوغزوا إليه بالاستسلام إذ كانت الحرب خلاف مصلحتهم، و طمانوه بان يوغزوا إلى "رضا خان" بتأمينه. و قد أمنه بالفعل و بقى "الشيخ خزعل" فى المحمره فى خوزستان. و لكن "رضا خان" لم يلبث، بعد قليل، ان أمر قائد عسكر خوزستان بتوقيفه، فاعتقله و سيره إلى طهران. فوضع فى الإقامة الجبريه فيها بضع سنين سلبه فيها "رضا خان" كل ثروته، ثم أمر رجالا من الشرطه فقتلوه خنقا (كان "رضا خان" يومئذ قد أصبح ملكا).

و سار "رضا خان" من خوزستان إلى البصره و منها إلى بغداد و منها إلى طهران. و قيل فى سبب سلوكه فى عودته هذه الطريق أنه أراد أن يتملق قلوب الايرانيين بزياره مراجع التقليد الذين فى العراق و كذلك زياره العتبات المقدسه القائمه هناك، و لأولئك المراجع و تلك العتبات مقام عظيم مقدس عند الايرانيين.

و فى يوم ١١ دى سنه ١٣٠٣ هـ. ش. وصل إلى طهران. و جعل أنصاره من يوم عودته يوما مشهودا. أقاموا فيه أقواس النصر و الزينات و الأضواء على طول الشوارع التى يمر فيها موكبه من مدخل المدينه إلى بيته.

و نحروا جمالا و بقرا و غنما أضاحى عند قدميه. و نشروا فرقا تعزف الموسيقى و حين صار فى وسط الجمهور ترجل من السياره و امتطى حصانا

اضطر "أحمد شاه" إلى التغيّب عن إيران و الإقامة في فرنسا مدة سنتين تقريبا. و في أواخر هذه المدة ترددت عليه رسل و برقيات من إيران تطلب منه التعجيل في العوده. و لكنه كان يترث تحاميا للدسائس التي كان يقوم بها "رضا خان" و أنصاره في المجلس النيابي و خارجه، الدسائس الراميه إلى مضايقتة و زعزعه عرشه، حتى شاع أن "رضا خان" أقنع "محمد حسن ميرزا" ولى العهد بخلع أخيه و نصبه ملكا في مكانه.

و في أواسط سنة ١٣٠٤ هـ. ش. الموافق سنة ١٣٤٤ هـ. ق. عزم "أحمد شاه" على السفر إلى إيران من طريق مرفأ "بمباي" الهندي. و أبرق إلى "رضا خان" رئيس الوزاره يخبره بعزمه. فأجابه هذا ببرقيه رحب فيها بقدمه و أظهر السرور به. و حزم الشاه أمتعته و اشترى بطاقات السفر له و لحاشيته و ذويه، و سبقته أمه فسافرت على طريق بيروت.

و لكن وقعت في ذلك الحين و الشاه على أهبة السفر، فتنه عظيمه في طهران دامت بضعة أيام بسبب فقدان الخبز. و سارت مظاهرات ضخمة قتل فيها بضعة رجال و جرح آخرون، و سار بضعة آلاف من نساء الأحياء الشعبيه إلى المجلس النيابي في يومين متتاليين فشتن النواب و هددتهم و توافد الناس بالألوف إلى بيوت العلماء المراجع شاكين ضاحين، و تدخل الجيش لاختماد الفتنة. و اعتقلت الحكومه العسكريه جماعه كبيره و كانت القرائن تدل على أنها أزمه مفتعله. افتعلتها الشرطه بتدبير من "رضا خان" لإيجاد الفتنة و التشويش على الشاه و المعارضه و تأخير عوده الشاه إلى إيران لإتمام تدابير مؤامره متوقعه.

و قبل أن تصل إلى الشاه أخبار هذه الفتنة كان قد أرسل إلى "محمد حسن ميرزا" ولى العهد عده برقيات بالشفره يستوضحه فيها بعض القضايا. و لكن هذه البرقيات ظلت بلا جواب إلى أن قرأ في الأخبار الصحفيه ما يستفاد منه أن الوضع في طهران غير مرض. فأرسل برقيه بالشفره إلى ولى العهد و برقيه صريحه إلى رئيس الوزاره يستوضحهما الأمر.

فأجابه ولى العهد ببرقيه صريحه بان القضيه هي ما يعرضه على جلالتك رئيس الوزاره في برقيته. فاستدل الشاه من هذه البرقيه على أن في طهران تقع حوادث مهمه، و أن ولى العهد لم يستطع أن يوضحها له حتى بالشفره لأنه محجور عليه.

و أما "رضا خان" فأبرق إلى الشاه جوابا مطولا على برقيته قال فيه إن التحقيق أثبت أن للروس يدا في تحريك الفتنة و أنهم يسعون إلى إشعال ثوره. و أن استكمال التحقيق اقتضى توقيف بعض رجال البلاط للاشتباه بان لهم علاقات ببعض الأوساط الأجنبيه، فوقفوا بعد إعلام ولى العهد بأمرهم و بعد التحقيق أطلق سراحهم.

و تبودلت بعدها عده برقيات بين الرجلين في هذا الموضوع و في كل منها كان "رضا خان" يطمئن الشاه إلى أن الحاله الأمنيه جيده تمكنه من العوده إلى إيران. و لكنه كان ينذر الشاه، ضمنا لا صراحه، بأنه هو وحده "رضا خان" القادر على حفظ الأمن و تسلّم زمام السلطه. و في إحدى هذه البرقيات أنباه أن في أذربيجان حركه مخالفه لعودته، و أن برقيات وردت من أذربيجان تتضمن المعارضه له.

و رأى الشاه نفسه غير قادر على العوده إلى إيران في هذه الأحوال.

و كان فريق من أعيان الايرانيين و غيرهم، و منهم "آقا خان"، قد أشاروا عليه بتأخير عودته لأن الظروف الداخليه في إيران غير مؤاتيه بسبب حركات

"رضا خان" و تصرفاته المناهضة للشاه و من ثم عدل عن العوده و أجل موعد سفره إلى وقت غير معين، و أبلغ قراره إلى طهران. و قد حدثت هذه الأمور في أواسط شهر مهر سنه ۱۳۰۴ هـ. ش. الموافق شهر ربيع الأول سنه ۱۳۴۴ هـ. ق. و استجرت إلى أواخر هذين الشهرين.

خلع الأسره القاجاريه

في تلك الأيام كانت كل الوقائع تسير بالملكيه القاجاريه إلى الزوال، و تفتح في وجه "رضا خان" طريق الوصول إلى غايته. فالسلطه في الداخل كلها في يده بواسطة الجيش و واسطه المجلس النيابي. و في أيام فتنه أزمه الخبز اعتقل و جهاء معارضييه المؤيدين للشاه بحجه المحافظه على الأمن و ألقاهم في السجن فأمن جانبيهم. بل تجاسر فاعتقل بعض رجال البلاط مستهينا بالشاه و نائبه ولى العهد. و السياسه الخارجيه الفعاله في إيران، أى سياسه السوفييات و سلباسه [سياسه] الإنكليز، تؤيده و تناقض الشاه. و كان هذا قد استدعى إليه سفير إيران في لندن أكثر من مره و باحثه في موضوع عودته. و كان السفير يفهمه في كل مره أن الإنكليز لا يوافقون على عودته. بل صرح الشاه مره بان الإنكليز أبلغوه صراحه لا كتابه أن لا سبيل إلى التعامل بينهم و بينه.

و نشرات الأخبار السوفيائيه لا تنفك تؤيد "رضا خان" و تصف خصومه بالرجعيه. و من ثم كان الشاه و أنصاره من الايرانيين، و إن كانوا أكثريه، عاجزين لا- سبيل لهم إلى المقاومه. و أصبح واضحاً أن إقدام "رضا خان" على القيام بخطوته الأخيره أمر وشيك الوقوع.

و أيقن رئيس المجلس "الميرزا حسين خان بيرنيا مؤتمن الملك" - و هو أخو النائب "الميرزا حسن خان بيرنيا مشير الدوله" رئيس الوزاره الأسبق - مما لديه من معلومات و وثائق، أن موضوع خلع الأسره القاجاريه عن عرش إيران سيعرض على المجلس النيابي لا- محاله، و أن المجلس سيصوت بالإيجاب، فبادر إلى الاستقاله من رئاسه المجلس ليتجنب مشاركه النواب في مخالفه القانون الأساسى، إذ أن إقدام المجلس على ذلك ينقض هذا القانون. و ليس من حق المجلس أن ينقضه. و كانت استقاله رئيس المجلس في منتصف شهر مهر سنه ۱۳۰۴ هـ. ش. الموافق ۱۸ ربيع الأول سنه ۱۳۴۴ هـ. ق.

و أصر هذا على الاستقاله مع ما بذله النواب من محاولات لاقتناعه بالرجوع عنها و انتخب المجلس بدلا عنه "الميرزا حسن خان مستوفى الممالك". و لكن هذا لم يلبث أن استقال أيضا لنفس السبب. فتولى الرئاسة نائب الرئيس، و كان من صنائع "رضا خان".

و هيا الحكام العسكريون في مختلف الولايات جماعات من الأهالى يوالون إرسال برقيات إلى المجلس النيابي و الصحف يطلبون فيها خلع الأسره القاجاريه. و أوعزوا إلى دوائر البرق و البريد أن تعفى المرسلين من أجره إرسالها. و لكنها، عادت فاجبرتهم على أداء أجورها كامله، بعد استتباب الأمر لهم. و كثرت النشرات السريه الليليه المطبوعه بطلب إبعاد القاجاريين عن الحكم.

و فى أوائل شهر آبان سنه ۱۳۰۴ هـ. ش. الموافق ربيع الثانى سنه ۱۳۴۴ هـ. ق. أبلغ الوزراء سبعة من النواب من أنصار رئيس الوزاره "رضا خان" أن رئيس الوزاره يطلب منهم ملاقاته فى منزله غدا صباحا قبل شروق الشمس. فذهبوا إليه فى فجر اليوم الثانى. و هناك أخرج "رضا خان" من جيبه سبحة و قال لهم أريد أن تعاهدونى على أن نكون متحدين متفقين معا فى كل

قضايا المملكة المهمه. ثم طلب أن يأخذ كل واحد منهم بطرف من السبحة و يعاهدوه على ذلك ففعلوا. و أخذ مثل هذا العهد على غيرهم من النواب و أهل النفوذ.

و نصب أنصار "رضا خان" صواوين فى المدرسه الحربيه و أقاموا مطابخ و مساقى للمطبات. و فتحوا أبوابها يقدمون فيها الطعام و الشراب لمن شاء.

و اجتمع فيها جماعه من المتشردين و البطالين و الفقراء و أهل البطنه يأكلون و يشربون و ينامون بالمجان. و أعطوهم عنوان "معتصمين" اعتراضا على حكم القاجاريين. و تلفنوا يوما إلى جماعه من تجار البازار المحترمين أن يحضروا إلى بيت رئيس الوزاره ليشاورهم فى بعض الأمور المهمه. فلما حضروا قادوهم إلى تلك المدرسه ليلاقيهم فيها. فلما دخلوا المدرسه احتجزوهم فيها ليكونوا، بالإكراه، فى جمله المعتصمين، فيرتفع بهم مستوى هؤلاء المعارضين و نوعيتهم.

و فى اليوم الخامس من شهر آبان سنه ١٣٠٤ هـ. ش. الموافق ٩ ربيع الثانى سنه ١٣٤٤ هـ. ق. هيا بضعه نواب من أنصار "رضا خان"، منهم "تيمور طاش"، مشروع قرار بخلع الأسره القاجاريه عن العرش الايرانى. ثم دعوا النواب واحدا واحدا إلى منزل "رضا خان" و عرضوا عليهم مشروع القرار و طلبوا منهم التوقيع عليه. فوقعه مؤيد و رئيس الوزاره بلا تردد و امتنع آخرون، و لكنهم عادوا فوقعوا بالوعد تاره و بالوعد أخرى.

و امتنع فريق آخر عن التوقيع فلم يدعوا.

و فى اليوم التاسع من آبان سنه ١٣٠٤ هـ. ش. الموافق ١٣ ربيع الثانى سنه ١٣٤٤ هـ. ق. عقد المجلس النيابى جلسه ترأسها نائب الرئيس إذ كان هذا قد استقال. و فى هذه الجلسه وافقت الأكثريه على خلع الأسره القاجاريه عن عرش إيران و توليه "رضا خان بهلوى" رئاسه الدوله مؤقتا ريثما تنتخب جمعيه تأسيسيه جديده.

و عقب نائب رئيس المجلس على هذا القرار بكلمه أثنى فيها على "رضا خان" و خاطبه بلقب "صاحب السمو".

و يجدر بالذكر أن هذه الجلسه لم تكن قانونيه لأن فى وقائعها مخالفه لنظام المجلس الداخلى. و كذلك كان قرار المجلس بخلع الأسره القاجاريه غير قانونى لأنه يخالف القانون الأساسى. و هذا القانون لا يجوز نقضه و تعديله إلا باستفتاء عام.

و قد عارض النائب السيد "حسن المدرس" البحث فى هذا الموضوع فى المجلس النيابى معارضه شديده لأنه تجاوز للقانون الأساسى. فمنعه رئيس المجلس من الكلام فخرج من المجلس غاضبا، و هو يقول: لو وافقتم على البحث فى هذا الموضوع بمائه ألف صوت لظل بحثكم مخالفا للقانون الأساسى! و كان قصر "محمد حسن ميرزا" ولى العهد و نائب الملك محاطا من مده طويله بالبوليس السرى يراقبون المترددين إليه. و قبل يومين من تلك الجلسه النيابيه التاريخيه أضيفت إليهم جماعه من الجنود و ضباط الجيش ينتظرون الساعه المعينه ليقوموا بما كلفوا به

فلما أطلق مدافع الإيذان بخلع الأسره القاجاريه منع الجنود الذين يحاصرون القصر الخروج منه و الدخول إليه. ثم حضر إلى القصر حاكم طهران العسكري، و كان فى السابق رئيس حرس "أحمد شاه" الملكى، و حضر معه أحد ضباط القوزاق و رئيس الشرطه، و ختموا بالشمع الأحمر أبواب العمارات و مخازن الغلال الملكيه. و أمر ولى العهد بمغادره إيران فورا.

و عاملوه معامله قاسيه مهينه. و فى الساعه العاشره ليلا سافر من طهران إلى قزوین مخفورا بجند مسلحين امتطوا بضع سيارات سارت أما سيارته و وراءها. و من قزوین أبعده إلى بغداد.

بلاغ "رضا خان"

و فى يوم ١١ آبان سنه ١٣٠٤ هـ. ش. الموافق ١٥ ربيع الثانى سنه ١٣٤٤ هـ. ق. نشر "رضا خان" بلاغا قال فيه إنه سعيد بتمكنه اليوم من تحقيق المرام الذى ما زال يسعى إلى تحقيقه من بدايه أمره. و هو المرام يقوم على أصلين مهمين، أحدهما تطبيق أحكام الشرع الإسلامى المبين بالعمل و الفعل، و الآخر توفير أسباب الرفاهيه للعموم. و إذ كانت إشاعه المسكرات أمرا يخالف الأصول الإسلاميه فإنه يأمر باغلاق كل الخمارات فى كل أنحاء إيران. و كذلك يأمر باغلاق المقامر. و ينذر المخالفين بالعقاب الشديد.

اعتراف الدول الأجنبية

و كانت إنكلترا أول من اعترف بالحكم الجديد من الدول الأجنبية.

و أبلغ اعترافها إلى "رضا خان" السفير الانكليزى فى يوم ١٢ آبان سنه ١٣٠٤ هـ. ش. الموافق ١٦ ربيع الثانى سنه ١٣٤٤ هـ. ق. و ٢ تشرين الثانى سنه ١٩٢٥ م، أى بعد ثلاثه أيام من إقامه حكمه. و فى اليوم التالى (١٣ آبان) تبعها الاتحاد السوفياتى. و بعده بالترتيب: ألمانيا و إيطاليا و بلجيكا و مصر و بولونيا.

تمليك رضا خان

و انتخبت جمعيه تأسيسيه جديده فرض أعضاؤها فرضا بقوه الجيش و الشرطه. و اجتمعت فى ١٥ آذر سنه ١٣٠٤ هـ. ش. الموافق ١٩ جمادى الأولى سنه ١٣٤٤ هـ. ق. و افتتحها "رضا خان" بخطاب. و حضر إليها بالعربه الملكيه فى موكب رسمى ضخم مما يقام فى العاده للملوك من التشريفات فى مثل هذه المناسبات. و رفعت على بنائه المجلس الرايه الملكيه الخاصه. و تخلل خطابه فى افتتاح الجلسه أربع عشره طلقة مدفع. و لما انتهت خطبته خرج من الجلسه إلى غرفه خاصه فارتاح فيها قليلا ثم خرج ليعود إلى منزله. فلما تحرك ركبته أطلقت طلقة مدفع. و سار إلى بيته فى نفس الموكب الذى جاء فيه. فلما دخل بيته أطلقت طلقة مدفع أخرى.

و عقدت الجمعيه التأسيسيه خمس جلسات. و عقدت الجلسه الخامسه فى ٢٢ آذر سنه ١٣٠٤ هـ. ش. الموافق ٢٦ جمادى الأولى سنه ١٣٤٤ هـ. ق. و فيها تقرر تعديل القانون الأساسى بقرار يقضى بخلع الأسره القاجاريه عن عرش إيران و إسناد منصب الملك إلى "رضا خان" و جعله إرثا فى أعقابه. و أصبح بمقتضى هذا القرار "صاحب الجلاله رضا شاه بهلوى". شاهنشاه إيران.

و فى ٢٤ آذر سنه ١٣٠٤ هـ. ش. الموافق ٢٨ جمادى الأولى سنه ١٣٤٤ هـ. ق. حضر إلى المجلس النيابى و أقسم اليمين القانونيه. و فى اليوم التالى جلس على عرش الملك فى قصر المرمر. و حضر هذا الجلوس سفراء الدول الأجنبيه و هناه سفير إنكلترا نيابه عنهم و أصاله عن نفسه بخطاب مطول.

تتويج "رضا شاه"

و فى ٤ أرديهشت سنه ١٣٠٥ هـ. ش. توج "رضا خان" فى احتفال واسع فخيم. و استدعت حماه السفير الانكليزى من لندن بالطياره لترتيب قاعه التتويج. و كان فى الخزانة الملكيه عده تيجان جميله ثمينه تناسب رأسه.

و لكن أصر على صياغه تاج جديد باسم "التاج البهلوى" فعهد إلى صانع روسى مهاجر بصياغه هذا التاج. و جلس "رضا خان" على "تخت طاوس" المشهور الذى جلبه "نادر شاه" من الهند حين فتحها. و حمل التاج إليه "تيمور طاش" وزير بلاطه فتناوله منه و وضعه على مفرقه و تمنطق بسيف "نادر شاه". ثم ركب العربه الملكيه و طاف فى شوارع المدينه، و قد أخذت زينتها بالاعلام و الأضواء.

و فى ٥ أرديهشت سنه ١٣٠٥ هـ. ش. جلس فى قصر "گلستان" الملكى ليتقبل التهنئه من سفراء الدول الأجنبيه. و ألقى السفير السوفياتى كلمه التهنئه نيابه عن سائر السفراء.

حكم رضا شاه بهلوى

دام ملك "رضا شاه بهلوى" على إيران حوالى ستة عشر عاما، من ٥ آذر سنه ١٣٠٤ هـ. ش. إلى ٢٥ شهريور سنه ١٣٢٠ هـ. ش، و كان ملكه استبداديا، فرديا مطلقا ارتكب فيه فظائع من الإرهاب و الغدر و النهب و قمع الحريات و التكنيل بالأبرياء بالسجن و التعذيب و الاغتيال.

و أعجبتة خطه "مصطفى كمال" فقلده فى إكراه الناس على التلبس بمظاهر الحياه الغربيه الأوروبيه. فأجبر النساء على خلع الحجاب و أجبر الرجال على ارتداء الملابس الفرنجيه. و أذل رجال الدين و المتدينين و حاربهم و استهان بالمقدسات الدينيه. و حجته فى ذلك أنه يريد تمدين إيران و تحضيرها على طراز الحضاره الأوروبيه.

و لكنه جهل أو تجاهل أن الأساس الذى قامت عليه الحضاره فى أوروبا إنما هو الديمقراطيه و الحياه النيابيه الدستوريه الصحيحه، الحياه التى حفظت للأوروبيين حريه القول و الفكر و المعتقد. و أنه، من هذه الجبهه، قد سلك فى بلاده طريقا مناقضه لتلك الحضاره و تلك المدينه. فقد أوقف إيران عن متابعه خطواتها الأولى التى بدأت بها سيرها إلى الحياه النيابيه الدستوريه، و انعطف بها إلى الخضوع لحكم دكتاتورى مطلق. بل إن وصول "رضا شاه بهلوى"، داعيه الحضاره الغربيه، إلى العرش كان نقضا لمفاهيم الحضاره الغربيه. فقد توسل إليه بتجاوز القانون الأساسى و مخالفه نظام المجلس النيابى الداخلى و بتزوير الانتخابات النيابيه. و هى أمور تعدها الحضاره الأوروبيه و المدينه الغربيه من المنكرات فى بلادها.

و قد استطاع "موتسو هيتو" قبله أن يسمو باليابان من حضيض حياه القرون الوسطى إلى ذروه المدينه الغربيه المعاصره، و

أصبحت بلاده، بين عشيه و ضحاها، تنافس و تضاهى أرقى الدول الأوروييه، بل قد تتفوق عليها، فى الصناعه و الثقافه و العلم و
الفنون العسكريه، من غير حاجه إلى

ص: ٢٠٧

إكراه الناس على لباس معين و مظهر فردي معين و عقيدته دينيه معينه، بل تركهم أحرارا يلبسون ما يعجبهم و يعتقدون بما يروق لهم. و قضى على النظام الاقطاعي ليفسح المجال للنظام الديمقراطى و مستلزماته من رقى علمى و صناعى و حربى، لا ليحل دكتاتوريه فى محل النظام الاقطاعى، و يصبح خليفه للاقطاعيين يستأثر، وحده من دونهم، بالتحكم فى مقدرات الناس، كما فعل "رضا شاه بهلوى".

و قبل ذلك استطاع "غاريبالدى" أن يوحد إيطاليا و يقضى على نظام ملوك الطوائف، و يخلق دولة مركزيه موحده على قانون واحد و حكومه واحده، من غير حاجه إلى الغدر و الاغتيال و التعذيب و الإرهاب.

حكم "رضا شاه بهلوى" ستة عشر عاما، و حكم ابنه "محمد رضا بهلوى" بعده سبعة و ثلاثين عاما، ظل الريف الايرانى - و هو ريف واسع مترامى الأطراف - فيها محروما من الماء و الكهرباء و الطرق المعبده و الخدمات الطبيه. و عمت الرشوه و الفساد البلاط و الدوائر الحكوميه. و استحكم الحكم البوليسى ينغص على الناس حياتهم بالارهاب و السجن و التعذيب و الخوف. و أوذى الناس فى مشاعرهم الدينيه و الخلقيه. و أصبحت الثروه الضخمه التى تحصل عليها إيران من دخل النفط و سيله إلى تعطيل الإنتاج المحلى - و هو إنتاج بدائى بسيط - و وقف تقدمه بدلا من أن تكون و سيله إلى تحسينه و تطويره. و ذلك بسبب قوانين الاستيراد و المتاجره، القوانين التى حرمت الإنتاج المحلى من كل حمايه و إباحته للمزاحمه الاجنبيه تعطله و تمحقه.

و بذلك تحولت الثروه النفطيه إلى ثروه استهلاكيه عقيمه تؤخذ اليوم من الأجانب ثمنا للنفط لتعاد إليهم غدا ثمنا للبضائع الاستهلاكيه الكماليه، فأين هذا من مقومات الحضاره الغربيه؟! و استحوذ على الأب و الابن كليهما، و لا سيما الابن، هوس "التمثيل" فأقاموا لأنفسهما من التماثيل ما لم يقم لجورج واشنطن و "بوليفار" و "سان مارتين" و "غاريبالدى" أنفسهم. فأينما توجهت طالعك تمثال لأحدهم. و كل تمثال أقيم على شكل و وضع خاص. و عند كل تمثال حارس يحرسه من غضب الناس. إذ لو ترك بلا حراسه لما استقر فى مكانه لحظه و لنفسه الناس نسفا. و لو أن نفقه تمثال واحد من هذه التماثيل خصصت لقرية من القرى لكفت لكهربتها و إنشاء مستوصف طبي يسعها. فهل كان هذا اقتداء بالتمدن الأوروبى؟! إن المقررات الحضاريه التى فرضها "رضا شاه بهلوى" و ابنه من بعده على إيران لم تمنح إيران شيئا من الحضاره الغربيه الأورويه سوى مفاستها من إباحيه جنسيه و انحلال خلقى، و حجبت عنها كل مقومات تلك الحضاره الجديده من تقويه الإنتاج الاقتصادى الوطنى و حمايته من المضاربه الاجنبيه و رعايه للقانون و الديمقراطيه و الحريات العامه و الفرديه. و قد عوض "رضا شاه بهلوى" الايرانيين عن هذا كله بإدخال بدعه "الكرنفال" إلى إيران! و مما ناقض به "رضا شاه بهلوى" مفاهيم الحضاره الأورويه الغربيه.

و هو يعده تطبيقا لتلك المفاهيم و يمن به على إيران و الايرانيين، ما أسماه "تجميل طهران". و لم يكن لهذا التجميل عنده من معنى سوى شق الشوارع العريضه المستقيمه و هدم كل ما يعترضها من أبنيه و لو كانت آثارا تاريخيه و منشآت فنيه جميله. و من أجل ذلك هدم أكثر من عشر بوابات كانت لا تزال قائمه من سور طهران القديم و كانت مبنيه بناء فنيا جميلا مزخرفه بالكاشى. و هدم بعض المدارس القديمه و بعض قصور القاجاريين أيضا و قد فاتته ان الإبقاء على أمثال هذه الآثار مقدم عند أهل الحضاره الغربيه الأورويه على شق الشوارع العريضه المستقيمه. بل هم، إذا اضطر أحدهم إلى هدم بناء قديم له يخشى من سقوطه بسبب القدم و كان ذلك البناء قائما فى محله يراد لها أن تبقى على وضعها القديم، أجبروا صاحب البناء على إعادة بنائه كما كان و حيث كان. و قد يضطرون إلى شق شارع يعترض امتداده بناء أثرى أو بناء سبق أن وقعت فيه حادثه مهمه من

حوادث تاريخهم. فإذا وصلوا في شق الشارع إلى ذلك البناء انصرفوا به عنه ولا يباليون أن يحدث ذلك اعوجاجا في بعض الشارع. وهم يقيمون المنشآت الحديثه من أبنيه و شوارع عريضه مستقيمه حيث لا تقتضى إقامتها إزاله معلم من معالم القديم.

ظل "رضا شاه بهلوى" يتملق العامه و رجال الدين بالتظاهر بالتدين و إقامه الشعائر المذهبيه إلى أن استتب له الأمر و جمع في يده زمام السلطه المطلقه. و عندئذ تنكر للدين و كل ما يتصل به. فبعد أن كان يجلل ثكنه القوزاق بالسواد أيام المحرم و يواظب على إقامه العزاء الحسينى و يقف بنفسه يستقبل الوافدين إلى المجلس و ينعم على الخطباء بالهدايا، أمر بابطال ذلك كله. و أمر بمنع الناس من إقامه مجالس العزاء الحسينى إلا باذن من الشرطه.

و بعد أن كان يشكل موكبا من القوزاق يشارك يوم عاشوراء المواكب الحسينيه التى يسيرها الأهالى فى أنحاء المدينه، و يسير هو فى مقدمته حاسر الرأس معفرا بالتراب علامه الحزن أمر بمنع الناس من تسيير هذه المواكب، و حرض على تسيير مواكب "الكرنفال". بل اتفق فى إحدى السنين من أيام ملكه أن سارت مواكب "الكرنفال" فى شوارع طهران فى ليله عاشوراء نفسها.

و كانت عده من الكميونات جهزت على النحو المعروف فى تجهيزات الكرنفال، و فيها الراقصون و الموسيقى و مظاهر الابتهاج و الهزل و التهريج. و بعد أن كان يسير حافيا إظهارا للأسى و الأسف و الخشوع فى مقدمه موكب القوزاق ليله الحادى عشر من المحرم المعروفه عند الايرانيين باسم "شام غريبان" (أمسيه المغربين)، لم يتورع عن أن يدخل بحدائه إلى المقامات المقدسه غير مراعاة حرمتها متعمدا إهانتها و تحدى شعور الناس الدينى، كدخوله يوما مع جلاوزته إلى مقام السيده "معصومه" فى قم و دخوله إلى مقام الامام الرضا (ع) فى مشهد لتعقب بعض المعارضين من رجال الدين و معاقبتهم.

قتل السيد "حسن المدرس"

كان من أعظم الجرائم التى ارتكبتها "رضا شاه بهلوى" و هو يمن على إيران بأنه رائدها إلى التمدن و التقدم، إقدامه على اعتقال السيد "حسن المدرس" ثم قتله على نحو لم يعهد فى غير عصور الرق و الاستعباد! كان السيد المدرس فقيها مجتهدا ورعا زاهدا. و طنيا صلبا خطيبا مفوها. شجاعا. حاضر الذهن سريع الخاطر و يعيش فى حياته الخاصه فى منتهى البساطه فى المأكل و الملبس و المسكن انتخب نائبا عن طهران للمجلس النيابى الثانى سنة ١٣٢٨ هـ. ق. و ظل ينوب عن طهران فى المجلس إلى نهايه دورته السادسه فى ٢٢ خرداد سنة ١٣٠٧ هـ. ش. الموافق ٢٦ صفر سنة ١٣٤٧ هـ. ق. و كان دائما يحصل على أكثرية أصوات الناخبين. و مع أنه نشأ فى بيئه دينيه علميه صرفه فإنه حين تعاطى السياسه برع فيها حتى أصبح من أعلامها، و مارس الحياه النيابيه فسرعان ما أصبح برلمانيا من

الطراز الأول، و لكلمته فى المجلس دوى استحسان و إعجاب فى المحافل السياسيه و الشعبيه. و يجمع المؤرخون على أنه كان من مفاخر إيران فى تاريخ تلك الحقبه. و مع كل ما لقيه فى حياته السياسيه من شداثد و صدمات فقد ظل ثابتا لا يتزعزع فى حمايه الدستور و الدفاع عن الحريات العامه.

و من ذلك ثباته على معارضه "رضا شاه" مع كل ما بلغه هذا من جبروت و طغيان حتى ضاق به ذرعا. فقرر التخلص منه بالقتل. فأرسل إليه من يغتاله. و كمنوا له عند الفجر فى يوم ٧ آبان سنه ١٣٠٥ هـ. ش. قرب مدرسه اعتاد أن يذهب إليها فى ذلك الوقت للدرس. فلما واجههم، و رأى نفسه فى طريق مسدوده لا- منفذ منها للفرار قام بحركه تدل على سرعه خاطر و حضور ذهن عجيبين. حركه يصفها أحد المؤرخين بأنها تشبه الحركات التى يخترعها الكتاب الخياليون فى الروايات البوليسيه. فاستطاع بهذه الحركه أن يقى مقاتله من الرصاص و أصيبت يده فقط، و فر المعتدون و هم يحسبون أنهم أصابوا قلبه. و لما شفيت يده عاد إلى المجلس النيابى أشد عزمه و أثبت جنانا.

و فى انتخابات المجلس السابع سنه ١٣٠٧ هـ. ش. الموافق سنه ١٣٤٧ هـ. ق. أبعد المدرس عن النيايه بتزوير الانتخابات، إذ أهملوا عند فرز الأصوات كل الأوراق التى تحمل اسمه فلم يحصل على شىء من الأصوات على الإطلاق. و علق هو على هذه النتيجة بقوله: لنفرض أن الطهرانيين لم ينتخبنى أحد منهم. و مع هذا فلا بد من أن أنال صوتا واحدا هو الورقه التى ألقيتها أنا بنفسى فى صندوق الانتخاب فيها اسمى. فأين هى هذه الورقه؟! و قد أحدثت هذه الحجه الدامغه ضجه فى الأوساط السياسيه و الشعبيه و أخرجت الحكومه. فأرسل إليه "رضا خان" رسولا فى السر يعرض عليه أن يرشح نفسه عن إحدى المحافظات الأخرى و يعده بان يوعز إلى الناخبين بانتخابه نائبا عنها.

و لكن السيد المدرس زجر الرسول زجرا عنيفا و أجابه: قل لقائد الجيش إن كان رجلا فليترك الناس أحرارا و سيرى كم مدينه تنتخبنى نائبا عنها! أما المجلس الذى أكون فيه نائبا بامر منه فحقه أن تلتطخ بوابته الوحل! فلما يئس "رضا شاه" من حمله على الإذعان له أرسل إليه يأمره باعتزال السياسه. فأجابه السيد المدرس بان تعاطى السياسه و النضال فى سبيل الحريه هو تكليف شرعى واجب على لا أنصرف عنه، و سأواظب عليه أينما كنت.

و من ثم قرر "رضا شاه" أن يتخلص منه. فأمر رئيس الشرطه باعتقاله و نفيه. و فى منتصف الليل من يوم ١٦ مهر سنه ١٣٠٧ هـ. ش.

الموافق ٢٢ جمادى الآخره سنه ١٣٤٧ هـ. ق. اقتحم رئيس الشرطه مع جماعه كبيره من رجاله بيت السيد "حسن المدرس"، فحجزوا نساءه فى غرفه و أفلوا بابها. و قاومت كبرى بناته فدفعوا بها دفعه شديده إلى داخل الغرفه فاصيبت بلطمه و وقعت مغمى عليها. و اعتقلوا السيد المدرس و اعتقلوا أبناءه و ضربوهم ضربا اليمه صفعا و لكما بالأيدى و ركلا بالأقدام و شتموهم شتما قبيحا و أوقعوا بهم جراحا. ثم عموا رأسه و جروه بلا عمامه و لا عباءه، بل إنهم لم يمكنوه من انتعال حذائه، و جروا أبناءه إلى سياره نقلتهم إلى إداره الشرطه، و نقل السيد المدرس بعدها إلى خراسان و سجن فى قلعه خربه فى "خواف" الواقعه عند حدود الأفغان. و أطلق سراح أبنائه فى اليوم الثانى من اعتقالهم و لكن فرضت عليهم الإقامة الجبريه فى طهران.

و انقطعت أخبار السيد "حسن المدرس" لا يدرى أحد أين هو و لا كيف هو إذ منعت زيارته عن كل إنسان. و ظل فى هذا

السجن عشر سنوات، صدر بعدها الأمر بقتله. فنقل من "خواف" إلى "كاشمر". وهناك قتلوه قتله فظيعة في ١٠ آذر سنة ١٣١٦ هـ. ش. الموافق ٢٨ رمضان سنة ١٣٥٦ هـ. ق. و عمره يومئذ في نحو الثالثة و السبعين! و بهذا يبدو واضحا أن المتحضر التقدمي الذي أراد أن يقيم في إيران أساس التمدن الصحيح باشاعه الحرية و العدالة و بسط الأمان و الديمقراطية و مراعاة القانون و المحافظه على مقومات الشخصية القومية، و هي الأصول التي يعترز متمدنون أوروبا بإقامتها في بلادهم، إنما كان السيد "حسن المدرس" و أمثاله من مجاهدى الحرية و الديمقراطية! و أن تسيير مواكب "الكرنفال" و الخروج على قواعد الحشمة و محو مظاهر الشخصية القومية الخاصه و نقض الآثار الفنية الجميله و مد الشوارع العريضة المستقيمه على أنقاضها لا يغنى عن المدينه الحقيقيه القائمه فى أوروبا شيئا. و أن معامله الرعيه بالاستبداد و الطغيان و الإرهاب و الاذلال و تزوير الانتخابات إنما هى ارتداد إلى حياه القرون الوسطى و أزمنه الرق و العبوديه، فهى الرجعيه نفسها، و لوحفت بها مواكب "الكرنفال" و أشرقت بها صدور النساء العاريه فى فساتين السهره من آخر موديلات باريس و أحتوتها الجادات العريضة المستقيمه المزفته!

ضرب الشيخ الباقي و سجنه

كان المرجع الدينى الأكبر يومئذ المرحوم الشيخ "عبد الكريم الحائرى". و كان يقيم فى قم و فى معيته فقيه من كبار العلماء هو المرحوم الشيخ "محمد تقى الباقي". و كان على قدر كبير من التقوى و الورع.

و كان خازنا للشيخ الحائرى فى عهدته حفظ أموال الحقوق الشرعيه و إنفاقها فى وجوهها. و ينوب عنه فى إمامه الجماعه إذا تغيب عنها.

و قد اعتاد الايرانيون من قديم الأيام أن يكونوا حاضرين فى أحد المقامات المباركه ساعه حلول السنه الشمسيه الجديده. و يعدون حضورهم هذا فاتحه يمن و سعادته للسنه الجديده. و هذا اليوم هو يوم النيروز عندهم.

فذلك يشهد الازدحام فى تلك الساعه فى مقام الامام الرضا (ع) فى مشهد و مقام "عبد العظيم الحسنى" (رض) فى الرى و مقام السيده "معصومه" (رض) فى مدينه قم، و فى غيرها من المقامات المقدسه.

و فى ذلك اليوم من سنه ١٣٠٦ هـ. ش. الموافق ٢٧ رمضان سنة ١٣٤٦ هـ. ق. احتشد الناس فى مقام السيده "معصومه" (رض) فى مدينه قم ينتظرون حلول السنه الجديده. و حضرت من طهران أسره "رضا شاه بهلوى"، و فيها نساؤه فجلسوا فى غرفه خاصه فى أعلى أحد الأواوين من مقام السيده "معصومه" و كانت نساؤه سافرات سفورا كاملا.

فاغاظ ظهورهن سافرات فى هذا المقام المقدس الجمهور. و اشتد أحد الوعاظ، و هو يعظ على المنبر، فى إنكار هذا الأمر. و وصل الخبر إلى الشيخ "محمد تقى الباقي" فأرسل إلى أسره الشاه يقول: إن كنتم مسلمين فلتحتجب نساؤكم فى هذا المقام المقدس و إن كنتم غير مسلمين فما حضوركم هنا؟! فلم يعتنوا بقوله. فحضر بنفسه إلى المقام و زجرهن و أمرهن

بالاحتجاب أو الخروج و ثارت ضجه كبيره بين الجمهور. فخرجت أسره الشاه من المقام و ذهبوا إلى منزل قيم المقام. و من هناك تلفنوا إلى الشاه بالخبر. فأمر بإبلاغ رئيس شرطه قم أن يعتقل الواعظ و الشيخ محمد تقى الباققى. ثم حضر إلى قم بنفسه و معه جماعه من الجند. فلما ترجل من السياره أخذ بضرب كل من لقيه من الناس بالعصا و يركلهم برجله و يشتمهم شتما قبيحا. ثم دخل حرم المقام بحذائه و أستدعى رئيس الشرطه و رجاله و طلب إحضار الشيخ الباققى و الواعظ. فاما الباققى فكان قد اعتقل و أما الواعظ فأخبره رئيس الشرطه بأنه فر و لم يستطيعوا الاhtداء إليه فاشتد غضبه و أخذ يضرب رئيس الشرطه على فمه بالعصا فكسر أسنانه و أسال دمه، ثم أمر باعتقاله. فجىء بالشيخ الباققى على وضع مهين فطرحه أرضا على وجهه و هو يشتمه شتما قبيحا، و انهال عليه ضربا شديدا بالعصا إلى أن سكن غيظه. ثم أمر بإرساله و إرسال رئيس شرطه قم إلى طهران و وضعهما فى السجن. و ظل رئيس الشرطه مده شهرين فى السجن و توسلت عائلته بوزير البلاط "تيمور طاش" فشفع له عند الشاه و أفرج عنه و لكن عزل من وظيفته. و أما الشيخ الباققى فظل مده فى السجن إلى أن توسط له الشيخ عبد الكريم الحائرى فافرج عنه و لكن فرضت عليه الإقامة الجبريه فى ضاحيه "عبد العظيم" بالقرب من طهران، و ظل منفيا فيها إلى أن مات.

مقتل الشيخ "نور الله الاصفهاني"

فى الثانى من شهريور سنه ١٣٠٦ هـ. ش. الموافق ٢٧ صفر سنه ١٣٤٦ هـ. ق. نشرت الحكومه بلاغا عنيف اللهمجه أمرت فيه رجال الدين باجتتاب التدخل فى السياسه و الشؤون الحكوميه و أذرتهم بالعقاب إن لم يمتثلوا.

و تلقى رجال الدين هذا البلاغ بالاستياء. و زاد فى استيائهم ما تضمنه من عبارات مهينه. فتنادوا إلى الاجتماع فى مدينه قم. و أجمع منهم فيها حوالى سبعمائه عالم من مختلف الولايات. و أهم اجتماعهم "رضا شاه بهلوى" و حكومته لما كان لرجال الدين من نفوذ قوى فى نفوس العامه.

و اتفق أن كان نشر بلاغ الحكومه و اجتماع العلماء فى أيام صدور قانون التجنيد الاجبارى - و هو من حسنات العهد البهلوى - و قد تلقاه الناس بالحدز و الخوف، إذ كان شيئا جديدا فى حياتهم و له رهبه فى النفوس، و من ثم هبوا إلى مقاومته.

و كان فى أصفهان مرجع دينى كبير هو الشيخ نور الله. و كان ينتمى إلى أسره علميه عريقه. و له ماض مجيد فى حركه المطالبه بالنظام النيابى الدستورى، إذ كان فى مقدمه المطالبين به المكافحين فى سبيله. و أنتخب نائبا فى دوره المجلس الثانى. و انتهت إليه الرئاسه الدينيه و السياسيه فى أصفهان، لا يزال حاضرا لقضاء حوائج الناس و مساعدته المظلومين. فلما حضر إلى قم استجاب له لدعوه العلماء أصبح له المقام الأول بين المجتمعين.

و كان الشيخ "نور الله" يؤيد قانون التجنيد الاجبارى و يراه ضروريا ليران. و مثله كبار المراجع. و لكنه كان أيضا يرى ضروره مراعاة شعور العامه و أخذهم بالرفق. فأرسل من قم برقيه بهذا المعنى إلى رئيس المجلس النيابى و رئيس الوزاره. و كان الشاه و حكومته قد أخافهم اجتماع العلماء و أتباعهم فى قم فأرسلوا من قبلهم رئيس الوزاره و وزير البلاط لمفاوضه العلماء فى الموضوع. و حصل الاتفاق بين الطرفين على إجراء تعديل شكلى فى نص قانون التجنيد يخفف من وقعه فى نفوس الناس من غير أن يخالف روحه و ينحرف به عن مرماه، و إصدار بعض القرارات التى تضمن المحافظه على أحكام الشرع.

و أعدت الحكومه مشروع قانون بما تم عليه الاتفاق و قدمته إلى المجلس النيابى. و لكن حدث قبل طرحه فى المجلس للمناقشه

أن وعك الشيخ " نور الله " ثم توفي في ١ رجب سنة ١٣٤٦ هـ. ق. الموافق أوائل دى سنة ١٣٠٦ هـ. ش.

و المشهور بما يشبه الإجماع أن " رضا شاه بهلوى " أوعز إلى طبيب من أصحاب السوابق من المختصين به فسم الشيخ " نور الله " بحقنه تحت الجلد. و الثابت أن الشيخ " نور الله " تردد كثيرا قبل أن يأذن لذلك الطبيب بمعالجته، إذ كان يشك به. و أن حاكم قم حرص كثيرا على إقناع الشيخ " نور الله " بتمكينه من معالجته. و الثابت أيضا أنه ظهرت عليه فور حقنه أعراض شديده مخيفه، حتى اضطروا إلى استدعاء طبيين من أشهر الأطباء لينظروا فى حاله. فلما حضرا هالتهما الحاله التى وجداه عليها، فأرادا الاستفهام من الطبيب الأول عن نوع الحقنه التى حقنه بها. و لكنه كان قد اختفى. و بحث الناس عنه فى كل ناحيه من نواحي قم فلم يعثروا على أثر له. و لم يلبث حاكم قم أن رفع بعد وفاه الشيخ " نور الله " إلى منصب أعلى من منصبه، و كان قتل الشيخ " نور الله " قبل قتل السيد " حسن المدرس ". و عم الحزن عليه كل إيران. و أقيمت عدده مجالس عزاء شاركت فيها كل الطبقات فى طهران و أصفهان و قم. و لكن الصحف سكتت كلها لم تذكر شيئا عنه و لا عن وفاته، و أهمل مشروع القرار بما تم عليه الاتفاق فى موضوع التجنيد الاجبارى فلم يعرض على المجلس النيابى.

مقتل "محمد فرخى"

و كان من ضحايا " رضا شاه بهلوى " الصحفى الشاعر النائب " محمد فرخى " صاحب جريده " طوفان " و نائب يزد. و كانت المعارضه منحصره فيه و فى النائب " محمد رضا طلوع " نائب " لاهيجان " و كان رئيس المجلس و النواب الآخرون يحولون بينهما و بين الكلام فى المجلس. بل بلغ الأمر إلى أن صفع أحد النواب " محمد فرخى " صفعه أسالت دمه، فصاح " فرخى " قائلا: إذا كنت أضرب و أنا فى حصانه حرم القانون الأساسى، فكيف بى إذا كنت فى خارجه! ثم اعتصم فى المجلس لا يخرج منه ليلا. و لا نهارا إلى الليله التى تنتهى فى صباحها دوره المجلس و تسقط عنه الحصانه النيابيه. و فى تلك الليله فر من إيران و لجأ إلى الاتحاد السوفياتى. فبقى هناك مده ثم سافر إلى ألمانيا. ففضى فيها بضع سنوات. ثم التقى به هناك وزير البلاط " تيمور طاش " فامنه و أقنعه بالعوده إلى إيران. فعاد إليها و أقام فى طهران حرا لا يتعرض له أحد و لكنه مراقب من البوليس السرى حوالى سنه، فرضت عليه بعدها الإقامة الجبريه فى إحدى ضواحي طهران.

و بعد مده قليله أحيل إلى المحاكمه بدعوى كاذبه، و حكم عليه بالسجن. و عذب و اقتلعوا أظافره. و ابتلع، و هو فى السجن، كميته من الترياق بقصد الانتحار، بعد أن خط على جدار السجن قصيده شجيه جميله. و تداركوه و هو بين الموت و الحياه و عولج حتى شفى. و لكن ظل مثابرا على إسماع السجناء شعره و كلامه فى الدعوه إلى الثوره و التنديد بالظلم و الطغيان و التغنى بالحريه و نشدان الكرامه، حتى ضاق به " رضا شاه

بهلوى " ذرعا فأمر بقتله. و قتل بحقنه تحت الجلد بابره هوائيه، و هذا ثابت بالوثائق القضائيه، فى ٢٥ مهر سنه ١٣١٨ هـ. ش. و ترك " فرخى " قصائد رائعه تنبض بالاباء و النخوه و الألم و الشجو.

"سجن القصر"

تتابعت أعمال الاعتقال و القتل فى عهد "رضا شاه بهلوى" حتى بلغ عدد المقتولين و المفقودين من المحابيس فى وقت من الأوقات أكثر من أربعة و عشرين ألفا حسب إحصائيه رسميه. و أقيمت السجون و الزنانات فى جميع أنحاء إيران. و كان أفضعها السجن الذى أقامه فى طهران و عرف باسم "سجن القصر". و كانت له فى إيران سمعه كسمعه "الباستيل" فى فرنسا.

كان هذا السجن فى الأصل قصرا أثريا تاريخيا من قصور القاجاريين القديمه يعرف باسم "قصر قاجار". فأمر "رضا شاه بهلوى" بهدمه و بناء سجن فى مكانه. و لذلك عرف باسم "سجن القصر". و جهز بكل ما يلزم للتعذيب من زنانات و سراديب مظلمه و إغلاط. و جعل سجنا للمعتقلين السياسيين. كتب عنه "جان كونتر". و هو أمريكى أقام فى طهران فى تلك الحقبه و ألف عنها كتابا. قال:

"بالقرب من طهران قلعه بنيت فى مكان قصر كان يسكنه القاجاريون. و هو اليوم سجن السياسيين. و السجناء السياسيون لا يحاكمون فى إيران. و لا- لزوم لخلق تهمة يتهمون بها فى أجل الحكم عليهم بالعقاب، فإذا تقرر وجوب موتهم فلا حاجه إلى رميهم بالرصاص أو شنقهم. بل يكفى السم بوسيله خاصه يسميها السجناء السياسيون "اللحاق البهلوى"، أو إلقاء حبه من السم فى فنجان القهوة صباح يوم بهيج مشرق تحمل المتهم إلى جوف الأرض فلا يرى بعدها مثل هذا اليوم البهيج المشرق مره أخرى".

قتلى آخرون

كان رئيس حرس "رضا شاه بهلوى" ضابط شاب اسمه "أحمد خان فولاذين". و كان وطنيا طيب القلب. و على شاكلته جماعه أخرى من رفاقه الضباط. و قدما له ما يرى من ظلم الشاه و طغيانه. فواطا رفاقه على قتل الشاه و القضاء على نظامه و كادت خطتهم تنجح لو لا أن تخاذل أحدهم فأفشى سرهم للشاه. فأمر هذا بقتل "أحمد خان فولاذين" رميا بالرصاص. و روى أن أبدى ساعه أريد إنفاذ الحكم فيه شجاعه و أنفه فائقتين. فقد أصروا عليه أن يكتب رساله إلى الشاه يسترحمه فيها بطلب تخفيف الحكم عليه فرفض.

و كان الشاه حاضرا ينظر إليه مختفيا وراء شجره فى ساحه الاعدام. و لما سئل الضابط عما يوصى به، قال: أوصى بشيء واحد فقط هو أن تقولوا للشاه: إن قتلى و قتل غيرى من الوطنيين المستضعفين لن يديم ظلمك و لن ينفعك فى إقرار سلطانك! و لما أراد الضابط المأمور بقتله أن يرفع صوته بامر الجنود بإطلاق الرصاص عليه نهبه قائلا: يا حضره الضابط، الأصول العسكريه تقضى بان يصدر الأمر بإطلاق الرصاص على المحكوم عليه بالقتل باشاره بالسيف لا برفع الصوت! ثم قتل فى منتصف الليل من يوم ٢٤ بهمن سنه ١٣٠٦ هـ. ش.

و حكم على رفاقه بالسجن مددا مختلفه.

و كانت قبيله "قشقائى" - و مساكنها فى جنوب إيران - من أكبر قبائل إيران. و كانت لها سوابق وطنيه مجيده فى محاربه المستعمرين و الدفاع عن إيران. و كانت رئاستها قد انتهت مما قبل الحرب الكونيه الأولى إلى فتى من فتيان الشجاعه و المروءه و الوطنيه اسمه "إسماعيل خان" و لقبه "صولت الدوله" و كان رئيسا لها فى عهد "رضا شاه بهلوى" أيضا. و كان فى هذا العهد، هو و ابن له اسمه "ناصر خان" نائبين فى المجلس النيابى.

و فى يوم ٦ شهر يور سنه ١٣١١ هـ. ش. كانا عائدين من تشييع جنازه رئيس الوزاره الأسبق النائب "الميرزا حسن الآشتيانى مستوفى الممالك". و فيما هما خارجان من المقبره اعتقلتهما الشرطه و ساقتهما إلى "سجن القصر"، مع أنهما محفوظان بالحصانه النيايه لا يجوز اعتقالهما إلا بعد رفع الحصانه عنهما بقرار من المجلس النيابى.

و بعد يومين طلبت الحكومه من المجلس النيابى رفع الحصانه عنهما فوافق النواب على طلبهما و رفعت عنهما الحصانه و هما فى السجن! و ظلا فى السجن بلا محاكمه إلى أواخر سنه ١٣١١ هـ. ش إذ قتل "إسماعيل خان"، و هو سجين، و ظل ابنه "ناصر خان" مسجوناً سنوات ثم أطلق سراحه و لكن ظل خاضعا لمراقبه شديده إلى سنه ١٣٢٠ هـ. ش أى، بعد خلع "رضا شاه بهلوى" إذ عاد إلى قبيلته بلا إذن من حكومه الوقت.

و فى ١٨ خرداد سنه ١٣٠٨ هـ. ش. أمر "رضا شاه بهلوى" باعتقال الأمير القاجارى "فيروز ميرزا نصرت الدوله". و هو نائب و وزير سابق. كان وزيرا للخارجيه فى وزاره "وثوق الدوله" التى عقدت المعاهده الإيرانيه الإنكليزيه، معاهده سنه ١٩١٩ هـ. ش. بل كان مرشحا لتولى حكومه الانقلاب لو لا أن ارتات السياسه الإنكليزيه العدول عنه إلى السيد "ضياء الدين الطباطبائى". ثم أصبح وزيرا فى وزاره "رضا خان" الرابعه قبل خلع "أحمد شاه قاجار". و بعد تملك "رضا شاه بهلوى" أصبح وزيرا للماليه و ظل فى هذا المنصب ثلاث سنوات. و يوم أمر "رضا شاه بهلوى" باعتقاله كان لا يزال فى منصب وزاره الماليه. و هو يومئذ يعد الساعد الأيمن لوزير البلاط "تيمور طاش". و هذا كان يعد الساعد الأيمن ل "رضا شاه بهلوى" و ثانى رجل فى الدوله.

اعتقل "نصرت الدوله" و وضع فى السجن. ثم أفرج عنه بتوسط بعض أهل النفوذ و لكنه ألزم بالاقامه الجبريه فى منزله. و فى سنه ١٣٠٩ هـ. ش سيق إلى المحاكمه فحكم عليه بالحرمان من الحقوق المدينه و السجن مده شهرين و تاديه غرامه ماليه. أما التهمه التى أخذ بها فهى الارتشاء بمبلغ زهيد جدا من المال. و الأرجح أنها تهمة كاذبه.

و قضيه "نصرت الدوله" هذه نموذج من نوعيه الحكم فى تلك الأيام فأخذه رشوه ضخمة من الإنكليز لم تستوجب محاكمته، بل هى لم تمنع من انتخابه نائبا فى المجلس النيابى، و لا منعت "رضا خان" من اختياره وزيرا فى الوزاره التى ألفها رابع مره، و لا منعت "رضا شاه" يوم أصبح ملكا من نصبه وزيرا للماليه مده ثلاث سنوات. و لكن ارتشاءه مبلغ زهيد من المال - (١).

ص: ٢١١

١- كان أمير قاجارى آخر هو "أكبر ميرزا مسعود صارم الدوله" عضوا فى تلك الوزاره مؤيدا للمعاهده أيضا. و قد أخذ "وثوق الدوله" فاشترى بمال أملاكها وهبها الوزيران يومئذ رشوه من الإنكليز. فاما "وثوق الدوله" فاشترى بمال الرشوه أملاكها وهبها للدوله. و أما "صارم الدوله" فأنفق على إنشاء مؤسسات خيريه. و أما "نصرت الدوله" فلم يعلم مصير المال الذى أخذه. و لما

تملك "رضا شاه بهلوی" طالبهم ثلاثتهم بذلك المال و استرده منهم

على فرض صحه ذلك - استوجب عزله من الوزاره و محاكمته و سجنه و تجريده من الحقوق المدنيه ثم قتله! و يروى "مهدي قلى خان هدايت مخبر السلطنه" الذى كان رئيسا للوزاره يومئذ و "نصرت الدوله" وزير الماليه فى وزارته، فى مذكراته أن وزير العدليه استدعى إليه رئيس محكمه التمييز و أبلغه أن عليه أن يصدر حكما بمعاقبه "نصرت الدوله" و إلا- حكم علينا كلنا بالعقاب، و يعلق صاحب المذكرات على ذلك بقوله "السنه فى هذا العهد هى أن لا حصانه لأحد حتى النواب". و يقول: الظاهر أن الحكم على "نصرت الدوله" لم يكن كافيا فأكره رئيس محكمه التمييز على الاستقاله و عين فى مكانه آخر كان قد نظم قصيده فى هجاء أحمد شاه قاجار.

و يوم انتخب "نصرت الدوله" نائبا فى المجلس النيابى (قبل تملك "رضا خان") أراد بعض النواب الطعن فى نيابته استنادا إلى أخذه تلك الرشوه. فجاء من نبه النواب المعترضين إلى أن بحث هذا الموضوع قد يجر إلى كشف أمور تجعل "نصرت الدوله" دائنا لا مديونا. فسكنوا عن الاعتراض و يوم حوكم فى زمن تملك "رضا شاه" دافع عن نفسه بشجاعه و قوه دفاعا متينا، و أشار إلى هذا المعنى و سخر من التهمه التى يحاكم من أجلها.

و فى سنه ١٣١٥ هـ. ش. اعتقل مره أخرى و سجن فى طهران بلا محاكمه. و بعد بضعه أشهر نقل إلى سجن "سمنان" و منعت زيارته و مكاتبته منعاً عاماً. و ظل فى هذا السجن حوالى سنه صدر بعدها الأمر إلى طيب سجن الشرطه بالسفر إلى "سمنان" و قتله، فأبى الطيب أن يمثل للأمر.

فتولى قتله رجال الشرطه، و قتلوه، قتله فظيعة. و بعد قليل أعلن طيب السجن أنه مات بالسكته القليه.

و يجمع المؤرخون على أن السبب الحقيقى فى اعتقال "نصرت الدوله" و قتله إنما هو قوه شخصيته و تفوق مواهبه. و من ثم كان "رضا شاه" لا يطيق وجوده و يخشى أن يعارضه. بل اشتهر أن ما كان ينشره يومئذ بعض الصحف الفرنسيه من انتقاد للشاه كان بتحريض منه.

و كانت شرطه طهران تتولى تنظيمها و تدريبيها بعثه من الخبراء السويديين استقدمتهم الحكومه الإيرانيه من زمن بعيد لهذه الغايه. و قد قاموا بمهمتهم خير قيام. و كان "رضا شاه" يسعى من بدايه أمره إلى السيطرة على شرطه العاصمه ليجمع فى يده زمام كل القوى العسكريه. فلما أصبح رئيسا للوزاره أول مره بادر إلى إقاله السويديين من قياده الشرطه و عين فى مكانهم [مكانهم] جماعة من رجاله و عهد برئاسه الشرطه إلى ضابط اسمه "محمد الدرکاهى"، عرف من أيام طفولته بالاجرام، حتى أنه، يوم كان طالبا فى المدرسه، عرف بين رفاقه الطلاب باسم "محمد السكين" لأنه كان يحمل دائما فى جيبه سكيناً يهدد بها الطلاب و هو الذى اقتحم برجاله بيت السيد "حسن المدرس" فى منتصف الليل و ضربه و شتمه و روع عياله و اعتقله على ذلك النحو الفاجع.

و قدر كله على جهه القلب من صدره ركله ظل السيد المدرس يشكو منها إلى أن قتلوه تلك القتله الفظيعة. و هو الذى تولى بنفسه اعتقال "نصرت الدوله" و سجنه و يعد "الدرکاهى" هذا فى مقدمه الذين مهدوا السبيل لرضا شاه إلى العرش. و هو الذى تولى إنفاذ أمره ببناء "سجن القصر" الرهيب.

و كانت بين رئيس الشرطه هذا و وزير البلاط "تيمور طاش" منافسه على التقرب من الشاه. و كل منهما يسعى إلى أن يكون هو الرجل الثانى فى المملكه. و قد استطاع وزير البلاط أن يبعث الحذر فى نفس الشاه من رئيس الشرطه هذا، فأمر باعتقاله و سجنه بعد يومين فقط من افتتاح "سجن القصر" و بعد بضعه أشهر من اعتقال "نصرت الدوله". و سجن "الدركاهى" مده من الزمن بلا محاكمه، ثم أطلق سراحه و لكنه ألزم بالاقامه الجبريه فى منزله. و بعد مده أفرج عنه و لكنه أبعده عن الوظائف الحكوميه.

و فى سنه ١٣٠٨ هـ. ش. أمر "رضا شاه" باعتقال "دوست محمد خان بلوش" أحد كبار زعماء إقليم ز [بلوشستان] فاعتقل و أحضر إلى طهران و ألزم بالاقامه الجبريه فيها يرافقه شرطى ليل نهار. و لكنه استطاع الفرار بعد بضعه أشهر، و اتخذ طريقه متخفيا إلى "بلوشستان". و لكنه اعتقل قبل أن يصل إليها، فأعيد إلى طهران و قتل رميا بالرصاص.

و كان "عبد الحسين ديبا" من رجال البلاط و نائبا فى المجلس النيابى، و من المقربين إلى "رضا شاه" و من أصدقاء "تيمور طاش" و شغل قبل النيايه وظائف عاليه فى وزاره الخارجيه. و هو من خريجي معاهد باريس و إيران العلميه العاليه، يحسن بضع بلغات أجنبيه.

صدر الأمر باعتقال هذا النائب فاعتقل و سجن قبل رفع الحصانه النيايه عنه. ثم أحيل إلى المحاكمه بتهمه الارتشاء، تهمة بنيت على دليل واه. فحكم عليه بالسجن عشره أشهر. و فى أوائل سنه ١٣١٦ هـ. ش.

نقل من سجن طهران إلى سجن "ملاير" حيث قطعوه عن العالم الخارجى و عذبوه عذابا أليما. ثم قتلوه خنقا فى أوائل سنه ١٣١٧ هـ. ش.

و فى أواسط سنه ١٣١١ هـ. ش. نحى "عبد الحسين تيمور طاش" وزير البلاط عن منصبه. و فى أواخر تلك السنه أمر "رضا شاه" الشرطه بحراسه منزل "تيمور طاش" و منعه من الخروج منه و منع الناس عامه من زيارته. و بعد مده قليله صدر أمر بتوقيفه فى سجن الشرطه و إحالته إلى المحاكمه.

و "تيمور طاش" عسكري خريج كليه "بترسبورغ" (لينينغراد) الحربيه. من أشهر الساسه الايرانيين فى تلك الحقبه. و كان له أثر كبير فى تمكين ملك "رضا شاه". كان وزيرا فى وزاره "حسن بيرنيا مشير الدوله" سنه ١٣٠٠ هـ. ش. و فى وزارته "رضا خان" سنه ١٣٠٣ و ١٣٠٤ هـ. ش. و انتخب نائبا أكثر من مره. و أصبح وزيرا للبلاط بعد تملك "رضا شاه" و ظل فى هذا المنصب من سنه ١٣٠٤ إلى سنه ١٣١١ هـ. ش. و فى عهد وزارته للبلاط كان أيضا نائبا عن "نيسابور" كل هذه السنوات. و كان كل شىء فى البلاط حتى أصبح يعد رجل إيران الثانى. و قال الشاه يوما فى مجلس الوزراء "قول تيمور هو قولى أنا". و فى سنه ١٢٩٧ هـ. ش كان حاكما على جيلان فارتكب جرائم منها قتل تدمى القلوب أوقعها بالابرياء و بلغ بها الغايه من القسوه و الاستخفاف بحياه الناس و أرواحهم.

و لكن ذلك و أمثاله لم يمنع "رضا شاه" من أن يجعل "تيمور طاش" أقرب المقربين إليه فلا يرد له كلمه. حتى إذا بلغ هذه الغايه من النفوذ إذا به ينقلب عليه فيأمر بتوقيفه و محاكمته. فحوكم بتهمه الارتشاء يوم ٢٥ إسفند

سنة ١٣١١ هـ. ش. فى جلسه سريره و حكم عليه بالسجن الانفرادى ثلاث سنوات مع تجريمه من الحقوق المدينه و تاديه غرامه ماليه ضخمه. و وضع فى "سجن القصر". و بعد ثلاثه أشهر حوكم مره أخرى بنفس التهمه و حكم عليه بالسجن المنفرد خمس سنوات و تاديه غرامه ماليه ضخمه أخرى.

أما السبب الحقيقى لنكبه "تيمور طاش" فهو انصراف الإنكليز عن تأييده و نعمتهم عليه اتصاله بالروس و محاولته إحلالهم فى محل الإنكليز لاستثمار منابع النفط فى جنوب إيران. و يؤيد هذا القول أن حكومه الاتحاد السوفياتى لما علمت بالحكم على "تيمور طاش" و سجنه أرسلت إلى طهران "كاراخان" نائب وزير خارجيتها نفسه ليشفع عند "رضا شاه بهلوى" فيه.

فأجابته الشاه بان "تيمور طاش" مريض و لعله قد مات. فان كان لا يزال حيا نظرت فى هذا الأمر. و كان "تيمور طاش" يومئذ قد مات، إذ كان الشاه لما أحس بان "كاراخان" سيفتحه فى أمر العفو عنه قد أصدر أمرا بقتله فى السجن فقتل فى ٩ مهر سنه ١٣١٢ هـ. ش. و أراد المبعوث السوفياتى أن يجتمع بتيمور طاش فتظاهر بأنه يود مشاهدته "سجن القصر" فاذن له بالذهاب إليه. فتفقد السجن و طاف فى أقسامه، ثم سال عن محبس "تيمور طاش" فقيل له لقد قضى نجه قبل بضعه أيام. فلم يلبث "كاراخان" بعدها أن عاد إلى بلاده.

و يؤيد ذلك القول أيضا كتاب نشره "آغا بغوف" سنه ١٩٣٠ م فى باريس. و هو جاسوس روسى من كبار موظفى دائره التجسس السوفياتيه "الغيبو" كان يدير شبكه التجسس السوفياتيه فى الدول الأجنبيه. و منها الأفغان و إيران. ثم فر من روسيا و لجأ إلى أوروبا. و هناك نشر كتابه هذا، ثم لم يلبث أن اغتاله الروس.

و فى أوائل آذر سنه ١٣١٢ هـ. ش كان "رضا شاه بهلوى" فى "بابل" (١) و فى معيته وزير حريته "جعفر قلى خان" الملقب ب "السرदार الأسعد" و هناك أمر باعتقاله و نقله إلى سجن القصر فى طهران و بعد أن سجنه أربعة أشهر بلا محاكمه أمر بقتله: فقتل فى ١٣ فروردين سنه ١٣١٣ هـ. ش الموافق سنه ١٣٥٢ هـ. ق. بالسم قتله شنيعه.

و "السرदार الأسعد" هذا من زعماء قبائل البخاريين. و وزير سابق، تولى الوزاره عشر مرات. و كان فى مقدمه العاملين على خلع القاجاريين و حمل "رضا شاه بهلوى" إلى عرش إيران. و بعد قتل "تيمور طاش" احتل مكاتته عند الشاه و أصبح أقرب المقربين إليه. و لكنه لم يلبث أن انقلب عليه أيضا و قتله.

و يوم اقتحم الثائرون طهران سنه ١٣٢٧ هـ. ق. و خلعوا "محمد على شاه قاجار" عن العرش كان "جعفر قلى خان" هذا عضوا فى المحكمه الثوريه العليا التى شكلها الثائرون و حاكمت الشهيد المبرور "الشيخ فضل الله نورى" و رفاقه الشهداء الآخرين و حكمت عليهم بالقتل و قتلهم.

و بعد اعتقال "السرदार الأسعد جعفر قلى خان" بادر "رضا شاه" إلى اعتقال إخوته، و كانوا خمسهم، و اعتقل معهم جماعه من أقاربه، و ألقى بهم فى السجن. و قد مات أحد إخوته بعد ذلك و هو فى السجن و صادر أملاك البخاريين كلها. و قتل جماعه من رؤسائهم، و ظلت جماعه أخرى منهم فى السجن على حاله مهينه من الازلال و التحقير إلى ما بعد سنه ١٣٢٠ هـ. ش. أى بعد خلع "رضا شاه بهلوى"، إذ أفرج عنهم و عوملوا معاملة تطيب خواطرهم.

و فى سنة ١٣١٤ هـ. ش. اعتقل قيم الحضرة الرضويه " محمد ولى أسدى " و أحيل إلى المحكمه العسكريه فحكمت عليه بالقتل فقتل. و التهمه هى تحريضه الناس على مقاومه قانون السفور الاجبارى.

و فى سنة ١٣١٥ هـ. ش. انتحر وزير المالىه " على أكبر داور " و كتبت إذاره [إداره] الشرطه خبر انتحاره و نشرت بلاغا بأنه مات بسكته قلبيه.

و لكن الخبر ذاع من عائلته و المقربين إليه و الأطباء الذين عاينوه و قد انتحر بابتلاع كميته كبيره من الترياق و كان سبب انتحاره أنه أخذ فى أواخر أيامه يتوقع لنفسه مصيرا كمصير من سبقه ممن ساعدوا " رضا شاه بهلوى " على الوصول إلى العرش.

و كان أكبر أعوان " رضا شاه بهلوى " قبل تملكه ضابط اسمه " عبد الله خان طهماسبى " من أهل أذربيجان. و كان داهيه طاغيه مراوغا. و كان قبل تولي " رضا شاه " رئاسه الوزاره أمير عسكر أذربيجان. فلما تولى هذا رئاسه الوزاره عهد إليه أيضا بمنصب الولاية على ذلك الإقليم. و هو الذى استدرج، بامر من " رضا شاه " يوم كان رئيسا للوزاره، " مرتضى قلى خان إقبال السلطنه " أمير " ماكو " بالخديعه إلى تبريز و اعتقله ثم قتله بالسم، و مكن " رضا شاه " من ثروته الأسطوريه. و قد مر ذكر لك و هو الذى أخرج ولى العهد القاجارى الأمير " محمد حسن ميرزا " من القصر و أبعدته عن إيران على نحو كريبه من القسوه و الاذلال، و كان يومئذ حاكم طهران العسكرى.

و قد ألف كتابا فى تاريخ " رضا شاه ".

و لكن " رضا شاه " لم يلبث أن غضب فى سنة ١٣٠٣ هـ. ش. و كان يومئذ رئيسا للوزاره، على " عبد الله خان طهماسبى " و أخذ يكيد له. و بدأ بمحاوله إبعاده عن أذربيجان حيث مركز قوته و سلطانه، و لكن الأهالى عارضوا نقله منها فاضطر إلى إقراره على عمله. ثم استدرجه بالخديعه إلى طهران و استبقاه فيها و عينه حاكما عسكريا عليها. و بذلك قطعه عن مركز نفوذه و قوته، و عن كل تدخل فى شئون أذربيجان.

و بعد تملك " رضا شاه بهلوى " عينه وزيرا للحريه فى أول وزاره تشكلت فى عهده فى سنة ١٣٠٤ هـ. ش. ثم وزيرا للأشغال العامه سنة ١٣٠٦ هـ. ش. و لكن " رضا شاه " كان لا ينفك يضايقه و يذله و يأخذ عليه المسالك حتى بلغ به الخوف و الياس إلى أن ذهب إلى شيخ يدعى صنع الكرامات و السحر و معرفه الغيب، و طلب منه أن يصنع له شيئا ينجيه من هذا الحاكم الرهيب. و لكن الشيخ أخبر " رضا شاه " بما طلبه منه " عبد الله خان طهماسبى " بعريضه بعث بها إليه فى السر. فتشكلت على الأثر محكمه خاصه من بعض المقربين إلى الشاه فى مكتب أحدهم، و وجه " عبد الله خان طهماسبى " بالشيخ و اعترافه فكان ذلك مذله أخرى فوق ما يلقاه من إذلال.

و فى ١٤ فروردين سنة ١٣٠٧ هـ. ش. كان " عبد الله خان طهماسبى " فى إقليم " لورستان " يتفقد بعض المنشآت فاعترضه كمين مسلح، و هو يعبر بسيارته جسرا، و أطلقوا عليه الرصاص فقتلوه قرب مدينهر.

١- بابل: بضم ألباء الثانيه مدينه إيرانيه على شاطئ بحر الخزر.

"بروجرد". و دلت القرائن و السوابق على أن الشاه هو الذى دبر مؤامره اغتياله.

لقد كان أمير العسكر "عبد الله خان طهماسبى" هذا، و كان "نصرت الدوله" و "تيمور طاش" و "على أكبر داور" و "السردار أسعد" البختيارى عمدته فى حركه "رضا شاه بهلوى" للوصول إلى غايته. و قد غدر بهم واحدا واحدا.

و مثلهم السيد "محمد تدين". فهو الذى ترأس جلسه المجلس النيابى التى تقرر فيها خلع الأسره القاجاريه و توليه "رضا خان" رئاسه الدوله. و قد استمات فى إداره تلك الجلسة و توجيهها على النحو المطلوب و اضطر المعارضين إلى الخروج من المجلس. و هو أول من خاطب "رضا خان" بلقب "صاحب السمو". و لكنه هذا لم يلبث، بعد حصوله على العرش، أن نبذه و أذله، و وكل به شرطه تراقبه، حتى إنه أصبح لا يجرؤ على الحضور فى البلاط. فإذا اتفق أن حضر إليه عامله الشاه بالسخرية منه و الاستهانه به.

و هؤلاء هم بعض من نكبهم "رضا شاه بهلوى" من المشاهير.

أما و لكن نكبهم من الأبرياء المغمورين من العامه و سواد الناس، فماتوا فى السجون و الزنانات و المشانق و تحت السياط لا يدري بهم أحد، فيعدون بالألوف روى "حسين مكى" فى كتابه "تاريخ إيران فى عشرين سنه" هذه القصة:

غضب الضابط "فضل الله زاهدى" أحد ضباط جيش الشمال يوما على جندى فأمر أحد رجاله اسمه "صفر على خان" بجلده، و قال: استمر فى جلده حتى أعود ثم مضى إلى التلفون ليرد على مكالمه. و كانت المكالمه دعوه له إلى الحضور إلى إداره البريد لتلقى مكالمه من الخارج فخف مسرعا إلى إداره البريد. و هناك طالت المكالمه حوالى ساعتين، و الضرب مستمر على جسد الجندى المغضوب عليه. ثم مضى من إداره البريد إلى منزله. فتغدى و مضى إلى سريره للقيلوله و قد نسى قضيه الجندى المعاقب. و إذا بالتلفون يرن فى منزله. و لما تناول السماعه كان المتكلم "صفر على خان". و دارت بينهما هذه المحاوره:

الضابط فضل الله زاهدى: ما ذا تريد؟ صفر على خان: امتثالا للأمر العسكرى لا يزال الجندى يجلد.

- أى جندى؟ - جعلت فداك، الجندى الذى أمرت فى الصباح بجلده حتى تعود.

و هو لا يزال يجلد لأنك لم تعد بعد.

- و كيف هو الآن هذا الجندى؟ - جعلت فداك، مات قبل مده. و نحن نجلد جثته.

- كفى يا ابن المحروق! و سواء أ كانت هذه القصة صحيحه أم كانت موضوعه فإنها تناسب طبيعه الحكم العذى كان مسيطرا يومئذ على إيران.

مذبحه مشهد

لم يكن شىء من تلك الفجائع التى ارتكبتها "رضا شاه بهلوى" مخالفا، فى نظره، للتقدم و التمدن و الحضاره، بل كانت كلها موافقه لها. بل كان يعدها طريق إيران إليها. و كل مخالفات التقدم و التمدن و الحضاره كانت تنحصر عنده فى حجاب النساء و

اعتماد الرجال بـ "الكلاه" القومي الوطني. فإذا استبدل السفور بالحجاب و القبعة الفرنجية بالكلاه الوطني تمت لايران كل أسباب التقدم و التمدين و الحضاره! و كان يقول: يجب أن يعد الايرانيون أنفسهم مساوين للأجانب. و لا يفرقهم اليوم عن الأجانب سوى هذا الكلاه. فإذا طرحوه أصبحوا هم و الأجانب سواء! و يقول مثل هذا القول في حجاب النساء. و هذا يعنى أن الاعتماد بالقبعة الفرنجية و طرح الحجاب يغنيان الايرانيين عن الديمقراطية و رعايه القانون و العدالة الاجتماعيه و حريه القول و الرأى و المعتقد و التصنيع و إحياء الأرض و أمثال ذلك من مقومات الحضاره التي ينعم بها المتمدنون في أوروبا، و يفترون بها عن الايرانيين.

حسب الايرانيين التقبع و السفور! و صدر الأمر بان يكون أول فروردين سنه ١٣١٤ هـ. ش. موعدا لانفاذ القانون القاضى بالاعتماد بالقبعة الفرنجية و طرح الحجاب. و أمر رجال الشرطه بمراقبه الماره في الشوارع، و كل امرأه راوها محجبه نزعا عنها حجابها و كل رجل رأوه يعتمر بشيء غير القبعة الفرنجية نزعه عن رأسه بالجبر و الإكراه، و قد أنفذ رجال الشرطه الأمر بكثير من القسوه و الاهان.

و في ١٧ دى سنه ١٣١٤ هـ. ش. ذهب "رضا شاه بهلوى" إلى حفل افتتاح مدرسه دار المعلمين و صحب معه زوجته و ابنتيه سوافر. و أمر رئيس الوزراء و الوزراء و سائر الحضور من كبار الموظفين بان يحضروا معهم زوجاتهم سوافر أيضا.

و في تلك السنه (١٣١٤ هـ. ش) أصدر وزير الداخليه بلاغا عممه على كل الولايات بوجوب اعتماد جميع موظفى الدوله بالقبعة الفرنجية. على أن يلزم بعد ذلك سائر الأهالى بالاعتماد بها. بل إنه فصل في هذا البيان أنواع القبعات و ألوانها. و بين ما يجوز لبسه من هذه الأنواع في النهار و يمنع في الليل و بالعكس، و ما يجوز لبسه في الصيف و لا يجوز في الشتاء و بالعكس و جعل ذلك كله إجباريا. بل أوجب أن تكون التحيه بين المعارف حين يتلاقون في الطرقات برفع القبعة عن الرأس على الطريقه الأوروييه، و غير ذلك مما عند الأورويين من تشريفات القبعة.

و كان وزير المعارف قد أقام في سنه ١٣٥٣ هـ. ق، حفله في شيراز لإحدى المناسبات دعى إليها جمع غفير من الأهالى من كل الطبقات. و ألقى في الحفله خطب و عرضت تمثيليه.

و في آخر الحفله برزت على المسرح جماعه من الفتيات، و هن سافرات و معهن "أركسترا" أخذت تعزف أنغاما راقصه، و شرعت الفتيات يرقصن على إيقاعها، و هو أمر لم يكن احتمالاه ممكنا لما كان عليه الناس يومئذ من عادات سنن و عقائد. فقامت ضجه استنكار في الحفله و غادرها جماعه اعتراضا على ما حدث.

و في اليوم التالى انتشر الخبر في المدينه فعمها الغضب و أضرب البازار و تجمهر الناس في أحد مساجدها الكبيره و خطب فيهم المرجع الدينى السيد "حسام الدين الغالى" فاستنكر ما جرى في الحفله و قبحه. فصدر أمر بتوقيفه فاعتقل و ألقى به في السجن.

و وصل نبا إضراب شيراز و ثورتها و اعتقال المرجع إلى طهران و قم و مشهد و تبريز و غيرها. فهاجت الخواطر استنكارا لاجبار [لاجبار] الناس على تغيير لباسهم و محاوله إخراج النساء سوافر. فصدر الأمر من طهران باعتقال اثنين

من مراجع الدين في تبريز هما السيد "أبو الحسن الأنكجي" و "الميرزا صادق آقا" فاعتقلا و أبعدا إلى سمنان.

و استمرت حركه المعارضه في مشهد و تعددت الاجتماعات و اشترك فيها رجال الدين و في مقدمتهم المرجعان الكبيران السيد "حسين القمي" و السيد "يونس الأردبيلي" و تقرر أن يسافر السيد "حسين القمي" إلى طهران للاجتماع بالشاه و إقناعه بالعدول عن قراره و أرسل السيد القمي برفيه إلى الشاه ينبئه بقدمه. و لما وصل إلى الري في ضاحيه طهران جعل مسكنه فيها ريثما يحصل على موعد لزياره الشاه. و لكنه لم يلبث أن رأى مسكنه محاصرا، و قد منع المرور بالقرب منه و الدخول إليه و الخروج منه. ثم اعتقل و أبعده إلى العراق.

و بلغ نبا اعتقاله إلى مشهد فاشتد هياج الخواطر و احتشد الناس و هم ألوف، في مسجد "گوهر شاد" و هو مسجد كبير متصل بمقام الامام الرضا (ع). و دأب الخطباء على تهيج الخواطر و الطعن في سياسه الحكومه بضعه أيام.

و في ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٥٤ هـ. ق. الموافق ٢٠ تير سنة ١٣١٤ هـ. ش. أخذ جند القوزاق يستعدون للحمله على الجمهور المحتشد في المسجد. و في اليوم التالي هيا قواد الجيش و الشرطه رجالهم و سلاحهم فنصبت الرشاشات على أسطحه المسجد و استقرت المدافع الثقيله في أطراف الشوارع المقابله له. و بعد منتصف الليل من يوم ١٢ ربيع الثاني سنة ١٣٥٤ هـ. ق. الموافق ٢٢ تير سنة ١٣١٤ هـ. ش. اهتزت أجواء مشهد بدوى القنابل و أزيز الرصاص، و هجم القوزاق و غيرهم من العسكر على المسجد و اقتحموه و أمعنوا في الجمهور قتلا و اعتقالا. و انتهت المعركه عند الفجر بتغلب القوزاق. و قدر عدد من قتلوه من الأهالي. ما بين ألفين و خمسه آلاف قتيل و أخذوا ألفا و خمسمائه أسير.

و اطردت الحمله في الصباح إلى تعقب رجال الدين فاعتقل المرجع السيد "يونس الأردبيلي" و أكثر من ثلاثين عالما غيره. و اعتقل "محمد ولي خان أسدى" قيم الحضرة الرضويه و أحيل إلى المحكمه بتهمه التحريض على المقاومه فحوكم محاكمه صوريه و حكم عليه بالقتل و نفذ فيه الحكم. (١)

و اعتقل أيضا ابن "الآخوند ملا محمد كاظم الخراساني"، و كانت له وجاهه في مشهد نظرا لمكانه أبيه. فأوقف في السجن مده طويله ثم أحيل إلى المحكمه العسكريه فحكمت عليه بالقتل، و توسط له مراجع الدين النجفيون فخففت الحكم عليه إلى السجن. و ظل في السجن مده سنتين، قتلوه بعدها بالسم. و حكم على آخرين بالقتل و السجن و توارى كثيرون.

و يجدر بالذكر أن حرم الامام الرضا (ع) كان دائما ملجأ يأمن فيه الخائفون. حتى القاتل كان إذا استطاع الدخول إليه أوقف عنه الطلب.

نوره رضا شاه بهلوى

بدأ "رضا شاه بهلوى" أمره جنديا فقيرا معدما لا يجد أحيانا قوت يومه. و لكنه يوم خلع عن العرش كان قد أصبح في مقدمه أثرياء العالم. و في محاضر المجلس النيابي أن رصيده يومئذ كان ٥٨ مليون ليره إنكليزيه في بنوك إنكلترا و ٦٨ مليون تومان في بنك الإصدار الايراني المسمى "بنك ملي".

و يملك ٤٤ ألف سند تملك لعقارات مختلفه من حقول و ضياع و قرى و وحدات زراعيه كبيره. هذا غير ما كان يملكه من فيلات و فنادق و مصانع، و غير ما صادره من كنوز "مرتضى قلى خان إقبال السلطنه" الماكوثى و "السردار معزن" البجنوردى و "الشيخ خزعل" بعد أن غدر بهم و قتلهم. و غير ما كان يملكه أولاده من بنين و بنات من عقارات و أموال واسعه ضخمه. و قد بلغت عائدات أملاكه فى أواخر سنوات ملكه ستين مليون تومان فى السنه.

قال "مؤيد أحمدى" نائب كرمان فى جلسه عقدها المجلس النيابى بعد خلع "رضا شاه بهلوى" و إبعاده:

"ملك الشاه السابق سبعة عشر عاما. و هى مده تتالف من ستة آلاف يوم تقريبا، حصل فيها على أربعة و أربعين ألف سند تملك. فلو قسمناها على عدد تلك الأيام لكانت النتيجة سبعة سندات فى كل يوم!".

و قد حصل على ذلك كله بالإكراه و الغصب و الاستيلاء على أملاك الدوله و التصرف بالأوقاف. و ارتكب طغاته فى هذا السبيل فجائع ندمى [تدمى] القلوب من تشريد و تسخير و إذلال و سجن و ضرب و قتل. و أجبر البلديه على الإنفاق من حزانتها على بناء كثير من العمارات و الفيلات له لأولاده.

زار إيران فى تلك الحقبه النائب الانكليزى "فوت". و بعد عودته إلى انكلترا نشر سلسله من المقالات عن مشاهداته جاء فى إحداها عن "رضا شاه":

"رضا شاه قطع دابر اللصوص و قطاع الطرق من مسالك إيران.

و أمنهم شعبه، انه لا يجوز، من الآن فصاعدا أن يكون فى إيران كلها غير قاطع طريق واحد، قاطع طريق كبير لا غير.

"شاه إيران السابق غليظ القلب ظالم بعيد الآمال حريص طماع. و هو مع هذه الصفات ماضى العزيمه. لا يحبه أحد. و لكن لا يستطيع تحديه أحد. يلقى بمنافسيه و مخالفه فى السجن أو يقتلهم لا تأخذهم عليهم شفقه و لا رحمه. و ما فى إيران اليوم من فتنه و هرج و مرج هى نتيجة سياسه ذلك الشاه الخاطئه.

"يطلب أهل إيران من ملكهم خبزا فيلقمهم حجاره. لم يصنع شاه إيرانى السابق لشعبه شيئا. و قلما خدم أمته. أو بالأحرى أن نقول إنه لم ينفع الايرانيين بشيء على الإطلاق.

"لم يكن رضا شاه يعير أهميه لبناء مجتمع متراس متماسك، و جهاز حكومته عباره عن بضعه آلاف من الملاكين و التجار و أصحاب الأسهم و كبار الموظفين الحكوميين، تكاتفوا و ملثوا جيوبهم من حاصل كدح فئه من الفلاحين و العمال الايرانيين التعمساء و ثمره كدهم.

"انطلق رضا شاه إلى جزيره موريسش مخفورا بحرس مسلح و خلف ملك إيران المقتدر وراءه و طنا ذا ثروات لم تمس يسكنه شعب فقير".

و لما بلغ "رضا شاه" سنه ١٣٢٠ هـ. ش و هب أمواله و أملاكه لابنه "محمد رضا بهلوى" الذى نصب فى مكانه ملكا على إيران،

١- بعد خلع "رضا شاه" أقامت عائلته "محمد ولي خان اسدى" هذا دعوى على القاضى العسكرى الذى حكم بقتله، فاحيل إلى المحاكمة و حكم عليه بالسجن. و ظل مسجوناً إلى ان مرض و دود ظهره و مات فى السجن.

بوثيقه رسميه. و إذ أتاحت الظروف الداخليه و الخارجيه يومئذ للايرانيين شيئا من حريه الكلام ارتفعت أصوات فى الصحف و فى المجلس النيابى بالشكوى من أعمال السلب و الغصب لأموالهم أيام الشاه المخلوع. و طرحت القضيه فى المجلس النيابى و تقرر تشكيل محكمه خاصه للنظر فى دعاوى الشاكين و رد الأموال المغتصبه إلى أصحابها.

و لكن هذا التدبير لم يأت بفائده الا شيئا قليلا، فقد كان فريق ممن اغتصبت أموالهم قد مات فى السجون و الزنانات. و فريق آخر عاجز عن متابعه دعواه لأنه يفتقر إلى المال اللازم لنفقات الدعوى من محاماه و غيرها. و استطاع بعضهم استرداد أملاكه لتمكنه من أداء نفقات الدعوى.

و إذ كان الشاه الجديد لا يزال فى بدايه أمره لم يستحکم بعد مكانه على العرش فقد كان مضطرا إلى المسايير و المداراه. و من ثم وهب - مكرها لا بطلا - تلك الأملاك للدوله لتنفق عائداتها فى مصالح الشعب. و لكن هذه الهبه لم تدم طويلا. فقد استردتها الأسره البهلويه حين استقوى و استحكم ملكه. استردها بعناوين مختلفه كمؤسسات الخدمات الاجتماعيه و الثقافيه و الفنيه. و هى مؤسسات شكلية يديرها إخوته و أخواته و رجالهم و تؤخذ عائدات تلك الأملاك بعنوان نفقات لها و مصيرها إلى جيوبهم، مثل مؤسسه "بنياد بهلوى" (المنشأه البهلويه) و أمثالها.

خلع "رضا شاه بهلوى"

كان "رضا شاه بهلوى" على درجه عاليه من الذكاء و مضاء العزيمه و الأناه و الصبر على المشقه. و لكن أفسد عليه ذلك كله ما كان فى طبعه من طمع و حرص و أثره و غرور و فظاظه و استضعاف للناس.

و قد جعلته هذه الأخلاق يهمل ما تجب مراعاته و يستهين بما لا يستهان به و يستبد برأيه غير مفكر فى العواقب، غرورا و إعجابا بالنفس.

من ذلك استهانتته بالاراده الشعبيه، حتى حسب أنها إرادته عاجزه عن أن تصدده عن نوال شىء يريد. و لذلك أقدم الحلفاء فى أوائل الحرب الكونيه الثانيه على خلعه بلا تردد، و لم يحسبوا حسابا لردده فعل سلبيه فى نفوس الايرانيين من خلعه، لأنهم كانوا يعلمون أن ملكه لا يستند إلى قاعده شعبيه و إنما يستند إلى الطغيان و الجبروت. بل كان الحلفاء على يقين من أنهم يحسنون صنعا إلى الايرانيين بخلعه. و قد حدث بالفعل أن كان يوم خلعه عيدا فى إيران.

و من ذلك غفلته عن مراعاة الخطله الحكيمه التى سبق أن اختطها رئيس الوزاره الأسبق "مشير الدوله" باقامه توازن بين تطلعات السياسات الأجنبية فى إيران، و لا سيما سياسه الإنكليز و سياسه الروس. بل بلغ الغرور ب "رضا شاه بهلوى" إلى أن رأى نفسه أهلا لمخادعه الساسه الإنكليز.

كتب "الدكتور مصدق(1):

" كان قائد الجيش رضا خان يوما فى منزلى، و هو يومئذ رئيس للوزاره، و معه جماعه من الوزراء و رؤساء الوزارات و النواب.

و كان فى جملة حديثه أن قال: الحق أن الإنكليز هم الذين جاءوا بى إلى الحكم. و لكنهم لم يكونوا يعلمون أى رجل يعاملون!" و حين علا- نجم النازى فى العالم و ترددت أصدااء تحديات هتلر فى كل ناحيه من نواحيه اتجه "رضا شاه بهلوى" إلى الألمان و أخذ يستقدم منهم خبراء إلى بلاده، و تبع ذلك وفود من السياح و رجال الأعمال الألمان تتردد إلى إيران. و بدأ فى تصرفاته يومئذ أنه فى معاملته للسياسه الأجنبيه بعيد عن التفكير فى إقامه توازن بين هذه السياسات فى بلاده.

و فى أثناء الحرب الكونيه الثانيه اقتضت مصالح الإنكليز و الاتحاد السوفياتى العسكرىه احتلال إيران. و كانت الحجه التى تذرعوها بها هى أن إيران أصبحت و كرا من أوكار "الطابور الخامس" الألمانى. و فى الثالث من شهريور سنه ١٣٢٠ هـ. ش. الموافق ٢٥ آب سنه ١٩٤١ م غزا الاتحاد السوفياتى إيران من الشمال و غزاها الإنكليز من الجنوب و احتلوها.

و فى ٢٥ شهريور سنه ١٣٢٠ هـ. ش الموافق ١٦ أيلول سنه ١٩٤١ م خلعوا "رضا شاه بهلوى" عن العرش و نصبوا مكانه ابنه ولى عهده "محمد رضا بهلوى".

بعض الحوادث

هذه بعض الحوادث التى وقعت فى عهد ملك "رضا خان بهلوى":

فى سنه ١٣٠٢ هـ. ش. الموافق سنه ١٣٤٢ هـ. ق. إذ كان "رضا شاه بهلوى" وزيراً للحريه فى وزاره "الميرزا حسن خان بيرنيا مشير الدوله" سجن رئيس الوزاره الأسبق "أحمد قوام السلطنه" لتهمة مفتعله كاذبه. و الدافع الحقيقى كان سياسيا شخصيا. ثم توسط له "مشير الدوله" فافرج عنه و اكتفى وزير الحريه بنفيه من إيران فسافر إلى أوروبا.

و لما تولى "رضا شاه بهلوى" الملك على ذلك النحو تحاماه سياسيو الدوله الموثوق بهم عند الرأى العام فلم يكن أحد منهم يرضى لنفسه تولى رئاسه الوزاره، و تولاهها سياسى انتهازى كان فى مقدمه أعوان "رضا شاه" يوم كان يسعى إلى العرش هو "الميرزا محمد على خان فروغى ذكاء الملك".

و بعد مده رأى "رضا شاه" أن مصلحته تقضى بان يزكى حكمه عند الرأى العام بوجه مرضى عنه. فأوعز إلى رئيس الوزاره هذا بالاستقاله و كلف آخر من أهل السمعه الحسنه بتشكيل الوزاره، هو "الميرزا حسن خان مستوفى الممالك" أحد رؤساء الوزاره السابقين. و أشار الوطنيون المخلصون، و منهم السيد "حسن المدرس"، عليه بالقبول لعله يستطيع دفع شىء من سيئات الحكم. و من ثم كان فى جملة أعمال "مستوفى الممالك" بعد توليه رئاسه الوزاره إصداره أمرا فى ١٥ تير سنه ١٣٠٥ هـ. ش بالسماح ل "قوام السلطنه" بالعوده إلى إيران، فعاد إليها بعد أن مضى على إقامته فى المنفى حوالى ثلاث سنوات.

و فى سنه ١٣٠٨ هـ. ش الموافق سنه ١٣٤٨ هـ. ق. توفى "أحمد شاه قاجار" فى مستشفى بالقرب من باريس. و حمل جثمانه إلى العراق و دفن فى كربلاء فى حرم الإمام الحسين (ع) فى مقبره أبيه و جدّه.

و فى سنه ١٣٠٥ هـ. ش. افتتح فى طهران بنك الرهون و هو أول بنك إيرانى. أنشاه الروس فى العهد القيصرى بمقتضى امتياز حصلوا عليه من "ناصر الدين شاه". و فى عهد "أحمد شاه" سنه ١٢٩٩ هـ. ش. قبل الانقلاب، تخلى الاتحاد السوفياتى لايران عن

١- الدكتور محمد مصدق الذي أمم البترول الايراني و اصطدم بمحمد رضا شاه ابن رضا شاه و سجن

سنة ١٩٢١ م المعقوده بين البلدين، و فى سنة ١٣٠٥ هـ. ش، فى عهد "رضا شاه بهلوى" تمت تجهيزات هذا البنك و بدأ عمله.

و فى سنة ١٣٠٧ هـ. ش. افتتح "رضا شاه بهلوى" المصرف الوطنى الايرانى باسم "بنك ملى" (البنك القومى). و لم يكن فى ايران قبله سوى مصرفين اثنين فقط. أحدهما روسى، و هو بنك الرهون الآنف الذكر، و قد تسلمته إيران. و الآخر إنكليزى حصل على امتياز "البارون جوليوس دو روتير" من "ناصر الدين شاه" سنة ١٨٧٢ م الموافق سنة ١٢٨٩ هـ. ق.

إلى مده ستين عاما و سمي باسم "البنك الشاهنشاهى" و كان له أيضا امتياز إصدار النقد الورقى. و فى سنة ١٣٠٩ هـ. ش. اشترت الحكومة الإيرانية من هذا البنك امتياز إصدار النقد بمبلغ كبير قدر بثلاث ميزانية الدولة فى ذلك العام. و تولى البنك القومى الايرانى (بنك ملى) من ذلك اليوم إصدار النقد الورقى. و استخدمت الحكومة الإيرانية خبراء ألمانيين لإداره شئون هذا البنك. و فى سنة ١٣٠٦ هـ. ش. الموافق سنة ١٩٢٧ م و بعدها بسنه واحده أيضا عقدت إيران و الاتحاد السوفياتى بينهما بضع معاهدات سويت فيها بعض المشاكل التجاريه و الجمركيه و الأمنيه.

و فى سنة ١٣٠٧ هـ. ش. الموافق سنة ١٩٢٨ م عقدت إيران و إنكلترا بينما معاهده جمركيه.

و فى سنة ١٣٠٦ هـ. ش. الموافق سنة ١٩٢٧ م أبلغت الحكومة الإيرانية سفراء الدول الأجنبية أنها ألغت المحاكم القنصليه.

و فى عهد "رضا شاه بهلوى" أقر قانون التجنيد الاجبارى فى إيران.

و فى سنة ١٣٠٨ هـ. ش. صدر قانون بجعل التلقيح الواقى من الجدري إجباريا.

و فى سنة ١٣١١ هـ. ش. الموافق سنة ١٣٥١ هـ. ق. أعلن إلغاء امتياز استنباط النفط من جنوب إيران المعروف باسم "اتفاقية دارسى" و هو امتياز حصل عليه الانكليزى "وليام ناكس دارسى" من "مظفر الدين شاه قاجار" سنة ١٣١٩ هـ. ق. الموافق سنة ١٢٧٩ هـ. ش. و سنة ١٩٠١ م. ألغى لأنه مجحف بحق إيران. و استبدلت به اتفاقية جديده بين الحكومة الإيرانية و شركه إنكليزيه عقدت فى ٧ خرداد سنة ١٣١٢ هـ. ش.

الموافق ٢٩ نيسان سنة ١٩٣٣. و لكن فريقا من ساسه إيران، و منهم "الدكتور مصدق"، يعدون هذه الاتفاقية أسوأ من الامتياز القديم.

و يستدلون على ذلك بدراسه مقارنه بين الامتيازين.

و فى عهد "رضا شاه بهلوى" أقيم أول مره مصنع للاسمنت فى إيران، و جلبت آلاته من الدانمرك و السويد، و بناه متعهدون ألماني. و افتتح سنة ١٣١٢ هـ. ش. و فى سنة ١٣١٠ هـ. ش. أنشئت ثلاثه معامل للسكر. و فى سنة ١٣١٦ هـ. ش. افتتح أول مصنع حديث للسكائر و فى سنة ١٣١٧ هـ. ش. أقيم فى طهران أول مولد حديث للكهرباء. و فى تلك السنه أيضا افتتح مصنع للطائرات جلبت أدواته من إنكلترا و استخدم فيه جماعه من الخبراء الإنكليز. و فيه كانت تصنع بعض الأجزاء من الطياره و بعضها يجلب من إنكلترا و يجرى تركيبه فى هذا المصنع. و فى تلك السنه أيضا افتتح فى مدينه قم مصنع للنسيج أنشاته جماعه من التجار. و فى سنة ١٣٠٧ هـ. ش. أقر المجلس النيابى مشروع قانون بتعيين مخصصات سنويه فى ميزانية الدوله لارسال بعثات طلابيه إلى

أوروبا لتلقى العلم من مختلف الفروع. و أرسلت في تلك السنه أول بعثه و كانت مؤلفه من مائه و عشره طلاب.

و من أهم إصلاحات "رضا شاه بهلوى" إنشاء جامعه طهران. وضع حجرها الأساسى فى ١٥ بهمن سنه ١٣١٣ هـ. ش. و هى اليوم من أكبر معاهد الثقافه فى الشرق. و مؤسسات ثقافيه أخرى.

و فى عهد "رضا شاه بهلوى" نظمت ميزانيه الدوله العامه أول مره على أساس تعيين المخصصات حسب إمكانيه الدخل و مقتضيات الإنفاق لكل سنه.

و من إصلاحات ذلك العهد توحيد المقاييس و الأوزان فى جميع الولايات حسب القاعده المترية.

و فى سنه ١٣١٤ هـ. ش. صدر أمر بإلغاء الألقاب مثل "خان" و "بيك" و "أمير". و إلغاء ألقاب المدن و الوزارات و الادارات مثل "دار الخلافه طهران" و "وزاره الداخليه الجليله" و "إداره الصحه المحترمه" و "دائره البريد المباركه".

و فى ١٧ تير سنه ١٣١٦ هـ. ش الموافق ٨ تموز سنه ١٩٣٧ م عقد فى طهران فى قصر "سعدآباد" بين إيران و أفغانستان [و] العراق و تركيا الميثاق المشهور، "ميثاق سعدآباد".

و جهز "رضا خان بهلوى" إيران بشبكه واسعته من طرق المواصلات و سكك الحديد. منها عقد جسر على نهر كارون، هو أكبر جسر فى إيران.

ثم بناؤه سنه ١٣٠٨ هـ. ش. و مد سكه حديديه للقطار و انتظمت إيران من شمالها إلى جنوبها، و بلغ طولها ١١٥٠ ك. م و اقتضى ذلك إقامه أكثر من مائه و ستين جسرا معلقا، بعضها أقيم فوق الأنهار و بعضها فوق الوديان بين القمم الشاهقه. هذا عدا أنفاق كثيره تخترق الجبال فى مسافات بعيدته. و فى ٤ شهبور سنه ١٣١٧ هـ. ش. أثبت آخر لولب فى هذه السكه. و افتتح الخط باحتفال رسمى حضره الشاه و ولى عهدته و سفراء الدول الأجنبيه.

و لكن كل تلك الاصلاحات و الحسنات التى قام بها "رضا شاه بهلوى" طمستها المظالم التى ارتكبها. مثلا: رفع عن الايرانيين عار المحاكم القنصليه و لكنه أقام "سجن القصر" تهدر فيه كراماتهم و حرياتهم و دماؤهم.

و لدهر كامل من إذلال المحاكم القنصليه كان أهون عليهم من ساعه واحده فى "سجن القصر" و أنشا جامعه طهران و أرسل إلى أوروبا البعوث الطلابيه و لكنه أبهظ الأفكار بكابوس ثقيل من قانون مراقبه المطبوعات! و فيما كان يقى الناس من الموت بلقاح الجدري كان يرسلهم إلى المقابر بواسطه "اللقاح البهلوى" (١) و على هذه فقس ما سواها!

رياض بنارسى

توفى سنه ١٣٦١ فى لاهور بالباكستان.

كان خطيبا بارعا ذا يد طولى فى الشعر و الأدب و التاريخ. له من

١- السجناء السياسيون كانوا يومئذ إذا أريد قتلهم حقنوا بحقنه سامه تحت الجلد أو وضع السم لهم فى القهوه و الشاى. و قد أطلق هؤلاء السجناء على هذه السموم اسم "اللقاح البهلوى".

المؤلفات: الكرار، ذبح عظيم، سوانح فاطمه الزهراء، خصوصيات الإسلام.

زكى خان زند.

ابن "بداق خان" و ابن عم "كريم خان زند" الوكيل (١) و أخوه لأمه. خرج على "كريم خان" سنة (١١٧٥ هـ)، و اتجه إلى أصفهان.

و إذ رأى نفسه غير قادر على المقاومة فقد ذهب إلى خوزستان. و هناك وقعت حرب بينه و بين "المولى مطلب المشعشى" حاكم خوزستان، و انتهت بقتل "مطلب" و احتلال "زكى خان" للأهواز. و منها سار إلى "دزفول يشوش [يشوش]" و "شستر" فاحتلها أيضا.

و استقبلته هناك قبيله "آل كثير" استقبالا حسنا إذ كانت بينهم و بين "كريم خان" خصومه. و لبث فى تلك النواحي مده إلى أن أعوزته الذخيره فاضطر إلى الذهاب إلى "لرستان" فتعقبه "نظر على خان" مبعوثا من قبل "كريم خان" بقوه عسكريه، فكسره و استسلم "زكى خان" إليه. فلما ذهب إلى "كريم خان" عفا عنه.

و يعد "زكى خان" أول من أقدم على زعزعه الأساس من الأسره الزنديه. بل هو سبب انقراضها. فبعد موت "كريم خان" سنة (١١٩٣ هـ) ترك جثته ملقاه على الأرض بلا- دفن ثلاثه أيام انصرف فيها إلى التنكيل بكبار أسره "زند"، و عددهم حوالى السبعين، و نهب أموالهم.

و أمسك بيده زمام أمور الملك يحكم باسم "أبو الفتح خان" و "محمد على خان" ابني "كريم خان". و بعد بضعه أيام أبعده محمد على خان" و أبقى على "أبو الفتح خان" شاها بالاسم. ثم لم يلبث أن جعل "أبو الفتح خان" قعيد بيته و أجلس "محمد على خان" فى مكانه. و لم يكن لهذا من عمل سوى أن يجلس فى كل يوم ساعتين يتلقى السلام من الناس. أما شئون الملك فأنت كلها فى يد "زكى خان".

و خرج فى أصفهان على "زكى خان" ابن أخته "على مراد خان"، و هو أيضا ابن أخت "كريم خان" الوكيل لأمه. فسار "زكى خان" من شيراز لقتاله. فلما وصل إلى منزل "إيزد خواست" قتله بعض أتباعه ليله ٢٨ جمادى الأولى سنة (١١٩٣ هـ). و كان السبب فى قتله ظلمه و كثره سفكه للدماء. فقد جمع أهالى "إيزد خواست" و ادعى أنهم يخفون مبلغا من المال و عليهم أداؤه. فأنكروا ذلك و قالوا إنهم غير قادرين على أداء هذا المال المطلوب. فأمر بإلقاء ثمانيه عشر شخصا من رؤسائهم من فوق سطح الغرفه التى يسكنها إلى الأرض. و لم يكتف بهذا بل أمر بإحضار أحد الساده الزهاد الصلحاء و اتهمه بان مقدارا من المال المطلوب يخفيه عنده، فأبدى هذا المظلوم أدله حاسمه على براءته من هذه التهمه، و لكن "زكى خان" لم يصغ إليه، و أمر بقتله فقتلوه طعنا بالخنجر، ثم ألقوه من سطح الغرفه إلى الأرض، و أمر بتسليم زوجته و ابنته إلى الحرس المافيين. (٢) و لكن هؤلاء، مع قساوتهم و همجيتهم، أنكروا هذا العمل الفظيح، و اتفقوا على قتل "زكى خان". فقتله أحدهم "خان على خان" و هو فى ثياب النوم. و ظلت جثته ملقاه إلى جانب قلعه "إيزد خواست" على وجه الأرض بضعه أيام. و عاد "أبو الفتح خان"، و "محمد على خان" و كانا معه فى المعسكر، إلى شيراز و استقل الشاه "أبو الفتح خان" بالحكم و السلطان. و دامت مده حكم "زكى خان" مائه يوم و خمسه أيام. (٣)

زكية بنت الشيخ محمد صالح بن أحمد المازندراني.

توفيت بعد سنه (١١٢٦ هـ)، عالمه فاضله فقيهه كاتبه، لم أقف على تاريخ ولادتها ووفاتها إلا أنها ولدت في أصفهان و أخذت المقدمات و العلوم العربية و فنون الأدب على أمها العالمه الفاضله آمنه بيگم بنت الشيخ محمد تقى المجلسى الأول المار ذكرها و أخوتها الشيخ محمد سعيد المتخلص بأشرفو الشاعر الشيخ محمد حسين و غيرهما ثم تخرجت فى الفقه و الأصول على والدها الشيخ محمد صالح المازندراني المتوفى سنه (١٠٨٠ هـ) صاحب شرح الكافى و لما بلغت سن الرشد زفوها إلى السيد محمد باقر بن السيد محمد صادق الموسوى اليزدى الأصفهاني المتوفى سنه (١١١١ هـ) و رزقت منه ولدا ذكرا هو السيد أبو القاسم.

كانت من فواضل نساء عصرها كتبت شرح الكافى لوالدها الشيخ محمد صالح المازندراني و منه مجلد العقل و العلم فى مكتبه المدرسه الفيضيه بقم تحت رقم ٦١٤ و جاء آخره (... كتبه الأمه الفقيره الحقيه المحتاجه إلى الله الغنى زكية بنت مولانا محمد صالح مازندراني غفر الله له...)(٤)

و يقال إن لها بعض الحواشى و التعليقات على الكتب الفقيهيه، و هى من أسباط الشيخ محمد تقى المجلسى الأول و أسرتها من أشهر الأسر العلميه فى أصفهان و هى عمه زينب بيگم بنت الشيخ محمد سعيد المازندراني الآتى ذكرها.(٥)

زهراء بنت الشيخ محمد صالح بن الشيخ الملا محمد الملائكة ابن الشيخ محمد تقى ابن الشيخ محمد جعفر ابن الشيخ محمد كاظم البرغانى القزوینى آل الصالحى.

ولدت فى قزوین حدود سنه (١٢٤٠ هـ) و توفيت حدود سنه (١٣٢٠ هـ).

فقيهه مفسره واعظه حافظه للقرآن الكريم، من العابدات الناسكات: أخذت المقدمات و الصرف و النحو و العلوم العربيه و فنون الأدب عن أختها قره العين ثم تخرجت فى الفقه و الأصول و الحديث و التفسير على والدها الشيخ محمد صالح البرغانى الحائرى المتوفى سنه (١٢٧١ هـ) و عمها الشهيد الثالث المستشهد سنه (١٢٦٣ [١٢٦٢] هـ) و أخذت العرفان عن عمها الثانى الشيخ الملا على البرغانى و الفلسفه عن الشيخ الملا آغا الحكمى القزوینى و أخيها الشيخ الميرزا عبد الوهاب البرغانى و لما بلغت سن الرشد زفوها إلى ابن عمها الشيخ الميرزا أبو القاسم ابن الشهيد الثالث الذى كان من أعلام عصره

ص: ٢١٨

١- بعد الخلافات و الحروب التى وقعت بين مدعى خلافة "نادر شاه أفشار" نصبوا سبطا للشاه سلطان حسين الصفوى شاهها باسم "إسماعيل الثالث"، و اتصل ب " كريم خان " و جعل نفسه و كيلا- عنه لصغر سنه و تلقب بلقب " و كيل الرعايا " أو " و كيل الدوله ". و من ثم اشتهر باسم " كريم خان الوكيل ".

٢- نسبه إلى قبيله "مافى".

٣- مهدي بامداد.

٤- انظر فهرست نسخه هاى خطى كتابخانه مدرسه فيضيه قم ج ١ ص ١٥٥-١٥٦ طبعه قم (١٣٩٦ هـ).

٥- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

و رزقت منه الشيخ الميرزا مهدى و الشيخ أبو تراب الشهيدى القزوينى (١) ثم أخذت عن زوجها الفقه و الأصول و كانت تستنبط الأحكام الشرعيه و تتباحث مع زوجها فى المسائل العلميه و تتولى التدريس فى قزوين لفواضل نساء عصرها. (٢).

زوار على خان

ولد سنه ١٢٨٠ فى (مونگیر) محافظه بهار (الهند) كان يجيد اللغه العربيه و آدابها و نظم عدده قصائد باللغه العربيه كتب شرحا لنهج البلاغه ناقش فيه كثيرا مما كتبه ابن أبى الحديد. و ترك ديوانين شعريين، أحدهما باللغه الأردويه و الثانى باللغه العربيه.

زوار حسين نوگانوى

ولد سنه ١٣٣٤ و توفى سنه ١٣٩٧ فى نوگانوان قضاء مرادآباد(الهند).

درس فى لكهنو فى حوزتها العلميه و فى جامعتها و فى جامعه الله آباد.

و كان يجيد اللغه العربيه و اللغه الفارسيه، و هو شاعر بالأردويه.

أقام فى إفريقيا الشرقيه بمباسا فتره مرشدا عاد بعدها إلى الهند فأقام فى لاهور ثم استقر فى نوگانوان حتى وفاته.

زين العابدين حيدر آبادى بن نثار حسين

ولد سنه ١٣٠٤ فى الهند و توفى سنه ١٣٧٠.

درس أولا على والده، ثم هاجر إلى النجف و تابع دراسته هناك و بعد ذلك عاد إلى وطنه.

له من المؤلفات: أصل الأصول، أصل الميزان، رساله التوحيد.

السيد زين العابدين الملتانى بن ممتاز على

ولد سنه ١٣٠٥ فى گوجگانوان فى الهند و توفى سنه ١٣٨٤ فى ملتانىباكستان.

كان جده الأعلى السيد شمس الدين كروديزى الغزنوى قد جاء سنه ٦٠٥ مع السلطان علاء الدين الغورى إلى دهلى فزوجه أخته و اختار له منصبا مناسبا فى حكومته فاستقر فى ضواحي دهلى.

و هكذا انتهى الأمر إلى والد المترجم السيد ممتاز على فكان مقيما فى قريه موهنه من قضاء گوجگانوان فولد له فيها ولده المترجم و تلقى دراسته الأولى على كل من مولانا مظفر على خان و مولانا السيد محمد هارون. ثم انتقل إلى لكهنو و انتمى إلى مدرسه (سلطان المدارس) حيث درس على علمائها.

و انتقل بعد ذلك إلى مدينه ملتان فكان فيها مرجعا دينيا هاديا، و فيها أنشا مدرسه (باب العلوم) التى قصدها الطلاب من كل

مكان فكانوا يتلقون فيها دراستهم الأولى ثم ينتقلون إلى لكهنو لإكمال دراستهم، و كان يعمل على مساعده الطلاب سواء كانوا في لكهنو أو النجف أو كربلاء أو مشهد الرضا.

كان أثره في ملتان أثرا كبيرا في توجهه [توجيه] أهلها وإرشادهم.(٣)

زينب بيگم عمه الشاه عباس الصفوى الأول

كان لدى الشاه عباس الصفوى ثمان عمات و كانت من بينهن عمته مريم "سلطان خانم" و زينب بيگم ما تزالان على قيد الحياه عند ما أصبح الشاه عباس ملكا على إيران.

و كان الشاه محمد خدا بنده "عبد الله" قد زوج مريم سلطان خانم في بدايه سلطنته من الخان أحمد الكيلاني و كانت مريم خانم في كنف الخان أحمد الكيلاني حتى سنه ألف هجرية.

و في هذه السنه غضب الشاه عباس على الخان أحمد الكيلاني و توجه نحو كيلان و لما لم يكن للخان أحمد ناصر مخلص فقد فر إلى تركيه عن طريق شروان، و قد جرى بمريم خانم بعد فراره إلى قزوین و كانت تعيش في دار السلطان حتى سنه (١٠١٧ هـ)، حيث ماتت في أصفهان - فنقل جسدها إلى مشهد بامر الشاه و دفنت هناك و أعطى بيتها للشيخ بهاء الدين محمد العاملی ليصلى عنها كل يوم خمس مرات، و يقرأ لروحها القرآن.

و لما كانت هذه المرأه أكبر بنات السلطان سنا فقد كان الشاه عباس يسميها العمه مطلقا.

و العمه الأخرى هي زينب بيگم التي تم عقد زواجها على أمير خراسان و حاكم هرات، على قلى خان بامر ابن أخيها الشاه إسماعيل الثاني في شهر رمضان سنه (٩٨٥ هـ) إلا أن الأمير على قلى خان لم يدخل بها. أو كان مقررا أن ترسل زينب بيگم إلى هرات بعد سنه من عقد زواجها، لكن نظرا لما حصل من الاضطرابات و الأحداث بين أمير العراق و أمير خراسان فقد امتنع الشاه محمد من إرسال أخته إلى خراسان ثم أن على قلى خان لم تمض فتره حتى قتل في هرات و لم يتحقق الزواج.

كانت زينب بيگم سيده القصر الملكي في زمان الشاه محمد خدا بنده هو أبيه حمزه ميرزا، كما أنها كانت من أقرب المقربين لدى الشاه عباس، و كان القصر الملكي يدار على يدها في زمانه أيضا... و كان الشاه عباس يستشيرها في أغلب الأمور و يعمل بنصائحها و كانت زينب بيگم تشارك في أغلب المجالس التي تعقد من أجل دراسه وضع البلاد الداخلي و المسائل العسكريه فكان لها حتى في مسائل الحرب و الصلح رأى.

فمثلا عند ما هجم القائد العثماني جفال أوغلي في شهر جمادى الآخره سنه ١٠١٥ على آذربيجان في جيش يتجاوز المائه ألف، و كانت القوه العسكريه لدى إيران لا تعد شيئا ذا بال أمام هذا الجيش الجرار كان الشاه عباس يرغب في أن يتجنب الحرب و يحترز عواقبها الوحيمه فينسحب بجيشه إلى مدينه تبريز، إلا أن قاده جيشه كانوا على خلاف رأيه كالقائد الله وردى خان و مرچه اى بيگك رئيس المقاتلين فاستشار الشاه عباس السيده زينب بيگم التي كانت معه دائما، فقالت لا بد من محاربه الأتراك و لا ينبغي أن يخاف من كثره جيشهم كما كان الشاه إسماعيل الأول و الشاه طهماسب لا يخافان من كثره

-
- ١- انظر مستدركات أعيان الشيعة ج ٣ ص ٥ و نقباء البشر فى القرن الرابع عشر ج ١ ص ٢٨-٢٩.
 - ٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
 - ٣- مطلع أنوار.

جيشهم أيضا و كانا يقهران العدو باراده صلبه و شكيمه قويه فلما رأى الشاه عباس عمته زينب بغض النظر عن قاداته موافقه على الحرب أمر بالهجوم و الصمود بوجه الأتراك فانتصر عليهم فعلا كذلك حين أقدم الشاه عباس فى سنه (١٠١٩ هـ) على بيع الخواجه فصيح اللاهيجانى بثلاثه آلاف تومان على عدوه بهزاد بيگ و وزير گيلان - عنفته عمته زينب بيگم على هذا العمل الشنيع و أمرته أن يمنع بهزاد بيگ من قتل هذا الرجل البرىء كانت زينب بيگم الوحيدة من نساء القصر الملكى التى تحضر فى مجالس الشاه الرسميه و تجلس بين الرجال و كانت مع الشاه عباس دائما فى سفره و حضره و خلوته و فى معسكره و كان لها النفوذ القوى فى السنين الأولى من سلطنه الشاه عباس و قلما كان الشاه عباس يقدم على أمر ما دون أن يستشيرها، بعد ذلك أخذ نفوذها يقل تدريجيا حتى وقع الاختلاف بينها و بين الشاه سنه (١٠٢٢ هـ) و أبعدا من أصفهان إلى قزوین، لكنهما تصالحا سنه (١٠٢٧) و رجعت زينب بيگم إلى أصفهان و عادت ثانيه إلى موقعها فكانت تستشار من قبل الشاه و تظهر رأيها فى مصالح الأمور و مفسدها... و منها أنه لما كان الشاه فى فرح آباد " إحدى مناطق مازندران " يعانى مرضا شديدا و كان مشرفا على الموت و لما لم يخرج من قصره مده طويله، أظهر بعض القاده القزلباشيه تذرهم و أبدوا ما يشير إلى عدم الانصياع إلى أوامر الشاه فأمرت زينب بيگم الشاه أن يخرج ليرى نفسه للقاده القزلباشيه و كانت تمرضه بنفسها و أنذرت أنه ستقع الفتنه و سيقتل ولى عهده...

و عندئذ خرج الشاه عباس فى كرسى سيار من قصره ليراه القاده ثم نقلته من فرح آباد إلى منطقه فيروز كوه التى كانت أحسن هواء و أعذب ماء فأنقذته من الموت المحتوم أيضا و بقيت زينب بيگم بعد موت الشاه عباس معززه مكرمه فى القصر حتى سنه (١٠٤١ هـ) إذ فى هذه السنه أخرجها الشاه صفى ثم قتل من قتل من رجال السلطنه أو أعمى عيون الآخرين و بقيت زينب بيگم بعيده عن السلطنه حتى هلكت سنه (١٠٥١ هـ).

لقد قامت زينب بيگم فى حياتها بنشاطات واسعته فبنت الجسور و عبادت الطرق كما انشأت المستشفيات و دور الاستراحه و أنفقت حوالى مائه ألف تومان أى ما يعادل عشرات الملايين من نقود هذه الأيام و من هذه الأعمال دار الاستراحه فى الطريق ما بين قزوین و ساوه التى تدعى بدار استراحه زينب بيگم.

زينب بيگم بنت الشيخ محمد سعيد ابن الشيخ محمد صالح بن أحمد المازندراني الأصفهاني

كانت حيه سنه ١١٢٩، عالمه عارفه فاضله أدبيه بصيره بالكلام لم أقف على تاريخ ولادتها و وفاتها. أخذت العلم و العربيه على رجال أسرتها و تخرجت فى فنون الأدب على والدها العالم الشاعر المتخلص بأشرف و لما بلغت سن الرشد زفوها إلى الشيخ ملا محمد تقى بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد تقى المجلسى الأول ابن الشيخ مقصود على المجلسى الأصفهاني و رزقت منه الفاضله الجليله مريم بيگم التى تزوجها الشيخ محمد تقى بن الشيخ الميرزا محمد كاظم الالماسى المجلسى الأصفهاني المتوفى سنه ١١٥٩ و المترجم فى أعيان الشيعة المجلد التاسع صفحه ١٩٧.

و والد المترجم لها سبط الشيخ محمد تقى المجلسى الأول من آمنه بيگم المار ذكرها توفيت فى أصفهان و دفنت فى مقبره أسرتها آل المجلسى المعروفه ذكرها السيد مصلح الدين المهدي فى ترجمه المجلسى المجلد الأول صفحه ٣٥٣ و قال صاحب

تذكره الأنساب ص ٩٤ كانت عارفه. (١)

السيد سبط الحسن الجائسي بن وارث حسين

ولد سنة ١٢٩٦ في قضاء رائي بريلي بالهند و توفي سنة ١٣٥٤ في لكهنو.

كانت دراسته الأولى في بلده ثم جاء لكهنو فانتسب إلى المدرسه الناظميه، ثم انتسب إلى جامعه البنجاب.

كان أديبا باللغتين العربية و الفارسيه، و كان عالما بالحديث و التفسير و الفلسفه و الكلام، و لقب بخطيب آل محمد.

له ديوانان شعريان، واحد باللغه العربيه و آخر باللغه الفارسيه لم يجمعا و لم يطبعا.

و أورد له صاحب كتاب (مشرق أنوار) هذا البيت نموذجاً لشعره العربي:

و قرطان جوالان كالقلب خافقا كنجمين بالبدر التمام تعلقا

و كان أحد ثلاثه عملوا على تأسيس (شيعه كالج) في لكهنو أما الآخران فهما: نواب فتح علي خان قزلباش، و النواب حامد علي خان.

و كانت له مكتبه كبيره.

من مؤلفاته: ترجمه محيط الدائره في علم العروض، جواهر الكلام (في مجالس التعزیه)، تقديم الأود في مداواه العمده، فرياد [فرياد] (و هي مجموعته قصائده الحسينيه باللغه الأردويه)، هدم الأساس في حديث القرطاس و غير ذلك.

السيد سبط الحسن الهنسي بن فيض الحسن

ولد سنة ١٣٣٣ في هنسوه بالهند و توفي سنة ١٣٩٨ في علي گر.

كان محققاً مؤرخاً عالماً في الرجال، و كان عمله على الأغلِب في التحقيق و التنقيح و تولى الأشراف علي مكتبه راجا محمود آباد، و علي مكتبه جامعه علي گر لاء سيما قسم المخطوطات كما كان عضواً في منتدى النشر في النجف و في جمعيه التبليغات الإسلاميه في طهران و (إسلاميك ريسرچ اليوسى ايش) في بمبئي.

له من المؤلفات: تذكره عن أحوال الشهيد نور الله الشوشترى، تاريخ عزاء الحسين، إظهار الحقيقه، كشف الداهيه، إزاحه الوسوسه، الامام جعفر الصادق و نشر العلوم، تاريخ المراثي العربيه، منهاج نهج البلاغه، رسائل و مقالات علميه. و هذه كلها باللغه الأردويه.

و من كتبه التي لم تطبع: الكتب و المكتبات قبل الإسلام (باللغه العربيه)، الكتب و المكتبات في أدوار التشيع (باللغه العربيه)، شهاب ثاقب في شرح ديوان أبي طالب (باللغه الأردويه)، أبو ذر الغفاري، رساله الحقوق للإمام زين العابدين مع ترجمه باللغه

الأردويه. و غير ذلك. (٢)

ص: ٢٢٠

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- مطلع أنوار.

سبط الحسين الجائسي بن رمضان علي

ولد سنة ١٢٨٤ في لکنهو و توفي في جون پور سنة ١٣٧٤.

درس في الهند علي كل من مولانا حبيب حيدر و مولانا محمد حسين بحر العلوم و السيد محمد علي مدرس، و استفاد في الطب من الطبيب محمدي.

ثم توجه إلى النجف سنة ١٩٠١ م و إلى كربلاء و سامراء لمتابعه الدراسه، فكان من أساتذته في النجف الشيخ حبيب الله الرشتي و الشيخ علي اليزدي.

و في كربلاء السيد محمد حسين الشهرستاني. و في سامراء السيد محمد حسين الشيرازي.

و بعد رجوعه إلى الهند قام بالتدريس في المدرسه السليمانيه في بتنه (بهار)، و في المدرسه المنصبيه، كما كان يتعاطى الطب.

له مؤلفات: زواهر الدرر، مشاريع الشرائع (و هو في أصول الفقه)، فرائد الأفكار، عرائس الأفكار، (و هو في الفقه الاستدلالي، تحفه العلوم، معارج الفقه و غير ذلك.

السيد سبط النبي بن السيد بشير علي

ولد سنة ١٢٩٨ في نوكانوان من قضاء مرادآباد بالهند و توفي فيها سنة ١٣٥٧.

درس أولاً في بلده علي كل من المولوي محمد حسين نوكانوي و الحكيم السيد ظهور الدين نوكانوي، ثم انتمى إلى مدرسه (نور المدارس) فيأمروهه. ثم سافر سنة ١٣٢٤ مع مولانا يوسف حسين إلى العراق حيث درس في كربلاء و النجف علي أعلاهما. و في سنة ١٣٣٢ رجع إلى وطنه، فأسس سنة ١٣٣٣ في نوكانوان مدرسه (باب العلم). ثم انتقل بعد ذلك إلى علي گر فتابع نشاطاته الإسلاميه فيها.

السيد سجاد حسين الزيدي الجونبوري بن محمد حسن.

ولد سنة ١٢٩٦ في بلده جونبور (الهند) و توفي سنة ١٣٧٣.

كان ركنا ركينا في بلده جونبور العلميه التاريخيه. درس في لکنهو ثم في العراق و عاد عالماً عاملاً أديباً خطيباً، و من أهم إنجازاته تأسيسه (جمعيه صدر الصدور) التي أصبحت (المجلس الشيعي) في لکنهو، كما أصدر مجله (المعالم). و كان شاعراً باللغه العربيه و الفارسيه و الأردويه.

عاش فتره في بلده (تاتباره) إماماً للجمعه و الجماعه فيها، و في شيخوخته انقطع عن الحياه العامه و لزم منزله.

من مؤلفاته: مشارق المشارق (باللغه العربيه)، روضه الرضا، الصراط المستقيم، الاجتهاد و التقليد (باللغه العربيه)، تجلي طور

(ديوان شعر)، جلوه طور (ديوان شعر) و غير ذلك.

سعاد حسين

فقيه، مفسر، مؤرخ هندي ولد عام ١٣١٩ و توفي عام ١٤١٠ هـ مولده مدينه سلطان آباد بالهند درس العلوم الدينيه ثم صار مديرا للكلية العربيه الشيعيه بمدينه لكهنو و كان يتقن العربيه و الإنجليزيه - له أكثر من ٥٠ مؤلفا في الفقه و التفسير و التاريخ - من أشهر مؤلفاته كتابه (مصائب الشهيد في عشره أجزاء).^(١)

سعد الله سلونى

توفى سنه ١١٣٨ فى الهند.

هو من بلده سلون التابعه لقضاء بريلى فى الهند، و كانت هذه البلده فى زمن الحكم المغولى بلده الفضلاء و الرؤساء و المترجم من أسره عريقه فيها، درس أول الأمر على جده لأمه و على والده. ثم ذهب إلى الحج و زار العتبات المقدسه فى العراق، و حضر فى الدرس على كل من الشيخ عبد الله بن سالم البصرى و الشيخ أحمد نخلى، كما درس عليه بعض طلاب العلم. ثم عاد إلى الهند و استقر فى قضاء (سورت) من محافظه (كجرات) على عهد (أورنك زيب) الذى كان يحترمه و يقدره، و قد وهبه بيتا مستقلا و قريتين من أملاكه.

و قد ورد ذكر المترجم فى كتاب (حقيقه سورت) لمؤلفه (الشيخ بهادر عرف شيخوميان) و قد قال عنه أنه ينتمى فى النسب إلى الامام موسى الكاظم (ع) و أنه كان عالما ماهرا فى العلوم الظاهره و الباطنه و المنطق و الحكمة و الفيزياء و الكيمياء. و له عدده مؤلفات منها: الحاشيه على الحكمه، رساله كشف الحق، رساله جهل بيت (أربعون بيتا).

السيد سعد صالح بن محمد صالح

اشاره

ولد فى النجف الأشرف سنه ١٣١٤ و توفي فى بغداد سنه ١٣٦٨ و دفن فى النجف.

نشرنا نبذا من ترجمته موزعه بين المجلد الأول و الثانى و الثالث من (المستدركات) لأننا لم تجتمع لنا معلومات وافية عن سير حياته دفعه واحده، فكنا كلما وصلنا إلى شىء من ذلك نلحقه بالمجلد الذى بين أيدينا خوفا من ضياعه، و اليوم نجتمع كل الذى عرفنا فى ترجمه واحده ربما كانت أقرب إلى الكمال:

نشا فى النجف فى أسره لها موقعها الاجتماعى النافذ فى شئون النجف مع بعد عن الجو العلمى و أخذ بالتقاليد العشائريه. و كان من الممكن أن يسير فى هذا الطريق و ما يقتضيه من بأس و منعه هو كفو فيهما. و لكن والدته كانت من فضليات النساء ذوات العقل الراجح و الفكر السديد و جهته وجهه أخرى كان من العوامل فيها فجيعتها بمقتل أخيه إبراهيم، و ما لمستته فيه هو من ذكاء و توقد ذهنى، فكان من تأثير والدته أن انصرف إلى الدراسة المعروفه آنذاك فى بلده فدرس الأجروميه و قطر الندى و شرح

ألفيه ابن مالك و مغنى اللبيب. ثم حاشيه ملا عبد الله و الشمسيه و المطول و المعالم.

و بانتهاء الحرب العالميه الأولى و احتلال الإنكليز للعراق تجند مع فريق من أتراهه شبان النجف لمقاومه هذا الاحتلال، فكان من أعماله المبكره فى نضال الإنكليز حملة مع الشيخ محمد باقر الشينى و السيد حسين كمال الدين الرسائل الموجهه من مراجع النجف إلى رجالات كربلاء و الكاظميه و البصره، فطاردتهم السلطه و كادت تقبض عليهم مما اضطره إلى اللجوء للكويت.

و بعد قيام الحكم الوطنى فى العراق عاد إلى الدراسه فانتضى إلى دار المعلمين فى بغداد و تخرج منها سنه ١٩٢١ م حيث عمل فى بعض الوظائف

ص: ٢٢١

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

الحكوميه. ثم انتمى إلى كليه الحقوق و تخرج منها فعين مديرا لناحية (الجربوعيه)، ثم تنقل في عده مديريات إلى أن استقال سنة ١٩٢٨ و عمل في المحاماه. و في سنة ١٩٣٠ انتخب نائبا فظل ينتخب في المجلس النيابي حتى سنة ١٩٣٦ ثم عين مفتشا إداريا حتى سنة ١٩٣٩ حيث عين متصرفا للواء الحله، و تنقل في عده أوليه حتى سنة ١٩٤٤ حيث استقال و عاد إلى المجلس النيابي في الأول من كانون الأول سنة ١٩٤٤ و في ٢٣ شباط سنة ١٩٤٦ صار وزيرا للداخلية.

كان حيث حل في عمله الادارى (متصرفا) يرتفع بالوضعين الاجتماعى و العمرانى إلى أعلى ما يمكن من درجات الارتفاع و لقد شهدت بنفسى حينما كنت بالعراق و جاء مدينة الحله كيف طور أوضاع المدينة فشق الشوارع و أنشا الجسور و نهض بالعمران و أقام الحدائق المعلقه إلى غير ذلك مما يتعلق بعمله.

و عند ما كان (متصرفا) في لواء المنتفك هدد الفيضان المنطقه بكارثة ماحقه و قد عمل هو بحكم منصبه على الحثول دون وقوع هذه الكارثة.

و استطاع بما اتخذه من تدابير و ما بذله من جهود أن ينجح في ذلك، و نجت المنطقه من الكارثة الفيضانيه المدمره. فرأى فريق من أبناء بلده سوق الشيوخ أن يقدموا له هديه رمزيه هي عباره عن قنطره فضيه ضمن إطار فيه صورته و تحت صورته هذه الأبيات من نظم الشيخ محمد حسن حيدر من أفاضل سوق الشيوخ:

عليك (لواء) الحمد شكرا يرفرف لأنك في دنيا العلى (متصرف)

بحزمك كافحت الحوادث و انجلى عن الشعب ليل بالكوارث مسدفة

وقفت أمام الخطب سدا ممنعا و ذا موقف أنى يحاكيه موقف

فله أيام عليك عصيبه تهدد آمالا لنا و تخوف

طغى الماء فيها و السدود ضعيفه و همه أرباب المزارع أضعف

فقاومته حتى تشنى عنانه و كافحته حتى انتهى و هو اعجف

فيا سعد ما زالت خطاك سديده و ما زالت الآمال باسمك تهتف

بك الزرع لاقى من يرق لحاله و لم ير قبلا من يرق و يعطف

أتاك به (سوق الشيوخ) مكرما جهادك في رمز عن الحب يكشف

يقدمه ذكرى لموقفك الذى سيبقى مدى الأجيال و هو مشرف

و عند ما تخلى عن العمل الادارى بعد أن بلغ أعلى مناصبه و دخل المعترك السياسى و انتخب نائبا في المجلس النيابي كان

ذلك فتحا جديدا في هذا المجلس بمعارضته و خطبه الفريده التي لم يعهد مثلها المجلس من قبل إذ كان سعد أدبيا موهوب و خطيبا مفرها قبل أن يكون سياسيا ناجحا، و بدأت من ذلك الوقت تتكون زعامته الشعبيه. و في أعقاب الحرب العالميه الثانيه، و بعد أن استقر الوضع في العراق، و قد كان الناس خارجين من مضايقات و ضغوط و اعتقالات أعقبت حركه رشيد عالي الكيلاني التي انتهت في شهر أيار سنه ١٩٤١ م و أعقبتها وزاره جميل المدفعي، ثم وزاره نوري السعيد الذي يقول كاتب عراقي بأنه "شن حمله اعتقالات واسع على من كانوا دعموا حركه الكيلاني حتى بلغ عدد المعتقلين ما بين ٥٠٠-٦٠٠ شخص و هو عدد يعتبر كبيرا في تلك الأيام، و راح السعيد يضيق الخناق على أيه مبادره جماهيريه ذات صفه سياسيه".

في ذلك الوقت كان لا بد من استرداد ثقه الشعب و تهدئه خواطره، بالتدليل على تبدل اتجاهات الحكم، و لأجل الوصول إلى هذا الغرض كان لا بد من اعتماد الرجل الذي يطمئن إليه الناس و يثقون به، فاتجهت الأنظار إلى (سعد صالح) فدعى إلى تولى الحكم، فكان في أول شروطه إطلاق حريه العمل الحزبي، فكان له ما أراد، و تألفت في ٢٣ شباط ١٩٤٦ وزاره توفيق السويدي و تولى وزاره الداخليه فيها سعد صالح الذي كان هو المحرك الفعلي لكل أعمال الوزاره.

و عند ما استقال بعد ذلك و قاد المعارضه داخل المجلس النيابي و خارجه كانت مقالاته نصوصا من أروع نصوص الأدب السياسى.

و عن شاعريه سعد صالح يقول عبد القادر البراك:

كان من جنايه السياسه على الأدب في حياه السيد سعد صالح أن حجت خطبه و مقالاته السياسيه و تقاريره المعتمده عن مشاكل (المتصرفيات) التي تولى إدارتها، موهبته كشاعر مطبوع كان بمقدوره لو انقطع للشعر أن يقف كتفا إلى كتف بجانب كبار شعراء العراق في مطلع القرن العشرين.

فلقد هيات بيئه النجف الشعريه (سعدا) لأن يكون في عداد شده الشعر، كما أن ملكاته المتعدده قد جعلته قادرا على أن يودع عواطفه الجياشه و معانيه الرائعه و تطلعاته الوطنيه و القوميه في قوالب من الشعر تميزه عن سواه من شعراء الفتره التي لمع فيها اسمه بين رواد الأب [الأدب]، فلقد قصد القصائد المطوله فكانت ديباجته فيها معيده للأسماع و القلوب الديقاجه العباسيه التي تلت مدرسه الشريف الرضى، و نظم الأناشيد و الموشحات في مختلف الأغراض الوطنيه و الوجدانيه فكان خاتمه أمثاله بين كبار الوشاحين على قله ما هو ميسور من نظمه و نثره.

و لقد سبق لى أن نشرت فصلا صافيا عن شاعريه سعد صالح في جريده الحريه في الخمسينات، و لقد صح عزمى على الإفاضه فيما كنت مستعينا بما وقفت عليه من قصائده و أناشيده، و ما استقر في ذهنى من آراء و أحكام به و بآرائه.

و إلى أن يحين الوقت لظهور هذه الدراسه لا بد لى من أن أطرف القراء بقصيده هي واحده من آثار عراقيه كثيره حفلت بها خزانه الأستاذ مصطفى على بعث بها إليه سعد صالح من الكويت أثر مهاجرته إليها بعد أن أجهض الاستعمار البريطاني و أعوانه ثوره ١٩٢٠ الخالده و شرعوا بمطارده الأحرار الذين ساهموا فيها و كان الشاعر في الطليعه منهم.

ذلك أن السيد سعد صالح كان طالبا في دار المعلمين، فلما اندلعت الثوره غادر مقاعد الدراسه ليحتل موقعه في خنادقها صادحا

بشعره باهدافها ومقاصدها التحرريه، و مساهما بالكفاح الفعلى فى صفوف المجاهدين، و قد أدى دوره كاملا، و لكن ملاحظه السلطات له و لإخوانه المناجيد المساعير اضطرته إلى الفرار مما كان ينتظره لانتقام أصاب الكثيرين من أمثاله.

و من الكويت البلد الذى اختاره منفى له شرع الشاعر بإرسال حممه و شواظه متاججه نشر بعضها فى الصحف الناطقه بلسان القوى الوطنيه و لم يكتب لبعضها الآخر أن يأخذ طريقه إلى النشر. و هذه القصيده يغنى نصها عن التعريف بها و عما اشتملت عليه من مميزات و خصائص الشاعر الوطنى المطبوع الذى عانى التجربه شعورا و عملا، و أداها أحسن ما يكون الأداء فى شعر صادق التعبير و الدلاله و الإيحاء هو شعر سعد صالح:

ص: ٢٢٢

فؤاد كله كمد و عين كلها شهد
و آلام مبرحه و عيش ما به رغد
و آمال مضيعه و عمر كله نكد
و دمع هاتن وحشا تكاد لظاه تتقد
جوى يبكى الجماد دما فكيف تطيقه كبد
و أشجان يكابدها غريب الدار مبتعد
فتى تقتاده الأسفار حتى مله القتد
إذا ما شافه بلد دعاه إلى الشقا بلد
تحرير أين حل الرحل حل الطالع النكد
فليس يفيدته جزع و ليس يفيدته جلده
فكم من مهمه قذف يضل بعرضه الرشد
تروح به مطيته تخب و ناره تقد
يفتش هل يرى أحدا و ليس لعينه أحد
فلا عين و لا أثر و لا غير و لا وتد
و لا شاه و لا نعم و لا طنب عمد
و كيف العيش تقربه و عنه الوحش يبتعد
فلا كلاً به ترعى و لا ماء به ترد
فدافد لا أنيس بها يثيب لهولها الولد
يهاب الوحش وحشتها و يجزع عندها الجلد
و نعم الأرض تلك لو أنه أثرا بها يجد

و يرعى الوحش فيها و هو مفترق و متحد
يبغم فى الكناس رشا و يزأر فى الشرى أسد
و ليل طال حتى خلت ليس لطوله أمد
و قد وقفت كواكبه و ملء عيونها رمد
و حار دليل أنجمه فضل العلم و الرصد
كان الليل تيار و شهب نجومه زيد
و كان سحابه سفن تعوم و أهلها رقدوا
بواخر فى بواطنها لظى للبرق تتقد
إذا عصفت بها ربح تروح و شملها بدد
و إن زفرت بصوت الرعد خلت الأفق يرتعد
فخضت عباب لجته و قلبى خانه الجلد
على زيافه من سيرها تجد الذى أجد
قتاد الأرض يؤلمها و يؤلم جسمى القتد
كلانا فى السرى دنف يغالب سقمه الجسد
تخاطبنى إلى كم أنت فى الظلماء منفرد
أ تقضى العمر بالسير الحثيث و ليس تتد
ترى لا تنتهى الأسفار حتى ينتهى الأبد
غدا يا سعد قلت و هل لليل البائسين غد
أ راحتى و فى كبدى تعيث من الهموم يد
و لى أمل غدا أمل له فى أضلعى و قد

دعى فندى فحسب الصب من عداله الفند

ساقضى فى الفلا عمرى فليس يروقنى بلد

سئمت العيش فى وطن يضام، بذل، يضطهد

محته يد القضاء فراح لا روح ولا جسد

عفت تلك الربوع فلا قديمات ولا جدد

رياض صدحت و مها ذعرن و مجمع بدد

مرايض فى الحمى لم يبق من آسادهأ أسد

ربوع غير سرح الوحش لا ياوى لها أحد

دموع تستفيض على دماء ما لها قود

خطوب لو دعت أحدا لساخ بعبئها أحد

و تاريخ نظم هذه القصيده هو ١٤ ربيع الثانى سنة ١٣٣٩ و من طرائفه الشعرية قوله مداعبا صديقا له اسمه نافع:

و قال من قصيده، و الذين عرفوه يعرفون كم هو صادق فيما يقوله فى هذه الأبيات:

أنا الصريح بودى حين أمحضه فلا نفاقا و لا كذبا و لا ملقا

و لا يغيرنى عن صاحبى أبدا به الزمان لسعد سار أم لشقا

سيان حالاه من عز و من ضعه فليتخذ سلما أو يتخذ نفقا

و إننى أغفر الزلات إن صدرت من الصديق الذى فى وده صدقا

ذى شيمتى لا أبالى من نتائجها أ سميت رشدا أم سميت حمقا

لا تتخذ غير لون واحد أبدا كن أسودا حالكا أو أبيضاً يققا

و من شعره ما قاله فى مرضه الطويل الذى توفى فيه، و ذلك قبل أسبوعين من وفاته، حيث نظم قصيده يرثى بها نفسه بلغت نحو

ستين بيتا بقول فيها:

أ بوارق الآمال و الآلام لوحى لعلك تكشفين ظلامى

فلقد بدا شبح الهموم على الدجى حلكا ركاما قام فوق ركام

يوحى إلى نفس الكئيب كآبه خرساء تخلع مهجه الضرغام

متوسطا شبحين ذاك لمحنه الوطن الأسير و ذا الفرط سقام

فلعلتى شبح رهيب كالردى و لموطنى شبح جريح دام

و لقد بدأ نجم سعد يتالق منذ قيادته للمعارضه بعد استقالته من وزاره الداخليه، و برز زعيما شعبيا وطنيا تلتف حوله الجماهير و تعقد عليه الآمال الكبار، و بينا هو يخطو خطواته الأولى فى زعامته إذ تسلط عليه مرض عضال أعيا أطباء العراق، فقصد أطباء أوروبا فعجزوا عن معالجه فعاد إلى العراق، و قد أخذ يذوى يوما بعد يوم حتى توفاه الله فكان يومه فى العراق يوما مشهودا.

و قال فى مطالع شبابه سنه ١٣٣٨، و أرسلها إلى بعض أصدقائه، و كأنه بهذه القصيده يعلن منهجه لمستقبل أيامه من تقويم المعوج فى الحياه العامه، و بلوغ العلى، فهو حين يقول:

فسوف أثقف معوجه بماضى العزيمه بتارها

كان حقيقا بهذا القول، إذ استطاع بعد حوالى ربع قرن من هذا الوعد استطاع أن يثقف المعوج حين كان لا بد من تكليفه بوزاره الداخليه، فرفض قبول المنصب إلا- بشرط إطلاق حربه تشكيل الأحزاب السياسيه، فكان له ما أراد. و قبل ذلك كم ثقف من المعوجات فى المدن التى تولى إدارتها.

ص: ٢٢٣

و حين قال:

و إن كتم الدهر عنى العلى ساكشف غامض أسرارها

كان أيضا حقيقا بهذا القول، فقد كشف غامض أسرار العلى و صار الزعيم الشعبى المرموق الذى نعقد عليه الآمال، و تحوم حوله القلوب:

وقفت بطامس آثارها فهاج الجوى نوح أطيارها

ربوع قد أغبر منها الأديم حدادا على فقد أقمارها

وهب عليها شديد السموم فاطفى مشرق نوارها

فحن الفؤاد لسكانها حنين الطيور لأوكارها

عهدت معاهدها جنه تفوح روائح أزهارها

مراح الجاذر فى قاعها و برج الكواكب فى دارها

رياض يغرد فيها الهزار فيرقص ناصر أشجارها

و يشجيك فيها حفيف الغصون بأوراقها و باثمارها

تصفق أوراقها للطيور إذا ما تغنت باشعارها

و تثنى موائس قاماتها لتلثم طافح أنهارها

كان النسيم أفاض المياه فتهوى لتقبيل تيارها

كان جداولها بالخيرير تناجى الزهور بأسرارها

تحاول ضرب محيا النسيم لتأخذ بالضرب فى ثارها

ليال حلت و صفا جوها فجذ الزمان بإمرارها

أ أحمد ان جار صرف الزمان و شاب الحياه باكدارها

فسوف أثقف معوجه بماضى العزيمه بتارها

و إن كنتم الدهر عنى العلى ساكشف غامض أسرارها
و تعذل نفسى اما صبت لأوطانها و لأوطارها
تقول عشقت الربى و الطلول و همت بدارس آثارها
و ما شغفى بتراب الربى و لكن بأجسام عمارها
تذكرنى غر آثارهم فيخفق قلبى لتذكارها
سلام عليك هضاب العراق منار العلى برج أنوارها
فوا لهف نفسى كيف الخطوب تشق حشاك بيتارها
و تهجر أرضك تلك العلوم و قد كنت كعبه زوارها
عزيز على الحر تلك البلاد يراها رهينه قهارها
أ أحمد قف بضواحي العراق و ناد بواصل أحرارها
إلى كم تكابد مر الهوان و تطوى الضلوع على نارها
أ تغضى على الضيم أجفاننا و تشقى البلاد باغرارها
و تعبت فيها أكف البغات و تقطف طيب أثمارها

من مراثيه

قال السيد محمد جواد الصافى من قصيده:

كل تمنى لو يموت و تسلم - يا سعد - لكن القضاء محتم
خابت أمان كنت أنت رجاءها فبكل قلب بعد فقدك ماتم
سالت دموع الرافدين دما فما قدر الدموع من النواظر تسجم
أردى الردى سعدا فما هو بعده صرح الفضيله و العلى متهدم

إن كان أخرسنى المصاب فهذه آثارها عن مجده تتكلم

أعيا اللسان رثاؤه حتى غدا و - هو الفصيح - بنطقه يتلثم

أفستطيع بان يعد مكارما هي كالنجوم و هل تعد الأنجم

فأحلت تعبير الأسى لمدامعى و النطق للعبرات إن صمت الفم

عقم الزمان فلم يلد كمشيله (سعدا) به تهنى البلاد و تنعم

ما زال ينفخ روحه بشبابها حتى رآه بعزمه يتقدم

لله من بطل تسامى رفعه فغدا لكل فضيله يتسلم

كم كان يهتف بالشباب تقدموا نحو العلى و عن المنى لا تحجموا

طال الرقاد فهل لكم من يقظه لن تدرك العلى و أنتم نوم

كم ذا تعاون القيود و أنتم الأحرار فانتزعوا القيود و حطموا

تهنا بليل فى السياسه حالك فمتى ترى ينجاب ليل مظلم

هذى فلسطين الشقيقه أصبحت بين الأعدى كالغنيمه تقسم

و إذا نظرت إلى البلاد تجد بها ما يستفز العاطفات و يؤلم

عيش مرير لا يطيب و هل ترى يوما يطيب لآكلية العلقم

هذا يبيع بدرهم وجدانه فتساويا وجدانه و الدرهم

يا سعد هذى نفثه قد بثها من لم يطق الشكاه و يكتم

و قال الشيخ عبد المنعم الفرطوسى من قصيده:

صريح و نصل السيف حد لسانه إذا فاه لا يبقى لمكونه ستر

يناضل عن حق صريح مضيع لامتة قد بزه المعتدى جهرا

فطورا يرينا الدر من فمه جمرا و أخرى يرينا الجمر من فمه درا

جرىء، حنان الليث بين ضلوعه لأمته فى كل آونه يضرى
له نهضات لم يسعها مجالها و لو وجدت وسعا لضيق الدهرا
سيرتيك تاريخ مجيد تشرفت باعمالك الغراء صفحته الغرا
و حريه للفكر حطمت قيدها جهارا فحررت الصحافه و النشر
حياتك فى دنيا المفآخر هاله معاليك تبدو حولها أنجما زهرا
ملكيت قياد الأمر غير مساوم فما ملكت كفاك حقلا و لا قصرا
و آثرت أن تحيا عزيزا بنا حرا و قد صنت إكبارا ضميرك أن يشرى
وداعا أبا الأحرار و الشعب واجم و كل عيون الشعب من شجن عبرا
وداعا أبا الأحرار لا عن ملاله و عز على الأحرار أن يبعد المسرى
و فيك المعزى بعد فقدك موطن جميع قلوب المخلصين به حرى
و قال السيد جواد شبر من قصيده:

بملكك حق تفتخر البلاد و مثلك من له يلقى القياد
علوت بهمه تسمو بنفس تضيق بشاوها السبع الشداد
أصخ لى لست مداحا و إنى لأسام من مديح يستعاد
و لكننى وقفت أخط درسا له أعمالك الجلى مداد
و اجعل فيك نبراسا منيرا متى استهدوا به سعدوا و سادوا
سلوا قبرا طوى سعدا أ يدرى طوى بطلا عليه الاعتماد
طوى أمل البلاد أ ليس حقا يقام لمثله هذا الحداد

مشى التاريخ يطوى الناس حتى رآك فقال هو المراد

تمثلت الصراحه فيك شخصا فلا يثنى عزيمتك ارتداد

تسير بمبدأ صلب النواحي و تقتاد الجبال و لا تقاد

و قال السيد محمد جمال الهاشمى من قصيده:

يا ابن الغرى عليك انثر دمه خرساء عن آلامه نتكلم

أوحى إليك رساله روحيه فى لفظها معنى الإباء مجسم

نزعت سمعته عن التهم التى بعيوبها التاريخ غيرك يوصم

حتى خلقت من العزائم قوه عنها أحابيل السياسه تحجم

و قال السيد سعيد كمال الدين مؤرخا وفاته:

أبا لوى و الحياه ذميمه و النور فى عينى أصبح غيها

ذا جسمك الزاكي تغيب فى الثرى أم أرخوا (سعد العراق تغيبا)

السيد سعيد الدين بن رفيع الدين غريب

ولد سنة ١٢٣١ فى بلده شاه جهان پور بالهند و توفى فيها سنة ١٣١٦ درس أولا فى بلده، ثم ذهب للدراسه إلى رام پور.

تولى عدة مناصب ثم انشغل فى آخر حياته بالإرشاد و التبليغ.

له من المؤلفات: حديقه المنطق، الرياضيات، الموسيقى، حواشى حمد الله.

الشاه سلطان حسين الصفوى.

الشاه سلطان حسين الصفوى أكبر أبناء الشاه سليمان الصفوى، و واحد من أتفه و أبله الشاهات الذين حكموا إيران.

أهم حادثه وقعت فى أيام حكمه ثوره قبيله "غلجائى" الأفغانيه فى "قندهار" على الحكومه المركزيه. بل إن هذه الحادثه تعد من أهم الوقائع فى تاريخ إيران كله. و قد انتهت بخلعه ثم قتله و قتل أبنائه، و أدت بايران إلى الخراب.

و خلاصتها أن الأمراء الصفويين اختاروا في سنة (١١٠٥ هـ) لعرش إيران سلطان حسين هذا، خلافا لوصيه أبيه الشاه سليمان.

و في سنة (١١٠٦ هـ) أرسل "جرجين خان" الكرجي الملقب بـ "شاه نواز خان" إلى "قندهار" حاكما عليها.

و العادة، بصوره عامه، في الشرق، و لا- سيما إيران يوم ذاك، أن لا- يحسب في توليه الناس الأعمال حساب لكفاءاتهم و صلاحهم للعمل، و لا يلاحظ ما يمكن أن يترتب على خصائصهم و صفاتهم من نتائج و عواقب.

و من نماذج ذلك إرسال "جرجين خان" هذا حاكما على "قندهار". فقد كان نصرانيا، و أهل هذه المدينة مسلمون من أشد المسلمين تعصبا. و كان إلى ذلك، كأكثر موظفي الدولة، ظالما طماعا متعديا. و مرت خمس سنوات على حكمه في "قندهار" لم تغير شيئا من صفاته و أخلاقه، حتى هجر أهالي "قندهار" فأرسلوا في سنة (١١١١ هـ) "مير ويس" الهوتكي (١) أحد زعماء قبيله "غلجائي"، و كان امرأ محنكا شديد الذكاء، مندوبا عنهم إلى الشاه سلطان حسين الصفوي يرفع إليه ظلامتهم و يطلب إنصافهم.

و ذهب المندوب إلى أصفهان العاصمة، و لكنه لم يستطع أن يوصل الظلامه إلى الشاه المهمل السخيف. و كانت الأمور في إيران مختله اختلالا- شديدا لوجود هذا الشاه و فساد أبنائه و أمراء بلاده الساعين وراء منافعهم الخاصه المختلفين المتنازعين و لنفوذ بعض الروحانيين المتهاكين على طلب الدنيا و مقاماتها الرفيعه. فأيس "مير ويس" من الوصول إلى غايته و غادر أصفهان إلى مكه، فادى فريضه الحج ثم عاد إلى أصفهان و عاود في سنة (١١١٢ هـ) التظلم إلى البلاط، فلم يهتم به أحد من أولياء الأمور.

و إذ رأى أن أوضاع المملكه و شؤون البلاط الملكي لا- تنفك تزداد سوءا على سوء عاد إلى "قندهار" خائبا غاضبا، و روى لأبناء طائفته "هوتك" و سائر رؤساء قبيله "غلجائي" ما رأى من أوضاع إيران و فسادها، و تواطؤا على التمرد على حاكم "قندهار" و على الحكومه المركزيه. و أطلع جماعته، في أثناء ذلك، على فتاوى حصل عليها من علماء أهل السنه في مكه بكفر الشيعه، يحرضهم بذلك و يشجعهم على الثوره. و ما زال بهم حتى أقدموا على قتل "جرجين خان". ثم جمع حوله أبناء طائفته و أبناء سائر الطوائف الغلجائيه و أعلنوا العصيان و التمرد على الدوله.

أما بلاط الشاه سلطان حسين فضل، كدأبه، غافلا و تلقى عمل "مير ويس" بالإهمال و اللامبالاه. و هذا لا ينفك يتقوى شيئا فشيئا حتى استخلص "قندهار" من يد الموظفين الايرانيين و سيطر عليها، و أوقع بجميع العساكر الايرانيين الذين كانوا في "قندهار" و أطرافها مذبحه عامه.

و حيثئذ - و قد بلغ "مير ويس" شاوا بعيدا من الاقتدار - تنبته الحكومه المركزيه بعض الشيء من غفلتها و أرادت أن تدفع شره عنها.

فأرسلت إليه رسولين، واحدا بعد الآخر، بقصد إرضائه و إقناعه بالدخول في طاعتها. فاهملها "مير ويس" لا- يعتنى بهما و سجنهما كليهما.

فلما أيسر الحكومه المركزيه منه أمرت حكام خراسان بتسيير جيش إلى "قندهار" لمحاربتة و إخضاعه. فساروا إليه و لكنهم عجزوا عن أن يصنعوا شيئاً إذ أنه هزمهم هزيمة شامله و أوقع بهم خسائر جسيمه، فعادوا عن "قندهار" إلى مواقعهم.

فأرسلت الحكومه المركزيه إلى محاربتة "خسرو خان" أو "كيخسرو خان" والى كرجستان و ابن أخى "جرجين خان"، و أطلقت يده بان يصنع ما يشاء من أجل إخضاع "مير ويس". فسار إليه و أجاد الحرب حتى تفوق على "مير ويس" و اضطره إلى طلب الصلح و قبول التسليم و وضع "قندهار" فى تصرفه. و كان ذلك فى سنه (١١١٤ هـ). فرفض "خسرو خان"، و كان، على شجاعته، غير خبير بالسياسه، و أصر على أن يكون تسليم "مير ويس" بلا قيد و لا شرط.

فلما رأى المحصورون أنفسهم فى هذه الضيفه استماتوا فى الدفاع و ثبتوا فى وجه "خسرو خان" ثباتاً عظيماً، و استطاعوا أن يقطعوا على عسكره طريق التموين، حتى هزموه هزيمة شنعاء، بلغ من شدتها أنه لم يعد إلى إيران من

ص: ٢٢٥

١- نسبه إلى "هوتك" أحد فروع قبيله "غلجائى".

عسكره، و عدته خمس و عشرون ألفا، غير سبعمائته جندي، و قتل أيضا " خسرو خان " نفسه. و كان ذلك في سنه (١١١٦هـ).

فأرسلت الحكومه الإيرانيه بعده " محمد زمان خان "، فقتل أيضا في هذه الحرب، أو مات حتف أنفه. و زادت هذه الانتصارات " مير ويس " قدره على قدره، و أصبح حاكما على " فندهار " حكما كاملا مستقلا مقتدرا.

و لم تستطع الحكومه المركزيه أن تصنع شيئا. ثم توفي بعد ثماني سنوات من حكمه في سنه (١١٢٠ أو ١١٢١هـ). (١)

و خلفه من بعده أخوه " عبد الله "، و قيل اسمه " عبد العزيز "، فأراد الدخول في طاعه الحكومه المركزيه، و لكن رؤساء " غلجائي " لم يقبلوا.

و بعد انقضاء سنه من حكمه كان " مير محمود " ابن " مير ويس " قد بلغ الثامنه عشره من عمره، فحرضوه على قتل عمه فقتله و خلف أباه في حكم " فندهار " سنه (١١٢٢هـ).

و كان محمود هذا و مشاوروه على اطلاع كامل على أوضاع بلاط الشاه سلطان حسين و أحواله، عارفين بما يشغل أولياء الأمور فيه، أولئك الأولياء الفاسدين، و أن أبعد شيء عن خواطرهم هو الاهتمام بحفظ مملكتهم و حراسه حدودها و ثغورها.

و إذ كان " مير محمود " ينوي احتلال إيران و الاستيلاء على أصفهان، فقد بدأ بالقضاء على منافسيه واحدا واحدا. و كان منهم " أسد الله خان " رئيس قبيله " أبدال ". (٢) و كان هذا أيضا قد خرج على الحكومه المركزيه، و استخلص مدينه " هرات " من يد عمال الشاه سلطان حسين و فصلها عن إيران، و أصبح حاكما مستقلا متسلطا عليها. فغزاه " مير محمود " و حاربه و قتله.

و أراد محمود أن يخدع الحكومه المركزيه، فأرسل، بعد قتله " أسد الله خان "، رساله إلى الحكومه المركزيه تظاهر فيها بأنه إنما فعل ما فعل خدمه منه الدوله، و أنه يعد نفسه أحد رعاياها المطيعين، حتى أنه عبر عن نفسه في الرساله بكلمه " كلب الشاه " إذ ضمنها هذا المصراع " كلب الشاه قد افترس الأسد ".

و صدق المسئولون في الدوله كلامه، و أرسلوا إليه جوابا على رسالته و مرسوما بتثيته و سيفا مرصعا، و خاطبوه في الجواب باسم " حسين قلى " (٣) و لقبوه بلقب " الصوفى الصافى الضمير ".

و من ثم اطمأن خاطر أولياء الأمور في أصفهان من جهه " مير محمود " و استمروا، كدأبهم، في الغفله و إهمال أوضاع المملكه. و في تلك السنه (١١٢٢هـ) استولى محمود على " سيستان ". أما بلاط الشاه سلطان حسين فقد كان يومئذ تحكمه الدسائس و الخلافات و الأغراض الشخصيه، حتى عجز رجاله عن اتخاذ قرار معين واحد. فان اتخذ فريق قرارا نقضه فريق آخر. و الشاه في كل حال لا ينفك يردد " يقع ما هو مقدر ".

و بعد احتلال محمود لسيستان سار في سنه (١١٢٣هـ) قاصدا أصفهان من طريق كرمان و يزد بثمانيه آلاف جندي، و قيل عشرون ألفا، و قيل أربعون ألفا. و إذ لم يجد في طريقه حائلا و لا رادعا فقد تابع التقدم حتى بلغ في أواخر تلك السنه حوالى أصفهان. و في السنه التى بعدها احتل " جلغا "، و قطع على الأصفهانيين طرق التموين كلها. ثم دخل قصر " فرح آباد ".

و تقاطر الناس إلى المدينة من الأطراف حتى اكتظت أصفهان بالسكان فوقوا نتيجة حصار المدينة في ضيقه عظيمه و أعوزهم الطعام و فشا فيهم المرض، حتى مات أكثرهم من الجوع و من المرض، و لم يبق فيها غير قليل من الناس. و كان "طهماسب ميرزا" ابن الشاه سلطان حسين و ولي عهده قد فر من أصفهان حين حوصرت و ذهب إلى قزوین يطلب المدد. و لكن لم يصل منه خبر إلى أبيه. و من ثم أيقن الشاه سلطان حسين أنه أصبح غير قادر على شيء. و اضطر إلى التسليم، فخرج من أصفهان مع جماعه من البلاطيين و ذهب إلى "فرح آباد" حيث يقيم محمود. و هناك نزع التاج عن رأسه و وضعه على رأس محمود. و دخل هذا أصفهان بعد ما فعل فيها الأفاعيل و جلس على أريكه الملك باسم الشاه محمود في مكان الشاه إسماعيل و الشاه عباس الكبير، بسبب تفاهه الشاه سلطان حسين و سخافته و فساد الرؤساء و خيانتهم. و أصبح شاهها على قسم من إيران و بلاد الأفغان. و يقول كثير من المؤرخين إن "طهماسب ميرزا" ولي العهد أقام لنفسه عرسا في قزوین في مساء ذلك اليوم الذي استسلم فيه أبوه! و أمر محمود، بعد الاحتفال بتنصيبه، بسجن الشاه سلطان حسين في إحدى العمارات الملكية. و ظل مسجوناً ست سنوات، و سجن أبناءه و عددهم ٣٩ أميراً، و قيل ٣١، و سجن من الرؤساء و رجال البلاط ١١٤ رجلاً. و في أواخر أيام حكمه قتلهم كلهم.

و تغيرت حال محمود، ذلك الرجل الشجاع المحارب الجريء السفاح، و اختلت شئونه في تلك الحقبة، في أواخر أيام ملكه، حتى بلغ به الأمر إلى أن جن جنونا شديداً، لكثرة ما قاسى من مشقات العمل و ما سفك من دماء. و ارتأى كبراء قبيله "غلجائی" نصب "مير أشرف" ابن عمه "مير عبد الله" ولياً للعهد، فلم يقبل محمود و لكنهم خالفوه و استدعوا "مير أشرف" من "قندهار" و نصبوه ولياً للعهد.

و بعد انقضاء بضعة أشهر من ولايته قتل ابن عمه محموداً انتقاماً لأبيه "مير عبد الله" الذي سبق أن قتله محمود. و جلس على العرش باسم "أشرف سلطان".

و كانت مده ملك محمود سنتين و سبعة أشهر و سنة يوم قتل ٢٧ سنة أو ٢١ أو ٣٣ أو ٣٤ على خلاف في أقوال المؤرخين. ن.

ص: ٢٢٦

١- يقع قبره خارج مدينة "قندهار"، و هو اليوم مزار يقصده الناس.

٢- قبيله "غلجائی" و قبيله "أبدالی" هما أكبر القبائل الأفغانية. و كانت بينهما عداوة شديدة في تلك الأيام.

٣- "قلی" معناها "عبد" أو "خادم". كان شاهات إيران يمنحونها لقباً مضافاً إلى أسمائهم لمن يريدون تكريمه و اعتباره من خواص الشاه و أقرب المقربين إليه. و معنى اللقب: خادم حسين. أو: عبد حسين.

و كان "أشرف" على شاكلة محمود فى صفاته، إلا أنه أعقل و أحسن تدبيرا فى السياسه منه. و لما وصل إلى العرش كان أول شىء فكر فيه أن يقبض على الشاه طهماسب بالخدعه و يقضى عليه. فأرسل إليه رساله قال له فيها إن مقام الملك هو لك و للأسره الصفويه. فعجل بالقدوم إلى أصفهان و أجلس على تخت السلطان فهو إرث لك، و تفضل على بالقبول بان أكون بعض خدمك. و أوشك طهماسب السكير اللاهى أن ينخدع بكلامه فيصدقه. و لكن حاشيته منعتة من الذهاب إليه.

و اختلت الأوضاع فى إيران فى تلك الأيام و بلغ الاختلال أقصى حده، من قتل و سلب و نهب. و انتشر الوباء فى نواحى طبرستان و جيلان على مدى عشر سنوات و مات خلق كثير لا يحصى. و بعث قيصر روسيا بجيش جرار عن طريق البحر فاحتل أكثر بلاد جيلان و أهمها.

و خرج ثمانيه عشر رجلا- فى نواحى مختلفه من إيران، يدعى كل منهم لنفسه منصب الملك و الرئاسة، و لكل منهم جيش و حشم يحسب حسابهم.

و فى تلك السنه (١١٣٧ هـ) عقد الروس و العثمانيون معاهده فيما بينهما اتفقا فيها على تقاسم إيران، و بادر كل منهما إلى احتلال حصته منها.

و سيطر أشرف على فارس و كرمان أيضا. و عزم على احتلال سائر النواحى.

و من جهه أخرى طمع العثمانيون فى احتلال أقسام أخرى من أرض إيران غير القسم الذى احتلوه. فانحدروا نحو أصفهان سنه (١١٤٠ هـ) بحجه أنهم يريدون إطلاق الشاه سلطان حسين من الحبس و نصرته.

فلما وصل أحمد باشا قائد الجيش العثمانى إلى همذان و أراد احتلالها، هب الهمذانيون إلى الدفاع عنها، فحاصرها العثمانيون و ثبت الهمذانيون فى مقاومتهم بكل شجاعه. و لكن كان المدد مقطوعا عنهم، يقاومون و حدهم بلا عون، و كان الجيش العثمانى مجهزا كامل التجهيز و عدته أكثر من مائه ألف جندى فانتهت الحرب بانكسار الهمذانيين و دخول العثمانيين إلى المدينه، فاقوعوا بأهلها مذبحه عامه استمرت ثلاثه أيام حتى أبادوهم، إلا قله ضئيله استطاعوا الفرار و تفرقوا فى مختلف النواحى. و وقع القتلى بعضهم فوق بعض حتى انسد بعض الشوارع بأجسادهم فلا يستطيع العبور منها. كان الهمذانيون يرابطون فى مداخل الأزقه يدفعون العثمانيين عنها، فإذا سقط أحدهم قتيلا حل فى مكانه آخر، و هكذا كانت الجثث تتراكم حتى طال تراكمها فى بعض الأماكن أعالى الجدران.

فى تلك الأيام أوقع العثمانيون كثيرا من الظلم بايران فى همذان و فى غيرها من النواحى التى احتلوها. و لم يكن تعديهم و تخريبهم أقل مما فعله الأفغانيون.

أما "أشرف" فإنه لما علم بتحرك العثمانيين بادر إلى الذهاب إلى "كلبايگان"، و استطاع أن يكسرهم و يوقف تقدمهم على نحو حاسم.

و أراد أن يجرى العثمانيين مما يتعلمون به من حجه إنقاذ الشاه سلطان حسين من السجن - و كان أحمد باشا قائد الجيش

العثماني قد طلبه من أشرف - فأمر أشرف في تلك السنه (١١٤٠ هـ) بضرب عنق الشاه و أرسله إلى أحمد باشا.

و إذا رأى العثمانيون أنهم لم يحصلوا على تقدم في هذه الناحيه فقد صالحوا "أشرف" على أن يكون غرب إيران للعثمانيين و شرقها لأشرف، و اعترفوا رسميا بملكيه أشرف في إيران.

لقد حكم الشاه سلطان حسين تقريبا ثلاثين سنه كانت وبالا على إيران. و قد بلغ هذا الشاه من التفاهه و البله إلى أن صار اسمه لقبلا يزال حتى اليوم يوصف به البلهاء التافهون و المغفلون المضيعون.

حملت جنازته إلى مدينه قم و دفن إلى جانب قبر أبيه الشاه سليمان الصفوى. (١) و (راجع: نادر شاه).

سلمان الأنباري بن حسين

ولد في الكاظميه و نشأ فيها و قرض الشعر، و نشر الكثير منه في مجله المرشد التي كانت تصدر في بغداد و في غيرها من المجلات.

كان خطيبا حسينيا مجددا و له مؤلفات بقيت مخطوطه، منها: بنات الإسلام، شرح ميميه الفرزدق في علي بن الحسين (ع)، عباقره الأنباريين.

توفى سنه ١٣٩١ عن ثمانين سنه و دفن في النجف.

الشيخ سلمان الخاقاني ابن الشيخ عبد المحسن

ولد في مدينه (سوق الشيوخ) بالعراق سنه ١٣٣٢ و توفى سنه ١٤١٠.

و كانت دراسته الأولى على والده ثم قصد النجف سنه ١٣٤٥ فدرس على أعلامها ثم اختص بالسيد أبو القاسم الخوئي، كما عكف في الوقت نفسه على مطالعات نتاج المفكرين في الكتب و الصحف مما جمع فيه الفكر الحديث مع الفكر القديم.

و أصل أسرته من (گرمه بنى سعيد) في قريه (البثق) النابعه [التابعه] لقضاء سوق الشيوخ، و لكن والده انتقل إلى المحمره (خرمشهر) للهدايه و الإرشاد، و بعد وفاه والده تبوأ مقامه هناك حتى وفاته فكانا علمي صلاح و مرجعي خير و قدوتي إحسان.

و كان المترجم شاعرا و مارس الشعر التمثيلي فكانت له فيه تمثيله بعنوان (الطاق).

و من شعره قوله:

هو الحب خفي السر لا يدرك معناه

هو الغامض في الكنه و في كشف هيولاه

تعالى الحب أن تحكيه أنداد و أشباه
خفى كنه معناه و إن غنى به الصحب
هو الحب و كم مثلك يا صاح به غنى
و كم طالع فى الأسفا ركى يستخلص المعنى
فلم يلف سوى قلب كلیم بعبد الحسننا
فكم تعشق يا صاح و كم ترنو و كم تصبو
تعالى الحب يا صاح فما للحب من حد
و قد جل عن الند فما للحب من ند
و كم غنى به قوم من المهد إلى اللحد

ص: ٢٢٧

١- مهدي بامداد.

فلم يبد له سر و لم يهدأ له قلب

و قال فى ذكرى المولد النبوى من قصيده:

ليه شع على الكون سناء إذ بها نور من الله تراءى

ليه أنوارها قد سطعت فأعادت ظلّمه الليل ضياء

ليه ما خلق الله لها من قديم الدهر حقا نظراء

ليه قامت بها آمنه عن وليد ملاً الكون بهاء

يا لها من ليله شع بها كوكب الهادى ضياء و سناء

يا لها من ليله فى فجرها سجل الله على الخلق الولاء

ولدت آمنه خير الورى من به فاخرت الأرض السماء

أحمد المختار قد جاء و من ملاً الكون ودادا و إخاء

طلعت من كل أفق شمسه تكسف الشمس و تعلوها سناء

هو نور الله فى الأرض التى هى لولا نوره كانت هباء

فإلى آمنه البشرى فقد أحرزت فيها فخارا و علاء

و كان الدهر أضحى روضه تملأ الكون نضارا و رواء

كم له من آيه ناطقه تسمع الصم إلى الحق نداء

و جيوش الشرك يكفيك بها جحفل الدين و قد سد الفضاء

و لواء العدل بشراك فقد نشر الرحمن للنصر لواء

قل لأحجار تولى نجمها و لأعراب أطاعتها غباء

ولد الحق فحرى سجدا و اعقدى أيها العرب اللواء

جاءك الحق فهبى طائعه تبلغى فيها إلى الأوج علاء

حسبك ما فعل الجهل فقد بلغ السيل إلى الجهل الزباء

فتناسى كلما كان و لا تلبسى الحق من الحق غطاء

حررى الكون من الظلم و لا تتركى فى الأرض طرا جهلاء

أنت فى ذمه طه فاصدعى ثم لا تخشى من الدهر اعتداء

و هذه قطعه من تمثيليته:

هذى (المدائن)؟ واهما هذه عبر من الزمان فهل فى القوم معتبر

هذى المدائن كلا هذه صور من البلى درست فى جنبها صور

و الطاق هذا رعاها الله مهزله من الزمان و لا عفى لها أثر

فأين كسرى - إذ الطاق العظيم أرى و أين تاج و أجناد لها الظفر؟

و أين من حاربوا دهرا و ما خضعوا و أين من شيدوا دنيا و من عمروا؟

و أين من غانيات الفرس من حفلت بها النجوم التى تزهو و تزدهر؟

من كل هيفاء راد الشمس رونقها و الغصن قامتها و الطلعه القمر

و أين هذى و أمثال لها عجزت عن إن تلم بأوصاف لها الفكر

أغالها الدهر فى ناب و فى ظفر و الدهر يغتال منه الناب و الظفر

هذى (المدائن). عفوا هذه كئيب دوارس حولها الأطلال و الحفر

وقفت ما بينها و النفس من جزع شكوا الشجون و دمع العين يبتدر

أ هكذا قلب الدهر المجن لها؟ حتى تعفت فلم يدرك لها خطر

تركتها و فؤادى كله شجن من الخطوب و نفسى ملؤها عبر

و رحت أنقل خطوى فى مسارحها لدجله حيث ماء الشط ينهمر

رأيتها لم يكدر صفوها حدث من الزمان و لم يطمس لها أثر

تصارع الدهر من قبل القرون فلم تخضع لدهر ولا أزررت بها الغير

فرحت أطلب منها أن تحدثنا عن القرون و عمن عندها اندثروا

تأوهت دجله من حرقه فبدت كأنما قلبها الرقراق يستعر

تقول: فى هذه الأرض اليباب رأأت حوادثا لم يشاهد مثلها البصر

السيد سليمان الحسينى التنكابنى

توفى حدود ١٣٣٥ فى كربلاء.

ولد فى تنكابن و تعلم المبادئ و المقدمات فى مدارسها ثم هاجر إلى كربلاء و اشتغل على أعلامها و سكن فى مدرسه (حسن خان) المجاوره للصحن الحسينى و اشتغل بتدريس المتون و السطوح العاليه من الفقه و الأصول و التفسير و الكلام و غيرها، تتلمذ عليه عدد من الفضلاء منهم السيد محمود المرعشى المتوفى سنه ١٣٣٨ و السيد شهاب الدين الحسينى المرعشى النجفى و له مؤلفات فى العلوم الغربيه و الأعداد لم تحضرنى أسماؤها كان زاهدا عارفا جامعا للعلوم الإسلاميه.(١)

سليمان خان قاجار

"سليمان خان قاجار قوائلو اعتضاد الدوله" ابن "محمد خان" ابن "إسكندر خان القاجارى، و ابن خال "آغا محمد خان" أول الملوك القاجاريين. كان من كبار الرؤساء القاجاريين، و كان "آغا محمد خان" يناديه "خال أوغلى" ابن الخال). و ظل الشاه و أعضاء الأسره المالكه بعده ينادونه بهذه الصفه.

فى سنه ١١٧٦ ه احتل "كريم خان زند" مازندران و أسترآباد. و فى سنه ١١٧٧ ه، عاد إلى شيراز و حمل معه رؤساء القاجاريين، و فيهم "آغا محمد خان" و أخوه "حسين قلى خان" (أبو فتح على شاه). و حمل معه أيضا "محمد خان قاجار" أبا "سليمان خان" هذا و خال "آغا محمد خان"، و كان مده من الزمان حاكما على مازندران. و فى شيراز ولد "سليمان خان" سنه ١١٨٣ ه. و كان فى العاشره من عمره يوم توفى "كريم خان زند".

و كان كثير التردد على منزل "كريم خان زند"، إذ كانت زوجته هذا "خديجه بيغم" عمته. و من ثم كان "آغا محمد خان" على اطلاع كامل متواصل على أمور هذا المنزل الداخليه بواسطته إذ تطلعه عليها عمته..

و فى سنه ١١٩٣ ه حين توفى "كريم خان زند" أراد جماعه من القاجاريين ممن كانوا محكومين بالاقامه الجبريه فى شيراز الفرار منها إلى مازندران و جرجان، فاعتقل فريق منهم و قتلوا، و استطاع آخرون الفرار.

و كان بين المعتقلين "سليمان خان". و لكنهم لم يقتلوه لصغر سنه إذ كان يومئذ طفلا فى العاشره من عمره، و اكتفوا بتوقيفه. و فى سنه ١١٩٦ ه استطاع الفرار من شيراز إلى مازندران.

والتحق بـ "آغا محمد خان". و إذ كان سليمان ابن خاله فقد تيسر له أن يتدرج في ارتفاع المكانه إلى حد بعيد. و أصبح في مقدمه الأمراء القاجاريين في أيام تملكه و تملك "فتح على شاه".

و في سنه ١٢٠٠ هـ ثارت قبيله "بختيار" على "آغا محمد خان"، فسير إليهم جيشا بقياده "سليمان خان"، و هو في السابعه عشره من عمره.

و وقعت بينهما معركة قتل فيها كثير من قاده البختياريين و أسر جماعه منهم، بعثوا بهم إلى "آغا محمد خان".

ص: ٢٢٨

١- الشيخ محمد السمامي.

و بعد مقتل "هدايت الله الجيلاني" (١) و إقرار الأمور في "جيلان" بواسطة "مصطفى خان قاجار دولو" أحد زعماء القاجاريين عهد بالولاية على إياله "جيلان" إلى "سليمان خان".

و كان "مرتضى قلى خان" أخو "آغا محمد خان" متمردا على أخيه هاربا يقيم في القفقاس من سنة ١١٩٨ هـ قد لجأ إلى "كاترين" ملكه روسيا. و في سنة ١٢٠١ هـ وافقه حكام القفقاس على غزو إيران و ساروا معه بجيش إلى "جيلان". و لكنه انهزم إذ كان جيشه ناقص التجهيز. فعاد عنها إلى القفقاس. و في أواخر سنة ١٢٠٢ هـ عاد إليها بسبعة آلاف جندي، ثم وصل عددهم إلى عشرة آلاف، و معه "مصطفى خان طالش". و استطاع في هذه المرة أن يستولى على "جيلان" إذ كان جيشه أحسن تجهيزا و أكثر استعدادا.

و إذ عجز "سليمان خان" عن مقاومه "مرتضى قلى خان" فقد فر من رشت إلى قزوین. و أرسل إلى ابن عمته "آغا محمد خان" تقارير كثيرة مفصلة. فبعث هذا ب "محمد حسين قاجار قوانلو" أحد خواص حاشيته مع ألفى فارس إلى "جيلان" و لكنه انهزم و ذهب عسكره بين أسير و قتل. فأعاد "آغا محمد خان" الكره و أرسل جيشا مجهزا عدته عشرة آلاف رجل بقيادة الأمير "سليمان خان" نفسه و الأمير "محمد حسين خان أرجمندى فيروزكوهى" و الميرزا "محمد خان لاريجاني" إلى حرب "مرتضى قلى خان" في "جيلان". و لكن هؤلاء انكسروا أيضا بعد معركة شديدة. و قتل الأمير "محمد حسين خان" و ذهب أكثر جنودهم بين قتل و أسير.

فلم يجد "آغا محمد خان"، بعد هذه الهزيمة بدا من أن يرسل أخاه الشجاع "جعفر قلى خان" - و لم يكن راغبا في إرساله - قائدا لجيش آخر إلى "جيلان". فاستطاع هذا أن يدفع أخاه "مرتضى قلى خان" عنها، فارتد إلى القفقاس. و إذ كان "آغا محمد خان" لا يطمئن إلى أخيه "جعفر قلى خان" فقد استدعاه إلى طهران بعد أن تم له النصر، و أرسل مجددا "سليمان خان" إلى "جيلان" واليا عليها. و في سنة ١٢٠٤ أنعم عليه بلقب "اعتضاد الدوله".

و في سنة ١٢٠٥ هـ سار "آغا محمد خان" إلى أذربيجان، لاختضاع أمرائها. و أرسل "سليمان خان" من زنجان مع عشرة آلاف فارس لاختضاع قبيله "طالش" و الاستيلاء على البلاد التي تحتلها. فادى مهمته على وجه حسن. و وفد أكثر رؤساء ذلك الإقليم في تلك السنة على "آغا محمد خان" و دخلوا في طاعته، و كان منهم "مصطفى خان قراجه داغى" حاكم "أرسباران". و إذ كان "آغا محمد خان" قليل الثقة بهذا فقد أرسل في تلك السنة "سليمان خان" لتسلم "أرسباران" فسار إليها و احتل "أهر". و في سنة ١٢٠٧ هـ أرسل "آغا محمد خان" "سليمان خان" إلى أذربيجان لضبط أمورها. فذهب إلى تبريز و نفذ تعليماته و حصل من ذلك على فوائد كثيرة و أخضع أكثر رؤساء ذلك الإقليم و خاناته و أدخلهم في طاعه الحكومه المركزيه. و أصبح حاكما على أذربيجان.

و في سنة ١٢٠٩ هـ سار "آغا محمد خان" إلى القفقاس لاختضاع العصاه من أمرائها و خاناتها. و أرسل ابن خالته "محمد حسين خان قاجار" حارسه الخاص لحراسه جسر "خداآفرين" المعقود على نهر "أرس". و لكن "إبراهيم خليل خان جوان شير" حاكم "قره باغ" و أقوى رؤساء القفقاز يومئذ و أوفرهم اعتبارا أمر بهدم الجسر فهدم قبل أن يصل إليه "محمد حسين خان قاجار". و أعاد بناءه "سليمان خان" ليعبر عليه "آغا محمد خان" و عسكره، و كان "اعتضاد الدوله" يومئذ حاكما على أذربيجان من سنة ١٢٠٧ كما مر. و أقام عنده حاميه عسكريه.

فى تلك الأثناء كان " آغا محمد خان " فى أذربيجان مشغولا بتجهيزاته العسكرىه. فأرسل " مصطفى خان قاجار دولو "، و كان يعد أحسن قواده، بعد " جعفر قلى خان " أخى " آغا محمد خان " لاختضاع " مصطفى خان طالش " (٢) ثم أردفه بابن خاله " سليمان خان اعتضاد الدوله " و ابن خالته " محمد حسين خان قوانلو "، فتغلبوا على مصطفى هذا و قهروه.

و ساق " آغا محمد خان " بنفسه حملة ثانيه إلى القفقاس سنه ١٢١١ هـ، فعبر نهر " أرس "، و كان بين قواده " سليمان خان اعتضاد الدوله "، و استولى على " شيشه " مقر حاكم إقليم " قراباغ "، و لكن " آغا محمد خان " قتله، بعد ذلك، فتفرق جنده. و كل ما فعله، عندئذ، " سليمان خان " أنه أعاد أبناء " آغا محمد خان " بالتبني (٣) سالمين إلى طهران.

و فى سنه ١١١٢ هـ أعاده " فتح على شاه " واليا على أذربيجان.

و خرج على " فتح على شاه " أحد الخانات اسمه " صادق خان شقاقى " و طلب منصب الملك لنفسه، فحاربه " فتح على شاه " فى نواحى قزوین و غلبه، فتشفع الخان المغلوب ب " سليمان خان " إلى الشاه فعفا عنه.

و كثر الخارجون على " فتح على شاه " يطلبون الملك لأنفسهم، و كان منهم أخوه الأصغر " حسين قلى خان "، و توالى الفتن و اختلفت أوضاع المملكه فى أغلب نواحيها. فرأى " سليمان خان اعتضاد الدوله " فى سنه ١٢١٣ هـ أنه قادر هو أيضا أن يطلب الملك لنفسه. و حدث حاشيته بهذا الأمر فحسنوا له الخروج و شجعوه عليه. و أخذ يعد العده له، منتظرا نتیجه الحرب بين الشاه و أخيه. و أيا كان المنتصر منهما فهو سيخرج من الحرب ضعيفا و عندئذ يغتنم " سليمان خان " فرصه ضعفه فيخرج عليه.

و لكن حرب الأخوين انتهت بالصلح و استسلام الأخ الخارج إلى أخيه الشاه و دخوله فى طاعته. و علم " فتح على شاه " بنوايا " سليمان خان " فغضب غضبا شديدا. و أراد " سليمان خان " أن يبرئ نفسه فاعتقل أعوانه الذين وافقوه على نيته فى الخروج و بعث بهم مغلولين إلى " فتح على الشاه "، و كانوا أربعة، و لجا هو إلى إصطبل الشاه. فقتل " فتح على شاه " اثنين منهم، هما أب و ابن له، و أعمى عيني اثنين و عفا عن " سليمان خان ".

و فى تلك السنه عين " فتح على شاه " ابنه " عباس ميرزا "، و كان فى الحاديه عشره من عمره، وليا للعهد، و نصبه واليا على أذربيجان، و عين سليمان خان أتابكا (مرىيا) له (٤) و أرسلهما إلى تبريز.

ص: ٢٢٩

١- أحد المتمردين على " آغا محمد خان "، استقل بحكم " جيلان " بعد وفاه " كريم خان زند "، و كان من أنصاره، و كان " أبو الفتح " ابن " كريم خان " صهره على أخته.

٢- طالش: بلاد فى شمال إقليم " جيلان ".

٣- هم ثلاثه من أبناء " فتح على شاه " ابن أخى " آغا محمد خان "، تبناهم إذ كان خصيا لا يلد. و كانوا معه فى معسكره فى هذه الحمله.

٤- الأصل فى كلمه أتابك: الوصى و المؤدب للأمرء الأتراك الذين كان يعهد إليهم بامر الوصايه عليهم و رعايتهم و تربيتهم

نظرا لصغر سنهم فى أيام السلاجقه إلى كبار الأمراء.

و فى سنة ١٢١٨ ه احتل الروس بقاءه الجنرال "سيسيانوف" مدينه "كنجه"، و أوقعوا بأهلها مذبحة عامه دامت ثلاث ساعات. فأرسل "فتح على شاه" ابنه "عباس ميرزا" نائب السلطنه، و كان فى السادسة عشره من عمره، و معه جماعه من خيره القواد العسكريين، و "سليمان خان"، بجيش من ثلاثين ألفا بين فارس و راجل لمنع الروس من التقدم و ردهم عن البلاد. و لكن هذا الجيش لم يستطع أن يصنع شيئا.

توفى "سليمان خان اعتضاد الدوله" فى سنة ١٢٢٠ ه. و اتخذ أعقابه من اسمه اسما لعائلتهم: "السليمانى". (١)

سليمان بن محمد ربيع بن المولى عبد المطلب التنكابنى

هو والد الميرزا محمد التنكابنى مؤلف كتاب قصص العلماء ولد فى تنكابن و تعلم بها ثم ذهب إلى أصفهان و حضر على المولى محمد على النورى فى الفقه و الأصول و المولى على النورى فى المعقول و المولى إسماعيل الأعرج فى الطب و برع فى ذلك ثم رجع إلى موطنه و اشتغل بالتدريس و قضاء حوائج الناس إلى أن توفى بها و دفن فى سليمان آباد و له مؤلفات منها:

١ - الحاشيه على كتاب المطول.

٢ - الحاشيه على كتاب المفاتيح.

٣ - الحاشيه على كتاب الفوائد الضيائية.

٤ - الحاشيه على كتاب شرح الأسباب.

٥ - الحاشيه على كتاب الشواهد الربوبيه.

٦ - رساله فى علاج الوباء. (٢)

شاه رخ

"شاه رخ ميرزا" ابن "رضا قلى ميرزا" ابن "نادر شاه". و أمه "فاطمه سلطان بيغم" بنت الشاه "سلطان حسين الصفوى"، و أخت الشاه "طهماسب الثانى" الصفوى. ولد سنة ١١٤٦ ه.

و فى سنة ١١٥٥ ه، و كان فى العاشره من عمره، إذ كان جده عائدا من غزو داغستان إلى أرمينيا، أقام فى نواحي بحيره "كبود" قريبا من أربعه أشهر. و هناك احتفل بعرس حفيده "شاه رخ" هذا على بنت شاه بخارى، و هو من أعقاب "جنكيز خان"، و عرس ابنه "نصر الله ميرزا" و "إمام قلى ميرزا". و أقيم الاحتفال بين مائه ألف عسكرى. و أمر نادر شاه بإحضار المطربين و اللاعبين بالملاهى، فكان عرسا فخما.

و فى سنة ١١٥٧ ادعى رجل كذبا فى إسلامبول أنه ابن الشاه سلطان حسين الصفوى و تسمى باسم "سام ميرزا". و جعله العثمانيون آله فى يدهم و أيدوه فى ادعائه. و جهزوه بجيش كامل سار به إلى حدود أذربيجان لمحاربه نادر شاه. فأرسل نادر

شاه حفيده "شاه رخ"، و كان فى الثانى عشره من عمره، إلى محاربتة، و أرسل معه خيره قواده العسكرين. و وقعت بين المعسكرين معركة شديده انتهت بانكسار الأمير المزور "سام ميرزا" و تفرق عسكره و وقع هو أسيرا فى يد الجيش الايرانى. فأمر نادر شاه بقلع إحدى عينيه و قطع أذنيه و أنفه، ثم أرسله إلى بلاد العثمانيين، لتكون حاله هذه إعلانا لهم بنتيجه هذه الحرب.

و فى الحادى عشر من جمادى الثانى سنة ١١٦٠ هـ، إذ قتل نادر شاه فى "فتح آباد خبوشان"، كان "شاه رخ" فى الرابعه عشره من عمره يقيم فى "كلات" مع سائر أبناء نادر شاه. و كان "على قلى خان" ابن أخى نادر شاه خارجا على عمه قد جمع جيشا و أقام فى "هرات" عاصيا. فلما قتل عمه خف إلى مشهد. و منها بعث بسلام له اسمه "سهراب" الكرجى مع جماعه إلى "كلات" للقبض على أبناء نادر شاه. و علم بذلك ثلاثه منهم هم "إمام قلى ميرزا" و "نصر الله ميرزا" ابنا نادر شاه و حفيده "شاه رخ ميرزا" ففروا من "كلات" قاصدين إلى "مرو". و لكنهم اعتقلوا فى الطريق و حملوا إلى مشهد إلى "على قلى خان"، و كان قد نصب نفسه شاها على إيران باسم "عادل شاه".

و قتل "عادل شاه" أبناء نادر شاه و أحفاده لم يبق على أحد منهم سوى "شاه رخ" فإنه سجنه و أشاع أنه قتله. و السبب هو أنه احتمال أن لا يرضى به الايرانيون شاها فلا يمكنونه من التملك. و فى هذه الحال يكون "شاه رخ" أنسب مرشح لمنصب الشاه، إذ هو معمم مخول، فهو حفيد نادر شاه أفاشار و سبط الشاه سلطان حسين الصفوى فهو أحق الناس به فينصبونه ملكا عليهم و يكون "على قلى خان" نائبا عنه، فيستطيع بهذا المنصب أن يقبض على زمام الأمور و يبقى "شاه رخ" ملكا بالاسم. (٣)

و فى شهر شوال سنة ١١٦١ هـ خرج على "على شاه" أخوه الأصغر "إبراهيم خان" و حاربه و غلبه و أعمى عينيه. و أراد "إبراهيم خان"، و كان فى أذربيجان، التخلص من "شاه رخ" بإخراجه من السجن بحيله و قتله. و علم رؤساء خراسان بمساعيه و دسائسه، فاستنكروها، و اتفقوا على إخراج "شاه رخ ميرزا" من سجنه و نصبه شاها.

فأخرجوه و لكنه امتنع امتناعا شديدا عن قبول المنصب الشاهانى.

فاصروا عليه و ألحوا و أقسموا له و عاهدوه فى حرم الامام الرضاع على الطاعه و النصره، و ما زالوا به حتى نزل عند رأيهم و قبل طلبهم. و تولى المنصب الشاهانى فى الثامن من شهر شوال سنة ١١٦١ هـ، و خطب باسمه و ضربت السكه باسمه. و أخرج من خزائن جده، و كانت قد نقلت من "كلات" إلى مشهد، أموالا فرقتها على أنصاره.

و هيا أنصاره دعاه أكفاء بثوهم هنا و هناك يدعون الناس إلى تأييده.

و كانوا يقولون للناس: لقد حفظ الله الغلام هذا الأمير الشاب من كل تلك المخاطر حفظا على نحو المعجزه. و ما ذاك إلا ليرفعه على عرش هو إرث له بعد موت جده نادر شاه. و فوق هذا لا يختلف اثنان فى نجابته و أصاله نسبه و علو أصله. و إن له لخلقا جميلا و لديه كل الصفات اللازمه لاستماله القلوب إليه. و إن توفر كل هذه المؤهلات المساعده فيه ينبئ بمستقبل مشرق له.

و لم يلبث "شاه رخ ميرزا" أن أصبح موضع الاهتمام، حتى إن بعض

١- مهدي بامداد.

٢- الشيخ محمد السماوي.

٣- قيل أيضا في هذا الموضوع إن "عادل شاه" سمهم، ولكن "شاه رخ ميرزا" نجا من الموت لقوه مزاجه أو لأن مقدار السم لم يكن كافيا لقتله. فأكتفى حينئذ، "عادل شاه" بسجنه وارتأى هذا الرأي.

الأئمة تنبأ له بالسعد والإقبال، و قدر أن مده ملكه لن تقل عن أربع و عشرين سنة تنقضى بالسعادة و الطمأنينه. و قد بعثت هذه التنبؤات السرور و الأمل فى تلك الأئمة التى نهكتها كثره الفتن و الثورات و الانقلابات، فهى تتطلع متحسره إلى حكومه ثابتة موحد.

و بعث أنصار "شاه رخ ميرزا" بالسر رسائل إلى ضباط "إبراهيم شاه" المعترين يستطلعون رأيهم لعلهم يستميلونهم إلى جماعتهم. فجاءتهم الأجوبه موافقه طبق مرامهم. و أخذ ضباط كل من الجيشين، بعد تواطئهم على نصره "شاه رخ ميرزا"، يحرض أميره من الشاهدين المتنازعين على محاربه خصمه، حتى خرج "شاه رخ ميرزا" فى سنه ١١٦٣ هـ بجيش من مشهد قاصدا أذربيجان. فلما وصل إلى حدود إياله خراسان كان "إبراهيم شاه" قد وصل أيضا إليها قاصدا محاربه "شاه رخ ميرزا". و كانت نتيجة الحرب مقدره قبل وقوعها. فأطلقت بضع رصاصات معلنه بدء حرب لم تقع.

و اقتدى عسكر "إبراهيم شاه" بضباطهم فى الالتحاق بجيش العدو. و هكذا انتصر "شاه رخ ميرزا" على منافسه. ثم أمر بتعقيب "إبراهيم شاه" المغلوب، فلم يلبثوا أن جاءوه برأسه. و جاءوا معه أيضا بأخيه الضير المنكود الحظ "عادل شاه"، إذ كان "إبراهيم شاه" يصحبه معه أينما ذهب، فأرسلوه إلى مشهد.

و كان المخلصون مريد و الخير و الصلاح ل "شاه رخ" يصرون عليه بتعجيل القدوم إلى أصفهان ليحظى بتجليل العاصمه و تكريمها، و الاصفهانيون ينتظرون قدومه بصبر نافد. و كانت لهفتهم هذه تشعر بان عموم إيران تعلن التبعيه له و الانقياد إليه. و كان هو أيضا يرى أن المصلحه تقضى بذهابه إلى أصفهان.

إلا أن أشرف خراسان و أعيانها، و قد أصبح "شاه رخ ميرزا" مالك العرش و التاج بفضلهم، كانوا يشتهون أن يبقى فى مشهد، أو، على الأقل، أن لا يغادر خراسان إلى أن يحصل على الاعتراف به رسميا على إيران من قبل إحدى الدول المجاوره.

و بقى "شاه رخ" فى مشهد على خلاف رأيه و خلاف رأى المخلصين من رجاله و ضحى بمصلحته بارتكابه هذا الخطا لارضاء ذلك الفريق من الناس.

فلم يلبث، و لما يمض بعد خمسه أشهر على تمتعه بالملك، أن تشكلت فى مدينه مشهد نفسها حيث كان الناس يحبونه، فرقه تناهضه و تناقضه.

كان المطالبون بالعرش الذين يحسب لهم حساب قد قضى عليهم. و لم يبق معارض ل "شاه رخ" يعتد به. إلى أن قامت هذه المعارضه. قام بها متولى المقام الرضوى فى مشهد. و اسمه السيد محمد. و هو سبط الشاه سليمان الصفوى و صهر الشاه سلطان حسين الصفوى، و كان يرى أن عرش إيران حق للصفويين.

و من جمله الوسائل التى تذرع بها لتحريض الناس على "شاه رخ" أن اتباعه أشاعوا أن حفيد نادر شاه هذا يريد تجديد مساعى جده فى تغيير مذهب الايرانيين بإخراجهم من التشيع إلى التسنن. (١) هذا و للتشيع عند الايرانيين منزله ساميه. و استطاع بهذه الوسيله أن يجمع حوله أنصارا. و تغلب على جيش بعث به "شاه رخ" لاختضاعه، و قاده بنفسه، و أسر "شاه رخ" فأعمى عينيه و سجنه و جلس على العرش و تسمى باسم "الشاه سليمان الثانى" فى سنه ١١٦٣ هـ، و لما يمض على ملك "شاه رخ" غير سنه و

إلا أن دوله "الشاه سليمان الثانى" لم تطل أيامها أكثر من أربعين يوما.

فقد ثار عليه المشهديون و أمدهم بالعون "يوسف على بيك جلابر [جلابير]" أحد الرؤساء من أنصار "شاه رخ شاه" فأخذوه و أعموا عينيه و سجنوه مع ولدين له، و أعادوا الشاه الضيرير المخلوع إلى العرش و جاءوا بكل نطاسى من الأطباء لمعاينه عينيه و معالجتهم. فطمأنهم الأطباء إلى أن تلك القوه التى حفظته من سم "عادل شاه" ستحفظه من ظلم هذا السيد العاصى، و أن إحدى عينيه، على الأقل، ستشفى. و أذاع أنصاره فى كل الولايات إعلاما بالقبض على الخائن و مجازاته و إعادته "شاه رخ" إلى منصبه و بشرى بحصول الشفاء له عن قريب. فأقيمت معالم الفرح و الابتهاج فى كل مدينه، و لا سيما أصفهان، و قد أخذها الزهو و الاعتزاز بأنها ستحظى عن قريب بزياره الشاه لها و اتخاذها لها عاصمه لملكه و محلا لإقامته.

و لكن تلك الأمانى خابت فقد كان الأطباء مخطئين فى تشخيصهم، و ظلت باصره "شاه رخ شاه" مظلمه إلى الأبد. و ضجر هو من تتابع هذه الأحداث و أراد اعتزال الملك. و لكن أنصاره لم يمكنوه من ذلك.

و كان "أحمد شاه السدوزائى" (٢) ملك أفغانستان قد اغتنم فرصه الفتن التى وقعت فيها إيران سنه ١١٦٣ هـ، فسار إلى خراسان متذرعاً بحجه الدفاع عن "شاه رخ شاه" حفيد ولى نعمته، و احتل "هرات" إحدى مدن خراسان الأربع و قتل حاكمها. ثم أرسل أحد قواده مع خمسه آلاف فارس إلى مشهد لاحتلالها، فقاومه جند خراسان و ردوه. فاضطر "أحمد شاه" إلى تسيير جيش آخر قاده بنفسه إليها، ففتحها بعد مقاومه شديده، و تصالح الفريقان، و اعترف "أحمد شاه" بسلطنه "شاه رخ شاه" و جعل من نفسه حاميا له. (٣)

و ملك "شاه رخ شاه" الضيرير فى خراسان إلى أواخر سنه ١٢١٠ هـ.

و لم يتعرض له "كريم خان زند" (٤) و لا أحد من خلفائه بسوء، رعايه منهم لحقوق جده نادر شاه، بل كانوا أحيانا يعينونه بشتى أنواع المساعده. ز.

ص: ٢٣١

١- قيل هذا القول فى نادر شاه إذ كان يسعى سعيا جادا إلى اتحاد السنه و الشيعه و رفع ما بينهما من أمور تسبب القطيعه و الجفاء.

٢- كلمه "سدوزائى" منحوته من "أسدالله زاده". و هى اسم إحدى شعب قبيله "أبدالى" - و تدعى أيضا "درانى" -. و هذه القبيله هى و قبيله "غليجائى" تعدان أكبر قبائل أفغانستان. و "أحمد شاه" هذا من رؤساء الأفاغنه و من رجال "نادر شاه أفشار" و أرباب نعمته. ظل بعد مقتل نادر و انقلاب الناس عليه و فيا له و قام، و معه عشره آلاف من الأزابكه و الأفاغنه، مطالبا بثاره. و لكنه لم يقدر أن يصنع شيئا. فعاد بهم إلى "قندهار"، و هناك نادى بنفسه شاهاً، و جمع ما فى يده من أرض و بلاد تحت عنوان دوله واحده سماها "أفغانستان". و توارثت أسرته الملك عليها من بعده مده ٩٤ عاما، من سنه ١١٦٠ هـ إلى سنه ١٢٥٤ هـ، إذ

خلفتها أسره "محمدزائی"، و هی أيضا شعبه من قبيله "أبدالی". و ظلت تحکم أفغانستان إلى الانقلاب الجمهوری سنة ۱۹۷۳ م
هذا الانقلاب الذى قام به أحد أفراد الأسره، فالانقلاب اليسارى سنة ۱۹۷۸ م.

۳- توفى " أحمد شاه" هذا سنة ۱۱۸۶ هـ فى عاصمته "قندهار".

۴- شاه ایران من سنة ۱۱۷۲ هـ إلى سنة ۱۱۹۳ هـ. حکمت أسرته من سنة ۱۱۷۲ هـ إلى سنة ۱۲۰۹ هـ، و كانت عاصمتهم شیراز.

و في أواخر تلك السنه كان "آغا محمد خان قاجار" (١) قد احتل "تفليس" عاصمه الكرج، و عاد قاصدا خراسان لزياره مقام الامام الثامن في الظاهر، و ضم خراسان إلى ملكه و سلب ما بقى من مجوهرات نادر شاه في يد "شاه رخ شاه" في الواقع. و جاء إليه "شاه رخ شاه" يصحبه الميرزا مهدي المشهدي أحد كبار علماء خراسان، فاستقبله "آغا محمد" بالاحترام. و لكنه لم يلبث أن سجنه محتجا بأنه لم يسلم إليه كل المجوهرات النادريه، و ذلك أن بعضهم أوصل إلى "آغا محمد" بالسر أن "شاه رخ شاه" لا يزال يحتفظ بشيء من هذه المجوهرات. و كان الواقع كذلك. و أخذ يعذبه عذابا يوميا، حتى أنه صب على رأسه مره رصاصا مصهورا. فاضطر إلى الإقرار بما بقى لديه من الجواهر و دله على أماكنها، و منها ما كان مخبوءا في شقوق الجدران فدله عليه (٢) فرفع عنه العذاب.

ثم أمر "آغا محمد خان"، بعد أن أوقع ما أوقع بشاه رخ شاه من عذاب، بان يحمل و جميع متعلقه إلى مازندران، و كان "شاه رخ شاه" يومئذ في الرابعه و الستين من عمره، ليقيموا فيها. و لكن "شاه رخ شاه" توفي في الطريق قبل الوصول إلى مازندران. توفي في "دامغان" متأثرا بما حل به من تلك المصائب و البلايا و دفن فيها، سنه ١٢١٠ هـ. و قيل توفي في المحرم سنه ١٢١١ هـ. و قبره غير معروف.

السيد شبر بن السيد إبراهيم آل باليل الموسوي الدورقي

ولد حدود سنه ١٢٤٣ في الفلاحيه و توفي حدود سنه ١٣١٥ كان والده و جده السيد إسماعيل و جده الأعلى السيد باليل و جده السيد إبراهيم من أهل العلم و الفضل. قال عنهم بعض من ذكرهم: كانوا أنوارا يهتدى بهم كثير من الناس... نشا المترجم في حجر والده و قرأ عليه مقدماته العلميه، ثم حضر على الشيخ حسن ابن الشيخ أحمد المحسنى الاحسائى الفلاحى.

يوجد بخطه عدده مخطوطات فقيهيه و أدبيه له حواش و تعليقات على بعضها و قد انتقلت إليه مكتبه والده التي كانت تضم نفائس الكتب المطبوع منها و المخطوط.

و من ذريته اليوم الباحث المحقق السيد هادى بن السيد ياسين آل باليل الشبرى. و هذه النسبه (الشبرى) عرف بها ذرارى المترجم من أولاده الخمسه: السيد محمد و السيد محمود و السيد أحمد و السيد عاشور و السيد رجب.

شبير حسين جونبوري

ولد سنه ١٣٠٨ في الهند و توفي سنه ١٣٦٦.

كان عالما فاضلا أدبيا، شاعرا باللغه العربيه. درس في لكهنو أيام السيد ناصر حسين فتتلمذ عليه و انتمى إلى المدرسه الناظميه، ثم مدرسه سلطان المدارس، ثم هاجر إلى العراق لطلب العلم فدرس على أعلام النجف، و عاد بعد ذلك إلى وطنه عاملا في التدريس و التأليف، و في أواخر أيامه تولى التدريس في مدرسه (وثيقه كالج) بفيض آباد.

جمع السيد مرتضى حسين مجموعه من شعره باللغه العربيه.

آغا شريف حسين شاه بهكري

ولد سنة ١٢٧٧ فى الهند و توفى سنة ١٣٧٠.

كان عالما فاضلا زاهدا جريئا فى مقام الحق قويا فى البحث و الجدل و هو أستاذ كثير من العلماء و الفضلاء.

السيد شريف حسين بن السيد رجب على

ولد سنة ١٢٤٩ فى لودهياته من البنجاب و توفى سنة ١٣٢٩.

درس فى بلده ثم فى لكهنؤ فکان من أساتذته فيها السيد حامد حسين صاحب (عبارات الأنوار). ثم توجه إلى العراق فدرس على السيد حسين البهبهانى و الشيخ جعفر الشوشترى.

كان شاعرا بالاردويه تتلمذ على الشاعر الهندى الشهير (أنيس)، كما كان ينظم بالعربيه و الفارسيه.

السيد شريف الدين بهريلوى بن السيد إمام على السبزواري

ولد سنة ١٢٨٤ فى بهريلوى من قضاء دنباله فى شرفى [شرقى] البنجاب و توفى سنة ١٣٦١.

درس أولا فى بلده و فى دنباله ثم هاجر إلى لاهور و تخرج من جامعه البنجاب، و عين فى إحدى المدارس العاليه مدرسا للغتين العربيه و الفارسيه.

و قد استفاد فى لاهور من كل من مولانا أبو القاسم الحائرى و مولانا عبد العلى الهروى الطهرانى فى التفسير و الحديث و الفقه.

اهتم بإنشاء المساجد و الحسينيات و المدارس الدينيه و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر.

و عند ما تم تقسيم الهند سنة ١٩٤٧ و قامت الفتن، ذهبت مكتبته - و فيها مؤلفاته - ادراج الرياح. و قد وجد من آثاره المطبوعه:

آثار حيدرديه، ترجمه موده القربى، ترجمه الكوكب الدرى، ترجمه الزهه الاثنا عشريه، ترجمه التحفه الرضويه و غيرها.

السيد شريف الدين بن الشهيد نور الله الشوشترى

ولد سنة ٩٩٠ فى إيران و توفى سنة ١٠٢٠ فى أكره بالهند.

عند ما هاجر الشهيد نور الله الشوشترى من إيران إلى الهند بقى ولده المترجم فى إيران ليتابع دراسته فيها بعد أن كان قد درس على أبيه ما درس.

و فى شیراز درس على السيد تقى الدين الشيرازى الفقه و الأصول. و درس على الميرزا إبراهيم الهمدانى المعقوليات و العرفانيات و على الشيخ بهاء الدين العاملى الحديث و التفسير.

من مؤلفاته: حاشيه على تفسير البيضاوى، و حاشيه على مبحث الجواهر، و حاشيه على المختصر العضدى، و حاشيه على مطالع الأنوار،

ص: ٢٣٢

-
- ١- أول الملوک القاجاريين. توج شاهها فى شهر رمضان سنه ١٢١٠ ه فى طهران.
 - ٢- كان "آغا محمد خان قاجار" يحب المال جبا جما، و يعشق الجواهر. يروى أحد خاصته، و هو أمين صندوقه أيضا، أنه كان عنده صندوق صغير مختوم يأمر بان يوضع على فراشه فى كل ليله. و فى ليله طالت مغازله الخان للصندوق فنظر أمين الصندوق من وراء ستار إلى داخل غرفته فتبين له أن ما فى الصندوق جواهر، و أن "آغا محمد خان" قد أفرغها على اللحاف و جعل يمرغ وجهه عليها.

و رساله فى عوڤصات العلوم، و رسائل أأرى.

السڤد شفلق آسن إلفا

ولد سنه ١٣٠٣ فى أمروهه بالهنء و ؤوفى سنه ١٣٨٠ ءرس ءراسءه الأولى على آءه أمفر آسن، و ءرس اللآفن العربفه و الفارسفه على والءه السڤء نصفر آسن و مولانا أولاء آسن، و كان فآء اللآفن الإنكلفزه و السنسكرفه.

من مؤلفاءه: أصل الأصول، آقفقه المسفآ، شهفء أزل، ؤصءفق من ؤآقفق السراج.

شمس الءفن سامى أفنءى

شمس الءفن بن آالء بن ءورش بفك.

ولد سنه ١٢٦٦.

الرجالى المؤرخ، العالم البآاءه، صاحب ؤالفف الكآفره، من المؤلففن العآمانفن، من قرفه "ففراشر" من "برمءى" من محافظه "فانفا"، وهى مءفنه فى آنوب "أشقوءره" على بعء ٧٠٠ كفلومتر من إسءانبول و ٢١٠ كفلومءراء من سلانفك.

ءعلم ءروسه الاءءاءفه فى مولءه "ففراشر" و ءروسه النهائفه فى "فانفا" و ؤآرف من مءرسه "ففنمازفه" فى ١٢٨٨ هـ. و قءم إسءانبول فى ؤلك السنه و هو فى ؤانفه و العشرفن من عمره، و شرع فى صنعه الطباعه، و زوج بنء سعاءء أفنءى، قاضى العسكر، فى الرابعه و ؤالآفن من عمره، و رزق منها أربعه أولاء.

ءرك أربعه و آمسفن كءابا قفما، قء طبع منها اءنان و أربعون كءابا و لا فزال اءنا عشر منها مآطوطا.

ءعلم اللآاء المعروفه فى عصره: العربى و الفارسى و الفرنسى و الاىطالى و الفونانى القءفم، و ؤرك آءارا قفمه آالءه، فمناها:

١ - قاموس الأعلام: فى سءه مجلءاء، فآءوى على أعلام ؤارفخ و الآرفراففا بشكل آامع مسءوعب، طبع فى السناوا ١٣٠٦ - ١٣١٦ هـ.

فى إسءانبول فى ٤٨٣٠ صفآه.

٢ - القاموس ؤركى، فى مجلءفن، ؤم طبعه فى ١٣١٩ هـ. فى إسءانبول.

٣ - القاموس ؤركى الفرنسى.

٤ - القاموس الفرنسى ؤركى.

٥ - القاموس الفرنسى.

٦ - مختصر القاموس الفرنسى.

٧ - الحضاره الإسلاميه.

٨ - الأساطير.

٩ - النسوه.

١٠ - السماء.

١١ - الأرض.

١٢ - أصول النقد.

١٣ - اللطائف.

١٤ - الأمثال.

١٥ - الإنسان.

١٦ - أيضا الإنسان.

١٧ - اللسان.

١٨ - الأسبوع.

١٩ - الأسره.

٢٠ - الوفاء بالعهد. ٢١ - همه الهمام فى نشر الإسلام.

٢٢ - الأشعار الفارسيه المنتخبه.

٢٣ - التصريف التركى.

٢٤ - التعريفات العربيه.

٢٥ - منتخبات ديوان الامام على (ع) ٢٦ - منتخبات ديوان الباقي. (١)

٢٧ - مجمل تاريخ فرانسه. (٢)

توفى سنه ١٣٢٠ هـ. (كما فى ریحانه الأدب) أو ١٣٢٢ هـ. (كما فى المؤلفين العثمانيين) و دفن بجنب مسجد "أرن كوى" فى القسم الآسيوى من إستانبول.

كان الأستاذ كلىنارى يؤكد أنه كان شيعيا صحيح العقيدته، و هو ظاهر من كتبه لمن تأمل و تدبر.(٥)

شمس الدين فقير

كان عالما فاضلا فى الفقه و الحديث و الكلام.

كان مقيما فى (دلهى) و فى سنه ١١٤٠ تركها إلى أورنك آباد الدكن، و بعد سكناه فيها خمس سنوات عاد إلى دلهى و عند ما دخل نادر شاه دلهى غادرها إلى لكهنو.

كان شاعرا باللغه الفارسيه، و من شعره فيها بيتان مكتوبان على ضريح العباس (ع) فى كربلاء. من مؤلفاته: حدائق البلاغه، ديوان شعر، مثنوى شمس الضحى، الوافيه فى العروض و القافيه، مثنوى وتر مكنون، خلاصه البديع، حسن و عشق.

صادق خان زند

صادق خان أخو كريم خان زند. يذكر فى بعض الكتب و الرسائل بـ"اعتضاد الدوله" أحيانا و أحيانا بـ"ظهير الدوله".

أصبح "صادق خان" بعد وفاه أبيه "إيناق" هو و أخوه "كريم خان" كبيرى قبيله "زند". و فى سنه ١١٦٢ هـ خرج "إبراهيم خان" على أخيه "عادل شاه" و عزم على محاربتة. فذهب "صادق خان" مع أخيه و جماعه من الفرسان إلى الأخ الخارج يساعده على أخيه. و لم يلبث أن أصبح صادق موضع اهتمام "إبراهيم خان" فأنعم عليه و على أخيه بـ"لقب خان". ثم بعث بهما إلى "أراك" و عهد إليهما بمهمه المحافظه على الطريق.

كان "صادق خان" يعد الثانى بين المقدمين من رجال قبيله "زند".

و لما توفى أخوه "كريم خان" كان هو فى البصره. فلما علم بوفاته غادر البصره إلى نواحي شيراز، و كانت يومئذ فى يد "زكى خان زند". فانصرف عنها قاصدا كرمان إذ كان يعلم أن "زكى خان" سيقتله إن هو دخلها و يلحقه بالخانات الزنديين السبعين الذين سبق له أن قتلهم.

و لكن "زكى خان" تعقبه بجيش فهزمه "صادق خان". و استقر فى

ص: ٢٣٣

-
- ١- يريد محمود الناقى من شعراء العثمانيين المولود سنة ٩٣٣ و المتوفى سنة ١٠٠٨ هـ.
 - ٢- و هو ترجمه "البؤساء" من آثار "ويكتور هوغو" الكاتب الفرنسى الشهير.
 - ٣- بطل أسطورى فى أساطير إيران و كان حدادا يصنع السيوف و يعرف سيوفه ب "درفش كاويانى". (قاموس الأعلام ج ٥ ص ٣٨٢٠).
 - ٤- المؤلفون العثمانيون ج ٣.
 - ٥- الشيخ على أكبر مهدي پور.

كرمان إلى أن علم بمقتل "زكى خان". فبادر إلى تركها قاصداً شيراز. فلما دخلها أقسم لـ "أبو الفتح خان" ابن أخيه "كريم خان" الذى خلف أباه فى منصب الشاه أن لا يخونه و عاهده على ذلك. و ظل مده شهرين و بعض الشهر منصرفاً إلى تدبير الأمور فى خدمه الشاه.

و كان "أبو الفتح خان" شاباً لاهياً مدمناً للخمر غير أهل لهذا المنصب. فحرض أبناء "صادق خان" آباءهم، و كان لهم نفوذ قوى عليه، على نقض عهده لابن أخيه، و خلعه و سجنه، و كذلك إسقاط إخوته من السلطنه و سجنهم و أعمائهم، ثم يستأثر بالحكم لنفسه. فسجنهم جميعاً، و كانوا ثلاثه، "أبو الفتح خان" الشاه و "محمد على خان" و "إبراهيم خان"، و نصب نفسه شاهاً.

ثم أرسل ابنه "جعفر خان" حاكماً على أصفهان بدلاً من حاكمها "على مراد خان" و أرسل معه جيشاً. و كان "على مراد خان" يومئذ فى قزوین مشغولاً بمحاربه أحد الخارجين، اسمه "ذو الفقار خمسه اى".

و تغلب على الخارج و قتله، ثم عاد قاصداً أصفهان. فلما بلغ طهران علم بعزله و تعيين آخر فى مكانه. فانقلب على "صادق خان"، و أخذ يتهياً للدفاع عن نفسه و طرد "جعفر خان" من أصفهان. فلما علم هذا بحركته غادر أصفهان بدون حرب و عاد إلى شيراز.

فأرسل "صادق خان" ابنه الأخيرين "على نقى خان" و "حسن خان" إلى أصفهان لحرب "على مراد خان"، و كان على قياده جيشه "صيد مراد خان" أحد زعماء قبيله "زند"، فهزمه و فر "على مراد خان" إلى همذان مع قله من رجاله لا يتجاوزون الثلاثين أو الأربعين عداً. و دخل "على نقى خان" إلى أصفهان. و لكنه اشتغل باللهو و اللعب و التعدى على الناس بدلاً من أن يتعقب خصمه الفار. اما "على مراد خان" فقد هيا نفسه بمهاره فى مده أربعين يوماً، و سار قاصداً أصفهان. فلم يستطع "على نقى خان" مقاومه فى هذه المره ففر إلى شيراز، و دخل "على مراد خان" إلى أصفهان، فتلبث فيها سنه انصرف فيها إلى التهيؤ و الاستعداد لاحتلال شيراز و القضاء على "صادق خان". و كان أكبر الدوافع له إلى هذا الأمر هو إصرار "أكبر خان" ابن "زكى خان" و تحريضه. و كان هذا قد فر من شيراز مع بضعه رجال، مبدياً فى فراره كثيراً من التصبر و القوه، و التحق بابن عمته "على مراد خان".

و أراد "صادق خان" إقرار النظام و الأمن فى الولايات فأرسل كلا من أبنائه إلى ولايه. أرسل "جعفر خان" إلى بهبهان و "على نقى خان" إلى كرمان و "تقى خان" إلى آباءه، و بقى منهم "حسن خان" فى شيراز.

فلما عرف "صادق خان" بمسيره "على مراد خان" إلى شيراز استدعى ولديه "جعفر خان" و "على نقى خان" من بهبهان و كرمان. فقدم الثانى إلى شيراز، و تمرد الأول على أبيه و ذهب إلى معسكر "على مراد خان" أخيه لأمه.

فأرسل "صادق خان" ابنه "حسن خان" مع عشره آلاف بين فارس و راجل إلى محاربه "على مراد خان". و خالفه جماعه من جنده. و من ثم لم يستطع "حسن خان" الثبات فى وجه "أكبر خان"، و كان أمراً على جيش "على مراد خان"، ففر إلى شيراز. و كذلك انهزم أخوه "تقى خان"، و كان فى "آباءه"، من وجه "مراد خان" أحد قواد "على مراد خان"، و فر إلى شيراز.

و جاء " علي مراد خان " إلى شيراز و حاصرها ستة أشهر فعم الغلاء و القحط و القتل و النهب، حتى عزم رؤساء عسكر " صادق خان " على التخلي عنه و تسليم المدينة للمهاجمين، و فعلوا. و دخل " أكبر خان " إلى شيراز و أوقع فيها عسكره النهب، و لقي أهلها المنكوبون بالقحط منهم أذى شديدا.

أما " صادق خان " فتحصن في مسكنه في القلعه، و أمر باعماء أبناء أخيه المسجونين " أبو الفتح خان " و " محمد علي خان " و " إبراهيم خان "، فاعموا. و بعد يومين من إعمائهم، و كان " صادق خان " قد وقع في يد " أكبر خان "، أمر " علي مراد خان " باعمائه و إعماء ابنه " علي نقى خان " و " تقى خان " فاعموا. و بعد انقضاء بضع ساعات على إعمائهم أمر بقتلهم فقتلوا ثلاثتهم. و أما ابنه الأصغر " حسن خان " فكان قد مرض أيام محاصره شيراز و مات. و دفن " صادق خان " في مقام أحمد بن موسى الكاظم ع المعروف باسم " شاه چراغ ".

السيد صادق ابن السيد عبد الله الحسيني التنكابني

توفي سنة ١٣٣٣.

ولد في تنكابن و أخذ المقدمات بها ثم هاجر إلى النجف الأشرف و حضر على أعلامها له مؤلفات منها:

الاجتهاد و التقليد و حكم المتعارضين، ألفه في سنة ١٣٢٣. توجد نسخه منه في المكتبة الرضويه برقم ٨٥٥٦ (١).

صالح الجعفري ابن الشيخ عبد الكريم:

إشارة

ولد في النجف سنة ١٣٢٥.

توفي والده و هو طفل فكفله خاله الشيخ أحمد. و درس كما يدرس لداته أطفالا و شبابا، فتلقى على بعض شيوخ النجف دروسا في علوم اللغة العربية و في الأصول و الفقه، ثم برز شاعرا مجيدا.

و كان مع فريق من رفاقه شبان الدراسة النجفيه قد تفتحوا على الجديد في الحياه فتالفت منهم جمعيه الرابطة الأدبيه التي كانت ذات أثر بارز في التوجيه الأدبي الحديث في النجف. و كانت قصائده قد أخذت طريقها لا في العراق وحده بل خارج العراق أيضا، و صار هو معدودا في الطليعه من شعراء العراق.

عين مدرسا للأدب العربي في ثانويه النجف و استمر في عمله هذا وقتا طويلا كان خلاله يساهم في إلقاء المحاضرات في جمعيه الرابطة، و في مناصره النهضه المتناميه أدبيا و سياسيا و اجتماعيا.

شعره

قال عند ما أعلن (غاندى) زعيم الهند العصيان المدني على الإنكليز:

حيها أذكت من الحرب لظاها و أبت إلا الذي فيه منها

شمرت تسعى إلى استقلالها سدد الرحمن بالنصر خطأها

ص: ٢٣٤

١- الشيخ محمد السمامي.

و حدث أشتاتها فاندفعت كتله تخشى المقادير قضاها

لا القوانين و ما أصرمها أوقفت تيارها لما تناهى

لا و لا القوه فى تنظيمها أفقدت أبطالها الصيد قواها

خانها السيف فلم تنكل و من مات فى حب هناء قد يراها

دخلت و الظلم فى معمعه خبط الداخلى فيها ثم تاها

و مضت طالبه حاجتها لا ترى من أمرها إلا قضاها

هتفت بالملح فى عصيانها و ورا الأكمه ما كان وراها

ما كل ما ترجوه ملح نستطيب به الغذاء

كلا و لا نرجو به الأموال جمه و الثراء

ما الملح ما العصيان ما الأطفال ما زمر النساء

إلا قيود الياص تفصم فى مضامير الرجاء

الله ما هذا الضعيف أمام تلك الأقوياء

فى سبيل العز نفس حره لم تشا أن يخمد الضيم سناها

سطعت فى الهند شمسا فانبرت أمم العالم طرا لضيها

نفت من وصمه الذل و ها هى لا تفتنا فى برد إياها

جازت الستين لكن لها من وفور العزم ما أبقى صباها

خشت فى الله و الحق فلو سامها الدهر خضوعا ما ثناها

ان يهدم شكلها الدهر فلم يقدر الدهر على حل صباها

خلصت لله فى دعوتها فتقبل ربنا منها دعاها

جلد على عظم يسير ليقطع الشعب الطوال

لا يرتدى غير النسيج نسيج كفيه الهزال

شبح ضئيل كاد لو لا الصوت أن يمسي خيال

ملك القلوب و أنها جيش بعيد الانخزال

ما الجيش أبلغ من قلوب تستميت لدى النضال

قام فى الهند خطيبا ناقما فبكته الهند عظفا و بكاهها

جاهدوها جاهدوا دستورها و احفظونا ما استطعتم فى دماها

أنا أدرى الناس فى سلطانها أنا أدرى الناس فى عظم دهاها

أنا أفنيت شبابى خادما تاجها لا أرتضى إلا رضاها

أنا أرخصت لها الغالى من الهند لما شب للحرب لظاها

أنا أدرى أنها تقتص فى كل جندى بالف من سواها

فلذا أدعوكم باسم الإيا و لذا أنشدكم فىنا الإلها

لا تسلوا السيف لا تستعموا القذف بالأحجار عنوان أذاها

و بهذا يحفظ الناس لنا حرمة تبقى مدى الدهر و جاها

و يقولون بان الهند فى قوة الايمان نالت مبتغاها

كذبت فى وعدها أمس فهل تكذب اليوم علينا يا تراها

و قال بعنوان: (وردتى):

وردتى حين ازدهت فىك الرياض و كساك الحسن أبهى ملبس

حسد النرجس عينيك المراض ليتها تعمى عيون النرجس

وردتى سلواى فى الخطب المهين و لكل سلوه يعتادها

أعربت عن سرها للمجتلين فهم - دون الورى - روادها

أودع الباري بها كنزا ثمين كثرت من أجله حسادها
قد اتخذت الورد لى خير خدين خير ما فى أرضكم أورادها
وردتى دقت مزامير الصباح و تلا البلبل للزهر النشيد
حيث جاء الفجر مشهور السلاح تاليا لليل آيات الوعيد
فإذا قبلت الشمس الأقاح و غدا يضحك عن ظل نضيد
فارفعى أكمام خديك الوضاح عنهما و استقبلى العهد الجديد
وردتى اخترتك من حقل الوجود زهره الصبح و نور السدف
كم سهرت الليل و الناس رقود حائما حولك كى لا تقطفى
ما تأسفت لأنى فى الورد فاقد من شخصك الخل الوفى
بل بكائى يا بنه الزهر يزيد عند ما يضحك أهل النجف
وردتى علقت آمالى عليك و هى لو تدرين آمال كبار
جلوتى أنت ولى من شفتيك خمره قد طبقت رأسى خمار
وردتى أغضب منى أبويك احتقارى ما سوى النشاء الصغار
قد بسطت الأمر و الشكوى لديك فاحكمى: طالت ليالى الانتظار
وردتى قد بلغت روحى التراق حينما صور لى أن تدبلى
اننى همت باوراد العراق و سوى أزهارها لم يحل لى
فإذا ما قدر الله الفراق و جرى حكم القضا أن ترحلى
فاذكرى إنى على عهدك باق مثلما أراعاه فى مستقبلى
و قال بعنوان: (عصفورتى):

أحيطت الأرض فلا تطمعى فى بقعه تخلو من الصائد

و امتلك الجو فلا تصفري كى تسلمى من سوره الراصد
عصفورتى لا تجزعى و احتسبى من خمره الآلام صهباءها
حرمت الدنيا على كل من لم يحتمل بالصبر أرزاءها
أمامك التاريخ فاستفسرى هل شكر البائد نعماءها
شدى على أذنك لا تسمعى ضجيجها العالى و ضوضاءها
عصفورتى حسبك من عالم الأحياء مثل الحلم الزائر
ردى كما جئت و لا تمكثى حرصا على جوهرك الطاهر
و كفكفى ذيلك فالأرض لم تطهر إلى الآن من الغابر
فى كل شبر معهد حافل يمثل الأول للآخر
عصفورتى ضاقت عليك الحياه و اتسعت أرجاؤها للنسور
تنازع المخلوق سر البقاء فاحتسبى منه حياه الطيور
فالشرق للغرب و قعر البحار للحوت و البر بحكم النمر
و هكذا ظل يعيش القوى فى غبطه و للضعيف القبور
ص: ٢٣٥

قالوا استقلت جل أوطاننا قلت احذروا من سطوه الأقوياء

قالوا و متعنا بحريه قلت استعدوا لنزول البلاء

قالوا فهالك اقرأ قوانيننا قلت اعقدوا لى ماتما للعزاء

مفهومها عدل و مصداقها جنايه الجانى على الأبرياء

و قال فى بعض الأحداث الوطنيه فى العراق سنه ١٩٣٠:

فيم الزعاق و فيم الويل و الحرب؟ و الحق أضيع أو تستله القضب

قد يعمل السيف بالأوضاع منفردا ما ليس يعمل فيها الجحفل اللجب

إليه بسيوف العرب لا كهمت و لاونت عن بقايا حقها العرب

لسنا نقيم على ذل يراد بنا بل نطلب العز أنى كان فارتقبوا

ما قيمه (العهد) مكذوبا و مختلفا العهد ما خلقته البيض و اليب

إنا سئنا و عود القوم عاريه عن الحقيقه محشوا بها الكذب

فى ذمه الوطن المحبوب نهضتنا عادت علينا و عند الله نحتمسب

إن أبعدوننا فلا عن نقص مقدره و قد يبعد ذو فضل و يجتنب

أو يملئوا السجن منها فهى غايتنا كيلا يقال أضيما ثم ما غضبوا

خير إلى الحر سجن يستقل به من أن يعيش طليقا و هو مكثب

ما السجن عار على الأبطال لا اقترفوا ذنبا و لا أجرموا جرما و لا ارتكبوا

و من يقف غرضا من دون أمته هانت على نفسه الأرزاء و النوب

و قال بعنوان: (المهاجر اللبناني):

رعى الله مفتون الفؤاد معذبا أسير الهوى يصبو إذا هبت الصبا

تطلع نحو الشمس عند شروقها لعل لها من جانب الحى من نبا

رعى الله شرقيا تغرب للعلى كذاك الذى يرجو العلاء تغربا

لئن يكن ابن الشرق فى النور و الهدى فقد صار إذ يملى عواطفه أبا

تذكر أن الشمس من بعض قومه فشح بآفاق المغارب كو كبا

تذكر (لبنان) العزيز (و عاملا) فأعلى له مجدا أشد و أخصبا

سلا فى بلاد الجد كل شئونه و لم يسئل مهذا للجدود و ملعبا

رأى حفظ عهد العرب إلا و ذمه كما حفظت عهد الربا زهره الربا

إذا ما انتمى للفرقدين جماعه تجاوزهم فخرا فكان ليعربا

و ان عدم الأرز الثمار فحسبه بنون غدوا أزكى ثمارا و أطيبا

تفرع فى طول البلاد و عرضها و مد رواقا فى السماء مطنبا

و قال:

سموت بشانى عن شئون لداتى و أرجعت قسرا فانتقدت صفاتى

و أصغيت محتجا على الوضع راجيا تيقظ ميت بعد طول سبات

و هيهات لا نادى ابن حمدان عامر و لا حلب مكتظه الحفلات

أهينت مصونات القرائح بعد ما قضت عصرا محجوبه خفرات

و تلك التى لم تهتك الشمس ظلها بغير وقا مكشوفه الصفحات

و تلك التى ما شيم برق خيالها بطيف تهادى اليوم فى الطرقات

عدلت شيوخ الشعر عند سكوتهم و طالبتهم فى تلكم الوثبات

و لما درست الوضع درس مجرب رميت يراعى و اجتنبت دواتى

إذا ألف البوم القصور فهل ترى لغريد ذاك الروض غير فلاه

سكت و لى عين تفيض بشعرها دموعا و قلب شاعر الضربات

و من لى بان أطوى الضلوع نحيفه على حر و قد ساطع الجمرات

هنات أفضت مضجعى فأجبتها و كم هنه مقبوله الدعوات

و يؤسفى ظلم القريب قريبه بلا سبق ثار عنده وترات

سوى جهره بالحق و القوم أخلدوا إلى كل مجفو من النزعات

تأمل أضاحيك الحياه أ لا ترى قلوب غواه فى وجوه هده

يؤنبى فى أن تنكبت منطقا جزافا و سبلا جمه العثرات

أ كنت أريد الاعتزال لو أننى ضمننت لنفسى ما يقيت نواتى

فهلا أظلتنى الأراكه اننى أمت إليها فى أتم صلوات

أ لست أنا من بعض أغصانها التى يقال لها يا حلوه الثمرات؟

أ لست هى الأخرى بوارف ظلها يعيش منات تلتقى بمئات؟

نعم و لها العذر الصريح فإنها بغيض إليها أن أقدر ذاتى

حنانيك بعضا من تماديك إنه زمان و دهر دائم الحركات

فان كنت لا تستطيع أن تنظر القذى بعينى فلا تطبق على القنوات

و ان سمحت هذى الكئوس فما الذى أباح لك استعمالها جرعات

أ تصلح من أمرى و أمرك فاسد و تشتمنى فيما بحقك آتى؟

عذيرى من داء إذا ما كتمته قتلت و أخشى عاره بشكاتى

و من أعزل بادی المقاتل معلى ل حرب امرئ شاكى السلاح مؤاتى

تحصن منى بالزجاج محاربا حصونى و قد شيدت بكل صفاه

أهم به لو لا وشائج بيننا قدامى و إبقاء على الحرمات

و لو كنت ممن قد أثار حفاظه لا غرى موتور و شجع عاتى

و قال:

يا خبيه الشاكين ان عدموا القلوب الواعيات

رفعوا مشاكلهم لمن جهل الأمور الواضحات

يا قاده الشعب الجهول و يا خشارمه الولاة

ناشدتكم باسم الحقيقه و هى أصل المنزلات

إن كنتم ممن تبين صدق تلك المرسلات

من شاد عرش الرافدين على الأسنه و الظباه؟

من طارد الأتراك من نادى بجمعهم شتات؟

من قاد للحرب الرجال من الغطارفه الأباه؟

انا شحذنا البيض تسطع حين كنتم فى سبات

مستنقذين حقوقنا من بين أشداق البزاه

انا نثرنا الأرض فى أشلائنا المتبعثرات

و جرى عليها من دماء نحورنا المتدفقات

حتى إذا ما أينعت بقطوفها المتدليات

أضحى لدجله ربحها صفوا فما ربح الفرات

حسناتها اختصت بكم و لنا جميع السيئات

مهلا و لاه أمورنا فالحق يدرك بالثبات

ان سدتمونا يومكم فلنا السيادة فى الغداه

و قال بعنوان (ذكرى شهداء الرميثة):

قسما بصفتى الفرات و من تضمنت الحفر

من كل غطريف أبي أن يستنيم إلى القدر

آلى على أن لا يفر إذا سطا فيهم وكر

كيف الفرار عن الحفاظ و تلكم إحدى الكبر

وصل الخطوط و خط رجعتة إلى العتبي بشر

يحلوه له وقع الرصاص و قد تساقط كالمطر

يلهو و يلعب بالقنابل كالصبايا بالأكر

قسما به مترملا بدمائه لا بالحبر

عطفت عليه الطائرات فشيئته إلى المقر

لواحه تصلى الوجوه و قد ترامت بالشرر

ملقى بقارعه الطريق كأنه إحدى العبر

لو لا بقايا للتصير قد تعين على الظفر

لو لا الصفاء و حرصنا أن لا يشاب به كدر

فتكون ساعدنا الذى يصطاد بالماء العكر

لتخلدت ذكرى "الرميثة" فى مجاميع السور

و لأتبع أيامها الأولى بأيام آخر

الله أكبر قد تجرعنا المرير بل الأمر

إننا نشرناها رؤوس الصيد من عليا مضر

إننا سقيناها دماء طاهرات المعتصر

حتى إذا ما استوسقت و تناولت هى و الشجر

أضحت لنا أشواكها و لغيرنا طاب الثمر

فكأنما هم يعرب كأننا نحن الخزر

و يلى لغلمه يعرب ذهبت دماؤهم هدر

و قال:

أجمعت أن لا ترى إلا انتصارا أمه لم تقبل الضيم شعارا

و استماتت فى هوى أوطانها تحسب النوم عن الأوطان عارا

بذلت فيها النفيسين دما طاطرا حرا زكيا و نضارا

أذكت الحرب على أعدائها و اصطلت فيها كبارا و صغارا

لا تلوموها إذا ما جندت للوغى الأطفال و الغيد العذارى

جرعت من خمرة الحرب و ها هى تبدو اليوم أمثال السكارى

ليت شعرى ما الذى أقعدنا عن - فلسطين - فلم نشحذ غرارا

أ و لسنا أمه مسلمه تأخذ الرحمه دينا و شعارا

تلك أحرارهم فى ساحه الحرب لم يلتحفوا إلا الغبارا

تلك أطفالهم قد نسيت كسره الخبز خماسا و حرارا

تلك زوجاتهم فى حاله تصدع القلب و تستبكي الغيارى

تلك أوطانهم قد غصبت منهم و استبدلوا عنها الصحارى

أ فليسوا فى الهدى إخواننا أ نسينا حقهم حتى الجوارا

أ فيهينا نعيم وارف و دماء العرب قد طاحت جبارا

أ فتهينا قصور و دمي و هم قد سلبوا حتى الديارا

و له يرثى الشيخ جواد الشيبى:

أعرنى جنانا ضاق عن بعضه الدهر فما لى فى الأحداث رأى و لا فكر

أعرنى رأيا فى الأمور مجربا يؤاتيه عزم لا خذول و لا نكر
أعرنى طرفا من بيانك استمع رثاءك إنى لا يطاوعنى الشعر
أبا الشعر هاتيك الكرائم عطلت و حل محل النسق من نظمها نشر
كأنك ما صغت القوافى بجيدها قلائد تبدو دونها الأنجم الزهر
كأنك ما زوجت سائغ لفظها بغير المعانى فهى ولاده بكر
فظورا ترى فى رفرف النجم ناسقا و أخرى بقاع البحر غايتك الدر
مؤرخ هذا الجيل لا الحدس مخطئ و لا القلب رعديد و لا الرأى مزور
تجاوزك الأعوام لغاء حفلا و عندك من تاريخها الطى و النشر
و ما ضقت ذرعا بالحياه و إنما يضيق بها حاشاك مستضعف عمر
و ضاقت هى الأخرى باروع لم يجز على عينه التمويه أو يثطفى السحر
أقول لركب شيعوك إلى الحمى يودعهم قصر و يلقاهم قبر
تباعده عنه يعلم الله لا قلبى و لا عن جفا منه، و لكنه الدهر
بكتك عيون الشعر شيخ صناعه و خريت عصر لا وجود به عصر
دفاك و الفصحى و إلا فما لنا تعاصى علينا النظم و امتنع النثر

صالح الظالمى بن الشيخ مهدي

ولد سنه ١٣٤٦.

كتب كثيرا من المقالات فى النقد و الأدب فى مختلف الصحف العراقيه و مارس الشعر فمن ذلك قوله:

ابسمى لى فأنت سر الوجود و اسعفينى فأنت رمز قصيدى

و أرينى سر الطبيعه كيما يتجلى لدى سر الوجود

و اهتفى بى بين الرياض فانى شاعر الحقل و الربى و الورود

و أنا الشاعر الذى رصف الشعر فغنت به ركاب البيد
و أنا الشاعر الذى رسم الشعر سطورا على جبين الخلود
و أنا الشاعر المجيد بنظمى و المعانى أقودهن جنودى
إيه (بنت القريض) و الليل وافى فسليه عن قلبى المعمود
كم به أرمق السماء بطرفى فاصوغ النجوم خير عقود
سأهرا أقطع الليالى و لكن ليس غير الآلام و التسهيد
لا أنيس لى غير أمان تترأى لقلبى المكمود
و الدجى صامت سوى نفثات من فؤاد معدب بالصدود
أو تناج بين المحبين همسا تحت أفق من الظلام البديد
هدأ الكون فالطبيعة خرساء غفت تحت ظله الممدود
لا حوار يعلو و لا الصخب المؤلم يبدو على ضواحي الوجود
غير صب قد أضرم الحب نارا فى حنايا الضلوع ذات وقود
فغدا شاكيا و لا من سميع لشكاه المتيّم المعمود
إيه بنت القريض قد طلع الفجر و وافى بجيشه المحشود
فظوى للظلام رايات ظلم خافقات و لف خير بنود
جر جيش النهار للفتح حتى ضاقت الأرض من زحام الجنود
و إذا بالزهور تبسم للفتح انتشارا مثل الحسان الغيد
و إذا بالطيور تهتف بالنصر و تعلقو أنشوده الغريد
طفح الأفق بالمسرات فالكون طروب مبشر بالسعود
و له و جعل عنوانها إلى البلب الصامت:

يكفيك أنك في الفضاء تحديق و على سماك الصادحات تحلق

ص: ٢٣٧

تختال فى الوادى الوديع فىنشى و تهز عارىه الغصون فتورق
و إذا تغنت بالهوى فكأنما فى كل جارحه لسان ينطق
أما الطبعه فهى سحر ذائب طاف الجمال بها و شاع الرونق
فمن الغصون المائسات تعانق و من الروابى الحالمات تشوق
و الجدول الساجى يرف زلاله فى الشاطئين و بالضحى يتمنطق
هذى هى الدنيا كما شاهدتها صوراً يشع بها الجمال و يشرق
فعلام تحجم لا الطيور كأنها تشدو حياالك و الأراهر تعبق
أ و لست شاعرها فان هى غردت لحناً فمن نبرات شعر ك تسرق
و إذا تمنقت الزهور فإنما تحكى بديع الشعر حين تنمق
و كفاك حين تقوله إن الدنا طرباً تراقص و الزمان يصفق
دنيا القريض حبتك كل فنونها فعرفت آى الشعر كيف تنسق
و لمست أسرار الحياه و أنها باب تمر به البرايا مغلق
فإذا خطرت على الرياض مفكراً و الزهر عن أكمامه يتفتق
و رأيت ذوب الطل رصع فوقها تيجانها و اختال منها المفرق
تدنو لتعرفه أروح صعدت من عاشق أم دمعته تترقق؟
و تمر بالغردين تعلم منهما هذا يئن شجى و ذا يتشوق
و قرأت ما توحى العيون إذا التقت للعتب شيقه و أعرض شيق
و لو أن بين الأفق بانة حمرة شفقا تراها أم قلوب تحرق
أنت الذى أطلقت ذهنك فى الفضا و خلقت ما تهوى و ما تتعشق
و أقمت بيتك فى الغمام يزينه ألق الضحى بالوشى لا الإستبرق

و السحب بين يديك تركض هذه إن شئت تطلقها و أخرى توثق
و الريح إن حملت على جنباتها عطرا تمر عليك علك تنشق
حتى إذا كنت المليك يحوطه بالجو من زهر الكواكب فيلق
و أردت أن تنساب في حلك الدجى كاليم في أمواجه يتدفق
صورت (ليلاك) الشراع منورا وسط الهلال فراح يجرى الزورق
و لأنت من فهم الغرام و سره و تعبها ريا و غيرك يشرق
فالحب عندك روضه معطاره لا أدمع تدرى و قلب يخفق
فلو أن ليلاك الطروب ذكرتها غنيت للذكرى بما تتذوق
و لو أنها انحجبت رأيت خيالها في موكب الشمس المهيب يحلق
و لمحت مبسمها الضحوك منظما بين النجوم على الدجى يتالق
و تروح تعتق الزهور كأنما في النرجس الزاكي العيون تحدق
و تطيل مكثك في الغدير كأنه يبدي النواهد موجه المتدفق
و لو ارتمى وضح النهار على الربى فهي الغدائر صاغهن المشرق

السيد صدر الدين فضل الله ابن السيد محمد أمين

إشاره

ولد في (عيناتا [عيناتا]) من جبل عامل سنة ١٣٠٢ و توفي فيها سنة ١٣٦٠.

درس دراسته الأولى في عيناتا في مدرسه السيد نجيب فضل الله فكان من أساتذته فيها الشيخ عبد الكريم شراره و الشيخ موسى مغنيه، ثم السيد نجيب نفسه. و بعد ذلك هاجر إلى النجف سنة ١٣٣٨ فدرس على الشيخ أحمد كاشف الغطاء و أخيه الشيخ محمد حسين و السيد عبد الهادي الشيرازي و الشيخ حسين النائيني و الشيخ نعمه الدامغاني. و في سنة ١٣٥١ عاد إلى عيناتا فأقام فيها عالما موقرا و شاعرا مجيدا.

و كان عفيفا تقيا ورعا يؤثر العزله، مع عمله على هدايه الناس و إرشادهم، و أسرته آل فضل الله من الأسر العلميه العريقه في جبل عامل التي تسلسل فيها العلم و الأدب و الشعر حتى اليوم.

و فتیان صدق أبد الدرہ ذکرہم تواصوا بحفظ المجد [المجد] كهلا و أمردا

رأوا أن كسب المجد أربح مغنما و أبقى لهم ذخرا و أشرف مقصدا

فطالت مناط النجم عزا و رفعه و أربت على الأيام مجدا و سؤددا

باقلام صدق توضح الحق مثلما بها قام عرش الدين حتى توطدا

و فى القصيده التاليه تتجلى صورہ المجتمع يوم ذاك من صراع بين القديم و الحديث، و ما نكب به العرب فى فلسطين:

حننت فاشجنتى على البعد حنه يصعدها داعى الهوى و يثيرها

إلى النجف الأعلى و ما ضم سوره و كئبان رمل فاح نشرا عبيرها

و ماد كرت نفسى مع الصحب وقفه بواديك إلا و استشاط زفيرها

هو الحب و النفس الأنوف فان تجد أخوا صبوه فالحب منها أميرها

تجلى على عرش من النفس و استوى فذل له و هو الجموح قديرها

له النهى و الأمر المطاع كلاهما و منه تقاها لو درت و فجورها

جنود و أعوان مثلن ببابه فيرسلها طورا و طورا يجيرها

فان هلكت تهلك عليه و ربما تكون حياه النفس فيما يضيرها

أعاذلتى ما أعذب الحب و الهوى و هل يعرف اللذات إلا سميرها

وراء ك عنى فاتك القصد إنما يهيج كبيرات الأمور صغيرها

إذا ما تجلى القصد للمرء لم يكن ليشنيه منها لومها و نكيرها

بلوت بنى الأيام حتى خبرتها و هل يعرف الأيام إلا خبيرها

تقر على خسف لمن عز جانبا و إن تكن الأخرى يهر هريرها

إذا أحكمت عقدا ثنتها لنقضه يد لم يكن لله يلوى مريرها

دع الرنق وردا و اقصد الصفو إنما يسوغ لرواد الورود نميرها
فما رنق الأخلاق إلا قذورها و لا راق فى الأمواه إلا طهورها
سلاف دنان نحتسيها تعللا و ليس لدينا كاسها و مريرها
فسكر و لا خمر و لكنما الهوى يسكعها فى وهذه لا نثيرها
أ مختبطا و الليل داج ألا أرح قلاصك لا ياتى عليه مسيرها
فما الليل و البيداء إلا مجاهل تفضل به عقبانها و نسورها
تعامت عن نهج الهداه فهذه بكوفان أنوار لمن يستيرها
و للمنهج العصرى تنحين ضله و منه استوى عصريها و عصيرها
أ للعصر فضل السبق حتى حدا بها إليه انتسابا جهلها و غرورها
إذا قيل عصرى و لا شىء عندها سوى هذه مما يعد فخورها
تتبه على الأفلاك قدرا و رفعه و ينحط عنها قطبها و أثيرها
رأت أن عين العصر عين حياتها فكان لها إدلاجها و بكورها
أ أبناءها و الفرع يتبع أصله و منكم و فيكم ظلها و حرورها
رويدا فليس السبق للعصر و الذى له السبق يعزى فضلها لا عصورها
أ أبناءها اليوم قرى و فى غد سيغشاك مما تكسبين سعيرها
و ما سود التاريخ إلا صحائف أضلهم ما سطرته سطورها
لقد أودعوا ما أودعوا فى متونها و أكبر منه ما تجن صدورها
أرادوا به أخطاء أمثله الهدى و منه تجلى نورها و ظهورها
إلى السيف أشكو عصبه لا يثيرها من النوم إلا كاسها و خمورها

أ عن رده يا عصبه السوء مزقت حجاب نساكم و استييح سفورها
و عن تره هذا التظاهر منكم على حرمت الله و هو ظهيرها
و كنتم إلى الأعصار تحيون ذكرها ستمضى بكم أيامها و شهرها
ظننتم بان العصر لا شىء بعده فشيده و لكن للبقاء قصورها
و إن فناء المرء عين حياته لقد ضل عنها رشدها و شعورها
لقد أوضعت فى جهلها و تعمهت على غمه فيها يحار بصيرها
قفى لا تورطك الجهاله و احبسى على العلم نفسا أطلقته شرورها
فما العلم إلا نقطه رمزت إلى مفاتيح غيب حجبتها ستورها
و فيها انطوى ما كان أو هو كائن فال إليها حشرها و نشورها
تنزلت الأكوان عنها فأشرق شمس سناها و استضاء منيرها
تجلى لها نور من الحق قاهر يصرفها فى حكمه و يديرها
أفاض عليها من شآيب جوده وجودا به نعمائها و حبورها
جحدتم مجارى فيضها عن ضلاله و هل يجحد النعماء إلا كفورها
شنتم على التوحيد غارات بغيكم لقد تاه فى غلوائه من يغيرها
ألقتم مساوى الفحش لا تنكرونها و هل ينكر الفحشاء إلا غيورها
فلا غيره ياوى لها ذو نجابه لديكم و لا ذو نهيه يستشيرها
عبدتم تماثيل الحياه فضارع لديها و مجبور عليه كسيرها
معالم دين أحكمتها أصولكم إليكم تناهت و استقامت أمورها
أقاموا عماد الدين فى مستقرها بأسيا فهم و الحرب تغلى قدورها
هم ركبوا الأخطار حتى توطدت و هل يركب الأخطار إلا خطيرها

فهذى حنين و النضير و خبير و هذى قریش عيرها و نفيها
و هذى و هذى فاسألوها فلم يكن ليخفى عليكم بدرها و غدورها
بنفسى إذ قام النبى مبلغا عن الله و الرمضاء يغلى هجيرها
مواقف فتح حالف النصر سيفها و كيف و منها ذو الفقار نصيرها
أ يخفى و هل تخفى مظاهر قدره على أمير المؤمنين أميرها
هم بوء وكم مقعد الصدق و الطبا تجن إلى هام الكماه ذكورها
نكوصا على الأعقاب تبغون ثلها و منكم و فيكم عرشها و سريرها
ثبى يا رجال الموت و ثبه ثائر يرى غمرات الموت ثم يزورها
فهذى فلسطين و آثار دينكم على الرغم منكم تستباح ثغورها
لقد صك سمع المشرقين نداؤها و قد هتكت منها عليها خدورها
و قد أطلقوا فيها قنابل حقدهم و لم ينهها وجدانها و ضميرها
سل المسجد الأقصى و ساحات قدسه و محرابه هل قام فيه بشيرها
و هل من أذان فوق منبر ساحه من النذر اللسن الهداه نذيرها
و سل أنبياء الله فى حجراته بمن حن فيها هل تزار قبورها
أم انطمست أعلامه و تغيرت و شرد عنها كهفها و مجيرها
فعاثت به أيدي الطغاه فزلزلت معابده " بمباتها " و سعيها
مناطق حقد حلقت فى سمائه تجلى و لكن للخسوف بدورها
متى يا كماه الحرب تعلين رايه تظللها عقبانها و نسورها
بها النصر معصوب إذا ماتر أقلت و أوردتها خوض المنايا هصورها
رضيتم و أنتم قاده الحرب أن ترى شقيقتكم بالدم تدمى نحورها

تنوح على آثارها و قديمها فترحمها آكامها و وعورها
لئن شردوها و استبيح حريمها و من وعد (بلفور) تمادى كفورها
و لم ترع للإسلام إلا و ذمه بما يغتريه عزها و غرورها
و لم تعل من آساده العلب ضجه يطبق أرجاء الفضاء زئيرها
و لم تستمت تحت الصوارم و القنا لتحيى من الضرب الدراك تتورها
و لم تدرع بالصبر عند تراثها و هل يدرك الأوتار إلا هصورها
فما الدين و الإسلام إلا وديعه على الأرض قد ضاعت و ساء مصيرها
فسمعا سراه العرب صرخه آسف إليكم و عنكم وردها و صدورها
شوارد فى الآفاق باق أزيزها تابده آبادها و دهورها
و من بارع العصرين (1) ترفع رايه مشى تحتها شوقها و جريها
تقل إشارات (الرئيس) فصولها مجردة يوحى إليها (نصيرها) (2)
و ما ضرها أن الأخير زمانها إذا كان للاعجاز ختما أخيرها
إليكم بنى آل النبي رفعتها ممنعه عصماء عز نظيرها
فبدءا و ختما باسمكم قد جعلتها هديه مولى قل فيه كثيرها
لكم من هواى الصفو أداه شكرها و من يكفر النعماء أنى شكورها
ففى لفظها أودعت حكمه سر كم و من بحر معناكم تمد بحورها
تطالع من بين القوافى إذا ونت و فيها كبا تقصيرها و قصورها
علوقا بأفواه الرواه كأنما تبوء متن العاصفات مرورها
إذا ضاق رحب الأرض عنها تصاعدت فكان على الشعرى العبور عبورها
كان لها فى مفرق النجم غايه يتممها منظومها و نثيرها

فألقت عليه من فرائد سبكها أكاليل نور نمقتها شذورها
خدمت به دنيا عليه تظاهرت أشابه أخلاط نفتها حجورها
تعاوى على أعواد منبر هديه فيلبسها ثوبا من الخزى زورها
تطيل و لكن للخداع هتافها و يعلو و لكن للمراء صفيها
فيا ليت شعري كيف تفلح أمه تعاوى فبذ العاويات عقورها
و قد خلعت دين الوقار صراحه فخف و لكن للبذاء وقورها
و لا تتقى غب الحديث فترعوى سواء عليها طيها و حبورها
سبيراً منها عينها و غوانها بيوم به قد حاق فيه ثورها
قم الليل إلا نصفه أو أقله فما شرف الأعمال إلا عسيها
و دع ترهات القوم للوم جانباً فما قدر دنيا لا يدوم سرورها
و نفسك صنفا عن أمور كثيره فما لك نفس غيرها نستعيرها
و ما النفس فى الإنسان إلا حقيقه من الحق جلاها فأشرق نورها
دنت من مباديها فقامت بنفسها و بالملا الأعلى تعالى سعيرها
و ما رضت منها الصعب إلا لترتقى مراق عسير السالكين يسيرها
و ترسل فى آل النبي مدائحا تجير لدى الإنشاء من يستجيرها
فان قبلت فازت بنجح و حسبها نجاحا و إلا طال ليلا فكورها
عسى و لعلى أبلغ الغايه التى يكفر عنى سيئاتى غفورها
و حاشا نداكم أن أخيب بموقف توفى به للعاملين أجورها
و قوله فى القرآن:

إن التأسى فى الكتاب فريضه للكاشفين غوامض الألباس

كم ندد السفهاء حين استغربوا أمثاله مضروبه للناس
يهدى به ذو مره و يضل عن سنن الهدى رجس من الأرجاس
غطى هواه عليه فاستغوى و لا ينفك يخبط فى عمى و شماس
أ يحل هدى الله قلبا لم يكن خلوا من الأقدار و الأذناسى.

ص: ٢٣٩

-
- ١- يريد بالعصرين القديم و الحديث و بالشاعرين جرير و شوقى.
 - ٢- يقصد الرئيس ابن سينا و نصير الدين الطوسى.

و له متغزلا:

و مجلس أنس قد حكى بصفائه زمانا تعاطى الحب فيه جميل

تدور علينا بالمدام فريده و ليس إلى رشف الثغور سبيل

إذا سكبت بالكأس من خمر دنها و طاف بها ذو خله و خليل

أقول كان الله أودع كاسنا نجوم سماء ما لهن أفول

إذا مزجت بالماء و هى سخينه سخينا و هل فينا يعد بخيل

لها الله من ممزوجه طاب مزجها لكم ذهبت فيها الغداه عقول

و لله روض فيه بتنا نعلها تراوح فيه شمال و بليل

و لله أيام الصبا أم مالك زمان شبابي لى إليك رسول

لدهرى و شيبى حاكمان كلاهما على فيا لله كيف أقول

لئن قطعت إذ شبت حبلى (بثينه) فانى لها عمر الزمان (جميل)

فان تسخرى منى بثين و تهزئى بشيبى فكم رنت لدى حجول

فانى أنا الصب الذى يعرف الهوى به و يميل الحب حيث يميل

و قال:

و انى لحمال لكل عظيمه و لكن بسر الآل من آل هاشم

هم العروه الوثقى لمستمسك بهم إذا أثقل الأعناق حمل المغارم

فعطفنا بنى الزهراء إنى بحبكم عقدت نياط القلب قبل التمام

و قال:

يا آل بيت محمد ما أمكم ذو حاجه إلا و آب موفقا

يممت باب قراكم أبغى القرى ضيفا غدا من كل شىء مملقا

حاشاكم أن تطردوا عبدا أتى يسعى إلى أبوابكم مسترزق
منوا على بنظره من لطفكم أنجو بها من هول يوم الملتقى
فلأنتم سر الإله و لطفكم من لطفه يهيم مغذا مغدقا
عودت منكم عادة لا زال فى نعمائها جسمى نضيرا مورقا
عودوا على بها فروضى قد ذوى من بعد ما قد كان غضا مونقا
إن كان ذنبى مانعى عنكم فقد أفنيت ليلى توبه و تملقا
و العفو أجدر بالكريم و عبدكم قد أم باب رجائكم كى يعتقا
و العفو أنتم أهله و إليكم ينمى و أنتم كنهه ان أطلقا
و لأنتم قصد السبيل و ما انتحى قصد سواه مغربا و مشرقا
عطفوا على بنى النبى فقد غدا ليل الهموم على داج مطبقا
و له حين دخل ضريح الامام أمير المؤمنين "ع":
بامالى وفدت على الوصى صراط الله و النهج السوى
على عدتى و بنى على و هم وردى على ظماى و ريبى
و هم قسمى من الأقسام حق إذا امتاز السعيد من الشقى
يفوز بحب أهل الكهف كلب و أشقى باتباع بنى النبى

صدر الدين محمد خان فائز

توفى سنه ١١٥١ فى الهند.

كان عالما مبلغا، و قد تولى مناصب حكوميه. له مؤلفات فى الفقه و الحديث و الأوراد و المباحثات و العقائد. كما كانت له خبره فى الطب و النباتات و علم الهيئه و أفليدس [أقليدس]. و كان يتميز بحسن إنشاد الشعر العربى و الفارسى.

من مؤلفاته: ديوان شعر باللغه الأوردويه، و ديوان قصائد، و إرشاد الوزراء (مخطوط)، و تحرير الصدور، و ترجمه خلاصه الحساب للشيخ البهائى.

صدر الدين محلاتي بن أبو الفضل

ولد عام ١٢٧٣ بشيراز و توفي عام ١٣٩٩ من فضلاء شيراز المرموقين.

درس العلوم الإسلامية عند علماء شيراز و كان له نشاط ديني واسع حيث عقد حلقات التفسير و الوعظ و الإرشاد، و له تفسير سورة (و العصر) و كتاب أسباب النزول. كان له مكتبته نفيسة أهداها لمدرسه المحلاتي بشيراز. (١)

السيد صفاء إسحاق الهمذاني

ولد عام ١٢٩٧ هـ في كردستان الإيرانية ثم انتقلت عائلته إلى مدينه همذان فتربى على يد أساتذتها ثم اشتغل فتره في التجاره و لكنه تركها و قام بجوله في عدة بلدان فسافر إلى العراق و مصر و السودان و سكن عدة سنوات في الهند.

كان أديبا، شاعرا، عارفا، زاهدا، فاضلا. و كان له إمام. بعلم الطب و الرسم و كان له خط جميل كان من أعضاء جمعيه أدباء همذان توفي عام ١٣٦٩. (٢)

السيد صفدر شاه الرضوي الكشميري بن محمد صالح

ولد في كشمير. و توفي سنة ١٣٥٥ في لكهنو بالهند.

من مشاهير علماء لكهنو، درس في كشمير و سافر عدة مرات إلى العراق و إيران و استفاد فيهما من المراكز العلمية، على أن دراسته الأساسية كانت على الملا محمد مقيم الكشميري.

اشتهر في الحديث و التفسير و المعاني و البيان و الفقه و التاريخ و علم النجوم، و أكثر شهرته في الحديث.

من مؤلفاته: أناسي العيون، و هو كتاب ضخيم في عدة مجلدات في الحديث و التفسير و علوم أخرى.

صفدر علي الشيرازي بن حسن

توفي بعد سنة ١٢٥٠ في الهند.

من فضلاء الهند الذين اتقنوا الأدب العربي، و هو من تلاميذ محمد أصغر بن محمد حسين، و قد عرف من مؤلفاته: الحاشية على شرح الشافية.

الشيخ صلاح الدين أوزغوندوز

الفاضل الأديب، إمام مسجد الزينبيه في إستانبول و الخطيب في "حلقة لي" من محلات إستانبول، له آثار مطبوعه، منها:

١ - ترجمه كتاب "المسلم" للسيد محمد الشيرازي، المطبوع عام ١٤٠٠ هـ. في إستانبول.

١- الشيخ محمد رضا الأنصاري.

٢- الشيخ محمد رضا الأنصاري.

صفوان بن إدريس التجيبي:

ولد سنة ٥٦٠ في مرسية (الأندلس) و توفي سنة ٥٩٨.

كان أبوه و خاله من مشاهير علماء عصرهم في الأندلس و نشا محبا للعلم في بيئه مثقفه وسط علماء عرفوا بالتقوى و الصلاح فدرس أولا على يد والده إدريس بن إبراهيم التجيبي (ت ٦٠٦ هـ) العالم بالوثائق و العقود، و خاله القاضي أبي القاسم محمد بن العباس بن إدريس (ت ٦٠١ هـ) ثم انتقل بعدها إلى دراسه العربية و اللغه و الأدب على يد أبي بكر عبد الرحمن بن مغاور الشاطبي (ت ٢٨٧ [٥٨٧])، و أبي رجال بن غلبون (ت ٥٨٩ هـ) إذ وصف الأول في كتاب له، بان له حق التعليم، و التدريس عليه، و أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ)، و أبي العباس أحمد بن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢ هـ). كما درس عند أبي الوليد بن رشد (ت ٥٩٥ هـ) و أبي القاسم عبد الرحمن بن حبيش (ت ٥٨٤ هـ) و ابن حوط الله (ت ٦١٢ هـ) و غيرهم.

و لا- نعلم متى رحل صفوان إلى قرطبه و أشبيلية و شاطبه و بلنسيه غير أنه من المؤكد قد فعل ذلك، و دخل غرناطه و امتدح القائد أبا عبد الله بن صناديد بمدينه جيان حسبما يظهر في عجلته من غير تحقيق كما رحل إلى مراکش أيام المنصور الموحدى فى حاجه ماليه، فلم يوفق إلى ذلك فصرف نفسه إلى امتداح الرسول الكريم (ص) و أهل بيته و كان ذلك عام ٥٩٠ هـ و منها نعرف أن صفوان كان متروجا و له أبناء قد كبروا، و كانت رحلته هذه سببا فى ذلك:

إذ أراد ترويح إحدى بناته فلم يستطع فى البدايه كما نعرف أن له أبا يعرف بإبراهيم، و كان شاعرا أيضا: ثم إن صفوان شرع فى مدح أهل البيت ع، و هو إيدان بصعود نجمه، و قد ترك صفوان تلامذه مشهورين منهم أبو عبد الله بن أبى البقاء، و أبو الربيع بن سالم (ت ٦٣٤ هـ) الذى كتب له بعد انفصاله من بلنسيه يصور فيها الغربه التى كان يعانيتها بعد تركه موطنه و أهله كما كان له أصدقاء يراسلونهم و يستجيزونه، و له مراسلات و مساجلات أدبيه حافله.

و يتضح من خلال هذه المساجلات أهميه ابن إدريس و قيمته الأدبيه و مقدرته الفنيه، و الصور التى يرسمها لنا عن ثقافه عصره و مجتمعه. خاصه و ان صفوان هذا قد حفظ لنا فى مؤلفه زاد المسافر ترجمه (٦٣) شاعرا و أدبيا من شعراء و أدباء القرن السادس الهجرى، و هو عمل كبير، إذ حفظ لنا جملة اسمائهم و نتاجاتهم، و قد اعتمد عليه جميع الكتاب الذين جاءوا بعده.

و من بين أصدقائه المشهورين:

١ - مرج الكحل: أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت ٦٣٤ هـ) من أهل جزيره شقر، الشاعر المعروف الذى كان يكتب لصفوان بن إدريس قصائد ينتظر الاجابه عليها و هو ما كان صفوان بن إدريس يعملها دائما مع أصدقائه.

٢ - أبو بكر البلنسى: كتب له يستجيزه فى أبيات فأجابته إلى ذلك و قد وردت هذه الأبيات عند ابن ظافر الأزدي.

٣ - أبو محمد عبد الله بن حامد الوزير: كانت بينه و بين صفوان بن إدريس صداقه و اخوه وصفه أبو بحر فى (زاد المسافر) بقوله:

" ما عسى أن أقول فيه، و اسمه يحسبه و يكفيه، انفراد بالسؤدد، فأمن من الاشتراك " و كان بينهما إخلاص و موده و مراسله و ثناء فمدحه بأبيات أثبتتها في مصنفه.

كان صفوان شاعرا يتمتع باحساس رقيق و عاطفه و قاده، و خيال خصب و أن شعره لا يعدو الوصف و الغزل و المدح و الرثاء، و ان غزله عفيف ثم إنه مدح رسول الله ص بقصائد جميله، و ابن الأبار عقد مقارنه بينه و بين ابن بقی (ت ٥٤٠هـ). و فوق هذا فقد حظى صفوان بشهره واسعاه خاصه بالمغرب و الأندلس، إذ كان يقوم بتهيئه العزاء الحسينى فى عاشوراء، و يسير أمام الموكب لينشد الناس المشاركين فى المسيره المهيبه قصائد تمثل صورا للماساه التى حلت بالحسين ع، و مصرع أهله و أصحابه فى واقعه كربلاء سنه ٦١هـ و سبى نساءه و أهله و أطفاله، و قد وصف ابن الخطيب صوره العزاء الذى كان يعرف بالأندلس بالحسينيه و هى عاده قديمه لا يعرف تاريخها على وجه التحديد، لكنها كانت تقام فى مرسية و بنسبه إذ انتشر الولاء و الحب لأهل البيت ع فى هذه المدن. كما كان الناس يسرون فى مواكب مهيبه توقد فيها الشموع، و تنشد قصائده فى جو من الخشوع يصور فيها المأساه ضمن مراسم يقام فيها مشهد جنازى ترتفع فيها أصوات المنشدين الجماعيه بالبكاء على الحسين ع، (٢) و مهما قيل فى الحسينيه فلم تعرف اليوم أصولها. و رثاء صفوان و بكاؤه على الحسين ع يتسم بعمق الاحساس، و لوعه الأسى، و توهج العاطفه فهو يصور لنا مشاهد تنبض بالانفعال و الحياه فى جو موسيقى حزين و نبرات متوجعه، و أنات محترقه يستحضر من مشاهدته شخوصا لتثير المشاهد فيتأثر بعمق المأساه فيصور لنا فاطمه ع باكيه شاكيه إلى أبيها مصرع ولدها الحسين ع و هى تذرف الدموع الغزار. (٣)

توفى صفوان و سنه سبع و ثلاثون سنه و قد تولى أبوه الصلاه عليه و ترك مؤلفات عديده أشهرها:

١ - زاد المسافر و غره محيا الأدب السافر: و هذا الكتاب كما ذكرنا عبارته عن تراجم لأدباء و شعراء من القرن السادس الهجرى، و أورد فيه أشعارا كتبت خصيصا له لشعراء كانوا أساتذته أو أصدقاء له و تبدو فيها أهميه صفوان الأدبيه و منزلته العلميه و الاجتماعيه فى ذلك العصر كما أورد فى هذا الكتاب ترجمه لعائلته و خص والده و خاله بالذكر و قد اعتذر المؤلف فى نهايه الكتاب و ذكر أنه لم يرد الفخر بذلك، و لهذا أرجاهم إلى آخر الكتاب، (٤) و كل من جاء بعد صفوان قد استفاد من هذا الكتاب و نقل عنه. (٥)

٢ - عجاله المستوفز و بداهه المتحفز، سماها ابن الأبار "عجاله المتحفز

ص: ٢٤١

١- الشيخ على أكبر مهدى پور.

٢- ابن الخطيب: اعمال الإسلام مخطوطه الخزانة الملكيه رقم ٨٠٧، ٦٩٧. روايه الهراس ص. ك.

٣- الهراس: عبد السلام ص/ل.

٤- زاد المسافر ١٥٧.

٥- ابن الأبار: الحله السيرا ٢/٢٣٧. ابن سعيد: المغرب ١/٧٧، ١٣٧/٢ / ٣٧٣-٣٨٥، ٣٩٠ إلخ.

و بداهه المستوفز" (١). و هو مجموع ما ترك ابن إدريس من شعر و نثر غير زاد المسافر. ضم رسائله الثريه و قصائده التي قيلت في مناسبات مختلفه و أغراض متنوعه كذلك ضم هذا الكتاب مجموعه الرسائل التي خوطب فيها و الأشعار التي أرسلت إليه، (٢) و يذكر ابن الخطيب أنه في مجلدين، (٣) يضم الأول ديوان شعره، و يضم الثاني رسائله الثريه و قد أورد ابن الخطيب بعض شعره و نشره نقلا عن العجاله. و يبدو أن هذا المجموع اشتمل على آثار صفوان بن إدريس جميعها حتى تلك الرساله التي فاضل فيها بين مدن الأندلس، و أوردتها المقرئ في نفع الطيب. (٤) لكن يهمننا في هذا المقام الخمسه التي تحتفظ بها مكتبه الاسكوريال و هي مبنيه على حروف المعجم خمس بها قصيده إمري القيس:

(إلا أنعم صباحا أيها الطلل البالى)

و عددها ثمانى و عشرون خماسيه فى رثاء الحسين ع (٥) و النسخه كثيره الأخطاء و لم نهتد إلى تصحيح بعضها.

- ١ -

سلامى و إمامى و صوب بكائعلى معهد للساده النجباء

ثوى أهله من بعد طول ثواء أناديه لو أصغى لطول نداء

ألا عم صباحا أيها الطلل البالى

- ٢ -

أحييه و الدمع المصون المحجباكمل أهليه يصوب و يسكب

يفضض طورا و جنتى و يذهابأقول له و هو أجرد سبب

و هل ينعمن من كان فى العصر الخال

- ٣ -

رضيت لهذا القلب باللوعه التيقوم بها سوق اللآلى بمقلتى

و عهدى به و الدهر جد مقيتيصبور على الأرزاء جم التثبت

قليل الهموم ما يبيت باوجال

- ٤ -

ألا هل تناجى دارهم و تحدثفانفث و المصدور مثلى ينفث

و هل يسمعن قولى تراث و ككثنو لو اننى أبقى عليه و أمكث

ثلاثين شهرا فى ثلاثه أحوال

- ٥ -

لرزه رسول الله بالطف أنشجو دمعى فى مرضاته يتدحرج

كان الأسى در الدموع يبهرجو غيرى من يفنى كما هام حندج

بوادى الخزامى أو على رس أو عال

- ٦ -

مصابى بال المصطفى ليس بيرحفا لك نجزا فى مآلى و ترفح

سوى مدمعى طوع الصبا به ينفحاً لم تر أنى والد جنه يصبح

كبرت و ان لا يحسن اللهو أمثالى

- ٧ -

ألا هل أتى المختار و الحق أشمخمقام حسين و هو بالدم يلطخ

ينادى بأهل روعهم ليس يفرخو أشقى بنى حرب ينادى و يصرخ

- ٨ -

على حين نجل المصطفى يتبردو أيدى بنيه بالجوامع تعقد

و أبشارهم بالمرهفات تخردو فى كل صدر لوعه تتوقد

كمصباح زيت فى قناديل ذبال

- ٩ -

هم نبذوا الأوثان و الغى ينبذو قاموا بنصر الحق لوجد منقذ

و شبت لهم نار الوغى فتلذذوا بمارج نار جمره يتاخذ

أصاب غضا جزلا و كف باجدال

- ١٠ -

خلا ربهم منهم فما فيه مخبرسوى أثر للهدى يخفى و يظهر

تدل عليه زفره تتسعر تنافح مسراها رخاء و سرسر

صبا و شمال من منازل قفال

- ١١ -

إلى فئه الحق المبين تحيزيو بالحب فى آل الرسول تميزى

أدلت لهم صبرى بعيد تعززيو أعطيت دمعى و الأسى وعد منجزى

بما احتسبا من غير مين و تسأل

- ١٢ -

رضيت عدو الله و الله ساخطبما فعلت فى كربلاء المناقط

ألا بأبى تلكك الدماء الغوابطو أبصارها الأعلون عنها شواخط

بيثرب أدنى دارها نظر عال

- ١٣ -

أبا خالد و القدح فى الدين غائظأبى الحق أن تحنو عليه الحوافظ

و أنعى لآل الله حلیم قوائظسمت نحوها أحقادهم و الحفایظ

سمو حباب الماء حالا على حال

- ١٤ -

أما كان فيكم منكر يوم ذلكايقول و قد خاض السيوف الفواتكا

و باشر فى نصر الحسين المهالكالعمرى لا ألقى لك اليوم تاركا

و عاذله هبت على الحزن تعولتقول من السلوان ما لست أفعل
بذلت لها نصحى و ذو الرشد يبذلو إنباتها أنى على السبط أعوله.

ص: ٢٤٢

١- التكملة رقم ١٨٩٥

٢- تحفه القادم ٨٢.

٣- الاحاطه ٣/٣٥٠.

٤- الاحاطه ٣/٣٥٠-٣٥٩.

٥- الدكتور عدنان محمد آل طعمه.

- ١٦ -

كانى بمن عادى الرسول تجر ماو نادى بنصر الأذعياء و هيمما
وجد إلى حرب الحسين و صمما يقاد إلى نار الوقود مذمما
عليه القتام سبي الظن و البال

- ١٧ -

ألا أن سر البغى بالطف أعلننا غداه جنى حلو الشهاده من جنى
و أزمع لا يلوى عنانا على الدنيا تيححت لها بيض مموهه السننا
و مسنونه زرق كأنياب أغوال

- ١٨ -

فقل لابن سعد و العصا عبد من عصا حلفت إليه ويك اشام أبرصا
و لو أنه شاء الخلاص تخلصا وجد لكم فوق الحصا عدد الحصا
و ليس بذى سيف و ليس بنبال

- ١٩ -

و لكنه ما شام سيفا و لا انتضيو عن برم الدنيا الدينه أعرضا
و فى أن يلاقى جده البر أغمضا و قد شغفته لوعه سخطها رضا
كما شغف المهنوءه الرجل الضال

- ٢٠ -

هم خدعوه و الكريم مخدع بمختلف ما فيه للصدق مطمع
و قال لهم ذو إفكهم و هو يسمعا لم يآته و الرشد بالغى يدفع
فان الفتى يهذى و ليس بفعال

- ٢١ -

فلما استطارت بينهم شعل الوغيرغا فوقهم سقف السماء بما رغا

و أصبح ثرثار الهدايه اكتغاو السنه الباغين يا ويل من بغا

فقلن لأهل الحلم ضلا بتضلال

- ٢٢ -

على تلك من حال دموعى تذرففانى حنيات الشئون و انزف

و ينكر منى الصبر ما كان يعرفو أعرض عنه قاليا من يصنف

و لست بمقلى الخلال و لا قال

- ٢٣ -

و لو أن عمرى فى ذرى الزمن ارتقيغده تراءى الجمع بالجمع و التقى

و أجفل خوف الموت من كان حققالقلت و قد جد اليقين و صدقا

لخيلى كرى كره بعد إجفال

- ٢٤ -

و ضاحكت شوقا و الضراغم تعبسو سمر القنا بين الترائب كنس

حمامى و بعض الموت روح منفسو لم انقلب أحمى حياتى و أحرس

على هيكل زهد اجاره جدال

- ٢٥ -

لقد صك وجه البدر شجوا و خمشاو أذرف دمع الجو حزنا فاجهشا

نهار على النهرين جاش و جيشاو أظما أصحاب الكساء و عطشا

لغيث من الوسمى رائده خال

قدس الله ذاك الروح ما شاء و اشتهيو فرسه في الصالحين و نرها

و صابت على شلو إلى تربه انتهيما مع... تحفه النهى

و جاء عليها كل اسحم هطال

و لو لا قضاء أنجز الوعد فافتضوا و سامهم أن يجرعوا السم فارتضوا

علوا مثل ما كانوا بأولهم علوا و عانيت آساد الكفاح إذا سطوا

و قد يدرك المجد المؤثل أمثالي

ساقضى عليه لوعه و مراتيا فاني حياتي و البكاء و القوافيا

و لست أوري كنه ما في اعتقادي او ما المرء في الدنيا و لو دام باقيا

بمدرك أطراف الخطوب و لا آل

و قد قال عنه لسان الدين بن الخطيب أنه انفرد برثاء الحسين. و قال ابن الأبار: له قصائد جليبه خصوصا في الحسين. رحل إلى
مراكش فقصد دار الخلافة مادحا فما تيسر له شيء، فقال لو مدحت آل البيت ع لبلغت أملئ، فمدح، و بينما هو عازم على
الرجوع طلبه الخليفة فقضى ماربه فعكف على مدح آل البيت ع و رثائهم. اه.

و إذا كان ابن الأبار لم يذكر اسم الخليفة المقصود فاننا من معرفتنا بتاريخ وفاه الشاعر سنة ٥٩٨ و تاريخ وفاه الخليفة أبي يوسف
يعقوب المنصور سنة ٥٩٥ ندرک أن الخليفة الذي جرى له مع الشاعر ما جرى هو أبو يوسف يعقوب المنصور.

و من رثاء صفوان للحسين ع قوله من قصيده:

أبكى قتيل الطعن فرع نبينا أكرم بفرع للنبوه زاكى

ويل لقوم غادروه مضرجا بدمائه نضوا صريع شكاك

متعفرا قد مزقت أشلاؤه فريا بكل مهند فتاك

أزيد لو راعيت حرمه جده لم تقتنص ليث العرين الشاكي
أو كنت تصغى إذ نقرت بثغره قرعت صماخك أنه المسواك
و قوله أيضا:

أومض ببرق الأضلع و اسكب غمام الأدمع

و أحزن طويلا و أجزع فهو مكان الجزع

و انثر دماء المقلتين تالما على الحسين

و ابك بدمع دون عين أن قل فيض الأدمع

قضى لهيفا فقضى من بعده فصل القضا

ريحانه الهادي الرضا و ابن الوصي الأنزع

و له هذه القصيدة التي كانت مشهوره ينشدها المسمعون:

سلام كازهار الربى يتنسم على منزل منه الهدى يتعلم

على مصرع للفاطميين غيب لأوجههم فيه بدور و أنجم

ص: ٢٤٣

على مشهد لو كنت حاضر أهله لعانت أعضاء النبي تقسم
على كربلاء لا أخلف الغيث كربلاء و الا فان الدمع أندى و أكرم
مصارع ضجت يثرب لمصابها و ناح عليهن الحطيم و زمزم
و مكه و الأستار و الركن و الصفا و موقف جمع و المقام المعظم
و بالحجر الملتوم عنوان حره أ لست تراه و هو أسود أسحم
و روضه مولانا النبي محمد تبدى عليه الثكل يوم تخرم
و منبره العلوى للجدع معول عليهم عويلا بالضمائر يفهم
و لو قدرت تلكك الجمادات قدرهم لدك حراء و استطير يللمم
و ما قدر ما تبكى البلاد و أهلها لآل رسول الله و الرزء أعظم
لو أن رسول الله يحيى بعيدهم رأى ابن زياد أمه كيف تعقم
و أقبلت الزهراء قدس تربها تنادى أباهما و المدامع تسجم
سقوا حسنا للسم كأسا رويه و لم يقرعوا سنا و لم يتندموا
و هم قطعوا رأس الحسين بكربلا كأنهم قد أحسنوا حين أجرموا
فخذ منهم ثارى و سكن جوانحا و أجفان عين تستطير و تسجم
أبى، و انتصر للسبط و اذكر مصابه و غلته و النهر ريان مفعم
و أسر بنيه بعده و احتمالهم كأنهم من نسل كسرى تغنموا
و نفر يزيد فى الثنايا التى اغتدت ثناياك فيها أيها النور تلم
فما صدق الصديق حملة مقدم و ما فرق الفاروق ماض و لهزم
و عاث بهم عثمان عيث ابن مره و أعلى على كعب من كان يهضم
و لكنها أقدار رب بها قضى فلا يتخطى النقض من كان يبرم

قضى الله أن يقضى عليهم عبيدهم لتشقى بهم تلك العبيد و تنقم

هم القوم أما سعيهم فمخيب مضاع و أما دارهم فجهنم

فيا أيها المغرور و الله غاضب لبنت رسول الله اين تيمم

ألا طرب يقلى ألا حزن يصطفى ألا أدمع تجرى ألا قلب يضم

قفوا ساعدونا بالدموع فإنها لتصغر فى حق الحسين و يعظم

و مهما سمعتم فى الحسين مراثيا تعبر عن محض الأسى و تترجم

فمدوا أكفا مسعدين بدعوه و صلوا على جسم الحسين و سلموا

و قال عنه أبو البقاء الرندى فى كتابه " روضه الأنس و نزهه النفس":

و حسينيّاته رضى الله عنه كثيره مشهوره نذكر منها ما يليق بهذا الكتاب بحول الله عز و جل، فمن ذلك قوله:

أندب الطف و سبط المصطفى بمرث هي أسرى: من قفا

لا ترم ضوء هدى من بعده فسراج الهدى بالطف انطفأ

و مما أحسن به الإنشاد و أجاد ما شاء: المخمسه التى نظم أقسامها على حروف المعجم، و ذيل مراكزها بأعجاز من قصيده امرئ

القيس التى أولها:

(قفا نبك من ذكرى حبيب و منزل)

منها:

ديار الهدى بالخيف و الجمرات إلى ملتقى جمع إلى عرفات

مجارى سيول الغيم و العبرات معارف هدى أصبحت فكرات

لما نسجتها من جنوب و شمال

السيد ضياء الحسن الموسوى بن نجم الحسن

ولد سنه ١٣٣٨ فى الهند و توفى سنه ١٣٩٨ فى كراتشى هو من أحفاد السيد غلام حسنين كنتورى و سبط السيد ناصر حسين.

درس فى لكهنؤ على علمائها من أمثال: مولانا سعاده حسين و مولانا غلام عباس زيد بورى و الحكيم ساجد حسين و مولانا

محمد نصير، ثم انتقل إلى حيدرآباد حيث كان يقيم والده.

و بعد تقسيم الهند و قيام الباكستان آثر النزوح إلى الباكستان فأقام في كراتشي و تولى عملا في وزاره الأعلام.

كان يجيد اللغه العربيه و يكتب بها و كذلك الفارسيه و من مؤلفاته حياه الامام زين العابدين (ع)، منظر كربلاء، رساله في الفقه الجعفري مجموعته قصائد حسنيه.

و كتب كثيرا من البحوث في المجالات و الجرائد الباكستانيه.

طاهر شاه الدكني

ولد سنه ٨٨٠ و توفي سنه ٩٥٢ ذكر نسبه في كتاب (مطلع أنوار) هكذا: طاهر بن رضى الدين الهمداني بن مؤمن شاه بن زردخان بن شاه خور بن عالم بن محمد بن جلال الدين حسين بن كبار محمد بن حسن بن علي بن أحمد بن نزار بن الخليفه الفاطمي المستنصر.

و يقول عنه أنه كان في مدينه همذان من دعاه الإسماعيليه على الأغلب و أنه انتقل إلى المذهب الجعفري سنه ٩٢٦، ثم ينقل عن المولوى محمد حسين في كتابه (تذكره بى بها) ناقلا- عن كتاب (نجوم السماء) و كتاب (مرغوب دل) و كتاب (مفتاح التواريخ) إنه كان عالما فصيحا بليغا حسن السيره و الصوره، مشهورا حتى في البلدان النائيه، و إنه عند ما تاذى من الشاه إسماعيل الصفوى و اختلفت وجهات نظرهما ترك همذان و جاء إلى الهند و وصل إلى بيجابور، و كان الأمر هناك إلى إسماعيل عادل شاه، و لم يكن في هذا ميل إلى أهل العلم بل كان ميالا إلى العسكريين، لذلك سافر المترجم إلى الحجاز بقصد الحج ثم عاد إلى الدكن في الهند و سكن في بلده (قلعه برنده)، و كانت هذه البلده تحت نظاره مخدوم خواجه جهان)، و قد رحب هذا بطاهر شاه و قربه إليه و عهد إليه بتربيه أولاده و تعليمهم. و صدف أن بعث (برهان نظام شاه)، أستاذه الملا محمد الشيروانى إلى خواجه جهان في (قلعه برنده) فالتقى هناك بطاهر شاه فتأثر بعلمه، فكان أن طلب إليه أن يتلقى عليه بعض الدروس.

و لما بلغ الناس خبر تلمذ الملا محمد الشيروانى على طاهر شاه و سمع به برهان نظام شاه اشتهر اسم طاهر شاه فكتب برهان نظام شاه إلى الخواجه جهان مبديا رغبته بمجىء طاهر شاه إلى (أحمدنجر) حيث كان يقيم برهان نظام شاه، و فى سنه ٩٢٨ وصل طاهر شاه إلى (أحمدنجر) و كان فى استقباله خارجها أركان الدوله، فجعل له برهان نظام شاه مكانا مميزا فى مجلسه و طلب إليه أن يلقي درسا فى المسجد مرتين فى الأسبوع، و فى الدرر الأول حضر الدرر برهان نظام شاه بنفسه مصحوبا بالأمرء و أركان الدوله.

و يقول إن (أحمدنكر) صارت مركزا من مراكز الشيعة و علمائها بعد أن كانت خطرا عليهم، و يذكر بين من عملوا على ذلك كلا- من شاه جعفر أخى طاهر شاه و ملا- شاه محمد نيت بورى و ملا- على گل أسترآبادى و ملا رستم جرجانى و ملا على مازندرانى و ملا- أيوب أبو البركه و ملا عزيز الله گيلانى و ملا محمد إمامى الأسترآبادى و غيرهم من علماء العرب و العجم و طلاب الشيعة و بعض الرجال الحكوميين و السياسيين. و أن شاه إيران آنذاك (سنه ٩٥٠) أرسل الهدايا و التحف إلى برهان نظام مع سفيره الخاص فى الهند، و بأدله برهان نظام شاه الهدايا و التحف.

و توفى طاهر شاه فى (أحمدنكر) فدفن فيها مؤقتا ثم نقل جثمانه إلى كربلاء حيث دفن على بعد متر و نصف المتر من قبر سيد الشهداء تحت القبه.

و قد تخلف باربعه أولادهم: ملا شاه حيدر الذى خلف أباه، و رفيع الدين حسين شاه، و أبو الحسن شاه، و أبو طالب. و أربع بنات.

ترك من المؤلفات: شرح الباب الحادى عشر (فى العقائد و الكلام)، و شرح الجعفرىه (فى الفقه)، و هو باللغه العربيه، و حاشيه على تفسير البيضاوى باللغه العربيه، و حواشى على شرح الإشارات باللغه العربيه، و حاشيه على محاكمات الشفاء باللغه العربيه، و حاشيه على المجسطى باللغه العربيه، و حاشيه على المطول باللغه العربيه، و حواشى على گلشن راز باللغه الفارسيه، و شرح تحفه الشافعى.

طهماسب قلى جلاير

"طهماسب قلى خان جلاير" أحد كبار قواد نادر شاه العسكريين.

عينه "طهماسب قلى خان أفشار" (نادر شاه) سنه ١١٤٥ هـ حاكما على أصفهان بعد أن عزل الشاه "طهماسب" الثانى الصفوى عن العرش، و سار إلى "كرمانشاهان" لإخراج العثمانيين من أرض إيران و استعادته ما فقده الشاه "طهماسب" من البلاد الإيرانيه بعد أن هزمه العثمانيون فى آذربيجان.

و فى سنه ١١٤٦ هـ خرج "محمد خان بلوش" والى خوزستان على "طهماسب قلى خان أفشار"، و كان هذا قد أصبح "نائب الشاه". و نشبت فتنه عظيمه فى جميع النواحي من جنوب إيران. فأرسل "طهماسب قلى خان" قائده هذا "طهماسب قلى خان جلاير" من أصفهان و معه اثنا عشر ألف جندى إلى إقليم فارس، و أمر بان ينضم إليه أيضا سائر حكام ولايات فارس بجيوشهم للقضاء على "محمد خان بلوش" و فتنته. و بعد مده قليله لحق بهم هو نفسه.

و كانت خطه "محمد خان بلوش" أن يلاقيهم خارج مدينه شيراز، فخرج منها بخمسه عشر ألف جندى و نزل فى مكان قريب يسمى "دربند" واقع بين جبلين، محصن باستحكامات طبيعيه يتعذر احتلاله. و لكنه لم يستطع الثبات فانهمز فى أول هجوم قام به جند (نادر) و فر إلى "لورستان".

و دخل "طهماسب قلى خان جلاير" إلى شيراز، و تبعه نائب الملك (نادر شاه). و أمره هذا بالمبادره إلى تعقب "محمد خان

بلوش" و القبض عليه. و لما وصل هذا إلى حدود "لورستان" لم يسمح له الأهالي بدخولها و اعتقلوا رسله إليهم و بعثوا بهم إلى "طهماسب قلى خان جلاير".

و قضى "طهماسب قلى خان جلاير" فى أثناء قيامه بمهمته هذه على جميع المتمردين فى نواحى فارس، و أدب الذين كانوا قد سايروا "محمد خان بلوش" تأديبا قاسيا.

و كان "محمد خان بلوش" كبير الأمل باللوريين. فلما خاب أمله بهم هام على وجهه، و "طهماسب قلى خان جلاير" لا ينفك يتعقبه بلا هواده، إلى أن لجأ إلى جزيره "كيش" و استجار برئيس قبيله "هوله" الشيخ علاق.

و لكن هذا اعتقله و اعتقل مرافقيه و سلمهم إلى القائد "طهماسب قلى خان جلاير".

و بعد أن أقر القائد "جلاير" الأمور فى نواحى فارس و نظمها استدعاه "طهماسب قلى خان" نائب الملك سنة ١١٤٧ هـ من فارس إلى آذربيجان و ألحقه بمعسكره. و فى أوائل سنة ١١٥١ هـ عينه نادر شاه آمرا على نواحى إيران الشرقيه فى منصب "حاكم كابل العسكرى". و ظل فى هذا المنصب إلى أوائل سنة ١١٦٠ هـ.

فى أوائل تلك السنه تمرد أهالى "سيستان" بسبب ما كانوا يلقون من مامورى الدوله من تعدد كثير و تكاليف ثقيله. فأرسل نادر شاه "على قلى خان" ابن أخيه بجيش إليهم لتأديبهم و إخمداد ثورتهم. و أرسل معه "طهماسب قلى خان" مساعدا و مراقبا، إذ كان غير مطمئن إلى ابن أخيه و رجاله، و يخشى أن ينضموا إلى المتمردين.

و مع أن قائد نادر شاه "طهماسب قلى خان" نفسه لم يسلم من تعدى جباه نادر، إذ كان هذا قد طالبه بمبلغ خمسين ألفا و مائتى ألف تومان، و بعث إليه بجباته فأخذوا منه هذا المبلغ، فقد ظل على وفائه لنادر شاه. و من مظاهر هذا الوفاء أنه بذل جهدا كبيرا ليثنى "على قلى خان" عن عزمه على التمرد على عمه و بالغ فى نصيحته فلم يصغ إليه. و خشى "على قلى خان" أن يحول "طهماسب قلى خان" بينه و بين ما عزم عليه من أعمال التمرد فدس له السم فى طعامه فمات. و بذلك خلا الجول "على قلى خان"، فغادر "سيستان" إلى "هرات"، و هناك أعلن عصيانه و أخذ بنشر دعوته.

ظفر مهدي جرولى

ولد سنة ١٢٣٩ فى الهند و توفى سنة ١٣٢٠.

درس فى لكهنو بالمدرسه السلطانيه و كان من أساتذته المفتى محمد على و مولانا محمد حسين جاسسى، و درس اللغه السنسكريتيه على بعض علماء الهندوس.

كان فاضلا عاملا، طيبا حاذقا، شاعرا ينظم المراثى فى أهل البيت (ع)، و كتب عدده كتب فى السيره و الأخلاق و التاريخ.

ساهم فى الثوره الإسلاميه الوطنيه على الإنكليز سنة ١٨٥٧ مساهمه فعاله.

من مؤلفاته: نخبه الأخبار، روض الصادقين، تهذيب الفضائل (ترجم إلى اللغه الإنكليزيه)، معيار المحبه، عقائد حيدريره، هدايه

الإنشاء، مجموعات شعرية متفرقة و فيها المراثى الحسينيه.

ظفر مهدي گهر جائسى

ولد فى قضاء (رائى برىلى) بالهند و توفى سنه ١٣٦٠.

كان شاعرا باللغات الأردويه و العربيه و الفارسيه، و نشر بحوثا كثيره فى

ص: ٢٤٥

المجلات و الجرائد الهنديه لم تجمع فى كتاب، و أصدر مجله (سهيل يمن) شهره علميه أدبيه.

بدأ بشرح نهج البلاغه بالأردويه باسم (سلسيل الفصاحه) و توفى قبل أن يكمله، و قد طبع منه الجزء الأول.

السيد ظهور حسين

ولد سنه ١٢٨٢ فى الهند و توفى سنه ١٣٥٧ فى مدينه لكهنو (الهند) و دفن فى كربلاء.

يقول السيد مرتضى حسين فى كتابه (مطلع أنوار): كان فى عصرنا فى لكهنو أربعة من كبار العلماء و مجتهديهم و هم: السيد باقر و السيد ناصر حسين، و السيد نجم الحسن و السيد ظهور حسين. و هم كانوا أقطاب الهند فى العلم، و ظهور حسين كان يعتبر أستاذ الكل فى المنطق و الفلسفه. و كان عالما جليلا فى الحديث و الأصول و الفقه و الكلام، و كان وحيدا فى الأدب العربى ناثرا شاعرا باللغه العربيه.

كان والده السيد زنده على عالما أدبيا باللغه الفارسيه فتربى برعايه والده، و تعلم القرآن و العلوم الأوليه فى بيت أهله. و فى سنه ١٨٧٨ م أسس الشيخ جعفر مدرسه فى (ميران پور) فادخله والده فى هذه المدرسه فدرس فيها المنطق و الفلسفه و الصرف و النحو و الأدب و الفقه، و كان من أساتذته:

الشيخ سجاد حسين مؤلف كتاب (رمح مصقول) و السيد على نقى شاه من (سلطان پور) و الخواجه غلام حسين سهارن بورى. ثم سافر إلى لكهنو التى كانت مركز العلم فدرس هناك على كبار الفضلاء و المدرسين أمثال مولانا على نقى و السيد على محدث و السيد محمد تقى حتى بلغ درجه الاجتهاد.

و كان أبرز مدرسى الفقه و الأصول فى لكهنو السيد أبو الحسن فجعل المترجم خلفا له.

و قد استقر فى لكهنو مدرسا للطلاب فى بيته، على أن إداره (التأليف و التصنيف) فى حيدرآباد أصرت على مجيئه إليها فاستجاب لطلبها و سافر إلى حيدرآباد، و لكن (راجا محمودآباد) فى لكهنو انزعج من تركه للكهنو و رأى بقاءه فيها أكثر فائده فأصر عليه بالعوده فنزل عند طلبه و عاد إلى لكهنو و شرع فى التدريس فيها. و فى سنه ١٣٢٩ سافر السيد نجم الحسن إلى العراق لزياره العتبات المقدسه فسلم إلى السيد ظهور حسين إداره المدرسه الناظميه.

و فى سنه ١٣٣٢ طلبه حامد على بيك رئيس (رام پور) و سلمه إداره التأليف و التصنيف، و فى تلك الأيام كان السيد نجم الحسن مشرفا على شعبه التعليم فى رام پور، و عند ما عزم على ترك الاشراف عليها تسلم ذلك السيد ظهور حسين. و من أعماله تأسيس شعبه العقائد و الكلام فى (شيعه كالج) فى لكهنو التى تم أمرها بسعيه، كما أنه تسلم مسئوليه (الكالج) مده طويله، و كان عضوا فى شعبه التصنيف و التأليف التى أقامها هناك (المجلس الشيعى).

من مؤلفاته: تقرير حاسم فى نفى عرس قاسم، رساله مختصره فى التوحيد، و مثلها فى العدل، و مثلها فى النبوه، الشافى (شرح كتاب الايمان و الكفر من أصول الكافى)، كتاب كبير فى التوحيد، كتاب كبير فى النبوه، حاشيه على نهج البلاغه، المسائل الجعفرية.

و قد تخرج عليه تلاميذ كثيرون، منهم الدكتور جعفر حسين، و السيد محمد حسين أحد أساتذته جامعته لكهنو، و السيد ذو الفقار حسين، و يوسف حسين، و حافظ كفايه حسين، و السيد عراف حسين.

و يقول السيد مرتضى حسين صاحب كتاب (مطلع أنوار) الذى هو مصدرنا الأول فى هذه الترجمة و فى غيرها من تراجم علماء الهند: أنه استفاد كثيرا من السيد ظهور حسين خلال مخالطته له. (1)

ظهور الله بن دليل الله الصديقى البدايوني

ولد سنة ١١٤٧ فى بدايون (الهند) و توفى فيها سنة ١٢٤٠.

درس دراسته الأولى فى بدايون ثم سافر إلى لكهنو و تابع فيها الدراسه، و كان مولعا بالشعر و الأدب، و كان يستهدى فى الشعر الحكيم بقاء الله خان أكبر آبادى، و كان على علاقه وثيقه بمجلس الميرزا جوان بخث بن شاه عالم فلقبه (خوش فكر خان).

عاش فى لكهنو مده طويله ثم سافر إلى الحج و الزياره، و اتصل بملك إيران فتح على شاه القاجارى، و لقب هناك ب (سعدى الهندى) إشاره إلى الشاعر الفارسى الكبير (سعدى). ثم عاد إلى حيدرآباد.

ترك ديوانا بالشعر الأردوى و ديوانا بالشعر الفارسى، و مثنوى دامق و عذرا بالأردويه.

عابد حسين خواجه بن بخش حسين الأنصارى:

ولد سنة ١٢٦٢ فى (سهارن بور) بالهند و توفى سنة ١٣٣٠ فيمرادآباد.

كان أبوه إقطاعيا ثريا فى سهارن بور و لكنه وجه ابنه إلى دراسه العلوم الإسلاميه، فدرس على القاضى غلام عباس، ثم ذهب إلى لكهنو فدرس على كبار العلماء و عاد إلى بلده، و تولى التدريس فى عدده مدارس مثل مدرسه كورت جولى و المدرسه الجعفرية فى ميران پور و غيرهما، و كان مرجعا لأقضية سهارن پور و دهلى و محافظه البنجاب و ميرته.

و فى سنة ١٣٢٥ ذهب إلى العراق و التقى مشاهير العلماء فاستفاد منهم.

كان يجيد الكتابه باللغتين العربيه و الفارسيه و قد كتب بعض كتبه بهما.

و من مؤلفاته: مفتاح اللسان فى مجلدين فى الأدب العربى، أعجاز وصى (شعر) درد جميل (الألم الجميل)، المطالب الشافيه فى شرح الشافيه (باللغه العربيه)، ترجمه سفينه النجاه إلى اللغه الأردويه، ترجمه شرائع الإسلام، مناجاه (شعر باللغه الأردويه)، ترجمه الجامع العباسى، ذخيره المعاجز (شعر باللغه الأردويه) و غير ذلك.

عاشق حسين

ولد سنة ١٢٦٩ فى الهند و توفى سنة ١٣٣٨.

كان عالما فاضلا، طبيبا، شاعرا. يوجد من آثاره الشعريه: ضربه

ص: ٢٤٦

١- السيد مرتضى حسين صاحب كتاب (مطلع أنوار) هو من أفاضل علماء الهند، و لما جرى تقسيم الهند انتقل إلى الباكستان فأقام في (لاهور) فكان من أعلامها علما و أدبا و تأليفا و أخلاقا كريمه، و كان يجيد اللغه العربيه و ينظم فيها الشعر. و قد توفي من قريب، و لم تتصل بنا تفاصيل حياته لننشر له ترجمه مفصله.

حيدريه، مسكه حيدريه.

عالم حسين

ولد سنه ١٢٨٥ فى قضاء فيض آباد (الهند) و توفى فيها سنه ١٣٥٣.

درس دراسته الأولى فى بلده ثم ذهب إلى مدرسه (سلطان المدارس) و بعد إنهاء دراسته فيها صار مدرسا فيها للأدب العربى، و كان كثير الحفظ لاشعار العرب فى الجاهليه و الإسلام، و كان يدرس طلابه شعر ديوان الحماسه، و ديوان المتنبى و المعلقات السبع و نهج البلاغه، و قد نشر اللغه العرييه فى معاهد لكهنو حتى صار بعض تلاميذه ينظم الشعر باللغه العرييه.

و قد تخرج به كثير من الفقهاء و المجتهدين و الفضلاء و منهم السيد مرتضى حسين صاحب كتاب (مطلع أنوار).

السيد عباس الميرزا بن السيد أحمد الحسينى

ولد سنه ١٢٥٠ فى الهند و توفى سنه ١٣١٠.

كان عالما فاضلا أديبا، من أصفياء السيد حامد حسين، و كان منصرفا إلى التاريخ و إلى الأدب العربى و من مؤلفاته: الحصن المتين فى أحوال الوزراء و السلاطين.

الحاج عباس الأفعالى الشبستري

الأديب البارع، الكاتب الفذ، الناقد البصير، فقيه العلم و الأدب، المتولد فى شبستر (إيران) سنه ١٩١٧ م. و المتخرج على المولى ميرزا كاظم المجتهد الشبستري طاب ثراه، و المتوطن فى إستانبول منذ عنفوان شبابه، و المتفرغ للتحقيق و التنقيب منذ نعومه أظفاره، صاحب الأخلاق الجميله و الآثار الكثيره و التحقيقات الأنيقه.

كان يسكن فى جزيره "هيبه لى" من جزائر "مرمره" البحر الذى يصله بالسفور بالبحر الأسود، كما يصله الدردنيل ببحر ايجه، مسيره ساعه و نصف بالسفينه حتى إستانبول، فهو كان يقضى كل يوم ثلاثه ساعات من عمره فى السفينه ذاهبا آتيا، و كان لا يدع التحقيق و التنقيب حتى فى السفينه.

ذهب إلى الحج و زياره القبور المشرفه فى المدينه المنوره سنه ١٣٩٧ هـ و رجع إلى إستانبول. و لى دعوه الحق فى ١٧ صفر ١٣٩٨.

كان الأفعالى يحسن الفارسى و التركى و العربى و الفرنسى و الأرمنى، و كانت له مكتبه غنيه، أوقفها لمكتبه أهل البيت، الواقعه فى مسجد الايرانيين فى إستانبول.

و ترك آثارا قيمه بين مخطوط و مطبوع، منها:

١ - تاريخ اليهود درس فيه خطر الصهيونية على العالم الإسلامى دراسه عميقه الجذور، مملوءه بالمنابع الأصيله الشرقيه و الغربيه.

٢ - الماسونيه و قد درس فيه تاريخ الماسونيه منذ بدايتها حتى زماننا.

٣ - سلسله من حلقات واحده درس فيه خطر البهائيه، و أثبت صلتها بالصهيونيه. ٤ - دليل الناسك ترجمه مناسك الحج للسيد شريعتمدارى.

٥ - الصيام فى الإسلام ترجمه كتاب الصوم لراقم السطور.

كما نقل للتركيه الكراسات الكثيره التى كانت توزع من مسجد الايرانيين بقلم راقم السطور، فمنها:

٦ - المعجزه الخالده، انتشرت بمناسبة عيد المبعث.

٧ - الامامه فى الإسلام، انتشرت بمناسبة عيد الغدير.

٨ - الصديقه الطاهره، انتشرت بمناسبة الأيام الفاطميه.

٩ - ماساه عاشوراء، انتشرت فى يوم شهادة السبط الشهيد.

١٠ - المهدي المنتظر، انتشرت فى يوم الخامس عشر من شعبان.(١)

عباس الخليلى ابن الشيخ أسد الله

ولد سنه ١٣١٢ فى النجف فى أسرهِ إیرانيه خرج منها أكثر من مرجع دينى و اشتهرت بتعاطى الطبابه على الطريقه القديمه. درس على أبيه و غيره من أساتذته النجف، و انغمز فى حياه النجف العامه و طنيا مخلصا و مناضلا جريئا، و قد تجلى ذلك بمساهمته فى ثوره النجف على الإنكليز بعيد احتلالهم للعراق، و كان من بين المحكوم عليهم بالاعدام شنقا، و لكن استطاع الافلات و الهروب إلى إيران حيث استقر المقام به هناك، فبرز فى المجتمع الايرانى سياسيا و صحافيا و ديپلوماسيا، فكان لفته عضوا فى الجبهه الوطنيه التى ألفها الدكتور مصدق، كما كان قد أصدر جريده [جريده] (إقدام) اليوميه، و كان من قبل قد عين سفيرا لايران فى الحبشه.

كان كاتباً و شاعراً باللغة العربيه، و ظل و فيا لحياته النجفيه العربيه، معتبرا نفسه من أبناء تلك البيئه يحن إليها، و يتغنى بامجاد العرب الذين ولد فيهم. و نشأ بينهم و ناضل من أجل قضيتهم، فمن ذلك قصيدته الآتيه:

أما و غمام يشبه الظلم أسودا و رعد حكي قصف المدافع بالصدى

و برق يرينا برقه الحق خافقا فسرعان ما يخفى من الطرف إن بدا

و غيث همى هطلا يذكرنى الوغى بمثل رشا من شأنها نمطر الردى

و صدق على فقد السياسة صدقها حدادا بمسود من الفشل ارتدى
و عاصف ريح مر كالموعد الذى لنا ضرب السكسون ناهيك موعدا
و ليل هو الحكم الحديدى حالك قضى لى قهرا أن أبيت مسهدا
يمينا و لم يقسم فتى قبل بالذى وصفت و لكنى حلفت تعمدا
و أقسم باللباس الذى أستعبد الألى قديما أعاروا الناس مجدا و سؤددا
لقد صبغت منا الدما كل بقعه زهت فبدت غناء فى أعين العدى
أ تغسلها منا دموع جرت و ما أخال لعمرى الوبل ينصاع بالندى
ألا لا سقت أرض العراقين ديمه فيها هى رواها دم عز موردا
و لا باكر الطل الزهور بها فدى حدود الثكالى فوقها الدمع نضدا
و لاهب فى أرجائها نفس الصبا فكم من جريح فى حماها تنهدا
هنيئا لأرض طالما ظمئت و أن يكن ربيها من أهلها زادها صدى
ترى أى ذى حق له حاز حقنا بدعواه أن المستفيق تمردا
أ ليس الذى فى صفه قام شعبنا و قوم معوج الشعوب و سددا

ص: ٢٤٧

١- الشيخ على أكبر مهدي پور.

مشى و مشينا هادئين لغايه فلما استقر النصر فى جنبه عدا
و ولى ببيداء السياسه تائها و لو شام فيها بارق الحق لاهتدى
و لو عاد يرعى للرفيق ذمامه لكنا نرى فى نصره العود أحمدا
رويدا رجال الإنكليز و رآفه إن اليوم أسرفتم فان لنا غدا
و إن قصرت أقدامنا عن خطاكم مددنا إلى ما فوق هامكم يدا
تسدitem ثوب الرجا فى عروقنا و الحتموا باليأس ذالك السدى
و لما اكتسيتم ظافرين بنصرنا تجرأتموا ظلما على سلبنا الردا
على مهل ما نحن بالنعم التى ركبتهم فهل خلتهم خلقنا لكم سدى
يحييكم أهل العراق على النوى فتى فى سبيل المجد أمسى مشردا
تحية عان كلما هبت الصبا ينوح كما ناح الحمام مغردا
إن اليوم أطلقت اللسان بحبكم فبالأمس عنكم قد سللت المهندا
عواطف لا تنفك تغلى بمهجتى إلى أن أرى فوق الصعيد موسدا
و قال يتحدث كأنه عربى صميم، فالإسلام هو الذى ينطقه:
المجد يشهد يا قحطان و الكرم ان العلى إرثنا أن تجحد الأمم
فالأرض لوح به خطت ماثرنا يراعنا السيف فيها و المدام دم
تصدعت و شكت آلامها و لقد شفت أذى رأسها فى سعيها القدم
لو لا ينو يعرب مدوا ضلالهم على الأنام و لو لم يخفق العلم
لباتت الأرض كالمصدرور نفتتها على الورى شعل فى أثرها حمم
لكنما قد فصدناها و مبضعنا صمصامه فاشتفى منها بنا الألم
بنا أنوف الجبال الشم قد جدعت بكل أشوس فى عرنيه شمم

فمن سفين به انشق العباب لنا و من سبوح له ذلت بنا القمم
و الفلك فى البحر كالأطواد ماخره و الجرد فى البرد كالأمواج تلتطم
و النقع ليل كسا الزرقاء باسوده و البيض شهب جلتها فى الضحى الظلم
سقنا الجيوش كمر السحب مثقله بوابل من نجيع دونه الديم
فرعدها صوت أبطال و زمجره و البرق فيها تغور الشوس تبتسم
بها القنا مثل غاب الليث مشتبك بها الظبا مثل نار العزم تضطرم
بها الحماس كغيظ الحر مشتعل بها النفوس كهطل الوبل تنسجم
بلاد كسرى كسرنا جامها فغدا لها النجيع شرابا صبه العدم
كنا خفافا بأرواح نظير إلى جو الوغى مرحا أن تثقل الهمم
عفنا الثرى و مشينا فى مناكبها سهلا و ما غير أشلاء العدى اكم
ثرنا أسودا فألقينا الملوك بها مثل الذئاب جياعا و الورى غنم
بتنا الرعاه لها فى عفه و تقى لذاك تنفك ترعى عندنا الذمم
كنا إذا انتضينا السيف يوم وغى تهوى الأسره و التيجان تنحطم
و ان هزنا به الخطى من غضب فكل حصن عصى منه ينهدم
فلا تثيروا أهيل الغرب غضبتنا ألا احذروا بأس قوم طالما حلموا
نحن الألى قد بسطنا العدل مذ ملكت أيماننا لا كمن مذ ملكوا ظلموا
فنحن أولى بما يدعونه عبثا تمدنا و لنا قد نصه القدم
و نحن دون الورى الأعلون ليس نرى إلا العلى درجا و السالفون هم
فان غضبنا لأمر ليس يقنعنا إلا الفخار رضوا بالأمر أم نعموا
نظل نرضع ثدى العزم من كرم حتى يدر دما صرفا فننظم

الفخر و الجود فينا أو بنا و لنا و العار و البخل فيهم أو بهم لهم
ان تنكروا فاقراً تاريخ أندلس أو تجهلوا فسلوا آثار من علموا
فى كل مصر لنا بنيان مكرمه هيهات ليس يضاهى أوجه الهرم
لسنا نباهى بآباء لنا قبضوا على الأزمه فى الدنيا و إن كرموا
لا تحسبوا حسب الابنا بمن سلفوا كلا و ما فخرنا الأجداث و الرمم
هيا انظروا حاضر العرب الكرام فما إلا الفخار بنا و العزم و الكرم
فما تغير منا الحال فى غير و لا تزال على ما كانت الشيم
العز مكتسب و الحمد منتهب و الحر مقترب و العمر منهزم
و الثار مطلب و الجار منتسب و العار مجتنب و الفخر مغتنم
و الشهم مرتفع و الندب منتصب و الوغد منخفض و النذل منجزم
تلك الجزيره ما هانت و ما خضعت و أهلها الشوس ما ذلوا و ما لثموا
و لم يدسها العدى إلا و هامهم من دون أرجلهم تهوى و تصطدم
فالسيف يحصد فيها الهام ان لمست كيف العدا صدغها أو مسها اللجم
تالله ما ذل منا سيد أبدا كلا و لا ظل منافى الهوان دم
فاى عار على العرب الكرام و هل ينالنا الخسف أن أزرى بنا العجم
ما كنت أحسب أن العار يلحقنا بامه غبطت أخلاقها الأمم
إنى و إن كان عرقى الفارسى فما أحب إلا أناسا عز جارهم
و قال و هو لا يزال فى النجف قبل الثوره:

أبثك ما بى من جوى يفلق الصما بجيش إذا ما رائد الأمل احتما
و أخشى على نفسى بجنبك عسره إذا بحث أن لا تحمل البث و الهما

جوى طالما أخفيته عنك فالتوى على القلب صلا أرقما ينفث السما

رعى الله قلبا قلبته يد الهوى على الجمر إن ساد الظلام رعى النجما

تحرير بين الحب و المجد تائها فمن جاذب عفوا و من دافع رغما

فكم ليله وسدتك الزند و الضنا ينم على وجدى كريك إذ نما

ضجيعين نمسى و الهوى يستفزنا فنخمده رشفا و نوقده لثما

فيورثنا حر الضمير فتنشى عناقا فنطفى حر أنفاسنا ضما

أبيت على هم لو أن يسيره برضوى لأهوى أو يبدل لأنهما

و من كان ذا أنف أشم فقد ضوى إليه من التبريح ما أثقل الشما

أ تدرين لم لم تألف النوم مقلتي و لم لم تفارق مهجتي الهم و السقما

لعلك ترضين العلى لى أن أبح بسرى أو لا تنكرين بى الحزما

تهون على النفس عندك مثلما تهونين عندى مثلما أنصر العلما

هو العزم ما بين المنيه و المنى فسيان أودى المرء أو فقد العزما

أريد ارتياد القطب و الحتف دونه فاما العلى فوزا و أما الردى أما

فقالت أمس فيك أم أنت أبله أعيدك أم هل أعمه أنت أم أعمى

تركت يقينا فى وجود مخلد و رحى تعانى فى يد العدم الوهما

فكم رائد فى البحر صاحب حوته و كم بهمه فى البر قد آنس البهما

فما الرأى أن نفشل و ما النفع أن تفز و ما شان من يمسى الإياب له غنما

فقلت لها قد قال قولك معشر و لكن لى عن قولهم إذن صما

و ناد لنا إذ فيه أطلقت مقولى و حاولت اقناع النفوس به حتما

ألح على القوم ما بين عدل و بين جهول قام يوسعنى شتما

فمن قائل قد جن هذا و زاعم بانى هذار أصابتنى الحمى

و قالوا تطلبت المحال ضلاله و سميت ويك الجهل علما لنا ظلما

لأنك حاولت العروج إلى السما و أمسيت فى قوس البروج إذا سهما

لأسهل من أن تطوى إلى البر خابطا و أقرب من أن يعبر الرائد اليما

و قلع مسامير النجوم من الفضلا لا يسير من أن يبلغ القطب من أما

فقالا إذا هاج الفتى العزم حلقت عزائمه فى الجو بالهمه الشما

ص: ٢٤٨

يحاورنى الجهال فى كل محفل و ترمقنى الأبصار تفحص بى الوصما
و فارقت أصحابى و أهلى و جيرتى و قومى حتى الصنو و الخال و العما
فان أنس لا أنس العجوز إذا انحنت تقبلنى باللهف و الأمر قد حما
تقول ألا يا ليت نفسى لك الفدا و قل الفدا لابن أبيت له اما
ألا فى سبيل العلم سر حيث ما تشا و فى ذمه الرحمن ظعنك ان زما
و ودعت عرسى و هى لى غايه المنى و بدلت أنسى و استعضت به الغما
و لما تعانقتنا و حان فراقنا لممنا كالانا الشوق تحت النوى لما
فأشبهه در الدمع لؤلؤ ثغرها فمن لامع نثرا و من ناصع نظما
فو الله لا أدرى أقبلت مدمعا إذا اختلط التريج أم مبسما ألمى
و لى طفله كاللبان قدا إذا انثنى و كالبدر فى وجه أغر إذا تما
بكت فبكى من كان حولى بادمع حرار تذيب الشحم أو تفطر العظما
و قالت رعاك الله ليتك ترعوى فتصرف عنى يوم ترحالك اليتما
فخلفتها حسرى بعين قريحه و ودعتها و الدمع يستمطر الرحما
و حلقت فى الجو المريع مخلفا لدى الأهل روحا ثاويا فارق الجسما
و سخرت بالعزم الفضاء و قد هوى من الهول نسر الجو إذ حاول الصدما
كان لفيف السحب أوراق كاتب يخط يراع البرق فيها لنا رسما
كان الكراسى تحتنا أكر بها تلاعبت الأرياح تقذفها لطما
بطياره قد غالب النسر شاوها فكاد السحاب الجون يحطمها حطما
فباتت بعصف الرياح ريشه طائر و كان لفيف الغيم يهوى بها رغما
فمادت و حاولنا النزول إلى الثرى و لكن خشينا البحر يلقمنا لقما

فملنا إلى ما لم يطأه ابن آدم و صرنا لمن يرتاد من بعدنا أدم
نزلنا على الأرض الجديد بهمه بلغنا السما بل قد بلغنا بها الاسمى
فشاهدت ما لم تشهد العين مثله و حملت ما لم يحمل المرء لو هما

السيد عباس حسين قارى بن جعفر على

ولد سنة ١٢٤٠ فى الهند و توفى سنة ١٣٤٥.

كان حافظا للقرآن مع مشاركته فى العلوم الإسلاميه. تولى التدريس فى (دلهى كالج) للعقائد الشيعيه مكان أبيه ثم انتقل إلى جامعه على كرم.

من مؤلفاته: الفرائد البهيه (فى المنطق باللغه العربيه)، كشكول عباسى، حسام عباسى، و غير ذلك.

عباس رياض كرماني

أستاذ علم النجوم فى جامعه طهران - ولد عام ١٢٨٦ فى مدينه كرمان بجنوب إيران، درس فى إيران ثم سافر إلى فرنسا لإكمال دروسه الجامعيه و حاز على الدكتوراه فى النجوم من جامعه السوربون ثم عاد إلى إيران و شغل منصب أستاذ علم النجوم فى جامعه طهران و عدّه مؤسسات علميه و جامعيه أخرى. كان المسئول عن استخراج التقاويم الرسميه فى إيران مدّه ٤٠ سنة توفى عام ١٤٠٨ هـ له عدّه مؤلفات فى علم النجوم و الرياضيات. (١)

الشيخ عباس القرشى ابن الشيخ محمد بن عبد على

إشاره

مرت ترجمته فى المجلد السابع من (الأعيان)، و نذكرها هنا ببعض الزيادات لا سيما فى شعره الذى لم ينشر هناك: ذكره ناسخ ديوانه السيد أحمد وهبى الكتبى الحلبي بتاريخ ٦ رمضان ١٣٠٠ فقال:

إن هذا الشيخ مر علينا فى حلب سنة ١٢٨٧ هـ فى شهر آب و كان راجعا من سياحته فى البلاد الحجازيه و المصريه و الشاميه و جبل لبنان، و حيث أن مهنتى بيع الكتب فحضر إلى الشيخ المذكور و اشترى منى طبقات الشعراء لابن قتيبه، و بعد معرفتنا به باجتماع ليالى متواليه فى منزلى معه بحضور بعض أصحابنا من أبناء الأدب فوجدناه عالما متضلعا بالعلوم العربيه و خاصه فى علم اللغه يكاد أن يكون إماما و أديبا ماهرا نقادا فى فنون الأدب يحفظ القرآن العظيم و له محفوظات بالأحاديث النبويه الشريفه و الحكم و الأمثال، و هو يحفظ ما يزيد على عشرين ألف بيت من الشعر ما هو من كلام العرب و من فحول الشعراء المخضرمين و المولدين، و له مطالعات كثيره عن وقائع العرب و نوادرهم و تواريخهم حتى أنه إذا قص على أحد قصه تاريخيه من المواقع التى جرت فى صدر الإسلام يظنه السامع أنه حاضرها بنفسه لأنه يعبر عنها بحدافيرها، سألناه عن ولادته فى أى بلد فقال إنه ولد بمدينة النجف الشريفه فى أقصى إقليم العراق و أنه قرشى النسب، و أعلمنا بسياحته إلى البلاد الحجازيه و البلاد المصريه و الشام

و ساحل فلسطين و جبل لبنان. و قد استقام عندنا فى حلب مده لا تزيد على ثلاثين يوما، ثم ذهب قاصدا بلاد العراق على وعد منه أنه سيعود إلينا بعد سته أشهر فكانت غيبته عنا عشر سنوات، و كان السبب بذلك أنه ذهب من العراق إلى بلاد الفرس و استقام هناك مده طويله عند سفير الدوله العثمانيه منيف باشا و لما انفصل حضره السفير عن السفاره أخذه بمعيته إلى دار السفاره العليه فاستقام الشيخ بالقسطنطينيه عند الوزير بمنزله مده طويله، و نحن كنا نسمع باخباره من جريده الجوائب لأنه كان مصححا بادارتها، و فى سنه ١٢٩٧ هجرية بلغ الشيخ خبر وفاه أخيه الشيخ موسى و هو بالسياحه فى إحدى المدن الفارسيه فرحل الشيخ من القسطنطينيه إلى بيروت و لبنان و بعض البلاد الشاميه لقضاء أشغاله كما أخبرنا عند وصوله إلينا فى شهر نيسان [١٢٩٧] من السنه المذكوره فمكث فى حلب أكثر من أربعين يوما و فارقنا قاصدا الذهب إلى العراق ثم إلى بلاد الفرس ليكتشف ما كان من مرض أخيه و وفاته، و كان شديد الولى كثير البحث عن سبب مرض أخيه و وفاته، و كان كلما مر عليه ذكر اسم موسى على لسان أحد أمامه تنحدر دموعه من عينيه على غير رضاه و هو يكفكفها حياء من الحاضرين بمجلسه و فى سنه ١٢٩٩ هجرية فى أول شهر رمضان الشريف حضر الشيخ إلى حلب مريضا و هو راجع من العراق و بلاد الفرس و لبث فى حلب إلى أن قضى نحبه فى يوم الأربعاء الثانى و العشرون من شهر ذى الحجه الحرام من السنه المذكوره فشيئنا جنازته بمزيد الأسف عليه و دفن بمقبره العباده خارج باب الفرج فى مدينه حلب هذا و فى كل اجتماعاتنا مع الشيخ لم نسمع منه شيئا مخلا بمعتقداته و لا بتهذيبه غير أنه كان يظهر لنا التدين و العفه و الاستقامه إلى حين وفاته.

و بعد وفاته فى حلب وضعت الحكومه المحليه يدها فى متروكاته لأجل بيعها و وضع ثمنها فى صندوق مال المسلمين حيث لم يوجد له ورثه بحلب فطلب منى أحد أصحابى أن أشتري له من متروكات الشيخ مجموعات الأشعار التى نظمها الشيخ بحياته و بعد أن اشتريتها له و دفعت ثمنها رغبت أن أنسخ لنفسى نسخه عليها فوجدتها مجموعه مسودات بها كثير من الغلط و التصحيح ما بين السطور المشطوبه و المرصوده و على الهوامش حتى لا يكاد الكاتب الماهر و لو كان شاعرا أن يعتمد على صحتها بصوره قطعيه فنسختها كما هى عليه، و أنى

ص: ٢٤٩

١- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

تحرith بنسخها على قدر الطاقه و ذكرت ذلك خوفا أن مطالعها بجدبها غلطا فيعدلني عليه. (انتهى).

شعره

يبدو أنه حين كان في طهران، كان فيها تاجر يلقب بالكندى يحتكر المواد الغذائية، فتسلط عليه الشاعر بشعره، ثم هو يهجو من اسمه (سعيد)، و يقول بعض المصادر أن سعيدا هذا كان وزير خارجيه إيران في ذلك العهد، ثم يبدى نغمته على الوضع الحكومى بجملته، مما يدل على مشاركته عامه له في الحياه الإيرانيه يوم ذاك، على أن هجاءه ل (سعيد) لا يدل على إخلاص، بل يظهر جليا أن ذلك كان لأنه لم يحسن جائزته بعد أن مدحه بالشعر. و لعل في شعر هذا الشاعر و سيرته ما يفيد الباحثين في الأوضاع الإيرانيه في تلك الفتره:

قال في هجاء المحتكر (الكندى):

يا ناصر الدين و من مبلغ الشكوى منى على الشحط

طهران كانت خير مسكونه خصت برغد العيش و البسط

فاحتكر (الكندى) غلاتها فاحترقت طهران بالقحط

أحرقه الله بنيرانه ملفعا بالقار و النفط

قد أهلك الناس أما آن أن تهلكه منك يد السخط

و الله ما (الكندى) إلا فتى لم يكن فينا غير مشتط

ما ذاك في العلم سوى لفظه من غير إعراب و لا نقط

قد أحبط الرحمن أعماله و العمل الفاسد للحبط

و قال فيه أيضا:

لم أر كالكندى بين الورى باللؤم من حر و من عبد

سيماه سيما مسلم زاهد و القلب منه قلب مرتد

يكاثر الناس بأمواله و ما له في الحرص من ند

لم يلق يوم الحشر خلاقه إلا بوجه منه مسود

يوما به يسأله ربه فلم يعد شيئا و لم يبد

عن احتكار القوت و الناس قد أسلمها الجوع إلى اللحد

عن جوع طهران و غلاته لم تحص بالوزن و لا المد

لا أرشد الله له أمره و لا وقاه عثره الجد

و أرسل الله على داره شر بنات البرق و الرعد

و هذا قوله فى (سعيد):

إذا شئت أن تهلك المفسدين بطهران يا ناصر الدين فاقتل سعيدا

فان الفساد عفى رسمه فجاء سعيد فعاد جديدا

و خذ منه ما ملكته اليمين طارف أمواله و التليدا

و خلده فى السجن حتى يموت و أوقره ما دام حيا حديدا

و عذبه حتى يمل الحياه فى كل يوم عذابا شديدا

لقد باد لؤم جميع الأنام و لؤم سعيد أبى أن يبيدا

ألا لعن الله ذاك اللئيم و آباء ذاك اللئام العبيدا

منحتك يا بن استها مدحه فدنس لؤمك شعرا مجيدا

أرى الكلب كلبا و إن علقوا على جيده من عقود فريدا

و لو كنت من بعض أهل التقى بطهران لم تمس منها طريدا

خرجت فكان لسكانها خروجك يا الأم الناس عيدا

أقر خروجك منا العيون فاذهب إلى الناس عنا بعيدا

فيا لك من غصه جرعت سعيدا و لم يهو شربا صديدا

على هجاؤك حتى تشوب على شاعران ترد القصيدا

و عندى مزيد على ما ترى من الهجو اما طلبت مزيدا

و الأبيات الآتية تقدمت في ترجمته المنشوره في (الأعيان) و لكننا نعيد نشرها هنا لتطرد الأحداث الشعريه:

عجبت لطهران ما ذا بها لمعتبر عاقل من عبر

إذا جئتها فاصطبر للأذى و هيهات ما لك من مصطبر

لقد تركتها و لاه الأمور سدى و كذاك أهل الخبر

فألهاهم صيدهم في الجبال فلا يعلمون بها ما الخبر

أصبيت بصائرهم بالعمى فضلوا و أبصارهم بالعور

فأين المفر إلا يعلمون بيوم يقال به لا مفر

و قال في رثاء أخيه موسى و منها يعلم أن أخاه توفي في العراق:

فقدت موسى و من يفقد أخا كاخى موسى شقيقى يمت من شدة الحزن

نعم الفتى كان موسى عند طارقه جلى تفرق بين الجفن و الوسن

فما رأت عين راء من يشابهه مجدا و لا سمعت شرواه من أذن

بالهف نفسى على من ليس يخلفه فتى من الناس فى سر و فى علن

تهون كل الرزايا عند ذى جلد إلا رزيه موسى الخير لم تهن

لله أى فتى وارت حفيرته و أى ليث عرين لف فى كفن

قدمات من كنت أرجوه لنائبه و من به كنت استعدى على الزمن

رزيه كالحسام العضب منصلتا عن جفنه أو كصدر الذابل اللدن

مهذب لا يحل الجهل حبوته إذا الحلوم هفت بالراجح الرزن

بأنه ما انحنت يوما أضالعه لدى الموده و القربى على إحن

من مفعم للمنايا بعد ما نطقت فاخرست مثل هذا المصقع اللسن

بوركت من ساكن وادى السلام و يا وادى السلام لقد بوركت من سكن

جاورت خير الورى بعد النبى فيا طوبى لمن بات جارا من أبى حسن

أنالك الله منه رحمه و سقى ثرى ضريحك صوب الوابل الهتن

و قد ورد فى ترجمته فى (الأعيان) أن البيتين قبل البيت الأخير قالهما فى رثاء الشيخ عبد الله الخاتونى العاملى و قد توفى فى النجف.

و له يمدح شهاب الملك حسين والى خراسان:

من كشهاب الملك إذ جئته عاجلنى بالجود أن أقعدا

قد ملأ الكف لنا فضه و لو قعدنا ملئت عسجدا

و له:

خليط تناءى و شط المزار قفا لنبك رسوم الديار

و لله خال على خده كنقطه مسك على جلنار

و سيف بجفنيه لو ينتضى رأيت اليمانى غضب الغرار

اداوى اشتياقى بتذكاره و هل تنطفى النار يوما بنار

اكفكف دمعى فى الكاشحين و يدعوه شوقى البدار البدار

رآنى صبغيرا فلم يعتبر مقامى و أعلى النجوم الصغار

يروقون طبعاً بمر الدهور كان خلائقهم من نضار

و كم من حسود يود اللحاق فيهم فلم يعتلق بالغبار

ص: ٢٥٠

وقال:

إننا أناس إذا زرنا ذوى كرم قد غص مجلسهم بالساده الغرر
نكف أنفسنا عما يخالفهم ولا نشوب صواب القول بالهذر
نصغى إذا حدثونا فى مجالسهم إلى حديثهم بالسمع والبصر
إن كلمونا تكلمنا و إن سكتوا عنا سكتنا بلا عى ولا حصر

وقال:

أ تنكر فخر قریش البطاح جهلا إذا فخرت فخرها
إذا شئت فاطمس نجوم السما بكفكك و استر بها بدرها

وقال:

أقول شعرا لا أبالى به كأنما أعرف من بحر
سهل القوافى فى محكما نسجه مهذباً من جيد الشعر
و له مراسلا صديقه منيف باشا سفير تركيا فى إيران:
لعمرى لقد أجرى دموعى و شفنى تذكر من بالشام أضحت ديارها
أ ليس (منيف) بعد ربي قادر على قرب من قد شط عنى مزارها
بلى و جلال الله لو شاء كان لى منى النفس فيما شاءه و قرارها
إلى الله أشكو ما بنفسى من الجوى و لوعه وجد لا يبوخ أوراها

وقال هاجيا:

أ من ساكنه القصر همى دمعك كالقطر
أ إن أبصرت منها صورته أبهى من البدر
تبيت الليل ذا وجد على الأحشاء كالجمر

تولى عصر لذاتي سقاه الله من عصر
فوا لهفا مضت أيامه من حيث لا أدري
فعد القول عن هذا إلى النعمى ذى الغدر
عذيري من عدو الله قد عيل به صبري
أما من باسل مستهتر بالضربه البكر
فيغشى من بنى نعمه رأس الغادر الغمر
بسيف صارم الحديد غضب ظاهر الأثر
وجدنا حسنا زاد على كل أخى عهر
بلؤم ضاق عن قطريه وسع البر و البحر
و نفسى لا تريش الدهر ما عاشت و لا تبرى
فلا تغبطه إن أصبح بين الناس ذا وفر
غنيا ماله يربو على التعداد و الحصر
فهذا كله مال اليتامى الجوع الغير
فيا سر بنى آدم من عبد و من حر
ساشفى منك بالتهجاء منى غله الصدر
و من أضيع ما ضيعت فى سر و فى جهر
زمان ينقضى بالشعر فى هجوك من عمرى
فخذ قافيه شنعاء تبقى أبد الدهر

و قال و هو فى (تجريش) من ضواحي طهران:

دعانى (منيف) فابتدرت لأمره و من يدعه منا منيف يبادر

فقال تصبر سوف تنزل منزلا كريما نواحيه عزيز المجاور

و لو صبرت نفسى على ما يريد لفتت و لكنى امرؤ غير صابر

فأصبحت فى تجریش لا أنا بالذى ثوى رحله فيها و لا بالمسافر

و قال و ربما كان يعنى نفسه:

إنى لعمرک قد جربت ما سمعت أذنى و ما أبصرت عینی من الناس

فما الرحیق بماء المزن ممتزجا يوما بأطيب من أخلاق (عباس)

و قال:

یا من لقلب براه الوجد فانصدعا و هائم فى غیابات الهوى وقعا

فليذهب الشوق بى ما كنت أوله من قاداته قسرا يد الأشواق فاتبعها

أبقت بنظرها عینی على كبدي لشقوتى و بلانى الهم و الجزعا

و قال:

تفرق الحسن ما بین الملاح و لا أراه إلا بقيس قد اجتمعا

یا لائمی لو شاهدت صورته للمت من لم يمت فى حبه ولعا

إذا بدا بالثياب السود مرتديا تخاله البدر فى جنح الدجى طلعا

تالله ما مر إلا و اجتلى نظرى من رائق الحسن فى أعطافه برعا

أحلى و أعذب من تقبيل وجنته إذا أردت له التقبيل فامتنعا

یا عين اعثرت قلبى فى محبته لو كان فى غير قيس لقلت لعا

يوما بأحسن منه حين تنظره عند التفاتته جيدا و لا تلعا

ما ظيه راعها القناص فالتفتت مذعوره أشعرت أحشاءها فزعا

سعى إليه بى الواشى فغيره فأزور عنى لواش بالفراق سعى

لم يبق لى هجر قيس سوى جسد بال و لم يدر قيس بما صنعا
قد ألبس الجسم من نسج الضنا حلا و جرع النفس من كاس الردى جرعا
رضيت بالوصل منه أن يكلمنى أو أن نبئت فى الخيال معا
و قال ذاكرا بلده (جبع) فى جبل عامل:
ما زلت فى (جبع) تهذى و ساكنها هيهات منك الألى أضحوا على جبع
فارتهم لا هناك العيش بعدهم و لا بقيت فمت بالوجد و الجزع
و له فى على بك الأسعد:

أبا السعود إن يفض ماء الندى فإنه من كفك اليمنى نبع
أو يورى فى داجى الخطوب ثاقب فإنه من رأيك الوارى سطم
لو يقتدى فى ظنك الجاهل فى ما قدر الله على الغيب اطلع
ان الذى بارك فى شاو العلى به العثار مولع أى ولع
كأنما سعيد يان أسعد عثاره فهو يقوم و يقع
لا يستقر جنبه بمضجع كأنه منك على الجمر اضطجع
لم يك فيما قسم الله له بقانع لو كان ذا حظ قنع
من مبلغ (عبد العزيز) أن من سطوتك الضأن مع الذئب رتع
محوت بالعدل الذى سرت به ما نقش الجور و خطت البدع
حملت أعباء من السؤدد لو يحمل بعضها ثبير لانصدع
فلا يسلم عن الغوادرى ما حل أنت له الغيث إذا الغيث انقطع
فأسلم و سد و نل و طل و مر ما أشرقت شمس و ما نجم طلع
و قال مفتخرا:

أنا الفتى من قريش طاب محتده فى ذروه المجد بين العم و الخال

ما فى عيب إذا ما أنصفتنى كرما إلا إذا كان عيبا قله المال

ص: ٢٥١

و قال:

تفاخرنى جهلا فجننى بأخر كآخرنا فى المكرمات و أول
و جننى بعم مثل عمى جعفر و جننى بخال مثل خالى هيكل
و جننى بقوم مثل قومى ساده جسام أياديهم على كل مرمل
فما أنت أن عد الرجال معرف و لا أنت منى فى المعالى بامثل

و قال:

أف لهذا الدهر لم يترك حرا على الأرض بلا ظلم
يسقى خبيث الأصل من شهبه و طيب العنصر من سم

و قوله:

و قد تدرك الحاجات بعد وفاتها إذا ما طلبناها بهمه حازم
فقد يلتجى المظلوم منه إلى امرئ همام لدى الحكام أنصف حاكم
و له فى صديقه منيف باشا و هو فى الاستانه:

يجود منيف لا يبالي كأنما نوى أو حصى فى راحته الدراهم
ألا لا تلوموه على الجود إنه ليزداد جودا كلما لام لائم

و قال:

لا بد من كاس حتف سوف أشربها إن كنت فى وطنى أو غير أوطانى
و كل شىء و ان غصت لواظها عنه صروف الليالى برهه فانى

و قال:

نفسى فداؤك جهزنى إلى وطنى قد طال شوقى إلى أهلى و أوطانى
فان أكن أنا لم أشكرك عارفه فالخير بالخير عند الله مثلان

و له يمدح منيف باشا ناظر المعارف العموميه حينما كان معه فى القسطنطينيه عام ١٢٩٦ و قد ورد بعضها فى ترجمته فى (الأعيان):

بان اصطبارك لما بانت الظعن و أقفرت من هواك المسعف الدمن

و النفس إن فقدت عهد السرور و لم تركز إلى صبرها أودى بها الحزن

ما صبر ذى غربه بالروم ليس له ألف بدار ثوى فيها و لا سكن

يقضى النهار فان جن الدجى طرقت همومه و تحامى جفنه الوسن

لا تعذلونى على ما قد منيت به إنى بما قدر الرحمن مرتهن

و بى من البين وجد لا خفاء به باد و آخر مثل النار مكتمن

قد كان شرخ شبابى فى غضارته تظلنى و الهوى أفنانه اللدن

فاخلقت جدته الأيام و انصرمت تلك الحبال و ولى ذلك الدرن

و أصبح الشيب فى رأسى يلوح به للنفس منى إلى ورد الردى سنن

دع ذا و قل فى (منيف) ما يكافئه عن بره فلقد زادت له المنن

كم قد أفادك من مال و معرفه و حكمه ما وعت أمثالها أذن

فتى جميع سجايا الخير قد كملت فيه فمنفرد منها و مقترن

من لم تزل داره فى كل آونه مأوى لكل غريب ماله وطن

و كل عاف و ذى قربى و أرملة و بائس و يتيم خانه الزمن

جادت يده عليهم بالنوال كما جادت على محل بالوابل المزن

و لا يصون نفيس المجد من أحد إلا امرأ لنفيس المال ممتهن

قد صغر الناس فى عينى مخبره فما بهم من يساويه إذا وزنوا

كما هو روح لا يحيط به وصف و هم أن تناهى وصفهم بدن

لقد تعادل فيه خصلتا كرم قول مصيب و فعل كله حسن
يزينه الصمت عما لا انتفاع به فان تكلم فهو المصقع اللسن
لم يأتمن أحدا في السر و هو على ما استودعوه من الأسرار مؤتمن
حتى لقد كان يخفي سر صاحبه عن موضع حل فيه الحب و الإحن
مؤيد العزم لا يشكو إلى أحد صرف الزمان إذا حلت به المحن
حلو لإخوانه لانت خلائقه لهم و مر على أعدائه خشن
ماضى العزيمه ما فى طبعه خور عند الخطوب و لا فى رأيه أفن
نعم الملاذ (منيف) عند نائبه لم يغن فى دفعها الاخوان و الخبن
هو الأديب الذى تجلو بديهته كنه الأمور التى يعيب بها الفطن
ما ضاق يوما له باع بمكرمه و لا تعلق فى أعراضه درن
و ما له غير أن يسعى لهتمه لعز دولته أو دينه شجن
إن الزعيم بنصر و اعتلاء يد لدوله هو من أركانها ركن
قاد المعالى فانقادت بأجمعها له فاضحى لها فى كفه الرسن
لا تعجبوا منه أن نال العلى و مضى قدما فمثل (منيف) بالعلى قمن
من معشر ما اعتراهم يوم مسغبه أو يوم ملحمه بنخل و لا جبن
و لا ترى دوحه طابت أرومتها إلا و طاب لها فى عرفها فنن

عباس ميرزا نائب السلطنه

"عباس ميرزا نائب السلطنه" هو الابن الثانى ل "فتح على شاه قاجار". ولد فى الرابع من ذى الحجه سنه ١٢٠٣ هـ فى قصبه "نوا" من مازندران.

و فى الحاديه عشره من عمره نصب وليا للعهد و عين حاكما على أذربيجان برعايه "سليمان خان قاجار اعتضاد الدوله" و عين "الميرزا عيسى الفراهانى" المشهور ب "ميرزا بزرگ" و وزيراه و عين القائد "إبراهيم خان سردار قاجار" قائدا لعسكره. فسافر

إلى تبريز قاعده أذربيجان.

وقيل إن تعيين "عباس ميرزا" لولاية العهد و حكمه أذربيجان كان فى سنة ١٢١٣ هـ. وقال آخرون إن اتخاذ تبريز مقرا لأولياء العهد القاجاريين إنما كان فى سنة ١٢٢٠ هـ.

وفى سنة ١٢١٨ هـ أرسلت روسيا جيشا بقيادة "سى سيانوف" لاحتلال القفقاس. فاحتل مدينة "كنجه" (١) و أوقع بأهلها قتلا عاما دام ثلاث ساعات. فأرسل "فتح على شاه" ولى عهده حاكم أذربيجان "عباس ميرزا" هذا و كان فى السادسة عشره من عمره، بجيش من ثلاثين ألفا بين فارس و راجل، إلى الحدود الأذربيجانية القفقاسيه لوقف تقدم الروس و إجلائهم. و بعث معه جماعه من الرؤساء المعترين.

وفى سنة ١٢٢٤ هـ أرسل "عباس ميرزا" أيضا مره ثانيه إلى "كنجه" لرد عدوان الروس، و لكنه لم يصنع شيئا. و فى سنة ١٢٢٧ هـ (١٨١١ م) عقدت روسيا و إنكلترا بينهما معاهده صداقه و تعاون، و أولياء الأمور فى إيران، كدأبهم، غافلون عما يجرى من تحركات سياسيه فى العالم. فى تلك

ص: ٢٥٢

١- "كنجه" مدينة إيرانيه قديمه. كانت مسكن الحكيم الشاعر الايرانى المعروف "نظامى" و فيها مدفنه أيضا. و كان الروس يحتلونها قبل انعقاد معاهده "گلستان" و غيروا اسمها "إيليزا بيتبول". و بعد انقلاب أكتوبر الروسى سنة ١٩١٧ م سماها السوفيات "كيروف آباد".

السنة كان الروس قد أعدوا خطه متقنه و حصلوا على معلومات كافيته، فمكثهم ذلك من مباغته جيش "عباس ميرزا" نائب السلطنة في "أصلان دوز" فوقعوا به هزيمة شديده و كبوده خسائر عظيمه، فاضطر "عباس ميرزا" أن يتراجع إلى تبريز. و انتهت هذه الهزيمة بعقد معاهده "گلستان" في ٢٩ شوال سنة ١٢٢٨ هـ الموافق ١٢ أكتوبر سنة ١٨١٣ م.

في ذلك التاريخ كانت روسيا و فرنسا تتحاربان، و نابليون يقود حملته على موسكو. و بين إنكلترا و روسيا علاقات صداقه و وفاق، و إيران غافله عن هذا الأمر. فأراد السفير الانكليزي "السيرغور أوزلي" أن تأمن روسيا جانب إيران و تنصرف كلياً إلى محاربه نابليون. فحمل الصدر الأعظم "الميرزا محمد شفيح"، و كان صنيعه الإنكليز مأجورا لهم، على مصالحه الروس صلحا فيه خساره لايران و غنيمه لروسيا، و أوعز إلى "الميرزا أبو الحسن خان الشيرازي" سفير إيران سابقا في إنكلترا، و كان على شاكله الصدر الأعظم في صلته بالانكليز، أن يساعده في هذا المسعى، و انتهى الأمر إلى عقد معاهده "گلستان"، و تنص المادة الثالثه منها على أن تتخلى إيران لروسيا عن ولايات "قرباغ" و "كنجه" و "شكي" و "شيران" و "قبة" و "دربند" و "بادكوبا" و قسم من "طالش" و "داغستان" و "كرجستان" و "آشوق باش" و "كورنه" و "منكريل" و "أبخاز".

و تنص المادة الخامسه على منع إيران من اقتناء سفن حربيه في بحر الخزر.

و وقعت، بعد هزيمة "أصلان دوز" و عقد معاهده "گلستان"، اضطرابات في إيران في خراسان و أسترآباد و غيرهما، و لكنها أخمدت بسرعته.

و في سنة ١٢٣٧ هـ سارت جماعه من باشاوات العثمانيين المعتبرين بجيش عدته سبعون ألف جندي إلى حدود إيران لاسترداد المدن التي كان الجيش الايراني قد احتلها قبل عام في معركة حربيه انهزم فيها العثمانيون. فخف "عباس ميرزا" نائب السلطنة إلى ملاقاتهم، و أمده "الله يار خان دولو قاجار" الملقب ب "آصف الدوله" بجيش سار به من طهران عدته عشره آلاف جندي بين فارس و راجل. و أراد الايرانيون في ابتداء الأمر معالجه الموضوع بالصلح، و لكن العثمانيين رفضوا و وقعت حرب انتهت إلى تغلب الجيش الايراني على العثمانيين.

ثم دخل عهد آخر من الحروب الروسيه الإيرانيه. بدأ سنة ١٢٤١ هـ و انتهى في الثالث من شهر ربيع الثاني سنة ١٢٤٣ هـ باحتلال الروس لمدينه تبريز، و كان "عباس ميرزا" قائد الجيش العام في هذا العهد. و أبدى شجاعه و إقداما فائقين حتى تمكن، في أول الأمر، من عبور نهر "أرس" و هزم العسكر الروسي و احتل مدينه "شوش" مقر حاكم "قرباغ"، و كان الروس يحتلونها من سنة ١٢١٩ هـ. ثم أرسل فرقه من جيشه بقياده ابنه الأكبر "محمد ميرزا" و خاله "أمير خان سردار قاجار" لاحتلال "كنجه" و "تفليس". و لكن الجيش الروسي بتفوقه عددا و تنظيمه قضى على هذه البعثه، و قتل "أمير خان سردار".

و أراد "عباس ميرزا" تدارك هذه الخساره فجمع جيشا سار به بنفسه من "شوش" لاحتلال "تفليس". و يومئذ غيرت الحكومه الروسيه قياده جيشها فنصبت الجنرال "إيفان باسكيفيتش" قائدا له في مكان الجنرال "بيرمولوف". و تهيأ القائد الجديد بقوه من المحاربين المتمرسين المنظمين لملاقاه عسكر "عباس ميرزا". و وقعت بين العسكرين معركة شديده أجاد فيها الايرانيون القتال، و لكنهم عجزوا عن مقاومه القوه الروسيه و ما كانت عليه من تفوق في العدد و التنظيم و المدفعية، و قتل منهم آلاف الجنود. فاضطر "عباس ميرزا" إلى التراجع مع بقيه السيف من جيشه إلى شاطئ نهر "أرس".

بعد هذه الهزائم انحصر أمل الدولة الإيرانية بجيش "إيروان".

و تقدم الروس إلى "إيروان" فدافع عنها جيشها دفاعا مجيدا، و ثبت المدافعون في وجه جيش الروس الجرار أربعة أشهر عجز فيها الروس عن احتلال المدينة. و لكن انقطاع طرق المواصلات بين "إيروان" و سائر النواحي من إيران انقطاعا كليا قطع عنها كل مدد من خارجها، فاضطر المدافعون إلى التسليم. و حصل "باسكيفيتش" من دولته، بعد هذا الفتح، على لقب "فاتح إيروان".

و أراد الروس، بعد احتلالهم تبريز، احتلال العاصمة طهران. و لكن الإنكليز كانوا يرون أن الروس حسبهم ما احتلوا من بلاد، و أن تقدمهم إلى أبعد من ذلك ينافي مصالحهم، فتدخلوا يتوسطون للصلح.

و لما رأى "عباس ميرزا" ما آلت إليه الحال اضطر مكرها إلى نفض يده من الحرب و القبول بالصلح، و تعينت بلده "دهخوارقان" مكانا لتلاقي الطرفين. و ذهب "عباس ميرزا" مع جماعه من رجاله إليها ليفاوض الجنرال "باسكيفيتش" في موضوع عقد معاهدة الصلح.

في هذه الأثناء، إذ وصل خبر احتلال تبريز إلى طهران، استدعى "فتح على شاه" كل أبنائه و الحكام أن يحضروا إلى طهران مع قواتهم العسكرية للدفاع. و منهم ابنه "حسن على ميرزا شجاع السلطنة" حاكم خراسان جاء إلى العاصمة بقوه منظمه رافعا رايه سوداء من رايات الآستانه الرضويه، عازما على متابعه حرب الروس.

و في طهران كان جماعه من مخالفي "عباس ميرزا" يفسدون أمره و يضادونه بحجه أنه انحاز إلى الروس و حالفهم، و التفوا حول أخيه "شجاع السلطنة" و حسنوا له أن يطلب ولايه العهد لنفسه فانقاد لهم. و تفوه الشاه بكلمات تستشم منها قله العنايه بعباس ميرزا، و أمر أبنائه باحترام "حسن على ميرزا". و تقرر أن يسير هذا بمن في طهران من العسكر إلى قزوین و "خمسه" لمتابعه محاربه الروس.

و وصلت هذه الأخبار إلى "باسكيفيتش" و وصل معها خبر كاذب بان "عباس ميرزا" قد عزل من ولايه العهد، فأوقف المفاوضات في موضوع عقد معاهدة الصلح و انصرف عن الاهتمام به.

و رأى "عباس ميرزا" أن مقامه يتزعزع لما يجرى في طهران و أن من الممكن أن يعزل من ولايه العهد و ينصب غيره لها، فانحاز إلى الروس و سالمهم ليستنصر بهم. و اجتمع "السير ماكدونا لذكينر" سفير إنكلترا في طهران بالجنرال "باسكيفيتش" و قررا إيقاع الصلح بين روسيا و إيران.

و كانت مفاوضات سابقه على هذا الأمر قد جرت بين لندن و بطرسبورغ بالطبع. و تعذر على الشاه المغلوب متابعه الحرب بسبب ضعف الجيش الإيراني و تضارب الآراء بين أولياء الأمور و عجزهم عن معرفه ما هم مكلفون به و اختلال الأمن في بعض النواحي من إيران و إصرار الإنكليز و الروس على سياستهم. و من ثم انتهى الأمر إلى عقد معاهدة "ترکمان شای" بين روسيا

و إيران. و فرضت روسيا على إيران في هذه المعاهدة أحكاما قاسية مذهلة كما هي العادة في المعاهدات التي يفرضها الغالب على المغلوب فرضا. و اشترط الروس في المادة السابعة منها أن تكون ولاية العهد في إيران منحصره في "عباس ميرزا" و أعقابه من بعده، و اضطرت الدولة الإيرانية و شاهها إلى الرضوخ لحكم الدولة الغالبة. و عادت إيران بهذه المعاهدة دولة ممزقة لا حول لها و لا قوة، عاجزه عن النهوض.

و وقعت بعد هذه المعاهدة، بين سنة ١٢٤٣ هـ و سنة ١٢٤٦ هـ، في نواحي كرمان و يزد حوادث انقلابية و حركات ثورية. و بدت من الأخوين "حسين على ميرزا" الملقب ب"فرمان فرما" (الحاكم) و "حسن على ميرزا شجاع السلطنة" ابني "فتح على شاه" مظاهر تمرد و عصيان. و من ثم استدعى "فتح على شاه" ولي عهده "عباس ميرزا" من أذربيجان ثم أرسله إلى يزد و كرمان لينظم الأمور فيهما. فاستسلم إليه "عبد الرضا خان" حاكم يزد و أحد رؤسائها، و كذلك استسلم "شجاع السلطنة" والي كرمان و استولى على المدينتين بلا حرب و لا سفك دماء سنة ١٢٤٦ هـ، و أرسل "شجاع السلطنة" إلى طهران. و عهد بولايه يزد إلى "سيف الدولة ميرزا" و ولاية كرمان إلى "سيف الملوك ميرزا"، و هما صهراة ابنا أخيه "على شاه ظل السلطان". ثم سافر إلى أصفهان فلبث فيها ثلاثة أيام ثم سافر إلى خراسان في سنة ١٢٤٧ هـ، و قد عهد إليه بالولاية عليها مع ولايته على أذربيجان.

و مرض في مشهد مرضا شديدا فاستدعى إليه طبيبه الانكليزي الخاص الدكتور "جون كورميك" من طهران. و لكن الطبيب نفسه مرض في الطريق بالتيفوس و مات قبل وصوله إلى مشهد. و توفي "عباس ميرزا" في مشهد في العاشر من جمادى الثانية سنة ١٢٤٩ هـ و عمره سبعة و أربعون عاما بمرض ورم الكليه، و دفن في حرم الامام الرضا ع.

"عباس ميرزا" ولي العهد نائب السلطنة والي أذربيجان لعله أعظم الأمراء من أبناء ملوك السلسله القاجارية بشهاده المحليين و الأجانب. إلا- أن الأوروبيين، و لا سيما الإنكليز، الذين قدموا إلى أذربيجان أيام ولايته عليها و اطلعوا على أحواله و أوصافه و تحدثوا عنها مجمعون على أن ما امتاز به و رفع من شأنه، باستثناء شجاعته الشخصية، كان الفضل فيه لتدبير وزيره "الميرزا بزرگ القائم مقام الفراهاني، و ابنه "الميرزا أبو القاسم" المعروف بالقائم مقام الثاني و كفاءتهما.

كان "عباس ميرزا" في أوائل أمره يؤيد سياسه إنكلترا. و لكنه لما تبين أن الإنكليز لم يساعدوا إيران بشيء، بل إن أكثر الهزائم التي منيت بها إيران إنما كان بسبب موافقتهم للروس سرا، لم يجد بدا، بعد عقد معاهدة "تركمان شاي" سنة ١٢٤٣ هـ، من الانحياز إلى الروس. فكان يكثر من إقامه المآدب لضباطهم و مبعوثيهم السياسيين. و قد أدى مثل هذه الخصوصيات و المسابيرات إلى أن قبل الروس بالجلاء عن مدينه "خوى".

ثم دعت الدولة الروسية ولي العهد دعوه رسميه إلى زياره روسيا و الاجتماع بالإمبراطور "نيقولا الأول" و تجديد عهد الصداقه. و تقرر أن تعفى روسيا إيران، بعد هذه الزياره و ملاقاته الامبراطور، من دفع بقيه الغرامه الحربيه التي فرضتها عليها، و قدرها مليون تومان.

و أخذ "عباس ميرزا" يتهيأ للسفر إلى روسيا، و خصص له الشاه مبلغ ثلاثين ألف تومان لنفقات السفر. و لكن اتفق أن قتل، في أثناء ذلك، في طهران "غريبایدوف" سفير روسيا في إيران. (١) فاتخذت الأوضاع و الأحوال شكلا آخر. و أهمل موضوع زياره نائب السلطنة لروسيا.

و كان أحد البواعث ل "عباس ميرزا" على الرغبة في السفر إلى "بترسبورغ" السعى إلى استرجاع مدينتي "لنكران" و "إيروان". و كان قد باحث صديقه "باسكيوفيتش" في هذا الموضوع مصرا على المطالبه بان تعيدهما روسيا إلى إيران. فأجابه بان هذا الأمر مرجعه إلى الامبراطور. و من ثم كان "عباس ميرزا" يرغب في السفر إلى روسيا و مباحثه الامبراطور بهذا الشأن لعله يحصل على نتيجة.

و بعد وفاه "عباس ميرزا" أراد "فتح على شاه" أن ينصب أحد أبنائه الستين في مكانه وليا للعهد. و جرت مباحثات كثيره في هذا الموضوع. و كان الامبراطور الروسى، لما علم بوفاه "عباس ميرزا"، قد أصدر أمرا بالحداد رسميا. و أرسل من قبله أحد الكبار من رجال بلاطه اسمه "أريستوف" يحمل رساله تعزیه خطيه منه إلى "فتح على شاه" فوصل إلى طهران في منتصف شهر المحرم سنة ١٢٥٠ هـ. و بعد القيام بمراسم التعزیه بلغ إلى الشاه عن لسان الامبراطور تذكيرا بمضمون ماده السابعه من معاهده "ترکمان شای"، مصرا على أن يكون "محمد ميرزا" ابن "عباس ميرزا" وليا للعهد. فأطاع "فتح على شاه" الأمر و استدعى حفيده "محمد ميرزا" من خراسان و نشر مرسوما بتعيينه وليا للعهد.

الشيخ عباس الهاتف القوجاني النجفي

ولد في قوجان ١٣٣٢ و توفي يوم الأربعاء ٢٣ شعبان ١٤١٠ في النجف الأشرف.

تعلم المبادئ و المقدمات في قوجان ثم هاجر إلى مشهد الرضا (ع) و سكن مدرسه (دو در) و قرأ النحو و الصرف على الأديب النيسابورى و شرح

ص: ٢٥٤

١- "غريبايدوف" كاتب شاعر روسى مشهور. و هو ابن أخت الجنرال "باسكيوفيتش" قائد القوات الروسيه في القفقاس. كان في سنه ١٢٤٤ هـ سفيرا لروسيا في إيران. أظهر خشونه و شراسه في إنفاذ معاهده "ترکمان شای"، و لا سيما ماده الثالثه عشره منها. و هى تقضى بأخذ جماعه من النساء المسلمات من إيران إلى القفقاس، إذ كن في الأصل نصرانيات من أهل القفقاس فيجب إعادتهن إلى ديارهن الأصلية. و كان منهن اثنتان كرجيتان في حرم "الله يار خان آصف الدوله" أحد كبار القاجاريين و لهما أولاد. فاخذتا منه أخذا عنيفا و حملتا إلى السفاره الروسيه. و كان في البلاط القاجارى خصى اسمه "يعقوب"، و هو في الأصل أرمنى. و كان قد فر من البلاط و لجا إلى السفاره الروسيه هربا من مطالبته بديون كانت للناس عليه. و طلب من السفير حمايته فقبله السفير و حماه. و كان لهذا الخصى دخل في قضيه اختطاف النساء هذه. و كتب "الميرزا مسيح" المرجع الدينى الأول يومئذ رساله إلى السفاره الروسيه يطلب إعاده المرأتين فلم يلتفت السفير إليه. فهاجت العامه و ساروا إلى دار السفاره و تجمهروا حولها. فأمر السفير رجاله بتفريقهم بالقوه فأطلقوا عليهم الرصاص و قتل غلام في الرابعه عشره. فازداد الناس هيجانا و ازدادوا تجمعا حتى بلغ عددهم حوالى مائه ألف هجوموا على السفاره، فخاف السفير و اخرج إليهم المرأتين و الخصى يعقوب من السفاره. و لكن الناس، إذ كانوا يرون أن يعقوب هو المحرك الأول لعملية الخطف، تناولوه و قطعوه قطعاه قطعاه، و حملوا المرأتين سالمين إلى منزل "الميرزا مسيح". و لم يكتف المهاجمون بهذا بل ظلوا يحاصرون السفاره يريدون احتلالها. و مع أن المدافعين قتلوا منهم أكثر من ثمانين رجلا فإنهم لم يتراجعوا حتى احتلوا السفاره و قتلوا السفير و موظفى السفاره لم ينج منهم

غير واحد استطاع الاختباء فلم يصلوا إليه. و بلغ عدد القتلى من رجال السفاره بين ثلاثين و ثمانيه و ثلاثين قتيلا على اختلاف فى أقوال المؤرخين.

اللمعه و الهيئه على الميرزا أحمد اليزدى الشهير ب (نهنگ) و حضر المنظومه على أعلامها ثم هاجر إلى النجف الأشرف و أتم السطوح و اختص بالعارف الشهير السيد محمد على القاضى الطباطبائى التبريزى و لازمه حتى وفاته و قرأ عليه الأخلاق و العرفان و التفسير و انخرط فى طريق السلوك و التهذيب و بعد وفاه القاضى اختص بالميرزا عبد الهادى الحسينى الشيرازى و لازم دروسه الفقيهه و الأصوليه و فى نفس الوقت انشغل بتدريس السطوح العاليه من الفقه و الأصول و اختص أخيرا بتدريس المنظومه و كان محل درسه مقبره الميرزا الشيرازى قبل الظهر. حضرت عنده برهه من الزمن منظومه السيزوارى فى نفس المقبره الملاصقه لباب الطوسى على يمين الخارج - من آثاره تصحيح و تحقيق كتاب جواهر الكلام و الأشراف على طبعه، أعقب ولدين فاضلين الشيخ محمود و الشيخ محمد.(1)

عباس يمينى شريف

ولد عام ١٣٣٩ فى طهران و درس بدار المعلمين العاليه فى طهران و تخرج منها - يعد أشهر و أكبر شاعر فى مجال شعر الطفل و ما من طفل إيرانى يدخل المدارس إلا و يحفظ مقطوعات شعرية جميله من شعره و كانت قصائده سهله التعابير قصيره الوزن، خفيفه بحيث يمكن حفظها بسرعه و كان ينظم القصائد التربويه و الأخلاقيه و يعلم بها الأطفال حسن السلوك فى البيت و الشارع و المدرسه و يحثهم على طلب العلم و العلى و يمنعهم من ارتكاب الأعمال الصبيانيه الشريره و هذه الخصائص فى شعره جعلته شاعرا خالدا - قال المترجم له انه استلهم الشعر و تذوق الشعر العاطفى و تعلمه فى مجالس عزاء الحسين (ع) حيث كان يذهب برفقه أبيه و أصدقائه إلى الحسينيات و يسمع هناك من الوعاظ و الشعراء رثاء أبى عبد الله الحسين (ع) فيتأثر بها. كان خلال حياته رئيسا لتحرير عدده مجلات ثقافيه للأطفال أشهرها مجله (كيهان بچه ها - عالم الأطفال) و هى أوسع مجلات الأطفال انتشارا فى إيران، حيث رأس تحريرها مده تزيد على عشرين سنه. أسس عام ١٣٨٥ هـ مدرسه كان تدريس الأطفال فيها بطريقه خاصه و نالت شهره واسعه ثم قام بتأسيس (لجنة كتاب الطفل) حيث كانت هذه اللجنه تشرف على جميع النشاطات الثقافيه للأطفال و لا تزال هذه اللجنه تعمل بنشاط. توفى عام ١٤٠٩ هـ فى طهران. له أكثر من ٣٠ مؤلفا فى حقل الأطفال.(2)

عبد الله باقرى

هو آخر الفنانين العظام فى إيران كان يعد أحد أكبر الفنانين فى فن التذهيب ولد فى طهران عام ١٢٩٣ هـ و درس فى أراك و طهران و دخل سنه ١٣١٠ مدرسه الفنون الجميله بطهران ثم بعد تخرجه قام بتعليم مجموعه كبيره من الطلاب فى فن رسم نقوش السجاد فى عده مدن إيرانيه توفى عام ١٤٠٩.(3)

عبد الله قطب شاه

ولد سنه ١٠٢٣ فى الهند و توفى سنه ١٠٨٢ فى حيدرآباد.

هو من ملوك حيدرآباد كان ميالا إلى العلم و العلماء يبذل عليهم أمواله و يحركهم إلى التأليف و يحرضهم و يجلبهم.

تولى الملك سنه فى حيدرآباد و قد زوج ابنته لأحد العلماء السيد أحمد بن محمد بن معصوم وشتكى [دشتكى] الشيرازى و عند ما تسامع العلماء باحترامه لهم اجتمعوا حوله و استقروا فى حيدرآباد، و كان يعهد اليه بمهمات علميه كتابه و خطابه و

تحدثا.

عبد الله بن العباس

مرت ترجمته في موضعها من (الأعيان) و نضيف إلى ما هنالك ما يلي:

أمه أم الفضل لبابه الكبرى بنت الحارث بن حزن الهلاليه ولد قبل الهجره بثلاث سنين، و قيل بخمس سنين، و قيل غير ذلك. و الأول أشهر. توفي في الطائف سنه ٦٨ على الأرجح و له من العمر سبعون سنه.

ميرزا عبد الله بن ميرزا علي أكبر المجتهدى الربى التبريزى

ولد سنه ١٣١٧ توفي صبيحه الجمعه ٤ محرم ١٤١١.

ولد في تبريز و تعلم المبادئ و المقدمات تحت رعايه أبيه في مدارسها ثم هاجر إلى قم و حضر عند الأساطين و اختص بدروس الشيخ عبد الكريم الحائرى اليزدى. ثم رجع إلى موطنه منشغلا بالتدريس و إمامه الجماعه و قضاء حوائج الناس و اشتهر بصيته و أصبح مرجعا عند الخواص و العوام و في السنين الأخيره أصيب بالأم عديده روحيه و جسميه فانعزل عن الناس حتى واتاه [وافاه] الأجل و شيع جثمانه في مدينه تبريز و نقل إلى قم فدفن فيها. (٤)

عبد الله مير تبريزى بن شاه نعمه الله ولى

توفي سنه ١٠٣٥ في أكره (الهند).

من تلامذه شاه غياث و مولانا راقمى و استفاد من الشيخ فيض الله جشى سهارن بورى.

كان خطاطا مشهورا لا سيما في خط (نستعليق)، كما كان شاعرا مجيدا و كان اسمه في الشعر (وصفى).

لا تزال آثاره الخطيه محفوظه في مدينه الله آباد في الهند.

الشيخ عبد الحسين بام

ولد في عيناثا من جبل عامل سنه ١٣٢٠ و نشأ و درس فيها، و كانت دراسته على الشيخ موسى مغنيه إذ درس عليه علوم اللغه العربيه، كما استفاد من ندوات الشعر التي كانت تعقد في عيناثا و غيرها من قرى جبل عامل.

و بعد الإقامه الطويله في عيناثا استقر به المقام في بلده (الصوانه) حيث بقى فيها حتى وفاته.

و من شعره قوله:

فلسطين إذا عظم المصاب فلا يجدى الملام و لا العتاب

فكونوا باسليين لدى الرزايا و من بأس لعدو [العدو] فلا تهابوا

و موتوا دون مجدكم كراما كذا الأحرار للأوطان غاب

فان الغار للآساد غاب فما في الموت دون المجد غاب

شبابك يا فلسطين كرام و فيها العز و الشرف اللباب

ص: ٢٥٥

١- الشيخ محمد السمامي.

٢- الشيخ محمد رضا الأنصاري.

٣- الشيخ محمد رضا الأنصاري.

٤- الشيخ محمد السمامي.

غضبتهم غضبه للحق أمت تذلل لهولها الأسد الغضاب
حرام أن تذوق النوم عين و فى الأوطان غدر و اغتصاب
و قوله:

جاءت تطلع من وراء حجاب غيداء تحلم بالهوى الخلاب
و تلفتت مرتابه و لطالما لعب الغرام بقلبها المرتاب
لتصيد بالأهداب صبا هائما بفواتر الألاحظ و الأهداب
تركت إلى الأتراب أوتار الهنا و تباعدت وجدا عن الأتراب
و قوله:

أ تأمن للزمان و كل يوم يروع بالدواهى الطيينا
و يبنى للطغاه بكل مجد بناء من دماء البائسينا
أ نجبن و الحياه بها بقين بان الفوز ملك الطامحينا
أ يدرك غايه فى المجد يوما جبان يحمل الذل المهينا
و قوله:

لم أنت لم تغضب و لست تثور و الخطب فى الوطن السليب كبير
خطب تأجج فى النفوس مصائبا و بكل بيت للنفوس قبور
أبت المروءه أن تراك أخوا العلى تمشى على شوكة الأذى و تسيرا
و قوله:

علمت من الأيام علما يدلنى على أن جل الناس لا تكرم العلما
أ تنظر كيف الدهر يخرس ناطقا على رغمه ظلما و يستنطق البكما
كفانا نفاقا أن نهيم بمعشر يرون اتباع الحق فى وجههم وصما

عبد الحسين عبد الله بن إسماعيل

ولد في بلدة الخيام (جبل عامل) و توفي فيها سنة ١٤١٠ عن عمر جاوز التسعين.

كان شاعرا شعبيا متحسسا آلام الشعب العاملى و همومه، سبرا بشعره عن شكوى هذا الشعب و تطلعاته و نغمته على العابثين بكرامته و المشوهين لإرادته. و كثير من شعره يعتبر من السهل الممتنع. و لم يجمع شعره في ديوان مطبوع، بل نشر قسم قليل منه في مجموعته صغيره. و قد عايش الشاعر العاملى الآخر موسى الزين شراره، و كان هذا أيضا شاعرا شعبيا يسير في نفس المنحى. لذلك كان يختلط شعرهما على الناس فينسبون ما لأحدهما إلى الآخر. و قد اصطدما كلاهما بالسيد عبد الحسين شرف الدين الذى كان عميلا- للفرنسيين يسخرونه لتنفيذ ماربهم الاستعماريه، و لما ضاق الفرنسيون بشعر (موسى) المعارض للانتداب الفرنسى، طلبوا إلى السيد عبد الحسين شرف الدين أن يعلن تكفيره مستغلين قصيده له يناهض بها المتاجرين بالدين، فافتى شرف الدين بتكفيره و استباحه دمه، و لكنه لم يكن لذلك أقل أثر لأن الناس كانوا يعرفون دوافع صاحب الفتوى و من يقف وراء إصدارها، ثم أن أصدقاء (موسى) أخذوا نص القصيده و أرسلوها إلى المراجع الدينيه فى النجف سائلين عما إذا كان من ينظم هذه القصيده يمكن أن يحكم بكفره، فرد المراجع بأنه ليس فى القصيده ما يشعر بفساد العقيدة و ما يوجب الحكم بتكفيره، و كان رد أحدهم قاسيا مؤنبا لمن حكم بالتكفير.

و إلى هذا التكفير يشير المترجم فى قصيدته الآتية. أما موسى فقد رد على فتوى تكفيره بقصيده قال فى مطلعها:

(قالوا كفرت فقلت فى أفعالكم)

و من بين ما كان شرف الدين يخدم به الفرنسيين و يتزلف إليهم و ينفذ سياستهم أنه دعا أحد كبار رجالهم (المسيو دافيد) و هو من الفرنسيين اليهود و من كبار رجال الانتداب الفرنسى - دعاه إلى وليمه فخمه أقامها له فى منزله بمدينة (صور) و حشد فيها لاستقباله جموع القرى بطولها و زورها، و كان قد قيل للسيد شرف الدين أن الفرنسيين لا يستطيعون الطعام العربى، فاوصى على طعام الوليمه عند مطعم فرنسى شهير فى بيروت اسمه (مطعم طانيوس) فاحضر الطعام منه إلى منزل السيد عبد الحسين فى صور حيث تناوله الجميع بمن فيهم السيد عبد الحسين شرف الدين.

فنظم المترجم فى هذا الحادث قصيده قال فيها:

لمن الوليمه فى مدينه صور محفوفه بالطليل و الزمور

جلس الرجال إلى الموائد وحده فالسيد المفضل جنب الخورى(١)

و الكأس دار على الجميع فلا ترى عيناك غير الشارب المخمور

بشراك قد طوى التعصب بيننا و انحل كل معقد و عسير

ثم يخاطب السيد عبد الحسين شرف الدين قائلا:

اشرح لنا عن لحم مطعم (طانس) و عن الخمر به، عن الخنزير

أ فهمت أن الخمر ليس كشائنا (و البطحه) الحسناء غير (القورى) (٢)

لا شك أنك نادم عما مضى مذ كنت ترمى الناس بالتكفير

لا تعجب فكل شىء قابل فى الكون للتبديل و التغيير

ما أنزل الرحمن نصا ثانيا لكن تبدل منهج التفسير

فالخمر مثل الشاى عندك قد غدا و كذلك (الخنوص) (كالقور) (٣)

اشرب هنيئا كل صاحب عمه ما كان مثلك فى لظى و سعير

الكل دونك أنت قد نجيتنا من مشكل التنجيس و التطهير

و حبوت (طانس) بالحنان معانقا إياه بين موائد و خمور

لو تشهد (الكيشكات) و الكأس التى تنهل بين كواكب و بدور (٤)

لتركت ناحبه المصلى جانبا و زهدت بالتهليل و التكبير

سر للإمام ففى ركابك عصبه تزرى بكل معمم مغرور

و ارم العمامه أنها مشؤمه كم أوقعت أوطاننا بشرور

و لم يمض الأمر بسلام على الشاعر فان شرف الدين حمل القصيده و ذهب إلى المستشار الفرنسى فى صيدا، و قال له إن ما أصابنى من أذاها هو بسبب ولائى لكم فيجب معاقبه ناظمها.

فاغتنم الفرنسيون قيام الحرب العالميه الثانيه و إعلان الأحكام العرفيه بسببها فقبضوا على الشاعر و أودعوه سجن قلعه راشيا فبقى فيه حتى انتهاء الحرب. و فى سجن قلعه راشيا نظم القصيده التاليه معرضا بالسيد عبد الحسين شرف الدين الذى شكاه إلى الفرنسيين فاعتقلوه تلبيه لطلبه و إرضاء له:

لاحت من (المرج) (٤) أنهار و غدران فخف للماء فى جنبى ظمآن

- ١- الخورى: رجل الدين المسيحى.
- ٢- البطحه: إبرىق الخمر، و القورى إبرىق الشاى.
- ٣- الخنوص: ولد الخنزيره و القرقور ولد الغنمه.
- ٤- المرج: هو المرج الذى تطل عليه بلده الخيام موطن الشاعر، و سيرد ذكره فى قصائد الشاعر الآتیه.

مرايع كنت أحياء في خمائلها كما تعيش بطل الدير رهبان

تبدل العيش و اسودت نضارته لما طغى حولنا ظلم و عدوان

قالوا الحليفه قد جاءت تمدنكم أين التمدن لا كانت و لا كانوا

تكابد الهم يا قلبي أخفت نوى أو روعتك بوادي التيم(1) أشجان

أم هل ذكرت سعاد(2) عند ما وقفت و اغرورقت بدموع الطهر أجفان

قالت أبي كيف تبقينا بلا سند و حولنا من بنى الإنسان ذئبان

جاءت تودعني لكن زبانيه قلوبهم من لهيب الحقد بركان

تعرضوا دون ما أبغى فلا بقيت تلك الوجوه بها للشر عنوان

يا حافظ الأمن لا تمش بنا عجلا فلي على الربيع أحباب و خلان

فشد لم يرعو نفسا و لا خلقا كأنني ملك و ليه شيطان

يا للثلاث ليال ما طمعت بها قوتا و لا نعمت بالنوم أجفان

في غرفه كظلام القبر موحشه كان حيطانها البيضاء أكفان

جن الدجي فسميري في جوانبها بق مريع و فئران و ديدان

و أقبل الصبح لم أشعر بطلعته فالليل و الصبح أشباه و أقران

و قادني حيث لا أدري أخو صلف في برده من شديد العجب (ويغان)(3)

يعطى الأوامر للربان في كبر و مر كالسهم في بيروت ربان

ثم انثنى للأعالي الشم مركبه حتى غدا تحتنا كالبحر لبنان

نرنح المركب الجبار منحدرًا كما تحط من الأجواء عقبان

و يمم (التيم) يجتاز البقاع و قد لاحت من (التيم) اعلام و كثنان

وا ضيعه العرب لا واديهم نضر و لا البقاع ندى النبات ريان

زررق الشياطين عاثوا فى مرابعه فانحل مجتمع و انفض ندمان

يا رب معتقل من طيب ساكنه كأنه روضه غنا و بستان

شم العرائن فى حافته جلسوا فكلهم خلق سام و إيمان

(رب العمامه) (٤) هل نبث ما فعلوا و أخبرتك بما قد صار أعوان

لك الهنا أنى فى (التيم) معتقل تحيط بى من شباب العرب فتيان

حدثهم عنك فاهتزت جوارحهم مما فعلت كما تهتز أغصان

تركت سربا من الأفراخ فى قلق لهم على البعد إعوال و ارنان

و هذه القصيده من وحى الوليمه المتقدم ذكرها.

لمن الخراف تسوقها الحراس و لمن نعبا هذه الأكياس

و لم الهتاف و هذه الرايات لا أمل يرف بها و لا إحساس

عجبا نسير إلى الورا جميعنا و إلى الامام غدت تسير الناس

لم ألق شعبا مثل شعبى غافلا آلامه و شقاؤه أعراس

أبدا يغنى للهوان و أن علا صوت الابا تتقطع الأنفاس

و يجيب دعوه خائن و إذا دعا حر سرى فى مقلتيه نعاس

الخب و الغر الجهول يسوسه كيف النجاح و هذه السواس

أشقى لأسعده و ينكر نعمتى نفد الدواء و عاده الأنكاس

مات الاباء فلا أمر ببقعه إلا طغى فى جانبيها الياس

فاود و الآلام تنهب مهجتى لو أنت مثلى شاعر حساس

فيهزك الظلم المريع و تنثنى و على فؤادك ثوره و حماس

خشت شبابك فالوجه طليقه يبدو عليها البشر و الإيناس

يتحدثون عن الغريب و ما روى (هوغو) و ما نقلت لهم (هافاس)

و بأرضهم نوب تررع صخره و من الوليد لها يشيب الرأس

أ تظل مكتوف اليدين مكبلا و بمال أهلك تشتري الأمراس

أ تريد أن تحيا و فيك زعامه و يد تسلب مالنا و تبأس

و أراك يا وطنى طربت و لم تذق خمرا و لا دارت عليك الكأس

حرموك حتى الماء يعذب طعمه و سوى المذله ما عليك لباس

يكفيك يا وطنى خراج واحد فكان غنمك كله أخماس

شعب يئن من المصائب و الأذى و الظلم يطغى و الحقوق تداس

يدعى إلى استقبال غاصب حقه و على يديه تحمل الأقواس

نغزى و نهب فى فناء ديارنا و زعيمنا بالمضحكات يساس

فإذا أتاه قائد أو حاكم دوت الطبول و دقت الأجراس

و علت زغاريد العذارى فالحمى ملهى و آجام الأسود كناس

و قال و هو فى معتقل راشيا عند ما بلغه أن فتيات لبنان يجمعن ألبسه لمحاربى ستالينغراد:

بنات لبنان هزمتهن عاطفه و خفن من برد كانون على الروس

فرحن يجمعن أصوفا و أقمشه ينسجن للروس منها خير ملبوس

يا بنت لبنان لا خابت و لا بليت تلك الأنامل تشفى الجرح أو توسى

هلا التفت لراشيا مرفهه فى برد كانون عن إخوانك الشوس

ناموا جياعا عراه يحسدون على هناءه العيش جندا فى المتاريس

أظنه لو أراك اليوم منصفه أولى بعطف و تكريم و تقديس

و قال فى مرج الخيام:

يا مرج هذى العين و الأنهر و الزهر و الأفياء و العنبر
و موضع الخيمه كنا لها ناوى و فى (مسطاحها) نسمر
أين الأماسى عابقات الشذى و الحسن فى حافاتنا يخطر
و البلب الشادى على غصنه لا بلبل ظل و لا منبر
أين المهارى الدهم مرخى لها عنانها و الفارس الأسمر
يا لوعه الأحشاء مما أرى و يا هناء النفس ما أذكر
و قال راثيا قريبا له:

أقفر الربع فالمغانى طول و انطوى فى الثرى الحسام الصقيل
و هوى الفارس المجلى عن السرج فريع الحمى و ساد الدهول
تتهاوى المنى على جانبيه فصريعان مثخن و جديل
روع (المرج) فالعيون دموع و الأماليد همدا لا تميل
قد خلا نزله من النائل السمع فغاض الندى و حار النزيل
شرقت بالدموع عيناي لما طالعتنى آكامه و السهول
فكان الهديل فيه نواح و خريز الأنهار فيه عويل
ملعب الصافنات خلو من الخيل فما رن فى سماعى صهيل
و النوادى معطلات خوال ما بها سائل و لا مسؤل
روعتنى آثارها فترامى بين جنبى واله متبول
كم لها فى العلى أياذ سماح كم عليها من غاره إكليل
من زحام الأسود فيها زئير و من البيض فى سماها صليل
الهدى و التقى على جانبيها لهما فى فنائها ترتيله.

- ١- وادى التيم: هو المنطقه التى تقع فيها قلعه راشيا.
- ٢- هى ابنه الشاعر.
- ٣- هو الحاكم الفرنسى العام.
- ٤- المقصود برب العمامه: السيد عبد الحسين شرف الدين الذى حرض السلطات الفرنسيه على اعتقال الشاعر و سجنه.

يلتقى العز عندها و المعالى و الندى الرحب و الفناء الظليل

لم يعد فى الحمى عزاء لقلبى فاتنى الركب و الحداء الجميل

و الليالى تغيرت فالنوادى همسات بها و قال و قيل

أنا فى معشر أعيدك منهم حيرونى، بحالهم ما أقول

اعجزونا فكل صنو خصيم لأخيه و كل بيت قبيل

خففى يا حمائم الورق نوحا و استقرى فكل حال يزول

إن جفانا أبو حسيب و أغفى ذلك الطرف و الفؤاد النبيل

جمع المكرمات فى بردتیه مثلما تجمع الزهور الحقول

ما على البدر و الديار شعاع من سناه إذا طواه الأقول

ما على الورد و الروابى أريج من شذاه إذا لواه الذبول

غايه المجد أن تطل فروع للأعالى إذا توارث أصول

و قال يرثى قريبا له:

أى المصائب من زمانك أذكر يا (مرج) حياك السحاب الممطر

أرنو إلى الماضى فتكبر قيمه عندى و أنظرك الغداه فتصغر

أين الأولى كانوا بربعك معقلا فيه يلوذ الخائف المستنصر

يا مربع الآساد ما لى لا أرى شبلا يصول و لا ليوثا تزأر

تيمت ربع (المرج) أسال عنهم و بوجتتى من المدامع أسطر

و أقول فى نفسى هنا مرت بهم جرد الصوافن و الوغى تتسعر

و هنا مشى بين الصفوف (محمد) و له أكاليل الزعامه تضفر

و هنا (لإبراهيم) شيدت كعبه بفنائها المجد المؤثل يزهر

ما للبلابل فى رياضك اسكتت و مشى الغراب على رباك ينقر
و تغير الوادى فلا جناته دار النعيم و لا خيامك عبقر
أقفرت يا مهد الكماه و ما الذى أدمى الحشا إلا حماك المقفر
لف الردى بيض الوجوه سماحه الله ما يطوى الزمان و ينشر
و تطاولت كف العدا و عهدتها عن نيل ذروتك المنيعه تقصر
تخبو النجوم و غيرها يبدو و لا ألقى نجوما فى سمائك تظهر
عقمت بطون الأريحيه و العلى فمشى بساحتك الزمان الأغبر
غير الزمان و لا يهولك فتكها عن عرشه فيها ترجل قيصر
يكفيك ابناك السوابق للعلا فلکم تطلع من حماك غضنفر
ودع بقيتهم فيها هو راحل يقفوه مجدك و النهى و المفخر
قطعت به رحب الفلا سياره(1) صفت من العلياء فيه جوهر
خفاقه الأحشاء مثلى عند ما وافى بدايه المصائب مخبر
أسرعت لكن ما ظفرت بنظره ما كان أسعدنى لو أنى أظفر
فوقفت فوق لظى الهموم و مقلتى عبراتها من حسره تتحدر
متلفتا بين الديار كظامى يرد السراب و دون جدوى بصدر [يصدر]
أمشى و يقعدنى المصاب فمن رأى بالدوح طيرا جانحاه تكسر
أبقيه الأعمام أشبال العلا عذرا فمثلى فى مصابك يعذر
هذى بقيه أدمع محمومه كانت ليومك فى عيوني تذخر
سر بالأمان فما عليك غضاضه قلبى وراك و من أمامك حيدر
قلب كما فارقتك لك جامح لم يثنه صلف و لا متكبر

صور البيان الغر من أحلامه و صيان مجد أبيك مما يضم

و أنزل هناك على رحاب محمد عطف حنان مثلما تتذكر

قلب يفيض حميه و حشاشه كانت لبعذك نارها تتستر

لا تذكرن له (الخيام) و ما جرى فإذا أبيض الغاب ريع القصور

دار جنان الخلد من أطلالها و الند من نسوماتها و العنبر

ودت ملائكة السماء لو أنها في ذلك الربيع المقدس تحشر

ما رحت أستسقى الغمام لروضه من قدس تربتها يسيل الكوثر

و كان الشاعر موظفا في عمل حكومي بسيط، فكان يهدد بين وقت و آخر بنقله من مكانه إلى مكان بعيد فقال في ذلك:

نفد الصبر و طال الانتظار فمتى يصدر بالنقل القرار

و اقضت مضجعي والهه شفها البعد و أطفال صغار

كلما جن الدجى أرقني منهم نوح كما ناح الهزار

و تجارت في المآقى أدمع زجها الشوق إلى (المرج) غزار

كلما تنهل منها دمه وقعت فوق فؤادي فهي نار

أين قومي غره الدهر الأولى بهم لا بسواهم يستجار

بعدهم أحوجنى الدهر إلى جهلاء بيد العادى تدار

سجل التاريخ من أعمالهم يغضب الله و يرضى المستشار(٢)

لا تقل خيره أوطاني هم ما لشعب بيد العادى خيار

و قال:

مثلما أصبح فوق الهم أمسى و سواء بالنوى يومي و أمسى

كلما أترعت كاسى بالهنا أفرغ الدهر بكف الحزن كاسى

يا لقلب بالنوى حملنى فوق ما أحمل من هم و بؤس
حن للمرج و ما أبعدہ عن ربي المرج و عن أرباع أنس
خافق كالطير لا يمسكه شرك الصبر و لا يدري التأسى

و قال:

أنادى هزار (المرج) لو كان يسمع و أنشد عهد الأنس لو كان يرجع

و أرسل نحو المرج نظره واله فيسبقها منى فواد و مدمع

على الهريين التين ينساب ضاحكا و يكسو حوافيه من الزهر برقع

تدلت من الصفصاف فيه ذوائب فغنى سرورا و الطيور ترجع

كان الغصون الهيف ظمى لمائه تهم فيثيها النسيم فترجع

فليس بمسلىنى (جبين [جبين]) بلبل و كان يسلىنى على (المرج) ضفدع

و قال:

حكومه صبيان بلبنان تلعب و عهد أجل القوم فيه المهرب

كان جموع الشعب قطعان ماعز و هم بينهم ذئب و ضبع و ثعلب

و أيسر ما يلقي الأديب من الأذى به أن يغنى و الجواسيس تشرب

و قال فى محمد (ص):

أشرق بطالع وجهك الوضاح يا منعش الأجسام و الأرواح

لمحتك من خلف السنين عيوننا ماخوذه بسنائك اللماح

نور على الصحراء مد رواقه فأضاء رحب سبابس و بطاح

عصفت بوجه الشرك منه زعازع راضت من الإلحاد كل جماحى.

١- إشاره إلى السياره التي نقلت جثمان المرثى ليدفن فى النجف الأشرف.

٢- هو المستشار الفرنسى.

فإذا الجزيره شعله مشبويه و البید بیض ظبی و سمر رماح
و الکفر مهزوم و فی أعقابه من ثوره الإسلام لمع صفاح
یمشی علی الدنيا یدک عروشها و یبدل الإفساد بالإصلاح
تساقط التیجان عن أربابها رعبا و تسلمها بغير كفاح
یا فاتح الدنيا کتابک لم یزل یملی سماع الدهر بالأصداح
آیات إعجاز تخاذل دونها معنی عباقره و نطق فصاح
من کل شارده المعانی بضه ما الغانیات و ما کئوس الراح
شرب التقاه المؤمنون مدامها و تهالكوا فیها علی الأقداح
فالحکمه الغراء ملء شفاههم و الذکر فی الإمساء و الإصباح
وقف فلاسفه الزمان حیالها حیری و أعشاها سنا المصباح
ترکت شعوبک یا محمد دینها هدی المحافل أدمع التمساح
لا یغررنک الاحتفال فإنه نغم الهنا بمجالس الأتراح
جاءوا بمولدک العظیم هوازجا و تظاهروا بالبشر و الأفراح
و تنكبوا عما سنتت و أمعنوا بجرائم تدمی الفؤاد وقاح
لبسوا ثیاب الصالحین و لا أرى غیر المظاهر من سمات صلاح
ثوب الصلاح علی أثیم فاسق جرح بقلب الدین فوق جراح
لو کل اثم کالمدامه مسکر ما کنت أحسبني أشاهد صاحی
یتحدثون عن الإباء و کلهم عبد یباع بدرهم المجتاح
و قال:

وطن دعائمه الجماجم و الدم تتهدم الدنيا و لا یتهدم

فى كل ناحيه شهيد رابض و بكل صرح شاعر يترنم

تلتفت الأبطال و هى مروعه و الخيل تسرج للكفاح و تلجم

شاكى السلاح على البسيط و أعزل يتصارعان و حاسر و ملثم

يا من رأى تلك الحراب تحطمت و الحق لا يلوى و لا يتحطم

و قال فى بلده تبين العالميه:

مرايع الحب من أفياء (تبين) حبيت يا موطن الغر الميامين

ذكرت فيك ليوث الغاب غاضبه للحق تغلى حماسا كالبراكين

و الغيد تحضن أطفالا مروعه مثل الحمام انحنى فوق الرياحين

قل للمليحه فى الميدان جائله ما للملاح و إتعاب الميادين

و قال:

قروود على كرسى الشريعه تجلس و أقزام أقوام علينا ترأس

حكومه هذا اليوم كالأمس لم يزل يقرب فيها الخائن المتجسس

و عهد (رياض) (١) مظلم مثل غيره و أشقى من العهد القديم و أنحس

و قال يصف حال الموظف:

إذا ما أطل الشهر أبغى زواله لكى أتقاضى راتبي آخر الشهر

كانى أبيع العمر فيما أناله فيا بؤس عيش بعث من أجله عمرى

و قال فى ذكرى أحد علماء الدين:

كل يوم مصيبه للصالح فمتى نكبه الغلاظ الوقاح

٢٥٩ كاد يخلو الحمى من الأسد الغلب و من طلعه الوجوه الصباح

ما الذى يضم الزمان أ بيغى سلبنا كل قوه و سلاح

تتهادى سفينه الدين فينا فى خضم طاغ بلا ملاح
كلنا تائه عن الحق و الدين و ندعو للخير و الإصلاح
جنباء إذا الغريب غزانا و على بعضنا أسود البطاح
ماتم كل عيشنا فلما ذا خصص اليوم للبكا و النواح
لا تغرنك الموائد مدت بين قرع الطبول و الأصداح
و الزغاريد تملأ الجو عطرا من شفاه الغيد الحسان الملاح
ذا أنين الضعيف غلت يده و بكاء لموطن مستباح
و إذا كانت البلاد خرابا فشقاء مظاهر الأفراح
أقفر الربع إن نظرت إليه عدت واه الجنان دامى الجراح
بقى الشوك نابتا و تعرت قمه المجد من زهور الأقاح
و الليالى السوداء طالت علينا فمتى ينجلي جبين الصباح
كل ما ثار للحقيقه صوت اسكتوه و أمعنوا فى النباح
و قال:

و نائب وافيته قاصدا أمرا بسيطا لا أراه جليل
فازدوج الأمر بحولائه و راح يلقاه عريضا طويل
و قام خوفا من هجائى له يمشى بطيئا كالسقيم العليل
كأننى و الخوف أودى به كلفته أن يفتح (الدردنيل)
إن كان هذا بعض نوابنا فحسبنا الله و نعم الوكيل

السيد عبد الحسين الكليدار سادن الروضه الحسينيه.

ولد فى كربلاء سنه ١٢٩٩ و توفى فيها سنه ١٣٨٠ و دفن فى إحدى حجرات الصحن الحسينى الشريف.

هو ابن السيد على الكلیدار ابن السيد محمد جواد الكلیدار من أسرہ آل طعمه من آل فائز الموسويين التي استوطنت كربلاء منذ سنه ٢٤٦ [١٢٤٦].

انتقلت إليه سدانه الروضه الحسينيه سنه ١٣١٨ بعد وفاه والده.

و كان باحثا محققا يميل في طبعه إلى التتبع في بطون الكتب. و قد اشترك في كثير من المؤتمرات التي عقدت و الحركات التي أثيرت في كربلاء و بغداد أبان الثورة العراقيه سنه ١٩٢٠ م. و لم يترك البحث التاريخي و الأدبي حيث استطاع أن يصنف بعض المؤلفات المفيده و يجمع مكتبه قيمه كانت تعد من أكبر المكتبات في كربلاء سواء في مخطوطاتها أو مطبوعاتها. و لكنها احترقت في عام ١٣٣٣ أثناء الثورة التي نشبت في كربلاء في هذه السنه بين أهالي كربلاء و السلطه التركيه فيها و التي انتهت بانسحاب الأتراك من كربلاء و استيلاء الأهليين على الحكم.

له من المؤلفات: (١) تاريخ كربلاء طبع عام ١٣٤٩. أما كتبه المخطوطه فهي: (٢) حاله العرب الاجتماعيه في الجاهليه (٣) قريش في التاريخ (٤) بطون قريش (٥) تاريخ كربلاء مفصلا (٦) تاريخ آل طعمه الموسويين (٧) تاريخ كربلاء باللغه الفارسيه (٨) أديان العرب في الجاهليه (٩) معجم المدن و الأنهار التاريخيه في العراق، و ذلك بالاضافه إلى بحوث أخرى منها تاريخ المعاهد العلميه في الإسلام (١٠) نشاه الأديان السماويه (١١) ترجمه حياه أبي طالب عم النبي (ص) (١٢) تاريخ المدن المقدسه في العراق (١٣) نشاه الدوله العقيليه التي أسسها محمد بن المسيب و ملوكها (١٤) الأدباء العلويون في

ص: ٢٥٩

١- هو رياض الصلح.

و توجد جميع هذه المؤلفات و المخلفات لدى أكبر أولاد المترجم السيد عبد الصالح.

السيد عبد الرحمن الكواكبي

مرت ترجمته في المجلد الثالث، كما مر حديث عنه في المجلد الرابع، و نشر هنا دراسه عن الفكره القوميه عنده، مكتوبه بقلم الدكتور إبراهيم بيضون:

يكاد في غيابه ينجز القرن، و ما زال ملتبسا في فكره، مثيرا للجدل في أطروحته، و غامضا كذلك في موته (١) الذي لم يتعدد كثيرا نصف هذه المسافه ١٨٤٩ - ١٩٠٣، مما جعل هذا الرجل المتوتر، المتفتح باكرا على شواغل كبيره، و القادم من أسره محافظه (٢) لها في الثقافه موقع غير قليل، يتخذ دوره الطليعي بين فته مستنيره، أحدثت جلبيه على مفترق القرنين، و ما زالت أفكارها ماده غنيه للنقاش و إعادة النظر في التقويم بين الحين و الآخر، كانت ثمه كوكبه من هؤلاء المثقفين المتنورين، باعدت فيما بينها الجغرافيه، و ربما كان للدين تأثير في خلفيه الخطاب السياسي الذي بدا توفيقيا عند بعض و شبه جذري عند آخر، و لكن العقل في النتيجة كان هو الجامع المشترك، و القوه الدافعه إلى التمرد، و مناوئه الثوابت و المفاهيم المغلقه.

كان لا بد أن يحدث ذلك، و ربما أكثر منه، لو لا الدور الإسلامي الذي تصدت له دوله بنى عثمان لقرون خلت، و جعل الصلحه وثيقه بين الأخيره و بين العرب الذين فاقت حماستهم لها، (٣) ما كان من أمرهم مع أيه دوله سابقه، تولت السلطه أو انتزعتها من خلفه العباسيين، الآخذة في الانحدار منذ زمن بعيد، دون أن يكون الإسلام الديني مصدر هذه العلاقه الخاصه، بقدر ما كان للإسلام السياسي تأثيره في استمرارها لحين طويل، خصوصا في العهد الأول من الامبراطوريه، حين كان ميزان القوه راجحا لمصلحتها في الصراع مع الغرب الأوروبي. (٤)

و لعل هذه المسأله بالذات، اتخذت حيزها البارز في المعادله التي تكرست بعد هزيمه المماليك و مقتل قانصو الغروي في مرج دابق ١٥١٦ و جعلت العرب يسلمون بالأمر الواقع، بان تتول الخلافه إلى غيرهم، (٥) و لا شك أن أمرا كهذا، كان ما يزال يشكل أزمه سياسيه مفتوحه، منذ البيعه الأولى في السقيفه، ما كان يتم التساهل فيه، لو لا أن تصدى العثمانيون للدفاع عن الإسلام و أثبتوا جدارتهم في مقاومه أطماع الغرب و مهاجمته في عقر داره، (٦) ذلك الهاجس الذي ما انفك قائما في الوعي السياسي العربي منذ العمليات الصليبيه التي تفتحت معها، برغم الانكفاء، براعم المشروع الاستعماري الأوروبي للسيطره على المشرق العربي. هذا الصراع الحتمي الذي حسمته الأحداث المتتاليه في المقوله الشهيره للشاعر الانكليزي روديارد كيبلنج: "الشرق شرق و الغرب غرب"، كان الحافز الحار الذي جعل العرب يتركون زمام القياده الروحيه للسلطان، (٧) و يعترفون، ربما غير صاغرين به، خليفه للمسلمين طالما أنه يقوم بواجبه الجهادي، و يمنع اقتراب الخطر الأوروبي من أقطارهم، و فوق ذلك، كان الأتراك العثمانيون قد قلبوا المعادله فعلا، منذ سقوط القسطنطينيه (١٥٤٣) على يد السلطان محمد الثاني (الفتاح)، ذلك السقوط المدوي الذي كرس لهم الزعامه الإسلاميه، و فتح باب الصراع مجددا مع الغرب الأوروبي، و هو تكريس لم يسبق أن حدث نحو أي من الشعوب غير العرييه التي قدر لها تبوء السلطه الفعلية في دوله بنى العباس.

و من هذا المنظور، فان العلاقه بين العرب و الدوله العثمانيه في عهدها الأول، كانت تنطلق من هذه الاعترافات، و تأخذ مداها

من الاعجاب بهذا الدور العثماني، خصوصا بعد أن وصلت جيوش العثمانيين إلى أبواب فيينا مهدده أوروبا باجتياح وشيك في أيام السلطان سليمان القانوني، (٨) فلما ذال لا تكون معركة " فيينا " نموذجاً يتمهاهي مع " بواتيه "؟ إذ هزت كلتاها الباب الأوروبي بعنف، سواء من الشرق بالنسبه للأولى، أو من الغرب بالنسبه للثانيه.

هذا في الجانب السياسى الذى وجد من خلاله العرب ذاتهم، أو كثيرا منها فى انتصارات العثمانيين الأوروييه، خصوصا و أنها تحققت تحت رايه الإسلام. كما وجدوا جزءا من هذه الذات أيضا فى الجانب الحضارى، إذ كان من دوافع الأتراك العثمانيين نشر الإسلام الحضارى و الالتزام بواجباته الدينيه و رفع شعائره، (٩) مما يعنى أن العربيه، عقيدته و لغته و ثقافته، كانت حاضره فى المجتمع العثماني، و تحديدا فى العاصمه (إستانبول)، حيث أسماء السلاطين بعد أورخان عربيه و الشعارات كذلك عربيه ماخوذه من القرآن أو من الحديث، و النقود أيضا، منقوشه عليها عبارات عربيه، و المساجد الكثيره ممتلئه بالآيات القرآنيه و أسماء النبي " و أصحابه ". (١٠)

و هكذا يشعر العرب بالاطمئنان تحت حكم السلطه العثمانيه، واجدين فيها المنقذ من الأطماع الأوروييه، ذلك الدور الذى أخفقت فى تبوئه على المستوى ذاته الدوله السابقه بعد أن ظلت كيانات مهزوزه منطويه على ثغرات أعانت وحدتها الشموليه، فضلا عن الفشل فى اتخاذ مبادرات توسعيه على غرار هذه السلطه الناشئه كما شعروا، أو أنهم اعتقدوا على الأقل، أن الاحتواء الحضارى قد يحقق نوعا من الاحتواء السياسى، تتراجع فى ظله أنواع الهجانه و الرطانه، و غير ذلك مما حوته النماذج السابقه من انحطاط فكرى و سياسى. (١١)

تلك هى صورته العلاقه بين العرب و الدوله العثمانيه فى عهد القوه، فقد انخرط هؤلاء بكليتهم فى إطارها و لم تشب ولاءهم نحوها أيه شائبه،

ص: ٢٦٠

١- قيل إن السلطان عبد الحميد أرسل من وضع السم فى فنجان قهوه الكواكبي، جان دايه، الامام الكواكبي، فصل الدين عن الدوله، ص ٨٢.

٢- جورج انطونيوس، يقظه العرب، ص ١٦٩.

٣- زين زين، نشوء القوميه العربيه، ص ٢٠.

٤- محمد جميل بيهم، العرب و الأتراك، ص ٨٠.

٥- أسد رستم، آراء و أبحاث، ص ١٦-١٩.

٦- زين زين، النشوء القومى، ص ٢٢-٢٨.

٧- رشيد رضا، " لأن سوادهم الأعظم العرب مسلمون لا يكادون يشعرون بغير الجنسيه الدينيه " المنار المجلد السابع عشر، ٢٣ أيار، ١٩١٤، ص ٥٣٤، نقلا عن زين، نشوء، ص ٤٣.

٨- منيرو عادل إسماعيل، الصراع الدولى حول المشرق، ص ١٥.

٩- George S youg, Corps De Droit OHoman. P. ٢, ٤.

١٠- زين زين، نشوء القوميه العربيه، ص ٢٤.

Jean Raymond ,Rapport sur L'origine DeS wahabys..voir Le preface De Edaud. -١١

DrianLt PVII

و لكن رياح الغرب عادت تدفع أمامها رياح الشرق، و القوه المحركه هى العلم الذى تنبه له الأوروبيون فى نهضتهم نحو التجديد و الخروج من الفكر الآسن فى العصور الوسطى، بينما أشاح العثمانيون أنظارهم عنه و أغرقوا أنفسهم فى الجمود، بعد أن ظلوا لحين ركنا بارزا فى المعادله الدوليه، تلك التى أرستها مجموعه من المعاهدات، كانت فاتحتها المعاهده الشهيره بين سليمان القانونى و فرنسوا الأول ملك فرنسا (١٥٣٥)، و ما لبثت دول أوروبيه أخرى أن حظيت بمثلها، كبريطانيه (١) و هولنده و اسبانيه فضلا عن الجمهوريات الايطاليه. و إذا كانت هذه المعاهدات، لا سيما الأولى قد حققت توازنا لمصلحه دوله بنى عثمان، فى وقت كانت الجبهه الأوروبيه مفككه و منطويه على صراع حاد، فان هذه المعاهدات، ما لبثت أن تحولت مع الوقت إلى امتيازات، (٢) أخلت إلى حد كبير بالتوازن الدولى الذى لم يستطع العثمانيون تعديله فيما بعد، و أودى فى النهايه بامبراطوريتهم فى الحرب العالميه الأولى.

على أن اختلال المعادله الدوليه بدلا من أن يحدث تماسكا فى جبهه العثمانيين، انعكس أيضا على العلاقه مع العرب الذين أثار انتباههم ما كان يجرى فى أوروبا من نهضة علميه و نمو فى التيار القومى الذى كانت أخطاره واضحه على الدوله العثمانيه المتراجعه، دون أن تعبأ الأخيره بهواجس العرب، (٣) أو تحاول الإفاده من طاقتهم فى مواجهه الخطر الأوروبى و إشراكهم بالتالى فى القرارات المصيريه التى كانت تتخذها بمعزل عنهم.

و لا شك أن هذا التباعد بين العرب و العثمانيين فى ذلك الوقت، كان نابعا مع اختلال أساسى فى العلاقه بين الطرفين، إذ أن مبدأ المشاركه كان مفقودا منذ البدء، حين رأى العثمانيون فى العرب مجرد رعايا محكومهم، (٤) شان الشعوب الأخرى التى خضعت لهم، الأمر الذى عكس مراره فى نفوسهم، لا سيما و أنهم أصحاب تراث حضارى، ينهل منه العثمانيون و ليس العكس، و لعل هذه المسأله غير خاضعه لزمان ما، و ربما تجاوزت العلاقه بين العرب و العثمانيين، إلى العلاقه مع أشكال أخرى من السلطه، أو تيارات سياسيه ما طمحت كلتاهما إلى احتواء العرب، و لكن أن تكبح فى نفوسهم الشعور بأنهم أصحاب ذلك الرصيد، مما كان يؤدى دائما إلى خلل فى العلاقه بين العرب و الأنظمه المتعاقبه تحت رايه الإسلام و من ثم إلى طعن فى شرعيتها التى رأوا أنها شرعيتهم فى الأساس. و من الطبيعى أن يتمخض ذلك عن محصلات خطيره، كان فى مقدمتها انعدام الثقه بين العرب و العثمانيين و شعور كليهما بان الآخربات عبئا عليه، خصوصا من جانب العرب الذين وجدوا فى سياسه العثمانيين الأوروبيه ما يهدد وجودهم و ينعكس خطرا على أقطارهم التى تعاطت معها، دول أوروبا على أنها إقطاعيات عثمانيه.

و من هذا المنظور، ترافق الانكفاء العثمانى عن بعض الأقطار العربيه أمام الضغط الأوروبى مع عمليه إحياء الإسلام العربى - إذا جاز التعبير - مترافقا ذلك أيضا مع تصاعد الشعور بالخطر إزاء هذا الضغط المستمر. (٥) و لعل هذه المسأله شكلت بدايه الشكوك و انعدام الثقه بين العرب و العثمانيين إذ أن التوسع الأوروبى برأى "ليفين" كان يتطابق فى وعى العرب مع الصراع الأزلّى بين الغرب المسيحى و الشرق المسلم". (٦)

هذا الواقع الجديد اتخذ عده أشكال، ربما اختلف فى تقويمها أو تفاوت الاجتهاد فى تعبيراتها القوميه، و لكن توقيتها مع انكفاء دوله بنى عثمان أمام الغرب، و ازدياد أطماع الأخير فى الأقطار العربيه التابعه لها بصوره مباشره أم غير مباشره، لا ينفصل عن هذا الواقع و ما رافقه من طرح على الأقل للمسأله العربيه.

أما حركه محمد على، فالراجح بدايه أنها لم تكن تنطوى على مشروع إيديولوجى واضح، سوى أن الشعور بقوته و ما قابل

ذلك من تدهور مستمر في الدولة العثمانية قد دفعا صاحبها إلى تحدى الأخيره و بناء دوله على أنقاضها، و هو شعور أفصح عنه لمستشاره العسكرى " بوابيه " (١٨٢٥) بقوله: " إني مدرك أن إمبراطوريه بنى عثمان ماضيه قدما إلى هلاكها و أن يوما سيأتى حيث يستعصى على أمر إنقاذها، فلا مغنم لى و لا فائده فى أن أغامر بامكاناتى و وسائلى فى سبيل أمر مستحيل، و لكن ساقيم على أنقاضها مملكه واسعه، و أنا أملك كل ما يلزم لتحقيق هذه الغايه(٧) و لعل محمد على بعد انتصاره المذهل على الدوله العثمانيه و امتداد نفوذه إلى تخومها شاملا أقطار المشرق العربى، ربما أدى إلى بلوره مشروع قومى فى ذهنه، مستثمرا التناقض العربى - التركى، الآخذ فى الاتساع فى ذلك الحين: و لا شك أن محمد على أحدث هزه عميقه لدى العرب، المستسلمين حين ذاك للسلطنه العثمانيه، فى تركيزه على استغلالها لهم، و مطالبته بان يكون لهم حق المشاركه فى السلطه، و هو موقف بلغ ذروته فى القول المنسوب لابنه إبراهيم إبان حملته الشهيره، بأنه سيصل إلى حدود البلاد التى يتكلم فيها الناس و يتفاهمون باللسان العربى.(٨)

و هكذا فان حركه محمد على و جهت ضربه عنيفه للسلطنه العثمانيه، محدثه نتائجها المزدوجه على الصعيدين الأوروبى و العربى فى آن. فقد عكست حاله من الوهن لم يتوقعها الغرب بمثل هذه السرعه فى جسم السلطنه، و جعلت "الرجل المريض - و هو الاسم الذى أطلقه عليها القيصر الروسى - غير قابل للشفاء فى ذلك الحين. أما بالنسبه للعرب، فقد كان تأثيرها بالغ الأهميه مقترنا بالبدايه الفعلية لما سمي ب " النهضه العربيه "، و ما جسده تجربه محمد على من نموذج لمشروع مستقبلى بدا ممكنا خارج إطار الدوله العثمانيه، فى الوقت الذى أطل العرب من خلال هذه التجربه على الفكر الأوروبى الحديث، مما سيؤدى إلى تعميمها و انتشار حركات استقلاليه فى أعقابها، على نحو لم يعد للعثمانيين من سلطه فعلية، سوى ما كان يرتبط بجبايه الضرائب، و عدا ذلك فان ما بقى من هيبه لهذه السلطه كان يشكل فى الوقت نفسه قلقا للعرب الذين أدركوا خطوره هذا الواقع و ما يترتب على ذلك من أوضاع تطل مصيرهم و تهدده.

على أن أحدا لا يمكنه التأكيد، بان فكره الاستقلال التام، كانت واضحه حين ذاك لدى العرب و إن كانت تراودهم كالحلم أو يهمسون بها فى ٦.

ص: ٢٦١

١- منيرو عادل إسماعيل، الصراع الدولى حول المشرق العربى، ص ١٢-١٥.

٢- منيرو عادل إسماعيل، الصراع الدولى حول المشرق العربى، ص ١٥-١٦.

٣- Jean Raymond, ibid

٤- ٣٤, op.cit, p. Jean Raymond

٥- TuriquiE T.III,Note De Bouree, consul DE France A Beyrouth A Guizat , .ministre Des

AFFaireS etrangeres ,citE par MouniR Ismail, LE LibaN sur Les MutasarrifiS P.٩

٦- الفكر الاجتماعى ص ١٣٣

٧- منيرو عادل إسماعيل، الصراع الدولى حول المشرق العربى، ص ٣٤.

٨- منيرو عادل إسماعيل، الصراع الدولى حول المشرق العربى، ص ٣٦.

الخفاء، كما أن أحدا لا يجزم بان عمليه الطلاق التي أخذت تتبلور بعد ذلك كان مسئولا عنها العرب الذين ظلوا برغم هواجس الانفصال و بوادر اليقظه القوميه أوفياء لهذه الدوله أو على الأقل للرمز الذي تمثله و متشبهين بها من هذا المنظور كقوه وحيده، ينعقد عليها الأمر، و لو ضعيفا، لمواجهه الأطماع الأورويه. و قد انطلقت من هذه الحقيقه، كما أرى فكره " الجامعه الإسلاميه " التي وجد روادها أن الحل يبقى فى تقويه السلطنه العثمانيه ليس إيمانا بالمطلق بدورها الإسلامى الذى خبا إلى حد كبير، و لكن تعبيرا واقعا عن المرحله و تحدياتها الخطيره.

و لعل هذا الموقف الايجابى من جانب العرب و محاوله تكريس شرعيه السلطنه عبر الجامعه الإسلاميه التي استهوت لحين السلطان عبد الحميد(1) و وجد فيها ما يعزز نفوذ السياسى إزاء المعارضه فى الداخل، فضلا عن التصدى للأطماع الأورويه فى الخارج، قد أسهم فى تعاطف هذا السلطان مع العرب الذين وصل بعضهم لأول مره إلى مناصب عليا فى الدوله،(2) و لكن حافز السلطان لم يكن بريئا، بقدر ما كان لمشاعر القلق، سواء من المعارضه أو من الأطماع البريطانيه بالذات، تأثير أساسى فى هذا التودد للعرب و الاحتضان للجامعه الإسلاميه، و من ثم دعوه " مهندسها " جمال الدين الأفغانى إلى الآستانه.(3)

و لكن السلطان الذى كان ينزع نزوعا شديدا نحو الاستبداد، لم يكن مؤهلا لاعاده النظر فى السياسه العثمانيه بشكل جذرى، يؤدى إلى تشكيل جبهه متماسكه، يتسع المجال للعرب بدور هام فيها. ذلك أن سياسته التي حققت له الاحتفاظ وقتا طويلا بالسلطه، لم تستطع منع المعارضه فى النهايه من تثبيت أقدامها و الانقضاض على السلطه " الحديدى "، دون أن تنجو من حركتها الجامعه الإسلاميه، فضلا عن الفكره العثمانيه بمحتواها الامبراطورى، لتسود على أنقاضها الفكره الطورانيه، الداعيه إلى دوله تركيه صافيه من العناصر الأخرى، متكرسا ذلك فى المؤتمر السرى الذى عقده الاتحاديون فى ظل جو من العداء المفرط للعرب(4) و هكذا فان دعاه الجامعه الإسلاميه العرب، أو من عاصرتهم تلك الأحداث، لم يتخلوا عن مشروعهم الداعم لسلطنه بنى عثمان، و إنما القيادات المتطرفه للأخيره هى التي خرجت عن سابق تصميم منه، و أخذت فى الابتعاد عن كل ما له علاقه سياسيه أو ثقافيه بالعرب، بما فى ذلك الإسلام الذى ابتعدت عنه الطورانيه إلى حد كبير، بعد محاوله التطبيع الظاهره مع الحضاره الأورويه، و الانحراف عن تاريخ دولتها المتداخل عضويا مع الإسلام و حضاره العرب. و كان أول المتأثرين بهذه المتغيرات، الاصلاحيون العرب محدثه فى صفوفهم ارتباكا شديدا، فضلا عن المعاناه التي تجسدت فى أزميتين اثنتين، و هما: مسأله الانتماء القومى، و العلاقه الدينيه بالعثمانيين عبر الخلافه، و نتيجته لذلك، كان الافتراق عن الدوله العثمانيه أو الكثير منه، مسوغا لدى هؤلاء الاصلاحيين بان الأخيره قد تخلت عنهم و حادت عن القيم التي ناضلوا فى سبيلها، و التي كانت تصب فى مصلحتها فى المقام الأول. و إذا كان هؤلاء الاصلاحيون و معهم آخرون ليسوا بالضروره مسلمين، قد وجدوا السبيل للخلاص فى صيغ توفيقيه، تكرر القياده للعثمانيين، مع إعطاء العرب دور فاعل فى الدوله، فان ذلك كان أقصى ما يمكن لهؤلاء المجاهره به، أبان فتره كان عنوانها الاستبداد و تضيق بأبسط أشكال المعارضه و لعل وجود جمال الدين الأفغانى، و هو مفكر غير عربى، على رأس تلك الحركه الاصلاحيه، قد جعل للأخيره مضمونا توفيقيا أكثر منه جذريا، على النحو الذى ظهرت ملامحه المبكره فى جمعيه بيروت السريه و فروعها الثلاثه.(5) و لكن هذه الجمعيه، برغم ريادتها فى طرح المسأله القوميه، خالصه من أية صبغه دينيه(6) فان تأثيرها ظل محدودا و لم يتجاوز النطاق النخبوى، حيث انتشر فكرها بين طلاب الكليه البروتستنيه بوجه خاص، فى وقت كانت مصر تخطف الضوء و تستقطب حركه الإصلاح و دعائها بمن فيهم دعاه العلمانيه.

و من هذا المنظور، و عبر هذا التمهيد المسهب، نعود إلى قراءه الدور الذى شغله عبد الرحمن الكواكبي فى الحركه السياسيه

كرائد في الفكر القومي، لما يزل ملتبسا و محتاجا لمثل هذه القراءه، لوضعه في الموقع و الإطار المناسبين، و الكواكبي هو أحد هؤلاء النهضويين (الاصلاحيين) الذين واكبوا معا أو في وقت متقارب منعطفًا شديد الأهميه في التاريخ العربي الحديث، و هي ليست مصادفه أن ترهص الأحداث الكبيره على مفترق القرنين، بكوكبه من المفكرين متأثرا بعضهم بالآخر أو مكملًا له، إذ أن المرحله تتفجر أحيانا بركامها كما البر كان يندلع بعد انحباس طويل، دون أن تكون المسائل أو الأطروحات موحده بالضروره، و إنما المرحله بتحدياتها تقارب بينها و تفرض صيغا ملائمه لها.

و لقد وصفه "ليفين" بأنه مفكر سياسى مفعم بكراهيه الاستبداد،(٧) كما وصفه "انطونيوس" بأنه " كان يكره أشد الكره التعصب و الظلم،(٨) و لعل في هذا التقويم ما هو جدير كمدخل إلى عالم الكواكبي، و دراسته كمفكر قومي لم يكتب عنه في هذا المجال سوى القليل و في سياق عرضى فقط، و لسنا معنيين بالتوغل هنا فيما يتعدى هذه المسأله و سوى ماله علاقته بتكوين فكره السياسى و المؤثرات الأولى في بناء شخصيته، فقد كان مصيبا كل من المؤرخين السابقين في ما ذهبوا إليه عن كراهيته للظلم و تعاطفه مع الفقراء(٩) حيث كانت نشاته في مدينه (حلب) ربما عانت أكثر من غيرها استبداد السلطان عبد الحميد و ضغط الزمره المتصله به (أبو الهدى الهادى و أعوانه) فكان له من ذلك نصيب أودى به إلى السجن، و من ثم إلى الخروج من مدينته التى تقلد فيها عده أدوار ما بين الصحافه(١٠) و المحاماه و الوظيفه، ملتحقا بالرعبل "الشامى" الذى سبقه إلى مصر، (١١) يدفعه إليها قسط من الحريه تمتعت به على عهد الخديوى [الخديوى] عباس الثانى.(١٢)٥.

ص: ٢٦٢

- ١- سليمان موسى، الحركه العربيه، ص ٢٤.
- ٢- عبد العزيز الدورى، التكوين التاريخى للأمة العربيه، ص ١٦٤.
- ٣- الدورى، المرجع السابق، ص ١٦٤.
- ٤- عقد المؤتمر عام ١٩١١، محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، ص ١٨٥.
- ٥- فى دمشق و طرابلس و صيدا، جورج انطونيوس، يقظه العرب، ص ١٤٩-١٥٠.
- ٦- الفكر الاجتماعى، ص ١٤٩.
- ٧- المرجع نفسه، ص ١٦٠.
- ٨- يقظه العرب، ص ١٦٩.
- ٩- المرجع السابق، ص ١٦٩.
- ١٠- أصدر صحيفتى الشهباء و الاعتدال، راجع: جان دايه، صحافه الكواكبي.
- ١١- أنطونيوس، ص ١٦٩، سليمان موسى، ص ٢٢.
- ١٢- الكواكبي، طبائع الاستبداد، ص ٥.

و هكذا فان المعطى الأول فى تكوين الفكر السياسى للكواكبي تمثله مرحله المعاناه فى حلب متيحه له كشخصيه مثقفه و متفقهه فى الدين، التعرف عن كذب إلى مصادر الخلل فى الدوله العثمانيه، أما المعطى الثانى الذى أسهم فى غناء تجربته فقد عبرت عنه رحلاته إلى عدد من الأقطار الإسلاميه، حيث وجد فيها من التخلف ما صهر معاناته و زاد فى حماسه إلى متابعه طريقه النضالى الصعب، و يبقى المعطى الثالث الذى كان له تاثيره الأقوى فى نضوج هذه التجربه و ترجمتها فى صياغه فكر سياسى و اجتماعى واضح، فهو المتجسد فى رحلته إلى مصر، مواكبا حركتها الفكرية الساطعه و متأثرا برواد نهضويين كبار، ملئوها حضورا فى ذلك الحين.

و المسأله القوميه عند الكواكبي، ليست منفصله عن الحريه التى شكلت حافظه الأساسى للانخراط فى السياسه، نتيجته لما واجهه من أشكال الاستبداد، تعصف بالعرب على الخصوص و تفرقهم فى الذل و الهوان، و قد جاء كتابه "طبائع الاستبداد" محصلا لهذه الهواجس، إذ يبدو أنه سابق على كتابه الشهير الآخر (أم القرى)، خلافا لما يراه "انطونيوس" بان الطبائع هو الكتاب الأول الذى وضعه فى مصر و نشره مقالات فى صحفها.(1) و على الرغم من تمحور الكتاب حول أطروحه الاستبداد بصنوفه و انعكاساته المختلفه دون أن تكون المسأله القوميه بارزه فى عنوانه أو فى سياقه بصوره مباشره، فان الهم العربى حاضر بين ثنايا الكتاب، لا سيما فى التوجه إلى "الناشئه العربيه المباركه الأبيه المعقوده آمال الأمه بين نواصيها" (2) و ليس من الصعوبه ملاحظه هذا الهم و إن كان خجولا أو قابعا بين السطور، و إمكانيه قراءته فى عبارته "القوم" المتكرره، التى يرجح أنه يخاطب من خلالها العرب و إن كان يستخدمها بشيء من التمويه، قاصدا بها هؤلاء حينا، و حينا آخر المسلمين.(3)

و لكن القراءه المتمعنه لخطابه السياسى فى هذا الكتاب لا تدع مجالا للشك بان العرب هم من يدور فى خلدته، و أن وحدتهم هى القضيه التى يهجمس بها و أن بالكثير من الحذر على نحو ما يؤكد فى الكتاب نفسه: "يا قوم و أعنى بكم الناطقين بالضاد من غير المسلمين". (4) و الشرق عنده ليس إسلاميا بقدر ما هو عربى، برغم وصفه له بـ "الشرق الفخيم"، إذ أن هذا الأخير ما كان "فخيما" وفقا لأطروحه الكواكبي الاساسيه إلا فى ظل العرب و دولتهم الأولى التى كثيرا ما يرمز لها فى كتاباته خصوصا فى "أم القرى".

و يقتررب هذا المفهوم من الواقع، فى ما ذهب إليه من التماهى مع التجربه القوميه فى أوروبا التى بلغت أممها برأيه "المرتبه القصوى الساميه التى تليق بالانسانيه". (5) و لعل هذه المسأله تقارب الوضوح فى فكر الكواكبي الذى يعبر عنها بصوره غير مباشره و ذلك فى سياق النفى بان يكون الدين أو المذهب مما يعيق هذه الوحده أو يحول دون تنفيذها(6) مجسدا ذلك أحد الأسس الهامه للأطروحه القوميه التى ستتلور بعد الكواكبي فى الجمعيات العربيه السريه ذات المنحى القومى، مثل الجمعيه القحطانيه و العربيه الفتاه.(7)

و إذا كانت مقالاته فى الاستبداد على أنواعه قد عبرت عن رفضه للحكم المطلق و إبراز مساوئه و انعكاساته السلبيه على كافه جوانب المجتمع دون الاحاطه المباشره بالمساله العربيه و إشكاليات الصراع السياسى مع السلطنه العثمانيه، فان هذه المقالات، شكلت فى وقتها خطوه جريئه و رائده فى مواجهه السلطه المستبده و تجاوزت فى طرفها حين ذاك كل الطروحات التوفيقيه التى انتظم معظمها فى حركه "الجامعه الإسلاميه". فهو يبدو لنا خارج هذا السلوك الوسطى، أكثر جذريه فى مفاهيمه، متقدمه فيها الأمه - و هو تعبير يتكرر دائما فى مقولاته - على أى اعتبار آخر، و متجاوزة مصالحها كل المصالح الشخصيه، و الحريه فى

النتيجة هي الحل الطبيعي لمعضله الاستبداد، لأن "الإنسان الحر - برأيه - مالك لنفسه تماما و مملوك لقومه تماما، و متى يبلغ ترقى التركيب في أمه لهذه المرتبه بحيث يصير كل فرد مستعدا لأن يفتدى أمته بماله و روحه، فعندئذ تصيح الأمه في غنى عن ماله و روحه". (٨).

و يضيف هنا في السياق ذاته بان الأمه إذا لم تحسن "سياسه نفسها أذلها الله لأمه أخرى تحكمتها"، (٩) متوجا بذلك تشخيصه للخلل الذى يعيق العرب عن استعادة دورهم متحررين من الاستبداد و الحكم المطلق. و إذا كان ثمه من يرى بان الأمه التى يقصدها الكواكبي، ليست بالضروره هي الأمه العربيه، فان الإمعان فى النص، قد يضع المسأله بعيدا عن اللبس، فى أن السلطنه العثمانيه لم تكتسب هذه الصفه، خصوصا فى ذلك "الزمن القومى" الذى كانت السلطنه أول المتضررين فيه، و تحديدا من انعكاساته على القوميات الصغيره التى أخذت تتفجر فى تلك المرحله، دون أن يحول حين ذاك و تفجر القوميه الكبرى (١٠) سوى العلاقة الدينيه بين العرب و الخلافه - السلطنه، و وجوب الجهاد تحت رايتها دفعا للخطر الأوروبى.

و هكذا فان "طبائع الاستبداد" برغم المؤشرات القليله و الملتبسه فى بعض الأحيان إلى المسأله القوميه، لا نشك بان الحافز إلى كتابته فى تلك الظروف الصعبه، كان يحمل هذا الهاجس فى المضمون. و يمكن ملاحظه ذلك فى تكرار عبارته "الأمه"، و الدعوه إلى الاتحاد، و إسقاط مبدأ التمايز فى الدين و الطائفه، فضلا عن الحريره التى جاء طرحها على هذا النحو الاشكالى، ما يؤكده جذريه مشروعه السياسى الذى ربما غمره كثير من التمويه المتناسب مع المرحله، و لكنه فى النهايه كان يعبر عن هواجس تيار، و بعكس أفكارا لم تختمر، و يرى إلى حلول ليست تقاربها كثيرا الحلول التوفيقيه، المطروحه فى ذلك الحين. (١١)

و لعل المسأله القوميه بدت أكثر حضورا فى كتابه الآخر (أم القرى) الذى جاء متكاملا مع "طبائع الاستبداد" و لكن من منظور خاص يرى فيه بعضهم، بأنه التكامل الدينى و الاجتماعى فى الكتاب الأول مع السياسى فى الكتاب الثانى و قد نخالف هنا هذا الرأى فى نظرتة إلى "أم القرى" الذى ربماه.

ص: ٢٦٣

- ١- يقظه العرب، ص ١٧٠.
- ٢- طبائع الاستبداد، ص ٧.
- ٣- القوم: الجماعه من الرجال و النساء جميعا. و قوم كل رجل: شيعته و عشيرته. ابن منظور، لسان العرب ج ٢ پ ص ٥٥.
- ٤- المرجع السابق، ص ١٠٠-١٠١.
- ٥- المرجع نفسه، ص ١٠٣.
- ٦- المرجع نفسه، ص ١٠٧.
- ٧- المرجع نفسه، ص ١٠٧، أم القرى ٢٠٠ اختار النصوص و قدم لها أدونيس و خالد سعاد.
- ٨- عن الجمعيات العربيه المناهضه للأتراك راجع: - AdeL Ismail, Documents Diplomatiques Et. Consulaires T ٢١. P ٣٢-٣٦
- ٩- الطبائع، ص ١١٠.

١٠- المرجع نفسه، ص ١٢٦.

١١- القوميه العربيه.

كان أقل مباشرة في التعبير عن هواجس الكواكبي المتأثره بالاستبداد الحميدى الذى كان سببا لهجرته إلى مصر، و لكن هذا الكتاب - عدا أنه يحمل طابع المرحلة الصعبه - يطرح مشروعا ضمينا للمسأله العربيه من منظور سياسى واضح، دون أن يكون الإطار الروحى المقترح فى مشروعه للخلافه، مندرجا فى هذه الرؤيه الدينيه أو الاجتماعيه، على أنها - أى الخلافه - و إن كانت منطلقه لدى الكواكبي من دافع احيائى، فهى ليست سوى النموذج القائم على الشورى و معادله التواصل العضوى بين الدين و السياسه، و من ناحيه أخرى فان هذا الكتاب يحمل فى ثناياه دعوه صريحه إلى العرب للنهوض بالإسلام السياسى الذى تداعت صورته و فقد دوره الحضارى فى ظل الحكم العثمانى المطلق، فهم و حدهم - برأيه - القادرون على النهوض بهذا الدور عبر استعادتهم للخلافه(١) مقترنه ب " استعادته "الدين الذى" خرج... من حضانه أهله "العرب، كما ورد فى هذا الكتاب.(٢)

و الواقع أنه من الصعب جدا الحديث عن تمايز ما فى الكتابين، لا سيما فى موضوعات الإصلاح و تشعباتها المختلفه، إذ كانت معاناه الكواكبي واضحه فى دراسته لمظاهر الخلل و تصوراته للحلول على الصعيد السياسى و الاجتماعى و الدينيه. و لكن التمايز أكثر ما هو ملحوظ فى المنهج الذى جاء مباشرة فى "الطبائع" و رمزيا فى "أم القرى"، مع تجاوز فى الأخير لمشكله العلاقه مع السلطنه العثمانيه إلى محاوله وضع تصور للمشكله العربيه بصوره خاصه.

و غنى عن القول أن هذا الكتاب يتضمن مطارحات على لسان اثنين و عشرين مسلما (فاضلا)(٣) جرت فى مكه، مقتبسا عنوانه من اسم آخر لها (أم القرى) و من البديهي أن اختيار هذا المكان، حيث انعقد الاجتماع الذى شكك البعض(٤) بأنه من خيال الكاتب و اعتبره حركه سريره قائمه، لم يكن من باب المصادفه، لما تمثله مكه من أهميه فى الإسلام الأول، و فى الذاكره العربيه، تمتد زمانا إلى ما قبله، و تتجسد حضورا فى كتابه - أى القرآن - الذى حوى كثيرا من التفاصيل الاجتماعيه و الاقتصاديه عن تاريخ "البلد الأمين"، مثل الإيلاف و الحج و قریش التى نزل بلغتها (لهجتها) العربيه، و التى كان "يحسنها" (٥)المنتظمون فى الاجتماع السالف الذكر.

و إذا كان الكواكبي قد ألمح إلى الوحده العربيه فى "الطبائع" متجاوزا فى طرحه الطائفه و المذهب كما سبقت الإشارة فان اللغه شكلت عنده عاملا- بارزا فى توثيق عرى الرابطه بين المسلمين(٦) دون أن يكون من باب المصادفه أيضا أن يحسن أعضاء "جمعيته" اللغه العربيه، و هم ينتمون إلى بلدان لها لغاتها المختلفه. و فى ضوء ما تقدم، فان الكواكبي كان أحد أوائل الذين رهصت كتاباتهم بالفكر القومى، إن لم يكن أولهم بالتحديد، انطلاقا من قراءه مهدت لقواعد موضوعيه فى هذا السبيل. و قد جراه فى ذلك مفكر قومى آخر هو "نجيب غازورى" الذى طالب بانفصال العرب عن الأتراك، ملتقيا مع الكواكبي فى الدعوه إلى قيام خلافه عربيه فى الحجاز، تناط بها الشؤون الروحيه للمسلمين، و إلى إعطاء الحريه الدينيه للمسيحيين العرب.(٧) و لكن رياده الكواكبي - و هو فقيه كانت نشاته فى ظل سلطه مباشره لبنى عثمان (الشام)، أو غير مباشره لهم (مصر) خلافا للغازورى الذى نشر أفكاره فى فرنسا - تجلت، ليس فى اختراقه الحاجز الفكرى (الإسلامى) فى عهده، و لكن فى تجاوزه العهد نفسه، إلى الاحتكاك بمؤثرات غريبه، يرجح أنها وصلت عبر اطلاعه على بعض كتابات رموز النهضه الفرنسيه.(٨) و لعل هذا التأثير واضح فى كثير من مفاهيمه الخاصه بمسائل الأحياء و الوطنيه(٩) و الحريه(١٠) و الديموقراطيه(١١) و نبذ التعصب الدينى(١٢) الذى يرى فيه البعض خطأ بأنه ميل لدى الكواكبي إلى فصل الدين عن الدوله،(١٣) ذلك أن المسأله الاخيره متعارضه فى الجوهر مع الفكره الأساسيه التى بنى عليها أطروحته فى "أم القرى" الداعيه إلى إقامه خليفه قرشى، يتخذ مقره فى الحجاز، لأن الخلافه التى اقترحتها كسلطه روحيه، كانت مجرد تصور مرحلى و ليست حلا كاملا لأى من الطرفين العربى و العثمانى، أو كلاهما معا، و من

السذاجه الافتراض بان الكواكبي كان مقتنعا لخليفته المقترح بهذه السلطه التي كانت قائمه حين ذاك عبر شريف مكه، و هو قرشى أيضا، لأن الخلافه من حيث المبدأ سلطه واحده يتكامل فيها الجانب الروحي مع الجانب الزمنى (السياسى).

و لعل تردد عباره "الاكتام" و "استحسانه" على لسان الأستاذ الرئيس (المكى) فى مستهل "المؤتمر" يبعث على الاعتقاد بان طرح الفكره من هذا المنظور، كان أبعد مما يمكن الوصول إليه فى تلك الفتره الحالكة، يؤكد ذلك ما عرضه "الرئيس" من موجبات الاكتام فى السياق ذاته، و التشكيك خصوصا بمواقف "العلماء" الذين غالبا ما كانوا هدفا لنقد لاذع من جانب الكواكبي فى "أم القرى" (١٤) و إذا كان هذا "الخليفه"، بسلطته الروحيه المقترحه، ما دار فى خلد الكواكبي، فليس ثمه ما يدعو إلى تلك السريه، خصوصا و أن الكتاب نشر فى مكان لا يستوجب مثل هذا القدر منها، و بالتالى يصح التساؤل أيضا، عن جداره هذا الخليفه، الفاقد لدوره السياسى فى إعاده "وصل الرابطه الدينيه و الوحده الخلقيه" (١٥) المفقودتين، فى وقت عجز عن القيام بذلك الخليفه الفعلى (السلطان).

و من ناحيه أخرى، فان ما يلفت القارئ هو تكرار عباره "الفتور" فى عدد من صفحات الكتاب (١٦) مقترنا عند الكواكبي باليأس الذى هو برأيه سبب هذا الفتور، (١٧) دون أن يكون مجديا ذلك الحل المعلن فى "مؤتمر مكه" لمعالجه الأمراض العديده التي تم التوقف عندها، و بلغت تحت وطاتها الدوله العثمانيه حدود الياس.٦.

ص: ٢٦٤

- ١- ليفين، الحركات، ص ١٥٣.
- ٢- أم القرى، ص ١٧٥، المرجع السابق.
- ٣- المرجع نفسه، ص ١٦٤.
- ٤- جان دايه، الامام الكواكبي، ص ٨٢.
- ٥- أم القرى، ص ١٦٤، المرجع السابق.
- ٦- أم القرى، ص ١٩٣-١٩٤، المرجع السابق.
- ٧- سليمان موسى، الحركه العرييه، ص ٢٣-١٤.
- ٨- الدورى، التكوين، ص ١٦٨.
- ٩- المكان نفسه، انظر أم القرى، ص ٢١٦، المرجع السابق.
- ١٠- أم القرى، ص ١٧٦، المرجع السابق.
- ١١- المرجع نفسه، ص ١٧٤.
- ١٢- المرجع السابق، ص ٢٠٤.
- ١٣- دايه، الامام الكواكبي، ص ٥٩.
- ١٤- راجع الكتاب، ص ١٦٧. المرجع السابق.
- ١٥- المرجع نفسه، ص ١٨٠.
- ١٦- راجع على سبيل المثال الصفحات: ١٦٩، ١٧٤، ١٧٧، ١٨٠، ١٨٣، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩.

و من هذا المنظور فان ما افترضه الكواكبي بان الحل هو تسليم الشعوب الإسلاميه بالخلافه للعرب، الذين هم برأيه "انسب الأقوم" و يشكلون "الوسيله الوحيده لجمع الكلمه الدينيه... بل الكلمه الشقيه" (١) يعطيه زياده هذا الطرح المبني على قاعده القوميه، أو ما يوافق فكرتها حسب تعبير "حوراني" (٢) دون أن يتعارض ذلك مع الذى ذهب إليه "كوثراني" بان "المرجعيه النظرية: تبقى عند الكواكبي نظريه الإسلام"، (٣) فمن الطبيعى جدا أن يكون منطلقه، و هو الفقيه و صاحب تعبير "الإسلاميه"، (٤) بمضمونها القرآنى و الحديثى، من هذه القاعده أو النظرية، إلا- أن فرادته جاءت - و لا نظن بان قارئاً متمعناً فى فكره ينكر ذلك - تجلت فى أنه أول من طرح الخلافه العريبه، ليس على أساس دينى، و لكن وفقاً للنموذج الراشدى و القليل المتماهى معه فى العهد الأموى (خلافه عمر بن عبد العزيز) حين اتحدت إداره الملك و إداره الدين على نحو لم يتكرر بعده فى الإسلام. (٥)

و من الطبيعى أيضاً أن يكون للكواكبي مكان فى الحركه الداعيه إلى " النهوض بالعالم الإسلامى " التى رادها الأفغانى و انخرط فيها كبار النهضويين فى تلك الفتره. على أن هذه الحركه أمام التحديات التى عطلت دورها، لم يعد مجدداً النضال تحت لوائها مما أدى إلى تبثر أعضائها فى اتجاهين:

أحدهما، كان ما يزال مؤمناً باستمرار العرب فى إطار الدوله العثمانيه، وصولاً إلى تحقيق صيغه الاستقلال الذاتى (٦) و ثانيهما أخذ يتجه إلى الخروج نهائياً من إطارها و العمل على تأسيس دوله عريبه موحده، بعد فجيعة بالمنحى الطوراني (القومى) لهذه الدوله كما سبقت الإشارة. و من هنا تكتسب فكره الكواكبي أهميتها، بأنه كان الأكثر جرأه فى ترجمه هواجسه - و لو بصوره مقنعه - من منطلق عربى (قومى). و ليس من منطلق إسلامى كما كان مطروحاً لدى دعاه "العثمانيه" التى قامت على انقاض "الجامعه" و استمرت وقتاً فى الفتره "الاتحاديه"، فالعرب هم عماد الإسلام و مجد هذا الدين اقترن بهم، مما جعلهما متلازمين تاريخاً و وحدتهما مجسده فى الخلافه التى كانت فى قریش و حاول استعادته نموذجها الكواكلبى [الكواكبي] بعد نحو ثلاثه عشر من القرون.

كان هذا أقصى ما يمكن الإفصاح عنه فى زمن ظلامى، حين طرح الكواكبي هذه الأفكار، دون أن يجروء على مثل ذلك حتى أولئك الدين [الذين] كانوا خارج سياج الظلام، و لعل رده على الشيخ رشيد رضا يذهب بنا إلى الاعتقاد، بان صورته الخليفه التى رسمها فى وادى القرى، قد راودته فى حلب، حيث وضع على الأرجح ماده الكتاب، و هى ليست نفسها التى عبر عنها فى مصر، إذ قال - أى الكواكبي -: "فلما ذا يقدح فى و ينعى على إذا نصحت لأبناء ملتى المسلمين أن لا يعتمدوا على السلاطين فى زماننا هذا لاقامه معالم الدين، و أن يميزوا بين الدول الحاضره التى تقتصر وظيفتها على الأمور الدنيويه و الدول الغابره التى كانت وظيفتها تعم الأمور الدينيه و الدنيويه معاً، فلا ينتظروا من دولتنا الحاضره ما كان أسلافنا المسلمون يحصلون عليه". فلم يكتف هنا بالوظيفه الروحيه للخليفه، لأنها تخل بسلطه الخلافه كما كرسها الفقهاء المسلمون، و هو ما كان يدركه جيداً كل من الشيخين المتناظرين على صفحات "المقطم"، إلا أن المكان هو الذى فرض على الكواكبي، الفصل بين السلطتين، مذكراً زميله، بأنه لو قال فى "طرابلس الشام" (٧) ليس للمسلمين اليوم خليفه و لا امام لا طارته أعاصير السخط إلى أعالي الغمام ثم طوحت به صواعق الانتقام إلى لجج البحار. (٨)

و هكذا فان مجرد الدعوه إلى استعادته الخلافه للعرب و إلى موقعها القرشى بالذات، يشكل سابقه نضاليه فى الحركه العريبه،

حتى و لو لم يتم الإفصاح عن مضمونها القومي المباشر، ذلك التعبير الذى استخدمه على ما يبدو الزهراوى للمره الأولى، و هو من المتأثرين بالكواكبي إلى حد كبير،(٩)و لكن الأخير استخدم تعبير " القوم " فى سياق الإشارة إلى العرب، أو " الناطقين بالضاد"،(١٠)و تحريضهم على " الاتحاد الوطنى دون الدينى"،(١١)تماهيا مع أمم الغرب، كما استخدم عباره " الأمة " فى التخاطب مع الناشئه العربيه التى وجه إليها كتابه " الطبايع"، عاقدا عليها الآمال فى بعث " الأمة " و استنهاضها على خطى الأجداد الذى لم ينحنوا " إلا ركوعا لله".(١٢)

إن قراءه هادئه فى فكر الكواكبي، تجعلنا على يقين بأنه تجاوز الطروحات " العثمانيه " التى شكلت محور الخطاب الاصلاحى فى ذلك الوقت، منفردا بخطاب سياسى له نكهته العربيه، و إن كانت غير ظاهره تماما، فى القراءه السريعه و المسطحه لفكره، فالعرب كانوا ما يزالون بالنسبه إليه، هم الدين و التراث و القياده و العلم(١٣) و اللغه التى تشد أواصرهم، فضلا عن المستقبل المعقود لهم، بعد استفحال ما سماه ب " الفتور " و ما أدى إليه من فقدان الرابطة السياسيه و الدينيه فى الدوله " المريضه ". و قد لا يكون الكواكبي مفكرا قوميا بالمعنى المباشر أو المتداول فيما بعد، إلا أنه فى كتاباته، برغم الاستبداد و الظلاميه، طرح للعرب موقعا متميزا بين المسلمين المنضوين تحت حكم السلطنه، الأمر الذى يجعلهم مؤهلين لدور قيادى، أو بالأحرى لاستعادته هذا الدور، على أن الكواكبي أخيرا، إذا كان تراثيا يختلج " مجد " السلف العظيم فى عروقه، فان اطلاعه على الثقافه الأوروبيه، الناضحه حين ذاك بالفكر القومى، قد أغنى هذا الحافظ النضالى فى ذاته، سواء كان له مضمونه القومى الراسخ، أم أنه مجرد ارهاص بهذه الفكره... و فى كلا الوضعين يحتل الكواكبي موقعا متقدما و يتخذ زياده خاصه.

عبد الحسين ميرزا بن الميرزا محمد عسكرى

رئيس لكهنو ولد سنه ١٣٠٠ فى كربلاء (العراق) و توفى سنه ١٣٦٥ فى لكهنو(الهند).

ص: ٢٦٥

- ١- كوثرانى، السلطه و المجتمع و العمل السياسى، ص ١٥٧.
- ٢- الفكر العربى فى عصر النهضه، ص ٣٢٥.
- ٣- كوثرانى، المرجع السابق، ص ٣٢٥.
- ٤- أم القرى، ص ١٧٤.
- ٥- الدورى، المرجع السابق، ص ١٧٢.
- ٦- انطونىوس، المرجع السابق، ص ١٧١.
- ٧- دايه، المرجع السابق، ص ١٤١.
- ٨- يتحدر الشيخ رضا، كما هو معروف - من القلمون القريبه من طرابلس الشام.
- ٩- دايه، المرجع السابق، ص ١٤٠.
- ١٠- الدورى، المرجع السابق، ص ١٤٥.
- ١١- طبايع الاستبداد، ص ١٠٢.

١٢- المكان نفسه.

١٣- المرجع نفسه، ص ٩٩.

درس الأوليات فى كربلاء ثم جاء إلى لكهنو و أكمل دراسته فيها. كان خبيراً فى علم الرجال، و قد حقق رواه صحيح البخارى فى أربعة مجلدات باللغه الأردويه، و فى أواخر حياته طبع خلاصته باسم (رجال البخارى).

كان خطيباً واعظاً محققاً.

الدكتور عبد الرزاق محيى الدين ابن الشيخ أمان:

إشاره

ولد فى النجف سنه ١٣٢٦ هـ و نشأ بها على أبيه. و درس كما يدرس لمداته علوم اللغه العربيه و الأصول و الفقه. ثم اختير سنه ١٩٣٣ م عضواً فى بعثه الطلاب المرسله إلى كليه دار العلوم فى القاهره فتخرج منها و عاد إلى العراق فعين مدرسا للغه العربيه فى دار المعلمين الابتدائيه فى بغداد، و بعد عده سنوات سافر إلى مصر حيث نال شهاده الماجستير فى الأدب العربى رسالته عن أبى حيان التوحيدى و عاد مدرسا فى دار المعلمين العاليه ببغداد.

ثم نال الدكتوراه من جامعه القاهره باطروحته عن أدب المرتضى، فاستمر فى التدريس بنفس الدار. و صار بعد انقضاء العهد الملكى وزيراً لشئون الوحده فى وزاره طاهر يحيى فى فتره رئاسه عبد السلام عارف للجمهوريه.

ثم اختير لرئاسه المجمع العلمى العراقى، كما اختير عضواً فى مجمع اللغه فى القاهره.

شعره

من شعره قوله:

يا حديث النفس فى خلواتها و سميرى فى ليالى السمر

إن يوماً لم أشاهدك به لم أكن أحسبه من عمرى

و صباحاً لم أظالعك به يتساوى و الدجى فى نظرى

و طريقاً لم أصادفك به غالطت رجلاى فيه بصرى

ما دخلت الصف إلا و مشت رعشه عاقت عن المجرى دمي

أفصح الدرر فان لاحظتنى فانتى المعنى و خانت كلمى

فترانى ساكتاً من حيرتى و ترانى ناطقاً من ألمى

أ ترى أسطيع كتمان الهوى و به تنطق عينى و فمى

(كره السله) لا تلعب بها إن قلبى كره بين يديك
و اتند بالركض هذى مهجتى علقى أطرافها فى قدميك
و ترنم باناشيد الهوى فعلى النظم و اللحن عليك
أنا أستاذك فاحفظ حرمتى أو سأشكو منك يا هذا إليك
قد قطعت العمر بالعلم فما نفع العلم و لا أجدى الكتاب
إن خيرا من دروسى كلها ساعه بين نديمى و الشراب
خل عنا الدرس لا تحفل به و اغتنم عيشك فى ظل الشباب
حلم دنياك فاجهد أن ترى حلم اللذات لا حلم العذاب
هذه العطلات وافى فمتى يهدأ الفكر و يرتاح الضمير
أ ترى تسمح أن أصطاف فى روض خديك و استاف العبير
أنا فى كانون أشكوك الجوى فإلى أين و تموز المصير
إن نار الهجر لا أحملها كيف لو أضرمها لفح الهجير
طالما أشكلت درسى طمعا منك أن تسالنى عما به
و أعيد الفصل ملحونا عسى أن يطول البحث فى إعرابه
حيل يقتنع القلب بها و لئن جرت إلى إتابه
و سراب ليس يطفى غلتى طالما أكرع فى خلايه
التلاميذ على غرتهم عرفوا سرى و هل يخفى الغرام
فمن الهمس حوار صامت و من الألاحظ نجوى و كلام
و من الأطفال ضحك لاعم و من الشبان عدل و ملام
و متى قلت سلاما هتفوا و على الأستاذ و الحب سلام

و له يخاطب تلامذته - طلاب دار المعلمين الابتدائية - ببغداد في ٢٣ حزيران عام ١٩٤٣ م في حفله توزيع الشهادات عليهم:

أقيم لك المنبر الأرفع و أنصت قومك و استطلعوا
و شاءوا التي هي زاد الطريق فان أدركوا ظلما أترعوا
فأفضل ما احتقب الآئبون إلى أهلهم عظه تنفع
و أجدى على المرء من علمه تبدد قافيه تجمع
إذا كان كل لسان يقول فما كل قائله تسمع
أدر فضله الكأس في الظاعنين فان غدا سفر مزع
على الرفق يا من ركبت الطريق و بوركتها رحله تمتع
تلفت فمن حولك الذكريات شخوص و من حولها الأربع
خواطر أغفت وراء الشغاف فنبهها صائت مفزع
تثوب كما انتفض الحالمات تحرق من تحتها مضجع
تنزى على شرفات الديار و من كل نافذه تطلع
فلو أنها ملكت ساعديك لضممتك من شغف أذرع
و لو أنها وهبت ناظريك تعلمت ما يهب المدمع
فما ذا أضعت بقاع الوداع و ما ذا حفظت لمن ودعوا
فيا رب خرساء لو أفصحت أتى دون غايتها المبدع
بنى و لست أخاف العقوق إذا حذر السيف من يطبع
و هبتكم من عيونى الضياء و من ليله السهد ما يهجع
و من نهز العيش عهد الشباب بما يبتغيه و ما يمنع
أجوب مجاهل هذى الحياه و ما بى جهل بما أقطع

و أعلو الرواسى و الشاهقات و مالى فى شاهق مطمع

فيا ساسه الطفل لا أمه على غير ما تخضع

و يا قاده الجيل لا ماشيا إلى الموت يصرع أو يصرع

و يا راده الخير لم يكذبوا و يا ذاده الشر لم يدعوا

لدون كراسيكم الدانيات أرائكك تعالى فما ترفع

و دون نفوسكم الضامرات نفوس على بطنه تجشع

منحناكم الطفل ملكا يذل له ما يعز و ما يمنع

و دنيا من الغيب مرجوه يشام سناها و يستطلع

و آمال عمر قضى خيره و باقيه فى مثقل يسرع

ص: ٢٦٦

خذوا منه حقلا ثوى فى التراب متى تحسنوا زرعه تمرعوا

خذوا منه عودا طرى الإهاب على قرب أطرافه يجمع

خذوا منه لوحا لآى الكتاب أمينا على حفظ ما استودعوا

و يا من حقرت صغار الجسم أبيت صغارا بما تصنع

تضيق لدى الذرع أبعادها و تأبى المقاس فما تذرع

هى السر مختبئا فى الفؤاد فان شاع ضاق به المسمع

هى النشر محتجبا بالتراب فان ذاع طاب به المريع

هى العين يظما من حولها و باطنها السلسل المترع

خذوا الحذر من راسخ فى الطباع أبى على العصب لا ينزع

تحذر من زمن فى الأصول فما هو عن صحه يفرع

و مختبيات وراء العيون عليها و ان سفرت برقع

تدق على فطنه الألمعى و يخطئ عرفانها اللوذع

تيقظ فى هدأه الناقلين فان حذرت واشيا تهجع

كشان المريبه تغشى الرجال و تخشى السؤال و ما يتبع

و مصغين فى الصف لم ينظروا إليكم بعين و لم يسمعوا

يرون بكم دميته تعلى عليهم و عصفوره تسجع

و يبغون حلا لما ركبوا و يرجون صيدا لما أبدعوا

فهم ينشئون و هم يهدمون بكم و لديكم و لما تعوا

ألباء ما عدموا حيله و لا أعوزوا حجه تقنع

و هم يحسبون ضروب النفاق متى وجدوا الصدق لا ينقع

و قد يكذبونكم مقسمين و تشهد دعواهم الأدمع
فان خدعوا غافلا منكم تنادوا عليكم به فاخذعوا
لكل فتى منكم سيره لديهم و اقصوصه توضع
و مدح يكال و عرض ينال و نقد يلذ و قد يلذع
يروضونكم ساسه قادرين و بينكم الصعب و الطيع
و قد يجدون بكم متعه إذا عدم الطفل ما يمتع
فقد يحزنون لكى تفرحوا و قد يضحكون لكى تجزعوا
و هم يبطنون متى تبطنوا و هم يوجفون متى توضعوا
و يلقونكم بالرفيق الرفيق و خلفكم المفحش المقذع
غدا تبعثون إلى ساحه حفظتم لها خطه تتبع
و شتان ما بين سوح القتال و سوح المقال فلا تخدعوا
فقد تنكرون الذى تعلمون و تنعون جهدا لكم ضيعوا
و بعض الذى هولى زائف فكيف الذى عندكم مودع
فلا بد من رجعه للكتاب و درء الشكوك بما يدفع
و يا علم عفوك من زله نساق لها النفس أو تنزع
فقد تكذب العين فيما ترى و يختلف النطق و المسمع
و من قصد الله فى سعيه أتى النجاح يبطنى أو يسرع
و قال فى حفله أقيمت للشاعر خليل مطران فى القاهره:
سل عن الشاعر أو خذه مثالا تغن عن شعب جوابا و سؤالا
تلتقى الآفاق فى أبعاده و هو دون العين مرأى و منالا

ضلت الأبواب عن إدراكه و مضت تخبط رشدا و ضلالا

ليس تدرى أیه تنسبه أملاك حط أم جن تعالى

و بما ذا تتحامى شره و ترجى الخير منه و النوالا

فلتقم للشعر يوما جامعا و لتبالغ فيه سوما و احتفالا

و لينب عن كل قطر شاعر عرف الفضل لأهليه فقلا

يا فتى الشعر على شيخوخه عممت فوديك شيبا و القذالا

ما الثمانون و قد بلغتها أورثت روحك وهنا أو كلالا

الغوانى البيض ما زلت لها فاتنا توليك حبا و وصالا

و المعانى العصم ما زلت لها أكثر الناس اقتناصا و اعتقلا

تتحدى السرب فى شاهقه و تعاف السهل للناس مجالا

و تعاف الماء إلا موردا ظنه الظمان بعد الجهد آلا

شاعر القطرين بلغت المنى عمرا يبقى و ذكرا يتوالى

و لسانا تفخر الفصحى به ما روت بيتا و لا خطت مقالا

هل لدى قلبك من عهد الصبا خفقات تتقاضاها مطاللا

و خممار الكأس هل يعتاده بعد صحو و يمينه محالا

و هل الأشباح من ليل الكرى لم تعد تلقى على الضوء ضلالا

ربما ارحلت تحدوها عجالا و لقد أصحرت فارتدت ثقلا

قد صحبت الدهر غرا سادرا ما وقى نفسا و لا خاف ابتذالا

و حكيما تابعا فى كهفه ينشد السلم و لا يبغى القتالا

فهل الكهف حمى ساكنه سطوه الليث و قد صال وجالا

شاعر القطرين بلغت صبا و شبابا و مشيبا و اکتھالا

جئت و النهضه فينا طفله بعد لم تبلغ فطاما أو فصالا

و تباشير حياه حره شع في الوادى سناها و تلاًلاً

و رفاق عد اخوان الصفا نفروا و استنفروا الناس عجالا

كنت في القاده منهم فكره و من الساقه إذ أعيوا كلالا

تهب الفكره لا مستجديا أن يقول الناس قد أفتى و قالا

سل بيوت الفن من عمرها و أشاع الخير فيها و الجمالا

و برود الشعر من جددها و ارتدى منها قصارا و طوالا

ورد النيل سحابا فاستقى و أتى الآفاق فانهل انهلالا

كلما مر على مجد به أسمعته حمد مصر فانالا

و له يرثى الحسين بن على ملك الحجاز:

ما على الشاعر لو عز البيان سكت القلب فما يقوى اللسان

نبا هز البرايا وقعه و على السلوك تجلى الخفقان

أمل الأمه أودى و هوى بيتها الشامخ و انحط الكيان

رجل كان كألف رأيه ينظر الغيب كما شاء العيان

نظر الفرصه حانت فغدا واثبا يدعو لقد آن الأوان

جاهدى يا عرب هذى رايتى كتب النصر عليها و الأمان

جاهدى عن حرم الله فقد هزم الأتراک فيه و استهانوا

و بدا النصر له لو لم تكن خانت القوه فيه و الزمان

عاهد القوم و لكن نكتوا و وفى فى عهده الحر و خانوا

فأبى أن يدخل الأرض التي صانها السيف و أبقاها السنان

و بنى الله له بيتا بها خضع الناس لعلياه و دانوا

تلتجى الناس له خائفه و حسين ما له فيه أمان

و سل السائح ما ذا (قبرص) أين حلت و لمن ذاك المكان

غاب بعد العرب فى ليجتها و بدا عند المحاق الزبرقان

ص: ٢٦٧

حل فى عمان ضيفا بعد ما فتك الضعف به و الحدان

فقضى صبورا و لم تنقع له غله الوجد و لم يبرد جنان

أيها التاريخ لا تنس فان نسى الطرس فلا ينس السنان

يا أبا الأمه و الشيخ الذى فرض العرش له و الصولجان

لك من مجدك عرش ثابت و مكان لا يدانيه مكان

لك من نفسك سلطان أبى أن يرى التاج عليه و الهوان

و له محيا الشاعر محمد إقبال، و قد ألقاها فى حفله ذكره المقامه فى دار المفوضيه الباكستانية ببغداد:

ذكراك إقبال نحيها فتحينا كآيه الذكر نتلوها فتهدينا

أهاب بى منك روح فاستجاب له روح أبى القول فى مجبولة طينا

لم يكفهم أن هبطنا الأرض دانيه حتى هبطنا بهم من أرضنا دونا

ما كان إبليس إذ ولى بوالدهم أشد منهم إلى أبنائه هونا

نشيلهم لسماوات محلقة و يسقطون فيغى جذ أيدينا

إقبال دعنى و كيزانى و مفخرتى فليس فى الطين ما يرضيك ماعونا

هبنى لأبناء هذى الأرض اتحفهم حينا حجولا و أحيانا نياشينا

إقبال يا حارس الفصحى بفكرتها لا الضاد نطقا و لا الأسجاع تبيينا

رساله الله ما مرت على لهج إلا و أفصح منثورا و موزونا

حنت على لهجات الشرق فانبعثت أجنه ضقن بالأرحام تكويننا

تعيش فى ظلم منهن ضيقه ما السجن أحكم ايصادا و تحصينا

غشى الظلام عليها فهى حالمة بالكون خرصا و بالأرباب تخميننا

عمى تدور على عمى فان طلبت حظا من القرب ساقتمهم قرايينا

مؤلهين مخاليفا موزعه زحفا تماسيح، أو سعيًا ثعائنا

أنى اتجهت فعراف و كاهنه تستنزل الغيب محفوظا و مخزونا

ترقى السليم بعوذ من تماثمه و تبرئ الناس من نفث مصابنا

تشيع فى الفجر من حب ملائكه و تملأ الليل من رعب شياطينا

و الملك فيها لجبارين ما عرفوا لله دينا و لا للناس قانونا

شريعہ الغاب تملیها غرائزهم بالظفر جارحه و الناب مسنونا

حتى إذا قدر الإسلام مولدها بالفتح مخضًا، و بالآيات تطمينًا

هز المهود و ناغها بمعربه علويه الجرس توقيعًا و تلحينًا

يسرا كما تطعم الأفراخ آخذه بالحب زقا، و بالتغريد تلقينا

حتى إذا ما اكتست ريشًا و قادمه حطت قمارى أو شالت شواهدنا

لم ينكر البيت مهواها لجيرته و لا ناوا عنه فى الآفاق سالىنا

عرب و إن نطقوها غير معربه فالسين عند (بلال) أشبهت شينا

إقبال أى المعانى جئت أطلبه ألفتينى واجدا منها أفانينا

أتيت دينك فانثالت على دنا و جئت دنياك فاستشعرتها دينا

و الشعر حبا و تقديسا بحيث سرت نجوى الحبيين فى ورد المصلينا

و الحسن فى النفس لا فى الشىء تلحظه فلا ترى عادما للحسن مفتونا

و العشق ذاتيه تسمو بصاحبها تبقى على المثل الأعلى و تفنينا

و الموت طور انتقال فى البقاء فما شر من الموت إلا الخوف يحيينا

و ليس فى العيش غضا لا عناء به إلا التفاهه تغذونا و تضوينا

و ليس فى ألم مر سوى أمل بالعود يلفظ أنفاسا و يذكينا

و الحكم ليس جبايات موزعه فى الآل نثرا، و فى الأنصار تعيينا
إقبال دينك ما يقضى بشارده لو أن شعبا و فى حقا بما دينا
جاهدت فى الله عن أهلى و عن وطنى فى حين سيموا به خسفا و توهينا
و حين زعزعت الشذاذ طارئه حصونهم و أحالتها مياديننا
(لو كنت من مازن لم تستبح إبلى بنو اللقيطه) من أبناء صهيونا
(لكن قومى و إن كانوا ذوى عدد ليسوا من الشر) إلا مبتغى فينا
سبع مفتحه الأبواب تحسبها جنات عدن خوت عارين طاوينا
طفت الجزيره من حب لأهلها و ساح غيرك يبغى سوق دارينا
غنيتها فتنادت أى ساجعه و أى سامر وعى فى نواديننا
إنا عهدنا سيوف الهند مطربه وقعا فلم وقع هذا السيف يشجينا
ذكرتنا ما نسينا من شمائلنا و ما أضعناه من مجد بأيدينا
إنا دفنا أمانينا فهل رجعت لها الحياه و هل عدنا لماضينا
صحراء يا مشرق الأنوار ما برحت نجوم أفقك تهدى الناس ساريننا
لله سرى كم أبديت من قمر و كم تسرين من نجم و تخفيننا
الوحى فى أفقك الصاحى سراج هدى و الزيت يشرق فى الأعماق مدفوننا
لو قد ملكنا أشعنا النور ثانيه و طبقت سائر الدنيا دراريننا

السيد عبد الرزاق الحلوانى

إشاره

و ينتهى نسبه إلى الامام موسى بن جعفر (ع) ولد سنة ١٢٧٥ فى النجف و توفى فيها سنة ١٣٣٧.

أسرته

هى أسرہ علویہ من الأسر العلمیہ الشہیرہ فی النجف الأشرف ینتہی نسبہم إلی الامام موسی بن جعفر (ع)، یربو عدد بیوتہم الآن علی ۸۰۰ بیت فی النجف و فی أنحاء العراق ینتسبون إلی أب واحد و هو السید عبد اللہ بن محمد - حماد - و منه تفرعت هذه الأسر الکریمہ حیث أنه أعقب ثلاثہ أولاد و هم: السید فرج اللہ و منه تحدرت أسرہ آل الحلو، و السید نعمہ اللہ و منه تحدرت أسرہ آل الجزائری، و السید نجم الدین و منه تحدرت أسرہ آل نجم الدین أو النواجی..

و قد صاہرت أسرہ آل الحلو و تزوجت من عدہ قبائل عربیہ و بیوتات شریفہ کالساده آل الحبوبی و آل الکیشوان و آل المظفر و آل القزوینی و آل (أبی جامع - محیی الدین) و آل الطریحی و آل الأنصاری و آل میر عثمان و غیرہم.

و کان نزوح أجداد هذه الأسرہ إلی العراق قديما جدا و لم یعلم سببہ و لا تاریخہ و قد جاءوا من الطائف كما یرى ذلك السید شهاب الدین المرعشی النجفی النسابة المعروف المتوفى عام ۱۴۱۱ هـ و سکنوا أول الأمر بطائح البصرہ و منطقہ الجزائر - الجبایش - و ناحیہ المدینہ و لهم هناك نخل كثير و أراضي زراعیہ واسعة تقع علی نهر الصباغیہ و سبع.

و کان أجداد هذه الأسرہ القدماء یحملون لقب الجزائری و أول من لقب بلقب الحلو أحد أجداد الأسرہ و هو السید سلمان الأول ثم لقب جميع أفراد الأسرہ بهذا اللقب.

قرأ مقدمات العلوم في النجف على بعض الأفاضل و اتصل في أوائل أمره بالسيد مهدي القزويني المتوفى ١٣٠٠ و السيد حسين بحر العلوم المتوفى ١٣٠٦ ثم حضر على الشيخ محمد كاظم الخراساني و الميرزا حسين الخليلي و الشيخ محمد طه نجف و الميرزا حبيب الله الرشتي و قد أجازته الشيخ محمد حسن المامقاني و كان قد لازمه طويلا و بعد وفاه المامقاني في ٢٨ محرم الحرام ١٣٢٣ هـ في النجف رجع إليه في التقليد أهالي الجزائر و القرنه و بني أسد و سوق الشيوخ و غيرهم و أقام الجماعه في الصحن الحيدري.

و بالرغم من انشغاله بالبحث و التدريس و حضوره معارك الجهاد ضد الإنكليز عام ١٣٣٣ هـ كما سيأتي فقد ألف بعض الكتب منها:

١ - جامع الأحكام في الفقه في عشرين مجلدا.

٢ - الرساله الرضاعيه المبسوطه.

٤ - منيه العاملين و بغيه الراغبين: " و هو فقه فتاوى في العبادات إلى آخر الخمس في مجلد ضخم.

٥ - تفسير القرآن: و بقيت هذه الكتب مخطوطه لم تطبع.

و من أبرز مراحل حياته المرحله الجهاديه التي كانت في الشطر الأخير من حياته و قد تمثلت في عده مواقف مشرفه وقفها مع جمهره من الفقهاء و العلماء الأعلام ذودا عن الإسلام و دفاعا عن بلاد المسلمين و قد بدأت إرهاصات حركه الجهاد المعروفه حينما دخلت الدوله العثمانيه الحرب العالميه الأولى و حينما تعرض العراق للغزو و الاحتلال من قبل قوات الاحتلال البريطاني عام ١٩١٤ - ١٣٣٣ هـ و قد استنجدت الدوله العثمانيه بالمرجعيه الدينيه في النجف و كتب أهل البصره كتباً إلى العلماء يستنهضونهم بها فافتى العلماء بالجهاد و تصدروا بأنفسهم كتائب المجاهدين و خرجوا لخوض المعارك من النجف الأشرف و كربلاء و الكاظميه. و معهم زعماء العشائر و رؤساء القبائل و التجار و كثير من أبناء العراق و كان السيد عبد الرزاق الحلو من أبرز العلماء الذين جاهدوا بالقول و العمل من اليوم الأول و قد تجلى ذلك في مواقف أبرزها:

يقول الشيخ محمد رضا الشيببي في مذكراته: في يوم الغدير و هو يوم الخميس ١٨ ذى الحجه سنه ١٣٣٣ هـ قصد المندوبون العثمانيون و معهم متصرف كربلاء حمزه بك دار السيد كاظم اليزدي عصرا و كان المتصرف قد خلا به صباحا عده ساعات و طلبوا من السيد الخروج و تقلد قياده العشائر و كان قد ورد هذا اليوم بقرية من القائد العام نور الدين باشا إلى اليزدي فيها أنهم ينتظرون قدوم السيد لإعلان الجهاد و تجمعهم الناس في الصحن عصرا و حضر ألوف من الطلبة و التجار و الأعيان و الزوار و تقدم خازن المشهد العلوي بإخراج لواء تاريخي ثمين من الخزانة مكتوب عليه الشهاداتان ثم حضر السيد اليزدي و السواد متعطش إلى ما يقول و جلس على المرقاه الأولى من المنبر فرقى المنبر الشيخ محمد شريف الذاكر المعروف و بلغ الناس عن السيد الحاضر تأكيد و جوب الدفاع و لزوم التعاضد و اجتماع الكلمه و كون المدافعين يدا واحده و ختم بالدعاء ثم رقى المنبر السيد عبد الرزاق الحلو و تكلم في شبه ذلك و استنهض الناس.

و قال عبد العزيز القصاب فى مذكراته، و كان يوم ذاك قائم مقام السماوه و هى المذكرات المطبوعه فى بيروت سنه ١٩٦٢ م (ص ١٠٨-١١٢): إن السيد عبد الرزاق الحلو كان أول المجتهدين الذين وصلوا إلى السماوه فى طريقه إلى ساحه الحرب و كان معه تسعه من أتباعه فنصب خيامه على الشاطئ الشرقى من النهر و بعد يومين من وصوله و رددته برقيه من الوالى جاويد باشا الذى كان فى البصره يقول فيها ما نصه: أتوسل إليك برسول الله و آل البيت و فاطمه الزهراء أن تسرعوا فى المجيء إلى حيث أن البصره مهدده و نحن فى ضيق شديد فلما قرأ السيد البرقيه هتف قائلاً: "الله أكبر الله أكبر سمعنا و أطعنا" و نادى أصحابه فأمرهم بتقويض الخيام و وضعها فى السفن حالاً. يقول القصاب: أنه نصح السيد بالترىث فى الرحيل لشده الريح غير أن السيد أصر على الرحيل و قال: يا ولدى لقد وجبت على الحرکه بناء على الخطاب الوارد لى و أن تأخرى يعد عصيانا ثم توجه نحو أصحابه قائلاً: أسرعوا يا أولادى. و بعد مغادره السيد عبد الرزاق السماوه بعشره أيام تقريباً أخذت تتوافد إلى البلده قوافل المجاهدين.

و فى سنه ١٣٣٤ هـ شارك فى نهضة العلماء الثانيه فى معرکه سلمان باک الشهيره التى انتهت بدحر قوات الاحتلال البريطانى و تراجعها إلى وسط العراق و قد تحدث عن ذلك الشيخ محمد رضا الشيبى المتوفى ١٩٦٥ م فى مذكراته حيث يقول: فى يوم الجمعة ١١ محرم الحرام سنه ١٣٣٤ هـ حينما نسل الناس من الساعه السابعه إلى المشهد العلوى و قد أذيعت فى النجف حرکه العلماء و الطلاب و جلس المتصرف محمد حمزه بك و قد توارد العلماء و الأعيان و أبناء المجتهدين و الطلاب ثم جاءت جموع أحياء البلده الأربعه شاكى السلاح ناشرى الألويه و مروا يهزجون و ينشدون الأناشيد مده و قد تقدم العلماء و الطلاب إلى داخل المشهد حيث الضريح المقدس و كان اللواء العلوى الخاص منشورا على الضريح و قد تناوله أحد السدنه و ناوله خازن المشهد السيد محمد حسن و حف به العلماء و أبناء المجتهدين فى داخل دائره تقريباً و بعد الأذيعه أخرجوا اللواء حافين به مهللين مكبرين و أخذت لهم صورته و قد احتشد هناك خلق كثير ثم مروا بالعلم يحمله الخازن حافه به السدنه من السوق الكبير إلى الخارج بين التهليل و الأناشيد و دوى الرصاص و قد أعدت شركه الخط الحديدية للقوم عدده مركبات فركبوا إلى الكوفه و هم من الساده العلماء السيد على التبريزى الداماد و شيخ الشريعه الأصفهانى و السيد مصطفى الكاشانى و الشيخ باقر القمى و الشيخ محمد حسين القمشه إى و السيد عبد الرزاق الحلو و من الأعلام و أولاد المجتهدين الشيخ جواد آل صاحب الجواهر و السيد محمد على الطباطبائى و الميرزا مهدى نجل الآخوند الخراسانى و الشيخ إسحاق نجل الميرزا حبيب الله الجيلانى الرشتى و الشيخ عبد الحسين آل صاحب الجواهر و الشيخ عبد الرضا آل الشيخ راضى و السيد محمد على الشهرستانى و الشيخ عبد الكريم الجزائرى و الشيخ محمد حسين الجعفرى آل كاشف الغطاء و السيد على نجل السيد محمد سعيد الجبوى و غير هؤلاء من المعدودين من أفاضل طلاب الفرس و العرب و توجهوا إلى الكفل ثم إلى طويريج و هناك خطب السيد محمد بن السيد اليزدى و بلغ عن تأكيد و جوب الدفاع و استنهض الحاضرين قائلاً: (أدعوكم فنادونى لييك) فنودى (لييك لييك) و كان لخطبته أثر بليغ و فى عصر ٥ محرم الحرام ١٣٣٤ هـ ورد طويريج عن طريق البر سعد الحاج راضى و أولاده و جماعه من الشمرت ثم توجهوا إلى السده ثم وصلوا إلى المسيب ١٧ محرم و فى يوم الجمعة ١٨ محرم نودى فى المسيب بالحضور للدعاء فأقفلت الأسواق عصراً و فرش للناس على شاطئ الفرات فى العده الشرقيه قرب مخيم المجاهدين و حضر المجتهدون و أولاد العلماء بالعلم و احتشد الناس.

الشيخ عبد المحسن بن محمد آل نصر

ولد في سيهات بالقطيف سنة ١٣٣٤ و توفي سنة ١٤١١.

كان خطيبا حسينيا و شاعرا أدبيا تتلمذ على الشيخ حسين القديحي و الملا على السالم السيهاتي و الملا يحيى بن خليفه و له ديوان مطبوع بعنوان (لوعه الحزين).

من شعره قصيده في عيد الغدير جاء في مستهلها:

صرخه رن في القلوب صداها أيها الناس فأنصتوا لنداها

و اسمعوا في الفضاء صوتا بدوى دعوه الحق فاز من لبها

يا رجال الإسلام هبوا سراعا و استضيئوا بشمسها و ضحاها

و انهلوا من غديره العذب نهلا يجد الظامئون ري صداها

و احضروا يومه الذى شع نورا تبصر النفس رشداه من عماها

و اسمعوا واعظ الرساله يتلو آيه النص جل من أوحاها

الميرزا عبد الوهاب خان الشيرازى:

الميرزا عبد الوهاب خان الشيرازى الملقب بألقاب "نائب الوزاره" و "نصير الدوله" و "آصف الدوله" من رجال الدوله و من أهل الثقافه و الأدب فى عهد "ناصر الدين شاه" و له مؤلفات لا تزال مخطوطه لم تطبع.

شغل جده "بدرخان" الشيرازى منصب "رئيس دار السلاح" فى شيراز فى عهد الأفشاريين، و ظل فيه فى عهد الزنديين و القاجاريين. و بعد وفاته شغله أبناؤه فى شيراز و أصفهان و طهران. و منهم "محمد جعفر خان" أصغر أبنائه و أبو المترجم له "الميرزا عبد الوهاب خان".

ولد "الميرزا عبد الوهاب خان" سنة ١٢٤٢ هـ فى شيراز و شرع بالدرس من طفولته. و كان ذكيا قوى الحافظه. فبرع بسرعه فى تحصيل علوم اللغه العربيه و اللغه الفارسيه و آدابها. و نظم الشعر. و اشتهر اسمه فى شيراز بين العامه و الخاصه. و اتخذ اسم "يزداني" اسما مستعارا لشعره.

فى سنة ١٢٦٦ هـ استدعى عمه "محمد حسين خان" من شيراز إلى طهران و عهد إليه برئاسه دار السلاح فيها. فصحبه ابن أخيه هذا إليها و تابع الدرس فيها حتى أتم تحصيله. و كان مواطنه الشاعر المعروف "حبيب قآنى" الشيرازى فى حاشيه "على قلى ميرزا اعتضاد الدوله" وزير العلوم. و هو ابن "فتح على شاه" القاجارى. و كان هذا الأمير من أهل الفضل و المعرفه محبا للشعر

يرعى الأدباء. فأوصل "حبيب قآنى" مواطنه "الميرزا عبد الوهاب خان" إلى الأمير الوزير و أصبح من حاشيته و بمرور الوقت أصبح من المقربين إليه.

و فى سنة ١٢٤٨ هـ عهد إليه الصدر الأعظم "الميرزا آقا خان نورى" (١) بتعليم ابنه الثانى "الميرزا داود خان" وزير العسكر. (٢) و كان هذا التعيين الأساس الذى قامت عليه ترقيات "الميرزا عبد الوهاب خان"، و فى ذلك التاريخ بدأ تدرجه فى المناصب العاليه و انتهى فى سنة ١٣٠٣ هـ. و فى أثناء اتصاله بحاشيه الصدر الأعظم و قيامه بتعليم ابنه تعرف على "الميرزا سعيد خان الأنصارى"، و هو أديب فاضل، كان قد حصل حديثا على لقب "مؤتمن الملك" و منصب وزير الخارجيه. و أهله معلوماته و مواهبه عند الوزير لإدخاله فى جهاز وزاره الخارجيه. فلم يلبث أن بلغ فيها درجه عاليه حتى حصل فى سنة ١٢٧٣ هـ على مرتبه النائب الثانى للوزير و حصل فى سنة ١٢٧٤ هـ على منصب نائب الوزير. و بمقتضى هذا المنصب أصبح معاونا للوزير.

و فى سنة ١٢٧٧ هـ عين "ناصر الدين شاه" ابنه "مظفر الدين ميرزا"، و هو فى الثامنه من عمره، واليا على آذربيجان و عين "فتح على خان" صاحب الديوان الشيرازى وزيرا له و أرسله معه إلى آذربيجان و أرسل معه أيضا "عزيز خان" مكرى قائد الجيش العام و جعلهما راعيين له.

و كانت القضايا المتعلقة بالأجانب فى آذربيجان قد اقتضت اهتماما خاصا من الدوله، فاقترح وزير الخارجيه "الميرزا سعيد خان" على الشاه إرسال "الميرزا عبد الوهاب خان" إلى آذربيجان و توليته أمر النظر فى شئون الأجانب و تنظيمها مع احتفاظه بمنصب نيابه وزير الخارجيه. فأرسله الشاه إلى تبريز لهذه الغايه و ظل فى هذا العمل ثمانى سنوات. فقام بهذه المهمه كما ينبغى. و لكنه لم يغفل أيضا عن تدبير شئونه الخاصه فاقتنى أحسن الأملاك و هيا لنفسه موارد ماليه وافره، حتى قيل إن دخله فى هذه المده تجاوز المائه ألف تومان.

و هو مبلغ ضخم بالقياس إلى أوضاع ذلك الوقت.

و فى سنة ١٢٨٦ هـ عزل "ناصر الدين شاه" خاله "أمير أصلان خان" الملقب ب "مجد الدوله" عن حكومه "جيلان" بسبب إهماله و سوء سلوك موظفيه و تعديهم على الناس. و عهد باده الامور فى حكومه "جيلان" إلى وزير الخارجيه "الميرزا سعيد خان مؤتمن الملك" مع ما فى عهده من مهام وزاره الخارجيه. و كان "الميرزا عبد الوهاب خان" قد استطاع فى أثناء تلك السنوات التى قضاها فى خدمه الوزير تمكين مكانته عنده و جعل من نفسه نصيرا مؤيدا له. فأرسله إلى "رشت" و كيلا مفوضا عنه حاكما على ولايه "جيلان" و أنعم عليه الشاه بلقب "نصير الدوله" فى سنة ١٢٨٨ هـ. و فى أثناء ولايته هذه اقتنى أيضا قدرا من أحسن الأملاك.

و فى تلك السنه (١٢٨٨ هـ) عين "الحاج الميرزا حسين خان مشير الدوله" صدرا أعظم. فاستحسن "الميرزا عبد الوهاب خان" أن ينقطع عن ولى نعمته السابق "الميرزا سعيد خان" و يتصل بالصدر الأعظم الجديد "مشير الدوله". فلم يلبث أن جعله "مشير الدوله" موضع سره، ثم عينه رئيسا لاداره الجمارك العامه. و هى وظيفه وافره الدخل عظيمه المنفعه و لم تكن أمورها تضبط بحساب و لا سجلات.

و عاد "ناصر الدين شاه" فى سنه ١٢٩٠ هـ من سفره الأول إلى أوروبا. فلما بلغ الحدود الإيرانية بادر فوراً إلى عزل "الحاج ميرزا حسين خان مشير الدوله" من منصب الصداره العظمى و أوقفه فى "رشت". و لما وصل الشاه إلى طهران قام بتغييرات و تشكيلات جديده فى جهاز الدوله.

و كان من ذلك تعيين "نصير الدوله الميرزا عبد الوهاب خان" وزيراً للتجاره و عضواً فى مجلس شورى الدوله. و هيات له وزاره التجاره مصدراً آخر للثروه من الضرائب و الرسوم التى كانت تؤخذ من التجار فى إجراء معاملاتهم، فأضاف إلى ثروته مبالغ أخرى كبيره. و تولى "نصير الدوله" هذا وزاره

ص: ٢٧٠

-
- ١- عين صدراً أعظم بمساعى السفير الانكليزى "السير بوسطن شل" خلفاً لرجل إيران العظيم "الميرزا تقى خان" الملقب بلقب "أمير كبير" الذى قتله "ناصر الدين شاه".
 - ٢- كان "الميرزا داود خان" يومئذ فى نحو العاشره من عمره. و حين بلغ الخامسة عشره أصبح وزير العسكر و شخص المملكه الثالث بما هو ابن الصدر الأعظم.

التجاره مرتين، الأولى سنه ١٢٩٠ هـ و الثانيه فى سنه ١٢٩٩ هـ و ظل فيها إلى سنه ١٣٠١ هـ إذ عين واليا على خراسان و متوليا للآستانه الرضويه و حصل على لقب "آصف الدوله".

و لم يلبث "مشير الدوله" الصدر الأعظم المعزول أن أعيد إلى العمل فعين وزيرا للخارجيه فى مكان "الميرزا سعيد خان مؤتمن الملك" ثم عين وزيرا للحربيه. و كان "الميرزا عبد الوهاب خان" لا- ينفك يتقرب إليه و يتملقه من أيام صدارته إلى أيام وزارته، حتى أصبح عنده بمنزله المستشار المسموع الكلمه يوم صار وزيرا للخارجيه. و لكن "الميرزا عبد الوهاب خان نصير الدوله" لم يلبث أن انقلب عليه و انضم إلى مخالفيه و صار من أشدهم خلافا له بمجرد أن أحس بان دولته مقبله على الزوال و أن من الممكن أن يخرج من ميدان السياسه. و قد أخرج بالفعل فعزل من وزاره الحربيه و عين حاكما على قزوین. و تنكر له "الميرزا عبد الوهاب خان" مع أنه إنما وصل إلى ما وصل إليه من سلطه و ثروه بفضلہ.

و بعض المعاصرين ل "الميرزا عبد الوهاب خان" وصفه بأنه كان ثرثارا وقحا و أنه أمى لا ثقافه له يعتد بها، و أنه مغمور الأصل و النسب و أمثال هذا. و وصفه آخرون بأنه شديد الذكاء موهوب قوى الحافظه كاتب أديب فيه دعايه مليحه مدبر ألمعى بعيد الهمه فى العمل.

و روى معاصرو "الميرزا عبد الوهاب خان" عنه هذه النكته:

كان "نصير الدوله" يوما راكبا يقصد مكانا و أمامه و خلفه كثير من الخدم يسيرون فى ركابه سيرا عسكريا صفا اثنين اثنين. فاعترض طريقه حمار يسوق قطيعا كبيرا من الحمير، و عاقه عن متابعه السير، و لم يفسح له مكانا فى الطريق ليتقدم. فصاح به "نصير الدوله": ويلك! أ رجل واحد و هذا القدر الكبير من الحمير! فأجابه الحمار على الفور، و هو يشير إليه: أ حمار واحد و هذا القدر الكبير من الرجال! فسر "نصير الدوله" من جوابه و ضحك و أمر رجاله أن يتركوه و شانہ لا يتعرضون له.

و دامت ولايه "الميرزا عبد الوهاب خان نصير الدوله" على خراسان سنه و تسعه أشهر، من سنه ١٣٠١ هـ إلى سنه ١٣٠٣ هـ، ارتكب فيها أنواعا من الظلم و الاستبداد حتى ضج الناس و ضاقوا به، و ثار أهالى مشهد عليه، و كان مبدأ الثوره أنه أراد إجبار أحد الخانات على أن يبيعه أملا-كه فرفض و آجرها خانا من رؤساء القبائل. ثم لجأ إلى صحن مقام الامام الرضا ع فتحصن به خوفا من الحاكم "آصف الدوله". فأمر هذا بإخراجه من الصحن فاخرج. و هاج الناس إذ رأوا فى هذا العمل هتكا لحرمة الامام. و دفعهم الفقهاء و خصوم الحاكم إلى الاضراب فأغلقت الأسواق و الحوانيت و حاصر الناس منزله فى القلعه و قطعوا أسلاك البرق.

فأمر "آصف الدوله" الجند و المدفيعين بضرب المحاصرين بالرصاص و القنابل لتفريقهم. و لكنهم رفضوا إطاعه أمره. و تفاقم أمر الثوره فى خراسان حتى اضطر الشاه إلى عزله و نصب حاكم آخر فى مكانه فسكنت الفتنة.

و عاد "آصف الدوله" إلى طهران و قد بدت عليه مظاهر الجنون.

و اجتمع ب "ناصر الدين شاه". فلما انصرف من حضرته قال الشاه: لقد جن آصف الدوله! و نقلت عن جنونه حكايات. منها أنه ركب مره عربته الخاصه. فلما سارت العربه أخذ يشتم السائق بصوت عال قائلا: لما ذا تستدبرنى و أنت تسوق العربه؟! و منها أنه

كان يأمر خدمه باناره الفوانيس و السير بها أمامه حين يخرج نهارا من بيته.

و توفي "الميرزا عبد الوهاب خان" الشيرازى بالسكته بعد رجوعه من خراسان بعام واحد فى الرابع من جمادى الأولى سنه ١٣٠٤ هـ. و أمر الشاه الصدر الأعظم "الميرزا على أصغر خان أمين السلطان" فختم على خزانه حوائجه الخاصه و منعوا إخراج شىء منها حتى إنهم منعوا إخراج كفته، و كان فيها. ثم سمحوا بإخراجه بتوسط إخوه زوجته، و هى بنت عم ناصر الدين شاه، ثم عاودوا ختم الخزانه.

و حمل "أمين السلطان" جعبه جواهر "آصف الدوله" إلى "ناصر الدين شاه"، و أخذ من ورثته مبلغ خمسين ألف تومان. و كان من عادته "ناصر الدين شاه" أن يفرض على ورثه من يتوفى من الأعيان و المتمولين أداء مبلغ من تركته إليه. ففرض على ورثه "آصف الدوله" أداء مائه ألف تومان فأدوها. و لكن ذلك لم يضرهم بشىء إذ كان "آصف الدوله" قد بلغ من الاثراء بحيث لا تتأثر ثروته بنقص مثل هذا المبلغ منها.

الشيخ أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن أحمد بن الحسين البيهقى

كان حيا سنه ٥١٨هـ.

من علماء الشيعة و مشاهير المحدثين فى القرن السادس للهجره و من مشايخ الشيخ أبى على الفضل الطبرسى المتوفى سنه ٥٤٨، و يروى عنه فى تفسيره مجمع البيان أثناء تفسير سوره طه و روايته عنه فى سنه ٥١٨. ذكره صاحب رياض العلماء قال: الشيخ أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن أحمد بن الحسين البيهقى.

فاضل عالم محدث معروف من كبار علماء الاماميه يروى عنه الشيخ أبو على الطبرسى على ما يظهر من تفسير سوره طه فى مجمع البيان كما قد مر فى ترجمه جده أحمد بن الحسين و انه يروى عن هذا الحافظ سنه ثمان عشر و خمسمائه و ذكره شيخنا فى طبقات أعلام الشيعة. (١)

السيد عدنان الغريفى ابن السيد شبر ابن السيد على ابن السيد محمد المشكل ابن السيد على ابن السيد أحمد المقدس

إشاره

(المعروف عند الناس بالحمزه الشرقى المدفون شرقى مدينه الديريانيه فى العراق) ابن السيد هاشم ابن السيد علوى ابن السيد حسين المنتهى نسبه إلى الامام موسى الكاظم ابن الامام جعفر الصادق ابن الامام محمد الباقر ابن الامام زين العابدين ابن الامام الحسين الشهيد الامام على بن أبى طالب (ع):

مرت ترجمته فى مكانها من (الأعيان) و نعيدها هنا ببعض التفاصيل:

ولد سنه ١٢٨٣ فى مدينه المحمره إحدى مدن خوزستان و توفي سنه ١٣٤٠ فى مدينه الكاظميه أثر مرض عضال أصيب به فانتقل إليها للعلاج فتوفى فيها، و نقل جثمانه إلى النجف الأشرف و دفن هناك.

الغريفى: نسبه إلى (الغريفه) بالتصغير: قريه من قرى البحرين.

كان فقيها أصوليا نسابه شاعرا، متميزا فى الحفظ و سرعه البديهه نشا

ص: ٢٧١

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

فى المحمره و قد توفى عنه والده سنه ١٢٨٨ و هو فى حدود الخامسه من عمره فتكفله خاله السيد سلمان و ربه والدته. و فى مدينه المحمره تعلم القراءه و الكتابه ثم مضى إلى النجف الأشرف و هو فى سن الرابعه عشره. و قد حضر فى السطوح على جملة من الفضلاء منهم ابن عمه السيد على بن السيد محمد الغريفى (المتوفى سنه ١٣٠٢ هـ) و فى درس الخارج على الميرزا حبيب الله الرشتى و الشيخ محمد طه نجف و اختص بالأخير و لازمه فكان تلميذه المقرب و مساعده الأذنى، ثم هبط سامراء و حضر هناك على السيد الشيرازى و قد أجزى من هؤلاء الثلاثة.

و فى سنه ١٣١١ هـ عاد إلى مدينه المحمره و حل بها مرجعا دينيا لا تأخذه فى الله لومه لائم و لذا اصطدم بالشيخ خزعل أمير المحمره آنذاك و قد تمكن السيد عدنان من تشكيل جبهه معارضه مكونه من بعض رجال الدين أمثال الشيخ على البهبهانى و السيد حسين الجزائرى و من بعض شيوخ العشائر أمثال الشيخ جابر بن الشيخ عد الله الكعبى فكانوا عقبه فى طريق الشيخ خزعل.

و كان المترجم خلال دراسته فى النجف مبرزا فى حلقات الفقه و الشعر و الأدب، تلك الحلقات التى كانت تضم أمثال السيد محمد سعيد الجوبى و الشيخ جواد الشيبى و السيد جعفر الحلى و الشيخ حمزه قفطان و أخيه ب الشيخ صالح و غيرهم ممن كانوا يعدون فى الرعيل الأول و كانت تدور بينهم جلسات أدبيه و يشتركون معا فى نظم الشعر و بعد عوده المترجم إلى المحمره كانوا يتبادلون الرسائل الأدبيه و القصائد الشعرية و لما توفى المترجم رثى بشعر كثير، و قد أرخ وفاته الشيخ جمعه الحائرى قائلا:

و نعى بها الروح الأمين مؤرخا عدنان قوض بعدك الإسلام

و قد خلف أبناء علماء فضلاء هم: السيد محمد سعيد المتوفى سنه ١٣٨٣ و السيد محمد حسن و السيد على المتوفى سنه ١٣٥٩ و السيد محمد على المتوفى سنه ١٣٨٨ و السيد محمد شبر المتوفى سنه ١٤٠٤ و السيد محمد كاظم المتوفى سنه ١٣٩٥.

و له من المؤلفات:

١ - جامع الجوامع (مخطوط).

٢ - الأنساب (مخطوط).

٣ - أرجوزه فى مناسك الحج تقرب من ألف بيت أولها:

الحج و العمره فرضان على من استطاع فى الشروط سجلا

٤ - رساله فى الوضع (مخطوط).

٥ - رساله فى الموازين مطبوعه مع تعليقات لابنه السيد محمد حسن.

٦ - قبسه العجلان و هى رسالته العمليه (مطبوعه).

٧ - الشافيه فى الفقه (مخطوط).

٨ - شرح أرجوزه أستاذه السيد على الغريفى فى الهيئه و شرح آخر لها مزجى.

٩ - حاشيه على كتاب القوانين فى أصول الفقه (مخطوط).

١٠ - حاشيه على العروه الوثقى من الفقه (مطبوع).

١١ - حاشيه على كتاب الدرجات الرفيعه (مخطوط). ١٢ - تخميس العلويات السبع (مخطوط).

١٣ - تشطير العلويات السبع (مخطوط).

١٤ - أجوبه مسائل لأستاذه الميرزا حبيب الله الرشتى (مخطوط).

١٥ - حاشيه على كتاب المكاسب فى الفقه (مخطوط).

١٦ - حاشيه على كتاب إرشاد الأذهان (مخطوط).

١٧ - ديوان شعر فى مدح النبى و آله (ع) و فى مناسبات شتى قد ضاع أكثره و قد جمع الدكتور حسين على محفوظ قليلا من شعره و سماه بديوان الغريفى و كذلك فعل الشيخ على الخاقانى.

١٨ - شرح شواهد المغنى (مخطوط).

١٩ - شرح كتاب التبصره للعلامه الحللى (مخطوط).

٢٠ - منهج الرشاد لسائر العباد، فى الفقه (مخطوط).

شعره

من شعره ما نأخذه من القصيده التى نظم فيها حديث الكساء:

دع عنك حزواء و اترك شعب سعدان و استوقف العيس فى أكناف كوفان

و الثم ثرى بقره أرسى برفعتها دعائم فوق عيوق و كيوان

و اجعل شعارك لله الخشوع بها و لذ بقبر إمام الإنس و الجان

أخو الرسول أبو السبطين حيدر زواج البتول و منجى المذنب الجانى

أولئك الغر أصحاب الكساء و من قد بأهل الله فيهم أهل نجران

و له و قد أجاب بها على البديهة على موشحه للجزائري على لسان الشيخ خزعل أمير المحمره، و يبدو أن ذلك كان قبل
الاصطدام بالشيخ خزعل:

البرق بدا أم ثغر ذات الخال في جنح الظلام

و البدر تبدى أم محياها لى من تحت اللثام

مذ قد خطرت بالأسمر العسال ما بين الخيام

زارت سحرا مخافه العذال و الناس نيام

زارت سحرا و كيف يخفى البدر وقت السحر

تخشى الفجر أن يبدو ثم الفجر تحت الطرر

الستر من الله و لو لا الشعر لم تستتر

هبها استترت فكيف يخفى النشر نشر العطر

فى مبسمها و نشرها ما يغنى عن ألف رقيب

فأعجب كيف صار الخوف باب الأمن فالأمر عجيب

و اشكر أبدا حسن أيادى الدجن إن كنت أريب

و اذكر لظلام الليل مسن المن إن كنت حبيب

كم نم بك العاذل فى الحب و مان فى الناس عليك

كم قد نسب التيه لها و السلوان فى الحب إليك

كم حاولها أن تترك الإحسان و العطف لديك

لكن حفظت فكيف منك النسيان و الصدفة ويك

يا من سلبت منى بحسن الدل حسن الجلد

يا من خلبت لبي و حازت عقلي من بين يدي
أهواك و إن عنف أدنى أهلي أو ذو بلدي
في وجهك ضلتي و أهدى السبل فيه رشدي
كم أكرم ما في القلب و الدمع يبوح و الصمت جحود
و العاشق عنوان الهوى فيه يلوح يبدو و يعود
دمع و توله و عصيان نصوح و الكل شهود
من لم يتيم قلبه كيف ينوح و القلب برود
دع عنك لضاحي أيهذا اللاحي و أسلم بجشاك
دع عنك فسادى و اتركن إصلاحى ما أنت و ذاك
أبرمت بلوم العاشق الملتاح فى الحب تراك
شم ما شمت من جبينها الوضاح ثم ألح سواك
فى القلب من الهوى كلام و كلام يخفى و يبين
و الجسم غدا نهب شحوب و سقام و الداء دفين
فأسلم بحشاك فهى برد و سلام و اترك سجين
لو عانيت وجد ابني ذريح و حزام أوتيت يقين
اقبلن كأمثال المهى مختلسات فضل النظر
خود ألهب القلب عليها قبسات زند البصر
يا ليت و أيام التنائى نحسات سود الغرر
لا غيب شمس وجهها محترسات فضل الأزر
هل ينفع ليت من ينادى يا ليت لا كان بعاد

أم ينفع لأبعدت من أصبح ميت و الترب مهاد
لو ينفعنى البكاء عليها لبكيت طول الآباد
يا قوم أ حادى العيس ما كنت وعيت أم صرصر عاد
زارت و رقيها شذا الأردن وقت الغلس
و التيه يهز قامه كالبان مهما تمس
تدعو بى يا شمس بنى عدنان تلك الشمس
بى منك كما فيك و قد أضناني فاحفظ نفسى
فى حالك جعدها و فى غرتها ليل و نهار
فى لفته جيدها و فى قامتها صحو و خمار
فى ترخيم لفظها و فى عفتها قرب و نفار
يا من جمع الأضداد فى خلقتها زال الاضطبار
هجر و تدلل و واش و غيور و الكل على
و الشوق و سلوانى لجوج و نفور و الحكم إلى
ما الرأى و قد حملت فوق المقدور يا قوم بمى
ما أسرع أن يقال قد صاح الصور فى V آل لوى
هل يحسن أن ينقل عنك الهجران يا قلب بشين
هل يجرى على الإحسان إلا الإحسان بين الثقلين
هل يجمل أن يرجع منكم (عدنان) فى خفى حنين
قد قيل بان القلب يحكى القلبا بغضا و هدى
سل قلبك عمّن يدعيك الحبا ما كان طوى

لكنى ما أراه إلا كذبا ما الناس سوى

قد يذهب ذا شرقا و هذا غربا قريبا و نوى

ها قلبى يهوى حضره (السردار)(1) عز الدول

و القلب له يصلى لهيب النار و الأمر جلى

تربى و حليفى إذ كلانا وارى زند الأمل

و الحب لديه ساقط المعيار عافى النزل

لا زال عزيزا أن جفانى أوحاد عن سمت الوفا

لا عتب عليه بانتقاض الأوعاد خلفا و جفا

الأمر إليه و هو أولى من جاد فضلا و كفى

هل يرغب بالسؤدد الأمن ساد أو من شرفا

و له و قد أرسلها إلى الشيخ خلف آل عصفور:

لو أطاعت أمر خالقها فكرت فى قتل عاشقها

ظبيه بيضاء تحسبها خلقت من نفس و أمقها

منها:

يا مهاه الضال يا رشدى يا ضلالى من طرائقها

لا تسومينى الجفاء و لا تنفرى من نعق ناعقها

أنا من تدرى الورى علم تتقيني فى فيالقها

أنا من تدرى الورى جبل فى الرواسى من شواهقها

أنا من تدرى الورى قمر تهتدى بى فى مشارقها

حلبات المجد لاحقها فى المعالى غير سابقها

و غصون المجد حاسرها كاشف عن حسن وارقها

و السحاب الجون ماطرها للبرايا غير بارقها

و ابنه العنقود واصفها عن سماع غير ذائقها

ويح نفسى من بنى زمنى ويح نفسى من خلائقها

خمره لم أرج صابحها فارجى خير غابقتها

و ثمار ذقت رائقها بالمخازى قبل رائقها

تلتقيني بالسلام عدى فى ثياب من أصادقها

فكان لم أدر صادقها فى ودادى من منافقها

و كانى لم أقم (خلفا) كاشفا لى عن حقائقها

إلى أن يقول مادحا آباءه:

طرقوا الدنيا بنور هدى فاما طوا ستر غاسقها.

ص: ٢٧٣

١- السردار: من ألقاب الشيخ خزعل.

و أبانوا رشد عادلها للورى من غى فاسقها

يا مبينا من مناقبهم ساعيا فى فتق راتقها

بمساع أنت عاقدها فى حباها أو مناطقها

هاك منى ديمه قذفت بشواظ من صواعقها

أو عروسا مسك جلوتها مستطير فى بنائقها

زفها فكري إليك و لم تتشوق غير شائقها

نزلت فى دار معبدها أو على معنى مخارقها

له و قد أرسلها إلى الشيخ محمد طه نجف:

عمر الفتى حل و مرتحل و سنوه متصل و منفصل

كم منزل يهوى المقام به و تروقه الأعلام و القلل

يشتااق فيه روضه أنفا و تشوقه أحياءه النزل

و وراءه جمل و إن بعدت آماله بالبين متصل

ينفك يمرح كالطليق و فى أيدي المقادر ذلك الطول

صرف المقادر ليس تدفعه حيل و كيف تناله الحيل

بالأمس كنت جليس تقى فى الله يتبع قوله العمل

و اليوم صرت و صحبتي رجل من دأبه التشيب و الغزل

تطوى قناع فؤاده امرأه مرت و تنشر طيبه الحلل

و دليله فى الحكم كان أبى طورا و طورا كيف قد عملوا

استغفر الله العظيم لقد سبق الحسام و آخر العذل

و أنا الفداء لممسك بعري جبل به للاله يتصل

أعنى أبا المهدى بقيه من سدت عليه للهدى سبل

أيها أبا المهدى يا رجل الدنيا و هل فى طيها رجل

يا من تحل له الحبا عظما و له تشد الاينق البزل

و تؤمه من كل ناحيه غرثى بحبل رجائه اتصلوا

غرثى بحبل رجائه اتصلوا و لجوده من حلمه دخلوا

إن الذى أوليته مننا يزدان فيها جیده العطل

هلا عليك بكل جارحه يبدى الثناء لامة الهبل

لكننا و الله يعلم ما تخفى الضمائر شاننا الخلل

و له مراسلا السيد ناصر الأحسائى:

أعن تروحت عرف نجد أنجدت فى الخد منك نجدا

و اشتعل الرأس منك شييا و اضطرم القلب منك وقدا

ما نبض البرق من حماها إلا و سقت الحنين رعدا

مهلا فما أنت من هواها أول عان بها تردى

قد وصلت قبلك البرايا فيها بحبل الدموع سهدا

فسل مضاضا و ما عراه و جسم قيس و ما تردا

هزت عليك القوام لنا ود به لو يكون أودى

ظمياء ريا الشباب رودا يمنعها التيه أن تصدا

يا قلب ما أنت و الغوانى و أنت أهدي الأنام قصدا

ما لك مهما ذكرت ليلى قدحت بين الضلوع زندا

و كل ما مر ذو جمال تقول ماء و لا كصدا

ألم تجد في الوري سواها أم لم تجد من هواك بدا
في كوفه الجند كم غزال يصرع في ناظريه أسدا
يكاد ينثال أن تشنى و ينفخ الصور ان تبدى
فلو تأملته و ما قد جمع في شكله المفدى
رأيت ليلا بهيما يلبس منه النهار بردا
و ذوب شهد خلال در و غصن بان يقل وردا
و سوق سحر بمقلتيه يباع فيه الفؤاد نقدا
يا قلب تدريك يوم بانوا ضللت قصد الطريق رمدا
عجت على الرسم و هو عاف تسأل ما لا يطيق ردا
أكان يجديك رسم دار ألحم فيها البلى و أسدى
ما لك يا ليت آل فهر هدك يوم الفراق هدا
ألا تعوذت يوم وافى منه بأزكى الأنام جدا
بناصر الدين بابن حر قاد إليه الزمان عبدا
لو كنت مهما عراقك أمر عذت به معودا و مبدى
صافح فيك الصفاح بيضا و سامر السمر فيك ملدا
واصلت العزم و المواضى و سوم الصافنات جردا
إليه بالهجان تهوى في البيد نصا بها و وخدا
يرفع منها السراب طورا تخاله في الجبال فندا
يرقصها في السرى مغن بصوته و الرياح تحدى
لانت يا سؤددى و فخرى و باعى الطائل الأشدا

و خير حى و هم خيار الأنام فى محضر و مبدا

أ أضمر البعد عنك يوما سحقا لها خطه و بعدا

لكن أتيت المقام لما جر على الفراق جندا

فلم أجد من أود فيه إى و إله برى معدا

و له:

بحيث ضربن قباب العذارى أنبخوا الرحال و شدوا المهارى

معاهد سدى عليها الربيع و رودا و ألحم شيحا و غارا

هى الدار بين ربي ضارج و توضح أوضح دار منارا

عليها آثار لظماى الوشاح أبقى عليها التصابى أثارا

فحب بها مربعا مونقا يثير الغرام و ينضو الغوارا

و يجلب ما يستزل الحليم و يصبى الوقور و يهدى البوارا

أ لست ترى من عجيب العجاب وقوفى و صحبى عليها حيارى

نشد على القلب شد النطاق أكفا تحل أسار الأسارى

و نستجلب الدمع من أعين أبت أن ترى النوم الأغرارا

و إنى و إن كنت أولاهم بان أسكين الدموع الغزارا

لا حفظ للمجد يوم الحفاظ و أعلى نجارا و أوفى ذمارا

و أثبت للصعب من يذبل و ارفع فى الشأن من أن أجارى

و احفظ للعهد إذ لا حفيظ و أرسى على الخطب إذ لا قرارا

بذا عابنى من لحاه الإله و ضمن ما بين برديه عارا

أنا المرء مستوسق الجانبين مجدا أثيلا و بأسا مثارا

حطمت قنا ثقفتها الأسود و جزت خدورا حمتها الغيارى
و عانقت فى مستشير العجاج سمرا طوالا و صفرا قصارا
عذيرى من معشرى و الشجون تخفى مرارا و تبدو مرارا
عقدت لهم حبه الماجدين و ألعقتهم أرى سعى اختيارا
و اطلعت أعناقهم فى الندى و أنزلتهم منزلا لا يبارى
فأدرکهم من مقامى الرفيع ما يدرك الحاسدين الشرارا

ص: ٢٧٤

و له شطرا:

(أضاحك ضيفى قبل إنزال رحله) لا بسط منه و اللثيم قطوب

فيضحك عندى و الزمان معبس (و يخصب عندى و المحل جديب)

(و ما الخصب للأضياف أن يكثر القرى) إذا بات قلب الضيف و هو كئيب

و لا خصبه بالمال ينبذ نحوه (و لكنما وجه الكريم خصيب)

و قال من تخميس له لقصيده الأعمس فى مدح أمير المؤمنين (ع):

ألا مالا هل الغوى مالها تزيع عن الحق جهالها

إذا شئت تعلم أضلالها (سل الأنبيا و اختر حالها)

لدى البعث من كان أوحى لها

عروش الضلاله من ثلها لها و عرى البغى من حلها

و من قاد أجنادها كلها و من كان كفا و غضبا لها

و كان لواها و عسالها

على أجمل الله تنزيلها لها ثم أبرز تفصيلها

فدعنى إذا شئت تأويلها و سل ملك الخلق جبريلها

و سل ملك الرزق ميكالها

السيد عدیل اختر بن السيد مبارک أحمد بن منیر فصیح أحمد

ولد سنه ۱۳۱۵ فى بلده على نگر من محافظه بهادر بالهند و توفى سنه ۱۳۷۰ فى لكهنو.

جاء إلى المدرسه السليمانيه فى (بتنه) ثم انتقل منها إلى المدرسه النظاميه فى لكهنو. و فى سنه ۱۹۱۹ م أسس راجا محمودآباد

مدرسه الواعظين فانتمى إليها و تخرج منها سنه ۱۹۲۱ فانقل للإرشاد فى البنغال و بهار.

و تعلم البنغاليه و الهندوسيه و السنسكريتيه. و فى سنه ۱۹۲۴ أرسلته مدرسه الواعظين للإرشاد فى شرق إفريقيا فتعلم لغاتها

المحليه. ثم كلفته المدرسه بالانتقال إلى الهند للإرشاد فى: سرحد و بشاور و باراشنار(۱) ثم ذهب إلى التبت و كشمير و

بالتستان. ثم دعاه السيد نجم الحسن إلى المعجىء إلى لكهنو للمشاركة في أمور مدرسه الواعظين و بعد وفاه مولانا أبو الحسن تولى المترجم مسئوليته المدرسه بكاملها فغير برامج الإرشاد و زود المدرسه بأفكار جديده و طور أسلوبها، و بقى يتحمل مسئوليته ٢٥ سنه.

من مؤلفاته: فلسفه الإسلام أو علم الكلام، تدليس شبلى، الخيانات العلميه، تسكين الفتن فى صلح الحسن، و غير ذلك.

السيد عزيز بن السيد ركن الدين أبى منصور هبه الله بن أبى الحسن على بن أبى جعفر محمد الحسينى الزبارى البيهقى

من أحفاد أبى جعفر أحمد بن محمد الزباره بن عبد الله المفقود بن الحسن المكفوف بن الحسن الأفتس بن على الأصغر بن الامام زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب ع.

ولد سنه ٤٥٩ و توفى سنه ٥٢٧ فى بيهق و دفن بها.

من علماء الشيعة فى بيهق أديب متفنن شاعر أخذ العلم و فنون الأدب على أعلام أسرته آل زباره المعروفين بالعلم و الفضل و الشعر فى بيهق ثم نبغ فى أكثر العلوم لا سيما فنون الأدب و الشعر ذكره ابن الفندق المتوفى سنه ٥٦٥ فى كتابه تاريخ بيهق و قال له مؤلفات كثيره و لم يذكر أسماء مؤلفاته ثم أضاف قائلا: و له أشعار كثيره يتناقلها العام و الخاص، معروفه بين الناس دائره فى الدنيا توفى بلا عقب و من آثاره ديوان شعر و هو شقيق السيد عماد الدين يحيى البيهقى العالم الرئيس فى بيهق الآتى ذكره (٢).

السيد عطا حسين بن غلام مرتضى زنگى

ولد فى الهند و توفى سنه ١٢١٢.

درس على السيد ضياء الله زنگى بورى العربيه و الفارسيه، و قد أطلع بتفسير القرآن، و قد كتب باللغه الفارسيه كتاب (لغات القرآن المغلقه).

بقى مخطوطا.

و عند ما علم به محمد شاه ملك دلهى ضمه إلى جماعه علمائه و أجازه بالمال و بعض الأراضى فى قضاء (الله آباد)، و بعد وفاه الملك لم تبق فى يده.

علاء الدوله الشوشترى

ولد سنه ١٠١٢ و توفى سنه ١٠٨٠.

هو خامس أبناء الشهيد نور الله الشوشترى، اشتهر بلقبه و لم يعرف اسمه.

درس على والده و إخوته و كان عالما أديبا نظما و نثرا و هو معاصر للسيد على الطباطبائى.

من مؤلفاته: حاشيه على شرح اللمعه، حاشيه على المدارك، حاشيه على تفسير البيضاوى، البوارق الخاطفه فى الرد على العاصفه و هو رد على الصواعق المحرقه، مساطع الأنوار، محفل فردوس، ديوان شعر، و كتب أخرى فى التاريخ و الأدب.

الدكتور على الأسدى

توفى سنه ١٤١٢ فى طهران.

من علماء الاجتماع الايرانيين نال شهاده الدكتوراه فى علم الاجتماع من جامعه الصوريون فى باريس. عين لفته تسع سنين مديرا لمركز تحقيقات العلوم الاجتماعيه فى الاذاعه و التلفزيون الايرانيين، و بعد الثوره الإسلاميه استمر فى عمله. ثم عين أستاذا فى جامعه (آزاد إسلامى) فى طهران مع عمله فى مركز التحقيقات و البحوث فى وزاره المعارف و الإرشاد الإسلامى.

له من المؤلفات: ١ - جامعه شناسى هاى همگانی ٢ - قدرت تلفزيون (مترجم) ٣ - زوال تمدن سوداگرى (مترجم) ٤ - جابن [ژاپن] کشور شماره بک [يک] (مترجم بمساعده شهين خوارزمى).

السيد علوى بن السيد حسين بن السيد سليمان بن السيد عبد القاهر بن السيد حسين التولى البحرانى آل سليمان.

ولد فى المحمره (خرم شهر) سنه ١٢٨٠ و فيها نشا و توفى و دفن فيها سنه ١٣٥٠.

آل سليمان: من الأسر العلويه العلميه العريقه بزغ بدرها فى سماء

ص: ٢٧٥

١- هذه كلها اليوم فى الباكستان.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

البصره و المحمره فى أواخر القرن الثانى عشر و مطلع القرن الثالث عشر للهجره حين نبوغ جدها الأعلى السيد عبد القاهر التوبلى البحرانى الذى كان من أجلاء تلاميذ الشيخ حسين العصفورى و له منه إجازة مؤرخه سنه ١١٩٦ و نجله السيد حسين بن السيد عبد القاهر التوبلى البحرانى من مراجع الشيعة فى البصره. و اشتهر هذا البيت الجليل باسم جدهم السيد سليمان بن السيد حسين بن السيد عبد القاهر التوبلى البحرانى و هم منتشرون فى المحمره (خرم شهر) و عبادان و الأهواز و البصره و غيرها من المدن الإيرانية.

و كان المترجم له من العلماء الأعلام أديبا شاعرا مؤلفا محققا قرأ المقدمات و فنون الأدب على أفاضل علماء المحمره و أخذ الفقه و الأصول عن الشيخ عيسى آل شبير الخاقانى و غيره ثم هاجر إلى العتبات المقدسه فى العراق و سكن النجف الأشرف و أخذ العلم و فنون الأدب من أعلام النجف منهم السيد محمد تقى القزوينى المتوفى سنه ١٣٣٣ و أجازه أستاذه المذكور إجازة اجتهاد ثم رجع إلى موطنه المحمره (خرم شهر) قائما بوظائف الشرع إلى أن توفى. له مؤلفات و آثار منها كتاب دليل المتعبد طبع فى النجف الأشرف سنه ١٣٧٠، الروضه العلويه قصيده طويله فى واقعه الطف باللغه العاميه الدارجة فى العراق على منهاج النصاريه لابن نصار و قد طبعت أيضا، ذكرها شيخنا الأستاذ شيخ الذريعه فى موسوعته الذريعه ج ١١ ص ٣٠٠، ديوان شعر يحتوى على قصائد رثاء و مديح لأهل البيت ع.

الشريف المرتضى على بن الحسين

مرت ترجمته فى المجلد الثامن، و ننشر هنا هذه الدراسه المكتوبه بقلم الدكتور عبد الرزاق محيى الدين:

مميزات الحياه العلميه فى القرن الرابع و أثرها فى المرتضى

عاش الشريف المرتضى فى المنتصف الثانى من القرن الرابع الهجرى، ممتده به الحياه إلى نهايه الثلث الأول من القرن الخامس على وجه التقريب.

و لا أريد من هذه الدراسه أن أو أرخ علوم العربيه من أول نشاتها حتى القرن الرابع، لأمسك بحلقاتها واحده واحده، و أتبع تطوراتها طورا طورا، و لا أحاول من وراء هذا العنوان تصوير الحياه العلميه كلها لهذا العصر، و إنما أبغى من وراء هذه الدراسه أن ألمع إلى ظاهرتين كاد يتفق مؤرخو علوم العربيه و مصورو عصورها على تميز القرن الرابع بهما، لأصل بين هاتين الظاهرتين و حياه "الشريف المرتضى"، و لألمس أثرهما فى تكوينه و فى آثاره العلميه و الأدبيه.

فاولى الظاهرتين: بلوغ العلوم و الفنون الأدبيه درجه من النضج و التكامل لم يسبق أن بلغت فى العصور الماضيه، و نصيبا من الدقه و الوفاء لم يعد معهما للعصور الآتية بعد الرابع إلا الأخذ بمناهجه و مذاهبه، فى شىء من التوسع و الشرح، أو الاختصار و الإجمال.

و ثانيهما: تمايز العلوم و الفنون فيما بينها، و عدم التداخل بين مسائلها، و وضوح المذاهب الإسلاميه بما كتب من أصول العقائد فيها.

فمن جهة الظاهره الأولى يلاحظ المتتبع:

أ - فى تفسير القرآن:

أنه قبل هذا القرن كان التفسير فى الأغلب تفسيراً بالمأثور من الحديث النبوى، أو من حديث أئمة أهل البيت عند الشيعة، و أن التفسير بالرأى فى ظل الأعوام التى سبقت القرن الرابع كان يأخذ طريقه إلى الظهور ببطء على يد المعتزله، حتى إذا استوت الدراسات القرآنيه و نضجت، قام التفسير بالرأى ينافس التفسير بالروايه، و أصبح للتفسير مدرستان واضحتا المعالم و الحدود، كما ظهرت تفاسير قرآنيه تجمع بين المدرستين، أو تنهج أحد المنهجين، و لم تخرج العصور الآتية بعد الرابع عن التفسير بالأثر أو التفسير بالرأى، أو تجمع بين الأمرين.

بلغت مدرسه التفسير بالأثر لدى جمهور السنه ذروتها على يد "محمد بن جرير الطبرى" المتوفى سنه ٣١٠ فى تفسيره المعروف. و قد كان "ابن جرير" حافظاً للقرآن، بصيراً بالسنن، فقيها بالأحكام.

أما للشيعة فقد انتهى إلى القرن الرابع كتب كثيره غالبها من التفسير بالأثر، منها: تفسير "سعيد بن جبیر التابعى" المتوفى سنه ٦٤ هـ و تفسير "إسماعيل بن عبد الرحمن الكوفى" المتوفى سنه ١٢٧ هـ و له كتاب "أمثل التفاسير" و تفسير "محمد بن السائب الكلبي" و ليس لأحد تفسير أطول منه و لا- أشبع، و تفسير "جابر بن يزيد الجعفى" المتوفى سنه ١٢٧ و "الحسن بن خالد البرقى" له كتب فى التفسير منها تفسيره البالغ ١٢٠ مجلداً، و تفسير "على بن الحسن بن فضال"، و "محمد بن سعيد بن هلال الثقفى الكوفى" المتوفى سنه ٣٨٣، و "على بن إبراهيم القمى" (و تفسيره مطبوع)، و تفسير "على بن الحسين بن بابويه القمى"، و تفسير "أبى عبد الله الكاتب النعمانى"، و "محمد بن الحسن الشيبانى" و له كتاب نهج البيان، و عنهما أخذ "المرتضى" جملة نصوص فى كتابه المحكم و المتشابه.

و كان على رأس التفسير بالدرايه جماعه المعتزله منذ عهد "النظام" و "الجاحظ" حتى إذا طلع القرن الرابع نهض باعبائها "أبو على الجبائى"، و القاضى "عبد الجبار المعتزلى"، و "أبو مسلم" محمد بن بحر الأصبهانى المتوفى سنه ٣٧٠ هـ من السنه، و على رأسها من الشيعة "النعمانى" و إن كان فى بعض تفسيره يعنى بالمأثور.

ولد "المرتضى" و المدرستان قائمتا الأسس، واضحتا المعالم، درس كلا منهما، و انتفع بكل منهما، و ظهرت آثار الانتفاع فيما كتب من تفسير لآى القرآن الكريم فى كتبه "الأمالى" و "المحكم و المتشابه" و "الشافى"، ثم فى كثير من أبواب كتبه الفقهيّه.

ب - فى الحديث النبوى:

ص: ٢٧٦

حديثا. و الكتب التي تقدمت هي المعول عليها لدى الشيعة.

نشا إلى جانب الحديث "علم الرجال" أو "علم" نقد الحديث "و هو علم يبحث في أحوال الرواه من حيث الوثاقه و الصدق و يقال أن أول من قام بنقد الحديث و السنه و تكلم عن تاريخ المحدثين " ابن أبي حاتم " المتوفى سنه ٣٢٨ هـ، ثم "الحاكم النيسابورى" من محدثى القرن الرابع، و هو خير من وفى مصطلح الحديث حقه، و كلاهما من أعلام أهل السنه.

أما من الشيعة فقد انبرى لنقد الحديث جماعه منهم "أبو عبد الله محمد ابن خالد البرقى" من أصحاب الإمامين الكاظم و الرضا (ع)، و "محمد بن أحمد بن داود بن على القمى" و له كتاب الممدوحين و المذمومين من الرواه، و "أحمد بن الحسين بن عبيد الله الغضائرى"، يقال: إنه ألف كتبا استوفى فيها ذكر الممدوحين و المذمومين من كل من روى عن الأئمه، و "أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن عقده" كان يحفظ عشرين و مائه ألف حديث، بأسانيدها، و يذاكر بثلاثمائة ألف حديث، و من جمله كتبه كتاب "أسماء الرجال الذين رووا عن الامام الصادق" و كانوا أربعة آلاف رجل، و بلغ نقد الحديث ذروته لدى الشيعة فى كتاب "أحمد بن على النجاشى" المتوفى سنه ٤٥٠ هـ، و كان - فيما يذكر عنه - ثقه، صدوق اللسان، ضابطا للرجال، قد اعتمد عليه كل من تأخر عنه فى الجرح و التعديل، و قد ألف كتابه (الرجال) برغبه من "الشريف المرتضى".

إن القرن الرابع أمد المرتضى بما اكتمل من تدوين الحديث شيعيا و غير شيعى، و وضع بين يديه هذه الثروه الضخمه ثم مكنته من استعمال أداه الفحص - علم نقد الحديث - فظهرت آثار هذين فى كتابيه "الانتصار" و "الناصرىات"، و ظهرت آثار نقد الحديث أكثر و أبلغ فيما واجه به الحديث من نقد و فحص، انتهى به إلى رفض أكثر الأحاديث، و بخاصه ما ظهرت فيه روائح الغلو أو التشبيه أو الجبر، كما انتهت به إلى الطعن فى أخبار الآحاد غير الموثقه، بل الموثقه، إذ أنها لم تصلح بنظره مصدرا للتشريع.

ج - فى الفقه الإسلامى:

و شهد هذا القرن ضعفا فى الحياه الفقهيه عند السنه نتيجه سدهم باب الاجتهاد، بعد فتحهم إياه فى القرون التى سبقته، و لكنه شهد نشاطا فقهيها هائلا لدى الشيعة و قد كان باب الاجتهاد مسدودا لديهم من قبل ففتحوه.

و مع وصفنا للفقه غير الشيعى بالجمود و الركود فقد ظهر فيهم أعلام متميزون اختصوا بدراسته و التزام أحد المذاهب الأربعة، فاجتهدوا حدودها، و عنوا بالتمييز بين هذه المذاهب.

كان من أعيان المذهب الحنفى: "أبو الحسن عبيد الله الكرخى" رئيس الحنفية فى العراق توفى ٣٤٠ هـ و "أبو بكر الجصاص البغدادى" المتوفى [المتوفى] ٣٧٠ هـ، ألف الكتب الكثيره على مذهب + "أبى حنيفه"، و "أبو الحسين أحمد القدورى" رئيس الحنفية فى العراق توفى سنه ٤٢٨ هـ.

و فى الفقه المالكى نهض "أبو الحسن على بن أحمد البغدادى" المشهور "بابن القصار" و له كتاب مسائل الخلاف توفى سنه ٣٩٨ هـ.

و فى الفقه الشافعى نبغ "على بن عمر" البغدادى الدارقطنى، كان فقيها، عارفا باختلاف الفقهاء، توفى سنة ٣٨٥ هـ، و "أبو الحسن الماوردى" من أبصر فقهاء الشافعية، و له كتاب "الحاوى" فى الفقه الشافعى.

أما نشاط الفقه الشيعى فيظهر من فتحهم لباب الاجتهاد بعد أن كان مغلقا.

لقد ألفت الشيعة كتابا فقهية لم تخرج فى واقعها عن أن تكون أحاديث مبوبة بحسب أبواب الفقه، و لم يكن لهم حق الاجتهاد طيله حياهم أئمتهم.

و حين انتهت الامامة إلى الامام المنتظر سنة ٢٦٦ هـ و بعد غيبته الكبرى سنة ٣٢٩ هـ و انقطاع مصدرهم التشريعى شعروا بضروره فتح باب الاجتهاد.

و إذ توسط القرن الرابع أحس الشيعة بضروره فتح باب الاجتهاد، بعد أن خلى بينهم و بين الأحاديث، لا يرجعون إلى إمام فى تفسيرها، و أخذ ما يجد لهم من أحداث فيها.

كان أول المجتهدين "الحسن بن أبى عقيل العماني" المعاصر للشيخ "الكلىنى" فى طلائع القرن الرابع، و تبعه "محمد بن أحمد بن الجنيد". قال صاحب روضات الجنات: "كان هذا الشيخ أول من أبداع أساس الاجتهاد فى أحكام الشريعة، و أحسن الظن بأصول المخالفين من علماء الشيعة". (١)

كان "ابن الجنيد" معاصرا للشيخ المفيد، كما كان الشيخ المفيد راضيا عن عمله الاجتهادى، و من رضا "الشيخ المفيد" عنه، امتدت يد الشيعة إلى فتح باب الاجتهاد.

جاء "المرتضى" فانتفع بما ألفه أعلام المذاهب الأربعة و تلاميذهم فى الفقه، و بما حدده القرن الرابع من وجوه الخلاف بين هذه المذاهب، ثم بما ألفه الشيعة من كتب فقهية على النسق الاخبارى الأول، و استعمل اجتهاده الشخصى بما مهده له "العماني" و "ابن الجنيد" المتقدمان، فكتب و ألف فى "الفقه المقارن"، و اجتهد بآراء خاصه، تحفظها له حتى اليوم كتب الفقه الشيعية، و من خير كتبه الداله على سعه اطلاعه و اجتهاده كتاباه "الناصرية" و "الانتصار" فقد ظهر فيهما مدى إلمامه بالمذاهب الفقهية الإسلاميه، شائعه و شاذه، و مدى قدرته على استنباط الأحكام و الاجتهاد فيها.

د - فى علم الكلام:

أطل القرن الرابع و علم الكلام يمشى إلى عليائه بقوه و فتاء، بعد أن أصابته نكسه فى عهد المتوكل - القرن الثالث - و كانت له من سياسه العصر مسانده دافعه، فقد كان "البويهون" بحكم تشيعهم و فارسيتهم ميالين إلى الفلسفه، و الكلام شعبه من شعبها.

نبغ من السنه فى الكلام قبيل القرن الرابع "أبو على الجبائى"، و كان إمام المعتزله فى بغداد (٢٣٥ - ٣٠٣) و ولده "أبو هاشم عبد السلام" شارح مذهب أبيه، و تلميذه "أبو الحسن الأشعري" (٢٧٠ - ٣٣٠) كان معتزليا، ثم خرج على الاعتزال و حاربه فى كتب كثيره، حتى عاد له مذهب يسمى باسمه، و هو و إن خرج عن الاعتزال فلم يخرج عن أن يكون متكلما، و ناصر مذهبه جماعه من أكابر علماء العصر من أشهرهم "الباقلانى" و "ابن".

١- انظر روضات الجنات ص ٣٣ ج ١ و ج ٢ ص ٥٦٠.

فورك " و " الاسفرايينى "، و للأخير انتهت رئاسه الشافعيه ببغداد توفى ٤٠٦.

و نبغ فى هذا القرن من المعتزله "قاضى القضاة عبد الجبار" و يعد رأس الاعتزال فى كل عصوره حتى قيل: أنه أول من فتح علم الكلام، و نشر بروده، و وضع فيه الكتب الجليله التى بلغت المشرق و المغرب، و ضمنها من دقيق الكلام و جليله ما لم يتفق لأحد، و إليه انتهت عامه المعتزله حتى صار شيخها و عالمها غير مدافع.

و كان للشيعة من قبل كلام فى الاعتزال و بخاصه فى مسائل الامامه و الخلافة، و من أوائل متكلميهم "عيسى بن روضه" المتكلم التابعى الشيعى، ناظر "أبا الهذيل" فى الامامه و "عمرا الضبى" و "النظام" فيما رواه "المرتضى" فى كتابه "الفصول المختاره"، و يرى الشيعة أنه أول من فتح باب الكلام، و كشف نقابه.

و "أبو هاشم" و يعده الشيعة من مؤسسى علم الكلام، و "على ابن إسماعيل بن ميثم التمار" و له كتاب فى الامامه.

و "فضال بن الحسن بن فضال" الكوفى المتكلم و هو من رجال المائه الثانيه، و يوصف بأنه: ما ناظر أحدا من الخصوم إلا قطعه، و هو ممن أخذ عنه "المرتضى" فى كتابه "الفصول المختاره".

و "هشام بن الحكم" ناظر أهل الفرق، و خاصمهم، و انتفع بكلامه "السيد المرتضى" فى كتابه "السابق و كتابه "الشافى".

و أسره بنى نوبخت و هى أسره شيعيه معروفه بالعلم و الفلسفه، جل أفرادها من المتكلمين، و لهم كتب فى الامامه، استفاد منها "المرتضى" فى "الشافى".

و "محمد بن عبد الملك الأصبهاني" و كان معاصرا "الأبى على الجبائى" و له كتاب فى نقض كتاب الجبائى.

و "أبو الصقر الموصلى" ناظر "على بن عيسى الرمانى" فى مسائل كلاميه حكاها الشيخ المفيد فى كتابه "العيون و المحاسن"، و هذا الكتاب رواه "المرتضى" عن "الشيخ المفيد".

و من متكلميهم الشيخ المفيد و يعتبر رأس متكلمى الشيعة فى هذا القرن.

وقف المرتضى على أغلب كتب الكلام معتزليه و أشعريه و شيعيه فظهرت آثارها فى مؤلفاته "الغرر و الدرر" و "الفصول المختاره" و "تنزيه الأنبياء" و "المحكم و المتشابه" و "الشافى" و فى جملة رسائله و بخاصه رسالته إلى "أبى عبد الله التبانى". و يعد الشيعة كتاب "الشافى" خير آثارهم الكلاميه على الإطلاق.

ه - فى علوم العربيه:

أ - فى اللغه

- سجل مؤرخو اللغه لهذا القرن طاهرتين مهمتين فى حياتها:

أولاهما: ضخامه المعجم اللغوي، و سعه معاني مفرداته، و ذلك بما جد من مفردات اقتبست من البيئات التي دخلتها العربية فظهرت في ألفاظها عن طريق التعريب، ثم بما جد من علوم إسلاميه، استلزمت مصطلحات خاصه، و اقتضت تجاوزا في استعمال الألفاظ لمعان لم يكن للعربية بها سابق عهد، و انتهت أخيرا إلى أن تصبح حقائق عرفيه، أو حقائق شرعيه، أو حقائق اصطلاحيه. أضف إلى ذلك ما دعا إليه "أبو علي الفارسي" و تلميذه "عثمان بن جنى" من ضروره الخروج باللغه من نطاق التوقيف و السماع، إلى نطاق القياس و الاشتقاق. مما لا يخلو من تبرير لدفع الكتاب و الشعراء إلى التحرر من ريقه الجمود في الاستعمال.

و ثانيتهما: تيسر تناول اللغه من معاجمها، و ذلك بما وضع من معاجم مبوبه على حروف الهجاء، بعد أن كانت مبوبه على مخارج الحروف، أو مثوره على أساس ما يجمع بين المفردات من معنى.

كان للظاهره الأولى - أعنى تضخم اللغه - أثر واضح في نتاج المرتضى، كما كان للظاهره الثانيه أثر بليغ في حياه اللغه بعد القرن الرابع و ذلك بما ألف من معاجم نهجت نهجها في التبوب على حروف الهجاء.

لم يؤلف المرتضى كتابا في اللغه ليعد من أعلامها الذين يظفرون بذكر في قائمه أسماء اللغويين، و لكنه من غير شك أحد أعلام اللغه المبرزين، و ذلك بما وعت كتبه من مفردات لغويه، تطرق فيها إلى شرحها و تحديد مفاهيمها.

كان الرجل من أعلام التفسير و الحديث و الفقه و الكلام كما رأيت، و لا بد لمن يفسر القرآن بالرأى في أكثر الأحوال من إمام بالغ بمعاني المفردات القرآنيه، حتى يستطيع أن يختار منها لتفسيره ما يراه ملائما للرأى الذى ذهب إليه، بل لا بد له من وراء الإلمام بمعنى المفرد اللغوى أن يلم بما يمكن أن يتعدى إليه من معان مجازيه لها شاهد و نظير من الاستعمال.

و لقد دلنا تفاسيره للحديث، و وقوفه في وجه "أبي عبيد القاسم بن سلام اللغوى المحدث" و "عبد الله بن مسلم بن قتيبه (١) الدينورى" أن الرجل من أندادهما في الوقوف على غريب الحديث، مع العلم بان للرجلين كتابين في غريب الحديث لم يكن لهما نظير قبل تأليفهما و بعده.

فإذا تجاوزنا غريب الحديث، و مفردات القرآن، و شهدنا آثاره اللغويه فيما فسر من شعر، و شرح من نثر، ثم ما وقف عليه من آثار اللغويين أمثال "يعقوب بن السكيت" (٢) و "ثعلب" و "الفراء" (٣) و ما كتبه "ابن الأنبارى" (٤)، و "الأصمعى" و "الكلابى" (٥)، و "أبو زيد" (٦) و "ابن الأعرابى" و "أبو سعيد الكرى" و غيرهم من أعلام اللغه أدر كنا ما انتفع به "المرتضى" من آثار من سبقه من اللغويين.

كان المرتضى يستعرض المفردات اللغويه على وجوه مختلفه، فقد يذكر اللفظه و معناها، و قد يتجاوز إلى ذكر أضدادها أو نظائرها أو يتعقب معنى اللفظه في مواطن مختلفه من الشعر و النثر. (٧).

ص: ٢٧٨

- ٢- الأملالى ج ١ ص ٤١، ٣٤٨.
- ٣- الأملالى ج ١ ص ١٠٥، ١٠٧، ١٢٠، ٣٤٣، ٤٩٧.
- ٤- الأملالى ج ١ ص ٢٢٠، ٣٣٩.
- ٥- الأملالى ج ١ ص ٢٢٢، ٥٤١.
- ٦- الأملالى ج ١ ص ٣٥٤.
- ٧- انظر شرحه لقصيدته "السيد الحميرى" ط القاهره ١٣١٣ هـ.

- لقد تم وضعه و استقرت أصوله قبيل القرن الرابع فلم يشهد هذا القرن معركة الخلاف بين الكوفيين و البصريين و لكنه شهد آثار امتزاج المدرستين و تداخلهما، فأعان هو على هذا الامتزاج بان أخذ منهما معا.

و لم يتميز النحو بظاهرة جديده عدا تركيز ما كتب الأقدمون، و كان شرح "أبى سعيد السيرافى" للكتاب - كتاب سيويه - من خير الشروح حتى اليوم. و لم تأت العصور المتأخره بما يخرج عن أن يكون شرحا لمجمل، أو إجمالا لمسهب، أو تعقبا على ما ورد بتعليل و تسبيب.

لم يؤلف "المرتضى" فى النحو، و لكنه بما طرق من بحوث نحويه يدل على أنه كان نحويا لا يقل عن أولئك المتخصصين بالنحو. كان (١) تفسيره القرآن و الحديث و تأويلهما يقتضيه عرفانا كاملا- بأصول الأعراب، و لقد طرق أبوابا من النحو - و بخاصه عند الكلام على حروف المعانى - فى استيفاء شامل، لا- يقل دقه و استيعابا عما كتبه المتخصصون (٢) فى حروف المعانى.

وقف على مذهب البصريين و الكوفيين و لكنه لم يلتزم مذهبا بعينه، بل حاول أن ينتفع باى من المذهبين حين يعينه على مسانده الوجه الذى ذهب إليه، و ربما مزج بين النحو و الكلام أو بين النحو و البلاغه، فى براعه قد يجهلها كل من النحويين و الكلاميين على انفراد، (٣) و لقد يمر عليك و أنت تستعرض كتبه آراء كثير من أعلام النحو من سابقه و معاصريه، مما يدل على أن الرجل قرأ كثيرا من كتب النحو و خالط كثيرا من أعلامهم. (٤)

ج - فى البلاغه

- انتهى القرن الرابع و البلاغه - دون بقيه علوم العريه - لم تستوف نصيبا من نضج، و لا حظا من دراسه محكمه، و جل ما بلغته أن شرح فيها معنى اللفظين المفردين - الفصاحه و البلاغه - و أن تحدث عن المجاز فى غير تفريق واضح بين أنواعه، و أن تكلم عن كتابه بوجه مجمل، و أن تلمست بعض وجوه الجمال فى النصوص القرآنيه، و فى الحديث النبوى، و أن استكثر من الكلام على الأنواع البديعه.

تحدث عن هذا "جعفر بن يحيى" و "قدامه بن جعفر"، و "الجاحظ" و "ابن المعتز"، و عنيت به الكتب التى انبرت للحديث عن مجاز القرآن، أو مجاز الحديث، أمثال مجازات القرآن "لأبى عبيده"، و مجازات الحديث "لشريف الرضى".

فان تجاوزنا البلاغه بمعناها الفنى الدقيق إلى كتب النقد، و أدخلناها ضمن كتب البلاغه صح أن نجد آثارا بلاغيه فيما كتب "أحمد بن عبيد الله ابن عمار" و "الأمدى فى الموازنه، و فيما كتبه أبو هلال العسكرى فى "أسرار الصناعتين"، و فى كتاب "الوساطه بين المتنبي و خصومه".

لم يؤلف المرتضى كتابا فى البلاغه بمعناها الفنى الدقيق، و لم يعرف برأى مستقل فيها اللهم إلا ما كان امتدادا للنظام و الجاحظ و بعض شيوخ المعتزله:

من الذهاب إلى أن الاعجاز القرآني يعود إلى صرف الله العرب عن مجاراته، والإتيان بشيء من مثله، وهو مذهب دعت إليه - فيما يخيل لي - أصول الكلام عند المعتزلة. وللمرتضى كتاب باسم "الصرفه" سنتحدث عنه في الحديث عن مؤلفاته، ولكن بقيه أحكامه على سر الاعجاز تدل على أنه يراها في النظم.

فإن أردنا "البلاغه" بمعنى "النقد" ألفينا "المرتضى" داخلا في أعلام البلاغيين.

لا بد للمرتضى و هو من أعلام الشيعة من معرفه وجوه الكلام و تأويلاته، و لا مناص للمتكلم إذ يتعرض إلى النصوص القرآنيه، و نصوص الحديث، من أن يصرفها عن ظاهرها الذي لا- يتفق مع ما يراه و هو إذ يصرفها عن معانيها الحقيقيه لا بد له من أن يذهب إلى وجه من وجوه المجاز لغويا أو عقليا، استعاره أو كناية أو تمثيلا. (٥) و هذه الأبواب من أجل المباحث البلاغيه.

على أن المرتضى لم يقف في حديثه البلاغي عند هذه الأبواب التي أدخلت أخيرا في نطاق "علم البيان"، بل تجاوز ذلك إلى مباحث تتصل "بعلم المعاني". تكلم عن الإيجاز و الحذف في تفرقه دقيقه، و عن التأكيد و التكرار، و عن الفصل و الوصل. (٤) و مع كل هذا فلا يصح أن يدعى أن المرتضى جاء في البلاغه بمعناها الدقيق بشيء جديد.

فإذا انتقلنا إلى البلاغه بمعنى تلمس وجوه الجمال في القطعه الأدبيه، و الموازنه بين المعاني، (٧) و التعقيب على الناقلين، ألفينا "المرتضى" في طليعه الناقلين.

ذكر من بين كتبه "تتبع الأبيات" التي تكلم عنها ابن جيبى [جنى] في أبيات المعاني "للمتنبي": و "الشهاب في الشيب و الشباب"، و قد وازن بين ما قالت الشعراء فيه، و "طيف الخيال" و قد استعرض كثيرا مما نظم فيه، و وازن بين معانيه. كما ناقش "الأمدي" في موازنته بين الشعراء في كثير من أبواب "الأمالي"، (٨) و ربما تعرض لأحمد بن عبيد الله (٩) ابن عمار - و هو من قدامى من ألفوا في الموازنات - فيما وازن بين الشعراء، و للصولي (١٠).

د - في الأدب

- و قد كان يطلق يومها على روايه الطريف من أخبار العرب و أيامهم، و تراجم أعلامهم و ساداتهم، و الإلمام بمنظومهم و منثورهم، و ما يتصل بالمنثور و المنظوم، من مسائل النحو و الصرف و البلاغه و علوم الشريعة. يعرض جميع ذلك في هيئه موضوعات أو أمال، يستطرد فيها بالمناسبه من موضوع إلى موضوع، و من فكره إلى فكره.

قال ابن خلدون في "تعريف الأدب": هو حفظ أشعار العرب ٧.

ص: ٢٧٩

١- الأمالي تحقيق محمد أبو الفضل ج ٢ ص ٢٩.

٢- الأمالي ج ٢ ص ٢٩٦ إلى ٢٩٩، ٥٥، ٣٠٩، ٣١٤. و الشافي ط إيران ص ٢١٩.

٣- الأمالي ج ٢ ص ٣٠٠، ٣٠٩.

- ٤- الأملالی ج ١ ص ٤٦٥، ٥١٤، ٤٢٩، وج ٢ ص ١٣١، ١٧٧، ١٨٠ إلى ١٨٤، ٢٢٤، ٢٦٦، ٢٩٦-٢٩٨، ٣٠٤، ٣٠٨.
- ٥- الأملالی ج ١ ط مصر - ص ٩٥، ٢٣١، ٢٤٧، ٣٨٠، وج ٢ ص ١٢٤-١٣٠، ١٤٥، ١٤٧.
- ٦- الأملالی ج ١ ص ١٢٠، ٢٢٨-٢٣١، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٦٥، وج ٢ ص ٢-٥، ٧٣، ٣٠٩.
- ٧- الأملالی ج ١ ص ٨٥، ٩٠، ٩٣، ٩٨، ١١٩، ١٤٦، ١٧١، ٢٣٩، ٢٥٣، ٢٧٩، ٢٩٠، ٣٠٥، ٣٥٧، ٣٨٧، ٣٩٩، ٤٥٦، ٥٣٢، ٥٣٧، وج ٢ ص ٧٦-٧٨، ١١١-١١٩، ٦١٠-٦١٢، ٦٢٤.
- ٨- الأملالی ج ١ - ص ٦١٠-٦١٢، ٦٢٤.
- ٩- الأملالی ج ٢ ص ٥٤-٥٦، ٦٢٤-٦٢٥، وج ٢ ص ٩١-٩٧، ٢٤٧-٢٥٠، ٢٥٤-٢٥٦.
- ١٠- الأملالی ج ١ ص ٥٧.

و أخبارها، و الأخذ من كل علم بطرف: يريدون من علوم اللسان العلوم الشرعيه من حيث متونها، و هي القرآن و الحديث.

حفل القرن الرابع بعدد كبير من رواه الأدب شعره و نثره، و بآثار قيمه عد بعضها من كتب الأصول لهذا الفن، ظهر فيه أبو بكر محمد بن دريد الأزدي ٢٢٣ - ٣٢١ و كان مقدما فى روايه اللغه. و الأدب، و القصص و الأنساب، و من تلاميذه أبو على القالى، و أبو سعيد السيرافى، و أبو عبيد الله المرزبانى، و على بن محمد الكاتب.

و نبغ فيه أبو بكر بن الأنبارى المتوفى سنه ٣٢٨ و هو من أعلم البغداديين لغه و أدبا و حفظا للشعر و الشواهد، و شرحه "للمفضليات" يشهد بغزاره علمه.

و أبو الفرج الاصبهانى صاحب الأغاني، و حسبى ذكر مؤلفه إشاده بمقدار ما حفظ و وعى، من نصوص أدبيه و تاريخيه.

و أبو عبيد الله المرزبانى صاحب كتاب "الموشح" و "معجم الشعراء"، يروى عن ابن دريد و من فى طبقتة توفى سنه ٣٨٤ و كان أستاذا للمرتضى فى الروايه.

و على بن محمد الكاتب يروى عن "ابن دريد"، و "الصولى" و من فى طبقتهما، و كان من أساتذه المرتضى فى الروايه.

و أبو القاسم "عبيد الله بن عثمان بن يحيى الدقاق" كان من أساتذه المرتضى، و ممن يروى عن أبى عبيد الله محمد بن أحمد الحكم الكاتب عن "ثعلب". و هكذا ترى أن أهم كتب الأدب وضعت فى القرن الرابع و قبيله.

قال ابن خلدون: سمعنا من شيوخنا أن أصول هذا الفن و أركانه أربعة دواوين: هى "أدب الكاتب" لابن قتيبه، و كتاب "الكامل" للمبرد، و كتاب "البيان و التبيين" للجاحظ، و كتاب "النوادر" لأبى على القالى البغدادى و ما سوى هذه الأربعة فتبع و فروع عنها، و قد ألف أبو الفرج الاصبهانى - و هو ما هو - كتابه فى الأغاني، و هو لعمرى ديوان العرب، و جامع أشتات المحاسن، و لا يعدل به كتاب فيما نعلمه.

و يبدو من مؤلفات "السيد المرتضى" - و بخاصه ما كان منها أدبيا - أنه كان قوى الحافظه، كثير الروايه و الأخذ، و أنه بما أخذه من كتب القدماء، و بما رواه عن أساتذته لا يقل شانا عن "المبرد" و "أبى على القالى" و "ابن الأنبارى" و أمثالهم، فقد وقف الرجل فيما قرأناه من أماليه و غيره على كثير من مأثور "الأصمعى" و "ابن السكيت" و "أحمد بن عبيد" و "أبى بكر العبدى". قرأ تاريخ الطبرى و البلاذرى و أبى مخنف و اقتبس من كتاب عيون الأخبار لابن قتيبه، و الكامل للمبرد، و ديوان الحماسه للبحترى، و ترجم لكثير من شعراء المعتزله و الجبريه، و أطال فى قصص المعمرين و أئمه الخوارج.

أما اختيار الشعر و روايه قصائده، فإنه لا يكاد يترك شاعرا ذا أثر قيم من عهد الجاهليه إلى نهايه القرن الذى عاش فيه الا ذكره. و سنتحدث عن ميزه كتاب "الأمالى" بين كتب الأدب عند دراسه أدبه، و نشير فى أطناب إلى منزله هذا الكتاب بين كتب الأدب الأخرى.

مميزات الحياه العلميه فى المذاهب و أثرها فى المرتضى

ثانيه الظاهرتين تمايز العلوم و الفنون فيما بينها، و وضوح المذاهب و النحل الإسلاميه بما كتب فى أصول العقائد.

أما التمايز بين العلوم فهو ظاهره طبيعیه تبدو أثر نضج العلوم، و أخذها سبيل التكامل.

و أما وضوح المذاهب و النحل فقد أرانا القرن الرابع من نشاط المتكلمين فى التأليف و فى المناظره، ما لا بد من جلاء هذه المذاهب و وضوحها، فقد شهدنا لكل مذاهب المتكلمين ظاهريه و أشعريه، و معتزله و شيعه دعاه و حمله، و أنصارا و أتباعا، يتجادلون فيها و يتناظرون عليها، و يتواجهون بها فى غير ترقب و خيفه، بحيث لم تبق فكره إلا استجلبت، و لا دعوه إلا عرفت، و لا وسيله هجوم أو دفاع إلا و قد ألقى بها فى الميادين.

و يكفى للتدليل على صحه ما أوردناه أن نشهد كتب الآراء و النحل تظهر فى طلائع القرن الخامس فلا يجد مؤلفوها صعوبه فى عرفان كل المذاهب و الطرق الإسلاميه، لكثرة ما وقع لهم من كتب العقائد و الكلام.

و الذى أبغى التنصيص عليه أن هذا القرن بما انكشف فيه من وجوه المعرفه تجلى فيه واقع كثير من المذاهب و العقائد الإسلاميه، و أن أى مذهب لم يعلن عن نفسه، و يحدد مركزه و مقامه من بين المذاهب الأخرى ضعف و قل معتقوه فى هذا القرن و فى القرون التى تلته. لذلك لم ينقض القرن الرابع إلا- و قد قضى على كثير من الفرق التى لم تجد وسيله لحمايتها و الذود عنها، أو ظلت تعمل فى كتمان و فى نطاق ضيق بالنسبه للمذاهب الأخرى، فكان على رجال كل مذهب أن ينشطوا للذواد عنه، و تحريره و إعطائه صفه السلامه، أو صفه القدره على البقاء.

أقول هذا لأنتهى إلى أن صنيع "المرتضى" العلمى و الأدبى كان متأثرا بهذا الدافع المذهبى، و أن نشاطه كان من نشاط كثير من أعلام المذهب الشيعى الذين عاصروه.

فقد نبغ فيه من الشيعه "ثالث" لم يعرف القرن الرابع أكثر منهم زيادا عن مذهبه، و حماسه لفكرته.

أولهم: أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبى المعروف "بالمفيد" و "ابن المعلم" ٣٣٦ - ٤١٣، و قد كان رجلا جريئا صريحا لا يزوى من عقيدته طرفا، و كتابه "العيون و المحاسن" و "أوائل المقالات" يشهدان له بهذه الجراه و الصراحه.

قال أبو حيان التوحيدى - فى عرض وصفه للمتكلمين: و أما ابن المعلم، فحسن اللسان و الجدل، صبور على الخصم، كثير الحيله، ضنين السر، جميل العلانيه. (١)

و قال الخطيب البغدادى: صنف "ابن المعلم" كتبا كثيره فى ضلالتهم - بريد الشيعه - و الذب عن اعتقادهم و مقالاتهم، و كان أحد أئمه الضلال، هلك به خلق كثير. (٢) ر.

ص: ٢٨٠

١- الامتاع و المؤانسه ج ١ ص ١٤١ ط لجنة الترجمة.

٢- تاريخ بغداد ج ٣ ص ٢٣١ ط مصر.

وقال اليافعي: وفيها توفي عالم الشيعة، وعالم الرافضة، صاحب التصانيف الكثيره، شيخهم المعروف "بالمفيد"، و"بابن المعلم" البارع في الكلام والجدل والفقہ، وكان يناظر أهل كل عقيدته، مع الجلاله والعظمه في الدوله البويهيه. (١)

وقال ابن النديم: "إليه انتهت رئاسه متكلمى الشيعة، مقدم فى صناعه الكلام على مذهب أصحابه، دقيق الفطنه، ماضى الخاطر، شاهدته فرأيته بارعا". (٢) قال الشيخ الطوسى صاحب الفهرست: إن له قريبا من مائتى مؤلف. (٣)

و ثانيهم: السيد المرتضى - وهو من عقدنا هذه الدراسه له.

و ثالثهم: محمد بن على بن الحسن الطوسى ٣٨٥ - ٤٦٠ صاحب الفهرست المعروف. قال ابن الجوزى فى حوادث ٤٦٠: وفيها توفي من الأكابر أبو جعفر الطوسى فقيه الشيعة. (٤) وقال ابن كثير الشامى: كان فقيه الشيعة مشتغلا بالافاده إلى أن وقعت الفتنه بين الشيعة والسنة سنة ٤٤١ و احترقت داره و كتبه بالكرخ. (٥) وعن تاريخ مصر والقاهرة: فقيه الاماميه وعالمهم، و صاحب التصانيف، كان رافضيا، قوى التشيع. (٦)

قال صاحب الروضات: محمد بن على بن الحسن الطوسى شيخ الطائفة، عين صدوق، عارف بالأخبار والرجال، والفقہ والأصول، مصنف فى كل فنون الإسلام، ومهذب للأصول والفروع. كان له كرسى الكلام فى بغداد، ولم يعط يوما إلا للمتميز من أعلامها. (٧)

و يكفى لبيان جهده فى خدمه مذهبه أن له كتابين من كتب الفقہ الشيعيه الأربعة التى يعدونها الأصول لجميع كتبهم فى الفقہ، و هما كتاب "التهديب" و كتاب "الاستبصار".

والحق أن الشيعة أبدوا من الاستبسال والاستصراء والحماسه لمذهبهم ما استطاعوا أن يكسبوا به الجانب السياسى إلى حد بعيد، و أن يتناولوا المباداه فى المعارك المذهبيه، و أن يقوموا بغربله شامله لمختلف الطوائف الشيعيه نقضا لما لا يرتضون، و استدراجا لمن يرتضون، حتى يصح أن يقول القائل أن أكثر الطوائف الإماميه الشيعيه، التى نشهد لها وجودا فى كتب الملل والنحل لم يعد لها وجود ظاهر بين الناس آنذاك.

روى السيد المرتضى عن الشيخ المفيد أنه قال: و ليس من هؤلاء الفرق التى ذكرناها فرقه موجوده فى زماننا هذا - وهو سنه ٣٧٣ - إلا الاماميه الاثنى عشرية، القائله بامامه "ابن الحسن" المسمى باسم رسول الله، القاطعه على حياته و بقائه إلى وقت قيامه بالسيف، و هم أكثر فرق الشيعة عددا و علماء، و متكلمين و نظارا، و صالحين و عبادا، و متفقيين و أصحاب حديث، و أدباء و شعراء، و هم وجه الاماميه و رؤساء جماعتهم، و المعتمد عليهم فى الديانه، و من سواهم منقرضون، لا يعلم أحد من جمله الأربع عشره فرقه التى قدمنا ذكرها ظاهرا بمقاله، و لا موجودا على هذا الوصف من ديانتته، و إنما الحاصل منهم حكاية عمّن سلف، و أراجيف بوجود قوم منهم لا تثبت. (٨)

و من أجل تصوير صنيع المرتضى فى مؤلفاته على وجهه السوى، لا بد من استعراض الفترات التى مرت بالتشيع.

فقد بدأ التشيع لعلى من يوم وفاه الرسول، و وجد الامام عددا من الصحابه مهاجرين و أنصارا يذهبون إلى إمامته و خلافته من

بعد وفاه الرسول، وظلت الفكره قائمه على شىء من الوضوح حيناً والخفاء أحياناً، ممتده بعد مقتل الامام فى أولاده، أو فى الحسن و الحسين بخاصه من أولاده، فالأئمه من أولاد الحسين.

و كانت الفكره معرضه دائماً إلى التهديد من جانب الخلفاء، مما حمل أصحابها إلى التنادى بها فى خفاء و ستر، و إلى العمل بها بعيده عن الآفاق الضاحيه. و رأى يعمل به فى السر لا بد أن يتعرض فى نفسه إلى كثير من البلبه، و إلى غير قليل من الانقسام، فى أعيان الأئمه فى عددهم، و زاد الطين بله أن خصومهم من الأمويين و العباسيين يملكون من وسائل القوه و الدعاوه ما لا قبل لهؤلاء به، فأكثروا من القول فى مذاهبهم، و نسبوا إليهم ما هم براء منه، و ما لو مكنوا من الإفصاح عنه لبرءوا منه، و لنفوه عن مقالاتهم.

فإذا أضفنا لذلك خوف أئمه الشيعة أحياناً من الجهر بمقالاتهم، و انزوائهم بحكم الحجر عليهم عن أتباعهم، و العمل بالتقيه التى قد تقضى على الامام أن يجارى أهل السنه فى فقههم، أو فى أصول عقائدهم، ثم جهل عدد كبير من الشيعة بأصول المذهب، لعدم تيسر الوسائل لفهمه، و روايتهم لبعض الأحاديث عن الأئمه فى غير مراعاة لحفظ النص على حاق لفظه، أو فهمه على واقع مؤداه، أدركت المهمه الملقاه على عاتق علماء القرن الرابع من الشيعة - و بخاصه السيد المرتضى - فى تحرير تلك الأصول و نفى ما علق بها.

و هناك حقيقه خافيه على كثير من الباحثين، هى أن الشيعة ما كان لفقهايتهم حق الاجتهاد، أو حاجه إلى الاجتهاد، أو حق الفحص المتحرر فى أصول العقيد و فقها ما دام أئمتهم على قيد الحياه، و ما دام يمكن الرجوع إليهم فى أى أمر من أمور الشريعه، و لذلك لم يعملوا ذهنياً، و لم يفتقروا قريحه، و لم يعمل أحد باجتهاده طيله القرون الثلاثه الأولى، و إلى غيبه أمامهم الكبرى سنه ٣٢٩هـ، و طوال هذه المده كانوا أخباريين، رواه حديث عن الأئمه، و أنت تعرف ما يلحق الأحاديث على مرور الأيام من تحوير و تحريف، و سوء نقل و تضارب، و تناقض و كذب و افتراء فى بعض الأحيان.

و قد بدأ الاجتهاد - بمعنى النظر الشخصى فى الأدله - فى ثانيا القرن الرابع الأولى على يد "العمانى" و "ابن الجنيد" - و قد شرحنا ذلك فى الظاهره الأولى - مع قيام الطبقة الراويه المحدثه كمحمد بن بابويه القمى.

و كان عزيزاً على المحدثين من الشيعة أن يقوم هؤلاء بجرد أخبار آلف.

ص: ٢٨١

١- تاريخ اليافعى حوادث .

٢- فهرست ابن النديم ص ٢٥٢ و ٢٧٩.

٣- فهرست الشيخ الطوسى " ترجمه المفيد".

٤- روضات الجنات " ترجمه المفيد".

٥- و روضات الجنات " ترجمه المفيد".

٦- روضات الجنات " ترجمه المفيد".

٧- روضات الجنات ج ٢ ص ٥٨٠-٥٨٤ ط إيران.

٨- الشافى ج ١ ص ١٨٤ إلى ١٨٥ و الفصول المختاره من العيون و المحاسن ج ٢ ص ١١١ ط النجف.

البيت، و يفحصها فحصا علميا، و لكن "المرتضى" أعلن منهجه في البحث - كما سنرى - و رأيه في ذلك الركام الخليط، و انبرى إلى نفي كل ما علق بأخبار الشيعة: من الغلو و الجبر، و التجسيم و التشبيه، و إلى تحديد الفرق بين الطائفة الشيعية الامامية و الطوائف الشيعية الأخرى: كالزيدية، و الإسماعيلية، و الواقفية، و أدخل الاجتهاد و حق النظر فيما ورد من أحاديث الفقه الشيعي الامامي، و أسس له أصولا لفظية و عقلية يعتمد عليها في فهم تلك النصوص، و كان "العماني" و "ابن الجنيد" من قبل السيد المرتضى بقليل، و التفتا إلى خطر هذا الفن في معرفة الأحكام الشرعية، و تابعهما "المرتضى" و زاد، فكانت أصوله تتفق كثيرا مع أصول العامة و تختلف معها فيما يمكن أن يتعارض مع أصول المذهب الشيعي الامامي، فلم يقبل إجماعا و لا قياسا في حدود ما ألفت العامة، و لكنه قبل الإجماع في حدود، و بسبب ما يكشف عن رأى الامام، و قبل القياس في حدود العله المنصوصه، و له في ذلك رسائل متناثره و كتب أهمها: "كتاب الذخيره" و ألف في الفقه المقارن فوازن بين مذهبه محتجا له، و بين المذاهب الأخرى محتجا عليها، و له في ذلك كتب أهمها: "الانتصار" و "الناصريات" و فرق بين الشيعة و المعتزله - و قد كان المذهب الشيعي الامامي يلتقى كثيرا مع الاعتزال، و طالما طعن المعتزله بالرفض - و لكنه حاول محاولات كثيره إلى الفصل بين الاعتزال و المذهب الشيعي الامامي، و أشار إلى مواطن التقائهم و خلافهم. (1)

و لقد كان الشيعة في ذلك العصر على شىء كثير من التوثب الذهني، و اليقظه العقليه، و على كثير من الالتفات إلى أصول مذهبهم، و ما يؤخذ عليها من جرح و نقد و طعن، فكانوا كثيرى التساؤل، كثيرى الاعتراض على صنيع السيد الجديد في أصول المذهب، و لهذا أكثروا و نوعوا الأسئلة، و كان يجيب عليها بما يجلو لهم الشبه و يزيل الشكوك.

و ما كان السيد في أى نتاج علمي أو أدبي إلا- عاملا على تهذيب المذهب الشيعي، و على تنقيته، و على تحديد مكانه من المذاهب الأخرى و كتابه "الأمالى" و "شرحه لقصيده السيد الحميرى"، و كتابه "المحكم و المتشابه" من القرآن - إن صحت نسبتة إليه -، و ديوان شعره، ليست إلا مظهرا من مظاهر الخدمه للفكره الشيعيه، و إن ظهرت بمظهر الإنتاج الفنى الصرف.

نسبه و سيرته

في عام خمس و خمسين و ثلاثمائه للهجره ولد للشريف "أبى أحمد الموسوى" نقيب الطالبين ببغداد، من زوجته فاطمه بنت أبى محمد الحسن "الناصر الصغير" ولد أسماه "عليا"، و لعله تيمن باسم جده على بن أبى طالب. إذ قد عرف بعد أن كبر "بالمرتضى"، و هو لقب للإمام على من بين أئمه أهل البيت.

و من أجل أن نلم بالمهيات التى أعدت المولود الجديد، لمقامه الذى تبوأه بعد حين، لا بد لنا فى جملة ما نلم به أن نشير إلى مكانه أبويه.

أما أبوه فقد حلاه المؤرخون بألقاب كثيره، فهو الأجل الطاهر الأوحده المناقب الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم سابع أئمه الاماميه، و أما أمه فهى فاطمه (1) بنت الحسن نقيب العلويين ببغداد ابن أحمد بن الحسن بن على بن الحسن بن على بن عمر الأشرف بن على زين العابدين رابع أئمه الشيعه.

فالمولود ينتسب لأبوين يصلان به فى نسب قصير إلى غايه ما يمكن أن يطمح له طامح فى التانى لمعالى الأمور دينيه و دنيويه و

من هنا ما كان يستشعر الشيعة له من سمو المقام و المنزله بين سائر العلويين و الطالبين، و ما كان يستشعره هو نفسه من تكاليف و ضرورات ألقاها على عاتقه هذا النسب المتوثب الذى ظل دائما باعث الحماسه فى الطالبين، إلى نهضات طالما ألفت بهم إلى الصدور أو القبور.

و لتصوير ما كان يهياً له هذا المولود من مقام فى مستقبل حياته يحسن إيراد ما قصه "ابن أبى الحديد" و غيره: أن الشيخ المفيد رأى فى حلمه أن "فاطمه الزهراء" بنت رسول الله دخلت عليه و هو فى مسجده بالكرخ و معها ولداهما الحسن و الحسين صغيرين، فاسلمتهما إليه و قالت علمهما الفقه، فانتبه الشيخ عجباً، فلما تعالى النهار صبيحه تلك الليله، دخلت عليه المسجد فاطمه بنت الناصر، و حولها جواريتها و بين يديها ابناها "على المرتضى" و "محمد الرضى" صغيرين، فقام إليها، و سلم عليها، فقالت له: أيها الشيخ، هذان ولداى قد أحضرتهما إليك لتعلمهما الفقه، فبكى الشيخ و قص عليها الرؤيا و تولى تعليمهما. (٢)

هذا الحلم الذى قصه "المفيد" ككثير من أحلام الناس، و لكنه فى الدلاله على ما كان يستشعره من منزله هذا البيت، أو ما يحاول أن يظهر استشعاره من منزلتهم أو منزلته أبلغ أثراً - فى أدنى صور الدلالات - مما لو كان حقيقه من الحقائق من حيث فعله فى نفس الطفل الذى جىء به ليتعلم الفقه.

و هكذا ظل الشعور و اللاشعور يعملان على تكوين صاحبنا فى نفسه و فى نفوس معاصريه، بل هكذا ظلت اليقظه و الأحلام تتعاونان على تكوين الرجل طول حياته.

فإنه لما مرض الوزير "أبو سعيد محمد بن عبد الرحيم" سنة ٤٢٠ رأى الامام علياً فى المنام يقول له: قل "لعلم الهدى" يقرأ عليك الفاتحه حتى تبرأ، فقال: يا أمير المؤمنين، و من علم الهدى؟ قال: على بن الحسين الموسوى، فكتب إليه الوزير، فقال المرتضى: الله الله فى أمرى، فان قبولى لهذا اللقب شناعه على، فقال الوزير: و الله ما أكتب إليك إلا ما أمرنى به أمير المؤمنين. فسمع "القادر بالله" بالقصه، فكتب إلى المرتضى: تقبل ما لقبك به جدك، فقبل. (٣)

بهذا الاحساس واجه الصبى كونه الجديد، فكان فخوراً معتدا بنفسه، و لهذا كثر فخره بنفسه و بآبائه فى شعره، و هى ظاهره شاركه فيها أخوه "الرضى" حتى لقد كان يغلب على طلائع شعرهما الحماسه و الفخر، و لهذا الشعور أيضاً أحس بعظم ما ألقى على عاتقه من واجبات، فانصرف ٤.

ص: ٢٨٢

- ١- انظر مقدمه كتابه "إنقاذ البشر".
- ٢- ابن أبى الحديد ج ١ ص ١٤ ط دار الحلبي، و رياض العلماء ص ٤١٣ نقلاً عن خط الشيخ البهائى، نقلاً عن خط الشيخ الشهيد، و "روضات الجنات" ج ٢ ص ٣٨٣ ط إيران.
- ٣- رياض العلماء ص ٤٧٠: و قد نقل حكاية الوزير جماعه من الخاصه و العامه. و "روضات الجنات" ج ٢ ص ٣٨٣. و مثل هذه فى روضات الجنات ج ٢ ص ٥٦٤.

إلى تكميل نفسه و تثقيفها موفيا به على أبعاد الغايات العلمية و الأدبية.

لم أعرف تحديدا مضبوطا للعام الذى بدأ به دراسته، و لا أول الفروع التى درسها، و إن كنت أرجح أنه الأدب، إذ قرأه - و هو صبى (1) بين الثانية عشره و الخامسة عشره - على "ابن نباته" و هذا يجعلنى أفترض أنه حين وجه إلى "الشيخ المفيد" لدراسه الفقه - كانت سنه لا تقل عن خمس عشر عاما، إذ كان معه أخوه "الرضى" و الرضى ولد بعده بربعه أو خمس أعوام. و من البعيد أو يذهب بالفتى إلى دراسه فقهيه قبل أن يشدوا طرفا من اللغه و الأدب، و من تلك العلوم التى تعتبر أدوات لدراسه الفقه.

إن نتاجه العلمى و الأدبى يدل على أنه سعى للدراسه صغيرا، و أنه قطع شوط صباحا فى دراسه جديده مضمينه، حتى إذا بلغ السابعة و العشرين من عمره عد مرجعا فقهيا و كلاميا، و بدأ الشيعه و غيرهم يتوجهون إليه بالكتب و الرسائل فى علمى الفقه و الكلام من مختلف البلاد المسلمه.

و قد وصفه المؤرخون بأنه كان نحيف الجسم، أشرب بياض بشرته حمرة. و لا بد لى أن أقرر أن نحافه جسمه ليست من هزال أو ضعف، ألا أن يكون ذلك الوصف له فى أيام شيخوخته، فانى لم أعهد الرجل كان شاكيا مرضا أو عله طوال أيام حياته، و أن أسفاره المتعدده إلى مكه أميرا لتطلب قوه جسميه عظيمه و خصوصا أن السفر فى تلك الأيام كان فيه من المشاق و المخاطر، ما لا يقوى عليه إلا- رجل قوى البنيه، و أن قيامه باعمال نقابه النقباء، و قضاء القضاء - و قد ضاق بها أبوه و أخوه الرضى و طلبا الإعفاء منها - مده ثلاثين عاما لتستدعى من القوى الجسميه و العقلية ما لا بد من توفر الرجل على قوى خارقه بالغه.

كما يبدو لى أنه كان رقيق المشاعر، يتأثر بما ينزل باخوانه، و يأسى لأساهم، فلا تصيب أحدهم مصيبه إلا بادر إلى المواساه، معزيا فى قصيده، أو مهنتا بأبيات، مع العلم أن بين أخوانه من لا شان له فى الدوله، و لا نصيب له من جاه المال و القبيل.

و لقد توفى أخوه "الرضى" و شهد الناس جنازته كافه و لكنه امتنع من شهودها، لأنه لم يستطع أن ينظر إلى أخيه فى النزاع، و لا إلى جثمانه محمولا على الأعناق، و لاذ "بالمشهد" (2) إلى أن أعاده الوزير "فخر الملك" إلى داره، فقعد لمجلس الغزاء، و رثاه بقصيده تفيض لوعه و أسى (3):

قدنى إليك فقد أمنت شماسى و كفيت منى اليوم صدق مراسى

أسرى بلا هاد بكل مضله و أجوب مظلمه بلا مقباس

فى أسر قاصمه أخادع جيرتى عنها و أكتم داءها جلاسى

يا للرجال لفجعه جذمت يدى و وددتها ذهبت على براسى

ما زلت أبى وردها حتى أتت فحسوتها فى بعض ما أنا حاسى

راديتها فلقيت منها صخره صماء من جل أشم راسى

و هي قصيده طويله.(٤) كما أنه كان كظوما للغيط، يلقي من أبناء عمومته من الكيد و الحسد الشيء البالغ و لكنني لم أعلمه قابل أحدا منهم بالسوء. و كل ما علمته أنني رأيتة يلجا إلى قول الشعر ينفس به عن نفسه، و يطف من حدته، و يشير إلى ما يلقاه من أذى، و ما يلقاهم به من لطف.

كان مرتضى كاسمه، و لقد يحدث أن يكدر الجو بينه و بين أخيه، فتسوء العلائق أو تكاد، فلا يجد بأسا - و هو الأكبر سنا - أن يمد لأخيه الصغير يدا تسترضيه و تحييه ثم يخطب وده في قصيده شاعره، يرد عليها "الرضى" بمثلها أو بأحسن منها، فلا يلبث الجو الأخوى أن يعود تقى الجوانب، مشرق الأنحاء:

تكشف ظل العتب عن غره العهد و أعدى اقتراب الوصل منا على البعد

تجنبني من لست عن بعض هجره صفوحا، و لا في قسوه منه بالجلد

و كنت على ما جره الهجر ممسكا بحبل وفاء غير منفصم العقد

أمين نواحي السر لم تسر غدره بيالى، و لم أحفل بداعيه الصد

إذا تركت يمنى يديك تعلقى فيا ليت شعرى من تمسك من بعدى؟

هلم نعد صفو الوداد كما بدا إعاده من لم يلف عن ذاك من بد

فأجابه الشريف الرضى:

عجبت من الأيام إنجازها وعدى و تقريبها ما كان منى على بعد

و رثاؤه المتعدد لزوجته أم فتاه "أبى محمد"، صوره واضحه لتلك المشاعر الرقيقه المرهفه:

ألا هل أتاها كيف حزنى بعدها و إن دموعى لست أملك ردها

و مما شجاني أنني لم أجد لها على خبرتى شيئا يهون فقدها

و أنني لما أن قضى الله هلكتها على قلبى المحزون بقيت بعدها

حرام - و قد غيبت عنى - أن أرى من الخلق إلا نظره لن أرددها

و سيان عندى أن حبتنى خريده بوصل يرجى أو حبتنى صدها

و من أين لى فى غيرها عوض بها و قد أحرزت سبل الفضائل وحدها؟

أسام التسلى و هو عنى بمعزل و كيف تسأم النفس ما ليس عندها؟

و ودى بان الله يوم احترامها تخرم من جنبى ما حاز ودها

و أنى لما أنالها الموت غالى فبعدا لنفسى أن قضى الله بعدها

و لله منها حفره جث طائعا فاودعت دينى ثم دنياى لحدھا

و وليت عنها أنفض التراب عن يد نفضت تراب القبر عنها و زندها

كما يبدو حسن التصرفات، منسجما مع عقيدته و مركزه أشد انسجام.

يتغزل غزلا لا يبعد به عن مقام رجل الدين، و يلجا إلى الأحلام - شعره فى الطيف - لينفس عن عواطفه المكبوتة، فى خواطر لم يحاسب عليها مخلوق فى دينه أو فى دنياه، و لم يكن كذلك شان أخيه "الرضى"، فقد تغزل - على عفه فى نفسه ينص عليها التاريخ - غزلا حارا صريحا شان المدلهين المغرمين، و هذا ما لاحظته السيد نعمه الله الجزائرى فى مقاماته. (٥)

و ينبغى أن أشير إلى أن للرجل مسلكا علميا و آخر اجتماعيا، فهو فى مسلكه العلمى صلب راسخ لا يتزحزح عن رأيه و مدرسته قيد أنمله: يحارب الأشاعره و الظاهريه، إمامى أصولى يناهض المحدثين الاخباريين [الأخباريين] من الشيعة.ن.

ص: ٢٨٣

-
- ١- روضات الجنات ج ٢ ص ٣٨٣ ط إيران نقلا- عن كتاب الدرجات الرفيعه. و رياض العلماء ص ٤١٣ نقلا عن خط الشيخ "البهائى"، نقلا عن خط "الشهيد".
 - ٢- ضريح الامام موسى الكاظم.
 - ٣- المنتظم و ابن الأثير حوادث .
 - ٤- الديوان مخطوط ج ٣ ص ٩٣.
 - ٥- روضات الجنات ج ٢ ص ٥٧٧ ط إيران.

و لكنه فى مسلكه الاجتماعى صحب إخوانا و أساتذه و طلابا من كل الأجناس و المذاهب، و عاشرهم معاشره المشاركون له فى الرأى و فى العقيدة، ثم هو لا يمتنع أن يغضى و يصفح حين تقضى ضرورات الخلافه بالحد من نشاط الشيعة، أو بمنع إقامه شعائر المذهب، و لقد أخرج أستاذه "المفيد" و زعيم مذهبه من "بغداد" فلم تثر نائرتة، كما منع الشيعة من إقامه شعائرهم على عهد بعض الخلفاء فما شهدته أعلن نغمه و هياجا، و لكنه سعى باللطف، فأعاد شعائر مذهبه إلى ما كانت عليه.

وفاه المرتضى

و بعد عمر حافل بجلائل الأعمال لم ينقطع فيه عن عمل فى السياسه أو عمل فى التأليف، و بعد أن تجاوز الثمانين، و لخمس بقين من ربيع الأول سنه ٤٣٦ مشى به المشيعون فى حشد من تلاميذ مدرسته. فتولى غسله تلميذه "أحمد بن الحسين النجاشى"، يعاونه الشريف أبو يعلى "محمد بن الحسن الجعفرى"، و "سلار بن عبد العزيز"، و كلاهما من أعلام تلاميذه، و صلى عليه ابنه فى داره بالكرخ، ثم دفن فى مساء اليوم الذى توفى فيه، فانطوى بموته علم من أعلام القرن الرابع ببغداد.

هذا و للمرتضى كما لأخيه "الرضى" ضريحان قائما حتى اليوم فى الكاظميه، قرب مرقد الامام "موسى الكاظم (ع)"، تسرج فيهما المصاييح ليلال و يقصدهما العامه للتبرك و قراءه الفاتحه، و قد تعاقبت الأيدى على هذا منذ زمن يجهل مداه على التحقيق، و لكنه ليس بالقرب على كل حال. يقابل ذلك حديث المؤرخين و رجال البحث النذاهب إلى أنهما ليسا مرقدى الشريفين، و أنهما دفنا فى كربلاء عند ضريح الحسين (ع).

و لقد حاولت جهد الطاقه دراسه ما تقوم عليه هذه اليد، و ما يتحدث به الخاصه، فانهتيت إلى:

١ - أن التاريخ القديم شيعيا و غير شيعى يجمع على أن كلا- من الشريفين دفن فى داره(١) و دارهما - بحسب ما يراه المعاصرون العارفون بخطط بغداد - ليستا حيث مرقدهما الآن.

٢ - أن التاريخ الشيعى قديما و حديثا ينص على أنهما نقلا بعد الدفن فى دارهما إلى كربلاء،(٢) و دفنا فى مقبره جدهما الأعلى إبراهيم المجاب،(٣) و تقع مقبرته جوار ضريح الامام الحسين (ع).

٣ - إن تقليدا شيعيا شائعا منذ القرن الرابع حتى اليوم ينقل تمسكا به جثمان الملوک و الوزراء و الشخصيات العلميه إلى حيث يرقد الامام الحسين، أو الامام على بن أبى طالب (ع). و قد دفن فى النجف على العهد البويهى "عضد الدوله" و ابنه "شرف الدوله" و "بهاء الدوله" و كثير من الملوک و الوزراء البويهيين، و إن تكن "مقبره قريش" فى بغداد حظيت تربتها بكثير من أعلام الشيعة.(٤)(٤,٤)

٤ - إن تقليدا أسريا لآل "أبى أحمد" يقضى فى الغالب بدفن أفراد الأسره فى "كربلاء"، فقد دفن والد الشريفين النقيب "أبو أحمد" (٥) فى داره ثم نقل إلى مشهد الحسين "بكربلاء" و أن أختا للشريفين نقل جثمانهما إلى "كربلاء" (٦) و أن زوجه الشريف المرتضى(٧) ماتت ببغداد و نقل جثمانها إلى كربلاء، فالملاحظ أن من تقاليد هذه الأسره أن تتخذ من مرقد الامام الحسين (ع) مدفنا لها.

أنجب المرتضى ولدا كناه "أبا محمد"، و كان حريصا على تربيته عاليه، و لكنه - فيما ظهر لى - لم يكن على شىء من العلم، لأنه لم يذكر فى تراجم أعلام الشيعة، و قد ذكره "ابن خلكان" بين المتوفين فى حوادث ٤٤٣. و أسماه "أبا عبد الله الحسين". تزوج "أبو محمد" هذا فى حياه أبيه فاعقب ولدا، و ظل عقب "المرتضى" يطرد من ابنه هذا حتى وصل إلى "أبى القاسم" النسابة صاحب كتاب "ديوان النسب".

قال صاحب "عمده الطالب": و عقب "المرتضى" من ابنه "أبى محمد" - و هو الذى من ولده أبو القاسم النسابة صاحب كتاب "ديوان النسب" و غيره - على بن الحسن بن محمد بن على بن أبى جعفر محمد بن أبى عبد الله الحسين بن المرتضى. و كان للنسابة ابن اسمه "أحمد" درج و مات و انقرض به بيت الشريف المرتضى علم الهدى.

و أنجب من الإناث زينب و خديجه.

و فيما قرأت أن أخاه "الرضى" يهنيه بولاده ثلاث بنات فى ثلاث قصائد:

- ١

لبست الوغى قبل ثوب الغبار و قارعت بالنصل قبل الغرار

٢ - و قد أعدها لتنهته أخيه بمولود ذكر فلم يتفق له ذلك:

ليهنيك مولود يولد فخره أب بشره للسائلين ذرائع

وليد لو أن الليل ردى بوجهه لما جاوزته بالجنوب المضاجع

و مبتسم يرتج فى ماء حسنه له من عيون الناظرين فواقع

٣ - يهني أخاه بميلاد ذكر فجاءته بنت فصرفها (القصيده) إلى غيره.

كما شاهدته يعزى أخاه بابتين توفيتا:

- ١

لا لوم للدهر و لا عتابا تغاب إن الجلد من تغابى

- ٢

فلا تحسبن رزء الصغائر هينافان و جى الأخفاف ينضى الغواربا

و الذى يهمنى من تعداد بنات "السيد المرتضى" و تحقيق أن له أكثر من ٤.

ص: ٢٨٤

- ١- الخطيب البغدادي ج ١ ص ٤٠٣ ط الخانجي، و ابن خلكان ج ٤ ص ٤٨ مطبعه النهضة و فوات الوفيات ج ٢ ص ٣٧٨ ط إستانبول، و المنتظم لابن الجوزي حوادث . أما ابن الأثير فقد نص على نقل جثمانه إلى كربلاء. انظر الكامل حوادث .
- ٢- رياض العلماء ص ٤١٣ نقلا عن الفاضل التنوخي، ٤٤٨ نقلا عن رجال النجاشي، ٤٨٢ نقلا عن العلامة الحلي في الخلاصه، و روضات الجنات ج ٢ ص ٣٢٤ نقلا عن كتاب "الدرجات الرفيعه" و حاشيه الخلاصه للشهيد، و "زهر الرياض" و "بحر العلوم".
- ٣- يخالف (أعيان الشيعه) ما هو مشهور من أن الشريفين من أبناء إبراهيم المجاب، و ينسبهما إلى أخيه إبراهيم المرتضى. و قد ذهب إلى ذلك من قبله صاحب "عمده الطالب". انظر رياض العلماء ص ٤٧١ و أعيان الشيعه ترجمه إبراهيم المجاب.
- ٤- ممن دفن بها عميد الجيوش أستاذ هرمز بامر من الشريف الرضى، المنتظم حوادث، و الملك معز الدوله ينقل من قبره ليدفن بمقابر قریش حوادث .
- ٥- المصدر السابق حوادث .
- ٦- ديوان الرضى ج ١ ص ١٣٩ ط بيروت.
- ٧- ديوان المرتضى مخطوط ج ١ ص ٩٤.

بنتين، أن انتهى إلى أنه من الجائز أن تكون الثالثة هي التي بقيت حيه، و روت عن عمها "الرضى" كتاب "نهج البلاغه"، و رواه عنها الشيخ "عبد الرحيم" المعروف ب "ابن الإخوه".

قال صاحب "رياض العلماء": كانت فاضله جليله، تروى عن عمها "الرضى" كتاب نهج البلاغه، و يروى عنها الشيخ "عبد الرحيم" البغدادي، المعروف ب "ابن الإخوه"، على ما أورده "القطب الراوندى" فى آخر شرحه على النهج.

هذا و لم يعقب "الرضى" بعد ولده "أحمد" أبى عدنان - الذى تولى النقابه بعد عمه - أحدا، فانقرض بيت "الرضى" بانقراضه.

و فى حدود ما ظهر لى من كتب الأنساب و التاريخ أن عقب "الرضى" انقرض بانقراض ولده "عدنان" و أن عقب المرتضى انقرض بانقراض "أحمد" ابن النسابه صاحب "ديوان النسب" المتقدم ذكره. فلا شاهد لأحد من المعاصرين إذ يرتفع بنسبه إلى الشريف المرتضى.

بينه و بين معاصريه

فى تاريخ "السيد" من المفارقات الطريفه ما لو حاولنا الجمع بينها لاستعصى الأعلى ضرب من التخريج. و الملاحظ فى هذه المفارقات أنها لم تكتب فى تاريخه مباشره، و إنما كتبت فى تاريخ يتصل به اتصالا ما، فأنت إذ تقرأ ترجمته فى كتب السير ترى ما يشبه الإجماع على علو همه الرجل، و سمو منزلته، و ترفعه عن الصغائر و الدنيايا، بل أنك واجد ما هو أبعد من هذا:

واجد نبلا و مروءه، و إنفاقا على العلم و أهله، و لكنك إذ تقرأ سيره أخيه "الرضى" فى شرح النهج و غيره واجد - من أجل تصوير ما عليه الرضى من فتاء و أباء - أن "المرتضى" كان ضعيف الهمه، متضائل النفس، قد يقابل من جانب الوزراء بالازدراء، أو بما يشبه الازدراء، على حين يقابل أخوه "الرضى" بكثير من التعظيم و الإجلال.

و ساسوق لك طرفا من المفارقات العجيبه، ثم أضع بين يديك ما انتهت إليه، من إمكان صحه ما ورد فيها و بطلانه، لعلى و إياك نقف على الأصل الذى اصطنع هذه المفارقات.

١ - حكى الخطيب "أبو زكريا يحيى بن على التبريزى اللغوى": إن أبا الحسن "على بن أحمد بن على الفالى الأديب"، كانت له نسخه من كتاب "الجمهره" لابن دريد فى غايه الجوده، فدعته الحاجه إلى بيعها، فاشتراها "الشريف المرتضى" بستين ديناراً، و تصفحها، فوجد فيها أبياتا بخط بائعها:

أنست بها عشرين حولا و بعثها لقد طال و جدى بعدها و حنينى

و ما كان ظنى أننى سأبيعها و لو خلدتنى فى السجون ديونى

و لكن لضعف و افتقار و صبيه صغار عليهم تستهل شئونى

فقلت - و لم أملك سوابق عبره - مقاله مكوى الفؤاد حزين:

و قد تخرج الحاجات يا " أم مالك " كرائم من رب بهن ضنين

فارجع النسخه إليه و ترك الدنانير. (١) - قرأت بخط "محمد بن إدريس الحلى الفقيه الشيعى" قال:

حكى "أبو حامد" أحمد بن محمد الاسفرايينى الفقيه الشافعى قال:

كنت يوما عند فخر الملك أبى غالب "محمد بن خلف" وزير بهاء الدوله و ابنه سلطان الدوله، فدخل عليه "الرضى" أبو الحسن، فأعظمه و أجله، و رفع من منزلته، و خلى ما كان بيده من القصص و الرقاع، و أقبل عليه يحادثه إلى أن أنصرف. ثم دخل بعده المرتضى أبو القاسم - رضى الله عنه -، فلم يعظمه ذلك التعظيم، و لا - أكرمه ذلك الإكرام، و تشاغل عنه برقاع يقرأها، و توقيعات يوقع بها، فجلس قليلا، و ساله أمرا فقضاها، ثم انصرف.

قال "أبو حامد": فتقدمت إليه و قلت له: أصلح الله الوزير، هذا "المرتضى" هو الفقيه المتكلم، صاحب الفنون، و هو الأفضل و الأمثل منهما، و إنما "أبو الحسن" شاعر، قال: فقال: إذا انصرف الناس، و خلا المجلس أجبتك عن هذه المسأله، قال: و كنت مجمعا على الانصراف فجاءنى أمر لم يكن فى الحساب، فدعت الضروره إلى ملازمه المجلس إلى أن تقوض الناس واحدا فواحدا، فلما لم يبق إلا غلمانه و حجابہ دعا بالطعام، فلما أكلنا و غسل يديه و انصرف عنه أكثر غلمانه، و لم يبق عنده غيرى، قال لخدام له:

هات الكتابين اللذين دفعتهما إليك منذ أيام، و أمرتك أن تجعلهما فى السفط الفلانى، فأحضرهما، فقال: هذا كتاب "الرضى"، اتصل بى أنه قد ولد له، فأنفذت إليه ألف دينار، و قلت: هذا للقابله، فقد جرت العاده أن يحمل الأصدقاء إلى أخلائهم، و ذوى مودتهم مثل هذا فى مثل هذه الحال، فردها، و كتب إلى هذا الكتاب فقرأه، فقرأته - و هو اعتذار على الرد - و فى جملته: "أنا أهل بيت لا يطلع على أحوالنا قابله غريبه، و إنما عجائزنا يتولين هذا الأمر من نساتنا، و لسن ممن يأخذن أجره، و لا يقبلن صله". قال فهذا هذا.

و أما "المرتضى" فاننا كنا قد وزعنا و قسطنا على الأملاك ب "بادرويا" تقسيطا نصرفه فى حفر فوهه النهر المعروف "بنهر عيسى"، فأصاب ملكا "للشريف المرتضى" بالناحيه المعروفه "بالداهريه" من التقسيط عشرون درهما، ثمنها دينار واحد، قد كتب إلى منذ أيام فى هذا المعنى هذا الكتاب، فقرأه، فقرأته، و هو أكثر من مائه سطر، يتضمن من الخضوع و الخشوع، و الاستماله و الهز، و الطلب و السؤال، فى إسقاط هذه الدراهم عن أملاكه المشار إليها ما يطول شرحه. قال "فخر الملك": فأيهما ترى أولى بالتعظيم و التبجيل: هذا العالم المتكلم الفقيه الأوحد و نفسه هذه النفس، أم ذلك الذى لم يشتهر إلا بالشعر و نفسه تلك النفس؟ فقلت: وفق الله سيدنا الوزير. (٢)

هاتان قصتان تتفارقان مفارقه كليهما، تدل أولاهما على نبل "السيد" و سمو روحه، و تدل الثانية على نفس متخاذله متهالكه، لا تحسن فى سبيل التوفر على دينار واحد أن تحفظ مقامها الاجتماعى.

أما الأولى فلا تكاد تبعد كثيرا عما عرف عن "السيد" من مقام اجتماعي، وخلق نفسي، و أما الثانيه - وهى التى تبدو ناشزه على سيره الشريف - فهى التى وعدت أن أضع بين يديك أمر النظر فيها.٣.

ص: ٢٨٥

١- ابن خلكان ج ٣ ص ٦ ط النهضة المصريه سنه ١٩٤٨ و مرآه الجنان ج ٣ ص ٥٠٦ ط حيدرآباد و شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٥٨.

٢- ابن أبى الحديد ج ١ ص ١٣.

القصة يرويها "ابن أبي الحديد" في سبيل التنويه بمقام "الرضي" ونحن لا نحيل التنويه بمقامه - فقد كان مجعاً على فضله - ولكن التنويه بمقام إنسان لا ينبغي أن يتم على حساب إنسان آخر، ليتخذ منه سبيل مقارنه و مفارقه. و سننقد القصة من حيث سندها و رواتها و ما اختلفت عليه الروايات: (أ) يقول ابن أبي الحديد: قرأت بخط "محمد بن إدريس الحلبي الفقيه الامامي". و أنا أستبعد جداً أن يسجل "محمد بن إدريس الحلبي الامامي" على "المرتضى" هذه المنقصة. و قد عرف "ابن إدريس" بأنه من رأى "المرتضى" في كثير من مسائل الفقه، و من مشايخه في رأيه الأصولي، و من تلاميذ مدرسته، بحيث متى ذكر "ابن إدريس" قرن "بالسيد المرتضى" في كثير مما تدفع به عن "ابن إدريس" المآخذ الفقهية.

ب - حكى "أبو حامد أحمد بن محمد الأسفراييني الفقيه الشافعي".

و الشافعي أبو حامد الاسفراييني - على عظم مقامه، و سمو منزلته في نظر الشافعية خاصة - كان معاصراً "للمرتضى" و قرنا له في الزعامه المذهبيه و من أجل الاسفراييني أخرج الشيخ المفيد - أستاذ المرتضى - من بغداد و كانت العداوه يومئذ بين الشيعة و الشافعية في ذات أئمتها بالغه ذروتها.

ج - كنت يوماً عند فخر الملك... إلخ. أن علاقته المرتضى ب "فخر الملك" كانت وثيقه جداً، و كانت العواطف المتبادله بينهما لا نظير لها في كل من عرفت "للسيد" صلته به، و كانا يتزاوران و يصطحبان(١) و للسيد في مدحه قصائد جياذ تنيف على عشرين قصيده،(٢) و إذ قتل "فخر الملك" جزع السيد جزعاً شديداً، و رثاه بقصائد أربع، لم يرث بمثلاً خليفه أو ملكاً أو صديقاً، و أقسم بعد قتله ألا يقول الشعر، و ظل منقطعاً عنه سنين ثمانيه، حتى إذا قدم "سلطان الدوله" ابن الملك "بهاء الدوله" إلى بغداد طلب منه أن يقول الشعر ملحا معاوداً، فاعتذر بما سبق أن عزم عليه: من ترك الشعر بعد "فخر الملك"، و لكنه حمله على قوله بمعاوده الإصرار.(٣)

فهل تكون هذه العواطف من جانب "المرتضى" لرجل كان يزدري مقامه، و يستهين بكرامته، و يلقاه بالفتور و البرود؟.

و الطريف في الأمر أنك تجد القصة نفسها تروى بلسان آخرين، و مع وزير آخر غير فخر الملك، فمره تروى عن أبي إسحاق محمد بن إبراهيم العباسي الكاتب،(٤) و مره عن لسان "أبي إسحاق"،(٥) و كلاهما - كما كان الحال مع "أبي حامد الاسفراييني" - يدعى مشاهده المجلس وحده، و مع ادعاء التفرد بمجلس الوزير لا يصح أن يشاهدها آخرون، و هذا صريح في اختراع القصة، أو في اختراع راويها.

و أطرف من هذا أنها في إحدى الروايات تجرى مع "أبي محمد الوزير المهلبى" لا مع "فخر الملك"، و لكن الوزير "المهلبى" مات قبل أن يخلق المرتضى بثلاث سنوات أو أربع.(٦) ٣ - و يدخل في باب المفارقات ما يورد للسيد و عنه بحسن نيه، و بقصد التنويه بذكره، و لكنه يخرج به عن خلقه المعروف به، أو عن الخلق الإنساني السوى العام. فمن الشائع في الأوساط الخاصه لرجال المذهب الشيعي، و الوارد في بعض المصادر(٧) أن السيد الرضى حين أسمع أخاه المرتضى قصيدته في رثاء "أبي إسحاق الصابى":

أ علمت من حملوا على الأعواد أ رأيت كيف خبا ضياء النادى

و فيها قوله:

إن لم تكن من أسرتي و عشيرتي فلأنت أعلقهم يدا بودادي

الفضل ناسب بيننا ان لم يكن شرفي مناسبه و لا ميلادي

غضب المرتضى - لمكانه أخيه من النسب و الدين و قال له مستخفا "بالصابي": حملوا كلبا.

يريدون بما أوردوا أن ينزهوا مقام رجل الدين المسلم عن رثاء رجل ذمي، ناسين أن جواب "المرتضى" إن صح يتنافى مع الخلق الرفيع، الذي يجب أن يتحلى به رجل كالمرتضى.

ولكني وجدت الشريف "المرتضى" نفسه يرثي "أبا إسحاق الصابي" رثاء لا يقل تقديرا و أسي عن رثاء "الرضي" له، و وجدت بين "المرتضى" و "أبي إسحاق" من تبادل العواطف و الإخاء ما يدل على أن الأخوات و الصداقات لا يحول دونها اختلاف في منسب أو مذهب، و إن الرجل ما كان يحول مقامه الديني من أن يتغنى باخاء رجل "كأبي إسحاق" و أن يرثيه:

ما كان يومك يا أبا إسحاق إلا وداعي للمنى و فراقى

لو لا حمامك ما اهتدى هم إلى قلبى و لا نار إلى إحراقى

و سلبت منك أجل شطرى عيشتى و فجعت منك بأنفس الأعلاق

لما رأيتك فوق صهوه شرجه بيد المنايا أظلمت آفاقى

و كأنتى من بعد ثكلك ذو يد جذاء أو غصن بلا إبراق

و موده بين الرجال تضمهم و تلفهم خير من الأعراق

من ذا نضا عنا شعار جمالنا و رومى هلال سماننا بمحاق؟

(٨) بل رأيت "المرتضى" يجرى إلى أكثر من هذا فيمدح "هلال بن المحسن الصابي" و هو حفيد "أبي إسحاق" بأبيات فيها:

و قول زارنى فوددت أنى و قيت بمهجتى من كان قاله

(٩)

ذكرت به الصابى و الغوانى و أيام الشبيه و البطاله

و كيف ألوم أما لمت دهرا ضللت به فاطلع لى هلاله

غفرت به ذنوب الدهر لما أتى كفى و أعلقها وصاله

و ما أنا مصطفى إلا خليلا رضيت على تجاربه خلالله

ص: ٢٨٦

- ١- الديوان ج ٢ ص ٨٥.
- ٢- الديوان ج ٢ ص ٦٨، ٧٢، ٧٣، ٨٠، ٨٥، ٨٦، ٨٧، و ج ٣ ص ٣، ٥، ٧، ٨، ١٠، ١١، ١٢، ١٤، ١٥، ١٧، ١٩، ٢١، ٨٩.
- ٣- الديوان ج ٣ ص ٩٩.
- ٤- انظر مقدمه ديوان الرضى طبع بيروت.
- ٥- روضات الجنان ج ٢ ص ٥٧٥ طبع إيران.
- ٦- المنتظم حوادث ٣٥١ و تجارب الأمم حوادث ٣٥٢.
- ٧- الشريف الرضى للدكتور محفوظ طبع بيروت سنة ١٩٤٤.
- ٨- الديوان ج ٣ ص ٨٣.
- ٩- الديوان ج ٣ ص ٨١، ٨٢ قالها المرتضى جوابا "لهلال ابن المحسن" عن قصيده أرسلها للمرتضى و فيها يقول هلال بن المحسن: أ سيدنا الشريف علوت عزاتضاف إليك أوصاف الجلاله لأنك أ و احد و الناس دونو من يسمو لمجدك لن يناله و لى أمل سادركه و شيكابعون الله فيك بلا محاله و ليس على موالاتى مزيدلأنى لم أرثها عن كلاله

و هي طويله قبست منها موضع الحاجه.

٤ - و قد رمى الشريف بالبخل فى أحد المصادر القديمه و عنه نقلت المصادر المتاخره ذلك. جاء فى "عمده الطالب": "و كان المرتضى يبخل، و لما مات خلف مالا كثيرا، و خزائنه اشتملت على ثمانين ألف مجلد، و لم أسمع مثل ذلك.(١).

إن صفتى البخل و الكرم يختلف فيها عرف عن عرف، و ليس لمدلولها حد معين و بخاصه فيما تعارف عليه العرب من تقدير الصفتين فان أريد بهذه العبارة اتهام الشريف بالتخلى عن واجباته الاجتماعيه و بتقثيره على نفسه أو أسرته أو إخوانه فى سبيل التوفر على جمع المال و اختزانه فذلك ما لم يثبت من سيرته، إذ قد عرف بالسعه فيما توجه منزلته: من الظهور بمظهر الغنى و البسطه، و من إعطاء الجرايات الشهريه لأفاضل مدرسته و أصدقائه، و من حبسه قريه على كاغد الفقراء، و إهدائه الهدايا الجسام لزعماء القبائل حين يجتاز الباديه إلى مكه.

و إن أريد بالبخل عدم الأخذ بأساليب الأجواد من كرام الأشراف الأمراء و الخلفاء، و ذلك بالإنفاق فى إسراف على الشعراء، و بخل الخلع للمادحين لهم و بالعطاء المتسع لكل مجتد و طالب، حتى ينتقل الثرى منهم - ما لم يكن وهايا نهايا - بين عشيه و ضحاها من غنى إلى فقر، و من ثراء إلى عدم، فذلك ما كان الشريف حقا عليه. و لكن هذا ليس بالصفه التى يعاب بها رجل العلم و الدين.

لو كان الشريف من الأجواد لتسابق شعراء العصر إلى امتداحه، و لتزاحموا على بابه، و لديهم أكثر من سبب للقول فيه، و التغنى بامجاده، و لكنهم كانوا نزرى القول فيه على كثره المناسبات.

هذا "مهيار الديلمى" لم يحفل ديوانه الكبير بغير قصيده واحده فى مدح الشريف، و القصيده نفسها - على ما احتوت من إطراء - لا تخلو من تشريب على التباطؤ عن إنجاز وعد كان الشريف وعده إياه، بل هى قيلت تذكيرا بوعد لم ينجز:

"أبا القاسم" استمتع بها نبويه تراجع عنها الناس فيما توغلوا

محاسن إن سارت فقد سار كوكب بذكرك، أو طارت فقد طار أجدل

تحدث عنها الناطقون و أصبحت بها العيس تحدى و السوابق تصهل

سما للعلی قوم سواك فلم تنل سماؤك، حتما أن باعك أطول

أ لست من القوم استخفت سيوفهم رقاب عدا كانت على الموت تثقل!

تؤدى فروض الشعر - ما قيل فيكم - و فى الناس أما جازكم يتنفل

نحمس من آثاركم و علاكم و نسب من أحلامكم و نغزل

لك الخير! ظنى فى اعتلاقك عاذرى فلا تتركن - يا حر - وعدك يعذل لعمري!

و بعض الريث خير مغبه و لكن حساب الناس لى فيك أعجل

تشبث بها أكرومه فى إنها كتاب يوفى فى يديك مسجل

فو الله ما أدري! هل الدهر عارف بفضلك إلهاما أم الدهر يغفل؟

(٢) و من القصص الطريف الذى يراد به الدلاله على ذكاء المرتضى المفرط، أو ذكاء من يكون طرفا ثانيا للمرتضى، و لكنه بما يحاط به من تزيد أو مغالاه، يحيله إلى ما يعود على خلق "المرتضى" بأذى و تخديش، لو قبلناهما لتناقضا كثيرا مع الخلق المعروف عن الرجل، و مع الظروف التى تلايسه. فقد روى أن "أبا العلاء" يوم ورد على "بغداد" كان ملازما لمجلسه و أنه - أعنى أبا العلاء - كان يتعصب "للمتنبي"، و يفضله على غيره من الشعراء، على حين كان الشريف ينتقصه، و يورد معاييب فى شعره، فقال "المعري" يوما: لو لم يكن "للمتنبي" إلا قوله:

لك يا منازل فى القلوب منازل أقفرت أنت و هن منك أو اهل

لكفاه فضلا. فغضب المرتضى" و أمر بإخراجه من مجلسه، و تزيد بعض الروايات على ذلك فتقول: فسحب برجله و أخرج ثم قال لمن حضر:

أ تدرين أى شىء أراد بذكر هذه القصيده، فان "للمتنبي" أجود منها و لم يذكرها. إنما أراد قوله:

و إذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهاده لى بانى كامل

إننا ننكر هذا، لأننا لم نشهد فى كل ما كتب "أبو العلاء" تعريضا بالمرتضى، و لا فى جملة ما كتب "المرتضى" انتقاصا "لأبى العلاء"، بل وجدنا غير ذلك. وجدنا أبا العلاء - الطريد فى مجلس "الشريف" على زعم الأخباريين - بعد تسعه أعوام من عودته إلى المعره لا ينسى فضل هذا البيت، و لا فضل الشريفين خاصه، فيبعث إليهما عند وفاه والدهما "أبى أحمد" مواسيا معزيا، بقصيده من غرر ما فى ديوانه - سقط الزند -، و لا يفوته أن يستطرد إلى مدح "المرتضى" و ولده بما يدل على كرم شيم، و نبل نفس، و أن يستجد عذرا له مما قدم من شعره فى التعزیه هو دون أهل هذا البيت مقاما و منزله:

أودى فليت الحادثات كفاف مال المسيف و عنبر المستاف

الطاهر الآباء و الأبناء و الآراب و الأثواب و الآلاف

و لقيت ربك فاسترد لك الهدى ما نالت الأيام بالإتلاف

و سقاك أمواه الحياه مخلدا و كساك شرخ شبابك الأفواف

أبقيت فينا كوكبين سناهما فى الصبح و الظلماء ليس بخافى

قدرين فى الارداء بل مطرين فى الاجداء بل قمرين فى الاسداف

رزقا العلاء فأهل نجد كلما نطقا الفصاحه مثل أهل دياف

ساوى " الرضى " " المرتضى " و تقاسما خطط العلى بتناصف و تصافى

حلفا ندى سبقا و صلى المرضى فىا لثلاثه أحلاف(٣)

أنتم ذوو النسب القصير فطولكم باد على الكبراء و الأشراف

و الراح إن قيل ابنه العنب اكتفت باب عن الأسماء و الأوصاف(٤)

ما زاغ بيتكم الرفيع و إنما بالوجد أدركه خفى زحاف

و يخال " موسى " (٥)جدكم لجلاله فى النفس صاحب " سوره الأعراف "

يا مالكى سرح القريض أتتكما منى حموله مستين عجاف

لا تعرف الورق اللجين و إن تسل تخبر عن القلام و الخذرافم.

ص: ٢٨٧

١- رياض العلماء ص ٤٧١ و روضات الجنات ترجمه المرتضى

٢- ديوان مهيار الديلمى ج ٣ ص ١١.

٣- سقط الزند ج ٣ ص ٦٢ ط بولاق قال الشارح: الأظهر المرضى: هو ابن للمرتضى.

٤- فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٧٥ ط مصر. قال الصفدى: ما عزی كبير بذاهب سلف بمثل هذا البيت.

٥- يريد الامام موسى بن جعفر الكاظم.

و أنا الذى أهدي أقل بهاره حسنا لأحسن روضه مثناف

أوضعت فى طرق التشرف ساميا بكما و لم أسلك طريق العافى (١)

و أدل من هذا كله على ما لأبى العلاء من إعجاب بالشريف، و ذكرى حسنه لأيام إقامته فى بغداد، لم تنقص باذلال و إهانته ما روى من أن أبا العلاء سئل عن "المرتضى" بعد عودته من العراق فقال:

يا سائلى عنه فيما جئت تسأله ألا هو الرجل العارى من العار

لو جئته لرأيت الناس فى رجل و الدهر فى ساعه و الأرض فى دار (٢)

و مما يتصل بذكاء المرتضى أو بإلحاد أبى العلاء - فى نظر من يذهب إلى أنه من الملاحده - ما يروى:

اعترض "المعري" يوما على المرتضى بمجلسه ببغداد فى حد السارق المقرر فى الشريعة فأنشأ يقول - بمقتضى إلحاده :-

يد بخمس مئين عسجد و ديت ما بالها قطعت يوما بدينار

تناقض ما لنا إلا السكوت له و أن نعوذ بمولانا من النار

فأجابه المرتضى على الفور:

عز الأمانه أغلاها و أرخصها ذل الخيانه فانظر حكمه البارى (٣)

و مما يورد فى كتب التوحيد أو فى ترجمه "أبى العلاء" للتدليل على كفره و إلحاده ما ورد فى كتاب الاحتجاج للطبرسى روايه عن الشيخ سليمان الصهرشتى:

دخل أبو العلاء على السيد المرتضى فقال أيها السيد:

ما قولك فى الكل؟ قال السيد: ما قولك فى الجزء؟ فقال ما قولك فى الشعرى؟ فقال السيد: ما قولك فى التدوير؟ فقال ما قولك فى عدم الانتهاء؟ فقال السيد: ما قولك فى التحير و الناعوره؟ فقال ما قولك فى السبع؟ فقال السيد: ما قولك فى الزائد البرى على السبع؟ فقال ما قولك فى الأربع؟ فقال السيد: ما قولك فى الواحد و الاثنين؟ فقال ما قولك فى المؤثر؟ فقال السيد: ما قولك فى المؤثرات؟ فقال ما قولك فى النحسين؟ فقال السيد: ما قولك فى السعدين؟ فبهت أبو العلاء فقال المرتضى: ألا كل ملحد ملهد، فقال أبو العلاء من أين أخذته؟ قال "المرتضى" من كتاب الله عز و جل: (يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ).

ثم قام و خرج فقال السيد: قد غاب عنا الرجل و بعد هذا لا يرانا.

فسئل السيد عن شرح هذه الرومز [الرموز] فقال:

سالني عن الكل و عنده الكل قديم، و بشير [يشير] بذلك إلى عالم سماه العالم الكبير، فقال: ما قولك في ذلك؟ فأجبت عن ذلك و قلت: ما قولك في الجزء؟ لأن الجزء عندهم محدث و هو المتولد عن العالم الكبير، و هذا الجزء هو العالم الصغير عندهم، فكان مرادى بذلك: إنه إذا صح أن هذا العالم محدث، فذاك الذى أشار إليه إن صح فهو محدث أيضا، لأن هذا من جنسه على زعمه، و الشيء الواحد واحد، و الجنس الواحد واحد لا يكون بعضه قديما و بعضه محدثا. فسكت.

أما الشعرى أراد أنها ليست من السيارة، فقلت له: ما قولك في التدوير؟ أردت أن الفلك في التدوير و الدوران بالشعرى.

و أما عدم الانتهاء أراد بذلك أن العالم لا ينتهى لأنه قديم، فقلت له:

قد صح عندى التحير و التدوير، و كلاهما يدلان على الانتهاء.

و أما السبع، أراد بها السيارات التى هى عندهم ذوات الأحكام، فقلت له: هذا باطل بالزائد البرى الذى لا يكون منوطا بهذه السبع.

و أما الأربع أراد بها الطبائع، فقلت له: ما قولك فى طبيعه الواحده الناريه، يتولد منها دابه بجلدها تمس الأيدى، ثم يطرح ذلك الجلد على النار فتحرق الزهومات و يبقى هو صحيحا، لأن الدابه خلقها الله على طبيعه النار، و النار لا تحرق النار، و البلح أيضا يتولد منه الديدان و هو على طبيعه واحده، و الماء فى البحر على طبيعتين يتولد منه السموك و الضفادع و الحيات و السلاحف و غيرها. و عنده لا يحصل الحيوان إلا بالأربع.

و أما المؤثر، أراد به زحل، فقلت: ما قولك فى المؤثرات، أردت بذلك أن كلهن عنده مؤثرات، فالمؤثر القديم كيف يكون مؤثرا.

و أما النحسان، أراد أنهما من السيارة إذا اجتماعا يخرج من بينهما سعد، فقلت له: ما قولك فى السعدين إذا اجتماعا يخرج من بينهما نحس.

هذا حكم أبطله الله، ليعلم الناظر أن الأحكام لا تتعلق بالمسخرات، لأن المشاهد يشهد على أن العسل و السكر إذا اجتماعا لا يحصل منهما الحنظل، و الحنظل و العلقم إذا اجتماعا لا يحصل منهما الدبس و السكر. هذا دليل على بطلان قولهم.

و أما قولى ألا كل ملحد ملهد، أردت أن كل مشرك ظالم، لأن فى اللغه أُلحد الرجل: إذا عدل عن الدين، و أُلهد: إذا ظلم، فعلم "أبو العلاء" ذلك، و استخبرنى عن علمى به، فقرأت الآية. (٤)

هذه المحاوره سيقى للتدليل على إلحاد "أبى العلاء" فى ضمن الكتب الكلاميه المعنيه بهذه القضايا، و مع أنه لا يوجد ما يمنع من وقوع هذه المحاوره لمشاركه الرجلين فى الدراسات الفلكيه (٥) و لأن الحوار جرى فيها بأسلوب مهذب، لكننى غير مطمئن إلى صحه نسبتها، لأنها لم ترد ضمن فهرست كتبه الذى احتوى مؤلفاته جميعا و بخاصه ما ألفه قبل تاريخ إجازة الفهرست و هذا منها.

و من الطرائف التي تساق في كتب الأدب: ".

ص: ٢٨٨

١- سقط الزند ص ١٢٦٤-١٣٢٠ ط دار الكتب.

٢- روضات الجنات ج ١ ص ٧٤.

٣- نسب الصفدى فى شرح لاميه بالعجم ج ١ ص ٧٣ ط المطبعه الوطنيه. هذا البيت لعلم الدين السخاوى.

٤- روضات الجنات ج ١ ص ٧٤ ط إيران نقلا- عن كتاب الاحتجاج للطبرسى، و مجموعه آغا بزرك المخطوطه ص ٣١ روايه

عن الشيخ سليمان الصهرشتى، و رياض العلماء مخطوط ص ٤٧٣ و من المقارنه بين النسخ ظهر لى بعض الاختلاف فى النص.

٥- كان من بين معارف المرتضى علم الفلك، و كان يحضر درسه فى هذا الفن عدد من غير المسلمين. انظر "رياض العلماء"

ص ٤١٣ نقلا عن خط الشيخ البهائى عن خط "الشهيد".

أن المرتضى أطل يوماً من روشنه، فرأى "ابن المطرز" الشاعر وقد انقطعت شراك نعله و هو يصلحه فقال: قدت ركائبك: أشار إلى قصيدته التي أولها:

سرى مغرماً بالعيس يتتبع الركبا يسائل عن بدر الدجى الشرق والغربا

على عذابات الجزع من ماء "تغلب" غزال يرى ماء القلوب له شربا

إذا لم تبلغنى إليكم ركائبى فلا وردت ماء ولا رعت العشبا

فقال له "ابن المطرز" مسرعاً:

أ تراها ما تشبه مجلسك و شربك و خلحك؟ يريد بذلك أبيات المرتضى:

يا خليلي من ذؤابه قيس فى التصابى مكارم الأخلاق

غنيانى بذكرهم تطربانى و اسقيانى دمعى بكأس دهاق

و خذا النوم من جفونى فانى قد خلعت الكرى على العشاق(1)

حكى "أبو الحسن العمري" (2) قال: دخلت على الشريف "و" [المرتضى "، فارانى بيتين قد عملهما و هما:

سرى طيف "سعدى" طارقاً فاستفزنى هبوا و صحبى بالفلاه هجود

فقلت لفسى عاودى النوم و اهجعى لعل خيالاً طارقاً سيعود

فخرجت من عنده، و دخلت على أخيه "الرضى"، فعرضت عليه البيتين فقال بديها:

فردت جواباً و الدموع بواذر و قد آن للشمل المشت ورود

فهيها من لقايا حبيب تعرضت لنا دون لقايا مهمامه بيد

فعدت إلى المرتضى بالخبر فقال: يعز على، أخى قتله الذكاء، فما كان إلا يسير حتى مضى "الرضى" لسبيله.(3)

و من الغفلات غير المقصوده أن ظن بعض الناس، أن القصيده "التتريه" المشهوره، توجه بها شاعرها "أحمد بن منير الطرابلسى" إلى الشريف المرتضى "علم الهدى" فى حين أن الشاعر "ابن منير" ولد بعد وفاه المرتضى بنحو سبعة و ثلاثين عاماً.

و الواقع أنها مرسله إلى شريف موسى آخر كان يلقب بالمرتضى، و لكنه يسكن بلاد الشام لا بغداد كما يظهر من فحوى

القصيده.(٤)

و مما استحسن الناقدون من شعره فيما أورده ابن خلكان:(٥)

بينى و بين عواذلى فى الحب أطراف الرماح

أنا خارجى فى الهوى لا حكم إلا للملاح

و قوله:

مولاي يا بدر كل داجيه خذ بيدي قد وقعت فى اللجج

حسنك ما تنقضى عجائبه كالبحر حدث عنه بلا حرج

بحق من خط عارضيك و من سلط سلطانها على المهج

مد يديك الكريمتين معى ثم ادع لى من هواك بالفرج(٦)

و قوله:

قل لمن خده من اللحظ دامى رق لى من جوانح فيك تدمى

يا سقيم الجفون من غير سقم لا تلمنى إن مت فيهن سقما

أنا خاطرت فى هواك بقلب ركب البحر فيك إما و إما

و مما عده صاحب "أنوار الربيع"(٧) مطربا مرقصا قوله:

أحب ثرى نجد و نجد بعيدة ألا حبذا نجد و إن لم تفد قربا

يقولون نجد لست من شعب أهلها و قد صدقوا لكننى منهم حبا

كانى و قد فارقت نجدا شقاوه فتى ضل عنه قلبه ينشد القلبيا(٨)

و قوله:

ضن عنى بالزرر إذ أنا يقظان و أعطى كثيره فى المنام

و التقينا كما اشتهينا و لا عيب سوى أن ذاك فى الأحلام

و إذا كانت الملاقاه ليلا فالليالى خير من الأيام

و قوله:

و لما تفرقنا كما شاءت النوى تيين ود خالص و تودد
كانى و قد سار الخليط عشيه أخو جنه مما أقوم و أقعد

و قوله:

قل للذين على مواعدهم لنا خلف و مطل
كم ضامنى من لا أضميم و ملنى من لا أمل
يا عاذلا لملامه كل على سمعى و ثقل
إن كنت تامر بالسلو فقل لقلبى كيف يسلو؟
قلبى رهين فى الهوى إن كان قلبك منه يخلو
و لقد علمت على الهوى أن الهوى سقم و ذل
و تعجبت "جمل" لشيب مفارقى و تشيب "جمل"

و رأت بياضا فى سواد ما رأته هناك قبل (٩)

كذباله رفعت على الهضبات للسايرين صلوا(١٠)

منزلته الاجتماعيه

كان المجتمع الأرسقراطى البغدادى فى القرن الرابع ينقسم إلى طبقات: طبقه تعتر بشرفها و نسبها و دمها، كالعلوين و العباسيين و البويهيين و المهلبين، فطبقه تعتر بمناصبها فى الدوله كالوزراء و القاده و رؤساء الدواوين، فطبقه تعتر بعلمها و دينها و أدبها كرجال المذاهب من فقهاء و متكلمين، و كرجال الأدب من ناشرين و شاعرين.٦.

ص: ٢٨٩

١- روضات الجنات ج ٢ ص ٣٨٧ نقلا عن الوافى فى الوفيات، و ابن خلكان ج ٣ ص ٤ ط النهضه المصريه، و انظر تتمه اليتيميه ط طهران سنه ١٣٥٣ هـ تجد أبيات ابن المطرز، و الغيث المنسجم للصفدى ج ١ ص ٣٥٠ ط مصر، و "أنوار الربيع" ص ٤٨١.

- ٢- لعله يريد الشريف أبا الحسن علي بن محمد بن علي العلوي العمري النسابة المعروف بابن الصوفي صاحب كتاب "المجدي في أنساب الطالبين" و هو معاصر للمرتضى و ملحق به. انظر "رياض العلماء" ص ٤٤٦، ٤٧٥.
- ٣- أنوار الربيع ص ٤٨٤ ط طهران.
- ٤- انظر القصيده "التتريه" و ترجمه ابن منير في أعيان الشيعة.
- ٥- ابن خلكان ج ٣ ص ٤، ٥ ط مكتبه النهضه نقلا عن كتاب "جنان الجنان" و "رياض الأذهان".
- ٦- أنوار الربيع ص ٤٨١: مد يدك الكريمتين معا.
- ٧- أنوار الربيع ص ٤٨١-٤٨٤.
- ٨- الديوان ج ١ ص ٦٠: ضل عنه قلبه بيتغى قلبا.
- ٩- الشيب و الشباب ص ٦٨: و رأيت بياضا ما رأتهندا هناك سواه قبل
- ١٠- الديوان ج ٢ ص ٦٦.

من هذه الطبقات يتألف المجتمع الأرسقراطي المتنعم بخير البلاد و بمواردها و مناصبها.

و المفروض فى رجل كالشريف "المرتضى" أن يصيب مركزا اجتماعيا مرموقا ما دام العصر طبقيا، و ما دامت الأرسقراطية تحيط به من كل جهاته: النسب العلوى القصير الصاعد به عن طريق أبيه إلى الامام موسى الكاظم (ع) سابع أئمه الشيعة، و الدم الثائر المالك الواصل به عن طريق أمه إلى الحسن الأطروش الكبير، صاحب الديلم و طبرستان، و القرشي الصريحه الدانيه فى قرباها من رسول الله (ص) عن طريق ابنته فاطمه، و هى قريى طالما اعتزوا بها على الخلفاء من بنى العباس، ثم الخثوله - " بنى بويه" عن طريقه أمه، و كانوا ملوك العصر، و سادات المجتمع فى ذلك الحين.

فالمصب فى الدوله و قد كان أبواه لأمه و أبيه نقباء، و أمراء حج، و ولاء مظالم، و سفراء و ملوك، فالزعامة المذهبيه و العلميه، و قد كان رئيس الشيعة و فقيهم، و عالم الحاضره العباسيه، و أحد أدائها المبرزين. كل هذه الروافد الأرسقراطية كانت تفيض على "الشريف" بالجاه و المنعه، و تمده بوسائل الإعزاز و الإكرام.

بدأ الشريف "المرتضى" يبرز للمجتمع البغدادى فى حياه أبيه "أبى أحمد"، إذ عين نائبا عنه فى نقابه الطالبين، و النظر فى المظالم، و إماره الحج و هو شاب فتى لم يتجاوز خمس و عشرين عاما.

جاء فى المنتظم حوادث: فمن الحوادث فيها أنه قلد أبو أحمد الحسين بن موسى الموسوى نقابه الطالبين، و النظر فى المظالم، و إماره الحج و كتب عهده على جميع ذلك و استخلف له ولداه: "المرتضى أبو القاسم" و "الرضى أبو الحسن"، و خلع عليهما من دار الخلافه.

و لندرك خطر هذه الوظائف الدينيه و الاداريه يحسن الرجوع إلى ما كتبه "الماوردى" المعاصر للمرتضى فى كتابه "الأحكام السلطانيه":

" هذه النقابه موضوعه على صيانه ذوى الأنساب الشريفة عن ولايه من لا يكافئهم فى النسب، و لا يساويهم فى الشرف، يختار لها من هو أجلهم بيتا، و أكثرهم فضلا، و أجزلهم رأيا، و هى عامه و خاصه".

أما الخاصه: فهو أن يقتصر بنظره على مجرد النقابه من غير تجاوز لها إلى حكم، و إقامة حد. و يلزمه على أهله من حقوق النظر: حفظ أنسابهم من داخل عليها أو خارج منها، و تمييز بطونهم، و معرفه أنسابهم، و تسجيل ذلك فى ثبت، و أخذهم بالأدب، و تنزيههم عن المكاسب الدينيه، و كفهم عن ارتكاب المآثم و المحارم، و منعهم من التسلط على العامه، و عونهم على اكتساب حقوقهم، و أخذ الحقوق منهم، و النيايه عنهم فى المطالبه بحقوقهم من الفىء و الغنيمه، و منع أياماهم أن يتزوجن إلا- من الأكفاء، و رعايه و قوفهم، بحفظ أصولها، و تنميه فروعها، و رعايه قسمتها بين مستحقيها.

و أما العامه: فيضاف إليها أشياء: الحكم بينهم فيما تنازعوا فيه، و الولايه على أيتامهم فيما ملكوه، و إقامة الحدود عليهم فيما ارتكبوه، و تزويج الأيامى اللاتى لا يتعين أولياؤهن، أو تعينوا فهجروهن، و إيقاع الحجر على من به عته أو سفه.

يشترط فى النقابه العامه أن يكون عالما من أهل الاجتهاد، ليصح حكمه و ينفذ قضاؤه. (1) G 15 G و هناك تفصيلات أخرى

يحسن بمن يبغي الاستزاده من خصائصها الرجوع إلى الكتاب المذكور و ينبغي أن يلاحظ أن نقابه المرتضى - كما سيأتي - كانت عامه.

أما إماره الحج فهي على ضربين - بحسب ما أورده "الماوردي" أيضا :-

أحدهما: أن تكون على تسيير الحج، و الثاني: أن تكون على إقامة الحج.

فاما تسيير الحج فهي ولاية سياسه، و زعامه تدبير، و يشترط فيها أن يكون أميرها مطاعا، ذا رأى و شجاعه، و هيبه و هدايه. و له واجبات، و عليه تبعات فصلها "الماوردي".

و أما الولاية على إقامة الحج فيكون صاحبها بمنزله الامام.(٢) و لها شروط و أحكام.

و أما ولاية المظالم: فهي ولاية تشريعيه و تنفيذيه، و مهمتها قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبه، و زجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبه، فكان من شروط الناظر فيها أن يكون جليل القدر، نافذ الأمر، عظيم الهيبه، ظاهر العفه، قليل الطمع، كثير الورع". و لها سلطات قضائيه كثيره استعرضها صاحب "الأحكام السلطانيه".(٣)

و يحسن أن يلاحظ أن السيد الشريف شغل هذه المناصب الخطيره أصاله منذ عام ٤٠٦ - ٤٣٦ هـ.

و في عام ٣٩٧ ورد كتاب من الملك "بهاء الدوله" بتلقيبه ب "ذى المجدين".(٤)

و كان ممن يدعى في أكثر المناسبات السياسيه، و يعتد التاريخ بتسجيل حضوره في هذه المناسبات، فمما ذكر أنه انحدر و أخوه و جماعه من أعيان المجتمع البغدادي لاستقبال بعض الملوك القادمين على بغداد(٥) و يوم أن قلد نقابه الطالبين أصاله، و كان ذلك عام ٤٠٦ قرئ عهده في الدار الملكيه، و حضر "فخر الملك" و الأشراف و القضاة و الفقهاء، و كان في العهد: هذا ما عاهد "عبد الله أبو العباس أحمد الامام القادر بالله أمير المؤمنين" إلى "على بن موسى العلوي" حين قربته إليه الأنساب الزكيه، و قدمته إليه الأسباب القويه، و استظل معه باغصان الدوحه الكريمه، و اختص عنده بوسائل الحرمة الوكيده، و قلد الحج و النقابه و أمره بتقوى الله. (٢) و لقد سجل التاريخ أن الشريف كان أول المبايعين للقائم بأمر الله، و في هذا التنصيص المجمع عليه ما يشير إلى خطر تقدمه في المبايعه.

و تجاوز مقام الرجل الاجتماعى هذا الحد، و بلغ أن أصبح بيته حرما .

ص: ٢٩٠

١- الأحكام السلطانيه ص ١٦٤ ط بون ١٨٥٣.

٢- الأحكام السلطانيه ص ١٨٥ ط بون.

٣- نفس المصدر ص ١٨٠.

٤- المنتظم حوادث .

٥- ابن الأثير، المنتظم حوادث .

يلجا إليه الملك "البويهى" ووزراؤه حين يثور الجند عليه. جاء فى ابن الأثير حوادث :

فى هذه السنه من "رمضان" [٤٢٤] شغب الجند على جلال الدوله، و قبضوا عليه و أخرجوه من دار المملكه، فنقل ولده و حرمه و ما بقى له إلى الجانب الغربى، و عبر هو فى الليل إلى الكرخ، فلقبه أهل الكرخ بالدعاء، فنزل بدار "المرتضى" - بدرج جميل -، و عبر الوزير "أبو القاسم" بعبوره، فنزل فى دار تجاوره، و لم يعد إلى دار الملك إلا بعد مفاوضات قام بها "المرتضى".

و جاء فى "الكامل" حوادث :

"فى هذه السنه ثار الجند ببغداد "بجلال الدوله"، و أرادوا إخراجهم، فاستنظروهم ثلاثه أيام، فلم ينظروه، و رموه بالآجر، و اجتمع الغلمان فردوهم، فخرج من باب لطيف فى "سماريه" متنكرا، و صعد راجلا منها إلى دار "المرتضى" بالكرخ، و منها خرج إلى "نكرت" فأرسل الخليفه إليه، و قرر أمر الجند، و أعاده إلى بغداد".

و لا أريد أن أستطرد أكثر من هذا فى عرض منزلته الاجتماعيه و بحسبى من ذلك أن أقول: إنه كان مرجعا مهما فى الأحداث السياسيه، يلجا إليه الملك و الخليفه و السلطه العامه. (١)

و هكذا نجده طوال عمره الطويل من أبرز الشخصيات فى المجتمع البغدادى، محافظا بتسام على مركزه، من دون ذبذبه أو انتقاص، على حين لم يسلم لأحد من رجال الجاه و السلطان - حتى الخلفاء - حال "من غير تبديل و تحويل. و لقد تعرضت داره للأذى ثلاث مرات من قبل العيارين، سجلها التاريخ فى أحداث عام ٤١٦، ، و كان أهمها ما وقع فى التاريخ الأول، فقد تعرضت دار "المرتضى" على "الصراه" لغاره من قبل "العيارين" شنوها على البيوت الآمنه، فاحترقت داره، و هدم هو باقيها، و انتقل منها إلى دار فى "درب جميل". (٢)

و فى أثناء الحمله أنفذ الملك "شرف الدوله" ابن "بهاء الدوله" جميع غلمان داره من الأتراك لحمايتها و حفظ ما فيها. (٣) و لم يعد إليها الشريف إلا بعد إعادته عمارتها، و بعد أن خرج توقيع الخليفه بذهاب قاده الجيش و الوجوه إلى بيته، فمشوا مهطعين بين يديه، و هم ينشدون الأهازيج فى مدحه و الثناء عليه. و كان صنيع الخليفه هذا مما سارت به الركبان، و تناقلته الرواه.

و يبدو من جمله (٤) حاله أنه كان على جانب من اليسر و الثراء، قل أن نعم به رجال الدين و الأدب و العلم من معاصريه، فمع اليسر الذى كان يعيش فيه أيام أبيه، و مع ما يظهر من أنه و أخاه الرضى - أيام خلفا أباهما على إماره الحج - دفعا من مالها الخاص فى سبيل سلامه الحاج تسعه آلاف دينار، للأعراب الذين يقطعون الطريق، (٥) و مع أن أباه كان ذا أملاك و وقف بعضها على البر، فان حال المرتضى تبدو أوسع ثراء من ذلك كثيرا، فقد روى عن "يحيى بن الحسين العلوى الزيدى" أنه يدخل على السيد من أملاكه كل سنه أربعة و عشرون ألف دينار، (٦) و روى عن القاضى التنوخى: أن المرتضى خلف من الأملاك ما يتجاوز الوصف، و أن قرى السيد و ضياعه كانت ثمانين قرية، واقعه بين بغداد و كربلاء، (٧) و كانت معموره للغايه. و فى وصف عمارتها قيل: إنها تقع على نهر من شعب "الفرات"، تعمل فيه السفائن الماره فيه، فإذا كان موسم الثمار كانت السفائن الماره فيه تمتلئ من سقطات تلك الأشجار، الواقعه على حافتى النهر، و كان الناس يتناولون منها من دون مانع أو محاجز، (٨) و أنه كان له طلاب و مدرسه يجرى عليها و عليهم الأرزاق، ففقد يبلغ راتب طالبها اثنى عشر دينارا، أو ثمانيه دنانير كل شهر، و أن بعض

الفقراء من غير المسلمين كان يدرس عليه علم الفلك بقصد التوفر على هذا الراتب،(٩) و أنه وقف قريه على كاغد الفقراء،(١٠) فإذا أضفنا إلى ذلك أنه خلف من الكتب ثمانين ألف مجلده(١١) من مقروءاته و مصنفاته و محفوظاته أدركنا مدى اليسر الذى نعم به.

و تحسن الإشاره هنا إلى أننى لم أقرأ فيما قرأت أن أحدا من الناس وهب له، أو أقطعه هذه الثروه العريضه الواسعه، أو أن "المرتضى" صادرها من أحد، أو أن شخصا شكاه فى ظلا، كما أن ثروته لم تعرض يوما للمصادره - و ما أكثر المصادرات فى تلك الأيام من جانب الخلفاء و الملوك - و قد صودرت أموال أبيه على جليل قدره.

و أدل ما تدل عليه هذه الثروه الضخمه هو سلامه جمعها من مواردها المشروعه، و أنها ضرب من ضروب ثرائه الذهنى، فقد سمى بالثمانينى - لأنه ألف ثمانين مؤلفا، و عاش ثمانين عاما، و ملك ثمانين قريه، كما تدل على مرونيه مسلكه الاجتماعى، و لو لا مرونته و حسن تأتية لمواجهه ما يحدث لأمثاله من مصادره الأموال بالحق و بالباطل فى ذلك العصر لما استطاع أن يبقى عليها سليمه طوال أيا [أيام] حياته.

أساتذته

عد المؤرخون جماعه من أعلام القرن الرابع لفنون مختلفه تلمذ لهم "المرتضى" أو روى عنهم، فمن أساتذته:

١ - "عبد الرحيم بن نباته الخطيب" المتوفى سنه ٣٧٤، تلمذ له المرتضى و أخوه الرضى و هما طفلان.

٢ - أبو عبد الله "محمد بن النعمان" المعروف بالمفيد و ب "ابن المعلم" ٣٣٦ - ٤١٣.

٣ - "محمد بن عمران" الكاتب المعروف بالمرزبانى المتوفى ٣٨٤.

و كان أكثر ما روى المرتضى فى أماليه عن "المرزبانى".

٤ - "الحسين بن على بن يوسف الوزير المغربى" ٣٧٠ - ٤١٨.

و له ألف "المرتضى" رسالته "الولايه من قبل الظالمين".

ص: ٢٩١

١- انظر المنتظم حوادث ، حوادث ، و ديوان المرتضى ج ٥ ص ١٦ نسخه السماوى.

٢- المنتظم حوادث .

٣- الديوان ج ٥ ص ١٣.

٤- الديوان ج ٥ ص ١٦.

٥- المنتظم حوادث ، و روضات الجنات ج ٢ ص ٣٨٣.

٦- معجم الأدياء ج ٥ ص ١٧٧ ط بون.

٧- رياض العلماء ص ٤٧١.

٨- رياض العلماء ص ٤٤٦ ترجمه ابن البراج.

٩- رياض العلماء ترجمه الشيخ الطوسى و ابن البراج.

١٠- روضات الجنات ج ٢ ص ٣٨٣.

١١- روضات الجنات: قال الثعالبي أنها قومت بثلاثين ألف دينار بعد أن أهدي إلى الرؤساء و الوزراء منها شطرا عظيما، و انظر مجالس المؤمنين بالفارسيه ترجمه المرتضى.

٥ - أبو الحسن "علي بن حبش الكاتب".

٦ - "سهل بن أحمد الديباجي".

٧ - "الحسين بن علي بن بابويه القمي" أخو "الشيخ الصدوق"، يروى عنه "المرتضى" بلا واسطه.

هذا و للمرتضى أساتذه آخرون، عبرت بهم أثناء قراءتى لكتب الرجال و بخاصه كتاب "رياض العلماء".

تلاميذه

١ - "محمد بن الحسن بن علي الطوسي" ٣٨٥ - ٤٦٠.

٢ - حمزه بن عبد العزيز الديلمي "الملقب ب" سلار" المتوفى سنه ٤٦٣.

٣ - القاضي "عبد العزيز بن البراج الطرابلسي" المتوفى سنه ٤٨١.

٤ - "نظام الدين سليمان بن الحسن أبو الحسين الصهرستي [الصهرشتي] الديلمي".

٥ - "محمد بن علي أبو الفتح القاضي الكراچكي" المتوفى ٤٤٩.

٦ - "أبو عبد الله جعفر بن محمد الدورىستى".

٧ - "يعقوب بن إبراهيم الفقيه البيهقى"، روايه ديوان السيد المرتضى باجازه منه سنه ٤٠٤.

هذا و للمرتضى تلامذه آخرون عبرت بهم أثناء قراءتى منهم:

أ - القاضي أبو منصور "محمد بن محمد بن أحمد العكبرى".

ب - أبو بكر "أحمد بن الحسين بن أحمد الخزاعى" نزيل الرى.

ج - الشريف أبو يعلى "حمزه بن زيد بن الحسين الحسينى الأفسى".

د - القاضي أبو المعالى "ابن قدامه" و هو أحد رواه كتاب الغرر و الدرر.

ه - السيد "أبو يعلى الهاشمى العباسى".

و - السيد الشريف أبو يعلى "حمزه بن محمد الجعفرى".

ز - الشيخ المفيد الحافظ أبو محمد "عبد الرحمن بن الشيخ أبى بكر أحمد بن الحسين بن أحمد النيسابورى".

ح - أبو بصير " عبد الكريم بن محمد الديباجي " .

ط - أبو زيد " عبد الله بن علي الكبابكي ابن عبد الله بن عيسى بن زيد بن علي الكحى الحسينى الجرجانى " .

ى - " ذو الفقار المروزى " .

منزلته العلميه بين معاصريه

و بخصوص منزلته العلميه و الأديبيه فى نظر معاصريه، تحدثنا رسائله المتنوعه أنها كانت إجابات عن أسئلته يتوجه بها السائلون من مختلف الأقطار الإسلاميه، إما بقصد أخذ الرأى عن طريق الاستدلال من " المرتضى "، عليه، و إما بقصد العمل بمضمونه من غير إرادته للتدليل منه عليه، و إما بقصد الإنكار عليه فى هيئه أسئلته صحبها ما يحيل الجواب عنها، و إما بقصد التحرش و التعريض ببعض آراء الشيعة أو المتكلمين بوجه عام.

و قد كان بعض هذه الرسائل موجهها له فى سن مبكره، و قبل أن يشخص بزعامه الشيعة، و هذا أوضح شاهد على ما بدأ يطالعه من مركز علمى فى نظر معاصريه.

و كان بعض مؤلفاته و قصائده إجابيه لرغبه بعض الخلفاء و الملوك أو باقتراح من بعض الوزراء، و كانوا فى تقديم رغباتهم و اقتراحاتهم فى منتهى ما يتوجه به سائل لمسئول من العبارة المؤدبه، و يوم كان يحضر مجلس الشيخ " المفيد " شيخ الشيعة كان المفيد يقيمه مقامه، و يرغب أن يجلس منه مجلس التلميذ تقديرا لمكانته العلميه، و ترشيحا لأن يقوم مقام أستاذه فى زعامه الشيعة.

و قد حدثنا التاريخ أن مجلس " المرتضى " كان مثابه رجال الفكر و مشار بحوث أديبيه و فقهيه و كلاميه، و أن "أبا العلاء المعرى" كان من رواده يوم حضوره إلى بغداد، و أن طرائف من الجدل و الحوار الأدبى كانت بينه و بين " المرتضى "، و أن "أبا إسحاق الصابى" و "عثمان بن جنى" كانا يلازمان مجلسه.

كان " المرتضى " يشرع فى تأليف الكتاب، فلا يكاد ينهى جزء منه حتى يذيع بين الناس، فلا- يتمكن من إعاده النظر فيه، لخروجه من يده إلى أيدي القارئين. و كان من عنايه الناس بمؤلفاته أن تؤلف من أجلها الكتب أيام حياته، إما بالنقض عليها من جانب مخالفه، أو بالشرح و التأييد لها من جانب مؤيديه.

و لقد ينقض النقض عليه و هو حى، فيشهد الخلاف و الالتفاف على آثاره و من حولها. كما حددت الآراء التى اختلف فيها مع أساتذته.

و تسابق بعض الأعلام من معاصريه إلى روايه كتبه و شعره، و ظلت هذه الإجازة تطرد ممعنه فى الأعقاب و الأجيال التى بعده حتى القرون المتاخره، و ظل صدى منزلته العلميه و الأديبيه يتردد فى أجواء التاريخ، فلا يؤلف كتاب فى أعلام المسلمين أو فى أعلام الأدب و ليس " للمرتضى " منه نصيب.

و لو لاقه اعتدادي بكتب التراجم من حيث أنها تعتمد النقل من بعضها لأوردت أسماء كثير منها.

أثره فيمن جاء بعده

و سأختار لتصوير منزلته في الأعقاب التي تلتها، الكتب التي اتخذت سبيله في التأليف، أو عنيت بالمشاكل التي أثارها، أو عقبته على آثاره بالشرح أو الإيجاز.

فعلى غرار كتابه "الانتصار" - وهو أول كتاب للشيعة في الفقه المقارن - ألف "الشيخ الطوسي" كتابه "مسائل الخلاف"، و ألف العلامة الحلبي كتابه "مختلف الأحكام" و كلاهما يعالجان مسائل الفقه في مقارنه شامله لمختلف المذاهب و من أجل كتابه "الحدود و الحقائق" و هو كتاب في تعريف المصطلحات الشرعيه، ألف "الكفعمي" كتابه "اختصار الحدود و الحقائق".

ص: ٢٩٢

باسم "تنزيه الأنبياء" (1) وربما كان كتاب الغزالي "تخطئه الأنبياء" نقضا لكتاب السيد المرتضى السابق.

و في موضوع كتابه "إنقاذ البشر من الجبر و القدر" ألف العلامة الحلي كتابه "استقصاء النظر في الجبر و القدر". و في سبيل التعليق على كتابه "الغرر و الدرر" يوجد كتابان ستتحدث عنهما عند الكلام على آثاره الأدبية.

و بكلمه موجزه يستطيع المطلع على آثار الشيعة في الكلام و التفسير و الفقه و أصوله أن يذهب إلى أن آثار المرتضى كانت و ما تزال حيه قائمه في المؤلفات التي ألفت من بعده و في بعض معاهد الدراسات الدينية و الأدبية و الكلاميه أنى يوجد للشيعة معهد و تدريس.

آثاره الثقافيه

و مؤلفات الرجل بين كتاب في مجلدات، و رساله في و ريقات، تبلغ الثمانين فيما عدده المؤرخون، و لكن كلا من المفهرسين لم يذكر إلا- بعضا منها، و إلا قليلا من كثير، فوصلت بين هذه الفهارس ملحقا آخرأ بأول، و مختصرا بمطيل، حتى تيسر لى من أسمائها عدد كثير.

و لكن ذكر الكتب في الفهارس وحده لا يضمن للباحث وثوقا بصحة ما ورد فيها، و لا اطمئنانا يلقي عن عاتقه واجب الفحص و التحرى، فلا بد إذن من سند آخر يعتمد عليه في قبول ما ورد في هذه الفهارس. و لقد وجدت السند في مؤلفات الرجل نفسه، إذ كان فيما اعتاده فيها أن يحيل في كل مؤلف من مؤلفاته على مؤلفات أخرى له، و بذلك اطمأنت إلى صحة أكثر ما ورد في تلك الفهارس. على أننى لم أعدم بهذه الطريقه أن أجد له كتبا لم يذكرها المفهرسون، فإنهم على الأغلب يرجع بعضهم إلى بعض في سرد مؤلفات الأعلام، و قل من توفر على دراسته الآثار نفسها.

و من الحق أن يقال أن مؤلفات الشريف، و بخاصه ما كان منها كلاميا أو فقهيا، لم تنلها الاذاله، و لم يضعها الإهمال، إذ قد عنى بها فقهاء الشيعة و متكلموهم منذ ساعه تاليفها، و لقد تلقاها تلاميذه عنه قراءه و سماعا و أشاعوها بين الناس، و ألفوا من أجلها الكتب، ثم احتضنتها الإجازات المتعاقبه، فتناولتها يدا بيد و فما لفم، و ظلت الحال على هذا حتى عصر "العلامه الحلي" - القرن السابع - حيث ألفت الموسوعات الفقيهيه الكبيره، و الكتب الكلاميه و الأصوليه الواسعه، فاندرجت آثار المرتضى في طياتها، و ضاعت في خضمها، و لم تعد في طليعه الكتب ذكرا و تناولا و اقتباسا، و إن ظلت محفوظه مضمونه البقاء على وجه غير منسى.

و خير ما انتفعت به في سرد كتب المرتضى صورته من إجازته لتلميذه أبى الحسن "محمد بن البصروي الفقيه"، فيها عدد كتبه، و ذكر إجازته روايتها عنه، و كان ذلك عام ٤١٧ للهجره.

و صورته الإجازة موجوده الآن في خزانه مكتبه الرضا.

هذا و قد سبق لصاحب "رياض العلماء" الميرزا عبد الله أفندى - من رجال القرن الحادى عشر - أن وقف على صورته هذه الإجازة، فأثبتها في كتابه "رياض العلماء"، قال: هذه الإجازة بخط البصروي، يلتمس من السيد إجازته بروايه ما تضمنه فهرست كتبه، و هذه صورتها:

" بسم الله الرحمن الرحيم، خادم سيدنا الأجل "المرتضى"، ذى المجدين أطال الله بقاءه، و أدام تأييده، و نعمته و علوه و رفعتة، و كبت أعداءه و حسدته، بشأن الأنعام باجازه ما تضمنه هذا الفهرست المحروس، و ما صحح و يصح عنده، مما يتجدد أن شاء الله من ذلك".

ثم قال صاحب رياض العلماء:

هذه حكاه ما وجد بخط السيد "المرتضى" رضى الله عنه "قد أجزت لأبى الحسن" محمد بن محمد البصرى " - أحسن الله توفيقه - جميع كتبه و تصانيفه و أمالي، و نظمي، و نثرى، ما ذكر منه فى هذه الأوراق، و ما لعله يتجدد بعد ذلك، و كتب على بن الحسين الموسوى فى شعبان من سنة ٤١٧".

و مع هذا فان إجازة "البصرى" لم تحص من كتب السيد - فيما ظهر لى - إلا ما ألفه قبل عام ٤١٧، فى حين إنه استمر يؤلف حتى ٤٣٦، فكان لا بد لى من ملاحقه مصادر أخرى، للوقوف على عدد مؤلفاته.

و لقد أضاف "الميرزا عبد الله" - صاحب رياض العلماء - كتباً أخرى إلى آثار الشريف، و كان أكثرها مما وقف عليه بنفسه، و مما قرأه فى أثناء مطالعته، و لكنه اعترف أخيراً بان التحقيق فى أمر هذه الكتب عسير جداً.

و لقد حملنى على تحرير ثبت مؤلفاته - فى حين لم يؤلف عادة فى مثل هذه الرساله ذكر ثبت للمؤلفات - أن أكثرها غير معروف فى الأوساط الجامعيه و أكثر ما عرف منها يحط إلا باسمه دون محتوياته، و فى بيان هذه المحتويات تيسير لمن يريد الرجوع إلى الأصول الأولى من فقه المذهب الشيعى و تفسيره، و أصوله و كلامه و أدبه، إذ أن السيد "المرتضى" يعد فى الطليعه من مؤلفى الشيعة، بل هو فاتح عهد التأليف المنظم فيهم.

و لقد قسمت كتبه إلى قسمين:

أ - ما كان طابعه ثقافياً عاماً.

ب - ما كان طابعه أدبياً فنياً.

و ساعرض فى الفصل الأول من الباب الرابع مؤلفاته الثقافيه. على أنه لا بد لى من الاعتراف باننى لم أقصد من دراسه هذه الكتب تحريرها تحريراً كاملاً و لا الوقوف على جملها ما لها من نسخ مخطوطه، و إنما اكتفيت بمجرد الوقوف عليها و فهم محتوياتها لاتخذ منها سبيلاً إلى فهم الرجل ذاته، و لأضع لها ثبناً أو ثق مما عرف من قبل، فربما انتفع به من يريد تحرير مؤلفات المرتضى.

الانتصار:

طبع على الحجر "بايران" ضمن "الجوامع الفقهيّه" سنة ١٢٧٥ هـ.

و طبع مستقلا على الحجر فى إيران أيضا سنة ١٣١٥ هـ.

و هو كتاب فى الفقه المقارن، ضمنه ما انفرد به الشيعة من مسائل الفقه، أو ما ظن انفرادها.

و الكتاب يشتمل على أكثر من ٣٣٦ مسألة.

و ترجع أهميته إلى أمرين: تاريخى، نظرا لسبقه على جميع كتب ا.

ص: ٢٩٣

١- فهرست مخطوطات مكتبة الرضا ص ٤٦٩. "تنزيه الأنبياء" لعبد الوهاب بن على الحسينى " من أفاضل أواخر القرن التاسع و أوائل العاشر، و هو فى تلخيص و إتمام و توضيح "تنزيه الأنبياء" للشريف المرتضى. انظر روضات الجنات ط إيران ص ٣٥١.

الخلاف و الفقه المقارن لدى الشيعة، و علمى نظرا إلى قوه الحجه التى دعم بها الشريف فقه الشيعة. و لقد حذا حذوه المتأخرون عنه أمثال "الطوسى" و "العلامة الحلى"، على أن الكتاب لا يعدم أن يعد مظهرا من مظاهر ثقافه المرتضى الأديبه.

و قد وقفت فى الكتاب على جملة من مؤلفات الشريف، ذكرها ضمن هذا المؤلف، "كمسائل أبى عبد الله التبانى" و "مسائل الخلاف" و "المسائل الموصليه"، و "المسائل الطرابلسيه"، و "فى أصول الفقه"، و قد ألف الانتصار بعد سنه ٤٢٠.

الناصرىات:

طبع فى إيران سنه ١٢٧٦ هـ ضمن كتاب "الجوامع الفقيهيه"، تشتمل على (٢٠٧) مسائل بين فقيهيه و عقائديه، و هى شرح و نقد و تسديد لفقه جده "الحسن الأطروش"، صاحب "الديلم"، و "طبرستان".

و المعروف عن الرجل أنه كان زيدى المذهب، و لكن كثيرا من علماء الاماميه يذهب إلى أنه امامى اثنى عشرى.

و الذى بدا لى من هذه الرساله أن "الأطروش" ليس إماميا اثنى عشرىا على أى حال، فهو يخالف الاماميه فى الشطر الأكبر من فقهه، و فى كثير من مسائل عقائده.

و أهميه الكتاب ترجع إلى سببين: تاريخى، يكشف عن مذهب الناصر و دعوته فى بلاد الديلم - و مذهبه محل خلاف فى كتب الرجال -، و علمى، فان فيه دراسه مقارنه بين مختلف المذاهب و بخاصه المذهبان: الزيدى، و الامامى الاثنى عشرى.

و يظهر مما ورد فى هذه الرساله من أسماء مؤلفاته الأخرى أنها جاءت متأخره عن التأليف تلك المؤلفات، فمن تلك المؤلفات: كتاب "الخلاف" و "مسائل أصول الفقه" و "العدد" و "تنزيه الأنبياء".

الشافى فى الامامه

فى مجلدين، طبع فى إيران على الحجر سنه ١٣٠١ هـ. المجلد الأول فى ١٤٨ صحيفه كل صحيفه ٣٥ سطرا، كل سطر ٢٢ كلمه تقريبا.

و المجلد الثانى يحتوى على ١٤٧ صحيفه من نسق صحائف المجلد الأول.

ألفه "المرتضى" فى نقد كتاب "المغنى من الحجاج" للقاضى المتكلم المعتزلى "عبد الجبار" و هو معاصر له.

و "عبد الجبار" يعتبر فى نظر المعتزله و دارسى تاريخهم، فى ذروه الفكر المعتزلى، و نهايته التى ما وراءها نهايه، و الشريف "المرتضى" يعد فى نظر الشيعة و غيرهم سيد متكلمى الشيعة، فى تاريخهم القديم و الحديث، فالصراع بين الرجلين فى هذا الكتاب خير ما يصور طبيعه الكلام و الجدل فى القرن الرابع [الرابع]. و يخيل لى أن كل من كتب من المحدثين عن المعتزله، و لم يقف على الكتابين، أو على الأخير منهما خاصه، يصعب عليه معرفه المذاهب الكلاميه عرفانا حقا.

و يعيب كتاب "الشافى" أنه اعتمد أوائل كلام صاحب "المغنى" و لم يذكر الأصل كله - كما نص المرتضى على ذلك فى

المقدمه - رغبه فى الاختصار، و إحاله على الأصل الذى بيد الناس يوم ذاك، و لكنه أدرك هذا العيب و حاول ملافاته، فى أثناء التأليف و بعد أن أتم شطرا كبيرا منه، فتلافى ما تلافى، و لم يستطع أن يعيد النظر فيما فاتته، نظرا لخروج الأصول من يده، و انتشارها بين الناس و عدم إمكان جمع ما تفرق منها.

و قد كان ظهور الكتابين حدثا بارزا بين أئمة الكلام، لشديد ما احتفوا به، فقد ألف "الشيخ الطوسى" تلخيص الشافى" و ألف "أبو الحسين البصرى" كتابا يسمى نقض الشافى"، و ألف "أبو يعلى سلالر بن عبد العزيز" "النقض على النقض" و كل ذلك فى حياه المرتضى.

و يخيل لى أن من أسباب عدم احتفاء المعاصرين بالكتاب رداءه طبعه، و عدم تيسر نسخه، و صعوبه فهمه - و بخاصه ما كان النزاع فيه على مسائل كلاميه بحته.

يعتبر الكتاب مفتاح المذهب الشيعى الامامى، و باب الدخول إلى صميم عقائده، و إن الرجوع إلى سواه فى أمرهم لا يغنى قتيلا.

و بعد فهو خير مصور لثقافه "المرتضى" الأدبيه و التاريخيه. تقرأ فيه الفروق بين الزيديه و الاماميه، و المعتزله و الاماميه، و تكذيب ما يتهم به الاماميه من القول بزياده علم الامام على النبى، و القول بأنه لو لا الامام ما قامت السموات، و اتهامهم بدعواهم أن المعارف كلها ضروريه و رأى الاماميه فى البداء، و الفرق بين الإجماع لدى الاماميه و غيرهم و عدم وجوب علم الامام بالواطن مما لا يجب العلم به، هذا إلى غير ذلك من سرد كلام أكثر أئمه المعتزله.

و هو يشير فى الكتاب إلى بعض مؤلفاته منها رسالته "فى الشبهه" الوارده على حديث

" أنت بمنزله هارون من موسى" و "كلامه فى الوعيد" من إجاباته على أسئله أهل الموصل، و إشارته إلى عزمه أن يفرد كتابا عن جواز إظهار المعجزات على يد غير الأنبياء.

إنقاذ البشر من الجبر و القدر:

طبع فى النجف عام ١٩٣٥ م لم يرد له ذكر فى إجازة البصرى المجاز من قبل الشريف بروايه كتبه سنه ٤١٧ و لكنه ورد فى "معالم العلماء".

و هو رساله كلاميه صغيره، تتناول مسأله القضاء و القدر، بأسلوب خطابى بليغ، مقتبسا - للتدليل على رأيه - آيات كثيره من القرآن، فيها عرض سريع شامل لتاريخ هذه المشكله من يوم نشوئها على يد "معبد الجهنى"، و "أبى الأسود الدؤلى" حتى عصره، و فيها تحديد لموقف الشيعة من هذه المشكله، و رأيهم فى تطورهما التاريخى. عدد صفحاتها (٩٠) صحيفه من القطع الصغير. و فيها إشاره إلى مؤلف له باسم "صفوه النظر" يتحدث عن معنى خلق الله للأفعال كلها.

المحكم و المتشابه:

تنسب إلى الامام الصادق أولى من نسبتها إلى كل من "المرتضى" و "النعمانى".

موضوعها: الحديث عن النسخ و المنسوخ، و المحكم و المتشابه، و ما لفظه عام و معناه خاص، و عن التحريف فى القراءه، و الفرق بين الرخصه و العزيمه، إلى غير ذلك.

هذا و لم ترد الرساله ضمن فهرست كتب السيد، الذى رواه "البصروى"، كما أنها خاليه من الاحاله على بعض مؤلفاته على غير جارى عادته، و لكن ذكرها صاحب البحار و "الشيخ الشهيد" فى حواشى الخلاصه.

تجد فى الرساله نواه الدراسه الذاهبه إلى أن المفرده فى القرآن تؤلف و نظيرتها معنى مستقلا حين يردان على هيئه مخصوصه يختلف عنها نفسها حين ترد بهيئه أخرى فى آيات أخريات، منظرا لذلك بالكلمات: ضل، أهدى، الخير، الشر، و هى طريقه يتبناها أستاذنا "الخولى" فى دراسه التفسير.

تنزيه الأنبياء

طبع على الحجر فى إيران فى (١٨٩) صحيفه، كل صحيفه تسعه عشر سطرا، و الكتاب فى موضوعاته يتصل بمساله تمثل نقطه الخلاف الجوهرى بين الاماميه و المعتزله، إذ أن الاماميه يذهبون إلى أن الأنبياء و الأئمه لا يجوز عليهم شىء من المعاصى و الذنوب، كبيرا كان أو صغيرا، لا قبل النبوه و لا بعدها، و المعتزله يحيلون على الأنبياء وقوع الكبائر و الصغائر المستخفه، قبل النبوه و فى حالها، و يجوزون أن يقع منها ما لا يستخف بهم من الصغائر فى الحالين.

فهو دفاع عن الأنبياء، و محاوله لوصفهم بالعصمه، الأمر الذى يلتزمه الاماميه فى أئمتهم أيضا. و جل ما فى الكتاب منصب على صرف الظواهر القرآنيه، و الأحاديث النبويه التى يظهر منها نسبه الخطا و الصغائر إلى الأنبياء، و يعنى الكتاب بتبرير سيره أئمه الاماميه. منذ وفاه النبى حتى غيبه الامام الثانى عشر.

و مع أن الكتاب يعالج مسأله كلاميه، فهو جدير أن يعد من كتب الأدب لما احتواه من مسائل النحو و البلاغه و اللغه.

ثم هو من خير الكتب تصويرا للمذهب الامامى، و تحديدا لمكانه من المذاهب الأخرى، و قد أحال فيه السيد على كتابه "الشافى" و رسالته "المقنع فى الغيبه".

و للكتاب تتمه ألفها "عبد الوهاب الحسينى" من أفاضل القرن التاسع و أوائل القرن العاشر.

الأصول الاعتقاديّه

طبعت سنه ١٩٥٤ ببغداد.

تحدث فيها المؤلف عن صفات الله، و النبوه و الامامه، و البعث، و صحه الوعد و الوعيد، و الشفاعه، و عذاب القبر، و فناء العالم، و الميزان، و الصراط، و الجنه، و النار، عدد صفحاتها فى المخطوط واحده، و فى المطبوع أربع صفحات.

فى جزءين طبع فى النجف. جمع فيه الشريف فصولاً- من كتب "الشيخ المفيد" عامه، و نكتنا من كتابه "العيون و المحاسن" خاصه، كما يظهر من مقدمه، و زاد على ذلك ما أملاه "المفيد" عليه كما يظهر من ثنايا الكتاب.

و يؤخذ من مراجعه كتب الرجال، أن هناك شكاً فى نسبة هذا الكتاب "للشريف المرتضى"، إذ لم يوجد بين كتبه التى احتوتها إجازة البصروى عام ٤١٧. كما أن بعض كتب الروايه نسبه "للشيخ المفيد"، (١) و عدّه "ابن شهر آشوب" من مؤلفات "المفيد" أيضاً.

و لكن الرجوع إلى الكتاب يثبت بشكل جلى أنه "للشريف المرتضى"، كما أن سبط "الكركى العاملى"، ينقل فى كتابه "رفع البدع" عن كتابين مختلفين، أحدهما للمفيد و اسمه "العيون و المحاسن" و الثانى "للمرتضى" و اسمه "الفصول المختاره"، و كذلك "السيد حسين المجتهد" فى كتابه "رفع المناواه عن التفضيل و المساواه".

لعل اسم كتاب المرتضى "الفصول المختاره من العيون و المحاسن" إذ أن أكثر ما فيه مقتبس من "العيون و المحاسن" و الأخير للمفيد.

و أهميه الكتاب ترجع إلى تصويره نشاط الشيعة فى الجدل و الكلام و الفقه منذ صدر الإسلام حتى عصر المؤلف، و محاضر مناقشتهم مع خصومهم، كما أن فيه بحوثاً عن نشوء الفرق الشيعيه و تاريخها و ما كان يدور بينها من خلاف و وفاق.

الولاية عن الجائر

و هى رساله صغيره مخطوطه ألفها للوزير "أبى القاسم الحسين بن على المغربى" سنة ٤١٥ و هى تعالج مشكله ضاق بها الاماميه فى مختلف عصورهم، و حالت بين متورعيهم و قبول الولاية من الخلفاء، و إذ أن القرن الرابع دفع بالاماميه و منهم "السيد الشريف" إلى قبول المناصب من لدن الخليفه العباسى، فقد ألقت هذه الرساله حضا للاماميه على تقبل الوظائف، و تبريرا لموقف السيد نفسه - فيما يخيل لى -.

و أهميه الرساله تعود إلى تصويرها مجالات عمل الامامى فى الدوائر التى لا يعترف بشرعيتها، و ما يمتنع أن يقوم به من أعمال الدوله و بخاصه القضاء، و تنفيذ الأحكام. و قد ورد ذكرها ضمن إجازة الشريف لتلميذه "البصروى".

المقنع فى الغيبه:

رساله ورد ذكرها فى إجازة البصروى، (٢) و "تذكرة المتبحرين"، (٣) و "معالم العلماء".

قال صاحب التذكرة، أنه ألفها "للووزير المغربى". طبعت على الحجرى.

١- رياض العلماء نقلا عن كتاب البحار.

٢- طبع الديوان في جزئين و صدرت الطبعه الثانيه سنه ١٤٠٧ - ١٩٨٧ م حقتها و رتب قوافيها: رشيد الصغار، و قدم لها الشيخ محمد رضا الشيبى، و راجعها و ترجم أعلامها الدكتور مصطفى جواد.

٣- قال صاحب رياض العلماء ص ٥٧٨: أبو الحسين على بن محمد الكاتب كان من مشايخ المفيد و السيد المرتضى.

فى إىران سنه ١٣١٩ هـ، على هامش درر الفرائد فى شرح الفوائد ص ٣٥١.

و هى تعالج مشكله غيبه الامام التى كانت و ما تزال بابا للهجوم على الاماميه و ثغره طالما حاولوا سدها فى مؤلفاتهم و لهذا كثرت رسائلهم فى الموضوع.

أحكام أهل الآخره

رساله صغيره فى مسأله كلاميه صرفه تدور حول آراء المتكلمين فى شان أهل الآخره من ثواب و عقاب. و كان السابق إلى التحدث عن هذه المسأله، "أبو الهذيل العلاف" كما يظهر من الرساله. طبعت فى إىران سنه ١٣١٩ هـ على هامش كتاب "درر الفرائد".

و لم يرد للرساله ذكر فى إجازة البصروى.

المسائل الطرابلسيه الثانيه:

لم أجد نسخه للمسائل الطرابلسيه الأولى، و لكن الشريف أحال عليها فى المسائل الطرابلسيه الثانيه مما يدل على أن هناك مسائل طرابلسيه أولى.

و هى رساله صغيره فى ١١ صحيفه، كل صحيفه ٢١ سطرًا، ألفها "المرتضى" إجابته عن أسئله وردت عليه من الشيخ "أبى الفضل إبراهيم بن الحسن الأبانى".

و الرساله تتناول أصول المذهب الامامى و ما يؤخذ عليه من ماخذ رد عليها الشريف.

و قد أحال الشريف فيها على كتابيه "المقنع فى الغيبه" و "الشافى فى الامامه".

المسائل الطرابلسيه الثالثه:

رساله مخطوطه تشتمل على ثلاث و عشرين مسأله وردت من الشيخ أبى الفضل إبراهيم بن الحسن الأبانى عام . فأجاب عنها الشريف، و يبدو من روح الأسئلة أن سائلها إمامى، يود إيضاح ما فى نفسه من مشاكل كلاميه، تتعلق بالمذهب، مثل معنى كون الله مدركا للأشياء، و معنى كون القرآن نزل جملة واحده، و معنى حياه الشهداء بعد الموت، و أخبار الكهان و مدى صحتها.

و أهميه الرساله تعود إلى تصوير التطلع و التوثب الذهنى الذى لازم الاماميه فى القرن الرابع، و إلى تنصيب الشريف على وجوب الحذر من قبول أحاديث "كتاب الكافى" للكلىنى، فى حين أنه من الأصول الأربعه للحديث عند الاماميه. و قد أحال السيد فيها على ما ياتى من كتبه: "الملخص"، "الذخيره"، "تنزيه الأنبياء".

المسائل الرسيه الأولى

رساله مخطوطه تشتمل على ثمان و عشرين مسأله. عدد صفحاتها ٢٤ صحيفه، كل صحيفه تحتوى على ٢١ سطرًا.

ساله عنها "أبو الحسين المحسن بن محمد بن الناصر الحسينى الرسى". و السائل فيما وصفه "ابن إدريس"، و فيما تنطق به أسئلته، عالم مدقق، فقيه حاذق، ملزم لخصمه، محتج عليه، بما لا يكاد ينقضى منه إلا من كان فى مثل درجه السيد، و هو كذلك فيما يبدو من تقدير "الشريف المرتضى" له، و ثنائه عليه. ألفها سنه ٤٢٨.

و هى تشتمل على مسائل فقيهيه و كلاميه، أحال فيها السيد على كتابه "مسائل فى أصول الفقه" و على كتابه "المسائل و المطليات".

و ترجع أهميتها إلى أنها تؤرخ آخر فتاوى الشريف فى الفقه و آرائه فى الكلام. توجد منها نسخه لدى بقلم "الشيخ آغا بزرگ".

المسائل الرسيه الثانيه:

وردت بعد الأولى من "أبى الحسين المحسن بن محمد بن الناصر الحسينى الرسى"، فألحقها الشريف بها. و هى خمس مسائل فى أربع صحائف، كل صحيفه ٢٢ سطرًا كل سطر ٢٨ كلمه. الأول منها فقيهيه، و الأخريات، مزيج من الفقه و الكلام.

توجد لدى نسخه منها بقلم "الشيخ آغا بزرگ". و تعود أهميتها إلى أنها صور من التقاء الفقه و الكلام على السنه المتفقهين المتكلمين، و إلى أنها من أواخر ما ألف السيد، فهى تمثل أواخر آرائه.

المسائل الموصليه

الأولى: ثلاث مسائل: فى الاعتماد و الوعيد و القياس، و لا أعرف نسخه لها، و لكن أحال عليها السيد كثيرا فى كتبه. وردت إليه و هو فى سن مبكر.

الثانيه: و هى تسع مسائل فقيهيه أكثرها يتصل بما تفرد به الاماميه أو ظن انفرادهم به من مسائل الفقه، و أكثر مسائلها مطروق فى كتابه "الناصريات". تقع فى ٧ صفحات، كل صحيفه ٢٢ سطرًا، كل سطر ٢٥ كلمه. لها نسخه عندى و نسخه فى "مكتبه الرضا".

الثالثه: تقع فى ١٠٩ مسأله، صفحاتها ٣٦ صحيفه، كل صحيفه ٢٦ سطرًا، و هى على الأكثر فقيهيه، تشبه رساله "الانتصار". أحال فيها السيد على "المسائل التبانیه"، كما يظهر من مقدمه، و على "المسائل الموصليه الأولى" كما يظهر من المسأله الخامسه و الثلاثين و المسأله السادسه و الخمسين، كما أحال على "المسائل الموصليه الثانيه" انظر المسأله الخامسه.

لها نسخه مخطوطه فى "مكتبه الامام الرضا"، يرجع تاريخ كتابتها إلى سنه ٦٧٦. و لدى نسخه منها بخط الشيخ آغا بزرگ.

و تعود أهميتها إلى دلالتها على مدى انتشار التشيع فى الموصل و الجزيره فى القرن الرابع، و على مدى اليقظه العقليه لدى الاماميه.

توجد نسخه منها مخطوطه فى "مكتبه الرضا، يرجع تاريخ كتابتها إلى سنة ٦٧٦ هـ بخط النسخ، كل صحيفه ٢٢ سطرًا، عدد أوراقها ١٠ و فى نهايتها "مناظرته مع أبى العلاء المعرى". و لدى نسخه منها بقلم الشيخ آغا بزرك. قرأتها فإذا هى ست و ستون مسأله فى الفقه، و فى بعض العقائد الاماميه، ساله عنها عوام أهل "ميفارقين" لأخذ الرأى، لا- للاستدلال عليه، و يظهر أن السائلين مؤمنون ساذجون لأن بعض أسئلتهم تدخل فى باب الخرافات. و لكن الاجابه عنها من السيد تعطىها صفه القرب من الحقائق.

فقههم، أمثال رساله "على بن بابويه القمي"، و كتاب "عبد الله الحلبي" و كتاب "الشمغاني".

مجموعه المسائل المتفرقه:

و هي ٢٧ مسأله في ٢٧ صحيفه، لدى نسخه منها بقلم الشيخ آغا بزرگ، و يبدو أنها مجموعه من مختلف رسائل السيد الفقيه و الكلاميه، "الرساله الرمليه"، و "الواسطيه"، و كتابه "الغرر و الدرر"، و يبدو أنها ليست من جمع السيد، و إنما اختارها غيره، و جعلها على هيئه كتاب، لذلك ترى أن مسائلها كتبت من قبل الشريف بتواريخ مختلفه، و في رساله إحاله على كتابه "المصباح" في الفقه.

مسأله في العصمه:

عدد صفحاتها اثنان، توجد ضمن مجموعه الشيخ آغا بزرگ، و العصمه مشكله كلاميه طالما بحثها متكلمو الاماميه.

مسأله في الاعتراض على من يثبت قدم الأجسام:

توجد ضمن مجموعه الشيخ آغا بزرگ، و عدد صفحاتها اثنان و فيها يحيل على كتابه "الملخص في الأصول"، و رساله فلسفيه بحثه، ينعي فيها السيد على شطر من الفلاسفه القائلين بقدم العالم.

أبطال العمل بخبر الآحاد:

نسخها الشيخ آغا بزرگ عن خط الشيخ الشهيد، عن خط جده، عن خط "الشريف المرتضى". توجد لدى نسخه منها، و صفحاتها اثنان، يحيل فيها السيد على المسائل الحلبيات، و التباينات.

و رساله هامه جدا، لأن فيها تعريضا ببعض رواه الحديث ممن ينسبون إلى الاماميه و ليسوا منهم أمثال الطاطرى، و ابن سماعه، و غيرهم من الغلاه و المجسمه و الخطاييه و المشبهه و المجبره.

كراس مشتمل على أربع مسائل من مسائل المرتضى:

الأولى: في طرق الاستدلال، الثانيه: في كون عدم الدليل دليل العدم، الثالثه: في الولايه من الجائر، و قد جرت في مجلس الوزير "أبي القاسم الحسين بن علي المغربي" في جمادى الأولى سنة ٤١٥، الرابعه: في حكم ألباء للتعديده: لها نسخه عندي كتبها الشيخ آغا بزرگ سنة ١٣٢٦ هجريه. فهي كراسه فقيهه، أصوليه، نحويه.

الذريعه:

كتاب في أصول الفقه مخطوط في (٣٠٠) صحيفه، كل صحيفه واحد و عشرون سطرا، يشتمل على (١٤) بابا، كل باب يحتوى على عدده فصول، تحدث فيه عن الخطاب، و الأمر، و النهي، و العموم، و الخصوص، و المجمل، و المبين، و النسخ، و الإجماع، و القياس و غير ذلك من أبواب أصول الفقه. ترجع أهميه الكتاب إلى أمرين:

الأول: كون المؤلف حاول الفصل في مباحثه بين ما هو من أصول الفقه، وبين ما هو من أصول العقائد. وقد كان أصول الفقه من قبل ذلك مزيجاً من الطرفين.

الثاني: أنه أول كتاب في أصول الفقه للإماميه، فقد كانت لهم من قبل مسائل متفرقة تعتمد في مصادرها على أصول فقه السنه، فهو بهذا يؤرخ مرحله استقلال الاماميه في أصول الفقه.

و لا تزال آراء السيد الأصوليه محل دراسه في مدارس النجف و إيران الدينيه.

لدى نسخه مخطوطه لا أعرف تاريخ نسخها، و نسختان وقفت عليهما في النجف، أولاهما عند الشيخ "محمد على الأردوبادى"، يرجع تاريخ نسخها إلى القرن السابع، و ثانيتهما في مكتبه "الشيخ على كاشف الغطاء"، و هى قديمه النسخ، مجهوله التاريخ. مقدمه في الأصول:

تبحث عن أصول العقائد الاماميه من التوحيد و العدل و الامامه و المعاد و الوعد و الوعيد، و تناقش بعض آراء المعتزله في إيجاز بالغ، توجد منها نسخه لدى ضمن مجموعه "الشيخ آغا بزرك"، و هى فى ورقه واحده بخط النسخ الدقيق. و أهميتها ترجع إلى تصوير عقيدته الاماميه فى تلك المسائل.

فيمن يتولى غسل الامام:

رساله صغيره بصحيفه واحده، تبحث فى مسأله كان و لا يزال بعض الاماميه يعتقدوها، و هى كون الامام لا يغسله عند موته إلا إمام مثله.

و الشريف المرتضى يرى عدم صحه هذه العقيدته و استحالتها أحياناً، فهى تمثل صنيع المرتضى فى تهذيب العقيدته الاماميه، و فى الرساله إحاله على كتابه "الذخيره".

منع تفضيل الملائكه على الأنبياء:

رساله بثلاث صحائف توجد ضمن مجموعه "الشيخ آغا بزرك" من صحيفه ٢٣٢-٢٣٤. و النزاع فى أمر تفضيل الأنبياء على الملائكه أو عدم تفضيلهم يتصل بعقيدته الاماميه فى عصمه الأنبياء و الأئمه، و من ثم يتصل بوجود تقديم الفاضل على المفضول فى النبوه و الامامه، و الكلام فيها و إن بدأ يشبه الخرافه، إلا أنه يتصل بنزاع مذهبى عريق.

تحدث فيها السيد الشريف عن تفسير قوله تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا).

العدد أو "الرد على أصحاب العدد":

مسأله فقيهيه تتصل بتشريع الصيام و تعلقه برؤيه الهلال أو يكامل العدد. و يبدو لى من كلام السيد أن الاماميه قبله و بعض أهل

السنة يرون ثبوت الصيام بأكمال العده (ثلاثين يوما) و لكنه يذهب إلى تفنيد الأخبار الاماميه الناطقه بذلك، و اللجوء في تعيين شهر رمضان إلى الرؤيه. لها نسخه عندى بقلم الشيخ آغا بزرك.

مناظره الشريف المرتضى لأبى العلاء المعرى:

ص: ٢٩٧

من "الشريف المرتضى" أو إلى أبي العلاء. وقد ذكرنا نصها سابقا في باب سيرته.

الذخيره:

ورد ذكرها في فهارس كتب "المرتضى" و لم أشهد نسخه منها في مكتبات إيران و العراق، و لكنى عثرت في متفرقات من مسائلها ضمن رساله باسم "مجموعه من كلام المرتضى في فنون الكلام" نقل شطر منها عن كتاب "الذخيره". و ما نقل يدل على أن الكتاب في أصول العقيدة الاماميه، تحدث فيها عن الرساله، و المعجزه، و صفات الله، و الامامه و شروطها.

مسأله و جيزه في الغيبه:

بنلاث صحائف تعالج مسأله غيبه الامام و لا تختلف في أدلتها عما ورد في بقيه كتبه، و بخاصه "المقنع في الغيبه".

المسائل التبانیه:

لها نسخه مخطوطه في "مكتبه الرضا"، عدد أوراقها ٣٠ ورقه نسخه منها بقلم الشيخ آغا بزرك، و هي مسائل سال الشريف عنها "أبو عبد الله محمد بن عبد الملك التبانى". المتكلم الامامى و هو فيما يبدو من أسئلته متكلم حاذق، و ربما كان أفضل من توجه للسيد باسئله، و كانت أدق ما أشكل به من مسائل على الشريف. تحدث فيها عما يؤخذ على الاماميه من رفضهم دليل الإجماع و القياس، و دعوى عصمه الأنبياء و الأئمه، و تساءل عن السبب الذى حمل "الشريف" على رفض خبر الآحاد في حين يذهب بذهابه أكثر الشريعه.

و أبو عبد الله هذا إمامى فيما يظهر، و لكنه يتقمص روح الخلاف ليجر الشريف إلى المناقشه.

و الرساله تمثل ما ساد الروح الامامى من توثب و تطلع إلى مناقشه مسائل مذهبهم.

و من جمله ما يؤثر من رسائل الشريف:

١ - أجوبه المسائل الديلميه، و توجد نسخه منها في "مكتبه الرضا".

٢ - أجوبه المسائل الطبريه، توجد نسخه منها في "مكتبه الرضا"، تاريخ نسخها ١٠٩٣ هـ.

آثاره الأدبيه

١ - ديوان المرتضى:

يبدو من كتب التراجم أن كثيرا من المؤلفين وقفوا على نسخ من ديوان "المرتضى" في عصور مختلفه.

قال الحر العاملى: و قد رأيت نسخه من ديوان شعره قرئ عليه و عليه خطه، فكتبته بخطى في نحو عشره أيام. و هو أقل من عشره

آلاف بيت، و كأنه منتخب ديوانه. (١)

يبلغ شعره لدى بعض المؤرخين عشرين ألف بيت. أما ما وقفت عليه من نسخ الديوان:

أ - نسخه "آل زوين" و هي تشتمل على جزئين، عدد صفحاتهما ٣٠٤ صحيفة في كل صحيفه ما يقارب ١٦ بيتا. و قد أطلعت و قابلت عليها النسخه التي لدى، و هي الآن ببغداد في حوزة المحامي رشيد الصفار.

ب - نسخه آل الشيبى و هي بقلم والدهم الجليل الشيخ جواد.

و تحتوى - كما هو الحال فى نسخه آل زوين - على الجزئين الأولين من ديوان المرتضى و تختلف بعض الاختلاف عن نسخه آل زوين فيما يتصل بالمقدمات المكتوبه أمام قصائد الديوان. و فى قراءه بعض الكلمات. و للشيبى تعليقات قيمه على النسخه و تصحيحات لها. و يخيل لى أن الاختلاف بيها [بينها] و بين نسخه السماوى راجع إلى قراءه النص و ليس إلى اختلاف فى الأصل، و إلى رغبه السماوى فى إيجاز المقدمات. و أكبر الظن أن الشيخ الشيبى نسخها على نسخه آل زوين.

ج - النسخه التي فى ملكى، و هي نسخه الشيخ محمد السماوى، مكتوبه بخطه منقوله عن جمله مصادر، لم يحاول - كعادته - الإفصاح عن مصدر نقله لها. و إذ امتلكتها قابلتها بنسخه آل زوين و نسخه آل الشيبى، فكان كل من النسختين تساوى الجزئين الأولين منها، و هذه تزيد عليهما باربعه أجزاء.

د - نسخه الشيخ حسن ابن الشيخ محسن الجواهرى.

ه - هذا و لشعر المرتضى مصادر أخرى رجعت إليها فى تحرير ديوانه، كما ستقرأ دراسه مفصله للديوان و نسخه و أصوله فى مقدمه النسخه التي شرحتها و أعددتها للنشر. (٢)

٢ - شرح قصيده السيد الحميرى:

طبع فى القاهره سنه ١٣١٣ هـ ضمن مجموعه رسائل فارسىه و عربيه.

و القصيده فى مدح الامام على، بائيه مستهلها:

هلا وقفت على المكان المعشب بين الطويلع فاللوى من كبك

شرحها الشريف لولده، إذ أن شعر "السيد الحميرى" من مناهج الدراسه لأطفال الشيعه، و فى مقدمه ما يحفظه الاماميه من أصول الأدب، و كان أول ما ألزمت بحفظ:

لأم عمر باللوى مربع...

و فى الشرح عرض لسيره الامام "على" و فضائله و مواقفه، و شرح لغوى و أدبى لمفردات القصيده و معانيها إلى استطراد لقضايا أدبيه و تاريخيه.

تكاد تجمع على ذكره الفهارس القديمه بهذا الاسم، أما المحدثه فاسمته "أمالي المرتضى". و أقدم من نوه بالوقوف على نسخ متعدده منه و وصفها صاحب "رياض العلماء" من رجال القرن الحادى عشر أو الثانى عشر. فقد قال: أنه رأى نسخه منه فى بلده "أردبيل" يرجع تاريخ نسخها إلى عام ٥٤٥هـ. و قال مره أخرى: إن لكتاب الغرر و الدرر نسخا أخرى لها إلحاقات جليله الفوائد، و أنه رأى نسخه منها فى بلد "أيروان" تشتمل على تلك الزيادات. و قال ثالثه: و هناك تعليقات على الكتاب للسيد ضياء الدين أبى الرضا فضل الله الراوندى شاهدتها.

و ذكر مره رابعه أنه شاهد نسخه من كتاب الغرر يرويها السيد فضل الله الراوندى عن أستاذه نجم الدين حمزه بن الأغر عن القاضى أبى المعالى بن قدامه عن السيد المرتضى.ل.

ص: ٢٩٨

-
- ١- الديوان ج ١ ص ٦٠: ضل عنه قلبه بيتغى قلبا.
 - ٢- الشيب و الشباب ص ٦٨: و رأيت بياضا ما رأتهبدا هناك سواه قبل.

و توجد الآن في مكتبة الرضا المخطوطه خمس نسخ منه، تختلف في عدد مجالسها، و في ترتيب أبوابها عن النسخ المطبوعه بايران و مصر سابقا.

و رأيت نسخه مخطوطه من تكمله "الغرر و الدرر" لدى الشيخ محمد رضا فرج الله منسوخه عام ٥٥٥ هـ بخط "فضل الله بن على الحسينى ابن الرضا" جاء فيها:

"هذه مسائل أملاها السيد الأجل المرتضى تكمله لكتابه "غرر الفوائد و درر القلائد" رويتها للأمير الأجل السيد الولد الأوحد ناصر الدين، عز الإسلام، فخر الساده، أبى المعالى محمد بن الحسين بن المنتهى الحسينى المرعشى عن الشيخ أبى نصر الفارابى عن أبى منصور العكبى أدامه الله.

سمعتها عن علم الهدى رضى الله ."

طبع الكتاب باسم "درر القلائد و غرر الفوائد" مع تكملته فى طهرانسنه ١٢٧٣ هجرية، و طبع دون التكلمه باسم "أمالى المرتضى" بمصر فى مطبعه السعاده سنه ١٣٢٥ هـ و عليه شروح و تعليقات للسيد "محمد بدر الدين النعسانى الحلبي" و السيد "أحمد أمين الشنقيطى". و طبع أخيرا بمصر محققا منقحا على خمس نسخ من قبل الأستاذ محمد أبى الفضل إبراهيم و تجد الأصول التى رجع إليها موصوفه فى مقدمه الكتاب فليس بنا حاجه إلى وصفها.

هذا و هناك شرح معاصر لأمالى الشريف المرتضى باسم كتاب "الفوائد الغوالى" فى شرح شواهد الأمالى، للشيخ محسن بن الشيخ شريف الجواهرى النجفى المتوفى سنه ١٣٥٥ هـ. و هو كتاب ضخيم يقع فى أربعة مجلدات كبيره، تتجاوز ألفى ورقه. رأيت سنه ١٩٥٥ م نسخه مخطوطه منه فى النجف عند ولده الشيخ محمد حسن الجواهرى، و هو يجرى مجرى الأمالى فى جمعه بين التفسير و الأدب و التاريخ و اللغه.

و الشئ الذى لا يزال غير محقق فى أمر الكتاب هو، أ كان الأمالى من تأليف السيد و جمعه، أم كان ياملئه و جمع تلاميذه، فان يكن الثانى فمن هو من بين تلاميذه؟.

الذى يظهر من أسلوب الكتاب أنه من تأليف السيد و جمعه، و ليس لتلاميذه إلا فضل الروايه عنه و القراءه عليه، و إلا لاختلف أسلوب التأليف بما يدخل عليه من صيغ المملى عليهم مع اختلافهم، فى حين نجد طرق الروايه له مختلفه مع وحده أسلوب الكتاب و نسخه.

أما ما يوجد أحيانا من عباره منوهه بمدح الشريف، أو داعيه بطول البقاء له، فربما تكون من عمل طلابه يدخلونها على النص فى مطلع كل بحث، يكون من قول السيد لا من روايته، للتفريق بين ما يقوله من عنده و ما يرويه عن غيره.

يعتبر الكتاب مفتاح شخصيته [شخصيته] فى التفسير و النقد، و مصدرا قيما للاستعانه بتحقيق بعض النصوص الشعريه، إذ أن للسيد طريق روايه خاص لبعض تلك النصوص.

أكثر ما رواه فى الكتاب عن أستاذه المرزبانى و هو شخصيه معروفه الشأن فى عالم الروايه، و لكنه روى كثيرا عن شخصيتين غير

معروفين عرفانا كافيا. أحدهما على بن محمد الكاتب. (1) و ثانيهما أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن جنيقا الدقاق.

الشهاب فى الشيب و الشباب:

طبع فى مطبعة الجوائب سنه ١٣٠٢ هـ و معه كتاب "سلوه الخريف" المنسوب للجاحظ.

ألفه المرتضى سنه ٤١٩ هـ، و جمع فيه خير ما قيل فى موضوع "الشيب و الشباب" موازنا بين المعانى، و ناقدا لها. عرض فيه من شعر ابن الرومى ٤٦ بيتا و من شعر أبى تمام ٣٩ بيتا، و من شعر أبى عباده البحرى ١٤٠ بيتا، و من شعر أخيه الرضى ٣١٤ بيتا. و من شعره ٤٦٣ بيتا (٢) و كان آخر ما أورده من شعره ما نظمه عام ٤٢١ هـ.

ورد فيه ذكر كتابه "الغرر و الدرر" كثيرا. و هو من خير المصادر التى يمكن أن يقابل بها بعض شعره، و شعر أخيه من أجل تحقيقهما.

يضاف إلى ذلك أنه يصح أن يعتمد عليه فى تبيين أساليب النقد لذلك العصر، و طريقه المرتضى فى النقد - و قد أوسعت الكلام فيه عند الحديث عن أدبه الوصفى.

و فى الكتاب نصوص منقوله عن كتاب الموازنه للآمدى، لا- أثر لها فى المطبوع من هذا الكتاب، مما يحملنا على القول بان النسخه المطبوعه من الموازنه ناقصه.

طيف الخيال:

من آثار المرتضى التى شهدت به أكثر الفهارس. نشره لأول مره و حققه - كما يزعم - محمد سيد كيلانى عن نسخه محفوظه بدار الكتب تحت رقم ١٠٣١٣ ماخوذه عن نسخه مخطوطه بمكتبه الاسكوريال.

ألفه "المرتضى" بعد تاليفه كتاب "الشهاب" كما يطهر [يظهر] من مقدمه الكتاب و هو يجرى على غرار الشهاب فى العرض و الموازنه و النقد للآمدى.

جمع فيه من شعر أبى تمام فى موضوع "الطيف" نيفا و عشرين و مائتى بيت، و من شعر أخيه الرضى ما يقرب من ذلك، و كثيرا من شعر البحرى، و من شعره خاصه ٣٢٥ بيتا. و من شعراء آخرين جاء على شعرهم فى عرض الموازنه، و تتبع أبيات المعانى.

و ينتفع بالكتاب فى كل ما نوهت به من الانتفاع بكتاب "الشهاب".

هذا و للمرتضى كتب أخرى فى الأدب لم أقف على ذكر لأصول نسخ منها، و لا على نقل لبعض عباراتها. منها:

١ - أبيات المعانى التى تكلم عليها ابن جنى.

٢ - النقض على ابن جنى فى الحكايه و المحكى.

٣ - كتاب " البرق " وقد نسب له فى أكثر كتب الفهارس وقد يسمى " بالبروق ". فلعل الأيام تقف بنا على أصولها.

٤ - كتاب "الصرفه" وهو يشرح رأيه فى إعجاز القرآن. كما أن كتباً أخرى نسبت له لم ترد فى كتب الفهارس، و لكنى عبرت بها أثناء قراءتى فيها.

١ - المسائل الفخرية. نسبه إليه الشيخ " زين الدين البياضى " فى كتابه "الصراط المستقيم".

٢ - تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين. نسبه اليه السيد "حسين".

ص: ٢٩٩

١- الديوان ج ٢ ص ٦٦.

٢- الأمالى ص ٢٦ ج ١. ط مصر.

المجتهد" فى كتاب "دفع المناواه" و نقل عنه الشىء الكثير.

٣ - الخطبه المقمصه.

٤ - شرح الرساله. و قد نسبه إليه الشهيد فى بحث التيمم فى شرح الإرشاد.

٥ - عيون المعجزات. قال صاحب الرياض: صرح بنسبته إليه السيد هاشم البحرانى فى كتابه "صله الأبرار" و غيره، و لم يثبت عندى أنه له، إلا أنه كتاب لطيف عندنا نسخه منه قديمه، و لعله من مؤلفات بعض القدماء المحدثين، يروى فيه عن "أبى على محمد بن همام"، و عن "على بن محمد بن إبراهيم".

و قد تقدم الحديث عن إجازته للبصروى، و من مراجعه ثبت مؤلفاته فيها يبدو للمتتبع أن الرجل كان منوع الثقافه، واسع أبعادها، إذ بين موضوعاتها الفقه، و التفسير، و الكلام، و الفلسفه الالهيه، و علم النجوم "الفلك"، و النقد، و الأدب فى إنشاء أول روايه. و أن المستأثر منها بغالب جهده الفقه فالكلام فالأدب، و أنها جميعا منصب على خدمه الشيعه، و تسديد ما يذهبون إليه من آراء فى العقائد و فى أحكام الفقه.

أما طابعها العام من حيث القصد الذى يسيطر عليها فهو الجديه، و حراره القصد. فهو إذ يتكلم عن الآراء الفقهيه، أو المذاهب الكلاميه، تستشعر منه أنه طالب حقيقه، و صاحب فكره، ليس من قصده الجدل لنفسه، و لا الخصومه لنفسها شان ما يفعله كثير من المتكلمين أصحاب الجدل و النظر، أمثال "الجاحظ" و "ابن الراوندى" و "أبى حيان التوحيدى" و غيرهم ممن قد يجد فى مجرد حوك الآراء، و تقرير النحل متعه و غرضا ذاتيا.

و من حيث التقدير للأشياء مقتصد حتى فى الأحكام الأدبيه، لا يغلو فى تقدير الأمور، و لا فى استصدار الأحكام، شان ما فعله الثعالبى فى "تيمته"، و "ابن بسام" فى ذخيرته، عند ما عرضا لترجمه الأدباء، و إنما هو مستشعر مسئوليته أحكامه أمام الله و الناس.

و من حيث الاتجاه فإنها تنحو منحى يخالف فيه أهل الظاهر حتى الاماميه منهم، كما أنها تتميز و بخاصه فى الفقه، بالاعتماد بالرأى دون الروايه، و باعمال الأدله الاصوليه عقليه و لفظيه، فى استنباط الأحكام، و بذلك يخرج على المحدثين و الأخباريين من الاماميه.

و من حيث الأداء فإنه ميال إلى مواجهه المشكله رأسا، و من غير تمهيد لها، أو خروج عنها إلى سواها، و إذا استطرد ما زجا بين مسأله و أخرى، أو فن و غيره، فإنه لا- يبعد عن الغرض إلا- ليتقرب منه بوسائل من التوضيح و التمثيل، فان استوفى ذلك عاد للمشكله ذاتها.

أدبه الوصفى

كان المرتضى ككثير من رجال الفقه و الحديث و الكلام معنيا بامر الأدب، متعاطيا لفنونه - إلى جانب عنايته بثقافته الأخرى -

فعد لهذا من خيره رجاله فهما له، و نقدا لأصوله، و إنشاء لضروبه.

نعم كان المرتضى من خيره الأدباء الوصفين، تناول بالنقد كثيرا من الشعر و النثر، و حكم فى آثار عدد غير قليل من الشعراء و الناثرين، و تحدث ببراعه و حسن ادراك للجمال و ظواهره فى حدود ما عرف أو استشف منها آنذاك، و كانت له لفتات بلاغيه تسحق الانتباه، سجلها أثناء تعقيبه على آى القرآن و على الحديث، كما كانت له آراء تشبه أن يكون قد تفرد بها، و تعقيبات على معانى الشعر فى موازات لا تقل أصاله عن موازات الأمدى و أبى هلال العسكري:

أ - فمن تلك الآثار البلاغيه تعليقه على حذف جواب الشرط، فى قوله تعالى: (وَ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا مَّا كُنَّا نَبْرُهُمْ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَّ فَهُمْ يَسْتَعْجِلُونَ بِهَا) (فيها) بقوله:

" و كلام العرب وحى و إشارات، و استعارات و مجازات، فان الكلام متى خلا من الاستعاره، و جرى كله على الحقيقه، كان بعيدا عن الفصاحه، بريئا من البلاغه.

ب - و منها تعقيبه على ما يبدو من تناقض التشبيه فى قوله تعالى:

(فَمَا لَقِيَ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ) و قوله تعالى: (فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَّتْ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَ لَمْ يُعَقِّبْ) بقوله: "إنما شبهها بالثعبان فى إحدى الآيتين، لعظم خلقها، و كبر جسمها، و هول منظرها و شبهها فى الآيه الأخرى بالجان، لسرعه حركتها و نشاطها و خفتها، فاجتمع لها مع أنها فى جسم الثعبان، و كبر خلقه، نشاط الجان و سرعه حركته، و هذا أظهر فى الاعجاز، و أبلغ فى خرق العاده... و ليس يجب إذا شبهها بالثعبان أن يكون لها جميع خصائص الثعبان، و لا إذا شبهها بالجان أن يكون لها جميع صفاته... فقد تشبه العرب الشىء بغيره فى بعض وجوهه، فيشبهون المرأه بالظبيه... و نحن نعلم أن فى الطباء من الصفات ما لا يستحسن أن يكون فى النساء، و إنما وقع التشبيه فى صفه دون صفه، و فى وجه دون وجه (1).

ج - و منها إدراكه لخصائص التعريف باسم الموصول فى قوله تعالى:

(فَعَشِيَّتْ لَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَّتْ لَهُمْ) فقد عقب على الآيه بذكر جمله و جوه للمفسرين ليس فيها جميعا أثرا لادراك البلاغى، ثم ذكر رأيه فقال:

" و يمكن فى الآيه وجه آخر لم يذكر، يليق بمذاهب العرب، فى استعمال مثل هذا اللفظ، و هو أن تكون الفائدة فى قوله تعالى: (ما غشيتهم) تعظيم الأمر و تفخيمه، كما يقول القائل: فعل فلان ما فعل، و أقدم على ما أقدم، إذا أراد التفخيم، و كما قال تعالى: (وَ فَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ) و ما يجرى هذا المجرى.

قال الهذلى:

رقونى و قالوا يا خويلد لا ترع فقلت و أنكرت الوجوه هم هم

و قال أبو النجم:

أنا أبو النجم و شعري شعري.....

"كل ذلك إذا أرادوا تعظيم الأمر و تكبيره" د - و تحدث عن فوائد التكرار في سورة الكافرين، و سورة الرحمن و غيرهما من السور، فذكر [فذكر] للمفسرين جملة آراء كان كثير منها متكلفا، و لكنه فضل أن يكون التكرار للتأكيد، و هو رأى "الفراء"، و لكنه تبناه و شرحه و جاء له بشواهد شعريه و نثريه. (٢).

ه - و تحدث عن الاستعارة الواردة

في حديث "تقىء الأرض إفلاذ كبدها مثل الأسطوان من الذهب و الفضة..." ر.

ص: ٣٠٠

١- الأمالي ج ١ ص ١٢٠-١٢٧.

٢- الامالي ج ١ ص ٩٥-٩٦ ط مصر.

فقال: "معنى تقىء: تخرج ما فيها... و قوله تقىء... تشبيهه و استعاره من حيث كان إخراجا و إظهارا، و كذلك تسميه ما فى الأرض من الكنوز كبداء، تشبيها بالكبد التى فى بطن البعير.

قال " مره بن محكان السعدى " يصف قدرا نصبها للأضياف.

لها أزيز يزيل اللحم أزمله عن العظام إذا ما استحمشت غضبا

ترمى السلاه بنبل غير طائشه وقعا إذا آنتست من تحتها خطبا

فوصفها بالغضب تشبيها و استعاره. فاما الأزيز فهو الغليان. و العرب تقول: لجوفه أزيز مثل أزيز المرجل. و الأزملم.. الصوت.

و استحمشت.. غضبت، يقال: حمشه أى أغضبه. و قال "النايغه الجعدى" فى معنى الاستعاره:

سالتنى عن أناس هلكوا شرب الدهر عليهم و أكل

فوصف الدهر بالأكل و الشرب، تشبيها و استعاره، و قال قوم: معنى البيت: شرب أهل بعدهم و أكلوا.(1)

و يحسن أن تنتبه إلى جملة ما فى عبارته هذه من التفاتات بلاغيه لم تكن معروفه فى عهده على هذا الوجه من الوضوح فقد أدرك أولا- أن الاستعاره من المجاز و من التشبيه. و أوما أخيرا إلى الفرق بين المجاز و المرسل و المجاز العقلى، الأمر الذى يخيّل لنا أنه لم ينتبه إليه إلا بعد حين من حياه المرتضى.

و - و تحدث عن " الكنايه " فى قول حسان بن ثابت:

بيض الوجه كريمه أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

فقال: " الشم: الارتفاع فى كل شىء، فيحتمل أن يكون "حسان" أراد بشم الأنوف ما ذكرناه، من ورد الأرنبه " أرنبه الأنف " لأن ذلك عددهم دليل العتق و النجابه، و يجوز أن يريد بذلك الكنايه، أى نزاهتهم و تباعدهم عن دنايا الأمور و رذائلها، و خص الأنوف بذلك، لأن الحميه و الغضب و الأنف فيها، و لم يرد طول أنوفهم. و هذا أشبه بان يكون مراده، لأنه قال بيض الوجه، و لم يرد بياض اللون فى الحقيقه و إنما كنى بذلك عن نقاء أعراضهم، و جميل أفعالهم، كما يقول القائل، جاءنى فلان بوجه أبيض.(2)

ز - و منها التفاتة إلى خصائص و دقائق حروف المعانى. - و خصائص الحروف من أدق المعانى البلاغيه - حين تكلم عن قوله تعالى: (فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) فقال:

" و للعرب فى هذا مذهب و طريق لطيف، لأنهم لا يستعملون لفظه "على" فى مثل هذا الموضع إلا فى الشر و الأمر المكروه، و يستعملون اللآم و غيرها فى خلاف ذلك، أى: أنهم لا يقولون: عمرت على فلان ضيعته، و لا ولدت عليه جاريته، بل يقولون: ولدت له جازيته، و عمرت له ضيعته و هكذا من شأنهم إذا قالوا: قال على، و روى على، فإنه يقال فى الشر و الكذب، و فى

الخير و الحق يقولون: قال عنى، و روى عنى، قال الشاعر:

عرضت نصيحه منى "ليحيى" فقال غششتنى و النصح مر

و ما بى أن أكون أعيب "يحيى" و "يحيى" طاهر الأخلاق حر

و لكن قد أتانى أن "يحيى" يقال عليه فى بقعاء شر

فقلت له: تجنب كل شىء يعاب عليك إن الحر حر

و مثله قول الفرزدق فى "عنبه بن معدان" المعروف ب "عنبه الفيل": و قد كان يتبع شعره و يخطئه و يلحنه...

لقد كان فى "معدان" و "الفيل" زاجر ل "عنبه" الراوى على القصائد

(٣) ح - و مثل ذلك إدراكه لمعنى الآية: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيْنَ بِغَيْرِ حَقٍّ) ردا على من تخيل أن قتل الأنبياء قد يكون بحق:

"إن للعرب فيما يجرى هذا المجرى عاده معروفه، و مذهبها مشهورا، عند من تصفح كلامهم، و مرادهم بذلك المبالغه فى النفى و تأكيده، فمن ذلك قولهم: فلان لا يرجى خيره" ليس يريدون أن فيه خيرا لا يرجى، و إنما غرضهم أن لا خير عنده على وجه من الوجوه.

قال امرؤ القيس يصف طريقا:

على لاحب لا يهتدى بمناره

أراد أنه لا منار له، فيهتدى بها و قال: ابن أحمز:

لا تفرع الأرنب أهوالها و لا ترى الضب بها ينجح

أراد ليست بها أهوال فتفرع الأرنب و قال "سويد بن أبى كاهل":

من أناس ليس من أخلاقهم عاجل الفحش و لا سوء الجزع

لم يرد أن فى أخلاقهم فحشا أجلا، و إنما أراد نفى الفحش و الجزع عن أخلاقهم... و على هذا يقع تأويل الآيات:

(اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) و قوله تعالى:

(وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا)... (٤)

و لست أبغى استعراض جملة ما له من خواطر بلاغية فقد يطول بي البحث عندها، و لكنني ذكرت ما بكفى للتنويه بان الرجل كان من فهم الأساليب و الاحاطه بما عرف في عهده من مصطلحات بلاغية بالمكان الذي يجعله في طليعه الناقدین الوصفین.

و خلاصه القول في آرائه البلاغية، أنها كانت حلقة الوصل بين ما بدأه الجاحظ من إشاعة الخواطر البلاغية عند نقد النصوص في كتابه "البيان و التبيين" و ما انتهى إليه "الجرجاني" من تركيز تلك الخواطر و تصنيفها إلى أبواب مستقلة في كتابيه "دلائل الاعجاز" و "أسرار البلاغ" و إن خواطره لو جمعت و وصلت ببعضها لألفت شطرا كبيرا من مسائل البلاغ و بخاصه ما كان أدخل منها في علم المعاني.

و أما موازناته بين الشعراء، فبحسبك أن له بين أيدينا مؤلفين في الموازنه:ر.

ص: ٣٠١

-
- ١- الأمالی ج ١ ص ٢٤٧ ط مصر.
 - ٢- الأمالی ج ١ ص ٣٥٢ ط مصر.
 - ٣- الأمالی ج ١.
 - ٤- الأمالی ج ص ٢٨٠ - انظر شرحه لقصيده أبي نواس: "يا منه أمتنها السكر" و ما اختاره من شعر "مروان بن أبي حفصه"، و نبه عليه من معانيه و سرقاته ج ٢ ص ٥٣٢-٥٨٩. و لعله بعمله هذا قد حفظ لنا جملة ما ل "مروان" من شعر.

أحدهما كتاب "الشهاب فى الشيب و الشباب" و قد جمع فيه موازنا خير ما قيل فيهما، و بخاصه ما كان من شعر "البحتري" و "أبى تمام"، و "ابن الرومى" و أخيه "الرضى"، و ما نظمه هو فى الموضوع.

و ثانيهما كتاب "طيف الخيال" و قد جرى التأليف فيه على نسق ما جرى فى الأول، مستطردا أحيانا إلى ما قاله غيرهم من الشعراء.

و له مؤلف ثالث باسم "البروق" و أكبر الظن أنه يجرى مجراهما فى الموازنه، إذ أن المرتضى كلف بوصف البرق فى شعره كلفه بالموضوعين المتقدمين [المتقدمين].

كما ذكرت الفهارس له مؤلفا آخر باسم "تتبع أبيات المتنبي التى شرحها ابن جنى". و ليس للكتابين الأخيرين - فيما انتهى إليه بحثى - وجود فى فهارس المكتبات العامه و الخاصه، و لم أعرف أحدا نقل عنهما نصا أو أثرا.

على أن كتاب "الأمالى" وحده كاف فى تصوير ما حفظ الرجل و وعى من شعر جاء على أكثره بالموازنه و التعقيب. (1)

كما يصح أن ندرج فى ضمن كتبه الوصفيه "شرح القصيده المذهبه للسيد الحميرى"، فقد تحدث عن معانى أبياتها، و شرح أغراضها شرحا لغويا أدبيا أتى على جملة ما فى القصيده من أغراض.

و لقد كان فى كثير من خواطره النقدية موفقا بارعا، شهدنا ذلك فى تعقيبه على "غريب الحديث" لابن سلام، و "غريب الحديث" ل "عبد الله بن مسلم بن قتيبه"، و فى مؤاخذاته "للآمدى" فى كتابه "الموازنه بين الطائين".

فمن مأخذه الموفقه ما ورد فى كتاب "الشهاب" تعقيبا على الآمدى حين تعرض لأبيات البحتري:

هل أنت صارف شبيه إن غلست فى الوقت أو عجلت عن الميعاد

جاءت مقدمه أمام طواع هذى تراوحنى و تلك تغادى

و أخو الغيبه تاجر فى لمه يشرى جديد بياضها بسواد

لا تكذبن فما الصبا بمخلف لهوا، و لا زمن الصبا بمعاد

و أرى الشباب على غضاره حسنه و جماله عددا من الأعداد

قال المرتضى: "وجدت الآمدى قد نزل فى معنى قوله:

"يشرى جديد بياضها بسواد"

لأنه - الآمدى - قال: معنى يشرى: يبيع، و أراد أن الغيبين من باع جديد بياضه بالسواد، و أراد بالسواد الخضاب فكأنه دم الخضاب.

و الأمر بخلاف ما ذكره، و ما جرى للخضاب ذكر، و لا- هاهنا موضع للكناية عنه، و معنى " يشرى " هاهنا: يبتاع، لأن قولهم " شريت " يستعمل فى البائع و المبتاع جميعا، و هذا من الأضداد، نص أهل اللغة على هذا، فكأنه شهد بالغبن لمن يبتاع الشيب بالشباب، و يتعوض عنه به.

و إنما ذهب على " الآمدى " أن لفظه " يشرى " تقع على الأمرين المتضادين، فتحمل ذكر الخضاب الذى لا معنى له هاهنا... (٢) و من مأخذه على الآمدى مأخذه على تفسيره للبيت الأخير من أبيات البحترى الآتية:

أخى إن الصبا استمر به سير الليالى فأنهجت برده

تصد عنى الحسان مبعده إذ أنا لا تربه و لا صدده

شيب على المفرقين بأرضه يكثر فى أن أبينه عدده

تطلب عندى الشباب ظالمه بعيد خمسين حين لا تجده

لا عجب إن نقلت خلطنا فافتقد الوصل منك مفتقه

من يتناول على مطاوله العيش تتقعع من مله عمده

فقد فسر الآمدى: " تتقعع من مله عمده " بان عظام الكبير المسن يجىء لها صوت إذا قام و قعد، و تسمع لها قعقه.

قال المرتضى: " و ما سمعنا بهذا الذى ظنه فى وصف ذوى الأسنان و الكبير، و المعنى أظهر من أن يخفى على أحد، لأنه أراد: من عمر و أسن، و أول العيش تعجل رحيله و انتقاله من الدنيا، و كنى عن ذلك ب " تتقعع العمدة " لأن ذوى الخيام و الأطناب إذا انتقلوا من محل إلى غيره، و قوضوا عمد خيامهم، و سارت بها الإبل، سمعت لها قعقه. و من أمثال العرب المعروفه: " من يتجمع تتقعع عمده " يريدون أن التجمع يعقب التفرق، و الرحيل الذى تتقعع معه العمدة.

و معنى قوله: " من مله " يريد من السام و الملال، دون ما ظنه " الآمدى " من أنه تملى العيش. (٣)

و من مأخذه النقديه على " الآمدى " دعوى الأخير أن " أبا تمام " أخذ قوله:

عادك الزور ليله الرمل من رمله بين الحمى و بين المطالى

نم فما زارك الخيال و لكنك بالفكر زرت طيف الخيال

من قول " جران العود ":

أهلا بطيفك من زور أتاك به حديث نفسك عنه و هو مشغول

لأن معنى "و هو مشغول" أى أنه لم يترك على الحقيقة فبنى "أبو تمام" من هذا قوله: "ما زارك الخيال" وبنى من قوله: "أتاك به حديث نفسك" قوله: "و لكنك بالفكر زرت طيف الحيال [الخيال]"، فالمعنى كله ل "جران العود" و إنما غير "أبو تمام" لفظه.

قال المرتضى: "و ما كان عندي أن مثله يذهب عليه ما قصده "أبو تمام"، مع وضوحه. و معنى "و هو مشغول" أى و هو مشغول عنك، لا تخطر بباله، و لا تحدثه نفسه بك، كما تحدث نفسك به، و لا يفارقك ذكره.

و من مأخذه البارعه: ما أخذه على "الصولي" فى تفسيره بيتا لأبى نواس، فقد روى أن أبا نواس وقف على النيل بمصر، فرأى رجلا قد أخذه التمساح فقال:

أضمرت للنيل هجرانا و مقلبه مذ قيل لى: إنما التمساح فى النيل

فمن رأى النيل رأى العين من كتب فما أرى النيل إلا فى البواقي ٨.

ص: ٣٠٢

١- الشيب و الشباب ص ٢٠-٢١ طبع الجوائب.

٢- الشيب و الشباب ص ٢٠ ط الجوائب - و الأمالى ج ٢ ص ٢٦٤.

٣- طيف الخيال ط مصر ص ٢١، و الأمالى ج ١ ص ٥٩٦-٥٩٨.

قال الصولي: "و البواقيل سفن صغار".

قال المرتضى: "أخطا الصولي" في تفسير "البواقيل" بأنها سفن صغار، لأن البواقيل جمع "بوقال" و هو آله على هيئة الكوز معروفه، تعمل من الزجاج وغيره، و هذا مثل قول ابن الرومي:

"أمر به في الكوز مر المجانب"

"و إنما أراد أننى لا- أمر بماء النيل إلا إذا أردت شربه في "كوز" أو "بوقال"، و أظن "الصولي" استمر عليه الوهم من جهه قوله: "فمن رأى النيل"، و صرف ذلك إلى أنه أراد "النيل" على الحقيقيه، و إنما أراد ماء النيل، و ما علمت أن السفن الصغار يقال لها "بواقيل" إلا من قول "الصولي". هذا لو كان ما ذكره صحيحا من أن ذلك اسم لصغار السفن لكان بيت "أبي نواس" بما ذكرناه أشبه و أليق، و أدخل في معنى الشعر، و كيف تدخل عليه الشبهه في ذلك مع قوله:

"فمن رأى النيل رأى العين من كتب"

. و من رأى النيل في السفن فقد رآه من كتب، و من رأى ماء في الآنيه لا يكون رائيا له من كتب.

و من لفتات "المرتضى" النقدية البارعه تصويره لكيفيه لقاح المعانى و تناسلها، و ولاده بعضها من بعض بالتركيب و الامتزاج، أو التداخل، و نصه على أن دعوى أخذ شاعر من شاعر، و سرقة معنى من معنى، أمر يجب التورع فيه، و التخرج من إطلاقه، فالمعاني نفسها إذ تعلق في الدهن، و تفر في رحم اللاشعور تتلاقح و تولد كائنا جديدا، يأخذ من كل بعض خصائصه، فما نراه من تشابه بين المعانى السابقه و اللاحقه لا- يعنى أن المولود الجديد يلحق بغير من ادعاه، أو ولد على فراشه، بل هو له و إن لاحت عليه شمائل غير أبيه، إذ أن سنه تلاقح المعانى في الدهن تقضى بهذا التشابه و الاختلاف.

لهذا نرى "الشريف" يتخرج من إطلاق القول في أخذ شاعر من شاعر، و سرقة بيت من بيت، و غايه ما يبيح لنفسه أن يقول: "سبق إلى هذا المعنى، أو كأنه نظر إلى هذا المعنى، أو لمح بهذا المعنى ذلك المعنى".

يقول و هو يستعرض المعانى الوارده في مدح الشيب و ذمه:

"هذه المعانى قد تتشعب و تتركب و تمتزج فيتولد بينها من المعانى ما لا ينحصر و ينضب، بحسب قوه طباع الشاعر، و صحه قريحته و غريزته. (١)

و يقول: "ليس ينبغى لأحد أن يقدم على أن يقول أخذ فلان الشاعر هذا المعنى من فلان، و إن كان أحدهما متقدما و الآخر متأخرا"، لأنهما ربما تواردا من غير قصد، و لا وقوف من أحدهما على ما تقدم الآخر إليه، و إنما الإنصاف أن يقال: هذا المعنى نظير هذا المعنى، و يشبهه و يوافق، فاما أخذه و سرقة فمما لا سبيل إلى العلم به، لأنهما قد يتواردان على ما ذكرناه، و لم يسمع أحدهما بكلام الآخر، و ربما سمعه فنتسبه و ذهب عنه، ثم اتفق له مثله من غير قصد، فلا يقال: "أخذه و سرقة. (٢)

و خلاصه القول فى أدبه الوصفى أنه بحكم ما جهز به "المرتضى" من وقوف على اللغة و أساليبها، و بتأثير ما زود به من ثقافات متنوعه، عاد من أقدر ناقدى عصره إن لم يكن أقدرهم جميعا على التصرف فى النص، و التحكم فى بواطنه و خفاياه، و بلوغ أقصى ما يحتمله من دلالات.

و لكن هذه القدره على التصرف، و التمكن من استخراج سائر المحتملات من النص ربما أغرتة بقبول المتكلف المتعمل من وجوه النص.

و أمر آخر داخل أدبه الوصفى فأصر به عبارته و فكره، هو شيوع النزعه العلميه و طغيانها عليه، فالتقسيمات المنطقيه، و العرض المبوب المرتب، جعل بحوثه الأدبيه أشبه بالبحوث العلميه، المعنيه بتقرير الحقائق أكثر من العنايه بجمال التصوير و التعبير.

و لو استطاع "المرتضى" أن يتناسى شخصيته العلميه حين يطرق أبواب الأدب، و أن يخلص من عقائده الكلاميه، مكتفيا منها بما أتت من آثار فى شحذ أفكاره و أرهاف ذهنه، لأبدع فى النقد غايه الإبداع، و لكن أنى له بذلك و هو يمشى إلى الأدب بروح المتكلم الفقيه.

أدبه الإنشائى

النشر [النثر]:

إن نثر "المرتضى" الأدبى قليل النصوص، فلا نعرف له رسائل إنشائيه و لا كتبا ديوانيه، و لا خطبا فى السياسه أو الدين. و كل ما بأيدينا من نثره مقتبس من كتبه، فى مقدماتها المفتحة عادة بالحمد و البسملة، ثم بتصوير ما قصد إليه الكتاب، و ما ألم به من أمهات المسائل، و الملاحظ فى هذه المقدمات الإيجاز و الإيماء إلى ذكر الباعث على تأليف الكتاب، و المنهج الذى يتبعه فيه، و القصد الذى يرمى إليه، على وجه يمكن القارئ من الدخول فى الموضوع و هو على بينه من أمره، فى غير التزام لاسلوب بعينه، و لا طريقه بذاتها فقد يسترسل، و قد يسجع، و قد بجمع بين الأمرين.

فمن الاسترسال ما قدم به كتابه "الشافى":

"الحمد لله، و سلام على عباده الذين اصطفى، محمد و آله الطاهرين النقباء.

سالت - أيدك الله - تتبع ما انطوى عليه الكتاب المعروف ب (المغنى من الحجاج فى الامامه) و إملاء الكلام على شبهه بغايه الاختصار، و ذكرت أن مؤلفه قد بلغ النهايه فى جمع الشبه، و أورد قوى ما اعتمده شيوخه، مع زيادات يسيره سبق إليها، و تهذيب مواضع تفرد بها، و قد كنت عزمت - عند وقوع هذا الكتاب فى يدي - على نقض ما اختص منه بالإمامه، على سبيل الاستقصاء، فقطعنى عن إمضاء ذلك قواطع، و منعت منه موانع، كنت متوقعا لانحسارها، فابتدئ به و أنا الآن عامل على إملاء ما التمسته، و عادل عن بسط الكلام و نشره، إلى غايه ما يمكن من الاختصار و الجمع، و معتمد حكايه أوائل الكلام، و أطراف فصوله، و موقع الحواله على كتابه، ليكون ذلك أدخل فيما نحوته من الاختصار. و هذا الكتاب - إذا أعان الله عليه، و وفق لبلوغ الغرض فيه - يكون جامعا لأصول الامامه و فروعها، و محيطا من الكتب المهذب، و النكت المحرره، بما لا يوجد فى شىء من

الكتب المصنفه، و إلى الله الرغبه فى تيسير ذلك و تسهيله، و أن يجعل ذلك خالصا لوجهه، و مقرونا بمنه و جوده " (٣)ن.

ص: ٣٠٣

١- طيف الخيال ص ١٦ ط مصر.

٢- الشهاب ص ٧ ط الجوائب.

٣- الشافى ص ١ ج ١ ط إيران.

وقوله: "سالت - أحسن الله توفيقك - إملاء كتاب في تنزيه الأنبياء، والأئمة (ع) عن الذنوب والقبائح كلها، ما سمي منها كبيرا أو صغيرا، والرد على من خالف في ذلك على اختلافهم، وضرور مذاهبهم، وأنا أجيب إلى ما سئلت على ضيق الوقت، وتشعب الفكر، وابتدئ بذكر الخلاف في هذا الباب، ثم بالدلالة على المذهب الصحيح من جملة ما أذكره من المذاهب، ثم بتأويل ما تعلق به المخالف من الآيات والأخبار التي اشتبه عليه وجهها، وظن أنها تقتضى وقوع كبيره أو صغيره من الأنبياء والأئمة (ع)، ومن الله استمد المعرفة والتوفيق، وإياه أسأل التأييد والتسديد". (١).

و من السجع قوله:

"الحمد لله على ما أعطى من فهم، و آتى من علم، و صفى من بصيره، و عفى من جريره، و يسر من طلب، و سنى من أدب..." (٢).

وقوله: "الحمد لله على ما دبر من حق متبع، و صرف عن باطل مبتدع، و أرشد إلى دلاله، و أبعد من ضلاله و جهاله، و صلواته على خير خلقه، و على الأكارم و المعالم من أهله، الذين سلکوا منهاجه، و اتبعوا محاجه، و حفظوا من التبديل و التغيير شريعته، و بينوا مجملها، و فسروا مشكلها، و أقاموا دعامها، و قربوا مرامها". (٣).

و الملاحظ فى أكثر هذه المقدمات المسجوعه، أن السجع فيها غير بادی التکلف، و لكنك قد تجد فيها من السجع ما يظهر أثر التکلف عليه و النبو على بقیه سجعه فيه فمن ذلك قوله:

"سالت - أعزك الله و أرشدك - إملاء رساله فى القدر، فقد جالت به الفكر، و أكثرها عن معرفته قد انحسر". (٤).

وقوله: "و اعلم أن الكلام فى القضاء و القدر، قد أعيا أكثر أهل النظر، و أتعب ذوى الفكر، و المتكلم فيه على غايه من الخطر" (٥).

و لقد تجد له نثرا أدبيا فى أثناء كتبه و فى عرضها، من فصول يظهر عليها آثار التأتق فى العبارة، و الذهاب مذهب المتأدين فى انتقاء الفكره، و قصد التأثير فى القارئ عن طريق هذا التفكير و التعبير معا.

و أكثر ما يتجلى هذا حين يدفع عن فكره دينيه، أو نحله مذهبيه فإنه مع التزامه عادة أهل الجدل و الكلام، فى التزام الأسلوب المنطقى، و مصطلحاتهم الكلاميه، يجنح جنوحا بارزا إلى الأسلوب الأدبى، و يخلص إليه بطبعه فى مهاره تخيل للقارئ أنه يكتب موضوعا إنشائيا، يرتجله من نفسه، غير مقيد بالتزام مصطلحات و حدود.

قال مستدلا على تنزيه الله من خلق الشرور - و هى عقیده إماميه -:

"و أما حجه العقول على أن الله لم يفعل أفعال العباد، و إن فعل الخلق غير فعل رب العالمين، فهو أنا وجدنا من أفعال العباد ما هو ظلم و عبث و فساد، و فاعل الظلم ظالم، و فاعل العبث عابث، و فاعل الفساد مفسد، فلما لم يجر أن يكون الله مفسدا، علمنا أنه لم يفعل الظلم و لا العبث و لا الفساد.

إن الله لا- يجوز أن يعذب العباد على طولهم، وقصر ألوأنهم و صورهم، لأن هذه الأمور فعله و خلقه فيهم، فلو كان الكفر و الفجور فعل الله لم يجر أن يعذبهم على ذلك، و لا ينهأهم أو يأمرهم بخلافه.

إن الله سخط الكفر و عابه، و ذم فاعله، و لا يجوز على الحكيم أن بدم العباد على فعله، و لا يعيب صنعه و لا يسخطه، بل يجب أن يرضى بفعله، لأن من فعل ما لا يرضى به فهو غير حكيم، و من يعيب ما صنع، و يصنع ما يعيب فهو معيب...

فالله أحكم و أعدل من أن يسخط في فعله، و يغضب من خلقه، و يفعل ما لا يرضى به...

فلما كان الله أحكم الحاكمين علمنا أنه غير فاعل للكفر، و لا محدث للظلم، و لا مبتدع للقبائح و لا مخترع للفواحش، و ثبت أن الظلم فعل الظالمين، و الفساد فعل المفسدين، و الكذب فعل الكاذبين، و ليس شيء من ذلك فعل رب العالمين. (٤)

و انظر إليه و هو يصل بين "الجاحظ" و "ابن الراوندى" في مقالاتهما التى يبطلها، و مؤلفاتهما التى يشنع عليها، و طريقتهما فى تبنى الآراء المختلفه، و النحل المتباينه، و الاستدلال لها من غير إيمان بما فيها، فانك تجد فيه أدبيا مترسلا فى عرض مسائل مذهبيه لم يعتد المتكلمون إلا قليلا تناولها بهذا الأسلوب الأدبى.

"أما "ابن الراوندى" فقد قيل فيه أنه إنما عمل الكتب التى شنع بها عليه معارضه للمعتزله، و تحديا لهم، لأن القوم - يريد المعتزله - كانوا أساءوا عشرته، و استنقصوا معرفته، فحمله ذلك على إظهار هذه الكتب، ليبين عجزهم عن استقصاء نقضها، و تحاملهم عليه فى رميه بقصور ألفهم و الغفله...

و ما صنع "ابن الراوندى" من ذلك إلا- ما صنع "الجاحظ" مثله أو قريبا منه، و من جمع بين كتبه التى هى "العثمانيه" و "المروانيه" و "الفتيا" و "العباسيه" و "الاماميه"، و "كتاب الرافضه و الزيديه"، رأى من الفتيا و اختلاق القول ما يدل على شك عظيم، و الحاد شديد، و قله تفكر فى الدين و ليس على الحاكي جريره، و لا يلزمه تبعه، لأن هذا القول إن قنع به الخصوم، فليقنعوا إنما حكى مقالات الناس و حجاجهم و ليس على الحاكي جريره، و لا يلزمه تبعه، لأن هذا القول إن قنع به الخصوم، فليقنعوا بمثله فى الاعتذار فان "ابن الراوندى" لم يقل فى كتبه التى شنع بها عليه: إننى أعتقد هذه المذاهب التى حكيتها، و أذهب إلى صحتها. بل كان يقول: قالت الدهريه، و قال الموحدون، و قالت البراهمه، و قال مثبتو الرسل، فان زالت التبعه عن "الجاحظ" فى سب الصحابه و الأئمه، و الشهاده عليه بالضلال، و المروق عن الدين، بإخراجه كلامه مخرج الحكايه، فلتزلن أيضا التبعه عن "ابن الراوندى" بمثل ذلك.ف.

ص: ٣٠٤

١- تنزيه الأنبياء ص ٢ ط إيران.

٢- طيف الخيال ص ١٣ ط مصر.

٣- الانتصار ص ٢ ط إيران.

٤- تنزيه البشر ص ٢٥ ط النجف.

٥- المصدر السابق.

٦- تنزيه البشر من الجبر و القدر ص ٥٧-٦٠ ط النجف.

و بعد فليس يخفى كلام من قصد الحكايه و ذكر المقاله، من كلام المشيد لها، الجاهد نفسه فى تصحيحها و ترتيبها. و من وقف على كتب "الجاحظ" التى ذكرناها، علم أن قصده لم يكن الحكايه، و كيف يقصد إلى ذلك من أورد من الشبه و الطرق ما لم يخطر كثير منه ببال أهل المقاله التى شرع فى حكايتها، و ليس يخفى على المنصفين ما فى هذه الأمور.

إنه بهذا الكشف عن نفس "الجاحظ" و "ابن الراوندى"، دل على ما كان يخالط رويهما من رغبه فى مجرد تبني الآراء و تمثلها و صوغها، و هو أمر لا يلتفت إليه عاده إلا- أديب خبر النفوس، و عرف منظوياتها و بواعثها على القول، ثم صور ذلك تصويرا أدبيا بعيدا عن أساليب المتكلمين من غير الأدباء.

و كذلك قد يعمد إلى الأسلوب الأدبى عند نقد المعانى، أو عند الحكم على مقادير الشعراء، فمن الأول قوله - تعليقا على أبيات "ابن الرومى":

كفى بسراج الشيب فى الرأى هاديا إلى من أضلته المنايا لياليا

أمن بعد إبداء المشيب مقاتلى لرامى المنايا تحسبى ناجيا

غدا الدهر يرمى فتدنو سهامه لشخصى، فاخلق أن يصبن سواديا

و كان كرامى الليل يرمى و لا يرى فلما أضاء الشيب شخصى رمانيا

" لقد أحسن فى البيت الأخير غايه الإحسان، لأن المعنى الذى قصده تكامل فهمه، و انتهى إلى الغايه عنده، و ساعده اللفظ و حسن العبارة، فلم يبق عذر فى قبول القلوب له، و علوقها به.

و من شان "ابن الرومى" أن يورد المعنى، ثم يأخذ فى شرحه فى بيت آخر، و إيضاحه و تشعيه و تفريعه، فربما أخفق و أكدى، و ربما أصاب فاصمى، لأن الشعر إنما تحمد فيه الإشاره و الاختصار، و الإيماء إلى الأغراض، و حذف فضول القول. و فى هذه الأبيات قد اتفق له أنه لما كرر المعنى و أعاد و أبداه، خلص فى البيت الأخير، و صفا و عذب مذاقه، لأنه فى أول بيت قد أشار إلى المعنى الموجود فى آخرها، و فى البيت الثانى أيضا قد أعاد ذلك، و فى البيت الثالث قد ألم بعض الإمام، لأنه ذكر أن سهام الدهر تقرب إليه، و أخلق أن يصبن سواده - يعنى شخصه - و لم يذكر العله فى إصابتها له، و هى إضاءه المشيب، و هدايتها إلى مراميه، كما ذكره فى البيتين الأولين، و طبق المفصل فى البيت الرابع". (1)

و كقوله تعقيا على أبيات البحترى:

و كنت أرجى فى الشباب شفاعه و كيف لباغى حاجه بشفيعه

مشيب كبث السرعة بحمله محدثه أو ضاق صدر مذيعه

تلاحق حتى كاد ياتى بطيؤه لحت الليالى قبل آتى سريعه

" هذا و الله أبلغ كلام و أحسنه، و أحلاه و أسلمه، و أجمعه لحسن اللفظ و جوده المعنى، و ما أحسن ما شبه تكاثره و تلاحقه،
بيث السر عن ضيق صدر صاحبه، و إعياؤه بحمله، و عجزه عن طيه. (٢) و من الثانى قوله متحدثا عن سيره بعض الرواه و الأدباء:

"نشا جماعه بعد هؤلاء - يريد مشركى الجاهليه - ممن يتستر بإظهار الإسلام، و يحقن بإظهار شعاره و الدخول فى جمله أهله
دمه و ماله، زنادقه ملحدون، و كفار مشركون، منعهم عز الإسلام عن المظاهره و المجاهره، و ألجأهم خوف القتل إلى المساتره،
و بليه هؤلاء على الإسلام و أهله أعظم و أغلظ، لأنهم يدخلون فى الدين، و يموهون على المستضعفين، بجاش رابط، و رأى
جامع، فعل من قد أمن الوحشه، و وثق بالأنسه، بما يظهر من لباس الدين، الذى هو منه على الحقيقه عار، و بأثوابه غير متوار".

ثم عددهم "المرتضى" فقال:

"أما "الوليد" فكان مشهورا بالإلحاد، متظاهرا بالعناد، غير محتشم فى إطراح الدين أحدا، و لا مراقب فيه بشرا.

و أما "حماد الراويه" فكان منسلخا من الدين، زاريا على أهله، مدمنا لشرب الخمر، و ارتكاب الفجور.

و أما "ابن المقفع" فان "جعفر بن سليمان" روى عن "المهدى" أنه قال: ما وجدت كتاب زندقه قط إلا و أصله "ابن المقفع"،
و كان مع قله دينه، جيد الكلام، فصيح العبارة، له حكم و أمثال مستفاده.

و كان "بشار" مقدما فى الشعر جدا، حتى أن كثيرا من الرواه يلحقه بمن تقدم عصره من الموجودين". (٣)

و لقد بدا لى من تتبع كثير من نثره الأدبى أنه إذ يعالج موضوعا أدبيا يستقصى وجوه القول فيه، و يلم بمختلف أطرافه حتى
لكأنه باحث فى مسأله علميه، أو مدرس يعلم طلابه كيف يجب أن تتناول المسائل، و تفحص المعانى، و كيف ينبغى ألا يفوتهم
منها الدقيق و الجليل.

انظر إليه و هو يتحدث عن معانى الشيب. "و اعلم أن الشيب قد يمدح و يذم على الجملة، ثم يتنوع مدحه إلى فنون، فيمدح بان
فيه الجلاله و الوقار، و التجارب و الحكمه، و أنه يصرف عن الفواحش، و يصد عن القبائح، و يعظ من نزل به، فيقل إلى الهوى
طماحه، و فى الغى جماحه، و أن العمر فيه أطول، و المهل معه أفسح، و أن لونه انصع الألوان و أشرفها.

و قد يذم بأنه رائد الموت و نذيره، و أنه يوهن القوه، و يضعف المنه، و يطمع فى صاحبه، و أن النساء يصددن عنه، و يعبن به، و
يحقرن من جهته، و ربما شكى منه لنزوله فى غير زمانه، و وفوده قبل أوانه". (٤)

و كذلك إذ قد يطرق موضوع الطيف:

"الطيف يوصف بالمدح تاره، و بالذم أخرى، و لمدحه وجوه متشعبه، فمما يمدح به: أنه يعلل المشتاق المغرم، و يمسك رموق
المعنى المسقم، و يكون الاستمتاع به، و الانتفاع منه و هو زور باطل، كالانتفاع لو كان حقا يقينا.

و هل فرق بين لذه الخيال فى حال تمثلها و تخيلها، و بين لذه اللقاء الصحيح، و الوصال الصريح. و بعد زوال الأمرين، و مفارقه

الحالين و ما أحدهما في فقد متعته، و زوال منفعته إلا كصاحبه. و مما يمدح به، أنه زياره من غير وعدب.

ص: ٣٠٥

١- الشهاب ص ٣٩-٤٠ ط الجوائب.

٢- الشهاب ص ١٣ ط الجوائب.

٣- الأمالي ج ١ ص ١٢٧-١٤٠.

٤- الشهاب ص ٣ ط الجوائب.

يخشى مطله، و يخاف ليه و قوته. و اللذه التي لم تحتسب و لم ترتقب يتضاعف بها الالتذاذ و الاستمتاع، و أنه وصل من قاطع، و زياره من هاجر، و عطاء من مانع، و بذل من ضنين، وجود من بخيل، و للشئ بعد ضده من النفوس موقع معروف غير مجهول. و من مליح مدحه و غريبه: أنه لقاء و اجتماع لا يشعر الرقباء بهما، و لا يخشى منع منهما، و لا اطلاع عليهما، و التهمه بهما زائله، و الريبه عنهما عادله، و أنه تمتع و تلذذ، لا يتعلق بهما تحريم، و لا يدنو إليهما تأثيم، و لا عيب فيهما و لا عار " (1).

و الذى انتهيت إليه من تتبع تلك النصوص التى مرت بك و من سواها أن الشرف فيها مزيج من الترسل و التفصيل و الازدواج، لا يلتزم أحدهما طوال النص و لا يتركهما معا إلى غيرهما فى جملة النص، و أنه يتجنب المفردات اللغويه التى تثقل على النطق - و ليس ذلك شأنه فى الشعر - أو تقل شيوعا فى الاستعمال، و يتحاشى الغلو فى استعمال المجاز، و أنواع البديع، اللهم إلا ما كان من طباق أو سجع ياتى فى الأغلب عفوا، غير بادية أثر التكلف فيه:

و أنه مقتصد لا يعيد و يبدي على المعنى أكثر من مره، حتى ينتقل إلى غيره.

أما أفكاره فهى فى الأغلب منطقيه متسلسله، تروى العقل، و تبل العاطفه، و لا ترتفع بالخيال إلا بمقدار.

فان قرننه بمنشئ عصره من اعلام الأدب ألفتيه دونهم ماء و رواء، و ألفت أكثرهم دونه تحديدا للأفكار، و تفصيلا للألفاظ على أقدار المعانى، و هو إلى أن يكون عالما يصطنع الأدب، أقرب من أن يكون أدبيا يتكلف العلم.

أ - شعره الغزلى

لا تتوقع أن تجد فى المرتضى شاعرا غزلا، فهو رجل مقسم القلب بين خرائد المعانى و فاتنات الأعمال، و إذا كان للحب زاويه من قلبه و للحسن نسرب إلى حناباه، فاحر بلسانه أن يضل طريقه إليها، و فى قلبه، تعتلج مصطخبه تلك اللواعج من أعمال السياسه، و تلك الهوامش من بنات العلوم و الأفكار.

و هبك تقول: ان يكن الشريف خلا من نوازع الحب، فقد خلا منه كثير غيره من الشعراء، فليكن غزلا مثلهم يعوض ما فاته من حب بما تكلفه من اصطناعه، و ليجد القول فيه نظير ما أجاد هؤلاء؟.

و جوابى على ذلك، أن تكلف ذلك يقتضى تمثلا لخواطر المحبين، و وقوفا عندها، و لم يك للرجل ذلك الفراغ المتسع لتمثل تلك الخواطر على وجه تبدو معه و كأنها من هواجس نفسه، و أحاديث قلبه.

على أن شيئا آخر ربما كان هو الذى خيل إلينا أن الرجل لم يك محبا، و لم يكن مفتونا، ذلك هو ما كان يظهر به من العفه و التخرج، و الوقوف بالقول عند حدود الدين و الوقار، فان يكن الأمر كذلك فجدير بمن يتكلف التستر على ما فى نفسه أن تضل قريحته سيبلها بين الكلف و التكلف، و أن تضع النوازع النفسيه بين واقع يراد كتمانها، و باطل يراد إعلانها، فهو مفتون بعفه، و عفيف بفتنه، و بين تلك و هذه تجرى الخواطر متعثره فى صعود و هبوط، و استقامه و التواء.

و قد امتنع "الشريف" عن الهجو الفاحش تكرما، و عن وصف الخمره تأثما، فجدير به أن يمتنع عن الغزل إلا ما كان لائقا مناسبا برجل السياسه و الدين.

قال الغزل فى مطالع كثيره من قصائده، على عادة الشعراء:

ما ذا يضيرك "هند" من حبى و إذا قربت إليك من قربى؟

لا تعجبنى من صبوتى بكم فالحسن أين رأيته يصبى

و رباعكم أنى أفارقها و بها غديري العذب أو عشبى

و لو استطعت كتمت حبكم للضن عن قلبى و عن صحبى

و من الغرائب أننى أبدا سلم لمن هو ظالما حربى

متقلبا طول الدجى أسفا كالصل من جنب إلى جنب

ما تعلمين - و أنت ناعمه - من كان فيك معانق الكرب

و أردت أن أسلو و ذا عجب لو كان قلبك فى الهوى قلبى

و عدلت منى من له أذن صماء عن عدل و عن عتب

و متى يكن ذنب هواك فلا غفر الإله - و أنب لى - ذنبى

و يحسن أن أشير إلى أن المرتضى فى البيت الأخير: تعدى الحدود التى اختطها لنفسه من التخرج، حيث رضى ألا يغفر الله ذنبه إن كان الحب ذنبا، على شريطه أن تبقى حبيبته له. و ما أحسبه جازف هذه المجازفة لو لا التعليق على الشرط " و متى يكن ذنب".

و أحسن غزل "المرتضى" ما لم يتكلف له، و ما لم يعن بملاحقه المعانى المقتبسه فيه من فحول الشعراء، مما ينظمه مترسلا، و بخاصه ما كان على بحر قصير مثل قوله:

قل لجاف كلما سيم وصالا زاد ضنا

ليته يزداد إحسانا كما يزداد حسنا

قد لبسنا من جوى حبك ما أبلى و أضنى

لا أرانا الله فى نفسك ما أبصرت منا

كن كما شئت فانا كيفما آثرت كنا

بلغ الكاشح بالمين الذى كان تمنى

فو حق الحب لم يصدقك من بلغ عنا

لو درى العاذل أنى لم أطعه ما تعنى

لم أدع للعدل فى الحب على أذنى أذنا

أ ترى عن حسن رأى زارنا طيفك وهنا

لم يفدنا و طريف خادع يوجب منا

إنما الطيف كلفظ فارغ ما فيه معنى

كم رأينا باطلا نفس كربا من معنى

فان تكلف للغزل، و احتفل له كما يحتفل الموهوبون المنقطعون لمعاناة الشعر، المتحررون من تقاليد المجتمع و آدابه، ظهر أثر التكلف عليه، و قعدت به أثقاله و أغلاله من أن يخطو خطوه إلى تلك الميادين.

لقد عارض القصيده "الدعديه" فاستحالت المتجرده فيها على لسانه حصانا عفا، و "النصيف" الذى سقط و لم ترد إسقاطه دثارا صفيقا منر.

ص: ٣٠٦

١- طيف الخيال ص ٤ ط مصر.

الحكمه و الحشمه و الوقار:

هبت تلوم على الندى "هند" يا هند، خير من غنى حمد

الحمد يبقى لى و ان تلفت نفسى، وفاه الأهل و الولد

و المال تأكله النوائب و الأحداث حتى ما له رد

يا هند ان الدار زائله و القرب ياتى بعده بعد

عمرى يروح - و ما أهبت به - ذاك الحمام به و لا يغدو

ما كنت بالمتقاد فى يده لو كان من أيدى الردى بد

و المرء غايه لبسه كفن يبلى و آخر بيته لحد

و كذلك حاله حين احتفى بالغزل معارضا قصيده أخيه الغزليه المشهوره:

يا ظبيه البان ترعى فى خمائله ليهنك اليوم أن القلب مرعاك

و مع تقديرى لصعوبه معارضه مثلها، إذ قد تكلف كثير من الشعراء معارضتها فلم يوفقوا، إلا أن "المرتضى" كان بادى العجز

أكثر من سواه، فليس الذى قاله يدخل فى مستساغ القول فضلا عن جيده:

مرت بنا بمصلى الخيف سانحه كظبيه أفلتت أثناء أشراك

نبكى و يضحكها منا البكاء لها ما ذا يمر من المسرور بالباكى

فقلت: - و القول قد يشجى أخا شجن و ربما عطف المشكو للشاكي -

أعطيت منا الذى لم نعط منك فلو رام الهوى النصف أعطانا و أعطاك

و لست بالريم لكن منك أحسنه و لست ظبيا و ريا الظبى رياك

تود شمس الضحى لو كنت بهجتها و ود بدر الدجى لو كان إياك

قد كنت أحسبني جلدا فايقظنى منى على الضعف أنى بعض قتلاك

لا بارك الله فى قلب قلاك و لا أبكى السماء لمن بالسوء أبكاك

و لا تولى الذى ولاك جانبه و لا عدا الخير إلا من تعداك
أشقيت منا قلوبا لا نقول لها أشقى الإله الذى بالحب أشقاك
و كنت ملذوده و المر منك لنا و ما أمرك شىء كان أحلاك
هل تذكرين - و ما الذكري بنافعه مسرى الركائب يوم الجزع - مسراك
فى ليله ضل فيها الركب و جهته الا ضياء جمال من محياك
بتنا نميل على أقتادنا طربا مصغين نحو الذى بالحسن أطراك
مسهدين و لو لا داء حبكم أكرى العيون لنا من كان أكراك
إن بت آمنه منا عليك كما شاء العفاف فانا ما أمناك
أو كنت ساليه لما خطاك هوى غدا علينا فانا ما سلوناك
و إن مللت فقوموا لا ملال بهم و إن سئمت فانا ما سئمتناك
أى الشفاء لداء فى يديك لنا و أى رى لصاد من ثناياك
لو لا الغواه و خوف من وشاتهم ما كان مثواى إلا حيث مثواك
ملكتنا بالهوى و الحب متعبه فحبذا ذاك لو أنا ملكتناك
و لو أصبت بداء قد أصبت به علمت ما فى فؤاد بات يهواك
أن تشكرى فاشكرى من لم يذقك هوى و من بحبك أبلانا و عفاك
و كيف يصحو فؤاد فيك مختبل تسرى سرى دمه فيه حمياك
و لو رميت و ريعان الشباب معى أصميت منى من بالحب أصماك
كم مره زرتنا وهنا على عجل سریت فيه و ما أسرت مطاياك
حتى التقينا على رغم الرقاد و ما ذاك اللقاء سوى وسواس ذكراك
فان هجرت و قد أخلفت واعدته فبالذى زرت ما واعدتنا ذاك

و خلاصه القول فى غزله، أن "المرتضى" قد يجيد التغزل حين يجرى على لسانه فى المقطوعه الصغيره، و إذ ينظم فيه على البحر القصير، أما حين بتكلف له، و يعمد فيه إلى مباراه الغزلين، فان التوفيق قل أن يحالفه، و يأخذ بلسانه.

ب - شعره الوصفى

ليس الوصف فى واقعه بابا مستقلا فى الشعر، فالشعر بجملة أغراضه لا يخرج عن أن يكون وصفا للشئ الذى قيل فيه، و إنما تعارف الشعراء و النقاد أن يطلقوا اسم "الشعر الوصفى" على ما تناول وصف الطبيعه، و ما يقع تحت الحس من مرافق الحياه، على أن يتناول تناولا تصويريا يوضح معالم الشئ، و ما تثيره تلك المعالم من هواجس نفسيه، و يلفت النظر إلى ما يخفى من دقائقه و مفاتنه، و وجوه الاثاره فيه.

و كان الوصف و ما يزال من أدق أغراض الشعر، و أشدها استعصاء على التأتى و الطواعيه لقرائح الشعراء، لهذا كان المبرزون فيه ندره نادره، و أشدهم ندورا من أجاد الوصف فى أكثر ما تناول من موضوعاته، كـ "ابن الرومى" و "ابن المعتز" و "أبى نواس".

و قد امتاز العهد العباسى بكثره شعرائه الوصفيين، بما آتته حضارته و نعيم العيش فيه، و بما وقع تحت عيون شعرائه و بالقرب منهم من ألوان الترف و الحسن، و مظاهر الأبهه و الفخامه.

بقى للقرن الرابع من تلك المخلفات الحضاريه و الشعريه فى الوصف و للوصف ما كان يمد شعراءه بأسباب اجاده القول فيه، و التنوع فى متناولاته، و بحسبك أن ترجع إلى "يتيمه الثعالبى" لترى مختلف الصور للشعر الوصفى، و مختلف الموضوعات التى تناولوها، فليس من همى - و أنا فى عرض خاطف - إلا أن ألفت النظر إليها عند الحديث عن الوصف فى شعر "المرتضى".

و لقد تعجب إذ أقرر أن شعر "المرتضى" خلا من جملة تلك الموضوعات الوصفيه، التى تناولها شعراء العصر العباسى، فالخمره بأنواعها و آلاتها، و ندمانها و سقاتها لم تظفر من شعر "المرتضى"، أو لم يظفر هو منها بنصيب، و الغناء بطرائقه و آلاته لم يجد فى أذن "المرتضى" ما يحرك لسانه، أو يبعث به إلى القول فيه، و الجوارى و الغلمان و القيان لم يهجن فى "المرتضى" شجنا، و لم يسحرن لبا، و القصور و الحدائق و الرياض، و أطائب الطعوم و نوافح الطيب خلت منها "بغداد شعر المرتضى" خلوا خيل إلى أن "المرتضى" يسكن فى جذب من الأرض، و خواء من القفار. و هكذا تعبر الديوان باجزائه الستة و ليس لحضاره العباسيين عين و لا أثر.

و لا أشك فى أن باعث "المرتضى" على الزهد فى تناول هذه الموضوعات - و هى فى متناول يده و فى مدى خطوات من بيته - هو التحرج و التائم و التزمت، أو الترفع بنفسه، و بمقامه الاجتماعى عن التدنى إليها، فليس لمن يشغل مقامه الدينى و الاجتماعى أن ينحدر إلى وصف الدنيا و زخرفها، إلا بما يزهدها فيها، بله التحسين و التزيين لموبقاتها و آثامها.

و طرافه المعانى، و لا فى شعر غيره شبيها لها فى موضوعها من استيفاء المعانى، و استيعاب أطراف الموضوع.

بدأ القصيده، بالنسيب، و هو موضوع أن بعد عن وحى هذه الفريضة فإنه أقرب من الغزل و التشبيب على كل حال، بل هو أدنى إلى الوعظ و الإرشاد حين نتذكر ما يستشعر الحاج من حنين و تشوق إلى الديار المقدسه، و ما يوحيه الطريق إليها من إثارة خواطر الحب الناسك المتصوف، و كل أولئك أدنى إلى النسيب من سواه. قال:

ما ذا على الريم لو حيا فاحيانا و قد مررنا على "عسفان" ركبانا؟

وليته إذ تحامى أن ينولنا لم يسترد الذى قد كان أعطانا

بل ليت ماطلنا بخلا و مانعنا يوما تشبه بالمعطى فمنا

لا يستفيق يجازينا بلا تره بالوصل هجرا، و بالإعطاء حرمانا

و كيف يأبى مواعيدا تعلقنا من كان يوسعنا مطلا و ليانا

ثم انتقل يصف وقت السفر، و حال المسافرين و هيئاتهم، و ما تحملوا من زاد الأخطاء و الذنوب معهم، حتى إذا بلغوا الحج و أدوا الفريضة أفرغوا ما فى حقائبهم، و استحقبوا الغفران بدل الذنوب، عارضا فى أثناء ذلك ما أدوا من آداب هذه الفريضة و سننها، من الطواف و الاعتمار و استلام الركن، و السعى بين الصفا و المروه، و النحر و الاستغفار:

عجنا إليه صدور اليعملات و قد نضا الصباح ثياب الليل عريانا

و الركب بين صريع بالكرى ثمل و مائل الرأس حتى خيل نشوانا

محللين تهادوا فى رحالهم من بطن "مكه" أفرادا و أقرانا

حلوا حقائبهم فيها مفرغه و استحقبوا من عطاء الله غفرانا

من بعد ما طوفوا بالبيت و اعتمروا و استسلموا منه أحجارا و أركانا

و رد ذو السعى بين المروتين يفى بالريث حينا، و فوق الريث أحيانا

و عقرواب "منى" من بعد جلستهم كوم المطايا مسنات و ثيانا

و استمطروا بعراض الموقفين و قد غامت عليهم سماء الله رضوانا

ثم انتقل إلى وصف أرض "مكه" قبيل موسم الحج و أثناءه، و هيئه الحجاج فى بيتين بمنتهى الروعه و حسن التشبيه:

أرض تراها طوال الدهر مقفره و الحج ينبتها شيبا و شبانا

مسبلين كان البعث أعجلهم فاستصحبوا من بطون الأرض أكفانا

ثم تحدث لمن يسأل عن حال الطريق، و ما يلقاه الحاج عادة من مشاق و مكاره، يهونها كونها فى سبيل الله و من أجله، مشبها إياها بالطريق إلى بلوغ الجنة، و ما يقتضيه من إيمان و عمل روى عنه: أن أفضل الأعمال أحزمها:

و سائل عن طريق الحج قلت له: لا يقبل الله إلا الصعب قربانا

هو الطريق إلى سكنى الجنان فقل فيما يصيرنا فى الخلد سكانا

لما ركبناه أخرجنا على شغف من الصدور أهالينا و دنيانا

ثم استوى فى أمن و فى حذر عدلا من الله أدانا و أقصانا

فكم لقينا عظيما مر جانبنا و كم منينا بمكروه تخطانا

و كم رمانا الردى عن قوس معطبه و صده الله أن يصمى فاشوانا

و كم طلبنا مراما عز مطلبه لما اثنتينا بياس عنه و أتانا

ثم انتقل إلى وصف جبل من تلك الجبال التى عبروها أثناء الطريق فى الليله الظلماء، على تلك العيس الضامره المجهده، تقذف بهم من بلد إلى آخر، و من حى إلى حى:

و مشمخر الذرى تهفو الوعول له تخاله من تمام الخلق بنيانا

يستحسر الطرف عن إدراك ذروته حتى يكر إلى راميه حيرانا

جنبناه لا نهتدى إلا بساريه من أنجم الليل مسراها كمسرانا

إذا دنا الفجر منا قال قائلنا يا بعد مصبحنا من حيث ممسانا

و العيس ضامره الأحشاء طاويه لو لا الرحال لخلناهن أشطانا

إذا أتت بلدا عن غب متلفه رمى بها البلد المأتى بلدانا

ثم ختم ذلك بتحيه "نجد" و أهلها، فى نسيب عاطر يشبه ما بدأ به القصيده:

يا أرض "نجد" سقاك الله ملتعا من الغمام غزير الماء ملانا

إذا تضاحك منه البرق ملتعاً في حافتيه أرن الرعد إرانا

أرض ترى وحشها الآرام مطفله و في منابتها القيصوم و البانا

و إن تجل في ثراها طرف مختبر لم تلق إلا حديقات و غدرانا

و هكذا نراه يصف الحج في عرض شعري رائع، يمكنك مستطيعاً أو غير مستطيع من تمثل هذه الفريضة و أدائها و أنت على فراشك و في منزلك.

و وصف "طاق كسرى" بقصيدته رائعه أعدها توأمه قصيده "البحترى" في وصف الإيوان، إذ اشتملت على الأغراض التي اشتملت عليها قصيده "البحترى". فقد كانت بدايه القصيدتين شكوى من الدهر، و نعيها على صروفه، و على ما تأتيه أحداثه، و تتقلب به أيامه، ثم التأسى بالملوك من "آل ساسان"، بانيه هذا الأثر الخالد، و مقيمه ذلك الصرح المشيد، ثم المدخول في وصف هذا الصرح القائم في تجد على رغم الدهر و أحداثه.

و إذا كان هناك من فرق بين القصيدتين، من حيث أن "البحترى" استعرض وصف التماثيل و الصور الممثله فيه، و استطرد إلى القيان الغانيات في تحرر و انطلاق، في حين لم يتعرض "المرتضى" لذلك، و اقتصر على وصف الأثر نفسه، و وصف بناته و مشيديه، فإنه يعود إلى تورع "المرتضى" من أن يشيد بالتماثيل و الصور و القيان، على عاده رجال الدين الذين لا يستيحيون لأنفسهم وصفها و التغنى بها.

و تحسن الإشاره إلى أن بحر القصيدتين واحد، و كليهما على قافيه يصعب امتداد النفس معها، و لكنهما معا ثبتا للقافيتين في مقدره بالغه.

قال يصف إيوان كسرى:

هل مجير من غصه ما تقضى أو شفيع في حاجه ليس تقضى

يا زميلي انخ بشرقى "ساباط" مناخا على الركائب دحضا

و تلفت فيما بنى "آل ساسان" عفاه الزمان ثلما و نقضا

عرصات أصبحن و هى سماء ثم أمسين بالحوادث أرضا

و ترى ينبت النعيم إذا أنبت ترب البلاد عشبا و حمضا(١) ٩.

ص: ٣٠٨

قد رأينا الأيوان إيوان كسرى فرأينا كالطود طولاً و عرضاً
أو جلال جلنفع (١) صحب الأيام حتى أعدته اليوم نقضا
أثر الرحل فى ثراه ندوبا نلن بعضا منه و أعفين بعضا
فهو يلقاك بادنا بعد ما أبلى كرور الزمان منه و أنضى
عرق الدهر حسنه و هو باق كالمدى تعرق الرميہ نحضا (٢)
فترى العين فيه أبهه الملك و عيشا لأهله كان خفضا
فهى تغشاه بالتنكر و حشا خلقا ثم بالتذكر غضا
و مشينا بعرضه لم تزل فيها أمور الملوک تمضى و تقضى
كل قرم كالليث هججهوه عن صريع له أرم و أغضى
لبس الملك يافعا و وليدا و ارتقاه شدا إليه و ركضا
و جثا ناشئا على خشب الملك فارجى فى العالمين و أمضى
و عرانين لا يطور بها الرغم و أيد يطلن بسطا و قبضا
و رؤوس بين الأنام رؤوس و جسوم غذين بالعز محضا
و لقد مضى هجومي على الدار بلا آذن على الدار مضى
مرحا أسحب الرداء على أجرد ينزو طورا و طورا بضا
حيث كانت ضلوع من ولج الباب ينفضن بالمخافه نقضا
و رباع كانت غياض أسود أصبحت للضباع مأوى و مفضى
و مناخ للجدود يحظى و يرضى فيه من لم يكن عن الدهر يرضى
عقروا عنده المطى و ألفوا و قد استوطنوا سمارا (٣) و عرضا
بين قوم يزيدهم عدل اللوم فى المكرمات حثا و حرضا

سكنوا جانب المدائن فى ابيض كالشمس يوسع العين و مضى

يأخذون الأموال بالسيف حتى ينهبوها الرجال نفلا و فرضا

كلما أتلفوا أخلفوا كوفى القوم أم الغنى ليقضى قرضا

و مهيون يحسب الأمن من مولا هم الخوف و المحبه بغضا

و جليد الرجال إن واجهوه غبن اللحظ من حذار و أغضى

كيف أرضى عن الزمان و ما أرضى كريما قبلى الزمان فارضى

نقترية جدبا و بيا و نمريه ضنينا و نرتعى منه برضا

ليس يبقى إلا و يفنى، و لا يعلى قليلا حتى يطأطى خفضا

سنه الليث كلما هم أن يبعد وثبا زاد انحطاطا و ربضا

و أولع الشريف بوصف الطيف ولعا بالغما حتى بلغ ما نظمه فيه ٣٢٥ بيتا(٤) و هو عدد لم يبلغه أحد من الشعراء فيما أحصاه "المرتضى" نفسه، و كان فى وصفه للطيف متحررا على خلاف عادته فى موضوع الغزل، و قد كفانا مثونه تعليل ذلك بما علله نفسه إذ قال:

"إنه لقاء و اجتماع لا يشعر الرقباء بهما، و لا يخشى منع منهما، و لا اطلاع عليهما، و التهمه بهما زائله، و الربيه عنهما عادله، و إنه تمتع و تلذذ لا يتعلق بهما تحريم، و لا يدنو إليهما تأثيم، و لا عيب فيهما و لا عار"(٥).

و من مظاهر تحرره و انطلاقه قوله:

أ منك سرى طيف و قد كاد لا يسرى و نحن جميعا هاجعون على غمر

تعجبت منه كيف أم ركابنا و أرحلنا بين الرحال و ما يدرى

و كيف أهتدى و القاع بينى و بينه و لماعه القطرين مناعه القطر

و بات ضجيعا لى و نحن من الكرى كانا تروينا العتيق من الخمر

أضم عليه ساعدى إلى الحشا و أفرشه ما بين سحرى إلى نحرى

تمنيته و الليل سار بشخصه إلى مضجعى حتى التقينا على قدر

(٤) و مما استحسنوا له:

و زور تخطى جنوب الملا فناديت أهلا بذا الزائر

أتانى هدوا و عين الرقيب مطروفه بالكرى الغامر

فأعجب به يسعف الهاجعين و تحرمه مقله الساهر

و عهدى بتمويه عين المحجب تتم على قلبه الطائر

فلما التقينا برغم الرقاد موه قلبى على ناظرى (٧)

و يحسن بى أن أشير إلى أن الموضوع "الطيب" موضوع نظم فيه الشعراء ممن سبقوا الشريف، و أنه وقف على أغلب ما نظم فيه، فاقتبس جل ما نظم - إن لم يكن كله - و زاد عليه.

و كذلك حاله فى وصف الشيب و الشباب، فقد أكثر فيه و تجاوز كل ما نظم من قبله فى هذا الموضوع، و له فيه ما يزيد على ٣٠٠ بيت. (٨)

و الملاحظ فى وصف الشيب عند الشعراء أنه يورد فيه المعنى و الآخر فى المناسبات العابره، لم يقصد لذاته فى وصف، و لم يعن به موضوعا أساسا فى القصيد. و لكن "المرتضى" اتخذ منه موضوعا مستقلا للقول، يحرص على استيفاء القول فيه، و نظم كل معنى يمكن أن يخطر عند خطوره، و ربما حاول أن يجمع كل ما قيل فيه فى قصيده، حتى لكأنه يؤلف كتابا فيه، أو أرجوزه تحتوى جملة معانيه.

و يخيل إلى أن الباعث على الاستزاده فى هذا الموضوع ملاءمته لمقام الشريف فليس فى معانيه ما يخرج به عن وقاره، أو يسوقه على تجاوز طوره، و الشريف نفسه أشار إلى هذا عند مدحه للشيب و ذمه، فقد قال فى مدحه:

"إنه يمدح فيه الجلاله و الوقار، و التجارب و الحنكه، و أنه يصرف عنب.

ص: ٣٠٩

١- الحل [الجل] بكسر أوله و فتحه: ما تلبسه الدابه لتصان. جمعه جلال، و الجلنفع: الجمل الذى أسن و فيه بقيه، أو الذى خرمته الخوارم.

٢- نحض العظم: أخذ ما عليه من اللحم.

٣- السمار كسحاب اللبن كثير الماء، و العرض: ما كان من مال قل أو كثر، و الغنيمه و الطمع.

٤- طيف الخيال ص ١١٥ ط مصر.

٥- المصدر السابق.

٦- طيف الخيال ص ٧٧ ط مصر.

٧- نفس المصدر ص ٦٦.

٨- الشهاب ص ٣ ط الجوائب.

الفواحش، و يصد عن القبائح، و يعظ من نزل به، فيقلل إلى الهوى طماحه، و فى الغى جماحه، و أن العمر فيه أطول، و المحصل معه أفسح.

و أن لونه أنصح الألوان و أشرفها".

و قال فى ذمه: "إنه رائد الموت و نذيره، و أنه يوهن القوى، و يضعف المنه، و يطمع فى صاحبه، و أن النساء يصددن عنه، و يعبن به، و ينفرن عن جهته". (١)

و أنت ترى أن ما صوره من مدح الشيب و ذمه لا يخرج عن مقام رجل الدين، بل هو من معانى الوعظ و الإرشاد الدينى، الذى يحسن بمثله أن يوليها العناية و الترديد بين الناس.

لهذا نحسب أن إكثاره فى وصف الشيب كان بهذا الباعث المشبع لميوله و نزعته الدينيه.

و ستجد فى القصيده التى نعرضها عليك كل ما قدرناه من طرقه للموضوع غاية فى نفسه، و من استيفائه لجمله معانيه، و من تناوله تناولا لا يبعد به عن مقام رجل الدين.

هل الشيب إلا غصه فى الحيازم و داء لربات الخدور النواعم

يحدن إذا أبصرنه عن سبيله صدود النشاوى عن خبيث المطاعم

تعمته بعد الشيبه ساخطا فكان بياض الشيب شر عمائمى

و قنعت منه بالمخوف كأنتى تقنعت من طاقاته بالأراقم

و هددنى فى كل يوم و ليله سنا ومضه بالقارعات الحواطم

فو الله ما أدرى أ صكت مفارقى بفهر مشيب أم بفهر مراجم

حتنتى منه الحانيات كأنتى إذا ظلت يوما قائما غير قائم

و أصبحت تستبطا منونى و يدعى - و ما صدقوها - فى اختلال العزائم

فلا أنا مدعو ليوم تفاكه و لا أنا مرجو ليوم تخاصم

فلا تطلبا منى لقاء محارب فما أنا إلا فى ثياب مسالم

مشيب كخرق الصبح غال بياضه برود الليالى الحالكات العواتم

و تطلع فى ليل الشباب نجومه طلوع الدرارى من خلال الغمام
كانى منه كلما رمت نهضه إلى اللهو مقبوض الخطى بالأداهم
و قد كنت أباء على كل جاذب فلما علانى الشيب لانت شكائى
فلا ينغضن رأس إلى العز بعد ما تجلله منى مذل الجماجم
فيا صبغه حملتها غير راغب و يا صبغه بدلتها غير سائم
و يا زائرى من غير أن استريره كما زير حيزوم الفتى باللهاذم
أقم لا ترم عنى و إن لم تكن هوى فكم ذا سخطنا فقد غير ملائم
فمن مبدلى من صبحه بظلامه و من عانضى من بيضه بالسواهم

(٢) و خلاصته ما اسم به شعره الوصفى أن فيه استقاء لمعانى الموضوع الذى يطرقه، بسبب وقوفه على ما أثر من معانيه عن الأقدمين، و بطبيعته مزاجه العلمى الباعث على الاستقصاء و الاستيفاء، و أنه تعوزه طبيعه التحرر و التحضر الذى ألفناه فى شعراء عصره، مما قصر وصفه على مواضع معينه، ربما لا- تكون من روح العصر العباسى، أمثال وصفه الحيه و الذئب و القدور الراسيات.

ج - شعره السياسى

كان آل "أبى أحمد النقيب" ساسه محترفين، بكل ما فى الكلمه من معنى، يكيدون و يكادون، و ينفعون و يضارون، و يمشون إلى ماربهم السياسيه فى سر و فى علن، بحسب ما تقتضيه الظروف و الحالات.

و لم يكونوا مجرد ساسه قول، كأكثر من عرفنا من شعراء العربيه، الدين يقفون من الأحداث السياسيه موقف المتفرج، حتى إذا عن نصر ملك، أو فتح لقائد، طاروا إليه مع البغاه الطامعه بالأشلاء نهشا و تمزيقا، وسعوا إلى الفاتح المنتصر مهنيين مباركين، ليخلع عليهم من الغنائم و الأسلاب.

لم تكن أسره "أبى أحمد النقيب" من أولئك، بل كان الأب يعمل فى دعم "آل بويه" بوفاداته و سفاراته و بخطبه فى المواسم، فيتقل من العراق إلى الشام، (٣) و من العراق إلى فارس أو إلى الحجاز، يكره هذا على الطاعه، و يستدرج ذاك إلى الولاء، و يلقى فى سبيل ذلك ما يلقى الساسه المحترفون، من إخفاق مره، و نجاح أخرى.

و كان ابناه "المرتضى" و "الرضى" يتبعان حركات أبيهما فيسندانها من "بغداد"، بالعمل فى الخطوط الخلفيه، ينظمان القصائد فى مآثره، و يحمدان له جميل السعى، و ينوهان بما له من أياذ بيضاء على الدوله الحاكمه، و الخلافه القائمه.

ألمع إلى هذا بايجاز لأشير إلى أن شعر "المرتضى" السياسي لم يكن من طراز شعر "المتنبى"، أو "البحتري"، أو "أبي تمام"، أو غيرهم من شعراء "اليتيمية"، أولئك الذين يأتون الأحداث من أديبارها، لم يسبقوها برأى ولا عمل، ولم يشركوا فيها بنصيب، فشعرهم السياسي - فيما يبدو لي - أدخل في باب وصف الحوادث، و تسجيل وقائعها منه إلى الشعر السياسي بمعناه الدقيق المحدود.

لقد شهدت "الرضى" و "المرتضى" يقاطعان "عضد الدولة" - وهو سيد ملوك آل بويه - جرأه و انتقاما، لأن "عضد الدولة" اختلف مع أبيهما و نفاه و سجنه، فكانا هما من بغداد يبعثان إلى أبيهما في سجنه بقصائد نارية متحمسه، و ما كان يمنعهما الخوف منه في أن يصطحبا، أو يتصلا بمن ينقم منه أمثال "أبي إسحاق الصابى" (٤).

و رأيت "المرتضى" يناصر الملك "بهاء الدولة" و يشيد بمواقفه، لأن أباه (أبا المرتضى) كان في طلائع من مهد ل "بهاء الدولة" بالسلطان، .

ص: ٣١٠

١- الشهاب ص ٣-٤ ط الجوائب.

٢- انظر ابن الأثير حوادث ٣٦٨.

٣- انظر ابن الأثير حوادث ٣٩٠.

٤- منهم القواد: أبو الغنائم، و الأثير العنبرى المكى، و غريب بن محمد بن مقن، و الوزير أبو سعد بن عبد الرحيم، و الوزير فخر الملك، و الوزير الرخجى، و الوزير أبو القاسم المغربى، و من الكتاب: أبو إسحاق الصابى، و الكاتب البيهقى. انظر ابن خلكان، الحوادث من عام ٣٨٠ - .

و ببلوغ بغداد، و فى سبيل ذلك كاد يلقى حتفه الأكيد. (١)

و بعملهم السياسى أعيد " أبو أحمد " إلى النقابه، و خلع على " المرتضى " يلقب - ذى المجدين - و ظل " المرتضى " يناصر " بهاء الدوله " و يعادى من عاداه، و يسند من سانده من الوزراء و القاده، حتى بلغ أخوه " الرضى " منه ما بلغا من مجد و مناصب حكوميه.

و الذى بدا لى من تتبع جملة شعره و مؤلفاته، أن الوزراء و القاده الذين ألف لهم، أو مدحهم، أو رثاهم كانوا يشكلون و إياه كتله سياسيه (٢) تعمل فى حقل سياسى واحد، و ليس بين ممدوحيه و مرثيه - استثنى العلماء من خلصائه - من لم يكن من هذه المجموعه العامله على دعم كيان " آل بويه " ممثلا بالتعاقب فى الملك " بهاء الدوله " أو الملك " سلطان الدوله " أو الملك " جلال الدوله " .

و حين تختلف الأسره البويهيه و تحترب فيما بينها على السلطان - و طالما احتربت - يقف هذا النفر من كتله فى صف واحد، يواجهون الأحداث السياسيه مجتمعين متعاونين، يعمل هذا سيفه، و ذاك قلمه، و ذاك رأيه، فى سبيل العمل السياسى المشترك.

و أكثر ما يعجبني منه سياسيا - حال من المرتضى - أنه ما كان يكل أو يمل عن العمل فى أسوأ الظروف دقه و حراجه، فقد مرت بالملك " جلال الدوله " ظروف عسيره، أخرج فيها من " بغداد "، و ظل المرتضى يسنده و يحمى ظهره حتى عاد إليها.

و فتك " سلطان الدوله " بوزيره " فخر الملك " - و كان من كتله " المرتضى " فى العمل السياسى - فتارت ثأره " المرتضى " على السلطان، و انقطع عنه، و رثى صديقه الوزير المقتول بقصائد من شعره، متوعدا " آل بويه " بما سيلقون من اضطراب الأمور، و سوء المصير. و لم يعد للتعاون مع " سلطان الدوله " (٣) إلا بعد أن وصل إلى " بغداد " و ألح على " المرتضى " بالعدول عن موقفه، و لم يعدل " المرتضى " عن موقفه إلا - بعد أن انكشف له أن قتل " فخر الملك " كان اجتهادا مخطئا، أدى إليه وشايه بعض الناس.

كان حظ " المرتضى " من عمله السياسى موفورا، بما أصاب من منزله فى الدوله، و بما اجتمع لديه من ثراء كان مضرب الأمثال، و كان يستأنس برأيه، و يصغى إلى كلمته، و يلجا إليه فى جليل الأمور و دقيقها، كلما ثارت ثأره، أو قامت نأثره.

و ليس الذى نذهب إليه من مقامه السياسى، و منزلته فى إداره دفتها بالذى استقيناه من سيرته وحدها، أو من تاريخ العصر الذى عاش فيه، و إنما له شاهد من شعره، و مصدر من نصوص أدبه، فقد تحدث عن عمله السياسى حديثا مطنبا، أتى على جملة ماله من أثر فيها:

و مقامى من الخلائف فى يوم اجتماع الوفود خير مقام

ما لغيرى مثل الذى لى منهم من صنوف الإعظام و الإكرام

لم يزالوا و لن يزالوا مشيدين محلى مجز لى أقسامى

و مهيين بي و قد عنت الشورى إلى الرأى فى الأمور الجسام
و يعافون كل ورد به الرى إذا كان لا يبل أوامى
و يردون سرحهم عن جميم القاع ما لم تكن به أنعامى
و تخلى أكفهم محصدات الشر ما لم يكن بهن اعتصامى
ملكوا ربقتى لما سيروه من لصوقى بودهم و التزامى
فلهم أن عفوت يوما عن الذنب و من أجلهم يكون انتقامى
و إليهم إذا تحيز أقوام لقوم تحيزى و انضمامى
و تخصصت بالملوك يلبون ندائى، و يسمعون كلامى
و إذا ما أذمت يوما عليهم فى عظيم أمضوا هناك ذمامى
و متى أعضلت خطوط صعاب أو وهى للملوك سلك نظام
جعلونى دليلهم فى ضلال موبد أو صباحهم فى ظلام
كم كفيت الكلوم بالكلم الغر و حد السيوف بالأقلام
قد رأوا يوم هيجوا ملك "البصره" كفى له عن الأقدام
بعد أن أزمع اللقاء و أهوى لاقتناص الكلى هوى القطام
و تراءت للناس شنعاء صماء تجوب الدجى بغير خطام
قلدونى إصلاحها و رموا بى طلب السلم فى صعاب المرامى
فتلاقت درءها باعتدالى و دعمت اعوجاجها بدعامى (٤)

و هكذا نراه يستعرض فى قصيدته هذه جملة ما له من مزايا سياسيه، و ينوه بمواقف لها شاهد معلوم من التاريخ، كثورته "البصره"
و أصلا ذلك بما أتاه عمله السياسى من مقام فى الدوله، و فى نفوس الخلفاء و الملوك. و ليست هذه القصيده بالمتفرده فى
ديوانه، بل له فى وصف عمله السياسى شعر كثير منها الأبيات الآتية المقتبسه من قصيده مطوله:

و حللت أنديه الملوك مجيبه صوتى و مصغيه إلى توقيفى

و حميتهم بالحزم كل عضيته و كفيتهم بالعزم كل مخوف

و إذا هم نكروا غريبا فاجئا فزعوا بنكرهم إلى تعريفى

دفعوا بى الخطب العظيم عليهم و استعصموا حذر العدى بكنوفى

و لقد حفل ديوانه بشعر سياسى كثير، و أشده ظهورا فى العمل السياسى ما عنونه بكلمه " و قال فى غرض " مخفيا غاياته تحت هذه الكلمه المبهمه، و لكن الغرض منها يبدو سياسيا صريحا، حين يستطرد القارئ إلى ما تحت العنوان. فمما عنونه بهذا العنوان قصيدته الآتية:

ألا قل للجادل من " بويه " أرى أودا شديدا و اعوجاجا

و مثقله كئودا لا تداوى و داهيه صموتا لا تناجى

دياركم لكم قولا و يجبى سواكم من جوانبها الخراجا

و فى أرجاء " دجله " مؤبدات و أدواء نريد لها علاجا

رعانا بعدكم من كان يرعى على الغيطان أبلا أو نعاجا

فمن عنا يبلغكم خطوبا إذا ذكرت يصم لها المناجى

تملكنا بعدكم الأعداى و عاد نميرنا ملحا أجاجا

فما نرجو لتيهتنا رشادا و لا نرجو لضيقتنا انفراجا

و إن بنا و ما يدرى المعافى شجى بالصدر يعتلج اعتلاجا

و إن السرح تحميه أسود فلا درا نصيب و لا نتاجاه.

ص: ٣١١

١- الديوان ج ١ ص ١١٣.

٢- يشير إلى القلعه التى كانت لهلال فاستولى عليها فخر الملك.

٣- يريد بهاء الدوله.

٤- انظر ابن الأثير حوادث ٤٠٧ ففها وصف لكيفيه قتله.

و نحن - و غيركم وال علينا - كظالعه تطالبها الرواجا

و من ضرب القلب ببطن سجل و لم يشدد إلى و ذم عناجا

أرونا النصف فيمن جاء دهرا فان بنا إلى الإنصاف حاجا

فإنكم الشفاء لكل داء و يأبى كيسكم إلا نضاجا

و صونوا الدوله الغراء ممن يداجى بالعداوه أو يداجى

يرم كصل رمله بطن واد فاما فرصه حاجته هاجا

و لا تنتظروا بالحرب منهم تماما طالما نتجت خداجا

فما زالوا متى فرعوا صخورا ململمه، و إن صدعوا زجاجا

لعلى أن أراها عن قريب على "الزوراء" تخترق العجاجا

عليها كل أروع من رجال كرام طالما شهدوا الهياجا

تراهم يولغون ظبا المواضى و يروون الأسنه و الزجاجا

فالقصيده استنفار لعزائم "آل بويهه"، و دعوه لهم إلى العوده إلى دار ملكهم فى "بغداد"، و عرض لما آلت إليه الحاله فيها، و ما أصاب أنصارهم و أعوانهم من حيف على يد خصومهم، و مطالبه لهم بمنازله خصومهم الحرب، إلى ما أشبه ذلك من تنبيههم إلى ما يعمله خصومهم تحت الستار من كيد.

و كذلك كان وصفه للأحداث و المعارك القائمه بينهم و بين الخارجين عليهم، فهو يصف تلك المعارك دقيقا، و ينوه بانتصار جيشهم و قوادهم بما يزيدهم حماسه و إقداما. يصنع هذا لخدمه غرض سياسى.

قال يصف المعركه التى قامت بين صديقه الوزير "فخر الملك"، و الثائر "هلال بن بدر بن حسنويه الكردى" و كان فى عهد الملك "بهاء الديوله":

و لما أن دعاك إليه "بدر" سبقت له لتدركه عجالا

فاحزنت السهول حمى و جردا محصنه و اسلعت الجبالا

و أبصرها "هلال" خارقا ذبول النقع يحملن الهلالا

عوانس كلما طرحت قتيلا جعلن ضفير لمته قبالا
عليهن الألى جعلوا العوالى - و ما طالت - بأيديهم طوالا
كان على قنيهم نجوما حزن على القوانس أو ذبالا
و مذ صقلت سيوفهم المواضى باعناق العدى هجروا الصقالا
تمد الحرب منك بلوذعى يسعرها إذا خبت اشتعالا
و قلبك يا جرىء الناس قلب كأنك ما شهدت به القتالا
و ذى لجب تالق جانباه كان به على الآفاق آلا
و فيه كل سلهبه جموح يعاسلن المثقفه الطوالا
و من لولاك زوار الأعادى إذا ملوك زدتهم ملالا
و شاهقه حماها مبتنيها و طولها حذارا أن تنالا(1)
تراها تستدق لمن علاها كان بها و ما هزلت هزالا
و قلتها تمس الأفق حتى تقدرها بخد الشمس خالا
ظفرت بها و ضيفك من بعيد يرى ما كان فيه إليه آلا
و ما كان الزمان يرى عليها لغير الطير طالبه مجالا
نقلت بما نقلت قلوب قوم و يحسبك الغبى نقلت مالا
و سقت إلى "قوام الدين" (2) فخرا برى كل الفتوح له عيالا
و كم لك قبلها من قاطعات مدى الأيام لم تخف الكلالا
إذا ما بات يقلب جانبيها "قوام الدين" تاه بها وصالا
و نوه بموقف هذا الوزير فى قصيده أخرى جاء بها على أحداث و معارك طاحنه:
سل به إن جهلت أيامه الغر اللواتى علمن فيه الجهولا

من سطاب "ابن واصل" بعد أن كان لملك الملوك خطبا جليلا

لزه فى قراره تخذ اللجه منها كهفا له و مقيلا

فى سفين ما كن بالأمس فى "أربل" إلا نجائبا و خيولا

و ألالا مذروبه و دروعا و رماحا خطاره و نصولا

مستجيرا بغمره الماء لا ينوى مقاما و لا يريد رحيلا

كره الموت فى النزال عزيزا فانشى هاربا فمات ذليلا

و الجبال اللاتى اعتصمن على كل قريع جعلتهن سهولا

لم تنلها ختلا و شر من الخيبه فى الأمر أن تكون ختولا

و أبيها ملك القلال لقداما طلن من بأسك الشديد مطولا

لم يواتين طبيعات و لكن زلن لما أعيبتها أن تزولا

و "هلال" أرادها غره منك فولى و ما أصاب فتيلا

زار وهنا كما تزور ذئاب القاع ليلا خساره و نكولا

رأى نفسه تهاب من الحرب جهارا فاختر حربا غلولا

فتلقيته كمنتظر منه طلوعا و كان يرجو القفولا

فى رجال شم إذا ارتتموا الضيم أسالوا من الدماء سيولا

ألفوا الطعن فى الترائب و اللبات شيبا و صبيه و كهولا

فتوى بعد أن مننت عليه فى أسار لولاه كان قتيلا

لابسا ربقه الحياه و قد كان قطوعا جبل الحياه حلولا

و حين قتل "سلطان الدوله بن بهاء الدوله" وزيره "فخر الملك" رثاه "المرتضى" بعده قصائد، أعلن فيها نغمته على تصرف الملك، و توقعه أن يصاب سلطان "بنى بويه" بالتفكك و الاضطراب، بقتل الوزير الذى و طد لبنى بويه سلطانهم، و هزم أعداءهم، و فى هذه القصيده يبدو التعاون السياسى بأوضح صورته:

أتانى على عدواء الديار

و أن أسامه ذا اللبتين صرع من خدع الأذؤب غلبتم بنقضكم عهدهو من غلب العدر لم يغلب

باى يد قدتم عزه خزامه ذا المقرم المصعب

و كيف ظفرتم - و بعد المنال بينكم - بسنا الكوكبن.

ص: ٣١٢

١- انظر قصيدته فى تهنته جلال الدوله فى ظفره بالبصره سنه ٤٢١.

٢- انظر قصائده السياسيه فى الديوان.

و كيف علقتم على ما بكم من العجز بالحول القلب

و أى يمينكم و العهود تطايحن فى نفف سبب

و أصبح ملككم بعده بغير ذراع و لا منكب

و ما كنت أخشى على الأفعوان مدى الدهر من حمه العقرب

أ من بعد أن قادها نحوكم نفورا محرمة المركب

و أولجها بين أبياتكم و ليس لها ثم من مرغب

و دافع عنها لغير القوى كل شديد القوى محرب

تجازونه بجزاء العدو و تجزونه أسوه المذنب

فخر الدين على بن الحسن الزوارى

إشاره

يعتبر على بن الحسن الزوارى أحد النجوم الساطعه فى عالم التشيع فى القرن العاشر الهجرى. و قد بذل كل ما بوسعه لنشر أحاديث و أخبار أهل البيت فى عصر لم يكن الناس قد أطلعوا بعد على هذه الأحاديث و الأخبار و لم تكن لهم إحاطه بالثقافه الشيعيه، و قد ترك العديد من المؤلفات القيمه النفيسه.

إن وجود مثل هذا المفسر الشهير، مع تفسيره المعروف و كلك [كذلك] التراجم المتنوعه لمصادر الحديث و الروايات، و تصنيف الكتب الشيعيه باللغه الفارسيه، أقول إن مثل هذا الأمر دليل على نهوض مدينه زواره بقسط وافر من نشر المعارف و العلوم الشيعيه فى عهد الملك إسماعيل الصفوى (المتوفى عام ٩٣٠ هـ) و ابنه الملك طهماسب (٩٣٠ - ٩٨٤ هـ)، حيث سعى أمثال الزوارى ليقاف الناس فى هذا العصر على علوم و آراء الأئمه، و لتمكين جميع المشتاقين لهذه العلوم، من الناطقين باللغه الفارسيه، من الحصول على هذه الجواهر الثمينه و الخزائن النفيسه.

و تجدر الإشاره هنا، إلى أن الملك طهماسب الصفوى استغل وجود الزوارى و فضله و أدبه فى دعم المذهب الشيعى و نشره، و من ثم دعاه لتصنيف العديد من الآثار المهمه للوقوف بوجه المؤلفين المناهضين للتشيع، فاعتنم على بن الحسن الزوارى هذه الفرصه، و وقف عمره على نشر علوم أهل البيت.

و على الرغم من عدم وجود معلومات دقيقه حول تاريخ ولادته و تاريخ وفاته، إلا أن ثمة قرائن تشير إلى ولادته فى بدايه القرن العاشر الهجرى و وفاته فى نهايه هذا القرن.

رأى المؤلفين و المحققين به

وصفه مترجمو حياته بالثقه فى الروايه و سعه العلم، و ثراء المعلومات و كثره المصنفات، و وصفوه أيضا بالفاضل الزاهد و العارف المتقى و الفقيه المفسر و المحدث الأديب و قد ورد فى روضات الجنات، نقلا عن رياض العلماء:

"...و هو (على بن الحسن الزوارى) فاضل عالم، و مفسر فقيه و محدث معروف و من كبار تلامذه المفسر السيد غياث الدين جمشيد الزوارى و الشيخ على بن عبد العالى..."

و يكتب ملك الشعراء (بهار) فى كتابه "سبك شناسى" ما نصه: "... و هذا الرجل من كبار المؤلفين و مشاهيرهم فى العهد الصفوى. و على الرغم من بساطه أسلوبه فى النثر إلا أن هذا النثر لا يخلو من الممتانه..."

و فى كتاب "تاريخ نظم و نثر فارسى"، المجلد الأول، يذكر سعيد نفسى هذا المفسر بقوله:

"يعتبر فخر الدين على بن الحسن الزوارى أحد العلماء المشهورين فى عهد الملك طهماسب الأول، و هو من أوائل الذين ألفوا المصنفات باللغه الفارسيه على الطريقه الشيعيه. و كان من أكثر علماء عصره جدا و اجتهادا".

و فى كتاب "هزار سال تفسير فارسى"، يتحدث الدكتور السيد حسن سادات الناصرى عن الزوارى فيصفه:

"...يعد على بن الحسن الزوارى، أستاذ المولى فتح الله (الكاشانى) أحد مشاهير المفسرين و المصنفين فى العصر الصفوى. و يعتبر تفسير الزوارى أو ترجمه الخواص من التفاسير المهمه التى تأتى بعد تفسير الطبرى و تفسير أبو الفتوح الرازى و المواهب العليه..."

و يكتب الدكتور محمد شفيعى، أستاذ جامعه شيراز فى كتاب (مفسرو الشيعه):

"على بن الحسن الزوارى من أهالى زواره و من العلماء المعروفين فى القرن العاشر الهجرى..."

و فى مقدمه تفسير المواهب العليه، يثنى الدكتور السيد محمد رضا الجلالى النائنى عليه بقوله:

"يعتبر الزوارى أحد كبار العلماء فى العصر الصفوى، و من الفقهاء و المفسرين المعروفين فى زمن الملك طهماسب الصفوى".

و فى كتاب (تطور الحكومه فى إيران بعد الإسلام)، يتحدث الأستاذ السيد محمد محيط الطباطبائى عن الزوارى بوصفه صاحب تفسير و تراجم عديده للقرآن و الأخبار و كتب الشيعه إلى اللغه الفارسيه الدريره، و عن خدمات على بن الحسن الزوارى التى أسداها إلى الشيعه، يقول:

"عند ما انتقل الكركى من لبنان إلى إيران، و باشر بالترويج للمذهب الشيعى، سعى على بن الحسن الزوارى لنقل أقواله و مصنفاته - فى نفس ذلك الوقت من اللغه العربيه إلى اللغه الفارسيه ".

دراسته و مراتبه العلميه

كان الزوارى مقيما فى محله بنجيره من مدينه زواره و هى إحدى المحلات القديمه فى هذه المدينه، و أنهى فى مسقط رأسه دراسه المقدمات، ثم رحل إلى أصفهان و كاشان و درس فى حوزاتها العلميه على أيدي أساتذه عصره و سافر لبضع سنين إلى هرات و أقام فىها [فيها] حتى قبيل سفر الملك إسماعيل الصفوى إلى هذه المدينه.

و فى عصر الملك طهماسب الأول، عاد إلى إيران و باشر بالكتابه.

و تجدر الإشاره إلى أن هذا المحدث الشهير كان يشتغل فى محل إقامته، و يبدو أنه كاشان، بالوعظ و الإرشاد. و أصبح عرضه للمغرضين، و اتهامهم له بالتصوف بسبب قدرته و استعداده، و تقدمه فى العلوم الإسلاميه و كسب المدارج العرفانيه.

ص: ٣١٣

من الطبيعي أنه كان عارفاً و من أهل العرفان، و لكن العرفان الذي يقصد به التوجه إلى الله و الانقطاع عن سواه و الزهد [الزهد] و الصلاح، و ليس التصوف و جمع المريدين و ما شابه ذلك. و بديهى أن من كان مرجعاً في الفقه و الحديث و المسائل الشرعيه للعام و الخاص لا يميل إلى التصوف الشاذ.

أساتذته و تلامذته

يتضح من كتاب (لوامع الأنوار) للزوارى، أنه كان يروى عن السيد عبد الوهاب بن على الحسنى الأسترآبادى.

و الأسترآبادى هذا من مشاهير علماء الشيعة، ممن كان يمتاز بالمهاره التامه فى العلوم المعقوله و المنقوله و يهتم كثيراً بترويج الشريعه الإسلاميه.

اشتغل لفته من الزمن بالقضاء بين الناس، و صنف خلال حياته العديد من المصنفات و فيما يلى نعرض لبعضها: - شرح فصول الخواجه نصير الطوسى، تنزيه الأنبياء، حاشيه على شرح للهدايه الأثيريه و شرح قصيده البرده باللغه الفارسيه. و كان هذا العالم الشيعى يعيش فى القرن التاسع الهجرى.

و من أساتذته الآخرين: على بن عبد العالى، المعروف بالمحقق الكركى أو المحقق الثانى، و نذكر قول المحدث القمى بشأنه: " إن قدر هذا الشيخ العظيم و مقامه فى العلم و الفضل و كثره التحقيق و التدقيق و وجود المتانه و الإتيان فى تأليفاته لما يضيق هذا المختصر بذكره ".

كان للمحقق الكركى العديد من الأسفار إلى الشام و مصر و العراق، و قد درس فى هذه النواحي العلوم الإسلاميه على أيدي مشاهير أساتذته عصره. و بعد كسبه لأنواع العلوم و بلوغه قمه الكمال، عاد إلى إيران و باشر فى مدن أصفهان و قزوین بترويج المذهب الشيعى و بتريه علماء مثل على بن الحسن الزوارى.

و المحقق الكركى هو أحد العلماء المعاصرين للملك طهماسب الصفوى، و قد شغل فى إيران منصب شيخ الإسلام و قاضى القضاء، و من جمله آثاره " جامع المقاصد فى شرح القواعد " و ينقل عن صاحب جواهر الكلام قوله بان من ملك جامع المقاصد و الوسائل و الجواهر، استغنى عن غيرها من الكتب، و حاشيه شرائع الإسلام و شرح الفقيه الشهيد الأول و حاشيه تحرير العلامه. و قد مات فى النجف الأشرف عام ٩٤٠هـ.

و من أساتذته على بن الحسن الزوارى الآخرين السيد غياث الدين جمشيد كازر زواره ئى صاحب تفسير (كازر). و من تلامذته المشهورين، فتح الله بن شكر الله المعروف بملا فتح الله الكاشانى الفقيه و المتكلم و المحقق و المفسر الامامى، و قد روى هذا العالم عن الكركى بواسطه أستاذه الزوارى.

كان ملا فتح الله الكاشانى متجراً [متبحراً] فى جميع علوم عصره و خصوصاً فى التفسير، فقد كان له فى هذا المجال اطلاع واسع. و يتحدث الميرزا عبد الله الأفندى عن هذا المفسر فى كتاب رياض العلماء، المجلد الرابع، بقوله: - " فاضل عالم ذكى، كامل جليل متكلم و مفسر شهير، المولى فتح الله الكاشانى من علماء الدوله الصفويه فى زمن الملك طهماسبى [طهماسب] و هو من

تلامذه علي بن الحسن الزوارى. و له تصانيف جيده و خاصه فى التفسير، حيث يبدع فى ذلك و له مصنفات اخرى قيمه ". و بعد الزوارى، عمد تلميذه المولى فتح الله الكاشانى إلى شرح "المواهب العليه" للكاشفى، و ضمن شرحه أحاديث و أخبار أهل البيت (ع) و أسماه "منهج الصادقين". ثم لخص هذا التفسير و أسماه "خلاصه المنهج" و تشاهد فى هذا التفسير الدقه و حسن الاختيار فى ترتيب المواضيع.

و من الآثار لهذا المحدث الشيعى: تنبيه الغافلين، و تذكره العارفين، و زبده التفاسير. توفى المولى فتح الله الكاشانى عام ٩٨٨ هـ.

مؤلفات علي بن الحسن الزوارى

١ - تفسير ترجمه الخواص: - أشهر آثار الزوارى هو التفسير الموسوم ب "ترجمه الخواص أو تفسير الزوارى". و قد ألف هذا التفسير مقابل تفسير (المواهب العليه) بامر من الملك طهماسب الصفوى. و من ثم يلاحظ التشابه بين التفسيرين. و كان الزوارى قد ضمن تفسيره أحاديث و روايات أهل البيت، ليحتل مكانه كتاب (تفسير المواهب العليه). و يتحدث عن تأليفه لكتابه بقوله:

"حتى الآن لم يكن هناك اهتمام فى التفاسير، بذكر الآيات المباركه التى نزلت بشأن أمير المؤمنين و مناقب أهل بيت سيد المرسلين، و من ثم فقد ألفت هذا التفسير مستعينا بالمواهب العليه".

كان الكاشفى قد باشر بتفسيره فى عام ٨٩٧ هـ. ق و فرغ منه عام ٨٩٩ هـ. و متنه باللغه الفارسيه، و لأنه صنفه بامر نظام الدين الأمير على شير نوائى، فقد أسماه بالمواهب العليه، و قد طبع هذا الكتاب عدده مرات فى الهند و باكستان، و طبع فى إيران عام ١٣١٧ هـ. ش مع حواشى و تصحيح و تنقيح للدكتور السيد محمد رضا الجلالى النائينى.

و على الرغم من استلهاهم الزوارى أفكاره فى تفسيره من الكاشفى، إلا أنه تعرض بالتفصيل إلى الآيات التى نزلت بشأن و منزله أهل البيت (ع)، و كذلك فسر سائر الآيات حسب الأحاديث و الروايات الموثوقه التى وردت عن أئمه الهدى (ع). و تلاحظ فى طيات بعض المباحث النقليه فى هذا التفسير، مواضيع عقليه، و كذلك يحتوى على بعض المقالات العرفانيه.

نقل بعض المواضيع عن سعيد بن جبير (أول مدون لتفسير القرآن) و عن ابن عباس و الفضل بن الحسن أمين الإسلام المعروف بالطبرسى، و من تفاسير الشيعة اعتمد على تفسير على بن إبراهيم القمى و كذلك غرائب التفسير و لباب التفسير و التفسير الكبير لأبى الفتوح الرازى و كذلك كشف الغمه للإربلى الذى قام بترجمته بنفسه، و استقى بعض المواضيع العرفانيه من كنز العرفان و كشف الأسرار و مصابيح القلوب و بحر الحقائق و معالم التنزيل و زاد المسير و بحر الدر.

النسخ الخطيه لتفسير الزوارى

يوجد العديد من النسخ الخطيه لهذا الأثر القيم فى مكتبات الهند و لبنان و العراق و تركيه و إيران و فيما يلى نشير إلى بعضها نسخه من المجلد الأول، لمحمد أمين بن إسماعيل المازندرانى تعود إلى عام ١٠٢٠ و هى محفوظه الآن فى مكتبه بشير آغا فى اسطنبول.

نسخه أخرى تشمل المجلدين، تعود إلى عام ١٠١٧ هـ. ق و هى موجوده فى المكتبه الرضويه فى مشهد.

و فى المكته الوطنيه لايران هناك العديد من النسخ و هى كالأ-تى نسخه خطيه يحتمل أنها ترجع إلى عام ١٠٥٥ هـ. ق نسخه أخرى تحتوى على سورة الفاتحه و حتى آخر سورة الكهف، و قد حررت فى القرن الثانى عشر بخط النستعليق، و هى محفوظه برقم ١٥١٠ / ف فى المكته الوطنيه.

نسخه أخرى من تفسير سورة الفاتحه و حتى آخر سورة الإسراء و هى محفوظه برقم ١١٩ / ف فى المكته الوطنيه. و هى محرره فى القرن الثانى عشر بخط النسخ و النستعليق.

نسخه أخرى من أول القرآن حتى آخر سورة الكهف، دون ذكر اسم الكاتب و هى محفوظه فى مكته المجلس تحت رقم ١٤٣٣٨. و كذلك توجد فى المكته المذكوره نسخه أخرى تحت رقم ١٤٨١٧ حررت فى عام ١١٠٣ بخط النستعليق، و أيضا نسخه أخرى تحت رقم ١٣٨١٨ من المجلد الثانى لهذا التفسير أى من سورة مريم و حتى نهايه القرآن و هى محرره عام ١٠٧٤ هـ، بخط النستعليق.

و ثمه نسخ أخرى فى المكته المركزيه لجامعه طهران تحت رقم ٥٧٥٦ و رقم ٧٨٢١.

و يوجد المجلد الأول لهذا التفسير، تحت تسلسل ٢١٩ فى سجل رقم ٣١٠٧ فى مكته التبريزى الوطنيه، و فى نهايتها: "قد فرغ من تحرير هذا النصف الأول مهر على حاجى الحرمين عين على الأردبيلى فى يوم السبت، اثنى عشر الشهر (كذا) صفر ١٠١٢ هـ. ق". و هى بخط النستعليق.

طبع التفسير المذكور لأول مره فى عام ١٣٥٥ بسعى و اهتمام الحاج الشيخ محمد حسين المولوى فى حاشيه القرآن، و قد كتب المولوى عن نشره للقرآن مع التفسير الفارسى قائلا:

" عند ما بادر هذا الحقيق الكثير التقصير أقل الحاج و المشايخ محمد حسين المولوى الخوانسارى فى سنه ١٣٥٥ هـ. ق، إلى نشر القرآن المحشى بتفسير مولانا على بن الحسن الزوارى، فقد حظى برغبه و اهتمام الخواص و العوام و أصبح مطلوبا من الجميع، و من ثم بادرت إلى طبعه ثانيه و هى منقوله عن النسخه الأولى صفحه بصفحه و لكنها بخط النستعليق للتقليل من طول و عرض الكلمات أكثر من النسخه السابقه، و قد راجعت التفسير المذكور من أوله إلى آخره مره أخرى، و ما كنت قد حذفته فى النسخه الأولى لعدم استيعاب الصفحات له، أضفته فى هذه النسخه، و أضفت إلى جانب ذلك فى الأماكن التى تستوعب الإضافه - بعضا من تفسير مولانا فتح الله الكاشانى - رض - و أحيانا من منهج الصادقين و أحيانا أخرى من خلاصه المنهج، حسب ما يقتضيه المقام، و صرحت باسم المؤلف ليمتاز عن تفسير مولانا الزوارى أعلى الله مقامه... "

و بالمناسبه نذكر أن الطبعه الجديده للقرآن مع حواشى هذا التفسير كانت فى عام ١٣٦٨ هـ. ق من قبل "شركت سهامى طبع كتاب" و لم أشاهد طبعه أخرى.

٢ - آثار الأخيار أو ترجمه التفسير المنسوب إلى الامام الحسن العسكري (ع):

من الكتب التى نسبت إلى على بن الحسن الزوارى، كتاب آثار الأخيار، و هو ترجمه للتفسير المنسوب إلى الامام الحسن

العسكري (ع).

و على الرغم من أن بعض المحققين الشيعة لا يرون صحة انتساب هذا التفسير إلى الامام، و لكن الشيخ الصدوق أيد صحة هذه النسبه [النسبه] في كتب:

من لا يحضره الفقيه و التوحيد و عيون أخبار الرضا، و كذلك فعل ابن شهر آشوب في المناقب و الشهيد الثاني في منيه المرید و الحر العاملي في وسائل الشيعة.

و من المؤلفين المعاصرين، يعتقد السيد رضا الأستادى بعدم وجود دليل على اختلاق هذا التفسير أو صدوره عن الامام. و قد طبع هذا التفسير في إيران أربع مرات باللغه العربيه: - الطبعة الأولى: حجريه. طهران. ١٢٦٨ الطبعة الثانيه و الثالثه: ١٣١٥ ق. تبريز. الطبعة الرابعه في عام ١٤٠٩. في مؤسسه الامام المهدي (عج) في قم.

و أصل هذا التفسير حسب روايه أبي يعقوب يوسف محمد بن زياد بن الحسن على بن محمد السيار، أن الامام الحسن العسكري (ع) كان يملى عليهما و هما يكتبان.

و قام الزوارى - بناء على طلب الملك طهماسب الصفوى - بنقله من العربيه إلى الفارسيه بأسلوب سلس و لكنه متين.

و ذكر المدرس التبريزى في ریحانه الأدب و كذلك صاحب روضات الجنات في ذيل شرحه لحال على بن حسن الزوارى بان الترجمة المذكوره هي إحدى مصنفات هذا العالم. و في المجلد الرابع من كتاب الذريعه، ص ٩٠ قال الشيخ آقا بزرك الطهرانى: - " ترجمه تفسير العسكري أيضا للمولى المفسر على بن الحسن الزوارى تلميذ المحقق الكرکى. قال صاحب الرياض رأيت في لنكر من أعمال جام عند أفراسياب خان و قد ترجمه للشاه طهماسب الصفوى ".

و توجد لهذا الكتاب نسخه خطيه في مكتبه المدرسه العاليه للشهيد المطهرى.

٣ - ترجمه المناقب في فضائل الأئمه الأطهار:

الأثر القيم الآخر لهذا العالم الفاضل المفكر، هو: الترجمة الفارسيه لكتاب كشف الغمه في معرفه الأئمه الذى أسمى ترجمته (المناقب). و مؤلف هذا الكتاب هو عى [على] بن عيسى الملقب ببهاء الدين الإربلى، و كان تأليفه في عام ٦٨٧، و هو كاتب و أديب و صاحب شعر و ذوق، و قد قدم إلى بغداد في زمن عطا ملك الجوينى و يرجع نسبه في الأصل إلى عائله الجوينى. و قد ورد اسمه في روضات الجنات أحد أعظم المحدثين الشيعة و كبار علماء القرن السابع.

ترجم على بن الحسن الزوارى الأثر المذكور عام ٩٣٨ هـ. ق باسم الأمير قوام الدين محمد. و قد طبع إلى الآن مرتين في مؤسسه (نشر أدب الحوزه) و (كتاب فروشى إسلاميه) و هو مؤلف من ثلاثه أجزاء مع مقدمه للأستاذ السيد أبى الحسن الشعرانى و قام بتصحيحه السيد إبراهيم ميانجى.

و بخصوص ترجمته من العرييه إلى الفارسيه يقول المترجم: "و لكون

ص: ٣١٥

تصنيفه باللغه العربيه الفصحى، و دراسته على الناطقين باللغه الفارسيه أمر صعب، فقد انبرى لهذا العمل الداعي على بن الحسن الزوارى - غفر الله ذنوبه و ستر عيوبه - و إن لم يكن أهلا لمثل هذا العمل العظيم. و لكن شمت الترجمة - بقدر طاقه المتصدى للترجمه - مع شىء من الاختصار بحذف بعض التكرار، ليتسنى لكل طالب محظوظ البلوغ إلى مائده الفائده، و قد شرعت بهذا الأمر بعون الملك المعبود، و أسميته ترجمه المناقب.

٤ - لوامع الأنوار فى معرفه الأئمه الأطهار:

من الآثار الأخرى للمولى على بن الحسن الزوارى، كتاب باسم (لوامع الأنوار إلى معرفه الأئمه الأطهار، و هو ملخص لكتاب (أحسن الكبار فى مناقب الأئمه الأطهار) تأليف السيد محمد بن أبى زيد بن عريشاه الورامينى. و قد لخصه على بن الحسن الزوارى فى عام ٩٦٨ بامر من الملك طماسب [طهماسب]، و قد لخص منه الرويات الضعفه و النقل الضعيف.

و هذا الكتاب مقدمه فى أصول العقائد الخمسه، و أربعة عشر بابا فى أحوال المعصومين الأربعة عشر، و خاتمه فى شرح حال أبى طالب و محمد بن أبى بكر و عائشه. و قد ورد اسم هذا الأثر فى بعض الكتب تحت عنوان لوامع الأنوار [الأنوار] فى تلخيص أحسن الكبار.

يتحدث المصنف فى هذا الكتاب عن أستاذه السيد غياث الدين جمشيد، و يذكر جانباً من المظالم التى لحقت به قبل مجيء الملك إسماعيل الصفوى، بسبب تشيعه و دفاعه عن المذهب الجعفرى.

و فى الصفحه ٤٠٧ من روضات الجنات، ورد ذكر هذا الكتاب نقلاً عن رياض العلماء [العلماء]، حيث جاء ما نصه:

" و هو كتاب متداول كبير عندنا منه نسخه و قد لخصه من كتاب أحسن الكبار فى مناقب أئمه (كذا) الأطهار لبعض علمائنا بامر السلطان شاه طهماسب الصفوى المشهور، و زاد عليه بعض المطالب و الفوائد و جعله مرتباً على مقدمه فى أصول الدين و أربعة عشر باباً فى أحوال الساده الطاهرين".

توجد نسخه خطيه من هذا الكتاب فى مكتبه السيد النجفى المرعشى، تحت رقم ٣٧٤، و هى بخط النسخ، و ثمة نسختان أخريان فى نفس هذه المكتبه تحت رقم ٤٠٥٥ و ٤٦٠٠.

٥ - روضه الأسرار فى ترجمه و شرح نهج البلاغه:

و هو ترجمه و شرح مختصر لنهج البلاغه و قد أتم الترجمة و الشرح فى آخر شهر شوال عام ٩٤٧، و هو يبدأ بالعباره التاليه: " الحمد لله على نعمائه و شكر آلائه.... و غير خاف أنه ياتى بعد كلام رب العالمين و سيد المرسلين....".

و ينتهى بالعباره التاليه: " و قالوا خوفاً و طمعا اللهم اغفر لنا و لهم يا غافراً المذنبين (كذا) و يا رب العالمين".

و لهذا الكتاب نسخه محفوظه فى مكتبه السيد النجفى المرعشى تحت رقم ١١٨٨، محرره بيد على بن ناصر الحسينى الكيلانى الملاطى، بخط النسخ، و هى متن عربى لنهج البلاغه مع الاعراب.

و كذلك توجد لهذا الكتاب نسخه أخرى فى المكتبه المركزيه لجامعه طهران، تحت رقم ٩٥٥٦ و هى محرره بخط النستعليق فى شعبان عام ٩٤٩ هـ. ق، و ثمه نسخ أخرى فى مروى و كذلك فى المكتبه الرضويه فى مشهد.

٦ - طراوه الطائف فى ترجمه كتاب الطوائف:

و هو ترجمه حرفيه لكتاب الطوائف فى معرفه مذاهب الطوائف، تأليف السيد ابن طاوس - رض - و قد ترجمه إلى الفارسيه باسم الملك طهماسب الصفوى، و فرغ من الترجمه فى السادس من رجب عام ٩٦١ هـ.

تحتفظ مكتبه السيد المرعشى النجفى بنسخه منه تحت رقم ١٠٨٦، و هى محرره بخط النستعليق بيد على بن درويش فى ١٥ ربيع الثانى عام ١٠٦٧ هـ.

٧ - مفتاح النجاح:

هذا الأثر هو ترجمه حرفيه مع إضافه بعض الأذعيه و الأذكار لكتاب عده الداعى و نجاح الساعى تأليف ابن فهد الحلبي. و تحتفظ الترجمه بالترتيب الأصيل للكتاب و هو يشتمل على مقدمه و سته أبواب و خاتمه.

توجد نسخه لهذا الكتاب فى مكتبه السيد المرعشى النجفى تحت رقم ٢٢٠ و هى بخط النسخ، و ثمه نسخه أخرى بخط النستعليق تحت رقم ١٢٣١ فى نفس المكتبه المذكوره و هى محرره فى عام ٩٧٤ هـ. ق.

٨ - مجمع الهدى:

دون أبو الحسن على بن الحسن الزوارى هذا الكتاب حول حياه الرسول الأعظم (ص) و أئمه الهدى (ع) و هو فى أربعين بابا. و فى هذا الكتاب يعنى المؤلف - كما يفعل فى مؤلفاته الأخرى - عنايه خاصه بالآيات القرآنيه و الأحاديث و الأخبار المنقوله عن أهل البيت.

تحتفظ مكتبه السيد المرعشى النجفى بنسخه لهذا الكتاب رقم ٢٧٣١ و هى محرره بخط النستعليق.

الآثار الأخرى لعلى بن الحسن الزوارى:

٩ - مكارم الكرائم و هو ترجمه لمكارم الأخلاق ١٠ - وسيله النجاه فى ترجمه اعتقادات الشيخ الصدوق.

١١ - ترجمه كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسى باسم كشف الاحتجاج.

١٢ - تحفه الدعوات فى أعمال السنه و هو باللغه الفارسيه.

١٣ - رساله مرآه الصفا و يحوى فى خاتمه على زيارات لأهل البيت.

١٤ - كتاب عمدته الطالب فى ترجمه المناقب.

١٥ - أربعون حديث شريف.

١٦ - خلاصه الروضه.

١٧ - ترجمه فارسىه لمناقب ابن شهر آشوب السروى. (١)

على حيدر بن على أظهر

ولد سنه ١٣٠٣ فى (كهجوه) من قضاء (سارن) التابع ل (بهار) فى الهند و توفى فيها سنه ١٣٨٠.

ص: ٣١٦

١- غلام رضا گلى زواره.

تربى و ترعرع برعايه جده و أبيه و انتمى إلى المدارس الحكوميه. و فى سنه ١٣٢٢ سافر أبوه إلى العراق مع العيال فالتقى هناك بكبار العلماء يصحبه ولده المترجم، ثم عاد إلى وطنه. و بقى ملازما أباه مساعدا له فيما يكتب و يؤلف حتى سنه ١٣٢٥ فسافر أبوه إلى لكهنو و معه ولده المترجم حيث عهد به إلى مشاهير أهل العلم فدرس عليهم. و فى سنه ١٣٢٨ جاء المترجم إلى (لاهور) و انتمى إلى (أورينتال كالج) مده سنتين عاد بعدها إلى لكهنو فانتمى إلى معهد (سلطان المدارس) و فى سنه ١٣٣٦ تخرج منها و عاد إلى بلده. و كان والده يصدر مجلتين: (الشمس) و (إصلاح) و يكتب و يؤلف، فقام ولده المترجم بمساعدته فى عمله. ثم دعى إلى التدريس فى المدرسه السلیمانیه فى بننه فاستجاب لذلك و لكنه لم يلبث فى عمله هذا سوى سته أشهر حتى دعى إلى لكهنو للتدريس فى (سلطان المدارس) فذهب إليها و بقى منشغلا بذلك حتى سنه ١٣٤٤ و كان قد أصدر مجله (الكلام)، و كان يعمل فى ترجمه كتاب (إحقاق الحق) و (نهج البلاغه) و (العروه الوثقى) للسيد اليزدى. على أن تدهور صحه والده اضطره إلى العوده إلى بلده فتولى بنفسه إداره مجله (إصلاح) و (الشمس). و فى سنه ١٣٤٧ توفى والده.

و من سنه ١٣٥١ إلى سنه ١٣٥٨ انصرف انصرافا كاملا إلى الكتابه و التأليف. ثم اضطر لايقاف المجلتين، و اقتصر على التأليف.

من مؤلفاته: مجالس خاتون فى ثلاثه مجلدات تحتوى على ١٠٠٠ صفحه و هى مجالس تعزیه للنساء، تصوير عزا. و هو رد على المعترضين على إقامة عزاء الحسين، تاريخ الأئمه، جوهر قرآن، شهاده عظمى، ترجمه العروه الوثقى للسيد اليزدى، ترجمه إحقاق الحق (لم يتم)، ترجمه و شرح نهج البلاغه، فضائل أمير المؤمنين، تصوير بنى أميه، سوانح حياه أمير المؤمنين، ثقل أكبر، مجالس الأنوار، ترجمه و تفسير القرآن، تحفه مؤمنات (و هو عرض لمشاهير نساء الإسلام)، حضره سكينه، عزادارى نور الله، و غير ذلك.

تخلف بولده محمد باقر الذى تابع رساله أبيه و جده.

الملا على رضا الشيرازى

توفى سنه ١٠٨٥ فى شيراز.

جاء إلى الهند من شيراز فى زمن تملك شاه جهان فلقى إقبالا كبيرا، و بعد وفاه الشهيد نور الله الشوشترى صار هو مرجع الشيعة فى الهند، و قد قام بتفسير القرآن، و مما قيل فى هذا التفسير ما جاء فى (مخزن الغرائب):

"إنه تفسير للقرآن بعباره فصيحاه واضحه و هو متداول بين العلماء و الفضلاء".

تنقل خلال وجوده فى الهند فى كل من إكره و كجرات و دلهى و لاهور و سوهدره و كشمير، ثم رجع إلى وطنه شيراز.

كان إلى مرجعيته الفقيهه شاعرا أدبيا و ترك ديوانا شعريا.

على قاسم خان بيك

توفى سنه ١٣٣٠ فى الهند.

هو من قضاء مونكير في الهند من العائله العلميه المشهوره. جاء إلى لکنهو لإكمال دراسته، و كان من أساتذته فيها كل من ميرزا علي خان و السيد مرتضى نونهرى و السيد نثار حسين. كان خطيبا شاعرا باللغتين العربيه و الفارسيه، و كان مما درسه في لکنهو فأتقنه: شرائع الإسلام و شرح التجديد [التجريد] أو قواعد العقائد و نفحه اليمن و المعلقات السبع.

الشيخ علي رضا ريعان اليزدي

كان خطيبا، واعظا، فاضلا سافر إلى كشمير من بلاد الهند لغرض الحصول على المخطوطات الإسلاميه و قد جمع منها عددا كبيرا و كتب لها فهرستا. و أهم تأليف له هو كتابه (آينه دانشوران، مرآه العلماء) في أحوال العلماء و الطلاب، خاصه علماء مدينه يزد.

توفى عن عمر يناهز الثمانين سنه ١٤٠٨ هـ. (١)

السيد فخر الدين أبو القاسم علي بن أبي يعلى عز الدين زيد بن علي بن محمد بن يحيى بن محمد بن أبي جعفر أحمد زباره الحسينى النيسابورى.

توفى بفرمود يوم الخميس ٤ ربيع الأول سنه ٥٢٢.

أخذ العلم من أكابر علماء نيسابور و أعلام أسرته آل زباره و انتهت إليه الرئاسة فى نيسابور و قد ولى من جانب السلطان سنجر فى الكوفه على أحداث نهر لجلب المياه من الفرات إلى الكوفه و كتب السلطان سنجر إلى وزيره جلال الدين الحسن بن علي بن صدقه ببغداد سنه ٥١٢ يأمره بإنجاز المشروع و ذكر الكتاب ابن الفندق المتوفى سنه ٥٦٥ و هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم. حسن توفيق الوزير الأجل العالم يدعو إلى أن يكون وفود احمادنا إليه مسوقه و عقود مخاطباتنا لديه منسوقه و بحسب ذلك استظهر السيد الأجل العالم الزاهد فخر الدين مجد الساده أبو القاسم علي بن زيد الحسينى بهذا المثال، و هو ممن سالت على صفحه نسبه الشريف غره السداد و بوأه استحقاقه كنف العناية موطا المهاده و حكعت له مواته (؟) المرعيه و وسائله المرضيه بان يتلقى داعيه رجائه بالاجابه و يقابل ظنه بجميل الاصابه و قد هم بان يسعى فى أن تشق إلى الكوفه فرضه من الفرات ليحيى بها معالم أرضها الموات و لا غنى فى تحصيل مراده و إدراك مرامه عن حسن مسعاه الوزير الأجل جلال الدين و صدق اعتناؤه و إرشاده و رأى الوزير الأجل فى ذلك موفق رشيد إن شاء الله تعالى.

و كانت أمه بنت الرئيس الفقيه أبى زيد أميرك البروغنى و أعقب ثلاثه أولاد، هم زيد و الحسين و على كلهم من العلماء فى نيسابور. (٢)

ص: ٣١٧

١- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع :: www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
الغمامة
اصبحان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

